

على

تفسير الجلالين

جلال الدين المحلّي
(ت: ٨٦٤هـ)

جلال الدين السُّيوطي
(ت: ٩١١هـ)

تأليف
العالم العلّامة العارف بالله تعالى
الشيخ أحمد بن محمد الصاوي الخلوتي
(١١٧٥ - ١٢٤١هـ)

حُقِّقت على نسخ خطية نفيسة
ومطبوعة قديمة سليمة من التحريف والتبديل

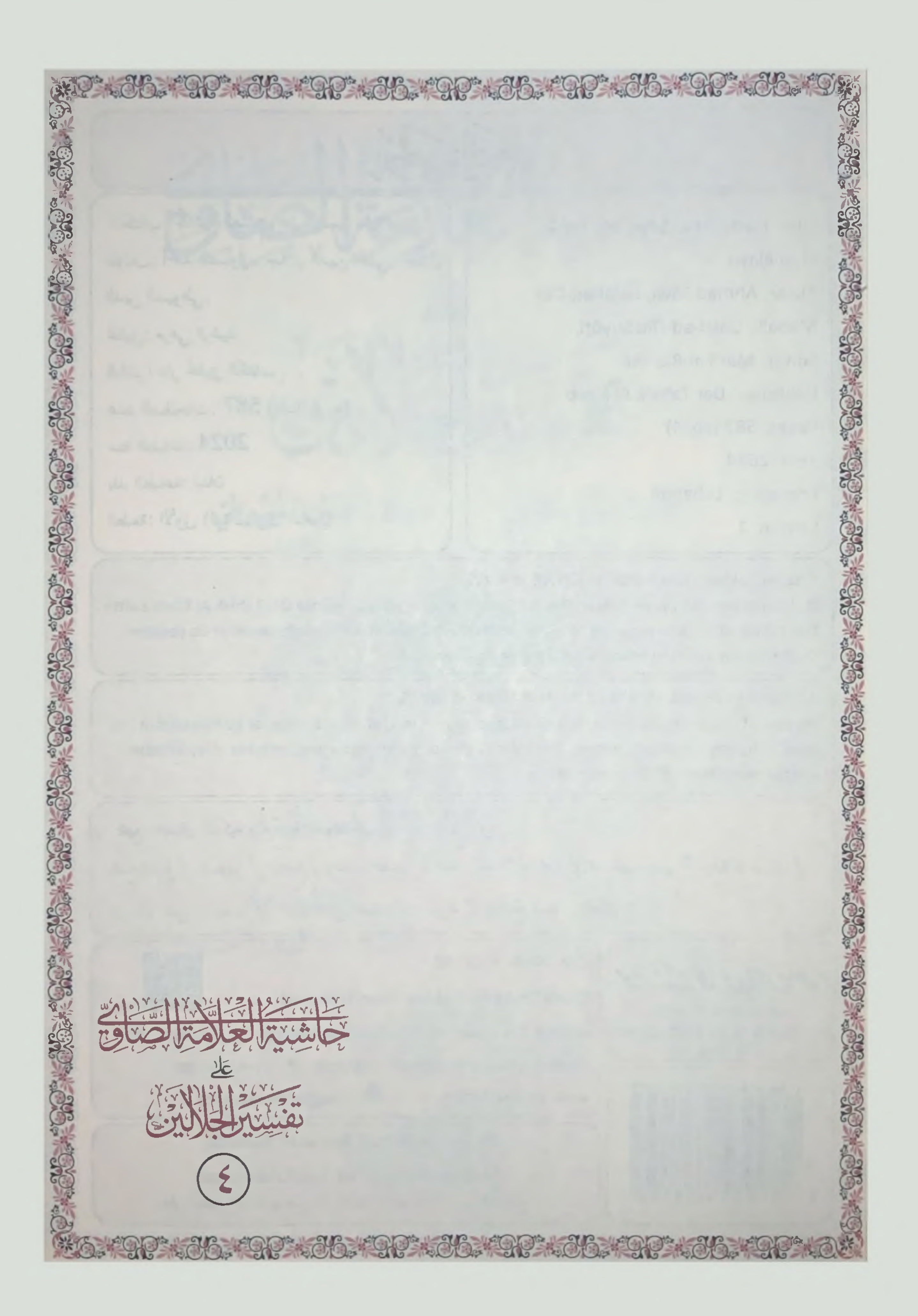
شرف بخدمتها
مرعي حسن الرّشيد

راجعها وقدم لها
الدكتور عبد القادر الحسين

الجزء الرابع

سورة الإسراء - سورة الفرقان

دار تحقيق الكتاب
للطباعة والنشر والتوزيع

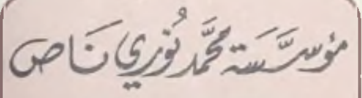


حاشية العلامة الصاوي
على
تفسير الجلالين
٤

دار تحقيق الكتاب

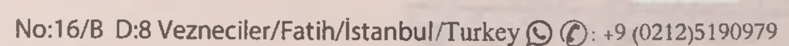
Title: Ḥāshiyat al-Ṣāwī ‘alá Tafsīr al-Jalālayn
Autor: Aḥmad Ṣāwī, Ğalāl-ad-Dīn Maḥallī, Ğalāl-ad-Dīn Suyūṭī,
Editor: Mar‘ī al-Rashīd
Publisher: Dar Tahkik Al Kitab
Pages: 587 (vol.4)
Year: 2024
Printed in: Lebanon
Edition: 1

الكتاب: حاشية الصَّاوي على تفسير الجلالين.
المؤلف: أحمد الصاوي، جلال الدين المحلي، جلال الدين السيوطي.
تحقيق: مرعي الرشيد
الناشر: دار تحقيق الكتاب
عدد الصفحات: 587 (المجلد الرابع)
سنة الطباعة: 2024
بلد الطباعة: لبنان
الطبعة: الأولى (لونان، ورق شاموا)



MEHMET NURI NAS
PUBLISHER OF ISLAMIC BOOKS
1948



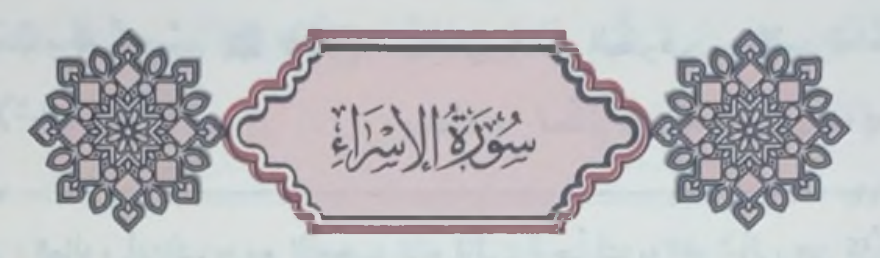
DAR TAHKIK AL KITAB
Büyük Reşit Paşa Caddesi Yümni İş Merkezi

No:16/B D:8 Vezneciler/Fatih/İstanbul/Turkey : +9 (0212)5190979
Merkez :1.Cadde No:66 MİDYAT/MARDİN : +9 (0482)4622775
www. tahkikalkitab.com

: info@tahkikalkitab.com

Dar Tahkik Al Kitab, Nursabah Yayıncılık
Matbaacılık Ltd.Şti'nin Tescilli Markasıdır
دار تحقيق الكتاب هي دار تابعة لمؤسسة دار نور الصباح


بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سُبْحَنَ ....



مَكيةٌ إلَّا ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ...﴾ الآياتِ الثَّمان. مائةٌ وعشرُ آياتٍ أو إحدَى عشرةَ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ﴿سُبْحَنَ﴾ أي: تَنزيه ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ الإسْرَاءِ

وتسمَّى سورة (بني إسرائيل)، وتسمَّى سورة (سبحان)؛ لأنه جرَت عادة الله في كتابه أنه يُسمِّي السورة باسم بعضها. و(سورة): مبتدأ، و(مكيَّة): خبرٌ أول، وقوله: (مئة... إلخ): خبرٌ ثانٍ.

قوله: (إلا ﴿وَإِن كَادُوا﴾... إلخ) وقيل: كلُّها مكيَّة.

قوله: (الآيات الثمان) أي: وآخِرها قوله تعالى: ﴿سُلْطَنًا نَّصِيرًا﴾، لكن بحث البَيضاوي فيه: بأنَّ قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ...﴾ إلخ نزلت بمكة حين أُمِرَ ﷺ بالهجرة[١]، وقد يجاب عن بحثه: بأنها لما نزَلت بعد الأمر بالهجرة.. التحقت بالمدنيِّ خصوصاً، وقد قال العلماء: المدنيُّ: ما نزل بعد الهجرة وإنْ بأرض مكة.

قوله: (﴿سُبْحَنَ﴾) هو في الأصل مصدر سماعي لـ(سبَّح) المشدد، أو اسم مصدر له، ثم صار علماً على التَّنزيه؛ أي: وعلى كلٍّ فهو مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره: (أسبِّح)، فالمقصود منه؛ إما التنزيه فقط؛ أي: تَنزيه مَنْ هذا وصفه عن كلِّ نقصٍ؛ لأنَّ هذه معجزةٌ لم تَسبق لغيره ﷺ، أو المقصود: التعجب فقط، على حدِّ: «سبحان الله، المؤمن لا يَنجس»[٢] أي: عجباً لباهر قدرة

(١) «تفسير البيضاوي» (٣/ ٢٦٤).

(٢) رواه البخاري (٢٨٣)، ومسلم (٧٥٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿ٱلَّذِىٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا﴾ ....

﴿ٱلَّذِىٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ مُحمَّد ﷺ ﴿لَيۡلٗا﴾ ـ نُصِبَ على الظَّرف ـ والإسراء سَير اللَّيل، وفائِدةُ ذِكره الإشارةُ بِتنكِيرِه ....

حاشية الصاوي

فاعل هذا الفعل وكماله، أو التنزيه مع التعجب كأنه قال: عَجباً لتنزيه الله تعالى عن كلِّ نقص؛ حيث صدر منه هذا الفعل العَجيب الخارق للعادة.

قوله: (﴿ٱلَّذِىٓ﴾) اسم موصول مضاف لـ﴿سُبۡحَٰنَ﴾، والموصول وإن كان مبهماً إلا أنه تميَّز بالصلة؛ فإنَّ هذه الصلة ليست لغيره تعالى سيَّما مع تصدير الجملة بالتسبيح الذي هو مختصٌّ بالله.

قوله: (﴿أَسۡرَىٰ﴾) هو و(سرَى) فعل لازم بمعنى: سار في الليل، فالهمزة ليست للتعدية إلى المفعول[١].

قوله: (﴿بِعَبۡدِهِۦ﴾) لم يَقُل: بنبيِّه، ولا برسوله؛ إشارةً إلى أنَّ وصف العبودية أخصُّ الأوصاف وأشرفُهَا؛ لأنه إذا صحَّت نِسبة العبد لربِّه؛ بحيث لا يشرك في عبادته أحداً.. فقد فاز وسعد؛ ولذا ذكره الله في المقامات الشريفة في مَقام الوحي، قال تعالى: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]، وفي مقام الدعوة، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ...﴾ [الجن: ١٩] إلخ؛ ولذا قال القاضي عياض[٢]: [الوافر]

وممَّا زادني شَرَفاً وتيهاً ... وكِدْتُ بأخمصي أطأُ الثُّريَّا
دُخُولي تحتَ قَولِكَ: يا عِبادِي ... وأنْ صَيَّرْتَ أحمدَ لي نَبِيَّا

وهناك وجهٌ آخرُ، وهو: خوفُ ضلال أمَّته به كما ضلَّت أمَّة عيسى به؛ حيث قالوا: ابن الله.

وقوله: (﴿بِعَبۡدِهِۦ﴾) أي: بِروحه وجسمه على الصحيح، خلافاً لمن قال: إنَّ الإسراء بالروح فقط، ونقل عن عائشة،[٣] وهو مردودٌ: بأنها كانت حديثة السِّنِّ إذ ذاك، ولم تكُن في عصمته ﷺ.

قوله: (محمَّد) إنما لم يُصرح به؛ لعلمه من السياق ومِن سبب النزول.

قوله: (وفائدة ذكره) أي: مع عِلمه من ذكر الإسراء.

---

(١) وإنما جاءت التعدية هنا من الباء، ومعنى (أسرى به): صيَّره سارياً بالليل. «فتوحات» (٢/ ٦٣٨).

(٢) انظر «مرقاة المفاتيح» لملا علي القاري (١/ ٩).

(٣) انظر «تفسير الخازن» (٣/ ١١٤)، و«تهذيب الآثار» للطبري (٦/ ٢٧٦).

﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ ....

إلى تَقلِيل مُدَّتِه، ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي: مكةَ ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ بَيتِ المَقدِس لِبُعدِه مِنهُ، ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ بِالثِّمارِ والأنهارِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (إلى تقليل مدَّته) أي: فقيل: قدر أربع ساعات، وقيل: ثلاث، وقيل: قدر لحظة، قال السبكي في «تائيَّته»[1]: [الطويل]

وعُـدْتَ وكـلُّ الأمـرِ فـي قـدْرِ لـحـظَـةِ

قوله: (﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾) (مِن): لابتداء الغاية.

قوله: (أي: مكة) إنما فسَّره بذلك؛ لِيَصدق بكلٍّ من القولين وهما: هل كان مضطجعاً في المسجد أو في بيت أم هانئ؟ وفي الحقيقة: لا تَخالف؛ لأنه على القول بأنه كان في بيت أمِّ هانئ فقد احتملته الملائكة وجاؤوا به إلى المسجد وشَقُّوا صدره هناك، ثم أتَوا له بالبراق بعد ذلك، فلم يحصل الإسراء إلا من المسجد، فالأولى للمفسِّر أن يُبقيَ الآية على ظاهرها، وكان المسجد إذ ذاك بقدر المطاف، ثم وسَّعه الملوك، وأوَّل من وسَّع فيه عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه، فكانوا يَشترون دُور مكة ويدخلونها فيه.

قوله: (﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾) هو أول مسجد بُنِيَ في الأرض بعد الكعبة، بَناه آدم بعد أن بنى الكعبة بأربعين سنة.

والحكمة في الإسراء به إلى بيت المقدس: لِيَظهر شرفه على جميع الأنبياء والمرسلين؛ لأنه ﷺ صلَّى بهم إماماً في مكانهم، وشأن الذي يتقدَّم على الإنسان في بيته يكون هو السلطان؛ لأنَّ السلطان له التقدم على غيره مطلقاً، وليسهل على أُمَّته المحشر حيث وضع قدمه فيه؛ فإنَّ الخلق يُحشرون هناك[2].

قوله: (بيت المقدس) من إضافة الموصوف لِصفته؛ أي: البيت المقدَّس؛ أي: المطهَّر عن عبادة غيره تعالى؛ ولِذا لم يُعْبَد فيه صنمٌ قط.

قوله: (﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾) أي: بركة دنيويَّة بالثمار والأنهار كما قال المفسِّر، وأمَّا في داخله.. فليست مختصة به، بل البركة في كلا المسجدَين، بل هي أتمُّ في المسجد الحرام.

---

(١) انظر شرحها للعلامة أحمد الترمانيني (ص١٠٢).

(٢) كما رواه ابن ماجه (١٤٠٧) عن سيدتنا ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها.

﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾ ....

﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾: عَجائِب قُدرَتِنا، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ أي: العالِمُ بِأقوالِ النَّبِيِّ ﷺ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لِنُرِيَهُۥ﴾) اللام: للحكمة؛ أي: حِكمة إسرائنا به رؤيته من آياتنا، وعامَّة القراء على قراءته بالنون، وقرأ الحسن: (لِيُريه) بالياء[1]؛ فعلى الأول: يكون في الكلام التِفاتان: الأول: من الغيبة للتكلم في قوله: ﴿بَٰرَكْنَا﴾ و﴿لِنُرِيَهُۥ﴾، الثاني: من التكلم للغيبة في قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، وعلى الثاني: يكون فيه أربَع التفاتات: الأول: من الغيبة في قوله: ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾ إلى المتكلم في قوله: ﴿بَٰرَكْنَا﴾، الثاني: من التكلم إلى الغيبة في: ﴿لِيُرِيَهُۥ﴾، الثالث: من الغيبة إلى التكلم في قوله: ﴿مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾، الرابع: من التكلُّم إلى الغيبة في قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

و﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾: للتبعيض؛ أي: لِنُريه بعض آياتنا، وإنما أتى بها؛ تعظيماً لآيات الله؛ أي: إنَّ محمداً وإن رأى ما رأى من الآيات العظيمة والعجائب الفخيمة.. فهو بعضٌ بالنسبة لآيات الله وعجائب قُدرَته وجلائل حكمته.

إن قلتَ: إنَّ ما هنا يقتضي التبعيض، وقوله تعالى في حق إبراهيم: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٧٥] أنه لا تبعيض، فظاهر هذا: أنَّ ما رآه إبراهيم أكثَر مما رآه محمد، وهو خلاف الإجماع؟

أجيبَ: بأن مَلكوت السماوات والأرض بعض الآيات العظيمة التي رَآها محمد، فإبراهيم رأى بعض البعض.

قوله: (﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾) المشهور: أنَّ الضمير عائدٌ على الله تعالى؛ أي: هو السميع للأقوال، البَصير بالأحوال والأفعال.

وقيل: الضمير عائد على النبي ﷺ، وحكمة الإتيان بهذين الوصفَين: الثناء على رسوله ﷺ حيث شاهد ما شاهد، وسمع ما سَمع، ولم يَزغ بصره، ولم يدهش سمعه؛ فهو نظير قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧]؛ إشارةً إلى عُلوِّ مقامه ورفعة شأنه؛ ولذا قال العارف البرعي[2]:

[الوافر]

---

(١) انظر «الدر المصون» (٧/ ٣٠٧).

(٢) «ديوان البرعي» (ص٢٤٤).

وأفعالِه، فأنعَمَ علَيهِ بِالإسراءِ المُشتَمِل على اجتِماعِه بِالأنبِياء وعُرُوجه إلى السَّماء، ورُؤيةِ عَجائِب المَلَكُوت ومُناجاتِه لَه تَعالى؛ فإنَّهُ ﷺ قال: «أُتِيتُ بِالبُراقِ ....

حاشية الصاوي

وَإِنْ قـابَـلْـتَ لَـفْـظَـةَ ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ بِـ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ﴾ فَـهِـمْـتَ مَـعْـنَـى
فَـإِنَّ اللهَ كَـلَّـمَ ذاكَ وَحْـيـاً وَكَـلَّـمَ ذَا مُـشـافَـهَـةً وَأَدْنَـى

إلى أن قال:

فَـمُـوسَـى خَـرَّ مَـغْـشِـيًّـا عَـلَـيْـهِ وَأَحْـمَـدُ لَـمْ يَـكُـنْ لِـيَـزِيـغَ ذِهْـنَـا

قوله: (على اجتماعه بالأنبياء) أي: الرسل وغيرهم، وصلَّوا خلفَه.

قوله: (وعروجه إلى السماء) أي: صُعوده إليها محفوفاً بالملائكة الكرام.

قوله: (ورؤية عجائب الملكوت) أي: كالملائكة والجنة والنار.

واعلم: أنَّ العوالم أربع: عالم الملك وهو: ما نشاهده، وعالم الملكوت وهو: ما خفي عنا، وعالم الجبروت وهو: العلوم والأسرار، وعالم العزة وهو: ما لا يُمكن التعبير عنه كذات الله، ويسمى: سرَّ سرِّ السِّرِّ؛ قال السيد البكري: (وبسرِّ سرِّ سرِّك الذي لا تفي بالإفصاح عن حَقيقته الرقائق)[١].

قوله: (ومناجاته له تعالى) أي: شِفاهاً مع رفع الحجاب.

قوله: (فإنه ﷺ... إلخ) القصد من ذلك: تفصيلُ ما أجمل في الآية الكريمة، وقد اختَلفت الروايات في الإسراء والمعراج جدًّا، وقد اقتصر المفسِّر على هذه الرواية؛ لكونها رواية البُخاري ومسلم[٢].

قوله: (أُتِيتُ بالبراق) أي: بعد أن جاءه جبريل وميكائيل ومعهما ملكٌ آخَر، فاحتملوه حتى جاؤوا به زمزم، فأضجَعوه وشقُّوا من ثغرة نَحره إلى أسفل بطنه، وأخرجوا قلبه وغَسَلوه ثلاث مرات، ثم ملؤوه حلماً وعلماً ويقيناً وإسلاماً، ثم أطبَقوه وختموا بين كتفَيه بخاتم النبوة، ثم أتي بالبُراق ـ بضم الباء ـ مأخوذ من البَرق؛ لسرعة سيره، أو من البَريق؛ لشدة صفاء لَونه ولمعانه، وهو من جملة سبعين ألف[٣] براق ترتَع في ربض الجنة مُعدَّة له ﷺ.

---

(١) كما في ورد السحر له رحمه الله تعالى.

(٢) «صحيح البخاري» (٣٨٨٣)، و«صحيح مسلم» (٣٣٠) عن سيدنا مالك بن صَعصعة ﷺ.

(٣) في (ط٢): (أربعين ألف)، وانظر الخبر في «عُمدة القاري» (١٧/ ٢٥)، و«نزهة المجالس» (٢/ ٩٨).

وهو دابَّة أبيَضُ فوقَ الحِمار ودُون البَغل، يَضَع حافِرَه عند مُنتَهَى طَرْفِه، فرَكِبتُه فسار بي حتَّى أتيتُ بَيت المَقدِس، فرَبَطتُ الدَّابَّة بِالحَلقة الَّتي تَربِط فِيها الأنبياءُ، ثُمَّ دَخَلتُ فصلَّيت فِيه رَكعتَينِ، ثُمَّ خَرَجتُ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (دابة) أي: ليست ذكراً ولا أنثى، وفي الاستعمال يجوز التذكير باعتبار كونه مركوباً، ويؤنَّث باعتبار كونِه دابة.

قوله: (فوق الحمار ودون البغل) أي: فهو متوسِّط بينهما.

قوله: (عند منتهى طرْفِهِ) هو بسكون الراء: البَصر.

قوله: (فركبته) أي: وكان جبريل عن يمينه آخذاً بركابه، وميكائيل عن يساره آخذاً بزِمام البراق.

قوله: (حتى أتيت بيت المقدس) في هذه الرواية اختصار، وزِيد في غيرها: (أنه نزل بالمدينة ومَدين وطور سيناء وبيت لحم، فصلى في كلِّ موضعٍ ركعتين بأمر من جبريل عن الله)[١]؛ لتَحصل زيادة بركته لتلك الأماكن، وليَقتدي به غيره في العبادة بالأماكن المشرفة، ورأى بين كل موضع والآخر عجائب وغرائب مذكورة في قِصة النجم الغيطي[٢].

قوله: (فربطت الدابة) يقال: رَبَطَ يَرْبِطُ؛ من باب (ضرب): شدَّهُ.

قوله: (بالحلْقَةِ) بسكون اللام، ويجوز فتحها، والربط تعليماً[٣] لِلاحتياط في الأمور، وإشارة إلى أنَّ الأخذ في الأسباب لا يُنافي التوكُّل.

قوله: (التي يربط فيها الأنبياء) أي: الذين كانوا يَأتون بيت المقدس لِزيارته، وفي رواية: (أنَّ جبريل أخذ البراق من الباب، وأدخله المسجد، وخرَق الصخرة بأصبعه ورَبط البراق فيها)[٤].

قوله: (فصلَّيت فيه ركعتين) أي: إماماً بالأنبياء أجساداً وأرواحاً والملائكةِ وأرواحِ المؤمنين،

---

(١) رواها النسائي في «المجتبى» (١/ ٢٢١) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه، وليس فيه ذكر صلاته ﷺ بمدينَ، وقد رواها البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٥٦).

(٢) فقد جمع روايات الإسراء والمعراج في جزء سمَّاه «قصة المعراج».

(٣) كذا في الأصول بالنصب، والخبر محذوف جوازاً، والتقدير: (والربط حاصل تعليماً...)، والرفع على الخبرية أولى.

(٤) رواها الترمذي (٣١٣٢) عن سيدنا بُريدة بن الحصيب رضي الله عنه.

فجاءني جبريل بإناءٍ مِن خَمر وإناء مِن لَبَن فاختَرتُ اللَّبَن، قال جبريلُ: أصَبتَ الفِطرةَ، قال: ثُمَّ عُرِجَ بي إلى السَّماء الدُّنيا، فاستَفتَح جِبرِيل، ....

حاشية الصاوي

وهذه الصلاة لم يُعلم كونها فرضاً أو نفلاً، غاية ما يقال: إنه أُمِرَ بها وهو مطيعٌ، وفي الحديث اختصارٌ؛ لأنه طوى ذكر صلاة الركعتين تحيَّة المسجد حتى اجتَمع جميع الأنبياء والملائكة وأرواح المؤمنين، ويحتمل أن يقال: إن الركعتين المذكورتين في الحديث هما تَحية المسجد، وطوى ذكر الركعتين التي أمَّ فيهما الناس.

قوله: (فجاءني جبريل) أي: حين أخذَني من العطش أشدُّ ما أخَذني.

قوله: (أصبت الفطرة) أي: الخِلقة الأصليَّة، وهي فطرة الإسلام، وفي بعض الروايات: (أن جبريل قال له: ولو اخترتَ الخمر.. لَغَوَتْ أُمَّتك، ولم يَتبَعك منهم إلا القليل)[1]، وفي رواية: أن الآنية كانت ثلاثاً، والثالث فيه ماء، وأن جبريل قال له: (ولو اخترت الماء.. لَغَرقت أُمَّتك)[2].

قوله: (قال) أي: الراوي، وهو أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ.

قوله: (ثم عرج بي) أي: بعد أن أُتِيَ بالمعراج ووضع على صخرة بيت المقدس، وهو سلَّم له عشر مَراقٍ؛ إحداها: من ذهب، والأخرى من فضة، وأحد بابَيه من ياقوتة حمراء، والآخر من ياقوتة بيضاء، وهو مكلَّل بالدُّر؛ سبعٌ منها للسماوات السبع، والثامنة للسدرة، والتاسعة للكرسي، والعاشرة إلى العرش، فلما همَّا بالصعود.. نزَلت المرقاة التي عند السماء الدنيا، فركباها، وصعدت بهما إلى محلِّها، ثم نزلت الثانية لهما... وهكذا.

قوله: (إلى السماء الدنيا) وهي من مرج مكفوف، والثانية من مَرمرة بيضاء، والثالثة من حديد، والرابعة من نحاس، والخامسة من فِضة، والسادسة من ذهب، والسابعة من ياقوتة حمراء، والكرسي من ياقوتة بيضاء، والعرش من ياقوتة حمراء، وأبواب السماوات كلُّها من ذهب، وأقفالها من نور، ومَفاتيحها اسم الله الأعظم.

قوله: (فاستفتح جبريل) أي: طلب الفتح من الملك الموكَّل بالباب، وحكمة غَلقها إذ ذاك: لزيادة الإكرام بالسؤال والترحيب له ﷺ.

---

(١) رواها الطبراني في «مسند الشاميين» (٤/ ١٢٩)، والبيهقي في «الشعب» (٥١٧٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواها الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٦/ ٢٥٩) عن سيدنا أنس رضي الله عنه.

قِيل: مَن أنتَ؟ قال: جِبرِيل، قِيل: ومَن مَعَك؟ قال: مُحَمَّد، قِيل: وقَد أُرسِل إلَيه؟ قال: قد أُرسِلَ إلَيه، ففُتِح لَنا، فإِذَا أنا بِآدَم فرَحَّبَ بِي ودَعا لي بِخيرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِي إلى السَّماء الثَّانيةِ، فاستَفتَح جِبريلُ فقِيل: مَن أنتَ؟ فقال: جِبرِيل، قِيل: ومَن مَعَك؟ قال: مُحمَّد، قِيل: وقَد بُعِثَ إلَيه؟ قال: قد بُعِثَ إلَيه، ففُتِح لَنا فإِذَا أنَا بِابنَي الخالة يَحيى وعِيسى، فرَحَّبا بي ودَعَوَا لي بِخَيرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنا إلى السَّماء الثَّالثة فاستَفتَح جِبريلُ فقِيل: مَن أنتَ؟ قال: جِبريل، فقِيل: ومَن مَعك؟ قال: مُحمَّد، فقِيل: أوَقد أُرسِل إلَيه؟ قال:

حاشية الصاوي

قوله: (قيل: من أنت. . . إلخ) فيه اختصارٌ، وفي الرواية المشهورة: (قيل: مرحباً به وأهلاً، حيَّاه الله من أخ ومِن خَليفة، فنِعم الأخ، ونعم الخليفة، ونعم المجيء جاء)[١].

قوله: (قيل: وقد أرسل) المعنى: أجاء وقد أرسل إليه؟

إن قلتَ: إن رسالته ليست خافِية عليهم حتى يسألوا عنها ؟

أجيب: بأن المراد: أرسل إليه لِلعروج إلى السماوات والمكالمة.

قوله: (فإذا أنا بآدم) في بعض الروايات: (وعن يمينه أَسْوِدَةٌ وبابٌ يخرج منه ريح طيبة، وعن يساره أسودةٌ وبابٌ يخرج منه رِيح خبيثة؛ فإذا نظر قِبَل يمينه. . ضحك واستبشر، وإذا نظر قِبَل شماله. . حَزن وبكى، فسأل جبريلَ عن ذلك، فقال: هذه الأسودة نَسَمُ بنيه، والباب الذي عن يمينه باب الجنة، والذي عن يَساره باب النار؛ فإذا رأى من يدخل قِبَل يَمينه. . ضحك، وإذا رأى من يدخل قِبَل يَساره. . بكى)[٢].

قوله: (فرحَّب بي) أي: قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح.

قوله: (ثم عُرِجَ بنا) أي: أنا مع جبريل.

قوله: (بِابْنَي الخالة) فيه مسامحةٌ؛ إذ عيسى ابنُ بنت خالة يحيى، ويحيى ابن خالة أمّ عيسى؛ لأن عيسى ابن مريم وهي بِنت حنة، وحنة أخت أشاع، وأشاع أمُّ يحيى، وقد اتصف عيسى بصفات الملائكة؛ لا يأكل، ولا يَشرب، ولا ينام.

---

(١) رواها البزار في «مسنده» (١٧/ ٩)، والطبري في «تهذيب الآثار» (٦/ ٢٦٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواها البخاري (٣٤٩)، ومسلم (٣٣٤) عن سيدنا أبي ذرٍّ رضي الله عنه.

قد أُرسِلَ إلَيه، ففُتِحَ لَنا فإذَا أنا بِيُوسفَ، وإذا هو قد أُعطِيَ شَطرَ الحُسْن، فرَحَّبَ بي ودَعا لي بِخيرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنا إلى السَّماء الرَّابعة، فاستَفتَح جِبريلُ، فقِيل: مَن أنتَ؟ قال: جِبريل، فقِيل: ومَن مَعَك؟ قال: مُحمَّد، فقِيل: وقَد بُعِثَ إلَيه؟ قال: قد بُعِثَ إلَيه، ففُتِحَ لَنا، فإذا أنا بِإدرِيسَ فرَحَّبَ بي ودَعا لِي بِخَيرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنا إلى السَّماء الخامسة فاستَفتَح جِبريل، فقِيل: مَن أنتَ؟ قال: جِبريل، فقِيل: ومَن مَعَك؟ قال: مُحمَّد، فقِيل: وقَد بُعِثَ إلَيهِ؟ قال: قَد بُعِثَ إلَيه، ففُتِحَ لَنا فإذا أنا بَهارُونَ، فرَحَّبَ بِي ودَعا لي بِخَيرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنا إلى السَّماء السَّادسة، فاستَفتَح جِبريلُ فقِيل: مَن أنتَ؟ فقال: جِبريلُ، فقِيل: ومَن مَعَك؟ قال: مُحمَّد، فقِيل: وقَد بُعِثَ إلَيهِ؟ قال: قد بُعِثَ إلَيه، ففُتِحَ لَنا، فإذا أنا بِمُوسى، فرَحَّبَ بِي ودَعا لي بِخَيرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنا إلى السَّماء السَّابعة، فاستَفتَح جبريلُ فقيل: مَن أنتَ؟ قال: جِبرِيل، فقِيل: ومَن مَعَك؟ قال: مُحمَّد، فقِيل: أوَقد بُعِثَ إلَيه؟ قال:

حاشية الصاوي

قوله: (شطر الحسن) أي: نِصفه، والنصف الآخر قُسم بين جميع الخلق، وحُسنه ﷺ غير ذلك الحسن الذي أعطي يوسف شَطره؛ إذ هو غير منقسم، ولم يُعطَ منه شيء لغيره، قال البوصيري[١]: [البسيط]

مُـنـزَّهٌ عـن شَـريـكٍ فـي مَـحـاسِـنِهِ ... فـجَـوهَـرُ الـحُـسْـنِ فـيـهِ غـيـرُ مُـنـقَـسِـمِ

قوله: (بإدريس) وهو أوَّل من خاط الثياب، وقبل ذلك كانوا يَلبسون الجُلود.

قوله: (بهارون) في بعض الروايات: (ونصف لحيته سوداء، ونصف لحيته بيضاء، وذلك من مسك أخيه موسى لها حين جاء ووَجد قومه قد عبدُوا العجل)[٢].

قوله: (فإذا أنا بموسى) في بعض الروايات: (وحوله نفر من قومه، فلمَّا جاوزتُه.. بكى، فقيل له: ما يُبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاماً بُعث من بعدي يدخل الجنة من أُمته أكثر ممن يدخل الجنة من أمتي؛ فلو أنه في نفسه.. لم أبال به)، وفي رواية: (أنه سأل الله تعالى أن يَجعله من أمة محمد ﷺ، فأجابه الله)[٣].

---

(١) كما في قصيدته المشهورة البردة.

(٢) رواها البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٩٠).

(٣) انظر الروايتين في «الشريعة» لأبي بكر الآجري (١٠٢٧)، و«الدر المنثور» (٥/ ٢٠٢).

قد بُعِثَ إِلَيه، ففُتِحَ لَنا فإذا أنا بإبراهيمَ، فإذا هو مُستَنِدٌ إلى البَيت المَعمُور، وإذا هو يَدخُلُه كُلَّ يَوم سَبعُونَ ألفَ مَلَكٍ ثُمَّ لا يَعُودُون إِلَيه، ثُمَّ ذَهَبَ بي إلى سِدْرة المُنتَهَى فإذا أوراقُها كآذانِ الفِيَلة، وإذا ثَمَرُها كالقِلالِ، فلمَّا غَشِيَها مِن أمرِ الله ما غَشِيَها تَغيَّرت، فما أحَدٌ مِن خَلق الله تَعالى يَستَطِيع أن يَصِفَها مِن حُسنِها، قال: فأوحَى الله إليَّ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بإبراهيم) أي: خليل الرحمن، فقال لي: «مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح، ودعا لي بخير، وقال: أقرِئ أمَّتك منِّي السلام، وأخبِرهم أن الجنة طيبة التربة، عَذبة الماء، وأن غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»[1].

قوله: (وإذا هو) القصد من ذلك: بيانُ أن الملائكة لا يَعلم عِدَّتهم إلا الله، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

قوله: (ثم ذُهِبَ بي) أي: عُرِجَ بي؛ لأنَّ هذا هو المعراج الثامن.

قوله: (إلى سدرة المنتهى) أي: إلى أعلاها؛ فإنَّ السدرة أصلُها في السماء السادسة، وأغصانها وفروعُها فوق السماء السابعة.

قوله: (كآذان الفيلة) أي: في الشكل، وإلَّا.. فكلُّ ورقة تَظلُّ هذه الأمة.

قوله: (كالقلال) جمع قُلَّة، وكانت معلومةً عند المخاطبين، وفي بعض الروايات: (كقِلال هجر)[2] وهي بَلدة؛ القُلة منها كالري الكبير.

قوله: (فلمَّا غشيها) أي: قام بها من الحُسن والبهاء.

قوله: (قال: فأوحى) فيه اختصار؛ أي: ثم رفع إلى مستوى سَمِعَ فيه صريفَ الأقلام، وهو المعراج التاسع، ثم دُلي الرفرف، فزجَّ به في النهر، فعند ذلك تأخَّر جبريل، فقال له: أهنا يفارق الخليل خليله؟! فقال: هذا مكاني؛ فلو فارقتُه.. لاحترقتُ من النور؛ أي: ذهَب نُوري وتَلاشَيتُ؛ لشدة الأنوار وظُهورها، قال رسول الله: «فخاطبني ربي ورأيتُه بعينَي بَصري وأُوحي إلي... إلخ».

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٦٢) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) رواها البخاري (٣٢٠٧) عن سيدنا مالك بن صعصعة رضي الله عنه.

ما أوحى، وفرَضَ عليَّ في كُلِّ يوم ولَيلة خَمسِين صَلاةً، فنزلتُ حتَّى انتَهَيتُ إلى مُوسى فقال: ما فَرَضَ رَبُّك على أُمَّتِك؟ قُلتُ: خَمسِينَ صَلاة في كُلِّ يَوم وليلةٍ، قال: ارجِع إلى رَبِّك فاسألهُ التَّخفِيفَ؛ فإنَّ أُمَّتك لا تُطِيقُ ذلك، وإنِّي قَد بَلَوتُ بَني إسرائيلَ

حاشية الصاوي

قوله: (ما أوحى) أبهم ذلك؛ إشارةً إلى عِظَم ما أوحى به إليه، وعدم إحاطة جميع الخلق به، قال البوصيري[١]: [البسيط]

فـإنَّ مِـنْ جُـودِكَ الـدُّنـيـا وضَـرَّتَـهـا ... ومِنْ عُـلُـومِـكَ عِـلـمَ الـلَّـوحِ والـقَـلَـمِ

وقوله: (وفرض عليَّ.. إلخ) عطف خاصٍّ على عامٍّ، وإنما صرَّح به؛ لِتعلُّقه بالأمة، وأمَّا عطاياه التي تخصُّه.. فلم يُعبِّر عنها؛ إذ لا تحيط بها العبارة، ولا تخصُّها الإشارة، وقوله: (عليَّ) أي: وعلى أمَّتي؛ لأن الأصل عَدم الخصوصية إلا لدليل يدلُّ على التخصيص، فذكر الفَرض عليه يستلزم الفرض على أمَّته.

قوله: (فنزلت) أي: ومرَرت على إبراهيم فلم يقل شيئاً.

قوله: (إلى موسى) أي: في السماء السادسة، والحكمة في أنَّ موسى اختصَّ بالمراجعة دون غيره من الأنبياء: لأنَّ أُمته كلِّفت من الصلوات بما لم يُكلَّف به غيرها، فثقلت عليهم، فرَفق موسى بأمة محمد ﷺ؛ لكونه طلب أن يكونَ منها.

وأيضاً: فقد طلب موسى الرؤية فلم ينَلها، ومحمد نالها من غير طلب، فأحب مراجعته وتردُّده؛ ليزاد من نور الرؤية، فيَقتبسه موسى من تلك الأنوار ليكون رائياً مَنْ رأى، قال ابن الفارض[٢]: [الخفيف]

أَبْـقِ لـي مُـقْـلـةً لـعـلِّـيَ يَـومـاً ... قـبـلَ مَـوْتـي أرى بِـهـا مَـنْ رَآكَـا

وفي هذا المعنى قال ابن وفا: [البسيط]

والـسِّـرُّ فـي قَـولِ مُـوسـى إذ يُـرَدِّدُهُ ... لِـيَـجـتـلـي الـنُّـورَ فـيـهِ حَـيْـثُ يَـشـهَـدُهُ

يَـبدُو سَـنَـاهُ عـلى وَجْـهِ الـرَّسُـولِ فـيَـا ... للهِ حُـسْـنُ جـمـالٍ كـان يَـشْـهَـدُهُ

---

(١) كما في قصيدته المشهورة «البردة».

(٢) كما في «ديوانه» (ص١٥٧).

وخَبَرتُهم، قال: فرَجَعتُ إلى ربِّي فقُلت: أيْ رَبِّ خَفِّف عن أُمَّتي! فحطَّ عنِّي خَمساً، فرَجَعتُ إلى مُوسى قال: ما فعَلتَ؟ فقُلتُ: قد حَطَّ عنِّي خمساً، قال: إنَّ أُمَّتَك لا تُطِيق ذلك، فارجِع إلى رَبِّك فاسأَلهُ التَّخفِيف لِأُمَّتك، قال: فلَم أزَل أرجِعُ بَين ربِّي وبينَ مُوسى وبَحُطُّ عنِّي خَمساً خَمساً، حتَّى قال: يا مُحمَّد، هي خَمسُ صَلوات في كُلِّ يَوم وليلة بِكُلِّ صَلاة عَشر، فتِلك خَمسُونَ صَلاةً، ومَن هَمَّ بِحَسنة فلَم يَعمَلها كُتِبَت لَه حَسَنة، فإن عَمِلَها كُتِبَت لَه عَشراً، ومَن هَمَّ بِسيِّئة ولَم يَعمَلها لَم تُكتَب، فإن عَمِلَها كُتِبَت لَه سيئة واحدة،

حاشية الصاوي

قوله: (وخبرتهم) أي: جرَّبتهم حيث كلَّفهم الله بركعتين في الغداة، وركعتَين في وقت الزوال، وركعتين في العشيِّ فلم يُطيقوا ذلك وعجزوا عنه.

قوله: (قال: فرجعت إلى ربي) أي: المكان الذي ناجيتُ فيه ربي، وليس المراد: أنَّ الله في ذلك المكان ورجع له؛ فإنَّ اعتقاد ذلك كفرٌ، بل المراد: أنَّ الله جعل هذا المكان محلًّا لسيدنا محمد ﷺ يُناجيه فيه؛ ليَجمع له بين الرفعتين الحسِّية والمعنويَّة.

قوله: (ويحطُّ عنِّي) أي: الله تعالى، فجملة المرات تسعٌ، وكل مرة يرَى فيها ربَّه كما رآه في المرة الأولى؛ فقد رأى ربَّه في تلك الليلة عَشر مرَّات.

قوله: (حتى قال... إلخ) هذا حديث قُدسي من هنا إلى قوله: «كتبت سيئة واحدة»[1].

قوله: (بكل صلاة عشراً) أي: في المضاعَفة والثواب، فقد تفضَّل سبحانه وتعالى بتكثير الثواب على تلك الخدمة القليلة.

قوله: (ومن همَّ بحسنة) المراد بالهمِّ: ترجيح الفعل دُون عزم وتصميم؛ لأنه الذي يُكتب في الخير، ولا يكتب في الشرِّ، وأما العزم والتصميم.. فيُكتب في الخير والشرِّ، وأما الهاجِس والخاطر وحديث النفس.. فلا يؤاخذ الإنسان بها لا في خير ولا شرٍّ، وقد نَظم بعضهم الخمسة بقوله: [البسيط]

مَراتِبُ القَصْدِ خَمْسٌ هاجِسٌ ذَكَرُوا ... فَخاطِرٌ فَحَدِيثُ النَّفْسِ فَاسْتَمِعَا

يَلِيهِ هَمٌّ فَعَزْمٌ كُلُّها رُفِعَتْ ... سِوَى الأَخِيرِ فَفِيهِ الأَخْذُ قَدْ وَقَعَا

(١) رواه مسلم (٣٣٠) عن سيدنا أنس بن مالك ﷺ.

فنَزلتُ حتَّى انتَهيتُ إلى مُوسى فأخبَرتُه فقال: ارجِع إلى رَبِّك فاسألهُ التَّخفِيف لِأُمَّتِك؛ فإنَّ أُمَّتك لا تُطِيق ذلك، فقُلتُ: قد رَجَعتُ إلى ربِّي حتَّى استَحيَيتُ». رَواهُ الشَّيخانِ واللَّفظ لِمُسلِم، ورَوى الحاكِم في «المستدرَك» عن ابنِ عبَّاس قال: قال رسُول الله ﷺ: «رَأيتُ رَبي عزَّ وجلَّ».

حاشية الصاوي

قوله: (فنزلت) في بعضِ الروايات: أن الله قال له: «قد أمضيتُ فَريضتي، وخفَّفت عن عبادي»[1].

قوله: (استحييت) بياءين بعد الحاء المهملة.

قوله: (رواه الشيخان) أي: البخاري ومُسلم[2]، والمعنى: روَيا معنى حديث الإسراء واتفقا عليه.

قوله: (واللفظ لمسلم) أي: وأما البخاري.. ففيه تَغيير لبعض الألفاظ.

قوله: (رأيت ربي) أي: بعينَي رأسي، وأتى بهذا الحديث تتميماً للقصة، ثم بعد تمام الأمر هَبط من السماوات السبع إلى بيت المقدس، فركب البُراق وأتى مكة قُبَيل الصبح، فلما أصبح.. قطع وعرف أن الناس تُكذِّبه فقعد حزيناً، فمرَّ به أبو جهل فجلَس إليه فقال له كالمستهزئ: هل كان مِن شيء؟ قال: «نعم، أُسرِيَ بي الليلة» قال: إلى أين؟ قال: «إلى بيتِ المقدس»، قال: ثم أصبحتَ بين ظهرانينَا؟! قال: «نعم»، فقال أبو جهل: إذا دعوتُ قومك.. أتحدِّثهم بما حدَّثتني به؟ قال: «نَعم»، فقال: يا معشرَ كعب بن لؤي؛ هلمُّوا، فجاؤوا حتى جلسوا إليهما، فحدَّثهم ﷺ بذلك، فبقي الناس بين مُصفق وواضع يدَه على رأسه متعجباً، وضجوا لذلك وعظَّموه، فجاء أبو بكر، فحدَّثه ﷺ بذلك، فقال: صدَقتَ، صدقتَ، فقالوا: أتُصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يُصبح؟! فقال: نعم إني لأُصدِّقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدِّقه بخبر السماء في غدوة أو روحة؛ فلِذلك سمِّي الصديق.

فقال القوم: صِفْ لنا بيت المقدس، فشرَع في وصفه حتى إن جبريل نَقَله من مكانه ووضعه بين يديه ﷺ، وجعل يَنظر إليه ويصف لهم فقال القوم: أما النعت فوالله لقد أصاب، ثم قال: أخبِرنا

(١) رواها البخاري (٣٢٠٧) عن سيدنا مالك بن صعصعة رضي الله عنه.

(٢) «صحيح البخاري» (٣٨٨٣)، و«صحيح مسلم» (٣٣٠) عن سيدنا مالِك بن صعصعة رضي الله عنه.

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾﴾ ......

﴿٢﴾ قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراة ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ لِـ﴿أَ﴾ن ﴿لَّا يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا﴾ يُفَوِّضُونَ إلَيه أمرَهم؛ ـ وفي قِراءة: ﴿تَتَّخِذُوا۟﴾ بالفوقانيَّة التِفاتاً، فـ(أن) زائِدةٌ والقَول مُضمَر ـ.

حاشية الصاوي

عن عيرنا، فأخبرهم عنها تفصيلاً، فقالُوا: إن هذا لَسحر مُبين، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠][1].

قوله: (﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى﴾) معطوف على جملة ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾، ومُناسبتها لما قبلها: أنَّ كلًّا متعلقة بعطايا نبيٍّ؛ فالأولى مُتعلقة بعطايا سيدنا محمد، وهذه متعلقة بعطايَا موسى عليهما السلام؛ بجامع أن موسى أُعطي التوراة بمَسيره إلى الطور، وهو بمنزلة معراجه ﷺ؛ لأنه منح ثمت التكليم، وشُرِّف باسم الكليم.

قوله: (﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾) أي: موسى، أو الكتاب.

قوله: (﴿هُدًى﴾) أي: هادياً من الضلالة والشرك.

قوله: (﴿أَلَّا يَتَّخِذُوا۟﴾) (أنْ): مصدرية، و(لا): نافية، والفعل مَنصوب بحذف النون، ولام التعليل مقدَّرة كما زادها المفسِّر، وهذا على التحتية، وأما على قِراءة التاء الفوقية.. فالفعل مجزوم بـ(لا) الناهية، و(أن): زائدة، والقول مقدَّر، والتقدير: وقلتُ لهم: لا تتخذوا... إلخ[2]، وقوله: ﴿مِن دُونِى﴾ في محل المفعول الثاني، و﴿وَكِيلًا﴾ مفعول أول، وهو مُفرد في اللفظ، جمع في المعنى؛ أي: لا تتخذوا وكلاء غيري تَلتجئون إليهم وتُفوِّضون أموركم إليهم.

قوله: (فـ«أن»: زائدة) المناسب: أنها هنا مفسِّرة؛ لأنَّ هذا ليس من مواضع زيادتها؛ فيُقدر جملة فيها معنى القول دون حروفه، ولما كان وجه زيادتها ظاهراً بحسَب الصورة.. حملها المفسِّر عليه.

---

(١) انظر «سبل الهدى والرشاد» (٣/ ٩٤).

(٢) قرأ أبو عمرو (أن لا يتخذوا) بياء الغيبة جرياً على قوله: ﴿لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، والباقون بالخطاب التفاتاً. انظر «الدر المصون» (٧/ ٣٠٩).

ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ ....

﴿٣﴾ يا ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ في السَّفِينةِ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾: كَثِيرَ الشُّكرِ لَنا حامِداً في جَمِيعِ أحوالِهِ.

﴿٤﴾ ﴿وَقَضَيْنَآ﴾: أوحَينا ﴿إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: التَّوراةِ ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أرضِ الشام بِالمعاصي ﴿مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾: تَبغُونَ بَغياً عَظِيماً.

﴿٥﴾ ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾: أُولَى مَرَّتَي الفَسادِ ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ذُرِّيَّةَ﴾... إلخ) أعربه المفسِّر منادى، وحرف النداء محذوف، وحينئذ فالمعنى: يا ذرية من حملنا مع نوح؛ وحِّدوا الله واعبُدوه واشكروه في جميع حالاتكم كما كان نوح، إنه كان عبداً شكوراً، فقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ...﴾ إلخ تعليل لمحذوف، وهذا هو الأقرَب والأسهل.

وبعضهم أعرب ﴿ذُرِّيَّةَ﴾ مفعولاً ثانياً لـ﴿تَتَّخِذُوا﴾ و﴿وَكِيلًا﴾ مفعول أول، أو: ﴿ذُرِّيَّةَ﴾ بدل من ﴿وَكِيلًا﴾، أو: منصوب على الاختصاص؛ فتحصَّل أن في إعراب ﴿ذُرِّيَّةَ﴾ أربعةَ أقوالٍ، أسهَلها ما مشى عليه المفسِّر.

قوله: (أوحينا) فسَّر القضاء بالوحي؛ لتعديه بـ(إلى)؛ فإنَّ (قضى) يتعدى بنفسه أو بـ(على)، وما هنا فهو مضمَّن معنى الإيحاء، والمراد بـ(الكتاب): التوراة.

ويصح أن يَبقى القضاء على بابه من أن معناه: التقدير والحكم، وتكون (إلى) بمعنى (على) أي: حمكنا وقدَّرنا على بني إسرائيل، وحينئذٍ: فالمراد بـ(الكتاب): اللوح المحفُوظ.

قوله: (﴿مَرَّتَيْنِ﴾) تثنية (مرَّة)، وهي: الواحدة من المرِّ؛ أي: المرور.

قوله: (تبغون) أي: تظلمون وتَطغون.

قوله: (﴿وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾) المراد بالوعد: الوعيد؛ أي: وقت العقاب الموعُود به.

قوله: (﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ﴾) أي: جالوتَ وجنودَهُ كما يأتي للمفسِّر، وقيل: بختَ نَصَّر.

شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ ....

﴿شَدِيدٍ﴾: أصحابَ قُوَّة في الحَرب وبَطشٍ، ﴿فَجَاسُواْ﴾: تَرَدَّدُوا لِطَلبِكُم ﴿خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ﴾: وسَط دِيارِكُم لِيَقتُلُوكُم ويَسْبُوكُم، ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾، وقد أفسَدُوا الأُولَى بِقَتلِ زكريَّا، فَبُعِثَ، علَيهِم جالُوتَ وجُنُودَه فقَتَلُوهُم وسَبَوا أولادَهم وخَرَّبُوا بَيت المَقدِس.

﴿٦﴾ ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ﴾: الدَّولةَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَجَاسُواْ﴾) هو بالجيم باتفاق الجمهور، وقُرئَ شذوذاً بالحاء المهملة[1]، والمعنى على كلٍّ: نقَّبوا وفتَّشوا.

قوله: (﴿خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ﴾) إما مُفرد بمعنى: وسط كما قال المفسِّر، أو جمع (خَلَلٍ) كـ: جبل وجبال.

قوله: (﴿وَكَانَ﴾) أي: البعث المذكور وتَفتيش الأعداء عليهم.

قوله: (بقتل زكريا... إلخ) مشى المفسِّر على أنَّ المرة الأُولى هي قتل زكريا، والثانية هي قتل ولده يحيى، ومشى غيره على أنَّ المرة الأُولى مخالفةُ أحكام التوراة وقتل شعياء ـ وقيل: أرمياء ـ والثانية قتلُ زكريا ويحيى، وقصد قَتل عيسى[2].

قوله: (فبعث عليهم جالوت وجنوده) الصحيح: أن الذي بعث عليهم في المرة الأولى بختَ نَصَّرُ، وقيل: وكانت مدة مُلكه سبع مئة سنة، وأما جالوت وجنوده.. فلم يقع منهم تخريبٌ لبيت المقدس، بل جاؤوا ليَغزوهم، فخرج إليهم داوود وطالوت بجيُوشهم، فقتل الله جالوت على يد داوود كما تقدم مفصَّلاً في (سورة البقرة)[3].

قوله: (الدولة) في «المصباح»: (تداول القومُ الشيءَ، وهو: حُصوله في يد هذا تارةً، وفي يد هذا أخرى، والاسم: الدَّولة بفتح الدال وضمِّها، وجمع المفتوح: دِوَلٌ بالكسر كـ: قَصعة وقِصَع، وجمع المضموم: دُوَلٌ كغرفة وغُرَف). اهـ[4]

---

(١) قرأ بها طلحة وأبو السمال. انظر «الدر المصون» (٧/٤١٣).

(٢) انظر «تفسير البيضاوي» (٣/٢٤٨).

(٣) انظر (١/٤٠٥-٤٠٦).

(٤) «المصباح المنير»، مادة: (دول).

عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ ....

والغَلَبة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بَعد مِائةِ سَنة بِقَتل جالُوت، ﴿وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾: عَشيرةً.

﴿٧﴾ وقُلنا: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ﴾ بِالطَّاعة ﴿أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ لِأن ثَوابَه لها، ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ بِالفَساد ....

حاشية الصاوي

قوله: (والغلبة) تفسير.

قوله: (﴿وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾) أي: بَعد النهب والقتل الأول.

قوله: (﴿أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾) أي: أكثر الناس اجتماعاً وذهاباً للعدو، و﴿نَفِيرًا﴾: منصوب على التمييز[1].

قوله: (﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ﴾) الخِطاب لبني إسرائيل.

قوله: (﴿أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾) أي: فلا يَصل إليَّ شيءٌ من طاعتكم؛ إذ مُستحيلٌ على الله تعالى أن يصلَ له من عباده نفعٌ أو ضرٌّ، وحينئذ: فلا ينبغي للإنسان أن يَفتخر بطاعته، بل يعمل الطاعات وهو راجٍ قبولها من ربِّه؛ لأنها علامةٌ على دوام السعادة لصاحبها، وأنه من أهل النعيم؛ ففي الحديث: «يا عبادي؛ إنكم لَن تَبلغوا ضرِّي فتضرُّوني، ولن تَبلغوا نفعي فتَنفعُوني، وإنما هي أعمالكم أُحصيها لكم ثم أُوفيكم إياها؛ فمن وجد خيراً.. فليَحمد الله، ومن وجد غير ذلك.. فلا يَلُومنَّ إلا نفسه»[2]، قال العارف:[3] [مجزوء الكامل]

مَــاذَا يَــضُــرُّكَ وَهْــوَ عَــا   صٍ أَوْ يُــفِــيــدُكَ وهْــوَ طَــائِــعْ؟

فمن ظنَّ أن الله يَنتفع بالعبادة.. فقد كفر؛ لِنسبة الافتقار له تعالى الله عنه.

---

(١) وفيه أوجُه، أحدها: أنه فعيل بمعنى فاعِل؛ أي: أكثر نافراً؛ أي: من ينفر معكم. الثاني: أنه جمع نفر نحو: عبد وعَبِيد، قاله الزجاج، وهم: الجماعة الصائرون إلى الأعداء. الثالث: أنه مصدر؛ أي: أكثر خروجاً إلى الغزو. انظر «الدر المصون» (٧/ ٣١٥)

(٢) رواه مسلم (٢٥٧٧) من حديث طويل عن سيدنا أبي ذَر رضي الله عنه.

(٣) وهو ابن النحاس الحلبي كما في «ديوانه» (ص١٢٢).

فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ﴿٧﴾ ....

﴿فَلَهَاۚ﴾ إساءَتُكُم، ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ﴾ المَرَّة ﴿ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ بَعَثناهُم ﴿لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ يُحزِنُوكُم بِالقَتلِ والسَّبي حُزناً يَظهَرُ في وُجُوهِكُم، ﴿وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ﴾: بَيتَ المَقدِس فيُخَرِّبُوهُ ﴿كَمَا دَخَلُوهُ﴾ وخَرَّبُوهُ ﴿أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ﴾: يُهلِكُوا ﴿مَا عَلَوۡاْ﴾: غَلَبُوا علَيه ﴿تَتۡبِيرًا﴾: هَلاكاً، وقد أفسَدُوا ثانِياً بِقَتلِ يَحيى، فبَعَثَ علَيهِم بُختُنَصَّر فقَتَلَ مِنهُم ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَلَهَاۚ﴾) خبر مبتدأ محذوف، قدَّره المفسِّر، واللام بمعنى (على)، وإنما عبَّر بها للمشاكلة.

قوله: (﴿فَإِذَا جَآءَ﴾) جواب الشرط محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (بَعثناهم) دلَّ عليه جواب (إذا) الأولى.

قوله: (﴿ٱلۡأٓخِرَةِ﴾) صفة لموصوف محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (المرة).

قوله: (﴿لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ﴾) مُتعلق بهذا الجواب المحذوف، وفيها ثلاث قراءات سبعيَّة:

الأُولى: بضمير الجماعة مع الياء؛ فالواو فاعل.

الثانية: بالنون لِلعظمة وفتح الهمزة آخراً، والفاعل هو الله.

الثالثة: بالياء المفتوحة والهمزة المفتوحة، والفاعل: إما الله، وإما الوعد، وإمَّا البعث، وإما النفير، تأمَّل[1].

قوله: (بقتل يحيى) أي: وقيل: بقتل زكريا ويحيى، وقصد قتل عيسى.

قوله: (فبعث عليهم بخت نَصَّر) هو بضم الباء وسكون الخاء المعجمة والتاء المثناة معناه: ابن، ونصَّر: بفتح النون وتشديد الصاد والراء المهملة: اسم صنَم، وهو عَلَم أعجمي مركب، وسمي بذلك؛ لأنه وجد وهو صغير مطروحاً عند صَنم ولم يُعرف له أبٌ، فنسب إليه، قيل: إنه ملك الأقاليم كلها.

---

(١) قرأ ابن عامر وحمزة و أبو بكر: (ليسوء) بالياء المفتوحة وهمزة مفتوحة آخر الفعل، والكسائي: (لنسوء) بنون العظمة؛ أي: لنسوء نحن، وقرأ الباقون: ﴿لِيَسُـُٔواْ﴾ مسنداً إلى ضمير الجمع العائد على العباد. انظر «الدر المصون» (٧/ ٣١٦ ـ ٣١٧).

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾ ....

أُلوفاً، وسبَى ذُرِيَّتَهم وخرَّب بيتَ المقدِس.

﴿٨﴾ وقُلنا في الكتاب: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ بَعد المَرَّة الثَّانِية إن تُبتُم، ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ﴾ إلى الفَسادِ ﴿عُدْنَا﴾ إلى العُقُوبةِ، وقد عادُوا بتَكذِيبِ مُحمَّد ﷺ فسُلِّط علَيهِم بِقَتلِ قُرَيظَةَ ونَفيِ النَّضِير وضَربِ الجِزْيَة علَيهِم، ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾: مَحبساً وسِجناً.

حاشية الصاوي

وقيل: المسلَّط عليهم في المرة الثانية خردوش ملك من مُلوك بابل، وسيأتي في السيرة.

قوله: (ألوفاً) أي: نحو الأربعين.

قوله: (وسبى ذريتهم) أي: نحو السبعين ألفاً.

قوله: (وقلنا في الكتاب) أي: التوراة.

قوله: (وضرب الجزية عليهم) أي: على باقِيهم كأهل خيبر.

قوله: (وسجناً) تفسير؛ فيكون معنى ﴿حَصِيرًا﴾: محلًّا حاصراً لهم، وقيل: حصيراً: فرشاً كالحصير، فيكون بمعنى قوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ [الأعراف: ٤١].

تتمة: يذكر فيها تلخيص القصة التي ذكرها المفسِّرون في هذه الآيات:

قال محمد بن إسحاق: كانت بنو إسرائيل فيهم الأحداث والذُّنوب، وكان الله متجاوزاً عنهم ومحسناً إليهم، وكان أوَّل ما نزل بهم أنَّ ملكاً منهم كان يُدعى صديقة، وكان الله إذا ملَّك عليهم الملك.. بعث معه نبيًّا يُسدِّده ويرشده ويتبع الأحكام التي تنزل عليه، فبَعث الله معه شعياء بن أمضيا عليه السلام، وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى؛ ففي آخر مُدة صديقة عظمت الأحداث فيهم والمعاصي، فبعث الله عليهم سنجاريب ملك بابل ومعه سِت مئة ألف راية، فنزل حول بيت المقدس والملك مريض من قَرحة كانت في ساقه، فجاء شعياء وقال: يا ملك بني إسرائيل؛ إن سنجاريب نزل بك هو وجُنوده، فقال: يا نبيَّ الله؛ هل أتاك من الله وحيٌ فيما حدث فتُخبرنا به؟ فقال: لم يَأتني وحي في ذلك، فبينما هم على ذلك أوحى الله إلى شعياء أن ائت إلى مَلك بني إسرائيل فمُرْهُ أن يوصي وصيَّته ويَستخلف على ملكه مَنْ يشاء من أهل بيته؛ فإنه مَيت، فأخبره شعياء بذلك، فأقبل الملك على القِبلة وصار يصلي ويتضرع إلى الله بقلب مُخلص، فاستجاب الله دعاء الملك، وأوحى إلى شعياء أن أخبِر صديقة أنَّ ربَّه استجاب له ورحمه، وأخَّر أجلَه خمسة عشر سنة، وأنجاه من عَدوِّه

....

حاشية الصاوي

سنجاريب، فلمَّا قال له ذلك.. انقطع عنه الحزن وخرَّ ساجداً شاكراً لله مُتضرعاً، فلمَّا رفع رأسه.. أوحى الله إلى شعياء أن قُل للملك يأتي بماء التين فيَجعله على قرحته فيشفى، فأخبره ففَعل فشفي، فقال الملك لشعياء: سَل ربَّك أن يجعل لنا علماً بما هو صانعٌ بعَدوِّنا هذا، قال الله لشعياء: سيُصبحون موتى كلهم إلا سنجاريب وخمسة نفر من كتَّابه، فلمَّا أصبح.. وجَدوا الأمر كما ذكر، فخرج الملك والتمس سنجاريب فلم يَجِده في الموتى، فبعث في طلبه فأدركه ومعه خمسة نفرٍ أحدُهم بختَ نَصَّرُ، فجعَلوهم في أطواق الحديد، وقال الملك لسنجاريب: كيف رأيتَ فِعل ربنا بكم، ونحن وأنتم غافلون؟ فقال سنحاريب: قد أتاني خبرُ ربِّكم ونَصره إيَّاكم قبل أن أخرج من بلادِي، فلم أُطع مرشداً، وأوقعتني في الشقوة قلَّة العَقل، فقال الملك لسنجاريب: إن ربَّنا لم يبقِك ومَنْ معك لكرامة بك عليه، وإنما أبقاك ومَن معك؛ لتزدادوا شقاوةً في الدنيا، وعذاباً في الآخرة، ولِتُخبروا مَنْ وراءكم بما رأيتُم من فعل ربنا بكم.

ثمَّ إن الملك أطال عليهم العذاب، فقال سنجاريب له: القتل خيرٌ مما تَفعل، فأوحى الله إلى شعياء أن يُرسل سنجاريب ومن معه؛ لِيُنذروا من وراءهم، ففعل، فخرج سنجاريب ومن معه حتى قَدموا بابل، فأخبَروهم الخبر، فقال له قومه: نهَيناك فلم تطعنا، وهي أمَّة لا يستطيعها أحد مع ربهم، وكان أمرُ سنجاريب تخويفاً لبني إسرائيل، ثمَّ كفاهم الله تعالى شرَّهم تذكرةً وعبرةً.

ثمَّ إنَّ سنجاريب لَبث سبع سنين، ثم مات واستخلف على ملكه بختَ نَصَّرَ، فعمل بعَمله واستمرَّ متباعداً عن بني إسرائيل حتى مات مَلكهم، فتنافسوا في الملك حتى قَتل بعضهم بعضاً، وشعياء ينهاهم فلم يَقبلوا، فأوحى الله لشعياء قُمْ في قومك.. أوحي على لِسانك[1]، فلمَّا قام.. أنطق الله لِسانه بالوحي، فقال: يا سماء استمعي، ويا أرض أَنصتي؛ فإنَّ الله يريد أن يقضيَ شأن بني إسرائيل الذين ربَّاهم بنِعمته، واصطنعهم لنفسه، وحفَّهم بِكرامته، وفضَّلهم على عباده، وهم كالغنَم الضائعة التي لا راعي لها، وضرب الله لهم مثلاً، ثم قال: إنه مثلٌ ضرَبته لهم يتقرَّبون إليَّ بذبح البقر والغنم، وليس يَنالني اللحم ولا أكله، ويدعُون أن يتقربوا إليَّ بالتقوى والكف عن ذبح الأنفس التي حرَّمتها وأيديهم مخضوبة منها، وثيابهم متزمِّلة بِدمائها، يُشيِّدون لي بالبيوت مساجد ويُطهرون أجوافها، وينجسون قلوبهم وأجسامهم ويدنِّسونها، ويزوِّقون لي المساجد ويُزينونها، ويخربون

---

(١) كذا في الأصول بإثبات الياء، وهي لغة لبعض العرب، على حدِّ قراءة قنبل: (إنه مَن يَتَّقِي ويَصبِرْ) بجزم (يَصبر).

. . . .

حاشية الصاوي

عقولهم وأخلاقهم ويُفسدونها، فأيُّ حاجة لي إلى تشييد البيوت ولستُ أسكنها؟! وأيُّ حاجة لي إلى تزيين المساجد ولستُ أدخلها؟! إنما أمرت بوضعها لأذكرَ وأسبَّح.

يقولون: صُمنا فلم يرفع صيامنا، وصلَّينا فلم تنوَّر صلاتنا، وتَصدقنا فلم تَزْكُ صدقاتنا، ودعونا بمثل حنين الحمام، وبكَينا بمثل عواء الذئاب في كل ذلك لا يُستجاب لنا، قال الله: فسَلهم ما الذي يمنعني أن أستَجيب لهم؟ ألستُ أسمعَ السامعين، وأبصرَ الناظرين، وأقربَ المجيبين، وأرحمَ الراحمين؟ فكيف أرفع صيامهم وهم يَلْبِسونه بقول الزور، ويتقَوَّون عليه بطُعمة الحرام؟! أم كيف أنوِّر صلاتهم وقلوبهم صاغيةٌ إلى مَنْ يحاربني ويُحادُّني وينتهك محارمي؟! أم كيف تزكُو عندي صدقاتهم وهم يتصدَّقون بأموالِ غيرهم؟! إنما آجر عليها أهلها المغصوبين، أم كيف أستَجيب دعاءهم وإنما هو قول بألسنتهم والفعل من ذلك بعيدٌ؟!... إلى أن قال:

وإني قضيت يوم خَلقت السماوات والأرض أن أجعل النبوة في الأجراء، وأن أجعلَ الملك في الرعاء، والعزَّ في الأذلاء، والقوة في الضُّعفاء، والغنى في الفقراء، والعلم في الجهَلة، والحلم في الأميِّين؛ فسلهم متى هذا، ومَن القائم بها؟ مَنْ أعوان هذا الأمر وأنصاره إن كانوا يَعلمون؟ فإني باعثٌ لذلك نبيًّا أمِّيًّا ليس أعجميًّا من عُميان ضالين، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ، ولا صخَّاب في الأسواق، ولا مُتزين بالفحش، ولا قوال لِلخنا، أسدِّده لكل جميل، وأهب له كلَّ خلقٍ كريمٍ، أجعل السكينة لباسَه، والبرَّ شعاره، والتقوى ضميره، والحكمة مَعقوله، والصدق والوفاء طبيعته، والعفو والمعروف خلقه، والعدل سيرته، والحقَّ شَريعته، والهدى إمامه، والإسلام مِلَّته، وأحمد اسمه، أهدي به بعد الضلالة، وأعلِّم به بعد الجهالة، وأرفَع به بعد الخمالة، وأشهر به بعد النكرة، وأكثِّر به بعد القِلة، وأغني به بعد العَيْلَةِ، وأجمَع به بعد الفرقة، وأؤلِّف به بين قلوب مختلفة وأهواء مشتَّتة وأممٍ متفرقة، وأجعل أمَّته خير أمَّة أخرجت للناس، يأمُرون بالمعروف وينهون عن المنكر؛ توحيداً لي، وإيماناً بي، وإخلاصاً لي، يُصلون لي قياماً وقعوداً وركعاً وسجوداً، يقاتلون في سبيلي صفوفاً وزُحوفاً، ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاءَ رضواني، ألهمهم التكبير والتوحيد والتسبيح والتحميد والمدحةَ لي والتمجيد لي في مَسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومُتقلَّبهم ومثواهم، قربانهم دماؤهم، وأناجِيلهم في صدورهم، رُهبان بالليل، ليوث بالنهار، ذلك فضلي أُوتيه من أشاء، والله ذو الفضل العظيم.

. . . .

حاشية الصاوي

فلمَّا فرغ شعياء من مَقالته.. عدَوا عليه؛ ليَقتلوه، فهرب منهم، فلقيته شجرةٌ فانفَلقت له، فدخل فيها، فوضعُوا المنشار في وسطها فانتشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها، واستخلف الله عليهم ملكاً يقال له: ناشئة بن أموص، وبعث لهم أرمياء بن حلقيا نبيًّا، ثم عظُمت الأحداث وارتكاب المعاصي، فأوحى الله إلى أرمياء أن ائت قَومك من بني إسرائيل فاقصُص عليهم ما آمرُك به...

إلى أن قال: وإني حلَفت بعزَّتي؛ لأُقيضنَّ لهم فتنة يتحيَّر فيها الحليم، ولأسلِّطنَّ عليهم جباراً قاسياً ألبسه الهيبة، وأنزَع من صدره الرحمة، فسلَّط الله عليهم بختَ نَصَّرَ، فخرج في سِت مئة ألف راية ودخل بيت المقدس بجنوده، وقَتل بني إسرائيل حتى أفناهم، وخرَّب بيت المقدس وكان من أجلِّ البيوت، ابتَناه الله لسليمان بن داوود عليهما السلام، سَخَّر له الجنَّ فأتَوه بالذهب والفضة والمعادن، وأتَوه بالجوهر والياقوت والزمرد، وبنَوه بهذه الأصناف، فاحتمل تلك المعادن والأموال على سبعين ألفاً ومئة ألف عجلة، فأودعها ببابل، وأقامُوا يستخدمون بني إسرائيل بالخزي والنكال مئة عام...

إلى أن قال: فذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ بُخْتَ نصَّرَ وأصحابه.

ثمَّ إن بُخْتَ نصَّرَ قام في سُلطانه ما شاء الله، ثم رأى رؤيا عجيبةً؛ إذ رأى شيئاً أصابه، فأنساه الذي رأى، فدعا دانيال وحنانيا وعزازيا وميشائيل كانوا من ذَراري الأنبياء وسألهم عنها، فقالُوا: أخبرنا به نخبرك بتأويلها، قال: ما أذكرها، ولئن لم تُخبروني بها وبتأويلها.. لأنزعنَّ أكتافكم، فخرجُوا من عنده فدعوا الله، فأعلَمهم بالذي سألهم، فجاؤوه فقالوا: رأيتَ تمثالاً قدماه وساقاه من فَخار، وركبتاه وفَخذاه من نحاس، وبطنه من فِضة، وصدره من ذهب، ورأسه وعنقه من حديد، قال: صدقتم، قالوا: فبَينا أنت تنظر إليه قد أعجبك أرسَل الله عليه صخرةً فدقَّته فهي التي أنسَتكها، قال: صدقتم، فما تأويلها؟ قالوا: إنك أُريت مُلْكَ الملوك؛ بعضهم كان ألين ملكاً، وبعضهم كان أحسن ملكاً، وبعضهم كان أشدَّ ملكاً؛ فالفخار أضعَفه، ثم فوقه النحاس أشدُّ منه، ثم فوق النحاس الفضة أحسن من ذلك، والذهب أحسن من الفضة، ثم الحديد مُلكك، فهو أشدُّ مما كان قبله، والصخرة التي رأيتَ أرسل الله من السماء فدقته نبيٌّ يَبعثه الله فيدقُّ ذلك أجمع، ويَصير الأمر إليه، فلما تجبَّر بُخْتَ نصَّرُ على أهل الأرض.. ظنَّ أنه بحَوله وقُوته فقال لأصحابه: قد ملكتُ الأرض

. . . .

حاشية الصاوي

فأخبروني كيف لي أن أطلعَ إلى السماء العليا، فأَقْتُلَ من فيها وأتخذها ملكاً، فبَعث الله عزَّ وجلَّ إليه بعوضةً، فدخلَت منخره حتى عضَّت على أُمِّ دِماغه، فما كان يقرُّ ولا يسكن حتى مات، فلمَّا مات.. شقُّوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضَّة على أُمِّ دماغه.

وارتحل مَنْ بقي من بني إسرائيل إلى الشام وكثُروا حتى كانوا على أحسَن ما كانوا عليه، وكانت التوراة قد حرِّقت، وكان عزير من السبايا الذين كانوا بِبابل، فلمَّا رجع إلى الشام.. جعل يَبكي ليله ونهاره، وخرج عن الناس، فبينما هو كذلك إذ جاءه مَلكٌ في صورة رجل فقال له: يا عزير؛ ما يُبكيك؟ قال: أبكي على كتاب الله وعهده الذي لا يُصلِح ديننا وآخرتنا غيره، قال: أفتحبُّ أن يردَّ إليك؟ ارجع فصُم وتطهَّر وطهِّر ثيابك ثم مَوعدك هذا المكان غداً، ففعل فأتى ذلك الرجل بإناء فيه ماء، فسقاه من ذلك الماء، فمثلت التوراة في صَدره، فرجع إلى بني إسرائيل فأملاها لهم، وعادت كما كانت، ورجعت بنو إسرائيل لكثرة الأحداث والمعاصي يُكذِّبون الأنبياء ويَقتلونهم، وكان آخر من بعث إليهم زكريا ويحيى وعيسى، فقتلوا زكريا ويحيى، وقَصدوا إلى قتل عيسى، فرفعه الله.

والسبب في قتل يحيى: أنَّ ملك بني إسرائيل كان يُكرمه ويُدني مجلسه، وأنَّ الملك هَوي بنت امرأته ـ وقيل: بنت أخيه ـ فسأل يحيى تزويجها، فنهاه عن نكاحها، فبلغ ذلك أمَّها، فحَقدت على يحيى، وعمَدت حين جلس الملك على شرابه فألبَستها ثياباً رقاقاً حمراء وطيَّبتها وألبستها الحلي وأرسلَتها إلى الملك وأمرتها أن تسقِيَه؛ فإن هو راودها عن نفسها.. أبَت عليه حتى يُعطيها ما تسأله، فسألته أن يأتيها برأس يحيى في طستٍ، ففعل، وفي الحديث: «**لا خير في الدنيا؛ فإنَّ يحيى بن زكريا قتَلَته امرأة**»[1]، فسلَّط الله عليهم ملكاً من مُلوك بابل يقال له: خردوش فسار إليهم بأهل بابل، فدخَل عليهم الشام، فلما ظهر عليهم.. أمر رأساً من رؤساء جُنوده يقال له: بيروزاذان فدخل بيتَ المقدس، فقام في البقعة التي كانوا يُقرِّبون فيها قربانهم، فوجد فيها دماً يَغلي، فسألهم عنه فقال: يا بني إسرائيل؛ ما شأن هذا الدم يغلي؟! أخبِروني خبره، فقالوا: هذا دم قُربان لنا قرَّبناه فلم يُقبل منا؛ فلذلك يغلي، فقال: ما صدَقتموني، وقتل منهم سبع مئة وسبعين روحاً فلم يَهدأ الدم، فأمر بسبع مئة غلام من غِلمانهم فذبحهم على الدم فلم يَهدأ، فقال: يا بني إسرائيل؛

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٩٩١) عن سيدنا أبي بن كعب رضي الله عنه، وفيه: (إن مِن هَوان الدنيا على الله) بدل (لا خير في الدنيا).

إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ....

(﴿٩﴾ - ﴿١٠﴾) ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى﴾ أي: لِلطَّريقة التي ﴿هِىَ أَقْوَمُ﴾: أعدَلُ

حاشية الصاوي

ويلَكم اصدقوني قبل ألَّا أترك منكم نافخَ نار من ذكر ولا أنثى إلَّا قتلتُه، فأخبروه أنه دمُ يحيى بن زكريا، قال: الآن صدَقتمُوني، لمثل هذا يَنتقم ربكم منكم، وآمن بالتوراة وقال لِمَن حوله: أغلِقوا أبواب المدينة وأخرجوا مَنْ كان هنا من جيش خردوش، ثم قال: يا يحيى بن زكريا؛ قد علم ربي وربُّك ما أصاب قومك من أجلِك وما قتل منهم، فاهدَأ بإذن ربك قبل ألَّا أُبقيَ من قومك أحداً، فهدأ الدم بإذن الله، ورفع القتل عن بني إسرائيل.

وقال لهم: إن خردوش أمرَني أن أقتل منكم حتى يَسيل دماؤكم وسط العسكر، وإني لا أستطيع أن أعصيه، فأمرهم فحفرُوا خندقاً، وأتوا بالخيل والبغال والحمير والإبل والبقر والغنم، فأمر بذبحها حتى سال الدم في العسكر، وأمر بالقتلى الذين قُتلوا قبل ذلك فطُرحوا على ما قتل من المواشي، فلم يظن خردوش إلا أن ما في الخندق مِن دماء بني إسرائيل، فاكتفى بذلك، وأمر برَفع القتل.

وهذه الواقعة الأخيرة التي أنزل الله فيها: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ...﴾ إلخ، وانتقل الملك بالشام ونَواحيها إلى الروم واليونانيين، إلا أنَّ بقايا بني إسرائيل كثير وكانت لهم الرياسة ببيت المقدس ونَواحيها على وجه الملك، وكانوا في نِعمة إلى أن بدَّلوا وأحدثوا، فسلَّط الله عليهم ططوس بن أسبيانوش الرومي، فخرَّب بلادهم وطرَدهم عنها، ونزع الله منهم الملك والرئاسة وضرَب عليهم الذلة، فليسوا في أُمة إلا وعليهم الصغار والجزية، وبقي بيتُ المقدس خراباً إلى خِلافة عمر بن الخطاب، فعمَره المسلمون بأمره. انتهى[(١)].

قوله: (﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾) أي: الذي أُنزل على محمد.

قوله: (﴿يَهْدِى﴾) أي: يُرشد ويوصل.

قوله: (﴿لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾) أي: فمن تمسَّك به.. نجا، ومن حاد عنه.. هلك؛ ففي الحديث: «إني تاركٌ فيكم ثقلين؛ إن تمسكتُم بهما.. لن تضلوا أبداً: كتاب الله، وعِترتي»[(٢)].

---

(١) انظر «تفسير الخازن» (٣/١١٨-١٢٣).

(٢) رواه الترمذي (٣٧٨٨)، والنسائي في «الكبرى» (٨٠٩٢) عن سيدنا زيد بن أرقم رضي الله عنه.

وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ ......

وأصوَبُ، ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَ﴾ يُخبر ﴿أَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا﴾: أعدَدْنا ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: مُؤلِماً هو النارُ.

﴿١١﴾ ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾ على نَفسه وأهلِه إذا ضَجِرَ ﴿دُعَآءَهُۥ﴾ أي: كدُعائِه لَهُ ﴿بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الجِنسُ ﴿عَجُولًا﴾ بِالدُّعاءِ على نَفسه وعَدَم النَّظر في عاقبَتِه.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَجْرًا كَبِيرًا﴾) أي: لا يعلم قَدره غيرُهُ تعالى، وهذا الأجر ثابتٌ لمن عمل الصالحات وإن لم يكن حافظاً لألفاظ القرآن، بَل المدار على امتثال الأوامر، واجتناب النواهي.

قوله: (ويخبر) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ معطوفٌ على ﴿يُبَشِّرُ﴾ فهو غير داخل في حيِّز البشارة[1].

قوله: (أعددنا) أي: هيَّأنا وأحضَرنا.

قوله: (﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾) حُذفت الواو لالتقاء الساكنين، وحُذفت في الخط تبعاً لحذفها في اللفظ.

قوله: (إذا ضجر) أي: أصابه شدَّة الغمِّ والغَيظ.

قوله: (أي: كدعائه) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على التشبيه، والمعنى: أن الإنسان إذا أصابَه الغمُّ.. يَدعو على نفسه وأهله بالشر كما يَدعو لهم بالخير إذا كان منبسطاً راضياً، وتقدَّم في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ...﴾ [يونس: ١١] الآية: أن الله يستجيب الدعاء بالخير، ولا يستجيب الدعاء بالشرِّ[2].

قوله: (﴿عَجُولًا﴾) أي: لا يتأمَّل في عاقِبة ما يُريد فعله، بل يُقْدِمُ على فعل كل ما خطَر بباله؛ فإذا كان كذلك.. فيَنبغي للإنسان التأنِّي في الأمور، وتَفويضها إلى الله تعالى؛ ليَحصل له الراحة

(١) ويحتمل أن يكون عطفاً على «أن» الأولى؛ أي: يُبشر المؤمنين بشيئَين: بأجر كبير، وبتعذيب أعدائهم، ولا شك أن ما يصيب عَدُوَّك سرورٌ لك. انظر «الدر المصون» (٧/ ٣٢٠).

(٢) انظر (٣/ ١٨٢-١٨٣).

وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ ....

(١٢) ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ دالَّتَينِ على قُدرَتِنا، ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾: طَمَسْنا نُورَها بِالظَّلام لِتَسكُنُوا فيه، ـ والإضافةُ لِلبَيان ـ ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ أي: مُبصَراً فِيها بِالضَّوء، ﴿لِّتَبْتَغُواْ﴾ فِيه ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بِالكَسبِ ﴿وَلِتَعْلَمُواْ﴾ بِهِما ....

حاشية الصاوي

في الدنيا، والسعادة في العقبى، ولا يتعجَّل في الأمور بحيث يُسارع في الانتقام ممَّن ظلمه والدعاء على من أساء عليه[1]، بل الواجب إما التفويض، أو الدعاءُ للظالم بالهداية والتوفيق للخير.

قوله: (﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾) أي: علامتَين على عظيم قُدرتنا وباهر حِكمتنا؛ حيث جعلناهما على منوالٍ واحدٍ، يَنقص هذا، ويزيد هذا.

قوله: (﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾) أي: خلَقناه على هذه الحالة، وليس المراد: أنه كان مضيئاً ثم محي ضوؤُه، وفي الحقيقة في الكلام حكمتان:

الأولى: حكمة خلق الليل والنهار مِن حيث ذاتهما، وهي: الدلالة على باهر قُدرة صانعهما.

الثانية: حكمة كون الليل خُلِقَ مظلماً، والنهار خُلِقَ مضيئاً، وهي: لِتسكنوا في الليل، ولتَبتغوا من فضله في النهار.

قوله: (لتسكنوا فيه) قدَّره؛ أخذاً له من مقابله وهو قوله في جانب النهار: ﴿لِّتَبْتَغُواْ...﴾ إلخ.

قوله: (والإضافة للبيان) أي: آية هي الليل، وكذا يُقال في ﴿ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ﴾.

قوله: (أي: مبصَراً فيها) هو بفتح الصاد، وأشار بذلك إلى أنَّ الكلام فيه الحَذف والإيصال؛ حذف الجار فاتصل الضمير، فيكون فيه مجازٌ عقليٌّ من إسناد الحدث إلى زَمانه.

قوله: (﴿لِّتَبْتَغُواْ﴾) أي: تَطلبوا.

قوله: (﴿وَلِتَعْلَمُواْ﴾ بهما) أي: فهو متعلق بكلٍّ من (مَحَوْنا) و(جَعلْنَا)؛ لأنَّ علمَ عدِّ السنين والحساب بمُرور الليل والنهار جميعاً.

---

(١) يقال: أساء به، وأساء إليه، وأساء عليه، وأساء له، ضد: أحسَن. انظر «تاج العروس»، مادة (سوأ).

عَـدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ

﴿عَـدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ لِلأوقاتِ، ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾ يُحتاج إلَيه ﴿فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾: بَيَّنَّاهُ تَبيِيناً.

(﴿١٣﴾ - ﴿١٤﴾) ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ﴾: عَمَلَه يَحمِلهُ ﴿فِى عُنُقِهِۦ﴾ خُصَّ بِالذِّكرِ لِأن اللُّزوم فِيه أشَدُّ، وقال مُجاهِد: ما مِن مَولودٍ يُولَد إلَّا وفي عُنُقه ورَقةٌ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱلْحِسَابَ﴾) هو معطوف على ﴿عَـدَدَ﴾، ولا يقال: هو تكرارٌ؛ لأنه يقال: إن العدد مَوضوع الحساب.

قوله: (﴿وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ﴾) الأحسَن أنه من باب الاشتغال، فـ(كل): منصوب بفعل محذوف يُفسره قوله: ﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾، وكذا يقال في قوله: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ﴾(١).

قوله: (للأوقات) أي: كآجال الدُّيون، وأوقات الصلاة والحج والصوم والزكاة وغير ذلك من أُمور الدين والدنيا.

قوله: (﴿تَفْصِيلًا﴾) مصدر مُؤكد لعامله؛ إشارةً إلى أنَّ الله لم يترك شيئاً من أُمور الدين والدنيا إلا بيَّنه؛ نظير قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

قوله: (﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ﴾) فسَّر المفسِّر الطائر بالعمل، وفسَّره غيره بالكتاب، وإليه يُشير بقول مجاهد(٢).

ويسمَّى العمل طائراً؛ إما لأنَّ العرب إذا أرادُوا فعل أمر.. نظروا إلى الطير إذا طار؛ فإن طار مُتيامناً.. قدموا على ذلك الأمر وعرَفوا أنه خيرٌ، وإن طار متياسراً.. تأخروا وعرفوا أنه شرٌّ، فلمَّا كثر ذلك منهم.. سمَّوا نفسَ الخير والشرِّ طائراً؛ تسميةً للشيء بِاسم لازمه.

قوله: (خصَّ بالذكر؛ لأنَّ اللزوم فيه أشدُّ) أي: ولأنَّ العنق إما محلُّ الزينة كالقلادة ونحوها، أو الشين كالأغلال ونحوها؛ فإن كان عمله خيراً.. كان كالقلادة في عُنقه وهو مما يزينه، وإن كان شرًّا.. كان كالغُلِّ في عنقه وهو مما يَشينه.

---

(١) ورجِّح نصبه؛ لتقدم جملة فِعلية، ويجوز على بعدٍ: أنه منصوب نسقاً على (الْحِسَابَ) أي: لِتعلموا كلَّ شيء أيضاً، ويكون ﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾ على هذا صفة. انظر «الدر المصون» (٧/ ٣٢٢).

(٢) انظر «زاد المسير» (٣/ ١٣).

﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤﴾

مَكتُوبٌ فِيها شَقِي أو سعيدٌ، ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا﴾ مَكتُوباً فِيه عَملُه، ﴿يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ ـ صِفَتانِ لـ﴿كِتَـٰبًا﴾ ـ. ويُقالُ له: ﴿ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾: مُحاسِباً.

حاشية الصاوي

قوله: (مكتوب فيها: شقيٌّ أو سعيدٌ) خصَّ مجاهد السعادة والشقاوة وإن كان الرِّزق والأجل مكتوبين فيها أيضاً؛ لأنَّ السعادة والشقاوة هما اللذان يَبقيان معه في الآخرة، وأما الرزق والأجل.. فيَنقضيان بموته.

قوله: (﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا﴾) قال الحسن: بُسِطَتْ لك صحيفة، ووكِّل بك ملكان أحدُهما عن يمينك، والآخر عن شمالك؛ فأما الذي عن يَمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن يسارك فيَحفظ عليك سيئاتك، حتى إذا متَّ طُوِيَتْ صَحيفتك وجُعِلَتْ معك في قبرك حتى تُخْرَجَ لك يوم القيامة[١].

قوله: (﴿ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ﴾) روي: «أن الإنسان يَقرأ كتابه وإن لم يكن قارئاً في الدُّنيا»[٢].

قوله: (﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ﴾) الباء: زائدة في فاعل ﴿كَفَىٰ﴾، و﴿حَسِيبًا﴾: تمييز، و﴿عَلَيْكَ﴾: متعلق به.

و﴿حَسِيبًا﴾: إما بمعنى حاسِب، أو كافي، أو محاسِب كما قال المفسِّر، والمعنى: أنه يكتفي بمحاسبة الشخص لِنفسه؛ فلا يحتاج لأحد يحاسبه، بل إذا أنكر.. تَشهد عليه أعضاؤه بما عَمِلَتْ.

ثمَّ ما مشى عليه المفسِّر من أن المراد بالطائر العمل يكتب ويُوضع في عنقه وهو في بَطن أمِّه فيَلزمه ما دام في الدنيا؛ فإذا كان يوم القيامة يُخرج له كتاباً من خزانة تحت العرش وهو الصحيفة التي كانت الملائكة تَكتبها عليه في الدنيا، فيأخذها إما بيَمينه إن كان مسلماً، أو بشماله إن كان كافراً فيُقابله على ما في عُنقه.. هو أحد تفسيرين في الآية.

والآخَر: أنَّ الكتاب واحد تكتبه الملائكة عليه ما دام في الدنيا؛ فإذا مات طُوي ووضع تحت العرش، فإذا كان يوم القيامة أخرج من تِلك الخزانة ولزمه في عُنقه، فيكون معنى ﴿أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى

---

(١) رواه الطبري بسنده في «تفسيره» (١٧/ ٤٠٠).

(٢) روى ابن جرير عن قتادة رضي الله عنه في قوله: ﴿ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ﴾ قال: سيقرأ يومئذ مَن لم يكن قارئاً في الدنيا. انظر «تفسير الطبري» (١٧/ ٤٠١).

﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥﴾ ....

﴿١٥﴾ ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ لِأنَّ ثَوابَ اهتِدائِه لَه، ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لِأنَّ إثمَه عليها، ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ نَفسٌ ﴿وَازِرَةٌ﴾: آثِمةٌ أي: لا تَحمِل ﴿وِزْرَ﴾ نَفسٍ ﴿أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ أحَداً ﴿حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ يُبيِّن لَهُ ما يَجِبُ عليه.

حاشية الصاوي

﴿عُنُقِهِۦ﴾ أي: في يوم القيامة عند تَطايُر الصحف، ويكون عطف قوله: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ على ما قبله من عطف السبب على المسبَّب.

قوله: (﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾) أي: فإنما تعود مَنفعة اهتدائه إلى نفسه لا تتعدَّاه إلى غيره.

قوله: (﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾) أي: فإنما وَبال ضلاله على نفسه، لا على مَنْ عداه ممن لم يباشر، وهذا تحقيق لمعنى قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾.

قوله: (﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾) أي: لا تحمل نفسٌ مذنبةٌ بل ولا غيرُ مذنبة ذنوبَ نفسٍ أخرى.

إن قلتَ: ورد في الحديث: «من سنَّ سنة سَيئة.. فعليه وزرها ووِزر من عمل بها إلى يوم القيامة»[1] فمُقتضاه: أنه يحمل وِزره فيكون منافياً لهذه الآية؟

أجيب: بأن المراد بالوزر الذي يحمله في الحديث: وزر التسبُّب، ولا شكَّ أن التسبُّب من فعل الشخص، ومع ذلك فلا يَنقص من وزر الفاعل شيءٌ، فالمتسبب الفاعل يُعاقَب على فعله وتسبُّبه، والفاعل بدون تسبُّب يُعاقب على فعله فقط.

قوله: (﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾) أي: ولا مُثيبين على الأعمال؛ لأنَّ شرط صحة العبادات ووجوبها بلوغ الدعوة؛ فمن لم تَبلغه الدعوة لا تجب عليه عبادة، ولا تصح منه لو فعلها؛ فلا يثاب عليها، وعمومُ هذه الآية يدل على أن أهل الفترة جميعاً ناجُون بفضل الله ولو غيَّروا وبدَّلوا، وما ورد من تخصيص بعض أفراد كحاتم الطائي وامرئ القيس بدخولهم النار.. فهي أحاديثُ آحادٍ لا تُعارض القطعيَّ.

(١) رواه ابن ماجه (٢٠٣) عن سيدنا جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ

﴿١٦﴾ ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾: مُنَعَّمِيها بِمعنَى رُؤَسائِها بِالطّاعة على لِسانِ رُسُلِنا، ﴿فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾: فخَرَجُوا عن أمرِنا، ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾ بِالعَذابِ، ﴿فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾: أهلَكناها بِإهلاكِ أهلِها وتَخرِيبِها.

﴿١٧﴾ ﴿وَكَمْ﴾ أي: كَثِيراً ﴿أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾: الأُمَم ﴿مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾: عالِماً بِبَواطِنِها وظَواهِرِها، ـ وبِه يَتعلَّق ﴿بِذُنُوبِ﴾ ـ.

﴿١٨﴾ ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ﴾ بِعَمَلِه ﴿ٱلْعَاجِلَةَ﴾ أي: الدُّنيا ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مُتْرَفِيهَا﴾) التُّرفة بالضمِّ: النعمة، والطعام الطيِّب، والشيء الظريف.

قوله: (منعَّميها) أي: المنهمكين في شهواتها، الغافلين عن الآخرة.

قوله: (بالطاعة) متعلق بـ﴿أَمَرْنَا﴾.

قوله: (بإهلاك أهلها) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف؛ أي: دمَّرنا أهلها.

قوله: (﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾) (كم): خبرية منصوبة بـ﴿أَهْلَكْنَا﴾، و﴿مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾: تمييز لـ(كم).

قوله: (﴿مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ﴾) خصَّ بالذكر؛ لأنه أوَّل مَنْ كذَّبه قومه.

قوله: (﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ﴾) الباء: زائدة في الفاعل، و﴿خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾: تمييزان، و﴿بِذُنُوبِ﴾: متعلق بـ: ﴿خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾، وقوله: (عالماً ببواطنها وظواهرها) لفٌّ ونشرٌ مرتَّب؛ فالعلم بالبواطن هو معنى الخبير، وبالظواهِر هو معنى البصير.

قوله: (وبه يتعلق ﴿بِذُنُوبِ﴾) هكذا في النسخ التي بأيدينا، ولعل فيه تحريفاً، والأصل: و﴿بِذُنُوبِ﴾ متعلق بـ﴿خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾.

قوله: (﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾) أي: مَنْ كان حظُّه الدنيا، فهو صادق بالكافر والمنافق، ويدخل في ذلك المراؤُون بأعمالهم؛ إذ لولا المدحة والثناء عليهم.. ما فعلُوا الطاعات.

عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ....

﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ التَّعجيلَ لَه، ـ بَدَل مِن ﴿لَهُۥ﴾ بإعادة الجارِّ ـ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ﴾ في الآخِرةِ ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا﴾: يَدخُلها ﴿مَذْمُومًا﴾: مَلُوماً ﴿مَّدْحُورًا﴾: مَطرُوداً عن الرَّحمة.

﴿١٩﴾ ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ عَمِلَ عملَها اللائقَ بها ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ ـ حال ـ ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ عِند الله، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾) أي: أعطينا لمن نريد في الدنيا الذي نشاؤه من سعة رزق وعافية وغير ذلك، والمعنى: لا نزيده على ما قدِّر له أزلاً، بل ما يُعطى إلا ما سبق في علمه تعالى أنه يُعطاه؛ فمحبته في الدنيا لم تزده شيئاً منها، فيتبقى الإخلاص في العبادة، والتوجه لله تعالى، والإقبال عليه؛ ليَحظى بسعادة الدارين.

قوله: (بدل من ﴿لَهُۥ﴾) أي: إن قوله: ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾ بدل من قوله: ﴿لَهُۥ﴾ بدل بعض من كل بإعادة اللام، وقوله: ﴿عَجَّلْنَا﴾: جواب الشرط وهو ﴿مَنْ﴾، و﴿كَانَ﴾: فعله، و﴿يُرِيدُ﴾: خبر ﴿كَانَ﴾، واسمها: ضمير مستتر.

قوله: (﴿ثُمَّ جَعَلْنَا﴾) أتى بـ﴿ثم﴾؛ إشارةً إلى أن دخول النار متأخِّرٌ.

قوله: (﴿مَذْمُومًا﴾) أي: إنَّ الخلق في القيامة يَلومونه على ما حصل منه في الدنيا.

قوله: (﴿مَّدْحُورًا﴾) من: دحَر يدحر من باب (خضع)، فهو مدحور بمعنى: أنَّ الله طرَده وأبعده عن جنَّته.

قوله: (﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾) أي: مَنْ كان حظُّه ونيَّته ومنتهى آماله الدارَ الآخرةَ؛ بأن لم يجعل الدنيا قراراً له ولا وطناً، بل جعَلها سفينة مُوصلة لمقصوده.

قوله: (﴿سَعْيَهَا﴾) إما مفعول به، أو مفعول مُطلق، والمعنى كما قال المفسِّر: عمل عملها الذي يليق بها كأعمال البر والطاعات، واجتناب المنهيَّات.

قوله: (حال) أي من ضمير (سعى).

قوله: (﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ﴾) جواب الشرط، وفيه مراعاة معنى (من)، وفيما قبله مُراعاة لفظها،

﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ ....

أي: مَقبولاً مُثاباً علَيه.

﴿٢٠﴾ ﴿كُلًّا﴾ مِن الفَرِيقَين ﴿نُّمِدُّ﴾: نُعطِي ﴿هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ - بَدَل - ﴿مِنْ﴾ - مُتعلِّق بِـ﴿نُّمِدُّ﴾ - ﴿عَطَآءِ رَبِّكَ﴾ في الدُّنيا ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ﴾ فِيها ﴿مَحْظُورًا﴾: مَمنُوعاً عن أحَد.

﴿٢١﴾ ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ في الرِّزق والجاهِ، ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ﴾: أعظَمُ ﴿دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ مِن الدُّنيا، فيَنبَغِي الاعتِناءُ بِها دُونها.

حاشية الصاوي

وهو إشارة إلى أنَّ من جمع ثلاث خِصال فهو من أهل الجنة: الإيمان، والعمل الصالح، والإخلاص؛ ولذا قال بعضهم: مَن لم يكن معه ثلاث لم يَنفعه عمله: إيمانٌ ثابتٌ، ونيَّةٌ صادقةٌ، وعملٌ مصيبٌ، وتلا هذه الآية، وهذا هو كمال الدين.

قوله: (مثاباً عليه) أي: فشكرُ الله لعباده قبولُهم وإثابتُهم على أعمالهم.

قوله: (﴿كُلًّا﴾) مفعول لـ﴿نُّمِدُّ﴾.

قوله: (من الفريقين) أي: مُريد الدنيا، ومريد الآخرة.

قوله: (بدل) أي: من ﴿كُلًّا﴾ بدل كلٍّ من كلٍّ، كأنه قال: نمدُّ هؤلاء وهؤلاء؛ الأول: للفريق الأول، والثاني: للفريق الثاني، فهو لفٌّ ونشرٌ مرتَّب.

قوله: (في الدنيا) أي: كسعة الرزق والحياة والعافية وغير ذلك.

قوله: (ممنوعاً عن أحد) أي: مؤمن أو كافر، وأما في الآخرة فعطاؤه ممنوعٌ عن الكافر، وهو مختصٌّ بالمؤمن.

قوله: (﴿كَيْفَ﴾) منصوب على الحال من ﴿فَضَّلْنَا﴾ كأنه قال: انظر فضَّلنا بعضهم على بعض كائناً على أيِّ حالة.

قوله: (من الدنيا) أي: من درجاتها؛ لأنَّ فَضل الآخرة عظيمٌ لا ينقطع، بل هو دائمٌ لا يفنى.

قوله: (فينبغي الاعتناء بها) أي: بِالآخرة، وقوله: (دونها) أي: الدنيا.

لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ وَقَضَىٰ رَبُّكَ ....

﴿٢٢﴾ ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾: لا ناصرَ لَك.

﴿٢٣﴾ ﴿وَقَضَىٰ﴾: أمَرَ ﴿رَبُّكَ أَ﴾ن أي: بِأن ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾) الخِطاب إما للنبي والمراد غيره، أو لكلِّ مكلَّف وهو الأولى، والمعنى: لا تُشرك أيها المكلَّفُ غيرَ الله مع الله لا في ظاهرك ولا باطِنك، بل خلِّص قلبك من التعلُّق بغيره والمحبَّة لسواه، ولا تجعل الغيرَ في خيالِك؛ فإنه نقصٌ من مراتب الأخيار؛ ولِذا قال ابن الفارض[1]: [الطويل]

ولَو خَطَرَتْ لي في سِواكَ إرادةٌ ... على خاطِري يَوماً حَكَمْتُ بِرِدَّتي

قوله: (﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾) يَصح أن تكون (قعد) بمعنى: عجز؛ فـ﴿مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾: حالان، ويَصح أن تكون بمعنى: صار؛ فـ﴿مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾: خبران لها.

قوله: (لا ناصر لك) تفسير لـ﴿مَّخْذُولًا﴾، وتقدَّم تفسير ﴿مَذْمُومًا﴾ بـ: مَلُوماً، والمعنى: مَلوماً من الخلق، مخذولاً من الخالق لم يَجعل له ناصراً.

قوله: (﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾... إلخ) ذكر الله سُبحانه وتعالى في هذه الآيات جملةً من التكاليف نحو خمسة وعشرين حكماً؛ بعضها أصليٌّ، وبعضُها فرعيٌّ، وابتدأ منها بالتوحيد بقوله: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾، وخَتم به بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾؛ إشارةً إلى أنه رَأس الأمور وأساسها، وما عدَاه من الأحكام مبنيٌّ عليه.

ولما كان حقُّ الوالدين آكدَ الحقوق بعد حقِّ الله ورَسوله.. ذُكِر بعد التوحيد وشُدِّد فيه دون بقية التكاليف؛ لأنَّ أمر العُقوق فظيع، وفيه الوعيد الشديد؛ ففي الحَديث: «**قُل لعاقِّ والديه يفعل ما يشاء؛ فإنَّ مَصيره إلى النار**»[2].

قوله: (أمر) أي: أمراً جازماً، وقيل: إنَّ (قضى) بمعنى: أوصى، وقيل: بمعنى: حَكم، وقيل: بمعنى: ألزَم، وقيل: بمعنى: أوجَب، وكلٌّ صحيحٌ.

---

(١) كما في تائيَّته الكبرى في السلوك، ويروى عجزه: (على خاطري سهواً قضيت بردتي). انظر «ديوانه» (ص٥٢).

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٢١٥) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها بلفظ: «يقال لِلعاق: اعمل ما شئت من الطاعة فإني لا أغفِر لك، ويقال للبار: اعمَل ما شئت فإني أغفر لك».

أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا ....

﴿لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَ﴾أنْ تُحسِنُوا ﴿بِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ﴾ بأنْ تَبرُّوهما، ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ﴾ ـ فاعل ـ ﴿أَوْ كِلَاهُمَا﴾ ـ وفي قِراءة: (يَبلُغانِّ)، فـ﴿أَحَدُهُمَآ﴾ بَدَل

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾) أي: بأن لا تُشركوا معه في العبادة غيره، فتَمتثلوا أوامره، وتجتنبوا نَواهيه، ودخل في ذلك الإقرارُ لرسول الله بالرسالة ومحبَّته وتعظيمه؛ لأنَّ ذلك مِن جملة المأمورية، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

قوله: (أي: بأن) أشار بذلك إلى أنَّ (أن) مصدرية، ويكون الفعل منصوباً بحذف النون، ويَصح أنَّ (أن) مخففةٌ من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، و(لا): ناهية، والفعل مجزوم بحذف النون، والواو: فاعل على كل حال[١].

قوله: (﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾) متعلِّق بمحذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (وأن تُحسنوا)، والجملة معطوفة على جملة ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾.

قوله: (بأن تبروهما) أي: تُطيعوا أمرهما في غير معصية الله.

قوله: (﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ﴾) (إنْ): شرطية مدغمة في (ما) الزائدة، والفعلُ مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم، و﴿أَحَدُهُمَآ﴾: فاعل: و﴿كِلَاهُمَا﴾: معطوف عليه، وجواب الشرط هو قوله: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ وما عُطف عليه من بَقية الخمسة التي كلِّف بها الإنسان في حقِّ والدَيه.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[٢]، وعليها: فالفعل مجزوم بحذفِ نون الرفع، والألف: فاعل، والنون المشددة المكسورة: للتوكيد. والتقيِيد بحالة الكبر خَرَجَ مخرج الغالب؛ لأنَّ الولد غالباً إنما يتهاون بوالدَيه عند حصول الكبر لهما.

ومعنى قوله: ﴿عِندَكَ﴾: أن يكون في منزلك وكفالتك ومَعدوداً من عيالك، وهذا بحسَب الغالب، وإلا.. فالولد مطلوب ببرِّ والديه مطلقاً؛ كانا عنده أو لا.

---

(١) وقول المفسِّر: (أي: بأن لا) غيرُ سديدٍ؛ حيث أثبت النون بين الهمزة و(لا) النافية بقلم الحُمرة، فيقتضي أنها من رسم القرآن مع أنه ليس كذلك. «فتوحات» (٢/ ٦٥١).

(٢) قرأ الأخوان: حمزة والكسائي: «يبلغان» بألف التثنية قبل نون التوكيد المشددة المكسورة، والباقون دون ألف وبفتح النون. انظر «الدر المصون» (٧/ ٣٣٥).

فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ ....

مِن أَلِفِه -، ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ - بِفتحِ الفاء وكسرِها، مُنوَّناً وغَير مُنوَّن -، مَصدرٌ بِمعنَى: تَبًّا وقُبحاً، ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾: تزجُرْهُما، ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾: جَمِيلاً لَيِّناً.

﴿٢٤﴾ ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾: أَلِن لَهُما جانِبَك الذَّليلَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بفتح الفاء) أي: من غير تَنوين، وقوله: (وكسرها) أي: منوَّناً وغير منوَّن؛ فالتعميم راجع لقراءة الكسر، خلافاً لما يُوهمه المفسِّر؛ فالقراءات السبعيَّة ثلاث، وقرئ شذوذاً بالرفع مع التنوين وتركه، وبالفتح مع التنوين وسكون الفاء؛ فتكون الشواذ أربعاً، فجملة القراءات سبع هنا وفي (الأنبياء) وفي (الأحقاف)، ولغاتها أربعون لغة، ذكرها ابن عطية في «تَفسيره»[1].

قوله: (مصدر بمعنى: تبًّا) بفتح التاء وضمِّها[2]؛ أي: خُسراناً، وقوله: (وقبحاً) أي: لا تقل لهما: قبحاً لكما ولا لأفعالكما، والأوضَح أن يقول: (اسم فعل مضارع) أي: لا تقل لهما: أنا أتضجرُ من شيءٍ يَصدر منكما.

قوله: (تزجرهما) أي: عمَّا لا يعجبك منهما بإغلاظ؛ بألَّا تأمرهما ولا تَنهاهما ولو كان ذلك الأمر غير مناسب، بل إذا أحبَّ أن يأمرهما أو يَنهاهما.. فليَكن على سبيل المشاورة باللطف والرفق.

قوله: (﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾) أي: حسناً؛ كأن يقول لهما: يا أبَتاه، يا أماه، ولا يُسمِّيهما باسمهما.

قوله: (﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾) في الكلام استعارةٌ تبعيَّةٌ في الفعل؛ حيث شبِّهت إلانةُ الجانب بخفض الجناح، والجامع الرأفة في كلٍّ، واستُعير اسم المشبَّه به للمشبَّه، واشتق من الخَفض: اخفض بمعنى: أَلِن، وفي الجناح أصليَّة؛ حيث شبِّه الجانب بالجناح، واستعير اسم المشبَّه به للمشبَّه.

---

(١) قرأ نافع وحفص بالكسر والتنوين، وابن كثير وابن عامر بالفتح دون تَنوين، والباقون بالكسر دون تنوين، ولا خلاف بينهم في تشديد الفاء. وقرأ نافع في رواية: (أفٌّ) بالرفع والتنوين، و أبو السمال بالضم من غير تنوين، وزيد بن علي بالنصب والتنوين، وابن عباس: «أف» بالسكون. انظر «الدر المصون» (٧/ ٣٤٢)، و«المحرَّر الوجيز» (٣/ ٤٤٨).

(٢) كذا في الأصول، وعبارة العلامة الجمل في «الفتوحات» (٢/ ٦٥٢): (أي: خسراناً وقبحاً، بضم القاف أو فتحها، وهو ضِد الحسن، وفي بعض النسخ: «نتناً وقبحاً» وهو الذي عبَّر به المحلي في سورة «الأحقاف»؛ فالفتح والضم لكلمة (قبحاً).

مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا ﴿٢٥﴾ ....

﴿مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ أي: لِرقَّتِك عليهما، ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا﴾ رَحِماني حِينَ ﴿رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾.

﴿٢٥﴾ ﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ﴾ مِن إضمارِ البِرِّ والعُقُوقِ، ﴿إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ﴾: طائِعِين للهِ ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ﴾: الرَّجَّاعِين إلى طاعَتِه ﴿غَفُورٗا﴾ لِما صَدَرَ مِنهُم في حَقِّ

حاشية الصاوي

وإضافة ﴿جَنَاحَ﴾ لـ﴿ٱلذُّلِّ﴾ من إضافة الموصوف إلى الصفة؛ أي: جانِبك الذليل، وقد أشار لذلك كلِّه المفسِّر.

قوله: (أي: لرِقَّتك عليهما) أشار بذلك إلى أن (مِن) للتعليل، والمعنى: من أجل الرحمة، لا خوفاً من العار مثلاً.

قوله: (﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا﴾) أي: ادعُ لهما بالرحمة ولو في كل يوم وليلة خَمس مرات ولو كافرين إذا كانا حيَّين؛ لأنَّ من الرحمة أن يَهدِيَهما للإسلام.

قوله: (﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾) الكاف: للتعليل؛ أي: من أجل أنهما رحماني حين رَبَّياني صغيراً.

روي: أنَّ رجلاً قال لرسول الله ﷺ: إنَّ أبويَّ بلَغا مني في الكبر أني ألي منهما ما وَلِيا منِّي في الصغر؛ فهل قضيتُ حقَّهما؟ قال: «**لا؛ فإنهما كانا يفعلان ذلك وهما يُحبَّان بقاءك، وأنت تفعلُ ذلك وأنت تريد مَوتهما**»(١).

قوله: (﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ﴾) هذا وعدٌ ووعيدٌ، والمعنى: لا عبرة بادعاء البرِّ باللسان؛ فإنَّ الله عالمٌ بالسرائر.

قوله: (طائعين لله) أي: في حقِّ الوالدين.

قوله: (﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ﴾) مرتَّبٌ على محذوف، والتقدير: وفعلتُم معهما خلاف الأدب.

قوله: (الرجَّاعين إلى الطاعة) وقيل: هم الذين يذكرون ذنوبهم في الخلاء ثم يَستغفرون منها، وقيل غير ذلك، وفي الحقيقة: الأوَّاب هو: التَّواب.

---

(١) كذا أورده الزمخشري في «الكشاف» (٢/٦١٦)، وقال الحافظ ابن حجر في تخريجه «الكافي»: (لم أجده).

وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ....

الوالِدَينِ مِن بادِرةٍ وهُم لا يُضمِرُون عُقُوقاً.

(﴿٢٦﴾ - ﴿٢٧﴾) ﴿وَءَاتِ﴾: أعطِ ﴿ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾: القَرابةِ ﴿حَقَّهُۥ﴾ مِن البِرِّ والصِّلةِ، ﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ بِالإنفاقِ في غَيرِ طاعةِ الله؛ ....

حاشية الصاوي

قوله: (من بادرة) البادرة: الزلة تقع خطأً.

قوله: (وهم لا يضمرون عقوقاً) الجملة حاليَّة.

قوله: (﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾) لما قدَّم حقوق الله وحقَّ الوالدين.. ذكر حقَّ الأقارب غيرهما، وحقَّ المساكين وأبناء السبيل الأجانب. والخِطاب في هذه الآيات إما للنبي والمراد هو وأمَّته؛ لأنَّ الأصل عدم الخصوصيَّة، أو للمكلَّف والأمر للوجوب عند أبي حنيفة؛ فعنده يَجب على الموسر مُواساة أقاربه المحارم كالأخ والأخت[1]، ولِلندب عند غيره، ومحل الخلاف: في المواساة بالمال؛ بأن ينفق عليهم، وأمَّا صلتهم بمعنى عدم مُقاطعتهم ومعاداتهم.. فواجبة إجماعاً كنَفَقة الأصول والفروع، والآية شاملة لذلك كلِّه.

قوله: (من البر) أي: الإحسان بالمال، وقوله: (والصلة) أي: مطلقاً، فهو عطف عامٍّ على خاصٍّ.

قوله: (﴿وَٱلْمِسْكِينَ﴾) المراد به: ما يَشمل الفقير، والمعنى: وآت المسكين حقَّه من البر والإحسان على حسب الطاقة؛ فإنَّ ذلك من أوصاف المتَّقين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ إلى أن قال: ﴿وَفِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٥-١٩].

قوله: (﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾) أي: الغريب، وسمِّي بذلك؛ لأنه ملازمٌ للطريق، فكأنه ابنٌ لها.

قوله: (في غير طاعة الله) أي: كالمعاصي والشهوات المستغنى عنها؛ بأن يَزيد في الإنفاق على المباح، وهذا مذمومٌ إذا كان المال حلالاً، أما إن كان حراماً.. فلا يجوز له الإنفاق منه أصلاً، بل يجب عليه أن يَرُدَّه لأربابه.

(١) انظر «البحر الرائق» (٤/٢٢٨).

إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا ....

﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ﴾ أي: على طريقتهم، ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾: شَدِيدَ الكُفر لِنِعَمِه، فكذَلك أخُوهُ المُبَذِّر.

﴿٢٨﴾ ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾ أي: المَذكُورِينَ مِن ذِي القُربَى وما بَعدَهم فلَم تُعطِهِم ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ أي: لِطَلَبِ رِزق تَنتَظِرهُ يَأتِيك فتُعطِيهِم منه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ﴾... إلخ) هذا غاية في الذمِّ.

قوله: (﴿كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ﴾) أي: ولم يَزالوا كذلك، والمعنى: إنَّ المبذرين يُشبهون الشياطين في أن كلًّا منهما ضلَّ في نفسه وأضلَّ غيره؛ فالشياطين صرفوا همَّتهم وقوَّتهم وما أنعَم الله عليهم به في معاصي الله ولم يُصلحوا، والمبذِّرون صرفوا أموالهم فيما يُغضب الله تعالى وأفسدوا ولم يصلحوا.

قوله: (أي: على طريقتهم) أي: مقتدين بهم وملازمين لأفعالهم؛ لأنَّ الملازم للشيء يسمَّى أخاً له.

قوله: (شديد الكفر لنعمه) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف، والتقدير: وكان الشيطان لِنِعَمِ ربِّه كفوراً.

قوله: (فكذلك أخوه المبذِّر) أي: فقد كفر نعمَ ربِّه حيث صرفها في غير طاعة الله.

قوله: (﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ﴾) معطوفٌ على محذوف، تقديره: وآتِ ذا القربى حقَّه والمسكين وابن السبيل إن كان بيَدك شيء وإما تعرضن... إلخ، والمعنى: لا تقطع رجاء الفقير منك، بل إمَّا أن تُعطيَه إن كان معك شيءٌ، أو تردَّه بلطفٍ كما كان من خُلقه ﷺ، فكان إذا سئل أعطى، أو وعد بالعطاء.

قوله: (وما بعده) أي: المسكين وابن السبيل.

قوله: (﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ﴾) مفعول لأجله، وهو علة مقدَّمة على المعلول، والمعنى: وإمَّا تُعرضنَّ عنهم لأجل عُسرك.. فقل لهم قولاً ميسوراً؛ اعتماداً على الله، وطلباً لرحمة من ربك ترجوها، وفي ذلك إشارةٌ إلى أن الإنسان لا ينبغي له قطعُ رجائه من الله، بل يَعتمد على الله دائماً في عسره

فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ....

﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾: لَيِّناً سَهلاً، بِأن تَعِدَهُم بِالإعطاءِ عِند مَجيءِ الرِّزق.

﴿٢٩﴾ ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ أي: لا تُمسِكها عن الإنفاق كُلَّ المَسْك، ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا﴾ في الإنفاقِ ﴿كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ راجِع لِلأوَّل، ﴿مَّحْسُورًا﴾: مُنقَطِعاً لا شَيء عِندَك، راجع لِلثاني.

حاشية الصاوي

ويُسره؛ فإنَّ الغنى هو وثوق القلب بالله؛ فلا يعتمد على سبب من الأسباب، بل يتوكل على الله، ولا يَقطع رجاءه منه، ولا رجاء غيره فيه ثقةً بربِّه.

قوله: (بأن تَعِدَهم) أي: أو تدعو لهم؛ بأن تقول: أغناكم الله، سهَّل الله لكم أسباب الخير... وغير ذلك.

قوله: (﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾) أي: مضمومةً ومجموعةً معه في الغُلِّ، وهو بضم الغين المعجمة: طَوقٌ من حديد يُجعل في العنق.

قوله: (أي: لا تمسكها عن الإنفاق) أي: فهو نهيٌ عن البخل على سبيل الكناية؛ لأنَّ شأن مَنْ جعل يده مغلولةً إلى عنقه عدمُ القدرة على التصرف، وشأن البخيل عدم التصرفِ في المال بالإنفاق وغيره.

قوله: (كلَّ المسك) المناسب: الإمساك؛ لأنَّ الفعل رُباعي، وكأنه شاكل قوله: ﴿الْبَسْطِ﴾.

قوله: (﴿كُلَّ الْبَسْطِ﴾) أي بأن تُنفِق زيادة على ما يجب وما يندب.

قوله: (﴿فَتَقْعُدَ﴾) أي: تصير، فقوله: ﴿مَلُومًا﴾ خبر لـ: (تقعد)، و﴿مَّحْسُورًا﴾: معطوف عليه.

قوله: (راجع للأول) أي: البخيل.

قوله: (منقطعاً لا شيء عندك) أي: فهو من: حسَره السفر: إذا أثَّر فيه، ويصح أن يكون من الحسرة بمعنى: الندامة؛ أي: نادماً على ما حصَل منك.

قوله: (راجع للثاني) أي: وهو مَنْ بسط يدَهُ كلَّ البسط، ولا تشكل هذه الآية على ما وَرد من فعل السلف الذين خرجوا عن أموالهم في محبَّة الله ورسوله وصارُوا فقراء؛ لأنَّ النهي محمولٌ على من كان يعقبه الندم والحسرة، وأمَّا من فعل ذلك من السَّلف وأقرَّه عليه رسول الله كأبي بكر وغيره من الذين

إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ....

﴿٣٠﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾: يُوسِّعهُ ﴿لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾: يُضَيِّقهُ لِمَن يَشاء، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾: عالِماً بِبَواطِنِهم وظَواهِرِهم، فيرزُقُهُم على حسَب مَصالِحِهم.

﴿٣١﴾ ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ﴾ بِالوَأدِ ﴿خَشْيَةَ﴾: مَخافَةَ ﴿إِمْلَٰقٍ﴾: فَقرٍ، ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا﴾: إثماً ﴿كَبِيرًا﴾: عَظيماً.

حاشية الصاوي

كانوا يُؤثرون على أنفسهم ومَدحهم الله تعالى على ذلك.. فلم يُوجد منهم التحسُّر على فوات الدنيا؛ لِفنائهم عنها، وبقائهم بالله، وخِطاب تلك الآيات إنما هو على حسَب أخلاق العامَّة.

قوله: (﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾... إلخ) أي: فانظر لما رَزقك الله به وأنفق على حسَبه، وارض بما قسم الله لك؛ فوسِّع عند سعة الرزق، وضيِّق عند ضِيقه، وكن حيث أقامك الله.

قوله: (ببواطنهم وظواهرهم) لفٌّ ونشرٌ مرتَّب.

قوله: (﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ﴾) سبب ذلك: أنَّ بعض الجاهليَّة كانوا يَقتلون البنات خوف الفقر، وبعضهم خوف العار، فحَصل النهي عن ذلك؛ لما فيه من سوء الظنِّ بالله، وتخريب العالم، وكلٌّ منهما مذمومٌ، وهو خطابٌ للمُوسرين؛ بدليل قوله: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾؛ ولذلك قدَّم الأولاد، وما تقدَّم في (الأنعام) خطابٌ لِلمعسرين؛ ولذلك قدَّم ذكر الآباء، وأخَّر ذِكر الأولاد[1].

قوله: (بالوأد) أي: الدَّفن بالحياة، وخصَّ بالذكر وإن كان القتل بأيِّ شيء حراماً؛ لأنه الذي كانوا يَفعلونه في الجاهلية.

قوله: (﴿كَانَ خِطْـًٔا﴾) إما بكسر الخاء وسكون الطاء بوزن (حِمْلٍ) مصدر (خَطِئ) كـ: عَلِم، أو بفتحتين: اسم مصدر لـ(أخطأ) رُباعي، أو بكسر الخاء وفتح الطاء ممدوداً: مصدر لـ(خاطأ) كـ: قاتل؛ ثلاث قراءات، وكلها سبعيَّة[2].

---

(١) وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ...﴾ الآية.

(٢) قرأ ابن ذكوان: «خطأ» بفتح الخاء والطاء من غير مد، وابن كثير بكسر الخاء والمد، ويَلزم منه فتح الطاء، والباقون بالكسر وسُكون الطاء. انظر «الدر المصون» (٧/ ٣٤٦).

وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ....

﴿٣٢﴾ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ أبلَغُ مِن (لا تَأتُوه)، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾: قَبِيحاً ﴿وَسَآءَ﴾: بِئسَ ﴿سَبِيلًا﴾: طَرِيقاً هو.

﴿٣٣﴾ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ﴾: لِوارِثِه ﴿سُلْطَٰنًا﴾: تَسَلُّطاً على القاتِل، ﴿فَلَا يُسْرِف﴾: يَتجاوَزِ الحَدَّ ﴿فِّى ٱلْقَتْلِ﴾ بِأن يَقتُلَ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾) هو بالقصر في القراءة الشائعة، وقرئ شذوذاً بالمدّ، وخرِّجت على وجهين أحدهما: أنه لغة في المقصور، والثاني: أنه مصدر (زانى) كـ: قاتَل؛ لأنه يكون من اثنين.

قوله: (أبلغ من «لا تأتوه») أي: لأنه يفيد النهي عن مقدِّماته كاللمس والمباشرة والقُبلة صريحاً، والنهي عن الفعل بالأولى.

قوله: (﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾) أي: لأنه طريقٌ من طُرق النار، وخصَّ الزنا بالنهي وإن كان اللواط أشنع وأقبح؛ لأنه كان سارياً في العرب، بخلاف اللواط؛ فقد كان في قوم لوط ثم تُنوسِيَ، ثم ظَهر في هذه الأمَّة بعد قَرن الصحابة والتابعين.

قوله: (﴿ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾) أي: حرَّم قتلها بأن عصَمها منه، وهو المسلم، أو الكافر الذي تحت ذمَّتنا.

قوله: (﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾) مستثنى من النهي، والمعنى: لا تقتلوا النفس المعصومة إلا بالقتل الحق، وهو أحد ثلاث: كفر بعد إيمان، وزناً بعد إحصان، وقتل مؤمن معصوم عمداً؛ كما في الحديث[1].

قوله: (﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾) أي: وهو المؤمن المعصُوم.

قوله: (تسلُّطاً على القاتل) أي: فحيث ثبت القتل عمداً عدواناً وجب على الحاكم الشرعي أن يمكِّن وليَّ المقتول من القاتل، فيفعل فيه الحاكم ما يختاره الوليُّ من القتل أو العَفو أو الدية، ولا يجوز للولي التسلُّط على القاتل من غير إذن الحاكم؛ لأنَّ فيه فساداً وتخريباً.

---

(١) وهو قوله ﷺ: «لا يحل دَم امرئ مسلم، يَشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لِدينه المفارق للجماعة» رواه مسلم (٤٣٩٠) عن سيدنا عبد الله بن مَسعود رضي الله عنه.

إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ ....

غيرَ قاتِله، أو بِغيرِ ما قَتَلَ بِه، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾.

(﴿٣٤﴾ - ﴿٣٥﴾) ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ﴾ إذا عاهَدتُم اللهَ أو النَّاسَ، ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ عنهُ، ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ﴾: أَتِمُّوه ......

حاشية الصاوي

قوله: (غير قاتله) أي: غير قاتل المقتول.

قوله: (أو بغير ما قتل به) يستثنى منه مَنْ قتل بمحرَّم كلواط وسِحر؛ فإنه لا يجوز القتل بذلك، بل يُقتل بالسيف.

قوله: (﴿إِنَّهُۥ كَانَ﴾) أي: الولي ﴿مَنصُورًا﴾ أي: من الله، ومن الحاكم.

قوله: (﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾) أي: لا تَقربوا بحال من الأحوال إلا بالخصلة التي هي أحسَن من جميع الخصال، وهي تَنميته له، والإنفاق عليه منه بالمعروف.

قوله: (﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾) غاية لقوله: ﴿إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾، كأنه قال: فاقرَبوه بالتي هي أحسن إلى أن يبلغ أشدَّه؛ أي: رُشده؛ فإذا بلغ رُشده فادفعوا إليه المال ولا تصرُّفَ لكم فيه بوجه.

و(أَشُد): إما مفردٌ بمعنى: القوَّة، أو جمع لا واحد له من لفظه، أو جمع (شِدَّة) أو (شِد) بكسر الشين فيهما، أو (شَدٍّ) بفتحها، وعلى كلٍّ: فالمراد به: القُوة؛ بأن يبلغ عاقلاً رشيداً وإن كان الأَشُدُّ في الأصل: بلوغ ثلاث وثلاثين سنة.

قوله: (إذا عاهدتم الله أو الناسَ) أي: أو ما عاهَدكم الله عليه من التكاليف.

قوله: (﴿كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ عنه) أي: هل وفَّى به صاحبه أم لا؟ وقدَّر المفسِّر رضي الله عنه؛ إشارةً إلى أن المسؤول صاحب العهد لا نَفس العهد؛ إذ لا يتأتَّى سؤاله.

قوله: (﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ﴾) خطاب للبائعين، قال بعضهم: يُؤخذ من الآية: أنَّ أجرة الكيال على البائع؛ لأنها من تمام التسليم ما لم تُشترط أو يَجْرِ عرفٌ بأنها على المشتري.

إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ ....

﴿إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾: المِيزانِ السَّوِيِّ، ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾: مَآلاً.

﴿٣٦﴾ ﴿وَلَا تَقْفُ﴾: تَتَّبِعْ ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ﴾: القَلْبَ ﴿كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ صاحِبُه: ماذا فَعَلَ بِه؟.

﴿٣٧﴾ ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي: ذا مَرَحٍ بِالكِبرِ والخُيَلاء، ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بِٱلْقِسْطَاسِ﴾) بضمِّ القاف وكسرها، قراءتان سبعيَّتان[1]، رُوميٌّ استعملته العرب في لغتهم وأجرَته مجرى كلامهم في الإعراب ونحوِه فصار عربيًّا.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾) أي: المذكور من قوله: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ إلى هنا، والمعنى: وامتثال المأمورات واجتناب المنهيَّات خيرٌ في الدنيا وأحسنُ تأويلاً؛ أي: عاقبةً في الآخرة، ويحتمل عودُ اسمِ الإشارة على خُصوص وفاء الكيل والميزان؛ فخيرُه في الدنيا لما فيه من إقبال المشتري على البائع، وفي الآخرة بحُسن العاقبة.

قوله: (﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾) أي: لا تقُل: رأيتُ ولم ترَ، وسمعتُ ولم تسمَعْ، وعلمتُ ولم تعلَمْ.

قوله: (﴿كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ﴾) أي: الحواسِّ الثلاثة.

قوله: (﴿كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾) أي: في الآخرة؛ فلا يجوز للإنسان أن يَتكلم في غيره بمجرَّد الظن، ومن ذلك: الفتوى بغير عِلم، وشهادةُ الزور، وظنُّ السوء بالناس وغير ذلك.

قوله: (﴿مَرَحًا﴾) مصدر: (مَرِح) كـ(فرِح) وزناً ومعنًى.

قوله: (﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾) أي: بِكِبرك وفخرك؛ فلست أعلى من الأرض حتى تُدرك حدودَها وتبلغ منتهاها.

---

(١) قرأ الأخوان وحفص هنا وفي سورة (الشعراء) بكسر القاف، والباقون بضمها فيهما، وهما لُغتان مشهورتان. انظر «الدر المصون» (٧/ ٣٥٠).

﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ۝٣٧ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ۝٣٨ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ۝٣٩﴾ ....

تثقُبَها حتَّى تَبلُغَ آخِرَها بِكِبرِك، ﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾، المَعنى: أنَّك لا تَبلُغُ هذا المبلَغَ فكيف تَختالُ؟

(٣٨ - ٣٩) ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ المَذكورِ ﴿كَانَ سَيِّئَةً عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ۝٣٨ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ يا مُحمَّدُ ﴿رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾: المَوعِظةِ، ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾: مَطرُوداً عن رَحمةِ الله.

حاشية الصاوي

قوله: (تثقبها) بالثاء المثلثة، والنون.

قوله: (﴿طُولًا﴾) تمييز محوَّل عن الفاعل؛ أي: ولن يَبلغ طولك الجبال، وهذا تهكُّمٌ على العبد المتكبر، كأن الله يقول له: شأن المتكبر أن يرى كلَّ شيءٍ أحقرَ منه، وأنت ترى كلَّ شيء أعظَم منك؛ لأنك بمَشيك على الأرض لن تخرقها حتى تدركها، ولن يَبلُغ طولك الجبال حتى تكون أعلى منها؛ فلا يليق منك التكبر.

قوله: (﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾) أي: المذكورِ من الخمس والعشرين المذكورةِ في قوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾.

قوله: (﴿كَانَ سَيِّئُهُۥ﴾) بالتاء والهاء، قراءتان سبعيَّتان[1]؛ فعلى الأولى: يكون المراد من قوله: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾: المنهيَّات، وهي اثنتا عشر خصلةً، والتأنيث في (سيئة) باعتبار معنى (كل)، وتذكير ﴿مَكْرُوهًا﴾ باعتبار لفظها.

وعلى الثانية: يكون المرادُ جميعَ ما تقدَّم من المأمورات والمنهيَّات، وقوله: (﴿كَانَ سَيِّئُهُۥ﴾) أي: السيئ منه، وهو المنهيَّات الاثنتا عشرة، ويكون في الآية اكتفاءٌ؛ أي: وكان حُسنه محموداً.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ﴾) أي: ما تقدَّم من المأمورات والمنهيَّات بعضُ ما أوحى إليك.

قوله: (﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾) خَتم به الأحكام كما ابتدأها به؛ إشارةً إلى أنَّ التوحيد مبدأ الأمور ومُنتهاها، وهو رأس الأشياء وأساسها، والأعمال بدونه باطلةٌ لا تفيد شيئاً.

---

(١) قرأ ابن عامر والكوفيون بضم الهمزة والهاء والتذكير وترك التنوين، والباقون بفتح الهمزة وتاء التأنيث منصوبة منوَّنة. انظر «الدر المصون» (٧/ ٣٥٥).

أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا ....

﴿٤٠﴾ ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ﴾: أخلَصَكُم يا أهلَ مكةَ ﴿رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ﴾ بَناتاً لِنَفسِهِ بِزَعمِكم، ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ﴾ بِذَلك ﴿قَوْلًا عَظِيمًا﴾.

﴿٤١﴾ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾: بَيَّنَّا ﴿فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ مِن الأمثالِ والوَعدِ والوَعِيدِ ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم﴾) لما أمر بالتوحيد ونهى عن الإشراك.. أتبَعه بذكر التقبيح والتشنيع على من ينسب لله الولد خصوصاً أخسّ الأولاد في زعمهم وهم البنات، فالاستفهام للتوبيخ والتقريع.

قوله: (أخلَصكم) بيان لمعنى الصفاء اللغوي؛ يقال: صَفاه بمعنى: خلصه، والمعنى: أخصَّكم ربكم بالبنين الذين تدَّعون أنهم أشرَف الأولاد وجعَل لنفسه البنات الذين تدَّعون خسَّتهم[1] عن الذكور؟! إنَّ هذا الرأي لشنيعٌ من وجوه: أوَّلها: نسبة الولد من حيث هو لله، ثانيها: نِسبة الخسيس له، ثالثها: الحكم على الملائكة الكرام بالأنوثة مع أنهم عِباد مكرمون لا يُوصفون بذكورة ولا بأنوثة، وكلُّ ذلك موجبٌ لِلخلود في النار.

قوله: (بناتاً لنفسه) في بعض النسخ بإسقاط الألف بعد التاء وهي الصحيحة؛ لأنَّ من المعلوم أنَّ (بنات) جمعُ مؤنث سالمٌ يُنصب بالكسرة، وفي بعض النسخ بثبوتها، ولعلَّها من سهو الناسخ، أو مخرَّجة على لغة قليلة تَنصبه بالفتحة[2].

قوله: (﴿قَوْلًا عَظِيمًا﴾) أي: كبيراً؛ لأنَّ نسبة الولد إليه تَستلزم حدوثه، وهو محالٌ في حقِّه تعالى.

قوله: (﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾) أي: أظهَرنا ووضَّحنا.

قوله: (من الأمثال... إلخ) بيان للمفعول، و(مِن): زائدة، والمعنى: بيَّنا في هذا القرآن الأمثال والوعد والوعيد.

---

(١) كذا في الأصول ولعل الأولى: (وجعل لنفسه البنات اللاتي تدَّعون خستهنَّ أو خسَّتها)، والله أعلم.

(٢) وقد جوَّز الكوفيون نصب ما جمع بألف وتاء بالفتحة، وحكَوا من ذلك: (سمعت لغاتَهم) بفتح التاء، وأنشدُوا:

فلَمَّا جلاها بالإيامِ تحيَّزت ... ثُباتاً عليها ذلُّها واكتئابُها

بنصب تاء (ثبات). انظر «التذييل والتكميل» لأبي حيان (١/ ١٥١).

وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ ....

يتَّعظُوا، ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ ذلك ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ عن الحقِّ.

﴿٤٢﴾ ﴿قُل﴾ لهُم: ﴿لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ﴾ أي: الله ﴿ءَالِهَةٌ كَمَا تَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟﴾: طلَبُوا ﴿إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾ أي: الله ﴿سَبِيلًا﴾ لِيُقاتِلُوه.

(﴿٤٣﴾ - ﴿٤٤﴾) ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ﴾ تنزيهاً له ﴿وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ مِن الشُّركاء ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿تُسَبِّحُ لَهُ﴾: تُنزِّهه ﴿ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن﴾: ما ﴿مِّن شَىْءٍ﴾ مِن المَخلُوقاتِ ﴿إِلَّا يُسَبِّحُ﴾ مُتلبِّساً ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِلَّا نُفُورًا﴾) أي: إعراضاً واستكباراً عن الهدى، قال البوصيري[1]: [الخفيف]

عجَباً لِلكفَّارِ زادُوا ضَلالاً ... بِالذِي فيهِ لِلعُقُولِ اهْتِدَاءُ

قوله: (﴿قُل﴾ لهم) أي: في الاستدلال على إبطال التعدُّد، وإثباتِ الوحدانيَّة له تعالى.

قوله: (﴿لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾) هذا إشارةٌ إلى قياس استثنائي، يُستثنى فيه نقيضُ التالي لينتج نقيض المقدَّم، وقد حُذف منه الاستثنائية والنتيجة، والأصل: لكنهم لم يطلبوا طريقاً لقتاله فلَم يكن معه آلهة، والمعنى: لو فرض أنَّ له شريكاً في الملك.. لَنازعه وقاتله واستعلى عليه، لكنه لم يوجد مَنْ هو بهذه المثابة، فبطَل التعدد، وثبتت الوحدانيَّة والكبرياء له سبحانه وتعالى.

قوله: (ليقاتلوه) أي: على عادةِ مُلوك الدنيا عند تعدُّدهم.

قوله: (﴿وَتَعَـٰلَىٰ﴾) عطف على ما تضمَّنه قوله: ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ﴾، كأنَّه قال: تنزَّه وتعالى.

قوله: (﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ﴾... إلخ) القصد من ذلك: التوبيخ والتقريع على مَنْ أثبت لله شريكاً، والمعنى: كيف يُشركون مع الله غيره وكلُّ شيءٍ ينزِّهه عن كلِّ نقصٍ؟!

قوله: (﴿وَٱلْأَرْضُ﴾) أفردها مع أنها سبعٌ كالسماوات؛ لكون جنسها واحداً وهو التراب.

قوله: (من المخلوقات) أي: الإنس والجنِّ والملك وسائر الحيوانات والجمادات.

---

(١) كما في قصيدته المشهورة الهمزية.

بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ . . .

﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ أي: يَقُولُ: سُبحانَ الله وبِحَمدِهِ، ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ﴾: تفهمُون ﴿تَسْبِيحَهُمْ﴾ لِأنَّهُ ليسَ بِلُغَتِكُم، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ حيثُ لَم يُعاجِلْكُم بِالعُقوبة.

﴿٤٥﴾ ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ . . . .

حاشية الصاوي

قوله: (أي: يقول: سبحان الله وبحمده) أي: أعتقد تنزيه الله وأصفه بحمده؛ أي: بكلِّ كمال.

قوله: (﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾) هذا يقتضي أن تسبيح الجمادات والحيوانات الغير العاقلة بلسان المقال، وهو الذي اختاره جمهور السلف، وذهَب الأقل إلى أنه بلسان الحال؛ بمعنى: أنها تدلُّ تلك المخلوقات على أنَّ لها صانعاً متَّصفاً بالكمالات، منزَّهاً عن النقائص، فكان ذلك تسبيحاً لها، قال العارف:[1] [المتقارب]

وفي كلِّ شَيءٍ لـه آيـةٌ ... تَـدُلُّ عـلـى أنَّـهُ الـواحِـدُ

قوله: (حيث لم يُعاجلكم بالعقوبة) أي: مع غَفلتكم وعدم تدبرُّكم في آياته ونَظركم في مَصنوعاته.

قوله: (﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾) خطابٌ للنبي ﷺ حين أراد الكفار قتلَه على حين غفلة.

و(أل) في ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾: إما للجنس الصادق بأيِّ آية وهو الحق؛ لما في الحديث: «خُذ من القرآن ما شئتَ لما شئت»[2]، وكونُ القرآن حجاباً ساتراً ليس من خصوصيَّاته ﷺ، بل له ولأمَّته المؤمنين به المخلِصين كما هو مشاهدٌ ومجرَّبٌ بين العارفين، وأدلة السنة في ذلك أشهَرُ من أن تذكر.

أو للعهد، والمراد: ثلاث آيات مشهورات من (النحل)، و(الكهف)، و(الجاثية)، وهي قَوله تعالى في سورة (النحل): ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ﴾ [النحل: ١٠٨]، وفي سورة (الكهف): ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ [الأنعام: ٢٥]، وفي (الجاثية): ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ . . .﴾ [الجاثية: ٢٣] الآية، وزاد العلماء أول سورة (يس) إلى قوله: ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩]؛ لما ورَدَ: أنه قرأها حين اجتَمعوا على بابه؛ لإرادة قتله، وأذن له في الهجرة

---

(١) البيت لأبي العتاهية، كما في «ديوانه» (ص٤٥).

(٢) لم أجده فيما بين يديَّ من المصادر.

﴿وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ۝٤٥ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ۝٤٦ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ ....﴾

﴿وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ أي: ساتِراً لَك عَنهُم فلا يَرونَك، نَزل فِيمَن أرادَ الفَتك بِه ﷺ.

٤٦ ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾: أغطِيةً ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ مِن أن يَفهَموا القُرآنَ، أي: فلا يَفهَمُونَه، ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: ثِقَلاً فلا يَسمَعُونه، ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ عنهُ.

٤٧ ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾: ....

حاشية الصاوي

فأخذ حفنةً من تراب في يَده وخرج وهو يتلُو (يس) إلى قوله: ﴿فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾، وجعل يَنثر التراب على رؤوسهم، ثم انصرف فلم يرَه أحدٌ منهم، بل أخذ الله أبصارهم[1].

قوله: (﴿وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾) أي: وهم المنكرون للبعث.

قوله: (أي: ساتراً) أشار بذلك إلى أن اسم المفعول بمعنى اسم الفاعل.

قوله: (فيمن أراد الفتك به) أي: كأبي جهل، وأم جميل زوجة أبي لهب، ويَهود خيبر، ويهود المدينة، والمنافقين. والفتك ـ بتثليث الفاء ـ هو: القتل على غَفلة.

قوله: (أغطية) أي: حُجباً معنوية تمنعهم من إدراكه.

قوله: (فلا يستمعونه) أي: إمَّا أصلاً كما وقع لبعض الكفار؛ حيث كان النبي يقرأ القرآن وهم لا يسمَعونه، أو المنفيُّ سماعُ التدبُّر والاتِّعاظ وهو موجودٌ في جميع الكفار والمنافقين.

قوله: (﴿وَحْدَهُۥ﴾) حال من قوله: ﴿رَبَّكَ﴾ بمعنى: منفرداً في الألوهيَّة.

قوله: (﴿وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا﴾) أي: أعرَضوا ولم يؤمنوا.

قوله: (﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾) المقصودُ من هذه الآيات: تسليةُ النبي ﷺ عمَّا وقع من المشركين، وتهديدٌ لهم حيث كانوا يَجلسون عند النبي مُظهرين الاستماع وفي الواقع قاصدين الاستهزاء.

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٤٦٩)، وانظر «سبل الهدى والرشاد» (٣/ ٢٣٢).

﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾ ....

بِسَبَبِه مِن الهُزء، ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ قِراءَتَك ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ يَتَناجَونَ بَينهم أي: يَتحدَّثُونَ، ﴿إِذْ﴾ ـ بَدَل مِن ﴿إِذْ﴾ قَبله ـ ﴿يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ في تَناجِيهم: ﴿إِن﴾: ما ﴿تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾: مَخدُوعاً مَغلُوباً على عَقلِه، قال تَعالى:

﴿٤٨﴾ ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ بِالمَسحُورِ والكاهِن والشَّاعِر، ﴿فَضَلُّوا۟﴾ بِذَلك عن الهُدَى، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾: طريقاً إليه.

﴿٤٩﴾ ﴿وَقَالُوٓا۟﴾ مُنكِرِين لِلبَعث: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (من الهزء) بيان لـ(ما).

قوله: (﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ﴾) ظرف لـ﴿أَعْلَمُ﴾، وكذا قوله: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾، والمعنى: نحن أعلم بالذي يَستمعون بسببه وقت استماعهم إليك ووقتَ تناجيهم.

قوله: (﴿نَجْوَىٰٓ﴾) إما مصدر، أو جمع نَجِيٍّ.

قوله: (بدل من ﴿إِذْ﴾ قبله) أي: وهو قوله: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾.

قوله: (﴿يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾) أي: لِبَعضهم، أو لمن كان قريباً منهم في المجلس من المؤمنين.

قوله: (﴿كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾) أي: حيث شبَّهوك بالأوصاف الناقصة كالمسحُور والشاعر والكاهن.

قوله: (﴿فَضَلُّوا۟﴾ بذلك عن الهدى) أي: لأنَّ الهدى تابعٌ للتسليم وحُسن العقيدة، وهؤلاء بريئون من ذلك.

قوله: (طريقاً إليه) أي: إلى الهدى؛ لِعَدم تيسير أسبابه لهم.

قوله: (منكرين للبعث) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام للإنكار والاستبعاد.

قوله: (﴿وَرُفَـٰتًا﴾) هو: ما بُولِغَ في تفتِيته ودقِّه حتى يصير كالتراب، وقيل: هو التراب؛ يؤيده: أنه تكرَّر في القرآن ﴿تُرَابًا وَعِظَـٰمًا﴾.

قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ ....

(﴿٥٠﴾ - ﴿٥١﴾) ﴿قُلْ﴾ لَهُم: ﴿كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ﴾ يَعظُم عن قَبُولِ الحَياةِ فَضلاً عن العِظام والرُّفاةِ، فلا بُدَّ مِن إيجادِ الرُّوح فِيكُم، ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا﴾ إلى الحياةِ؟ ﴿قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ﴾: خَلَقَكُم ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ولَم تكُونُوا شيئاً؛ لِأنَّ القادِرَ على البَدء قادِرٌ على الإعادةِ، بل هي أهوَنُ، ﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾: يُحرِّكُون ﴿إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ تَعَجُّباً ﴿وَيَقُولُونَ﴾ استِهزاءً: ﴿مَتَىٰ هُوَ﴾ أي: البَعثُ؟ ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً﴾) أي: جواباً عن إنكارهم البعث، والمعنى: قل لهم: لو صرتم حجارة أو حديداً أو خلقاً آخر غيرهما كالسماوات والأرض والجبال.. فلا بدَّ من إيجاد الحياة فيكم؛ فإنَّ قدرة الله لا تَعجز عن إحيائكم وإعادتكم للجسميَّة والروحيَّة، فكيف إذا كنتم عظاماً ورفاتاً؟! وليس المراد الأمر، بل المراد: أنكم لو كنتُم ذلك.. لما أعجزتم الله عن الإعادة.

قوله: (﴿مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ﴾) أي: اعتقادكم، والمعنى: لو كنتُم أشياء يعظم في اعتقادكم قبولُهَا الحياةَ لكونها بعيدة منها.. لأحياكم الله؛ إذ القادرُ لا يعجزه شيءٌ.

قوله: (﴿قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ﴾) أي: يُعيدكم الذي فطركم.

قوله: (بل هي أهون) أي: لأنَّ البدء لم يكن على مثالٍ سابقٍ، بخلاف الإعادة، وذلك بالنظر لِعُقولنا وأفعالنا، وإلَّا.. فالبدء والإعادةُ بالنسبة إليه تعالى على حدٍّ سواءٍ، فخلق الجبل العظيم عنده مساوٍ لخلق الذرَّة، قال تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨].

قوله: (﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾) يقال: نغَض الشيء: تحرَّك، وأنغَض رأسه: حرَّكه كالمتعجب من الشيء.

قوله: (﴿أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾) هو في محل نصب خبر ﴿عَسَىٰٓ﴾ على أنها ناقصة، واسمها: ضمير يعود على (البعث)، أو في محل رفع فاعِل بها على أنها تامة.

يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ ....

﴿٥٢﴾ ﴿يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ﴾: يُنادِيكُم مِن القُبُور على لِسان إسرافِيلَ ﴿فَتَسۡتَجِيبُونَ﴾: فتُجِيبُون دَعوَتَه مِن القُبُور ﴿بِحَمۡدِهِۦ﴾: بِأمرِه، وقِيل: ولَه الحمد، ﴿وَتَظُنُّونَ إِن﴾: ما ﴿لَّبِثۡتُمۡ﴾ في الدُّنيا ﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾ لِهَولِ ما تَرَونَ.

﴿٥٣﴾ ﴿وَقُل لِّعِبَادِي﴾ المُؤمِنِين ﴿يَقُولُواْ﴾ لِلكُفَّار الكلمةَ ﴿ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ

حاشية الصاوي

وقوله: (﴿يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ﴾) ظرف لِقَوله: ﴿قَرِيبٗا﴾.

قوله: (على لسان إسرافيل) هو أحد قولين، والآخر: أن المنادي جبريل والنافخ إسرافيل، وصورة النداء أنه يقول: أيتُها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللُّحوم الممزَّقة، والشعور المتفرقة؛ إنَّ الله يأمركنَّ أن تجتمعنَ لفصل القضاء[1].

قوله: (فتجيبون) أي: تُبعثون.

قوله: (﴿بِحَمۡدِهِۦ﴾) حال من الواو في (تَستَجِيبُون) أي: تجيبونه حال كونكم حامِدين له على ذلك؛ لما قيل: إنهم ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون: سبحانك اللهم وبحمدك.

قوله: (بأمره) تفسيرٌ آخر لمعنى الحمد هنا، وعليه: فالباء سببيَّة.

قوله: (وقيل: وله الحمد) أي: لما وردَ: أنهم يقولون: نعم، وله الحمد، وهو إخبارٌ عن جميع الخلق مؤمنهم وكافرهم؛ فالمؤمنون يَحمدون الله شكراً على ما أولاهم من النعم، والكفار يَحمدونه رجاء أن ينفعهم ذلك الشكر، وهو لا يَنفعهم، وقيل: هو في خصوص المؤمنين.

قوله: (في الدنيا) أي: أو في القبور؛ لأنها من جملة عمر الدنيا.

قوله: (﴿يَقُولُواْ﴾) مجزومٌ في جواب الأمر.

قوله: (﴿ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾) أي: ولا يُغلظوا عليهم؛ فإنَّ ذلك داعٍ إلى الشرِّ؛ كأن يقولوا لهم: إنكم من أهل النار، ومن الأشقياء... وغير ذلك.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾ إلخ) تعليل لمفهوم ﴿يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾، كأنه قال: ولا يَقولوا غيرها مما ينفر النفوس؛ لأنَّ الشيطان... إلخ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٨٢) من حديث كعب.

يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ......

يَنزَغُ﴾: يُفسِدُ ﴿بَيْنَهُمْ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾: بَيِّنَ العَداوةِ، والكلمةُ التي هي أحسَنُ هي:

﴿٥٤﴾ ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ بالتَّوبة والإيمانِ، ﴿أَوْ إِن يَشَأْ﴾ تَعذيبَكُم ﴿يُعَذِّبْكُمْ﴾ بالمَوتِ على الكُفر، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ فتُجبِرَهُم على الإيمانِ، وهذا قبلَ الأمرِ بالقِتالِ.

﴿٥٥﴾ ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فيَخُصُّهُم بِما شاء على قَدرِ أحوالِهِم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بَيْنَهُمْ﴾) أي: بين المؤمنين والمشركين.

قوله: (يفسد بينهم) أي: لأنَّ الإغلاظَ عليهم ربما يُثير العناد، ويؤدي لزيادة الفساد.

قوله: (هي ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ﴾... إلخ) أي: وما بينهما اعتراضٌ، والمعنى: ربكم أعلَم بعاقبة أمركم.

قوله: (بالتوبة والإيمان) أي: بينهما.

قوله: (﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾) أي: وما جَعلنا أمرهم موكولاً لك، بل ليس عليك إلا البلاغ، فدارِهِمْ، ومُرْ أصحابك بتحمُّل أذاهم.

قوله: (وهذا قبل الأمر بالقتال) أي: فهو منسوخ بآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣]، ومقتضى العِلة: أنه حيث أدّى الإغلاظ إلى زيادة الفساد.. وجب تركُهُ في أيِّ زمنٍ.

قوله: (﴿بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾) أي: بأحوالهم، فيَخصُّ بالنبوَّة مَنْ شاء من خلقه، وبولايته وسعادته مَنْ شاء منهم، وفي هذه الآيات ردٌّ على المشركين حيث استبعدوا النبوَّة على رسول الله بقولهم: كيف يكون يتيم أبي طالب نبيًّا؟ وكيف يكون العُراة الجوَّع أصحابه؟! وهذه العبارة لا يجوز إطلاقُها على النبي إلا في مَقام الحكاية عن الكفار؛ ولذا أفتى بعض المالكية بقَتل قائلها في مقام التنقيص[1].

(١) وقد فصَّل هذه المسألة الإمام القاضي عياض المالكي رحمه الله تعالى في كتابه «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» في القسم الرابع: في تصرف وُجوه الأحكام فيمَن تنقَّصه أو سبَّه عليه الصلاة والسلام، فراجعه إن شئتَ (٢/ ٢١١).

وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍۢ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ ....

﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍۢ﴾ بِتَخصِيصِ كُلٍّ مِنهُم بِفَضِيلة، كَمُوسى بِالكلامِ وإبراهِيم بِالخُلَّةِ ومُحمَّد بِالإسراءِ، ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾.

﴿٥٦﴾ ﴿قُلِ﴾ لَهُم: ﴿ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ أَنَّهُم آلِهة ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ ....

حاشية الصاوي

والباء متعلقة بـ﴿أَعْلَمُ﴾، ولا يلزم عليه قَصر علمه على من في السماوات والأرض؛ لأنه مفهومُ لقبٍ، وهو لا يعتبر، وقد ردَّ العلماء على مَن اعتبره كأبي بكر الدَّقاق[1].

قوله: (﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍۢ﴾) أي: بتفضيلٍ من الله، ومزايَا خصَّهم بها، وميَّز بعضهم على بعض.

قوله: (﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾) خصَّ بالذكر؛ لأنَّ اليهود زعمت أنه لا نبيَّ بعد موسى، ولا كتاب بعد التوراة، وقَصدهم بذلك إنكارُ نبوَّة محمد، وإنكارُ كتابه، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾؛ لأنهم يعترفون بنبوَّةِ داوودَ ونزولِ الزبورِ عليه مع أنه جاء بعد موسى.

والزبور: كتاب أنزل على داوود، مُشتمل على مئة وخمسين سورة، أطوَلها قدر ربع من القرآن، وأقصرها قدر سورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾، وكلُّها دعاءٌ وتحميدٌ، ليس فيها حلالٌ ولا حرامٌ، ولا فرائض ولا حُدود ولا أحكام، وفي هذه الآية إشارةٌ إلى أنَّ تفضيل الأنبياء بالفضائل النفسانيَّة، والتخلي عن العلائق الجسمانيَّة، والتحلي بالأخلاق الرحمانيَّة، لا بِكثرة الأموال والأتباع حتى داوود عليه السلام؛ فإنَّ شرفه بما أوحى الله إليه من الكتاب، لا بما أُوتيَه من الملك؛ فالعزُّ والتفضيل في المزايا الأُخرويَّة لا الدنيوية؛ فإنها تكون في المؤمن والكافر، فلا يمتنُّ الله بها على أحبابه وأصفيائه.

قوله: (﴿قُلِ﴾ لهم) أي: قل يا محمد ردًّا على من اعتقد مع الله شريكاً.

قوله: (أنهم آلهة) أشار بذلك أن مفعولي (زعم) محذوفان.

قوله: (﴿مِّن دُونِهِۦ﴾) أي: غيره، وفي الآية تقديمٌ وتأخيرٌ، والتقدير: قل ادعُوا الذين من دونه زعمتم أنهم آلهة، فالمعنى: أنهم يعبدونها كما يَعبدون الله، فاندفع ما يقال: إن المشركين إنما يعتقدون الشركة مع الله، لا أنَّ الآلهة غيره وهو ليس بإله.

---

(١) مفهوم اللقب: هو تعليق الحُكم بالاسم الجامد، سواء أكان اسم جنس أو علماً؛ فلا يدل على نفيِ الحكم عمَّا عداه على الصحيح. انظر «الغيث الهامع» (ص١٣٠)، و«جمع الجوامع» (١/ ٢٠٣).

فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ......

كالمَلائكةِ وعيسى وعُزَير، ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ له إلى غيرِكُم.

﴿٥٧﴾ ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾هُم آلِهةً ﴿يَبْتَغُونَ﴾: يَطلُبُون ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾: القُربةَ بِالطَّاعة ﴿أَيُّهُمْ﴾ ـ بَدَل مِن واو ﴿يَبْتَغُونَ﴾ ـ أي: يَبتَغِيها الذي هو ﴿أَقْرَبُ﴾ إليهِ فكيف بِغَيرِه؟ ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ كغَيرِهِم، فكيف يَدعُونَهُم آلِهةً، ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (كالملائكة) أي: وكمَريم، فالكلام في خصوص العقلاء؛ بدليل قوله: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾.

قوله: (﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ﴾) أي: لا يَستطيعون إزالته؛ لعجزهم، وحينئذ فهؤلاء ليسوا بآلهة؛ لأنَّ الإله هو القادر الذي لا يُعجِزه شيءٌ، والجملةُ جوابٌ[1].

قوله: (﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾) هذا من تتمَّة ما قبله، واسم الإشارة: مبتدأ، وجملة ﴿يَبْتَغُونَ﴾ وما عطف عليه: خبر، و﴿ٱلَّذِينَ﴾: بدلٌ من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه، و﴿يَدْعُونَ﴾: صِلته، وقدَّر المفسِّر مفعوليه، والمعنى: أن العقلاء الذين زَعمتموهم آلهةً وعبدتموهم يطلبون من الله القُرب بسبب طاعتهم وخضوعهم وذلِّهم لربهم، ويرجون رحمته ويخافون عقابه، بل كلُّ مَنْ كان أقرب منهم في الدرجة فهو أشدُّ خضوعاً وخوفاً، ولا يَرضون بكونهم معبودِين من دون الله.

قوله: (بدل من واو ﴿يَبْتَغُونَ﴾) أي: و﴿أَقْرَبُ﴾ خبر مبتدأ محذوف، والجملة صلة؛ أي: كما أشار له المفسِّر بقوله: (يبتغيها الذي هو أقرَب).

قوله: (فكيف تدعونهم آلهة؟!) أي: مع كونهم راجِين خائفين محتاجين لربِّهم، والإله لا يكون كذلك.

قوله: (﴿كَانَ مَحْذُورًا﴾) أي: مخافاً منه، والمعنى: هو حقيقٌ بأن يخاف منه كلُّ أحدٍ.

---

(١) أي: على تقدير مبتدأ؛ لصحة دخول الفاء؛ لأنَّ الفعل المضارع الصالح لمباشرة الأداة.. لا يُقرن بالفاء، فاحتيج لجعلها جملةً اسميَّةً، والتقدير: إن دعوتمُوهم فهم لا يملكون، وفي (ط٢): (جواب الأمر).

وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ ....

﴿٥٨﴾ ﴿وَإِن﴾: ما ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ أُرِيد أهلُها ﴿إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ بِالموتِ، ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بِالقتلِ وغيرِه، ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ﴾: اللَّوحِ المَحفُوظ ﴿مَسْطُورًا﴾: مكتوباً.

﴿٥٩﴾ ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ﴾) أي: طائعة أو عاصية، وقوله: (﴿إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا﴾) أي: الطائعة، وقوله: (﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا﴾) أي: العاصية، والمعنى: أنَّ كلَّ أحدٍ يفنى قبل يوم القيامة، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦]، ولكن الفناء مختلف؛ فمنهم من يموت ميتةً حسنةً، ومنهم من يموت ميتةَ سوءٍ.

قوله: (بالموت) أي: فالهلاك قد يستعمل في الموت، قال تعالى: ﴿إِنِ امْرُؤٌا هَلَكَ﴾ [النساء: ١٧٦].

قوله: (﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾) أي: ما ذكر من الإهلاك والتعذيب.

قوله: (﴿مَسْطُورًا﴾) أي: فلا يغيَّر ولا يبدَّل.

قوله: (﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ﴾... إلخ) سبب نزول هذه الآية: أنهم قالُوا للنبي ﷺ: اقلب لنا الصفا ذهباً، وسيِّر لنا هذه الجبال عن مكة؛ لنَزرع مكانها، وأحيِ لنا آباءنا الموتى؛ فإن فعلتَ ذلك.. آمنَّا بك، فشرع النبي يسأل الله تعالى في ذلك، فنزلت هذه الآية[1].

والمعنى: ما كان السبب في تركنا إجابتهم عجزاً منا، بل السبب في ترك الإجابة غلبةُ رحمتنا بهم؛ فإنه قد جرَت عادتنا من أول الزمان إلى وقتك هذا أنَّ كلَّ أمَّةٍ طلبت من نبيِّها آيةً نأتيهم بها؛ فإذا كفروا.. استأصلناهم بالهلاك، وقد سبق في علمنا أنَّ أمَّتك تَبقى على وجه الأرض إلى يوم القيامة، ولو آتيناهم ما طلبُوه ولم يؤمنوا.. لاستأصلناهم بالهلاك فلم يتمَّ ما سبق في علمنا، فمنعُهُمْ مما طلبوه رحمة بأمتك جميعاً.

(١) انظر «زاد المسير» (٣/ ٣٣).

إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ....

التِي اقتَرَحَها أهلُ مكَّة ﴿إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ لمَّا أرسَلْناها فأهلَكناهم، ولو أرسَلْناها إلى هَؤلاء لَكذَّبُوا بِها واستَحقُّوا الإهلاكَ، وقد حَكَمنا بِإمهالِهم لِإتمامِ أمرِ مُحمَّد، ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ﴾ آيةً ﴿مُبْصِرَةً﴾: بَيِّنَةً واضِحَة، ﴿فَظَلَمُوا۟﴾: كفَرُوا ﴿بِهَا﴾ فأُهلِكُوا، ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ﴾: المُعجِزات ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ لِلعِبادِ فيُؤمِنُوا.

﴿٦٠﴾ ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿إِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾ عِلماً وقُدرَة فهُم في قَبضَتِه، فبَلِّغهُم ولا تَخَفْ أحداً فهو يَعصِمُكَ مِنهُم، ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ﴾ عِياناً ليلةَ الإسراءِ ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾: أهلِ مكَّةَ، إذ كذَّبُوا بِها وارتَدَّ بَعضُهم لَمَّا أخبَرَهُم بِها،

حاشية الصاوي

قوله: (التي اقترحوها) أي: كقلب الصفا ذهباً وغير ذلك مما يأتي في قوله: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا . . .﴾ [الإسراء: ٩٠] الآيات.

قوله: (﴿مُبْصِرَةً﴾) بكسر الصاد باتفاق السبعة[1]، وإسناد الإبصار لها مجازٌ؛ لأنها سببٌ في التبصُّر والاعتبار والاهتداء، وخصَّت معجزة صالح بالذكر هنا؛ لأنَّ المكذِّبين لها ديارُهُم المهلَكَةُ قريبةٌ منهم يُبصرونها في أسفارهم ذهاباً وإياباً.

قوله: (المعجزات) دفع بذلك ما يقال: إنَّ في الآية تعارضاً حيث نفى إرسال الآيات أوَّلاً وأثبته ثانياً، وحاصل الجواب أن يقال: إن المنفيَّ أوَّلاً الآيات المقترحة، والمثبت ثانياً المعجزات الغير المقترحة.

قوله: (﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ﴾) (إذ): ظرف متعلق بمحذوف قدَّره المفسِّر بقوله: (اذكر).

قوله: (فهو يعصمك منهم) أي: مِن قتلهم، لا من أذاهم؛ فإنه حاصلٌ.

قوله: (﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا﴾) المراد: الرؤية البصرية، واستعمالها بالألف قليلٌ، والكثير استعمال البصرية بالتاء، والحلميَّة بالألف، وإنما عبَّر عنها بالألف؛ لوقوعها بالليل ولِسُرعة تقضِّيها كأنها منامٌ.

(١) وقرأ علي بن الحسين وقتادة: «مبصَرة» بفتح الميم والصاد. انظر «الدر المصون» (٧/ ٣٢٢).

﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ ....

﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْءَانِ﴾ وهي الزَّقُّوم الَّتي تَنبتُ في أصلِ الجَحيم، جَعَلناها فِتنةً لَهُم إذ قالُوا: النَّار تُحرِقُ الشَّجَر فكيف تُنبِتُه؟ ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ بِها ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ تَخويفُنا ﴿إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾.

﴿٦١﴾ ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَالشَّجَرَةَ﴾) معطوف على ﴿الرُّءْيَا﴾.

قوله: (﴿الْمَلْعُونَةَ﴾) إسناد اللعن لها إما حقيقةٌ باعتبار أنها مُؤذية ومذمومة ومَطرودة عن رحمة الله؛ لأنها تخرج في أصل الجحيم، أو مجازٌ، والمراد: ملعون آكلوها.

قوله: (﴿فِي الْقُرْءَانِ﴾) الجارُّ والمجرور متعلق بمحذوف صفة لـ(الشَّجَرَة) أي: المذكورة في القرآن.

قوله: (وهي الزقوم) هي أخبث الشجر المرِّ، تنبت بتهامة، وتكون في أصل الجحيم طعامَ أهلِ النار.

قوله: (إذ قالوا: النار تحرق الشجر... إلخ) أي: فقَصدوا بذلك إنكارَ قدرةِ الله تعالى، وإثباتَ العجزِ له، والاستهزاءَ بقولِ الرسول، وهو غفلةٌ منهم عن قدرة الله، مُعتمدين على الأمر العادي مع أنه شوهد تخلُّفه في مثل النعامة؛ فإنها تبتلع الجمر والحديد المحمى بالنار ولا يُحرقها، وطير السمندل يتخذ من وبَره مناديل، فإذا اتسخت أُلقيت في النار فيزول وسَخها وتبقى بحالها[1].

قوله: (﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾) كرَّر قصة آدم مع إبليس في القرآن مراراً؛ لابتناء السعادة والشقاوة عليها، وإشارةً إلى أنَّ السعيد هو مَن تبع آدم، والشقي هو من تبع إبليس؛ ليحصل ما ترتب على ذلك من النعيم المقيم لأهل السعادة، والعذاب الأليم لأهل الشقاوة.

قوله: (﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾) أي: بعد أن قال لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ قال لهم: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، ثم علَّمه أسماء الأنبياء كلَّها، ثم عرَض الله

---

(١) السمندل: طائر ببلاد الهند يَبيض ويفرخ في النار، وهو بالخاصية لا تؤثر فيه النار، ويعمل من ريشه مناديل تحمل إلى بلاد الشام، ولا تؤثر النار فيها. انظر «حياة الحيوان» لِلدميري (٢/ ٤٦).

فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ

سُجُودَ تَحِيَّةٍ بِالانحناءِ، ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا﴾ - نُصِبَ بِنَزْعِ الخافِضِ - أي: مِن طِين.

﴿٦٢﴾ ﴿قَالَ أَرَءَيۡتَكَ﴾ أي: أخبِرْني ﴿هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ﴾: فضَّلتَ ﴿عَلَيَّ﴾ بالأمر بِالسُّجود لَه ....

حاشية الصاوي

على الملائكة المسمَّيات وأمر آدم أن يقول للملائكة: أنبئوني بأسماء هؤلاء، قالوا: لا عِلم لنا إلا ما علَّمتنا، قال الله له: يا آدم أنبئهم بأسمائهم، فلما أنبأهم بأسمائهم.. صار شيخاً لهم، فوجب تعظيمه واحتِرامه، فأُمروا بالسجود له؛ وفاءً ببعض حُقوقه عليهم.

قوله: (سجود تحية بالانحناء) دفع بذلك ما يقال: إنَّ السجود لغير الله كفرٌ والملائكة بَريئون منه، ويدفع أيضاً: بأنَّ السجود لآدم حقيقة بوضع الجبهة وآدم كالقبلة كالمصلين للكعبة، وأيضاً: محلُّ كون السجود لغير الله كفراً: ما لم يَكن الآمر به هو الله، وإلا.. فيَجب امتثاله، وقد تقدَّم ذلك[1].

قوله: (﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾) أي: الملائكة جميعاً.

قوله: (﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾) أي: امتنع من السجود قولاً وفعلاً.

قوله: (﴿قَالَ ءَأَسۡجُدُ﴾... إلخ) الاستفهام إنكاريٌّ، فهو بمعنى النفي.

قوله: (﴿قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ﴾) الهمزة للاستفهام، و(رأى): فعل ماض، والتاء: فاعل، والكاف: مُؤكدة لتاء الخطاب، واسم الإشارة: مفعول أول، و(الذي): بدل منه أو صفة له، و﴿كَرَّمۡتَ﴾: صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره: كرَّمته، والمفعول الثاني محذوف تقديره: لم كرَّمته عليَّ؟! ولم يُجبه الله عن هذا السؤال تحقيراً له حيث اعترض على مَولاه، وتكبَّر وحسَد عباد الله.

والإراءة هنا بمعنى: الإخبار؛ ففيه مجازٌ مرسلٌ، من باب: إطلاق السبب على المسبَّب؛ لأنَّ شأن مَنْ كان رائياً لشيء أن يُخبر به، وأطلق الاستفهام وأريد منه الطلب؛ ففيه مجاز على مجاز، وتقدَّم نظائر هذه الآية في (الأنعام)، وسيأتي في (القصص).

(١) انظر (١/١٢٧، و٢/٥٠٧-٥٠٨).

﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٢ قَالَ اذْهَبْ﴾ ....

و﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ﴾ [الأعراف: ١٢]، ﴿لَئِنْ﴾ - لام قسم - ﴿أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ﴾: لأَستأصِلَنَّ ﴿ذُرِّيَّتَهُ﴾ بالإغواءِ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ مِنهُم مِمَّن عصَمته.

۝٦٣ ﴿قَالَ﴾ تَعالى لَه: ﴿اذْهَبْ﴾ مُنظَراً إلى وقتِ النَّفخةِ الأُولى، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ﴾) أي: وهي أفضل العناصر الأربع.

قوله: (لام قسم[1]) أي: مقدَّر، تقديره: والله، وقوله: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾ جواب القسَم، والجملة مستأنفةٌ مُرتبة على محذوف، والتقدير: فطرَده الله، فطلب اللَّعين الإمهال للنفخة الثانية، فأجابه الله بخلاف ما طلَب، فقال: لئن أخَّرتني. . . إلخ.

والاحتناك في الأصل مأخوذٌ من: حنَك الدابة: إذا جعل الرسن في حَنكها، واحتنك الجراد الأرض: أكل ما عليها.

والياء في (أخرتني) ثابتةٌ لِبعض القراء وصلاً ووقفاً، ومحذوفة لبعضهم كذلك، وثابتة لِبَعضهم وصلاً، وحذفها وقفاً؛ فالقراءات ثلاث وكلُّها سبعيَّة هنا[2]، وأما التي تأتي في (المنافقون) فالياء ثابتة للكل؛ لثبوتها في الرسم[3].

قوله: (ممَّن عصمته) أي: عصمةً واجبةً كالأنبياء، أو جائزةً كالصلحاء.

قوله: (﴿قَالَ﴾ تعالى له: ﴿اذْهَبْ﴾) هذا تهديدٌ له، وليس الأمر في المواضع الخمسة على حقيقته، بل هو استدراج وتهديد؛ لأنه معصيةٌ والله لا يأمر بها، على حدِّ: «إذا لم تستَحِ. . فاصنع ما شئت».

قوله: (إلى وقت النفخة الأولى) هذا جوابٌ له على خلاف ما طلب؛ فإنه طلب الإنظار إلى النَّفخة الثانية؛ ليفرَّ من الموت فإنه يَعلم أن لا موت بعد النفخة الثانية.

---

(١) أي: موطئة له، وهي الداخلة على أداة شرط، وأكثر ما تَدخل كما قال المصنف على (إن) الشرطية. انظر «مغني اللبيب» (ص٣١٠).

(٢) قرأ ابن كثير بإثبات ياء المتكلم وصلاً ووقفاً، ونافع وأبو عمرو بإثباتها وصلاً وحذفها وقفاً، والباقون بِحذفها وصلاً ووقفاً. انظر «الدر المصون» (٧/ ٣٧٩).

(٣) في قوله عزَّ شأنه: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾.

فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ....

﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ﴾ أنتَ وهُم ﴿جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾: وافِراً كامِلاً.

﴿٦٤﴾ ﴿وَٱسْتَفْزِزْ﴾: استَخِفَّ ﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾: بِدُعائِك بالغِناءِ والمَزامِير وكُلِّ داعٍ إلى المَعصِيةِ، ﴿وَأَجْلِبْ﴾: صِحْ ﴿عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ وهُم الرُّكَّاب والمُشاةُ في المَعاصِي، ﴿وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ المُحَرَّمةِ كالرِّبا والغَصبِ، ﴿وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ مِن الزِّنَى، ﴿وَعِدْهُمْ﴾ بِأنْ لا بَعثَ ولا جَزاءَ، ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ بِذلك ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾: باطِلاً.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿جَزَآؤُكُمْ﴾) غلَّب المخاطب؛ لأنه سبب في الإغواء.

قوله: (﴿جَزَآءً﴾) منصوب بالمصدر قبلَه.

قوله: (وافراً) أشار بذلك إلى أنَّ اسم المفعول بمعنى اسم الفاعل.

قوله: (بالغناء) بكسر الغين والمد، وهو: تطريب الصوت بما يهيِّج الشهوات المحرَّمة.

قوله: (وكلِّ داعٍ إلى المعصية) كالكلام مع الأجنبيَّة ونحوه.

قوله: (﴿بِخَيْلِكَ﴾) الباء للملابسة، والمعنى: صِحْ عليهم حال كونك مُلتبساً بجنودك الركاب والمشاة، فالمراد بالخيل: ركابها؛ وذلك كقُطاع الطريق الذين يركبون الخيل ويأخذون الأموال ويقتلون النفوس.

قوله: (﴿وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ﴾) أي: بحملهم على كسبِها وجمعها من الحرام، والتصرف فيها فيما لا ينبغي.

قوله: (من الزنا) أي: ومِثله: ما لو طلَّق الرجل امرأته ثلاثاً وأتى منها بأولاد.. فإن الشيطان شريكه فيهم.

قوله: (﴿وَعِدْهُمْ﴾) أي: احملهم على اعتقاد عدم البعث والجزاء.

إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ....

﴿٦٥﴾ ﴿إِنَّ عِبَادِى﴾ المُؤمِنِينَ ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾: تَسَلُّطٌ وقُوَّة، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾: حافِظاً لهم مِنك.

﴿٦٦﴾ ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى﴾: يُجرِي ﴿لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾: السُّفُنَ ﴿فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟﴾: تَطلُبُوا ﴿مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ تعالى بِالتِّجارةِ؛ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّ عِبَادِى﴾) الإضافة للتشريف.

قوله: (﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾) أي: بل هم محفوظون منك.

قوله: (﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾) أي: إنَّ الشيطان وإن كان قادراً على الوَسوسة بإقدار الله له.. فالله أرحم بِعباده، فهو يدفع عنهم كيده وشرَّه، فالمعصوم: مَن عصمه الله، وليس للعبد قدرةٌ على دفع الوساوس عنه.

فائدة: ذكر اليافعي عن الشاذلي: أن مما يُعين على دفع وسوسة الشيطان: أنك عند وسوسته لك تضع يدك اليمنى على جانب صدرِك الأيسر بحذاء القلب وتقول: (سبحان الملك القدُّوس الخلَّاق الفعَّال) سبعَ مرات، ثم تقرأ قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾[إبراهيم: ١٩-٢٠].

قوله: (﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾) لما أخبر الله سبحانه وتعالى أن الشيطان مُسلَّط على بني آدم إلَّا مَن عصَمه منهم وحفظه.. بيَّن أوصاف الحافظ للخلق من تسلُّط الشيطان، كأنه قال: ربكم الحافظُ لكم هو الذي يُزجي.

والإزجاء: الإجراء، يقال: زَجاه وأزجاه بمعنى: أجراه، والفلك: السفينة يستعمل مفرداً وجمعاً، ووزن المفرد: (قُفْل) والجمعِ: (بُدْن)، ويذكَّر باعتبار المَركب، ويؤنَّث باعتبار السفينة.

قوله: (السفن) يشير إلى أن ﴿ٱلْفُلْكَ﴾ مستعملٌ في الجمع.

قوله: (﴿فِى ٱلْبَحْرِ﴾) أي: عذباً ومِلْحاً.

قوله: (﴿لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾) أي: الوصول إلى المقاصد، دنيويَّة وأخرويَّة؛ فبالسُّفن يتوصل إلى التجارات والمكاسب، ولِلحج وزيارة الصالحين.

إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ ....

﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ في تَسخِيرِها لَكم.

﴿٦٧﴾ ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ﴾: الشِّدَّة ﴿فِى ٱلْبَحْرِ﴾ خَوفَ الغَرَق ﴿ضَلَّ﴾: غابَ عَنكُم ﴿مَن تَدْعُونَ﴾: تَعبُدُون مِن الآلِهَة فلا تَدعُونَه، ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ تَعالى؛ فإنَّكُم تَدعُونَهُ وحدَه لأنَّكم في شِدَّة لا يَكشِفُها إلَّا هو، ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ﴾ مِن الغَرَق وأوصَلَكُم ﴿إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ عن التَّوحِيد، ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾: جَحُوداً لِلنِّعَم.

﴿٦٨﴾ ﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾) تعليل ثان لقوله: ﴿يُزْجِى﴾.

قوله: (الشدة) أي: من أجل هُبوب الريح.

قوله: (خوف الغرق) أي: مِن أجل خوفه.

قوله: (﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ﴾) أي: ذَهب عن قلوبكم وخواطركم كلُّ معبود سواه؛ فلا تدعُون غير الله لكشفه.

قوله: (﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾) يحتمل أن يكون الاستثناء متصلاً بحمل قوله: ﴿مَن تَدْعُونَ﴾ على جميع المعبودات بحقٍّ أو بباطل، ويحتمل أن يكون منقطعاً بحمله على المعبود بباطل، وتكون على هذا (إلا) بمعنى (لكن).

قوله: (من الغرق) الجارُّ والمجرور متعلق بـ﴿نَجَّىٰكُمْ﴾، وقوله: ﴿إِلَى ٱلْبَرِّ﴾ متعلق بمحذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (وأوصلكم).

قوله: (أعرضتم عن التوحيد) أي: تركتمُوه؛ فالكافر يرجع لِعبادة الأصنام، والعاصي يرجع لغفَلاته وشهواته بعد أن كان الجميع آيِبين، متوجِّهين إلى الله، خائفين منه.

قوله: (﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾) كالتعليل لِقوله: ﴿أَعْرَضْتُمْ﴾.

قوله: (﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾) الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أنجَوتم من الغرق فأَمِنتم... إلخ؟ والاستفهام للتوبيخ.

أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ......

﴿أَن نَّخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾ أي: الأرضِ كقارُون، ﴿أَوْ نُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أي: يَرمِيكُم بالحَصباءِ كقَومِ لُوط، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا﴾: حافِظاً منه.

﴿٦٩﴾ ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن نُّعِيدَكُمْ فِيهِ﴾ أي: البَحرِ ﴿تَارَةً﴾: مرَّةً ﴿أُخْرَىٰ فَنُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾ أي: رِيحاً شَدِيدةً لا تَمُرُّ بِشيءٍ إلَّا قَصَفَتْهُ فتَكسِرُ فُلكَكُم، ﴿فَنُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾: بِكُفرِكم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَن نَّخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾) أي: نُخفيكم في باطن الأرض، والمعنى: أنتم وإن أمنتُم من الغرق في البحر لا تأمنون من الخسف في البر. والأفعال الخمسة تُقرأ بالنون والياء، سبعيَّتان[1].

قوله: (كقارون) أي: فقد وَقع به الخسف، قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١].

قوله: (أي: نرميكم بالحصباء) أي: بِسبب ريح تأتيكم.

قوله: (كقوم لوط) أي: فقد نزلت عليهم حجارة من السماء أهلكتهم.

قوله: (حافظاً منه) أي: مما ذُكِرَ من الخسف وإرسال الحصباء.

قوله: (﴿تَارَةً﴾) مصدر، وتجمع على: تِيَرَةٌ، وتارات[2].

قوله: (إلَّا قصفته) أي: كَسَرتْهُ.

قوله: (﴿فنُغرِقَكُم﴾) مرتَّبٌ على محذوف، قدَّره المفسر بقوله: (فتكسر فُلْكَكُم).

قوله: (بكفركم) أي: بِسببه، وأشار بذلك إلى أن (ما) مصدرية، ويصح أن تكون اسم موصول؛ أي: بِسَبب الذي كفرتم به.

---

(١) قرأ هذه الأفعال بنون العَظمة ابن كثير وأبو عمرو، والباقون بالياء فيها على الغيبة. انظر «الدر المصون» (٧/ ٣٨٥).

(٢) وقد صوَّب القاضي عِياض في «مشارق الأنوار» (١/ ١٢٥): أن جمعها: تِيَرٌ، وهو الذي ذكره أصحاب المعاجم. انظر «تاج العروس»، مادة: (تور)، و«تهذيب اللغة» (١٤/ ٢٢١).

ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ....

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا﴾: ناصِراً وتابِعاً يُطالِبُنا بِما فعَلنا بِكُم.

﴿٧٠﴾ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا﴾: فَضَّلنا ﴿بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ بِالعِلم والنُّطقِ واعتِدال الخَلقِ وغَيرِ ذلك، ومِنهُ طَهارَتُهم بَعد المَوت، ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ﴾ علَى الدَّوابِّ ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ على السُّفُن، ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا﴾ كالبَهائِم والوُحُوش ﴿تَفْضِيلًا﴾، فـ(مَن) بِمَعنَى (ما)، ....

حاشية الصاوي

قوله: (نصيراً) أي: ناصراً لكم علينا، فيحفظكم ويمنع عنكم ما فَعلناه بكم.

قوله: (أو تابعاً يطالبنا... إلخ) تفسير ثانٍ لـ﴿تَبِيعًا﴾، والمعنى عليه: لا تَجدوا لكم طالباً يأخذ ثأركم منّا.

قوله: (﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾) أي: شرَّفناهم على جميع المخلوقات بأُمور جليلة عظيمة:

منها: أنهم يأكلون بأيدِيهم لا بأفواههم.

ومنها: كونهم مُعتدلي القامة على شكل حَسَن وصورة جميلة.

ومنها: أنَّ الله خَلق لهم ما في الأرض جميعاً.

ومنها: إخدام الملائكة الكِرام لهم حتى جعل منهم حفظةً وكتبةً لهم... وغير ذلك.

قوله: (بالعلم) أي: والعقل.

قوله: (ومنه: طهارتهم بعد الموت) أي: فذوات بني آدم طاهِرة بعد الموت، ونجاسة الكفار منهم معنوية كخُبث باطنهم، وعليه يحمل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨].

قوله: (على الدواب) أي: الإبل والخيل والبغال والحمير.

قوله: (﴿مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾) أي: المستلذات كاللَّحم والسَّمن واللَّبن والحبوب والفواكه في جميع الأزمان.

قوله: (﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ﴾) أي: ميَّزناهم بفضائلَ ليست في كثير من غيرهم.

قوله: (فـ«مَنْ» بمعنى «ما») أي: فهي مُستعملة في العقلاء، ويكون المراد بالكثير: جميع ما سِواهم من غير الملائكة.

يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْۖ ....

أو على بابِها وتَشمَل المَلائكةَ، والمُرادُ تَفضِيل الجِنس، ولا يَلزَم تَفضِيلُ أفرادِه إذ هُم أفضَلُ مِن البَشَر غيرِ الأنبياءِ.

﴿٧١﴾ اذكُر ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْۖ﴾: نَبِيِّهم فيُقالُ: يا أُمَّةَ فُلان، أو بِكِتابِ أعمالهم ....

حاشية الصاوي

قوله: (أو على بابها) أي: فهي مُستعملة في العقلاء، وغُلِّبوا على غيرهم.

قوله: (والمراد: تفضيل الجنس) أي: فجنس الإنسان أفضلُ من جنس الملائكة، وهذا جوابٌ عمَّا يقال: لا نسلِّم أن جميع البشر أفضَل من جميع الملائكة، فأجاب: بأن التفضيل بالجنس؛ فلا يُنافي أن رؤساء الملائكة أفضَل من عامَّة البشر.

قوله: (إذ هم) أي: الملائكة.

قوله: (أفضل من البشر) ظاهره: مُطلقاً، وهو خلاف التحقيق، والتحقيقُ الذي عليه الأشاعرة: أن خواصَّ البشر كالأنبياء والرسل أفضَلُ من خواصِّ الملائكة وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، وعوامَّ البشر وهُم الصلحاء أفضلُ من عوامِّ الملائكة وهم ما عدَا الرؤساء الأربعة[1].

قوله: (﴿يَوْمَ نَدْعُواْ﴾) ﴿يَوْمَ﴾: معمول لمحذوف، قدَّره المفسر بقوله: (اذكر)، والمعنى: اذكُر يا محمد هذا اليوم وهولَهُ لأمَّتك؛ ليكون داعياً إلى الاتعاظ والخوفِ، فيَحملهم على الاستعداد.

قوله: (﴿كُلَّ أُنَاسٍ﴾) وزنه: (فُعَال)، ويجوز حذف همزته فيقال: ناس، فيَصير وزنه: (عال).

قوله: (نبيِّهم) أي: لما روي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: **«فيُنَادى يوم القيامة: يا أُمة إبراهيم، يا أمة موسى، يا أمة عيسى، يا أُمة محمد ﷺ، فيقوم أهل الحق الذين اتَّبعوا الأنبياء فيَأخذون كتبهم بأيمانهم، ثم يُنادى الأتباع: يا أتباع نمروذ، يا أتباع فرعون، يا أتباع فلان وفلان من رُؤساء الضلال وأكابر الكفر، فيَأخذون كُتبهم بشمائلهم ومِن وراء ظهورهم»**[2].

قوله: (أو بكتاب أعمالهم) أي: لقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ [يس: ١٢]،

---

(١) انظر «شرح المصنف على الجوهرة» (ص٢٩٧)، و«تُحفة المريد» (ص٢١٨)، وما ذكر من التَّفصيل هو طريقة الماتريدية وهي الراجحة.

(٢) كذا أورَده الخطيب في «السراج المنير» (٢/ ٣٢٣).

فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ ....

فيُقالُ: يا صاحِبَ الخيرِ، يا صاحبَ الشَّرِّ، وهو يومُ القِيامة، ﴿فَمَنْ أُوتِيَ﴾ مِنهُم ﴿كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ وهُم السُّعَداء أُولو البَصائرِ في الدُّنيا، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ﴾: يُنقَصُونَ مِن أعمالِهم ....

حاشية الصاوي

وما ذكره المفسِّر قَولان في تفسير (الإمام)، وبقي أقوال أُخر، قيل: المراد به الكتاب الذي أنزل عليهم؛ فينادى في القيامة: يا أهل التوراة، يا أهلَ الإنجيل، يا أهل القرآن؛ ماذا عَملتم في كتابكم؟ هل امتَثلتم أوامره؟ هل اجتَنبتم نواهِيَه؟

وقيل: المراد به المذهب الذي كانوا يعبدون الله عليه؛ فيقال: يا حَنَفي، يا شافعي، يا معتزلي، يا قدري... ونحو ذلك.

وقيل: المراد به عمل البر الذي اشتَهر به في الدنيا؛ فينادى أهل الصدقات وأهل الجهاد وأهل الصيام وغير ذلك.

وقيل: المراد به الأمهات؛ لأن الإمام جمع (أُمّ) كـ(خِفاف) جمع (خُفّ)؛ فينادى الخلق بأمَّهاتهم فيقال: يا ابن فلانة؛ ستراً على وَلد الزنا، ورعاية حقِّ عيسى، وإظهار شرف الحسَن والحسين، وردَّ هذا القول الزمخشري وقال: (إنه مِن بدع المفسِّرين)[1].

قوله: (فيقال: يا صاحب الخير) هو على حذف مضاف؛ أي: صاحب كتاب الخير.

قوله: (وهو يوم القيامة) وله أسماءٌ كثيرةٌ منها: الساعة، والحاقَّة، والقارعة، والواقعة، ويوم الدين، ويوم الجزاء، ويوم الحشر... وغير ذلك.

قوله: (﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ﴾) (مَنْ): إما شرطيَّة، أو مَوصولة ودخلت الفاء في خبرها؛ لشبهها بالشرط.

قوله: (﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ﴾) أي: وإن لم يَكونوا قارئين في الدنيا، وحين يقرؤون

---

(١) سياق عبارته: (ومن بِدَع التفاسير: أن الإمام جمع أم، وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم، وأن الحكمة في الدعاء بالأمهات دون الاباء رعايةُ حقِّ عيسى عليه السلام، وإظهارُ شرف الحسن والحُسين، وأن لا يفتضح أولاد الزنا)، وهي أوضح من سياق عبارة المصنف، أو تصحح عبارة المصنف: (رعايةً لحق عيسى، وإظهاراً لشرف الحسن والحسين)، وانظر «الكشاف» (٢/ ٦٣٧).

فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ ....

﴿فَتِيلًا﴾: قَدرَ قِشرَةِ النَّواة.

﴿٧٢﴾ ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ﴾ أي: الدُّنيا ﴿أَعۡمَىٰ﴾ عن الحقِّ ﴿فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ﴾ عن طَرِيق النَّجاة وقِراءةِ القُرآنِ، ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾: أبعَد طَرِيقاً عَنه.

﴿٧٣﴾ ونَزل في ثَقِيف وقد سَألُوهُ ﷺ أن يُحَرِّمَ وادِيَهُم وألَحُّوا عليه: ....

حاشية الصاوي

كتابهم يُظهرونه لأهل الموقف، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ...﴾ [الحاقة: ١٩] إلخ.

قوله: (قدر قشرة النواة) الصواب أن يقول: قَدر الخيط الذي في قلب النواة، وأمَّا القشرة التي ذكرها فهي القطمير، وأما النَّقير فهو الذي في النقرة التي في ظَهرها، والثلاثة مذكورةٌ في القرآن.

قوله: (﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ﴾) أي: وهو الذي يُعْطَى كتابه بشماله؛ فيسودُّ وجهه حينئذٍ ويحصل له الندم، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ...﴾ [الحاقة: ٢٥] إلخ.

قوله: (﴿أَعۡمَىٰ﴾ عن الحق) أي: فالمراد: عمى القلب لا يُبصر رشده.

قوله: (وقراءة الكتاب) أي: قراءة مَسرَّةٍ، وإلَّا.. فهو يَقرؤه قراءةً يحصل له بها الندم والحسرة والحزن.

قوله: (﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾) أي: لأنهم حينئذ لا يَنفعهم الإيمان.

قوله: (عنه) أي: عن طريق النجاة.

قوله: (ونزل في ثقيف) أي: وهم قَبيلة يسكنون الطائف، وحاصله: أنهم قالُوا للنبي ﷺ: لا ندخل في أمرك حتى تُعطينا خصالاً نفتخر بها على العرب؛ لا نعشر، ولا نحشر، ولا نُجَبِّي في صلاتنا ـ فالمراد بقولهم: «لا نعشر»: لا نعطي العشر من الزكاة، وبقولهم: «لا نحشر»: لا نؤمر بالجهاد، وبقولهم: «لا نُجَبِّي» بضمِّ النون وفتح الجيم، وتشديد الباء الموحدة المكسورة: لا نركع ولا نَسجُد في صلاتنا، والمراد: لا نُصلي ـ وكلُّ رِباً لنا فهو لنا، وكلُّ رِباً علينا فهو موضوعٌ عنا، وأن تُمتِّعنا باللَّات سنة حتى نأخُذَ ما يُهدى لها، فإذا أخذناه.. كسَرناها وأسلمنا، وأن تحرِّم وادينا كما حرَّمت مكة؛ فإن قالت العرب: لِمَ فعلتَ ذلك؟ فقُل: إن الله أمرني، فسكت النبي ﷺ، وطمع القوم في سُكوته أن يعطيهم ذلك، فأنزل الله: ﴿وَإِن كَادُواْ﴾... إلخ[1].

(١) انظر «زاد المسير» (٣/ ٤٣).

وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ....

﴿وَإِن﴾ ـ مُخفَّفة ـ ﴿كَادُوا۟﴾ : قارَبُوا ﴿لَيَفْتِنُونَكَ﴾ : لَيستنزِلُونك ﴿عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا﴾ لو فعَلتَ ذلك ﴿لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ .

﴿٧٤﴾ ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾ على الحَقِّ بِالعِصمةِ ﴿لَقَدْ كِدتَّ﴾ : قارَبتَ ﴿تَرْكَنُ﴾ : تَمِيلُ ﴿إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا﴾ : رُكُوناً ﴿قَلِيلًا﴾ لِشِدَّةِ احتِيالِهم وإلحاحِهم، وهو صَرِيحٌ في أنَّه ﷺ لَم يَركَن ولا قارَبَ.

﴿٧٥﴾ ﴿إِذًا﴾ لو ركَنتَ ﴿لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ﴾ عذابِ ﴿ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ﴾ عذابِ ﴿ٱلْمَمَاتِ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (مخففة) أي: واسمها ضمير الشأن.

قوله: (يستنزلونك) أي: يطلبون نُزولك عن الحكم الذي أوحيناه إليك من الأوامر والنواهي.

قوله: (﴿لِتَفْتَرِىَ﴾) أي: تختلقَ وتكذب.

قوله: (﴿غَيْرَهُۥ﴾) أي: غير ما أَوحينا إليك.

قوله: (﴿وَإِذًا﴾) هي حرف جواب وجزاء، تقدَّر بـ(لو) الشرطية كما قال المفسِّر.

قوله: (﴿لَّٱتَّخَذُوكَ﴾) جواب قسم محذوف، تقديره: والله لاتَّخذوك، وهو مُستقبل في المعنى؛ لاقتضاء المجازاة الاستقبال.

قوله: (وهو صريح) أي: قوله: ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾.

قوله: (لم يركن) أي: بالطريق الأولى، وقوله: (ولا قارَبَ) أي: بمنطوق التركيب، والمعنى: امتنع قُربك من الركون؛ لوجود تَثبيتنا إيَّاك، وإذا امتنع القرب من الركون.. فامتناع الركون أَولى.

قوله: (لو ركنت) المناسب أن يقول: لو قارَبت الركون؛ لأنَّ جواب (لولا) هو المقاربة، ولأنَّ حسنات الأبرار سيئات المقربين؛ فإنَّ المقاربة من فعل القبيح لا عذاب عليها عموماً، والكاملون يُشدَّد عليهم على قدر مَقامهم، قال العارف: [الكامل]

وإذا مُنِحْتَ القُرْبَ فَاعْرِفْ قَدْرَهُ ... إِنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ شَحِيحُ

ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ ....

أي: مِثْلَي ما يُعَذَّبُ بِه غَيرُك في الدنيا والآخرةِ، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾: مانِعاً مِنهُ.

﴿٧٦﴾ ونَزل لَمَّا قال لَه اليَهُودُ: إن كُنتَ نَبِيًّا فالْحَق بِالشَّامِ فإنَّها أرضُ الأنبياء: ﴿وَإِن﴾ - مُخفَّفة - ﴿كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾: أرضِ المَدينة ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا﴾ لَو أخرَجُوك ﴿لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ﴾ فِيها ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: مِثْلَي ما يعذَّب غيرك) أي: من جميع الخلق، والمعنى: لو قارَبت الركون.. لأنزلنا عليك عذاباً في الدنيا والآخرة مثل عذاب الخَلق مرَّتين.

قوله: (مانعاً منه) أي: من العذاب المضاعف.

قوله: (لمَّا قال له اليهود... إلخ) وذلك أن النبي ﷺ لمَّا قدم المدينة.. كره اليهود مُقامَه فيها حسداً، فأتَوه فقالوا له: يا أبا القاسم؛ لقد علمت ما هذه بأرض الأنبياء؛ فإنَّ أرض الأنبياء الشام، وهي الأرض المقدسة، وكان بها إبراهيم والأنبياء؛ فإن كنت نبيًّا.. فأتِ الشام، وإنما يمنعك من الخروج إليها مخافة الروم، وإنَّ الله سيَمنعك من الروم إن كنتَ رسوله، فسار النبي بجيشه على ثلاثة أميال من المدينة، وفي رواية: إلى ذي الحليفة حتى يجتمعَ إليه أصحابه، ويأتي الإذن من الله فيَخرج، فنزلت هذه الآية، وسلَّطه الله عليهم، فرجع فقَتل منهم بني قريظة، وأجلى بني النضير بعد زمن قليل. وهذا مبنيٌّ على أن الآية مدنيَّة، وأمَّا على أن الآية مكيَّة.. فالمراد بالأرض: أرضُ العرب، والمعنى: همَّ المشركون أن يخرجوه منها، فمَنَعهم الله عنه ولم ينالُوا منه ما أمَّلوه[١].

قوله: (﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾) أي: يُزعجونك بمكرهم وعداوتهم.

قوله: (﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ﴾) العامَّة على ثُبوت النون ورفع الفعل؛ لِعطفه على قوله: ﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾، وقرئ شذوذاً بحذف النون، وخرِّجت على أنه منصوب بـ(إذن)[٢].

قوله: (﴿خِلَٰفَكَ﴾) وفي قراءة: ﴿خِلَافَكَ﴾، وهما سبعيَّتان، والمعنى واحد[٣].

---

(١) انظر «تفسير الخازن» (٣/ ١٣٩).

(٢) هي قراءة أبيٍّ، وكذا هي في مُصحف عبد الله بن مسعود. انظر «الدر المصون» (٧/ ٣٩٤).

(٣) قرأ الأخوان وابن عامر وحفص: (خِلافك) بكسر الخاء وألف بعد اللام، والباقون بفتح الخاء وسكون اللام. انظر «الدر المصون» (٧/ ٣٩٤).

إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ ....

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ثُمَّ يُهلكون.

﴿٧٧﴾ ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ أي: كسُنَّتِنا فِيهم مِن إهلاكِ مَن أخرَجَهُم، ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾: تبديلاً.

﴿٧٨﴾ ﴿أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ أي: مِن وقت زَوالها ﴿إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ﴾: إقبالِ ظُلمَته أي: الظُّهر والعَصر والمَغرِب والعِشاء، ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾) صفة لمصدر، أو لزمان محذوف؛ أي: إلا لبثاً، أو زماناً قليلاً.

قوله: (﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا﴾) ﴿سُنَّةَ﴾: منصوب بنزع الخافض كما أشار له المفسِّر بقوله: (أي: كسُنَّتِنا) والمعنى: نفعل باليهود من إهلاكهم لو أخرجوك كسنَّتنا فيمَن قد مضى من الرسل؛ حيث نهلك مَنْ أخرجهم، وهذا على أنَّ الآية مدنيَّة، وعلى أنها مكيَّة فالمعنى: نَفعل بأهل مكة الذين عَزموا على إخراجك كما فعَلنا بمن مضى قبلهم، وقد قطَع الله دابرَهم بسَيفه ﷺ في بدر وغيرها.

قوله: (﴿أَقِمِ الصَّلَوٰةَ﴾) أي: دُمْ على أداء الصلاة التي فرَضها الله عليك، وهي الصلوات الخمس بشروطها وأركانها وآدابها.

قوله: (﴿لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾) مادَّة الدلوك تدل على التحوُّل والانتقال، ومنه: الدلَّاك؛ لعدم استِقرار يده، وفي الزوال: انتِقال الشمس من وسَط السماء إلى ما يَليه، ويُستعمل في الغروب أيضاً.

قوله: (أي: من وقت زوالها) أشار بذلك إلى أن اللام بمعنى (مِن) الابتدائية، والكلام على حذف مُضاف، والدلوك بمعنى: الزوال، ويصح أن تكون بمعنى (بعد)، والأسهل ما قاله المفسِّر.

قوله: (﴿إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ﴾) الجارُّ والمجرور متعلق بمحذوف حال من فاعِل ﴿أَقِمِ﴾، والتقدير: أقِم الصلاة مبتدئاً من دلوك الشمس منتهياً إلى غسَق الليل.

قوله: (﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ﴾) بالنصب عطف على ﴿الصَّلَوٰةَ﴾[1].

---

(١) ويحتمل أنه منصوب على الإغراء؛ أي: وعليك قرآنَ الفجر، كذا قدَّره الأخفش وتبعه أبو البقاء، وأصول البصريين تأبى هذا؛ لأن أسماء الأفعال لا تَعمل مُضمرة، ويحتمل أنه منصوب بإضمار فعل؛ أي: كثِّر قرآن، أو الزم قرآن الفجر. انظر «الدر المصون» (٧/ ٣٩٨).

﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ ....

صَلاةَ الصُّبح، ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾: تَشهَدُهُ مَلائكةُ اللَّيل وملائكةُ النَّهار.

﴿٧٩﴾ ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ﴾: فصَلِّ ﴿بِهِۦ﴾: بِالقُرآنِ ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾: فَرِيضةً زائِدةً لَك دُون أُمَّتِك، أو فَضِيلةً على الصَّلَوات المَفرُوضَة، ....

حاشية الصاوي

قوله: (صلاة الصبح) أي: وسمِّيت قرآناً؛ لأنه أحدُ أركانها، فسمِّيت باسم بعضها.

قوله: (تشهده ملائكة الليل... إلخ) أي: تُحضره الملائكة الحفَظة؛ لما في الحديث: «**إن لله ملائكة يَتعاقبون فيكم؛ ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، فيَجتمعون عند صلاة الصبح وعند صلاة العصر، فيَصعد الذين باتوا فيكم، فيسألهم الله ـ وهو أعلم بهم ـ فيقول: ماذا تركتم عبادي؟ فيَقولون: تركناهم وهم يُصلُّون، وأتيناهم وهم يُصَلُّون**»[١]، وأخذ مالك من الآية: أنَّ الصلاة الوسطى هي الصبح[٢].

قوله: (﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ﴾) الجارُّ والمجرور متعلق بـ(تَهَجَّد)، و(مِنْ) بمعنى: بعض، والتهجد في الأصل: من الهجود، وهو النوم بالليل، ثم استُعمل في الصلاة بالليل بعد الانتباه من النوم، فهو من تسمية الأضداد، يُستعمل في النوم وضدِّه، والمعنى: انتَبه من نومك وصلِّ في جوف الليل والنَّاس نِيام.

قوله: (بالقرآن) أي: فالضمير عائد على القرآن بالمعنى المتقدِّم؛ ففيه استِخدام[٣].

قوله: (فريضة زائدة لك) هذا مبنيٌّ على أن قيام الليل كان واجباً عليه دون أمَّته، وحينئذٍ فيكون معنى النافلة: الزيادة اللُّغوية.

قوله: (أو فضيلة) تفسيرٌ ثانٍ، وهو مبنيٌّ على أنه في حقِّه مندوب؛ فالنافلة على بابها.

---

(١) رواه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ورد في «الموطأ» (١/ ١٣٩) عن مالك أنه بلَغه أنَّ علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس كانا يَقولان: «الصلاة الوسطى صلاة الصبح»، قال مالك: «وقول علي وابن عباس أحبُّ ما سمعت إلي في ذلك».

(٣) الاستخدام: أن يراد بلفظ له مَعنيان أحدهما، ثمَّ بالآخر الآخر، أو يُراد بأحد ضميرين أحدهما، ثم بالآخر الآخر، و(قرآن الفجر) ذكر أولاً بمعنى صلاة الصبح، وأُعيد عليه الضمير بمعنى القرآن المشهور. انظر «الفتوحات الإلهية» (٢/ ٦٧٤).

عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ ....

﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ﴾: يُقِيمَك ﴿رَبُّكَ﴾ في الآخِرةِ ﴿مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ يَحمَدُك فِيه الأوَّلُونَ والآخِرُونَ، وهو مَقامُ الشَّفاعةِ في فصلِ القَضاء.

حاشية الصاوي

إن قلتَ: على هذا التفسير لا خصوصية للنبي ﷺ بذلك، بل هو مندوبٌ لأمَّته كذلك.

أُجيب: بأنها له عُلوُّ درجات وشكرٌ لله على نعمائه؛ لما في الحديث: «كان يقوم الليل حتى تورَّمت قدماه» فقالت له عائشة: أتفعل ذلك وقد غفَر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر؟! فقال: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟»[1]، ولغيره تكفيرٌ لذنوبه وخطَراته، وتهجُّده ﷺ لم يَزِد في رمضان ولا في غيره على ثلاث عشرة ركعة؛ اثنتان خَفيفتان، وما بقي طوال.

قوله: (﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ﴾... إلخ) (عسى): في كلام الله للتحقيق؛ لأنه وعد كريم، وهو لا يتخلَّف.

قوله: (﴿مَقَامٗا﴾) منصوب بـ﴿يَبۡعَثَكَ﴾؛ لأنه مُضمَّن معنى (يُقيمك)، وإليه يشير المفسِّر بقوله: (يقيمك في الآخرة مقاماً).

قوله: (وهو مقام الشفاعة في فصل القضاء) أي: حين يجمع الله الناس في صعيد واحد، وتدنو الشمس حتى يكونَ بينها وبين رؤوس الخلائق قدر المِروَد، وتحيط بهم النار، والملائكة تُحدق بهم سبع صفوف حتى يكون على القدم ألف قدَم، أو مئة ألف قدم على قدم، فيَشتد الكرب على الخلائق، فيذهبون إلى آدم، فيسألون الشفاعة، فيقول: إني أكلتُ من الشجرة، ولكن ائتُوا نوحاً، فيأتونه فيسألونه الشفاعة، فيقول: إني دعوتُ على قومي، ولكن ائتوا إبراهيم، فيأتونه، فيقول: إني كذبت ثلاثَ كذبات، ولكن ائتوا موسى، فيأتُونه، فيقول: إني قتلتُ نفساً، ولكن ائتوا عيسى، فيَأتونه، فيقول: إن قومي عبدوني من دون الله، ولكن ائتُوا محمداً ﷺ، فيأتونه فيقول: أنا لها، أنا لها، فيستأذن الله، فيُؤذَن له، ثم يخرُّ ساجداً ويثني على الله بثناءٍ عظيم، فيقال له: ارفع رأسك، وقُل تَسمع، واشفع تشفع، وسَل تُعطَ، فيرفع رأسه، فحينئذ يَنفَضُّ الموقف، ويدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يَشفع ثانياً، فيخرج من النار من كان في قلبه مِثقال ذرة

(١) رواه البخاري (٦٤٧١)، ومُسلم (٧٢٢٦) عن سيدنا المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾

﴿٨٠﴾ ونَزل لَما أُمِر بِالهجرة: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي﴾ المَدِينةَ ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾: إدخالاً مَرضِيًّا لا أرَى فِيه ما أكرَهُ، ﴿وَأَخْرِجْنِي﴾ مِن مكَّةَ ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾: إخراجاً لا ألتفِتُ بِقَلبِي إلَيها، ﴿وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾: قُوَّةً تَنصُرني بِها على أعدائِك.

حاشية الصاوي

من إيمان[١]، وفي الحديث: «**أنا سيِّد ولد آدم ولا فخرَ، وبِيَدي لواء الحمد ولا فخرَ؛ آدمُ فمَنْ دونه تحت لِوائي**»[٢].

قوله: (لما أمر بالهجرة) فيه أنَّ الآية مدنيَّة، إلا أن يقال: إنَّ ما هنا مرورٌ على القولِ بأن السورة كلِّها مكيَّة، وهو ما مشى عليه البيضاوي أول السورة كما تَقدَّم[٣].

قوله: (﴿أَدْخِلْنِي﴾ المدينة) أي: وتسمَّى طيبة، وقبَّة الإسلام، وقد استَنارت به ﷺ.

قوله: (﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾) المدخل بضمِّ الميم، والمخرج كذلك؛ لأنَّ فِعلهما رباعي، مصدران بمعنى: الإدخال والإخراج.

قوله: (مرضيًّا) أي: تطمئنُّ به نفسي بحيث لا يُزعجني شيء.

قوله: (لا ألتفت بقلبي إليها) أي: إلى مكة؛ لِبُلوغ الآمال بغيرها، وما تقدَّم من شرح تلك الآية هو ما مشى عليه المفسِّر، وقيل: أدخِلني في أمرك الذي أرسلتَني به من النبوة مُدْخَل صدق، وأخرِجني من الدنيا وقد قُمْتُ بما وجب عليَّ من حقِّ النبوة مُخْرَج صِدق.

وقيل: أدخِلني في طاعتك مدخلَ صدق، وأخرجني من المناهي مخرَج صدق.

وقيل: أدخِلني حيثما أدخلتَني بالصدق، وأخرجني بالصدق، ولا تجعَلني ممن يدخل بوجهٍ، ويخرج بوجهٍ؛ فإنَّ ذا الوجهين لا يكون أميناً عند الله؛ ولِوُرود تلك المعاني استعمَلتها الصوفية على حسب مقاصدهم؛ لأنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخُصُوص السبب.

قوله: (قوة تنصرني بها على أعدائك) أي: وقد أجاب الله دعاءه، فوعده بملك فارس والروم، وقال له: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقال: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣].

---

(١) حديث الشفاعة بطوله رواه البخاري (٧٤١٠)، ومسلم (٣٩) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) رواه الترمذي (٣٦١٥) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) انظر «تفسير البيضاوي» (٣/ ٢٦٤).

﴿وَقُل جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ٨١ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ﴾

(٨١) ﴿وَقُل﴾ عِنْد دُخُولِك مكَّةَ: ﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ﴾: الإسلامُ ﴿وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ﴾: بَطَلَ الكُفرُ، ﴿إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾: مُضمَحِلًّا زائِلاً، وقد دَخَلَها ﷺ وحولَ البيتِ ثلاثُمائة وسِتُّونَ صَنَماً، فجَعَل يَطعَنها بِعُودٍ في يَدِه ويَقُول ذلك حتَّى سَقَطَت، رَواهُ الشَّيخان.

(٨٢) ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ﴾ - لِلبَيان - ﴿ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ﴾ مِن الضَّلالةِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَقُل﴾ عند دخولك مكة) أي: يوم الفتح.

قوله: (﴿وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ﴾) يقال: زهَق: اضمحل، وزهَقت نفسه: خرجت.

قوله: (يطعنها) أي: يطعن كلًّا منها في عينِه.

قوله: (حتى سقطت) أي: مع أنها كانت مثبَّتة بالحديد والرصاص، وبقي منها صنَم خزاعة فوق الكعبة وكان من نحاس أصفر، فقال النبي: «يا عليُّ؛ ارم به»، فصَعد فرمى به، فكسره[١].

قوله: (﴿مِنَ﴾ للبيان) أي: لبيان الجنس، وقدِّم على المبيَّن اهتماماً بشأنه، فالقرآن قليلُه وكثيره شفاء من الأمراض الحسية الظاهرية؛ بدليلِ ما ورد به في حديث (الفاتحة): «وما يُدريك أنها رقية؟!»[٢]، وشفاء من الأمراض المعنوية الباطنية كالاعتقادات الباطِلة، والأخلاق المذمومة كالكبر والعُجب والرياء وحُب الدنيا والحرص والبخل... وغير ذلك؛ لاشتماله على التوحيد وأدلَّته، وعلى مكارم الأخلاق وأدلتها، وما مَشى عليه المفسِّر من أن (مِن) للبيان هو التحقيق؛ لما ورد: «خُذ من القرآن ما شئت لما شئتَ»، وورد: «مَن لم يَستشف بالقرآن.. لا شفاه الله»[٣]، وقيل: إنها للتبعيض، والمعنى: أنَّ منه ما يَشفي من الأمراض كـ(الفاتحة)، وآيات الشفاء.

قوله: (من الضلالة) أي: سوء الاعتقاد، وخُصَّت بالذكر مع أنه شفاء من الأمراض الحسيَّة أيضاً؛ لأن الضلالةَ رأس الأمراض.

---

(١) رواه النسائي في «الكبرى» (٨٥٠٧) مطولاً.

(٢) رواه البخاري (٢٢٧٦)، ومسلم (٥٧٨٤) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) أورده الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٢٩)، وعزاه في «كنز العمال» (١٠/ ٩) لِلدارقطني في «الأفراد» عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ۝٨٢ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ۝٨٣ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ ....

﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ به، ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافِرين ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ لِكُفْرِهم به.

۝٨٣ ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ الكافِرِ ﴿أَعْرَضَ﴾ عن الشُّكر، ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾: ثَنى عِطفه مُتَبختِراً، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾: الفقرُ والشِّدَّة ﴿كَانَ يَـُٔوسًا﴾: قَنوطاً مِن رَحمةِ الله.

۝٨٤ ﴿قُلْ كُلٌّ﴾ مِنَّا ومِنكُم ﴿يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾: طَريقَتِه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَرَحْمَةٌ﴾) أي: بركة دنيويَّة وأخرويَّة، فهو عطفُ عام.

قوله: (﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾) أي: فهُم المنتفعون به دون غيرهم، ولكن يُشترط حُسن النية والاعتقاد، والجزم بالإجابة.

قوله: (﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾) أي: نقصاً وطغياناً؛ لأنهم لا يُصدِّقون به، فحُرموا من الانتفاع به.

قوله: (﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾) أي: بأن أعطيناه الصحة والغنى.

قوله: (الكافر) أي: فهذه الأوصاف في حقِّه، وكلُّ ما ورد في حقِّ الكفار من الذم فإنه يجرُّ بذَيله على عُصاة الأمة المتَّصفين بتلك الأوصاف.

قوله: (أعرض عن الشكر) أي: عن صَرف النعم في مصارفها، وتكبَّر وتعاظم.

قوله: (ثنى عِطفَهُ) أي: لوى جانبَه.

قوله: (متبختراً) أي: متكبِّراً.

قوله: (﴿كَانَ يَـُٔوسًا﴾) أي: غيرَ راجٍ رحمة الله، ولا يُنافي ما هنا قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: ٥١]؛ لأنَّ الكفار مختلفون، فبَعضهم في حال الشَّر يُكثِرُ الدعاء، وبعضهم يقنَط من رحمة الله، أو يقال: إنهم وإن أكثروا الدعاء ظاهراً هم قانطُون في الباطن من رحمة الله.

قوله: (﴿عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾) أي: كلُّ واحد منَّا ومنكم يَعمل على حالته وطبيعته وروحه التي جُبل عليها؛ فالروح السعيدة صاحبها يعمل عمل السعداء، وتَظهر منه الأخلاق المرضيَّة والأفعال الجميلة، وصاحب الروح الشقيَّة يَعمل عمل الأشقياء، وتظهر منه الأخلاق القبيحة والأفعالُ الخبيثة، وفي هذه الآية دليلٌ على أن الظاهر عنوانُ الباطن.

فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ....

﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾: طَرِيقاً فيُثِيبه.

﴿٨٥﴾ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ أي: اليَهُودُ ﴿عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ الذي يَحيا بِه البَدَنُ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَهْدَىٰ﴾) يجوز أن يكون من (اهتَدى) على حذف الزوائد، وأن يكون من (هدَى) المتعدي، وأن يكون من: (هدى) القاصر بمعنى: اهتَدى، و﴿سَبِيلًا﴾ تمييز على كل حال، وفي الآية اكتفاء؛ أي: وبِمَن هو أضل سبيلاً.

قوله: (﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾) سببُ نزولها كما قال ابن عباس: أنَّ قريشاً اجتمَعوا وقالوا: إن محمداً نشأ فينا بالأمانة والصدق، وما اتَّهمناه بكذب وقد ادَّعى ما ادَّعى؛ فابعثُوا نفراً إلى اليهود بالمدينة، واسألوهم عنه؛ فإنهم أهل كتاب، فبَعثوا جماعة إليهم، فقالت اليهود: سَلُوه عن ثلاثة أشياء؛ فإن أجاب عن كلِّها، أو لم يُجب عن شيء منها.. فليس بنَبي، وإن أجاب عن اثنين ولم يُجب عن واحد.. فهو نبيٌّ:

فاسألوه عن فِتية فُقدوا في الزمن الأول ما كان أمرهم؟ فإنه كان لهم حديث عَجيب، وعن رجل بلغ مَشرِق الأرض وغربها ما خبرُه؟ وعن الروح، فسألوا النبي ﷺ فقال: «**أُخبركم بما سألتم غداً**» ولم يَقُل: إن شاء الله، فلبث الوحيُ اثني عشر ـ وقيل: خمسة عشر، وقيل: أربعين يوماً ـ وأهل مكة يَقولون: وعَدنا محمد غداً وقد أصبحنا لا يُخبرنا بشيء حتى حَزن رسول الله ﷺ من مكث الوحي، وشقَّ عليه ما يقوله أهل مكة، ثم نزَل جبريل عليه السلام بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤]، ونزل في الفتية: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ...﴾ [الكهف: ٩-١٠] الآيات، ونزل فيمن بلغ المشرق والمغرب: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ...﴾ [الكهف: ٨٣] الآيات، ونزَل في الروح قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ...﴾ [الإسراء: ٨٥] الآية، فأصل السؤال من اليهود، والناقلُ له قريش[1].

قوله: (﴿عَنِ ٱلرُّوحِ﴾) أي: عن حقيقة الروح الذي به حَياة البدن، وهذا هو الأصح، وقيل:

(١) رواه بطوله البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٧٠)، وقد روى البخاري (٤٧٢١)، ومسلم (٧١٦١) عن سيدنا عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه أن السائل عن الروح نَفرٌ من اليهود بالمدينة المنورة.

قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ

﴿قُلِ﴾ لَهُم: ﴿ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ أي: عِلمِه لا تَعلَمُونَه، ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ بالنِّسبةِ إلى عِلمِه تعالى.

(﴿٨٦﴾ - ﴿٨٧﴾) ﴿وَلَئِن﴾ ـ لام قَسَم ـ ﴿شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ ....

حاشية الصاوي

الروح التي سَألوه عنها هو جبريل، وقيل: مَلَك له سبعون ألف وجه؛ لكل وجه سَبعون ألف لسان، يسبِّح الله تعالى بجميع ذلك، فيَخلق الله تعالى بكل تسبيحة ملكاً، وقيل: إنهم جُند من جنود الله على صورة بني آدم، لهم أيدٍ وأرجل ورؤوس؛ ليسُوا بملائكة ولا أُناس يأكلون الطعام، وقيل: مَلك عظيم عن يمين العرش؛ لو شاء أن يَبتلعَ السماوات السبع في لقمة واحدة.. لابتَلعها، ليس شيء أعظمَ منه إلا العرش، يشفع يوم القيامة في أهل التوحيد، مُتحجب عن الملائكة؛ لو كُشف لهم عنه.. لاحترقوا من نُوره، وقيل: عيسى.

قوله: (﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾) أي: مما استأثر الله بعِلمه، وهذا هو الصحيح، وقيل: الروح هي: الدم، وقيل: النفس، ونُقل عن بعض أصحاب مالك: أنها صورة كجسَد صاحبها. وفي الآية اقتصارٌ على وصف الروح كما اقتَصر موسى في جواب قول فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣] على ذكر صفاته؛ فإنَّ إدراكه بالكُنْهِ على ما هو عليه لا يَعلَمه إلا الله.

قوله: (﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾) ردٌّ لقول اليهود: أُوتينا التوراة وفيها العلم الكثير؛ بدليل القراءة الشاذة: (وما أوتُوا)[1]، وقيل: الخطاب عامٌّ لجميع الخلق؛ أي: إنَّ الخلق عموماً وإن أُعطوا من العلم ما أُعطُوا.. فهو قليلٌ بالنسبة لِعلمه تعالى.

قوله: (﴿وَلَئِن شِئْنَا﴾) هذا امتنانٌ من الله تعالى على نبيِّه ﷺ بالقرآن، وتحذيرٌ له عن التفريط فيه، والمقصود غيرُهُ، والمعنى: حافِظوا على العمل بالقرآن، واحذروا من التفريط فيه؛ فإننا قادِرون على إذهابه من صُدوركم ومصاحفكم، ولكنْ إبقاؤه رحمةٌ بكم.

قوله: (لام قسم[2]) أي: وجوابُه قوله: ﴿لَنَذْهَبَنَّ﴾، وجواب الشرط محذوف؛ لِدَلالة جواب القسم عليه.

---

(١) وبها قرأ عبد الله والأعمش. انظر «الدر المصون» (٧/٤٠٦).

(٢) أي: موطئة له، وهي الداخلة على أداة شرط، وأكثر ما تدخلُ كما قال المصنف على (إنْ) الشرطية. انظر «مغني اللبيب» (ص٣١٠).

أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ....

﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي: القُرآنِ بأن نَمحُوَهُ مِن الصُّدُور والمَصاحفِ، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا﴾: لَكِن أبْقَيناهُ ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾: عَظِيماً، حيثُ أنزَلَه علَيك وأعطاكَ المَقامَ المَحمُود وغَيرَ ذلك مِن الفَضائِل.

﴿٨٨﴾ ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ في الفَصاحةِ والبَلاغة ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (لكن أبقيناه) أشار بذلك إلى أنَّ الاستثناء مُنقطع، وقدَّره بـ(لكن) على طريقة البصريين، وعند الكوفيين يُقدَّر بـ(بل)، وقوله: (أبقَيناه) أي: إلى قرب قيام الساعة، فعند ذلك يُرفع من المصاحف والصدور؛ لما في الحديث: «لا تَقومُ الساعة حتى يرفع القرآن من حيث نزَل، له دَوِيٌّ حول العرش فيقول الله: ما لَك؟ فيقول: أُتلى فلا يُعمل بي»[1]، ولا يرفع القرآن حتى تموتَ حمَلته العاملون به، ولا يبقى إلا لُكَع بن لكع[2]، فعند ذلك يُرفع من المصاحف والصدور، ويُفيضون في الشعر، فتخرج الدابة، وتقوم القيامة بإثر ذلك.

قوله: (حيث أنزله) علة لقوله: ﴿إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾.

قوله: (وغير ذلك) أي: ككَونك خاتم المرسلين، وسيِّد ولد آدم ونحو ذلك.

قوله: (﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾) اللام موطئة لقسم محذوف، وجوابُه قوله: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾، ولم يقُل: والملائكة مع أنه مُعجز لهم أيضاً؛ لأنهم مسلمون مُنقادون؛ فلا يحتاج المرد عليهم.

قوله: (﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾) أي: لأنه خارج عن طَوقِ البشر؛ لأنَّ الكلام على حسَب عِلم المتكلم، وهو قد أحاط بكل شيء علماً، وقوله: ﴿بِمِثْلِهِۦ﴾ أي: كلًّا أو بعضاً، قال بعضهم: إنَّ أقل الإعجاز يقع بآية، قال البوصيري[3]: [الخفيف]

---

(١) أورده المفسّر في «الدر المنثور» (٥/ ٣٣٥) وقال: أخرجه محمد بن نصر في كتاب «الصلاة» عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما.

(٢) اللكع: اللئيم ذليلُ النفس.

(٣) كما في قصيدته المشهورة الهمزية.

وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ ....

﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾: مُعِيناً، نَزل رَدًّا لِقَولِهِم: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا﴾ [الأنفال: ٣١].

﴿٨٩﴾ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾: بيَّنَّا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ ـ صِفة لِمَحذوفٍ ـ أي: مَثَلاً مِن جِنس كُلِّ مَثل لِيَتَّعظُوا، ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ أي: أهل مكَّة ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾: جُحُوداً لِلحقِّ.

(﴿٩٠﴾ - ﴿٩١﴾) ﴿وَقَالُوا﴾ ـ عطفٌ على (أبى) ـ: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ ....

حاشية الصاوي

أَعْجَزَ الجِنَّ آيَةٌ مِنْهُ والإِنْـ ـسَ فَهَلَّا تَأْتِي بِهِ البُلَغَاءُ

وقال بعضهم: إنَّ أقلَّ الإعجاز يكون بأقصَرِ سورة؛ لأنه لم يكن في القرآن آية مُفردة، بل الآية تستلزم مناسبة لما قبلها وما بعدها، فتكونُ ثلاث آيات.

قوله: (﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ﴾... إلخ) عطفٌ على محذوف، تقديره: لا يأتون بمثلِه ولو لم يكن بعضهم لبعض ظهيراً، ولو كان... إلخ.

قوله: (نزل ردًّا... إلخ) مُرتبط بما قبله.

قوله: (﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ﴾) أي: كرَّرنا وأظهرنا، و﴿مِن﴾: زائدة في المفعول؛ أي: صرَّفنا للناس كلَّ مَثَلٍ، والمثل: المعنى الغَريب.

قوله: (﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ﴾) أي: امتنَعوا.

قوله: (جحوداً للحق) الجحود: الإنكار مع العِلم والمعاندة، فهو أخصُّ من مطلق الإنكار.

قوله: (﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾... إلخ) لما أقام الحجة عليهم ولم يَستطيعوا ردَّها.. أخذوا يَطلبون أشياء على وجه العِناد، فقالوا: لن نؤمن... إلخ، روى عِكرمة عن ابن عباس: أن نفراً من قريش اجتمعوا بعد غُروب الشمس عند الكعبة، وطلبوا رسول الله ﷺ، فجاءهم، فقالُوا: يا محمد؛ إن كنتَ جئت بهذا الحديث ـ يعنون القرآن ـ تَطلب به مالاً.. جمعنا لك من أموالنا حتى تكونَ أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد الشرف.. سوَّدناك علينا، وإن كنتَ تريد ملكاً.. ملَّكناك علينا، وإن كان الذي بك رئيًّا من الجن تراه قد غلب عليك لا تستطيع ردَّه.. بذَلنا لك أموالَنا في طلب الطب

حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ ....

﴿حَتَّىٰ تُفَجِّرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾: عيناً يَنبع مِنها الماءُ، ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾: بُستانٌ ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا﴾: وسَطَها ﴿تَفْجِيرًا﴾.

(﴿٩٢﴾ - ﴿٩٣﴾) ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾: قِـطَـعـاً، ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾: مُقابَلةً وعِياناً فنراهُم، ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾: ذَهَب ....

حاشية الصاوي

حتى نُبرئك منه ـ وكانوا يسمون التابع من الجن: رئيًّا ـ فقال رسول الله ﷺ: «ما بي شيءٌ مما تقولون، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل عليَّ كتاباً وأمرني أن أكون بشيراً ونذيراً، فبلَّغتكم رسالة ربي، ونصحت لكم؛ فإن تقبلُوا مني.. فهو حظُّكم من الدنيا والآخرة، وإن تردُّوه عليَّ.. أصبِرْ لأمر الله عزَّ وجلَّ حتى يحكمَ الله بيني وبينكم»، فقالوا: يا محمد؛ إن كنتَ صادقاً فيما تقول.. فسَل لنا ربك الذي بعثك؛ فليُسيِّر عنا هذا الجبل الذي قد ضيَّق علينا، ويَبسط لنا بلاداً، ويفجر لنا فيها الأنهار... إلى آخر ما قصَّ الله عنهم[1].

قوله: (﴿حَتَّىٰ تَفْجُرَ﴾) بضمِّ التاء وفتح الفاء وتشديد الجيم مكسورة، وبفتح التاء وضمِّ الجيم مخففة، قراءتان سبعيَّتان هنا فقط[2]، وأما قوله: ﴿فَتُفَجِّرَ﴾.. فبالقراءة الأُولى لا غير.

قوله: (﴿يَنۢبُوعًا﴾) أي: عيناً لا يَغُور ماؤها ولا يذهب.

قوله: (﴿جَنَّةٌ﴾) أي: بُستان.

قوله: (﴿كَمَا زَعَمْتَ﴾) أي: قلتَ: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾.

قوله: (﴿كِسَفًا﴾) بسكون السين وفتحها، قراءتان سبعيَّتان[3].

قوله: (﴿قَبِيلًا﴾) حال من (الله والملائكة) أي: حالَ كونهم مرئيِّين لنا.

---

(١) انظر «سبل الهدى والرشاد» (٢/ ٢٣٩).

(٢) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بفتح التاء وسكون الفاء وضم الجيم مخففة، والباقون بضم التاء وفتح الياء وكسر الجيم المشدَّدة. انظر «السراج المنير» (٢/ ٣٣٦).

(٣) قرأ نافع وابن عامر وعاصم بنصب السين، والباقون بسكونها. انظر «السراج المنير» (٢/ ٣٣٦).

أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل ....

﴿أَوْ تَرْقَىٰ﴾: تَصعَد ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ بِسُلَّم، ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ لو رَقِيتَ فِيها ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا﴾ مِنها ﴿كِتَٰبًا﴾ فِيه تَصدِيقُك ﴿نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ﴾ لَهُم: ﴿سُبْحَانَ رَبِّى﴾ تَعَجُّب، ﴿هَلْ﴾: ما ﴿كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ كسائر الرسل ولَم يكونُوا يَأْتُونَ بِآية إلَّا بِإذن الله.

﴿٩٤﴾ ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟﴾ أي: قَولُهم مُنكِرِين: ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ ولَم يَبعَث مَلَكاً؟

﴿٩٥﴾ ﴿قُل﴾ لَهم: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَوْ تَرْقَىٰ﴾) هو بفتح القاف مضارع (رَقِيَ) بكسرها، والمصدر: رَقْياً، ومعناه: الصعود الحسِّي، وأما في المعاني.. فبِفتح القاف في الماضي والمضارع؛ يقال: رقَى في الخير، وأما الرُّقيا[1] للمريض.. فماضيها رقَى كـ(رمى).

قوله: (لو رقيت) بكسر القاف.

قوله: (﴿نَّقْرَؤُهُۥ﴾) حال مقدَّرة من الضمير في ﴿عَلَيْنَا﴾[2]، أو نعتٌ لـ(كتاب).

قوله: (تعجُّب) أي: من اقتراحاتهم، وتَنزيه له سبحانه وتعالى عن أن يشاركه أحدٌ في ألوهيَّته.

قوله: (﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾) وليس في طاقَتي الإتيان بما تطلبونه.

قوله: (﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟﴾) ﴿أَن﴾ وما دخلَت عليه في تأويل مصدر، مفعول ثان لـ﴿مَنَعَ﴾، والتقدير: وما منع الناسَ الإيمان، وقوله: ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟﴾ في تأويل مصدر فاعل (منَع)، وقوله: ﴿إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ ظرف لقوله: (منَع)، والمعنى: لم يمنع الناسَ من الإيمان وقتَ مجيء الهدى لهم إلا قولُهم: أبعث الله بشراً رسولاً؟! وخصَّ بالذكر مع أن الموانع لهم كثيرة؛ لأنه أعظَمُها.

قوله: (﴿قُل﴾ لهم) أي: ردًّا لِشبهتهم.

---

(١) الرقيا: على (فُعْلَى)، والمرَّة: رُقيَة.

(٢) لأنهم إنما يقرؤونه بعد إنزاله، لا في حال إنزالِه. انظر «الدر المصون» (٧/ ٤١٢).

﴿لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ ....

﴿لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ﴾ بدَلَ البَشر ﴿مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ إذ لا يُرسَل إلى قَوم رَسُولٌ إلَّا مِن جِنسِهم لِيُمكِنَهم مُخاطبتُه والفَهم عنه.

﴿٩٦﴾ ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ علـى صِـدقِـي، ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾: عالِماً بِبَواطِنِهم وظَواهِرِهم.

﴿٩٧﴾ ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ﴾... إلخ) أي: فجرَت عادة الله في خلقه أنه لا يُرسل لخلقٍ رسولاً إلا من جِنسهم؛ لأنهم يألفونه ويَستطيعون خطابه، بخلاف ما إذا أرسَل لهم رسولاً من غير جِنسهم.. فإنهم لا يَستطيعون رُؤيته ولا خِطابه؛ لعدم الأُلفة بينهم؛ فلو كان في الأرض ملائكة يمشون مثلكم وتألفُونهم.. لأنزل عليكم ملكاً رسولاً.

قوله: (﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾) أي: مُستوطنين بها لا يَعرجون إلى السماء.

قوله: (﴿شَهِيدًا﴾) أي: على أني رسول الله إليكم، وقد بلَّغتكم ما أرسلتُ به إليكم، وأنكم كذَّبتم وعانَدتم.

قوله: (﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾) فيه تسليةٌ له ﷺ، ووَعيدٌ للكفار.

قوله: (﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ﴾[1]) أي: من يَخلق فيه الهدى، وقوله: ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ أي: يكون كذلك في الدنيا؛ بمعنى: أنه يكون حالُه في الدنيا مطابقاً لما قدَّره الله له أزلاً، وبذلك اندفع ما يقال: إن فيه اتحادَ الشرط والجزاء.

والمهتد: بحذف الياء من الرسم هنا وفي (الكهف)؛ فإنها في الموضعَين من ياءات الزوائد، وأما في النطق.. فتُحذف وصلاً ووقفاً عند بعض القراء، ووقفاً لا وصلاً عند بعضِهم[2].

---

(١) كذا في الأصول، ونظم الآية بالواو: ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ﴾.

(٢) قرأ نافع وأبو عمرو بإثبات ياء «المهتدي» وصلاً وحذفها وقفاً، وحذفها الباقُون في الحالين. انظر «الدر المصون» (٧/ ٤١٤).

﴿فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِۦ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ ....﴾

﴿فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ يهدونهم ﴿مِن دُونِهِۦ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ماشين ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾) أي: أنصاراً.

قوله: (﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾) الجارُّ والمجرور متعلق بمحذوف حال من الهاء في ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾، قدَّره المفسِّر بقوله: (ماشِين).

روي عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله؛ قال الله: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ [الفرقان: ٣٤] أيُحشر الكافر على وجهِه؟ قال رسول الله ﷺ: «**أليس الذي أمشاه على الرجلَين في الدنيا قادراً على أن يُمشِيَه على وَجهه يوم القيامة؟**»[1].

وروي أيضاً: «**يُحشَر الناس يومَ القيامة ثلاثة أصناف: صنفاً مُشاة، وصنفاً راكباً، وصنفاً على وُجوهِهم**»، قيل: يا رسول الله؛ وكيف يَمشون على وجوههم؟ قال: «**إن الذي أَمشاهُم على أقدامهم قادرٌ أن يُمشيهم على وجوههم، أما إنهم يلقون بوجوههم كل حَدب وشَوك**»[2]، والحدَب: ما ارتَفع من الأرض.

قوله: (﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾) أي: لا يُبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون.

إن قلتَ: كيف وَصفهم الله بذلك هنا وأثبت لهم ضِدَّ تلك الأوصاف في قوله: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ﴾ [الكهف: ٥٣]، ﴿دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣]، ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢]؟

أجيب: بأن المعنى: عُمياً لا يرَون ما يسرُّهم، وبُكماً لا يتكلمون بحجَّة، وصُمًّا لا يسمعون ما يَسُرُّهم، أو المعنى: يحشرون مَعدومي الحواسِّ، ثم تُعادُ لهم.

قوله: (﴿مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾) أي: مَسكنهم ومَقرُّهم.

قوله: (﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾) أصله: خَبَوَتْ كـ(قعَدَت)، تحركت الواو وانفتح ما قبلها، قلبت ألفاً، فالتقى ساكنان، حُذفت الألف لِالتقائهما.

---

(١) رواه البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٧١٨٩).

(٢) رواه الترمذي (٣١٤٢) عن سيدنا أبي هريرة ﷺ، وفيه: (ركباناً) بدل (راكباً)، و(يتقون) بدل (يلقون).

زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل ....

سَكَنَ لَهَبُها ﴿زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾: تلهُّباً واشتِعالاً.

﴿٩٨﴾ ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟﴾ مُنكِرِين لِلبَعث: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾.

﴿٩٩﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾: يَعلَمُوا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ مع عِظَمِهما ﴿قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ أي: الأناسِيّ في الصِّغَر، ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا﴾ لِلمَوت والبَعث ﴿لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾: جُحُوداً لَه.

﴿١٠٠﴾ ﴿قُل﴾ لَهُم: ....

حاشية الصاوي

قوله: (سكن لهبها) أي: بأن أكلت جُلودهم ولحومهم.

قوله: (﴿زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾) أي: بدَّلناهم جُلوداً غيرها، فتَعُود مُلتهِبة متسعِّرة.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾) أي: ما ذكر من أنَّ مأواهم جَهنم، وإعادتهم بعد فَنائهم.

قوله: (﴿وَقَالُوٓا۟﴾) معطوف على ﴿كَفَرُوا۟﴾.

قوله: (﴿خَلْقًا جَدِيدًا﴾) إما مصدر من معنى الفعل، أو حالٌ؛ أي: مخلوقين.

قوله: (﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾) ردٌّ لإنكارهم البَعث.

قوله: (﴿قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾) أي: فلا يُستبعَد عليه إعادتهم بأعيانهم.

قوله: (أي: الأناسي) جمع إنسِيّ، وهو البشر.

قوله: (﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا﴾) معطوف على جملة ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾؛ فليس داخِلاً في حيِّز الإنكار.

قوله: (﴿لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾) أي: لا شكَّ في ذلك الأجَل.

قوله: (﴿قُل﴾ لهم) أي: شرحاً لحالهم التي يدَّعون خِلافها حيث قالُوا: لن نُؤمن لك حتى تفجر لنا.. إلخ أي: لأجل أن نَنبسِط ونتسع في الرزق، ونُوسع على المقلِّين، فبيَّن الله لهم أنهم لو مَلكوا خزائن الله.. لَداموا على بخلهم وشُحِّهم.

﴿لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ﴾ ....

﴿لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ﴾ مِن الرِّزق والمَطَر ﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ﴾: لَبَخِلتُم ﴿خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾: خوفَ نَفادِها بِالإنفاقِ فتَقتُرُوا، ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ قَتُورًا﴾: بَخيلاً.

﴿١٠١﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ﴾: واضِحاتٍ، وهي: اليَد والعَصا والطُّوفانُ والجَراد ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ﴾) يَجوز أن المسألة من باب الاشتغال و﴿أَنتُمْ﴾: مرفوع بفعل مقدَّر يفسِّره الظاهر؛ لأن (لو) لا يَليها إلا الفعل ظاهراً أو مضمراً، والأصل: لو تَملكون، فحذف الفعل لدلالة ما بعده عليه، فانفَصل الضمير وهو الواو[1].

قوله: (﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ﴾) أي: مَنعتُم حقَّ الله فيها.

قوله: (﴿خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾) عِلةٌ للإمساك.

قوله: (بخيلاً) أي: ممسكاً عن بذل ما يَنبغي فيما ينبغي؛ فالأصل في الإنسان الشُّحُّ، والخارج عنه خالف أصلَه كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

قوله: (﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا﴾) اللام مُوطئة لقسم محذوف[2].

قوله: (﴿بَيِّنَـٰتٍ﴾) إما منصوب بالكسرة صفة لـ﴿تِسْعَ﴾، أو مجرورٌ بها صفة لـ﴿ءَايَـٰتٍ﴾.

قوله: (واضحات) أي: ظاهرات دالَّة على صِدقه.

قوله: (وهي اليد) أي: التي كان يَضمُّها إليه ويُخرجها فتخرج بيضاء لها شُعاع.

قوله: (والعصا) أي: التي كان يُلقيها فتصير حيَّة عظيمة.

قوله: (والطوفان) أي: الماء حتى مَلأ بيوتهم ومَساكنهم، فكانوا لا يستطيعون أن يُوقِدوا ناراً أصلاً.

قوله: (والجراد) أي: فأكل زُرُوعهم وحبوبهم.

---

(١) ويجوز أن الضمير مرفوع بـ(كان)، وقد كثر حذفها بعد (لو)، والتقدير: لو كنتم تملكونَ، فحذفت (كان) فانفصل الضمير، و(تملكون) في محل نصب بـ(كان)، وهو قول ابن الصائغ. انظر «الدر المصون» (٧/٤١٧).

(٢) اللام واقعة في جواب قَسَم محذوف.

فَسْئَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ....

والقُمَّل والضَّفادِع، والدَّم أو الطَّمسُ، والسِّنِينُ ونَقصُ الثَّمَرات، ﴿فَسْئَلْ﴾ يا مُحمَّد ﴿بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ عنهُ سُؤالَ تَقرير لِلمُشرِكين على صِدقِك، ....

حاشية الصاوي

قوله: (والقمَّل) تقدَّم أنه قيل: السُّوس، وقيل: هو القمل المعروف.

قوله: (والضفادع) أي: فملأ بيوتَهم وطعامهم وشرابهم.

قوله: (والدم) أي: فانقلبت مِياههم دماً حتى كادوا يموتُون عطشاً.

قوله: (والطمس) أي: مَسخ الأموال حجارة.

قوله: (والسنين ونقص الثمرات) هذان شيء واحد؛ لأنَّ نقص الثمرات لازم لِلسنين.

وما ذكره المفسِّر في عدِّ الآيات التسع هو المشهور؛ لأنَّ هذه التسع هي التي ظهَرَت على يد موسى تهديداً لفرعون وقومه رجاء إيمانهم؛ وقيل: إن التسعَ هي: اليد، والعصا، والجراد، والقمَّل، والضفادع، والدم، وانفِجار الماء من الحجر، وانفلاق البحر، ونَتق الجبل، وفيه بُعدٌ؛ لأنَّ انفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الجبل لم تكن مَقصودة لفرعون، بل البحر كان لهلاكه، والباقي بَعده.

وقيل: إن يهوديًّا سأل النبي ﷺ عنها فقال: «**ألا تُشركوا بالله شيئاً، ولا تُسرفوا، ولا تَزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تَسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تمشوا بِبَريء إلى ذي سلطان لِيَقتله، ولا تقذفوا مُحصنة، ولا تفرُّوا من الزحف، وعليكم خاصة اليهود ألا تعدُوا في السبت**»، فقبَّل اليهودي يده ورِجله[1]. وعلى هذا: فالمراد بـ(الآيات): الأحكام التي كلِّفوا بها، وهي عامَّة ثابتة في جميع الشرائع، وقوله: «وعليكم... إلخ»: حكمٌ زائد مَخصوصٌ باليهود.

قوله: (﴿فَسْئَلْ﴾ يا محمد ﴿بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾) أي: لِيَكونَ قولهم الموافق لك حُجة على المشركين، وعلى هذا: فالجملة مُعتَرِضة بين قصة موسى وفرعون.

قوله: (عنه) أي: عمَّا جرى بين موسى وفرعون.

قوله: (سؤال تقرير) أي: سؤالاً يترتَّب عليه التقرير من بني إسرائيل، وقوله: (للمشركين) اللام للتعليل؛ أي: لأجل المشركين، والمعنى: اسأل يا محمد بني إسرائيل عمَّا جرَى بين موسى وفرعون؛ ليكونَ ذلك داعياً لإيمان المشركين وانقِيادهم.

---

(١) رواه الترمذي (٢٧٣٣) عن سيدنا صفوان بن عسال رضي الله عنه.

إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ ....

أو فقُلنا لَه: اسأل، ـ وفي قِراءةٍ بِلَفظ الماضي ـ ﴿إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾: مَخدُوعاً مَغلُوباً على عَقلِك.

﴿١٠٢﴾ ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الآياتِ ﴿إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾: عِبَراً، ولَكِنَّك تُعانِدُ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (أو فقلنا له) معطوف على قوله: (يا محمد)، والمعنى: أن الخطاب لموسى، وحينئذٍ فيكون القول مقدَّراً، والمفعول محذوف، والتقدير: اسأل فرعون بني إسرائيل؛ أي: اطلُبهم منه؛ لتذهب بهم إلى الشام، يدل عليه قولُه في الآية الأخرى: ﴿فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف: ١٠٥].

قوله: (وفي قراءة) المناسب أن يقول: (وقرئ) لأنها شاذة، وإنما القراءة السبعيَّة بالأمر، وفيها وجهان: الهمز، وتركُه بنقل حركة الهمز إلى الساكن[1].

قوله: (بلفظ الماضي) أي: بلا همز، بوزن (قال).

قوله: (﴿إِذْ جَآءَهُمْ﴾) ظرف لـ﴿ءَاتَيْنَا﴾ على الاحتمال الأول، وعلى الثاني: فقد تنازعه كل من ﴿ءَاتَيْنَا﴾، و(قُلنا).

قوله: (﴿فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ﴾) معطوف على مقدَّر، والتقدير: إذ جاءهم فبلَّغهم الرسالة ووقع بينهم ما وقع من المحاوَرات فقال... إلخ.

قوله: (مغلوباً على عقلك) أشار بذلك إلى أن ﴿مَسْحُورًا﴾ باقٍ على معناه الأصلي؛ أي: إنك سحرت فغلب على عَقلك، ويصح أن يكون بمعنى (فاعل) كمشؤوم؛ أي: أظنك ساحراً؛ لإتيانك بالغرائب والعجائب.

قوله: (﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾) هو بفتح التاء خطاب لفرعون؛ أي: فقال له موسى: يا فرعون؛ والله لقد علمتَ أن هذه الآيات ما أنزلها إلا ربُّ السماوات والأرض عبراً، وإنما كفرك عناد؛ خوفاً على ضياع مُلكك ورياستك.

---

(١) قرأ ابن كثير والكسائيُّ بفتح السين ولا همزة بعدها، والباقون بسكون السين وهمزة مفتوحة بعدها. انظر «السراج المنير» (٢/٣٤١).

وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسۡتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ فَأَغۡرَقۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعٗا ﴿١٠٣﴾ وَقُلۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا ﴿١٠٤﴾ ....

ـ وفي قِراءةٍ بِضمِّ التَّاء ـ ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا﴾: هالِكاً أو مَصرُوفاً عن الخَير.

﴿١٠٣﴾ ﴿فَأَرَادَ﴾ فِرعونُ ﴿أَن يَسۡتَفِزَّهُم﴾: يُخرِجَ موسى وقَومَه ﴿مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾: أرضِ مِصر، ﴿فَأَغۡرَقۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعٗا﴾.

﴿١٠٤﴾ ﴿وَقُلۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي: السَّاعةُ ﴿جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا﴾: جَمِيعاً أنتم وهُم.

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1]، وقوله: (بضم التاء) أي: والضمير لموسى، ويكون المعنى: لقد أيقنت وتحققت أن هذه الآيات التي جئت بها منزلة من عند الله تعالى.

قوله: (﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ﴾) أي: أتحقَّقك، وعبَّر بالظن مشاكلةً؛ فإنَّ ظنَّ فرعون كذبٌ، وظنُّ موسى حقٌّ وصدقٌ؛ لِظهور أماراته.

قوله: (أو مصروفاً عن الخير) أي: ممنوعاً منه.

قوله: (يخرج موسى وقومه) أي: بقتلهم جميعاً.

قوله: (﴿فَأَغۡرَقۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ﴾) أي: ففَعلنا بهم ما أرادوه بموسى وقومه.

قوله: (﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾) أي: بعد إغراقه.

قوله: (﴿ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ﴾) أي: أرضَ مصر والشام.

قوله: (أي: الساعة) أي: القيامة، ووعدُها: وقتُها، وهو النفخة الثانية.

قوله: (﴿جِئۡنَا بِكُمۡ﴾) أي: أحيَيناكم وأخرجناكم من القبور.

قوله: (جميعاً) أشار بذلك إلى أن ﴿لَفِيفٗا﴾ اسم جمع لا واحد له من لفظه، وقيل: مصدر: لفَّ لفيفاً، والمعنى: جِئنا بكم مُنضمًّا بعضُكم لبعض.

---

(١) قرأ الكسائي بضم التاء، والباقون بالفتح. انظر «الدر المصون» (٧/ ٤٢٢).

وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ ....

﴿١٠٥﴾ ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ﴾ أي: القُرآنَ ﴿وَبِالْحَقِّ﴾ المُشتَمِل عليه ﴿نَزَلَ﴾ كما أُنزِل لم يَعترِه تبديل، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا مُحمَّد ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ مَن آمَن بِالجنَّة ﴿وَنَذِيرًا﴾ مَن كَفر بِالنَّار.

﴿١٠٦﴾ ﴿وَقُرْآنًا﴾ ـ مَنصُوب بِفِعل يُفسِّرُهُ: ـ ﴿فَرَقْنَاهُ﴾: نَزَّلناهُ مُفرَّقاً في عِشرينَ سنةً أو وثَلاث، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ﴾) معطوف على قوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾، وهذا على أُسلوب العرب حيث ينتَقلون مما كانوا بصدده لشيء آخر ثم يَرجِعون له.

واختلف المفسرون في (الحق) الأول والثاني؛ فمَشى المفسِّر على أن المراد بهما: الحكم والمواعظ والأمثال التي اشتَمل عليها القرآن، وإنما التكرير للتأكيد؛ إشارةً إلى أنه لم يتغيَّر ولم يتبدَّل إلى يوم القيامة كما تغيَّرت التوراة والإنجيل.

وقيل: المعنى: وما أنزَلنا القرآن إلا بالحكمة المقتضية لإنزاله لا عبثاً، وما نزَل إلا بالحِكم والمواعظ واشتماله على الهداية إلى سَبيل الرشاد؛ فالحق الأول: كناية عن سبب نُزوله، والحق الثاني هو: ما اشتَمل عليه من المعاني.

قوله: (المشتمل عليه) أي: المحتوِي عليه القرآن.

قوله: (﴿إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾) حال من الكاف في ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾.

قوله: (منصوب بفعل) أي: فهو من بابِ الاشتغال، وعليه: فجملة ﴿فَرَقْنَاهُ﴾ لا محل لها من الإعراب، والتنوين لِلتعظيم؛ أي: قرآناً عظيماً.

قوله: (﴿فَرَقْنَاهُ﴾) بِالتخفيف في القراءة المشهورة، وقرئ شذوذاً بالتشديد[1].

قوله: (نزَّلناه مفرَّقاً) هذا أحدُ أقوال في تفسير قوله: ﴿فَرَقْنَاهُ﴾، وقيل: بيَّنَّا حَلاله وحرامه، وقيل: فرَّقنا به بين الحق والباطل.

قوله: (أو وثلاث) (أو): لحكاية الخلاف؛ أي: إنه اختُلف في مدة نزول القرآن؛ هل هي عشرون سنة أو ثلاثٌ وعشرون، وهو مبني على الخلاف في تعاقُبِ النبوة والرسالة وتَقارنهما.

---

(١) وبها قرأ علي وابن عباس وابن مسعود وأبي بن كعب ﷺ، والشعبي والحسن ـ بخلاف ـ و أبو رجاء وقتادة وحميد وعمرو بن فائد وعمر بن ذر و أبو عمرو بخلاف. انظر «المحتسب في تَبيين وجوه شواذ القراءات» (٢/ ٢٣).

لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ ....

﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾: مَهلٍ وتُؤَدة لِيفهَموه، ﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ شيئاً بعدَ شيء على حسَب المَصالِح.

﴿١٠٧﴾ ﴿قُلْ﴾ لِكُفَّار مكَّةَ: ﴿ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾ تهديدٌ لَهم، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾: قبل نُزُوله وهم مُؤمنو أهلِ الكتابِ ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لِتَقْرَأَهُۥ﴾) متعلق بـ(فرَقنا)، وقوله: ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ متعلق بـ(تَقرأه)، وكذا قوله: ﴿عَلَىٰ مُكْثٍ﴾، ولا يَلزم عليه تعلق حرفي جرٍّ مُتحدي اللفظ والمعنى بعامل واحد؛ لأنَّ الأول في محل المفعول به، والثاني في محل الحال؛ أي: مُتمهِّلاً، فاختلف المعنى.

قوله: (مهل وتؤدة) أي: سكينة وتأنٍّ.

قوله: (ليفهموه) أي: ليَسهل حِفظه وفهمه.

قوله: (على حسب المصالح) أي: الوقائع التي تقتضي نزوله، فالحاصل: أنه نزل مفرَّقاً لحكمتين: الأُولى: لِيَسهل حفظه وفهمه، والثانية: اقتضاء الوقائع لِذلك، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣].

قوله: (تهديد لهم) أي: فالمعنى: أنَّ إيمانكم لا يَزيد القرآن كمالاً، وامتناعكم لا يُورِثه نقصاً.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾) تَعليل لقوله: ﴿ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾، والمعنى: إن لم تُؤمنوا به.. فقد آمن به مَنْ هو خيرٌ منكم، وفيه تَسليةٌ له ﷺ؛ أي: لا تحزن على إعراضِهم وعدم إيمانهم، وتسلَّ بإيمان هؤلاءِ العلماء.

قوله: (وهم مؤمنو أهل الكتاب) أي: كعبد الله بن سَلام وسلمان الفارسي والنجاشي وأقرانهم.

قوله: (﴿لِلْأَذْقَانِ﴾) اللام: بمعنى (على)، أو على بابها مُتعلقة بـ﴿يَخِرُّونَ﴾، ويكون بمعنى: يدلون، وخصَّت الأذقان بالذكر؛ لأنها أوَّل جزء من الوجه يَقرب من الأرض عند السجود، و﴿سُجَّدًا﴾: حال؛ أي: ساجِدين لله على إنجاز وَعده الذي وعدَهم به في الكتب القديمة أنه يُرسل محمداً ﷺ، وينزِّل عليه القرآن.

وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ....

﴿١٠٨﴾ ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾ تنزيهاً له عن خُلفِ الوَعد، ﴿إِن﴾ - مُخفَّفة - ﴿كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا﴾ بِنُزُولِه وبَعثِ النَّبيِّ ﷺ ﴿لَمَفْعُولًا﴾.

﴿١٠٩﴾ ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ - عَطف بِزِيادةِ صِفة - ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ القُرآنُ ﴿خُشُوعًا﴾: تَواضُعاً لله.

﴿١١٠﴾ وكان ﷺ يَقُول: يااللهُ يا رَحمَن، فقالُوا: يَنهانا أن نَعبُدَ إلَهينِ وهو يَدعُو إلَهاً آخر مَعه، فنَزل: ﴿قُلِ﴾ لَهُم: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَيَقُولُونَ﴾) أي: في حالِ سجودهم.

قوله: (عن خلف الوعد) أي: الذي رأيناه في كتبنا بإنزال القرآن وإرسالِ محمد ﷺ.

قوله: (مخففة) أي: فاسمها ضمير الشأن، وقوله: (﴿لَمَفْعُولًا﴾) أي: موفًى ومنجزاً.

قوله: (بزيادة صفة) أي: وهي البكاء، ومراده بهذا: دفع التكرارِ، وهو معنى قولِه تعالى في سورة (المائدة): ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ...﴾ [المائدة: ٨٣] إلخ.

قوله: (﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ القرآن) أي: فالضَّمير يَعود على (القرآن)، ويصح عَودُه على البكاء.

قوله: (وكان ﷺ) أشار بذلك إلى سبب نزولها، وحاصِله: أنه سجد ﷺ ذات ليلة فجَعل يقُول في سجوده: «يا الله يا رحمنُ»، فقال أبو جهل: إن محمداً يَنهانا عن آلهتنا وهو يَدعو إلهين[١].

قوله: (إلهاً آخر) أي: وهو الرحمن ظنًّا منهم أن المراد به مُسيلِمة الكذاب؛ لأنَّ قومه كانوا يسمُّونه رَحمن اليمامة[٢]، قال بعضهم في حقِّه: [البسيط]

سميتَ[٣] بالمجدِ يا ابنَ الأكرَمِينَ أَباً ... وأنتَ غَيثُ الوَرَى لا زِلتَ رَحمانَا

(١) انظر «تفسير البغوي» (٥/ ١٣٧)، و«زاد المسير» (٣/ ٦٠).

(٢) انظر «شرح الزرقاني على المواهب» (٥/ ١٤٧).

(٣) كذا في الأصول في الموضعين، ورواية البيت في كتب التفسير: (سموت)، وهذا من تعنُّتهم في كفرهم؛ إذ سمَّوا المخلوق باسم الخالق كما سمَّوا الحجارة آلهة. انظر «حاشية الشهاب على البيضاوي» (١/ ٦٨)، و«حاشية الطيبي على الكشاف» (١/ ٧١٢).

﴿ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ ....

﴿ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ﴾ أي: سَمُّوهُ بِأَيِّهِما أو نادُوهُ بِأن تَقُولُوا: يا الله يا رَحمنُ، ﴿أَيّٗا﴾ ـ شرطيَّة ـ ﴿مَّا﴾ ـ زائِدة ـ أي: أيَّ هَذينِ ﴿تَدۡعُواْ﴾ فهو حَسنٌ، دلَّ على هذا: ﴿فَلَهُ﴾ أي: لِمُسمَّاهُما ﴿ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ وهذانِ مِنها؛ ....

حاشية الصاوي

وهَجاه بعض المسلمين بقوله:

سميتَ بالخبْثِ يا ابنَ الأخبَثِين أباً ... وأنتَ شَرُّ الوَرَى لا زِلْتَ شَيطانَا

قوله: (أي: سمُّوه بأيِّهما) أي: اذكروا اسمَه في غير نداء.

قوله: (أو نادوه) تفسير ثانٍ لقوله: ﴿ٱدۡعُواْ﴾، فعلى الأول: يكون ناصباً لِمَفعولين، أوَّلهما محذوفٌ[1]، تقديره: مَعبودكم، وعلى الثاني: يكون ناصباً لمفعول واحد.

قوله: (بأن تقولوا: يا الله يا رحمن) أشار بذلك إلى أنَّ أسماء الله تَوقيفيَّة؛ فلا يجوز لَنا أن نسمِّيه باسم غير واردٍ في الشرع، قال صاحب «الجوهرة»[2]: [الرجز]

واخْتِيرَ أنَّ اسْمَاهُ تَوقِيفيَّهْ

قوله: (﴿أَيّٗا﴾ شرطيَّة) أي: مَنصوبة بـ﴿تَدۡعُواْ﴾، فهي عاملة ومعمولة، والمضاف إليه محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (أيَّ هذَين).

قوله: (﴿فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾) هذه الجملة جوابُ الشرط، وهو ما اشتَهر على ألسِنَة المعربين، وقدَّر المفسِّر جوابَه بقوله: (فهو حسَن)، فتكون الجملة دليلَ الجواب.

و(الأسماء): جمع اسم، وهو اللفظُ الدال على ذات المسمَّى، وأسماؤه تعالى كثيرة قِيل: ثلاث مئة، وقيل: ألفٌ وواحد، وقيل: مئةُ ألف وأربعة وعشرون ألفاً عدد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ لأنَّ كلَّ نبيٍّ تمدُّه حقيقة اسم خاصٍّ به مع إمداد بقيَّة الأسماء له؛ لِتَحقُّقِه بجميعها، وقيل: ليس لها حدٌّ ولا نهايةَ لها على حسَب شُؤونه في خَلقه، وهي لا نهاية لها.

و(الحسنى): إما مَصدر وُصف به، أو مؤنث (أحسن) كـ: أفضل وفُضلى، فأفرد لأنه وصف جمع قلة لما لا يَعقل، فيجوز فيه الإفراد والجمع وإن كان الأحسن الجمع، قال الأجهوري: [الرجز]

---

(١) فيتعدى لاثنَين، إلى الأول بنفسه، وإلى الثاني بحرف الجر، ثم يتسع في الجار فيُحذف كقوله: دعتني أخاها أم عمرو، والتقدير: قل: ادعوا معبودكم بالله أو بالرحمن؛ أي: بأي الاسمين سمَّيتموه. انظر «الدر المصون» (٧/ ٤٣٠).

(٢) انظر «شرح المصنف على الجوهرة» (ص٢١١).

فإنَّها كما في الحَدِيث: ....

حاشية الصاوي

وجَـمـعُ كَـثـرةٍ لِـمـا لا يَـعـقِـلُ الأفـصَـحُ الإفـرادُ فِـيـه يـا فُـلُ
وغَـيـرُهُ فـالأفـصَـحُ الـمُـطـابَـقـهْ نَـحـوُ: هِـبـاتٍ وافِـراتٍ لائِـقَـهْ

وحُسن أسمائه تعالى لِدلالتها على مَعانٍ شريفة هي أحسَن المعاني؛ لأنَّ معناها ذاتُ الله أو صِفاته.

قوله: (كما في الحديث) أي: ونصُّه: «**إنَّ لله عزَّ وجلَّ تسعة وتسعين اسماً من أحصاها.. دخل الجنة، هو الله الذي لا إله إلا هو...**»[1] إلى آخر الرواية التي ذكرها المفسِّر واختارَها وإن كان الحديث وارداً بأوجُه خمسة؛ لِكونها أصحَّ الروايات الواردة؛ ومنها: «**إن لله تِسعة وتسعين اسماً مئةً غير واحد، إنه وِتر يُحب الوتر، وما مِن عبد يدعُو بها إلا وجَبَت له الجنة**»[2].

ومنها: «**إن لله تِسعة وتسعين اسماً؛ من أَحصاها كلَّها.. دَخل الجنة، اسأل الله تعالى الرحمن الرحيم الإلَه الرب... إلخ**»[3].

ومنها: «**إنَّ لله عزَّ وجلَّ تسعةً وتسعين اسماً مئةً إلا واحداً، إنه وترٌ يُحب الوتر، مَن حَفظها.. دخل الجنةَ؛ اسأل الله الواحدَ الصمد... إلخ**»[4].

ومنها: «**إن لله تعالى مِئة اسم غير اسم مَن دعا بها.. استجاب الله له**»[5]، وكلُّها في «الجامع الصَّغير» في حرف الهمزة مع النون عن عليّ وعن أبي هريرة[6].

والحِفظ والإحصاء عند أهل الظاهر: مَعرفة ألفاظها ومعانِيها، وعند أهل الله هو: الاتصافُ بها، والظهور بحقائقِها، والعثورُ على مَدارج نتائجها.

قوله: (هو) ليس من الأسماء الحسنى، بل هو عند أهل الظاهر ضميرُ شأن يُفسِّره ما بعده، وعند أهل الله: اسمٌ خاصٌّ يتعبَّدون بِذكره[7]، وعلى كلٍّ فهو زائد على التسعة والتسعين.

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٠٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواها أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٨٠) عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) رواها الحاكم في «المستدرك» (١/ ١٧)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص٥١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواها ابن ماجه (٣٨٦١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، وبنحوها عند «البخاري» (٦٤١٠).

(٥) عزاها السيوطي لابن مردويه. انظر «الفتح الكبير» (١/ ٣٨٠).

(٦) انظر «الفتح الكبير» (١/ ٣٧٧ ـ ٣٧٩).

(٧) ولفظ «هو» فيه أسرارٌ عجيبةٌ، وأحوال عالية، فبعضها يمكن شرحه وتَقريره وبيانه، وبعضها لا يمكن، وأنا بتوفيق الله =

«الله الذي لا إِلَه إِلَّا هو الرَّحمن الرَّحِيم، المَلِك، القُدُّوس، السَّلام، المُؤمِن، المُهَيمِن، العَزِيز، ....

حاشية الصاوي

قوله: (الله) هو أعظم الأسماء المذكورة؛ لِكونه جامعاً لجميع الأسماء والصفات، وهو عَلَمٌ على الذات الواجب الوجود، المستحق لجميع المحامد، و(أل) لازمة له لا لتعريف ولا غيره، وهو ليس بمشتقٍّ على الصحيح[1].

قوله: (الذي لا إله إلا هو) نعتٌ للاسم الجليل؛ أي: الذي لا مَعبود غيره.

قوله: (الرحمن) أي: المنعم بجلائل النعم كمًّا وكيفاً، دُنيوية وأخروية، ظاهرية وباطنية.

قوله: (الرحيم) أي: المنعِم بدقائق النعم كمًّا وكيفاً، دُنيوية وأُخرويةً، ظاهرية وباطنية. والدقائق: ما تفرَّعت عن الجلائل كالزيادة في الإيمان والمعرفة والتوفيق والعافِية والسمع والبصر.

قوله: (الملك) أي: المتصرف في خَلقه بالإيجاد والإعدام وغير ذلك، وتسميةُ غيره تعالى به مجازٌ.

قوله: (القدوس) أي: المنزَّه عن صفات الحوادث، وأتى به عَقب (الملك)؛ لدفع توهُّم أنه يطرأ عليه نقصٌ كالملوك.

قوله: (السلام) أي: المؤمِن من المخاوف والمهالك، أو الذي يُسلِّم على عباده.

قوله: (المؤمن) أي: المصدِّق لِرُسله بالمعجزات، ولأوليائه بالكرامات، ولعباده المؤمنين على إيمانهم وإخلاصهم؛ لأنه لا يطَّلع على الإخلاص نبيٌّ مرسلٌ، ولا مَلَك مقرَّبٌ، وإنما يُعلَمُ من الله.

قوله: (المهيمن) أي: المطَّلع على خطَرات القلوب.

قوله: (العزيز) مِن: عزَّ بمعنى: غلَب وقهر، فهو من صفات الجلال، أو مِن: عزَّ بمعنى: قلَّ فلم يُوجد له مثيلٌ ولا نظيرٌ، فهو من صفات السُّلوب.

= كتبت أسراراً لطيفة، إلا أني كلما أقابل تلك الكلمات المكتوبة بما أجِده في القلب من البهجة والسعادة عند ذكر كلمة «هو» أجد المكتوب بالنسبة إلى تلك الأحوال المشاهدة حقيراً، فعند هذا عرفتُ أن لهذه الكلمة تأثيراً عجيباً في القلب لا يصل البيان إليه، ولا ينتهي الشرح إليه. «مفاتيح الغيب» للإمام الرازي (١/ ١٣٦) ذكر فيه أكثر من عشر فوائد، وعقد له فصلاً خاصًا في «لَوامع البينات» (ص٤٧).

(١) كما نقل عن الشافعي والخليل وسيبويه وابن كيسان، والأكثرون على أنه مُشتق، ونُقل عن الخليل وسيبويه أيضاً. انظر «الفتوحات الإلهية» (٢/ ٦٨٨).

الجَبَّار، المُتَكبِّر، الخالِق، البارِئ، المُصَوِّر، الغَفَّار، القَهَّار، الوَهَّاب، الرَّزَّاق، ......

حاشية الصاوي

قوله: (الجبَّار) أي: المنتقِم القهار، فيكون من صفات الجلال، أو المصلِح للكسر يقال: جبَرَ الطبيب الكسر: أصلَحه، فيكون من صِفات الجمال.

قوله: (المتكبِّر) من الكبرياء، وهي التَّعالي في العظمة، وهي مختصَّة به تعالى؛ لما في الحديث القُدسي: «العظمة إزاري، والكبرياء رِدائي؛ فمَن نازعني فيهما.. قصَمتُه»[1].

قوله: (الخالق) أي: الموجد لِلمخلوقات من العدم.

قوله: (البارئ) أي: المبرىء عن الأسقام، أو المظهِر لما في الغيب؛ مِن: برَأ بمعنى: أظهر ما كان خفيًّا، فيرجع لمعنى الخالق.

قوله: (المصوِّر) أي: المبدع للأشكال على حسَب إرادته، فأعطى كلَّ شيء من المخلوقات صورة خاصَّة وهيبة منفردة يتميَّز بها على اختلافها وكثرتها.

قوله: (الغفار) إما مَأخوذ من الغفر بمعنى: السَّتر؛ لأنه يستر على عباده قبائحَهم، فيَحجبها في الدنيا عن الآدميين، وفي الآخرة عن الملائكة ولو كانت مَوجودة في الصحف، أو من الغفر بمعنى: المَحو من الصحف، وهو مُرادف للغفور والغافر، وقيل: الغافر هو: الذي يَغفر بعض الذنوب، والغفور: الذي يغفر أكثرَها، والغفار: الذي يغفر جميعها، والصحيح: الأول؛ لأنه لا مُبالغة في أسماء الله، بل صيغتها صِيغة نسبة كـ: (تمَّار) نسبة لِلتمر.

قوله: (القهار) أي: ذو البطش الشديد، فهو مِن صفات الجلال.

قوله: (الوهاب) أي: ذو الهبات العظيمة لغير غرَض ولا علَّة، فالطاعات لا تزيد في ملكه شيئاً، وإنما رتَّب الثواب عليها من فَضله وكرمه، وهذا الاسم من صفات الجمال.

قوله: (الرزَّاق) أي: مُعطي الأرزاق لعباده دنيا وأخرى، قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هود: ٦] وهو بمعنى الرَّازق.

والرزق قِسمان: ظاهر وهو الأقوات من طعام وشراب ونحو ذلك، وباطِن وهو العلوم والأسرار والمعارف؛ فالأول: رِزق الأبدان، والثاني: رزق الأرواح، وكلٌّ من عند رَبنا.

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٦١) عن سيدنا أبي هريرة ﷺ، وبنحوه عند مسلم (٦٧٧٣).

الفتَّاح، العَليم، القابِض، الباسِط، الخافِض، الرَّافِع، المُعِز، المُذِل، السَّمِيع، ....

حاشية الصاوي

قوله: (الفتَّاح) أي: ذو الفتح لما كان مغلوقاً[1]، حسِّيًا أو معنويًا، فهو المسهِّل لكلِّ عسيرٍ من خير الدنيا والآخرة، فضلاً منه وإحساناً، وهذا وما قبله من صِفات الجمال.

قوله: (العليم) أي: ذُو العلم، وهو صفة أزليَّة قائمة بِذاته، تتعلق بالواجبات والجائزات والمستحيلات تعلُّقَ إحاطةٍ وانكشافٍ، لا يوصف بنَظر ولا ضرورة ولا كسب.

قوله: (القابض) أي: ذو القبض، ضِد البسط، فهو جلَّ وعزَّ قابضٌ للأرزاق والأرواح وغير ذلك، فهو من صفات الجلال.

قوله: (الباسط) أي: ذُو البسط، ضد القَبض، فهو سبحانه وتعالى باسط الأرزاق في الدنيا والآخرة والقُلوب وغير ذلك، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وهذان الاسمان يَظهر آثارهما في العبيد، وللعارفين مَقاماتٌ في القبض والبسط؛ فالمبتدئ يُسمُّون تجلِّيه قبضاً وبسطاً، والمتوسط يسمُّونه أنساً وهيبة، والكامل يُسمُّونه جلالاً وجمالاً.

قوله: (الخافض) أي: لمن أراد خفضه، فهو خافضٌ لكلمة الكفر، وللظالمين، ولكلِّ متكبِّر وغير ذلك.

قوله: (الرافع) أي: ذُو الرفع لأهل الإسلام والعلماء والصديقين والأولياء، والسماوات والجنة وغير ذلك من الحسِّي والمعنوي، والأولُ من صفات الجلال، والثاني من صفات الجمال.

قوله: (المعزُّ) أي: خالق العزِّ لمن شاء مِنْ خَلقِهِ.

قوله: (المذلُّ) أي: خالق الذلِّ لمن أراد من عِباده، والأول من صفات الجمال، والثاني من صفات الجلال.

قوله: (السميع) أي: ذُو السمع، وهو صفة أزليَّة تتعلق بجميع الموجودات تعلُّقَ إحاطةٍ وانكشافٍ.

---

(١) غلق الباب يغلقه من حدِّ: (ضرب) غَلقاً، نقلها ابن دريد، وعزاها إلى أبي زيد: لثغةٌ أو لغيَّةٌ رديئة متروكة في: أَغلَقَه فهو مُغلَق، أو نادرة، قال أبو الأسود الدؤلي:

ولا أقولُ لِقِدْرِ القومِ: قد غَلِيَتْ ... ولا أقولُ لباب الدار: مَغلوقُ

أي: إني فصيح لا ألحن. «تاج العروس»، مادة (غ ل ق).

البَصِير، الحَكَم، العَدل، اللَّطِيف، الخَبِير، الحَلِيم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (البصير) أي: ذُو البصر، وهو صفة أزليَّة تتعلق بجميع الموجودات تعلُّق إحاطةٍ وانكشافٍ، فهي مساوية في التعلق لصفة السمع، ولا يَعلَم حقيقة اختلافهما إلا الله تعالى، وهما مخالفان لتعلُّق العلم؛ لأنَّ العِلم يتعلق بالمعدومات والموجودات، وهما إنما يتعلقان بالموجودات فقط، وكلٌّ منها منزَّه عن صِفات الحوادث، قال بعض العارفين: مَن أراد خفاء نفسه عن أعين الناس بحيث لا يَرَونه.. فليقرأ عند مُروره عليهم: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] تسعَ مرات.

قوله: (الحكم) أي: ذُو الحكم التام.

قوله: (العدل) أي: ذو العدل، أو العادل؛ فلا يَظلم مثقال ذرَّة، فأحكام الله لا جورَ فيها، بل دائرةٌ بين الفضل والعدل؛ لأنَّ الجور: التصرُّفُ في ملك الغير بغَير إذنه، ولا ملك لأحدٍ معه.

وأردف (الحكم) بـ(العدل)؛ دفعاً لتوهم أن حكمه تارةً يكون بالعدل، وتارة يكون بالجور.

قوله: (اللطيف) أي: العالم بخفيَّات الأمور، أو مُعطي الإحسان في صورة الامتحان؛ كإعطاء يوسفَ الصدِّيقِ الملكَ في صورة الابتلاء بالرِّقِّيَّة، وآدمَ الفوزَ الأكبرَ في صورة ابتلائه بأكلِه من الشجرة وإخراجه من الجنة، ونَبيِّنا ﷺ الفتحَ والنصرَ المبينَ في صورة ابتلائه بإخراجه من مكة، وهي سُنَّة الله في عباده الصالحين.

فائدة: من قرأ قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ في كل يوم تسع مراتٍ.. لطف الله به في أموره، ويسَّر له رزقاً حسناً، وكذلك من أكثَر من ذكر (اللطيف).

قوله: (الخبير) أي: المطَّلع على خفيَّات الأشياء، فيرجع لمعنى (اللطيف) على التفسير الأولِ، أو القادر على الإخبار بما عجَزت عنه المخلوقات.

قال بعضهم: من أراد أن يَرى شيئاً في منامه.. فليَقرأ قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ تِسع مرَّات عند نومه.

قوله: (الحليم) هو الذي لا يعجل بالعقوبة على مَنْ عصاه وكفَر به، بل يمهله؛ فإن تاب.. محا عنه خطاياه.

العَظِيم، الغَفُور، الشَّكُور، العَلِيّ، الكَبِير، الحَفِيظ، المُقِيت، الحَسِيب، ....

حاشية الصاوي

ومن أقبح ما تقول العامَّة: حِلم ربنا يُفتِّت الكبود؛ إذ معناه: اعتراضٌ على سَعة حلمه، ولا يدرُون أنه لولا حلمه علينا.. لخسف بنا، فسَعَةُ حِلمه من أجلِّ النعم علينا، قال العارف: الحمد لله على حِلمه بعد عِلمه، وعلى عفوِه بعد قدرته.

قوله: (العظيم) أي: الذي يصغر كلُّ شيءٍ عند ذكره، ولا يحيط به إدراكٌ، ولا يَعلم كُنْهَ حقيقته سواه؛ ففي الحديث: «سبحان من لا يَعلم قدرَهُ غيرُهُ، ولا يَبلغ الواصفون صفتَهُ»[١]، فهو من الصفات الجامعة.

قوله: (الغفور) تقدَّم معناه عند تفسير اسمه (الغفار).

قوله: (الشكور) أي: الذي يَشكر عباده؛ أي: يُثني عليهم في الدنيا والآخرة، فيُعطي الثواب الجزيل على العمل القليل، ويَرفع ذكرهم في الملأ الأعلى.

قوله: (العلي) أي: المرتفع المنزَّه عن كلِّ نقصٍ، المتَّصفُ بكل كمال، المستغني عن كلِّ ما سِواه، المفتقر إليه كلُّ ما عدَاه.

قوله: (الكبير) هو والعظيم بمعنى واحد.

قوله: (الحفيظ) أي: الحافِظ للعالم العُلوي والسفلي، دُنيا وأخرى، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [هود: ٥٧].

قوله: (المقيت) أصله: المقْوِت، نُقلت حركة الواو إلى الساكن قبلها، فقُلبت الواو ياءً لمناسبة ما قبلها؛ أي: خالِق القوت للأجساد والأرواح، دنيا وأخرى، وقُوت الأجساد الطعام والشراب، ونفعها بذلك وتَلَذذها به، وقوت الأرواح الإيمان والأسرار والمعارف، وانتفاعها بها، والكافر لا قُوتَ لروحه.

قوله: (الحسيب) أي: الكافي مَنْ توكَّل عليه، أو الشريف الذي كلُّ من دخل حِماه تشرَّف، أو المحاسب لعباده على النَّقير والفتيل والقطمير في قدرِ نِصف يوم من أيام الدنيا أو أقل.

---

(١) لم أجده فيما بين يديَّ من المصادر، وفي «مناقب الشافعي» للإمام البيهقي (١/ ٤٠١): قال الشافعي: الحمد لله الذي لا يؤدَّى شكرُ نعمةٍ من نِعَمه إلا بنعمة منه توجب على مُؤَدِّي ماضي نِعَمِه بأدائها: نِعْمةً حادثةً يجب عليه شكرُه بها، ولا يبلغ الواصفون كُنْهَ عَظمته الذي هو كما وصف نفسه، وفوق ما يَصِفه به خلقه.

الجَلِيل، الكَرِيم، الرَّقِيب، المُجِيب، الواسِع، الحَكِيم، الوَدُود، المَجِيد، الباعِث، الشَّهِيد، الحَقّ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (الجليل) أي: العظيم في الذاتِ والصفات والأفعال، فيَرجع لمعنى العظيم والكبير.

قوله: (الكريم) أي: المعطي من غير سؤال، أو الذي عمَّ عطاؤه الطائع والعاصي.

قوله: (الرقيب) أي: المراقب الحاضِر المشاهد لكلِّ مخلوق المتصرف فيه، وهو أعمُّ من (المهيمن)؛ لأنه المطَّلع على خطَرات القلوب، والرقيب: المطَّلع على الظاهر والباطن.

قوله: (المجيب) أي: لِدعوة الداعي، قال تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وفي الحديث: «ما مِن عبد يقول: يا رَب إلا قال الله: لبَّيكَ يا عبدي»[١].

قوله: (الواسع) السَّعة في حقِّه تعالى ترجع لنفي الأوليَّة والآخريَّة والإحاطة، فهو من صفات السُّلوب، أو يراد منها: أنَّ رحمته وَسِعت كلَّ شيء، فيكون من صفات الجمال.

قوله: (الحكيم) أي: ذو الحكمة، وهي العلم التامُّ، والصنع المتقَن.

قوله: (الودود) أي: المحبُّ لعباده الصالحين المحسنين، الراضي عليهم[٢]، قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، أو الودود بمعنى: المحبوب؛ لأنه محبٌّ ومحبوبٌ؛ فمحبَّته لعباده: إنعامُه عليهم أو إرادة إنعامه؛ فترجع لمعنى الرضا، ومحبة عباده له: مَيلهم إليه وشغلهم به عمَّن سواه.

قوله: (المجيد) أي: الشريف، ومِثله: (الماجد).

قوله: (الباعث) أي: الذي يبعث الأموات؛ أي: يُحييهم للحساب، ويبعث الرسل لعباده لإقامة الحجة عليهم والأرزاق الدنيوية والأُخروية.

قوله: (الشهيد) أي: المطَّلع على الظاهر والباطن، فيَرجع لمعنى (الرقيب)، وأما قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾.. فتَسميته غيباً بالنسبة لنا، وإلَّا.. فالكلُّ شهادةٌ عنده.

قوله: (الحق) أي: الثابت الذي لا يَقبل الزوال أزلاً ولا أبداً، فيرجع لمعنى واجب الوجود.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٢٢٠) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) عدَّاه بـ(على) على حدِّ قول الشاعر:

إذا رَضِيَتْ علَيَّ بنو قشيرٍ ... لَعمرُ اللهِ أعجبَني رضاها

الوَكِيل، القَوِيّ، المَتِين، الوَلِيّ، الحَمِيد، المُحصِي، المُبدِئ، المُعِيد، المُحيِي، المُمِيت، ....

حاشية الصاوي

قوله: (الوكيل) أي: المتولي أمورَ خلقِهِ دنيا وأخرى.

قوله: (القوي) أي: ذُو القدرة التامَّة التي يُوجِدُ بها كلَّ شيء ويُعدمه على طبق مراده.

قوله: (المتين) أي: صاحب القوة العظيمة التي لا تُعارَضُ، ولا يَعتريها نقصٌ ولا خللٌ.

قوله: (الولي) أي: الموالي والمتابع للإحسان لِعَبيده، أو المتولي للخير والشَّر؛ بمعنى: صدور الكلِّ منه، فيرجع لمعنى (الوكيل)، ويشهد للأول قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟...﴾ [البقرة: ٢٥٧] الآية، وللثاني قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾ [الشورى: ٩]، وأما الولي من الخَلق.. فمعناه: الموالي لطاعة ربِّه، المداوم عليها، أو مَنْ تولَّى الله أمره فلَم يَكِلْهُ لغيره.

قوله: (الحميد) أي: المحمود؛ أي: مُستحقُّ الحمد كلِّه، أو الحامد لِعَبيده الصالحين، ولنفسه بنفسه.

قوله: (المحصي) أي: الضابط لِعدد مخلوقاته جليلِها وحقيرها، قال تعالى: ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ [الجن: ٢٨].

قوله: (المبدئ) بالهمز؛ أي: المنشِىء من العدم إلى الوجود، وأما بغير همز.. فمعناه: المظهر، وليس مُراداً هنا؛ لِكون الرواية بالهمز.

قوله: (المعيد) أي: الذي يُعيد الخلق بعد انعدامهم، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، واختَلف أهل السنة في تلك الإعادة؛ قيل: عن عدمٍ محضٍ، وقيل: عن تَفريق أجزاء، قال صاحب «الجوهرة»[1]: [الرجز]

وقُـلْ: يُـعـادُ الـجِـسـمُ بِـالـتَّـحـقِـيـقِ عَـن عَـدمٍ وقـيـلَ: عَـن تَـفـرِيـقِ

قوله: (المحيي) أي: المقوِّم للأبدان بالأرواح لِلخلائق من العدم؛ أي: الناقل لهم من حالة العدم لحالةِ الحياة.

قوله: (المميت) أي: الخالق للموت، وهو عدم الحياة عمَّا من شأنه الحياة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك: ٢].

(١) انظر «شرح المصنف على الجوهرة» (ص٣٧٤).

الحَيّ، القَيُّوم، الواجِد، الماجِد، الواحِد، الأحَد، الصَّمَد، القادِر، المُقتَدِر، المُقَدِّم، المُؤَخِّر، ....

حاشية الصاوي

قوله: (الحي) أي: ذُو الحياة، وهي في حقِّه تعالى صفة أزليَّة قائمة بذاته تعالى، يَستلزمها اتصافه بالمعاني والمعنوية.

قوله: (القيوم) أي: القائم بذاته تعالى، المستغني عن غيره، أو المقوِّم لغيره بِقُدرته وإرادته، فهو المتصرف في العالم دنيَا وأخرى.

قوله: (الواجد) أي: الغني، من: الوجدان، وهو عدم نَفاد الشيء؛ بمعنى: أنه لو أغنى الخلق جميعاً وأعطاهم سُؤلهم.. لم ينقص من مُلكه إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر.

قوله: (الماجد) هو بمعنى المجيد المتقدِّم، وهو الشريف، أو واسِع الكرم.

قوله: (الواحد) أي: الذي لا ثانيَ له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فهو مستلزم لنفي الكموم الخمسة: المتصل والمنفصل في الذات، والمتَّصل والمنفصل في الصفات، والمنفصِل في الأفعال، والمتصل فيها لا يُنفى، بل هو تعلق القدرة والإرادة في سائر الكائنات إيجاداً وإعداماً، فلا غاية له ولا نهاية، قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] أي: كل لحظة ولمحة في شؤون يُبديها ولا يَبتديها، والوحدة في غيره نقصٌ، وفي حقِّه كمال؛ كما وَرد: «أنه واحد لا مِن قلَّة»، بل وحدة تعزُّز وانفراد وتكبُّر؛ لانعدام الشبيه والنظير والمثيل.

وفي بعض النسخ زِيادة: لفظ (الأحد)، وهو بمعنى الواحد، والصواب: إسقاطه؛ لأنه ليس ثابتاً في رواية الترمذي الذي نسب الحديث إليه.

قوله: (الصمد) أي: الذي يُقصد في الحوائج، فهو كالدليل للوحدانيَّة.

قوله: (القادر) أي: ذو القدرة التامَّة، وهي صفة أزليَّة قائمة بذاتِه تعالى تتعلق بالممكنات إيجاداً وإعداماً على وَفق الإرادة.

قوله: (المقتدر) مبالغة في القدرة؛ أي: العَظيم القدرة التي لا شَبيه لها ولا مثيل ولا نظير، فيرجع لمعنى (القوي المتين).

قوله: (المقدِّم) بكسر الدال؛ أي: لمن أراد مِن عباده.

قوله: (المؤخر) أي: لمن أراد تأخيره، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ...﴾ [آل عمران: ٢٦] الآية.

الأوَّل، الآخِر، الظَّاهِر، الباطِن، الوالِي، المُتَعالِي، البَرّ، التَّوَّاب، المُنتَقِم، العَفُوّ، الرَّؤُوف، مالِك المُلك، ....

حاشية الصاوي

قوله: (الأول) أي: الذي لا افتتاحَ لوجوده.

قوله: (الآخر) أي: الذي لا انتهاء لِوجوده.

قوله: (الظاهر) أي: الذي ليس فوقه شيءٌ، ولا يَغلبه شيءٌ، أو الظاهر بآثاره وصنعه، ومن الحِكَم: (هذه آثارنا تدلُّ علينا)، قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

قوله: (الباطن) أي: الذي ليس أقرَب منه شيء، أو الذي تحجَّب عنَّا بجلاله وهَيبته؛ فلا تراه الأبصار في الدنيا، ولا تُدرك حقيقته لأحد دنيا ولا أخرى، وقد جمعت هذه الأسماء الأربعة في قوله ﷺ: «**اللهمَّ أنت الأول فليس قبلَك شيء، وأنتَ الآخِر فليس بعدك شيء، وأنتَ الظاهر فليس فوقك شيء، وأنتَ الباطن فليس دُونك شيء؛ اقضِ عنا الدين، وأغنِنا من الفقر**»[1].

قوله: (الوالي) أي: المتولي على عباده بالتصريف والقهر والإيجاد والإعدام، فيرجع لمعنى (الملك).

قوله: (المتعالي) أي: المنزَّه عن صفات الحوادث، فيَرجع لمعنى (القدوس)، وأتى به عَقب (الوالي)؛ لِدفع توهم طُرُوِّ نقص عليه كالولاة.

قوله: (البرُّ) أي: المحسِن لعباده الطائعين والعاصين.

قوله: (التواب) أي: كثير التوبة لعباده المذنبين؛ أي: يَقبل توبتهم إن تابوا، أو الذي يخلق التوبة في العبد فتَظهر فيه، قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى: ٢٥].

قوله: (المنتقم) أي: المرسل لِلنقم والعذاب على الكفار والجبابرة الذين ماتوا مصرِّين على ذلك، فهو من صِفات الجلال كـ: (قهّار).

قوله: (العفُوُّ) أي: الذي لا يُؤاخذ المذنب بالذنوب، بل يَمحوها ويُبدِّلها بحسنات.

قوله: (الرؤوف) من الرأفة، وهي: شِدة الرحمة، ومعناها في حقِّه تعالى: الإنعام وإرادته.

قوله: (مالك الملك) أي: المتصرِّف فيه على ما يُريد ويختار، قال تعالى: ﴿يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ [الرعد: ٤١].

---

(١) رواه مسلم (٦٩٨٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

ذُو الجَلال والإكرام، المُقسِط، الجامِع، الغَنِيّ، المُغنِي، المانِع، الضَّار، النَّافِع، النُّور، الهادِي، البَدِيع، الباقِي، الوارِث، ....

حاشية الصاوي

قوله: (ذو الجلال) أي: صاحب الهيبة والعظَمة، وقوله: (والإكرام) أي: الإنعام والإحسان.

قوله: (المقسِط) أي: الذي يَحكم بالإنصاف بين خَلقه، وضده: القاسط؛ بمعنى: الجائر.

قوله: (الجامع) أي: لكلِّ كمال، أو لِلخلق يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩]، أو ما هو أعمُّ، وهو أولى.

قوله: (الغني) أي: ذو الغنى المطلَق، وهو المستغني عن كلِّ ما سواه، المفتقرُ إليه كلُّ ما عدَاه.

قوله: (المغني) أي: المعطي الغنى لِمن شاء دنيا وأخرى، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ [النجم: ٤٨].

قوله: (المانع) أي: الدافع عن عَبيده المضارَّ الدنيوية والأُخروية، قال تعالى: (إن الله يَدْفَعُ عن الذين آمنوا)[١]، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

قوله: (الضَّارُّ) أي: خالِق الضر، ضِد النفع، وهو: إيصال الشَّر لمن يشاء من عباده.

قوله: (النافع) أي: خالق النفع، ضد الضَّر، وهو: إيصال الخير لمن يشاء من عِباده دنيا وأخرى.

قوله: (النُّور) أي: الظاهر في نفسه، المظهِرُ لغيره، أو خالق النور.

قوله: (الهادي) أي: خالِق الهدى والرشاد، الموصل له مَن أحبَّ من عباده.

قوله: (البديع) أي: المبدِع والمحكم كلَّ شيءٍ صنعه، أو المخترع الأشياء على غير سابِقة مثال، قال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧] أي: مُحكِمهما ومتقنهما ومخترعٌ لهما على غير مثالٍ سابق.

قوله: (الباقي) أي: الدائم الذي لا يَزول ولا يحول.

قوله: (الوارث) أي: الباقي بعد فَناء خلقه، أو الذي يرجع إليه كلُّ شيء، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم: ٤٠]، ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣].

---

(١) على قراءة ابن كثير وأبي عمرو. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢١٥).

وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ ....

الرَّشيد، الصَّبُور». رَواه الترمذي.

قال تَعالى: ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ﴾: بِقِراءتِك فِيها؛ فيَسمَعك المُشرِكُون فيَسُبُّوك ويَسُبُّوا

حاشية الصاوي

قوله: (الرشيد) صاحب الرشد وهو: الذي يَضع الشيء في محلِّه، أو خالق الرُّشد في عباده؛ فيرجع لمعنى (الهادي).

قوله: (الصبور) أي: الذي لا يَعجل بالعقوبة على من عصاه؛ فيرجع لمعنى (الحليم)، والله أعلَم بحقيقة معاني أسمائه وأسرارِها.

قوله: (رواه الترمذي) أي: عن أبي هريرة[(١)].

واعلم: أن لِلعارفين في استعمال هذه الأسماء طرقاً؛ فمنهم من يستعملها نثراً، ومنهم من يَستعملها نظماً كالشيخ الدمياطي وسيدي مصطفى البكري وغيرهما، وأجلُّ ما تَلقَّيناه منظومة أستاذنا بركةِ الوقت والزمان، وإمامِ العصر والأوان، القطبِ الشهيرِ، والشهاب المنير، أبو[(٢)] البركات، ومهبط الرحمات، الذي عمَّ فضلُهُ الكبيرَ والصغيرَ، شَيخنا الشيخ أحمد بن محمد الدردير؛ فإنها عديمة النظير؛ لاحتوائها على الدعَوات الجامعة، والأسرار اللامعة بمظاهر تلك الأسماء، وهي آخر العلوم الإلهيَّة التي ظهرت على لِسانه، وقد أُلقِيت عليه في ليلة واحدة، فقام من فِراشه وكتبها، وكان يقرؤها في كلِّ يوم وليلة ثلاث مرات؛ فمَن أراد الفوز الأكبر والظفر بالمقصود من خير الدنيا والآخرة.. فعليه بحفظها والمواظبة عليها صباحاً ومساءً، ومَن أراد الاطلاع على بعض مَعانيها وفوائدها.. فعليه بشرحنا عليها؛ فإنَّ فيه النفعَ التامَّ إن شاء الله تعالى.

قوله: (﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ﴾) سبب نزولها ـ كما قال ابن عباس ـ: أن رسول الله ﷺ كان مختفياً بمكة، فكان إذا صلَّى بأصحابه.. رَفع صوته بالقرآن، فإذا سمعه المشركون.. سبُّوا القرآن ومَنْ أنزَله ومَنْ جاء به، فقال الله لنبيِّه: ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ﴾ أي: بقراءتك، ﴿وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا﴾ عن أصحابِك؛ فلا تُسمعهم، ﴿وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا﴾[(٣)]، وهذا الأمر قد زال من يَوم إسلام عمر والحمزة[(٤)]، فهو منسوخٌ، فلِلمُصلي الجهر في الصلاة الجهرية ولو يَزيد على سماع المأمومين.

---

(١) «سنن الترمذي» (٣٥٠٧).

(٢) كذا في الأصول، على القطع، وحقُّ الإتباع الخفض.

(٣) رواه البخاري (٤٧٢٢)، ومسلم (٩٣٢).

(٤) كذا في الأصول، ولعل الأولى حذف (أل)؛ لأنها لا تدخل على الأعلام إلا سماعاً.

وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ....

القُرآنَ ومَن أنزَلَهُ، ﴿وَلَا تُخَافِتْ﴾: تُسِرَّ ﴿بِهَا﴾ لِيَنتَفِعَ أصحابُك، ﴿وَٱبْتَغِ﴾: اقصِدْ ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ الجَهرِ والمُخافَتةِ ﴿سَبِيلًا﴾: طَرِيقاً وسَطاً.

﴿١١١﴾ ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ في الأُلُوهيَّة، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ﴾ يَنصُرهُ ﴿مِّنَ﴾ أجلِ ﴿ٱلذُّلِّ﴾ أي: لَم يَذِلَّ فيَحتاجَ إلى ناصِرٍ، ....

حاشية الصاوي

وقيل: نزلت في الدعاء، ورُوي ذلك عن عائشة وجماعة[1]، ومثل الدعاء: سائر الأذكار؛ فلا يجهر بها ولا يُخافت بها، بل يكون بين ذلك قواماً، وعلى هذا القول: فالآية غير منسوخة، والعمل بها مُستمرٌّ.

قوله: (﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾) المخافَتة: عدم رفع الصوت، يقال: خفَت الصوت: إذا سكت.

قوله: (لينتفع أصحابك) عِلة للنهي عن المخافتة.

قوله: (﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾) أي: الثناءُ بالجميل واجبٌ لله.

قوله: (﴿ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾) أي: لم يكُن له ولد؛ لاستِحالته عليه.

قوله: (الألوهيَّة) أي: لم يكن له مُشارك في ألوهيَّته؛ إذ لو كان معه مشاركٌ فيها.. لما وُجِدَ شيءٌ من العالم، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١].

قوله: (﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾) أي: لم يكن له ناصر يمنع عنه الذلَّ؛ لاستحالته عليه عقلاً، واستُفيد من الآية: أنَّ له أولياء لا من أجل الذلِّ، بمعنى: أنه يَنصرهم ويتولَّى أمورهم مع استغنائه عنهم كاستغنائه عن الكفار، وإنما اختيارهم وتَسميتهم أولياء وأحباباً فمِن فضله وإحسانه، وكما أنه يستحيل عليه الوليُّ بمعنى: الناصِر له من الذل.. يستحيل عليه العدوُّ بمعنى: الموصل الأذى إليه، وأما بمعنى: أنه مغضوب عليه وليس راضياً بأفعاله.. فهو واقع.

قوله: (أي: لم يذلَّ) أي: لم يَجْرِ عليه وصفُ الذلِّ؛ لا بالفعل، ولا بالقوة.

---

(١) كما رواه البخاري (٤٧٢٣)، ومسلم (٩٣٣).

﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾

﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾: عَظِّمهُ عَظَمةً تامَّة عن اتِّخاذِ الوَلَد الشَّرِيك والذُّلِّ وكُلِّ ما لا يَلِيق بِه، وتَرتِيبُ الحَمد على ذلك لِلدَّلالةِ على أنَّه المُستَحِقُّ لِجَمِيعِ المَحامِد لِكمالِ ذاتِه وتَفرُّدِه في صِفاته، ورَوى الإمامُ أحمدُ في «مُسنَده» عن مُعاذٍ الجُهَنيِّ عن رَسولِ الله ﷺ أنَّهُ كان يَقُول: «آيةُ العِزِّ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ...﴾ إلى آخرِ السُّورةِ». والله تَعالى أعلَم.

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

قوله: (عظِّمه تعظيماً) أي: نَزِّهه عن كلِّ نقصٍ.

قوله: (وترتيب الحمد... إلخ) دَفع بذلك ما يقال: إنَّ المقام لِلتنزيه لا للحمد؛ لأنَّ الحمد يكون في مُقابلة نعمة، وهنا ليس كذلك. أُجيب: بأنَّ الله كما يَستحق الحمد لأوصافه يستحقُّه لذاته.

قوله: (آية العزِّ) أي: التي مَنْ قرأها مُؤمناً بها.. حصل له العزُّ والرفعة، ووَرد في عِدة استعمالها: أنها ثلاث مئة وواحد وخمسون كلَّ يوم، ويقول قبلها: توكَّلتُ على الحي الذي لا يموت، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾... إلى آخرِها.

✿ ✿ ✿

قال مُؤلِّفه: وهذا آخِرُ ما كمَّلتُ بِه تَفسِير القُرآن الكرِيم الَّذِي أَلَّفهُ الشَّيخُ الإمام العلَّامةُ المُحَقِّقُ جَلال الدِّين المُحلِّي الشَّافِعي رضي الله عنه، وقد أفرَغتُ فيه جُهدِي، وبَذَلتُ فِكري فِيه في نَفائسَ أراها إن شاءَ الله تَعالى تُجدِي، وأَلَّفتُه في مُدَّةِ مِيعاد الكَليم، وجعَلتُه وَسِيلةً لِلفوز بِجَنَّات النَّعِيم، وهو في الحقيقة مُستَفادٌ مِن الكتابِ المُكَمَّل، وعلَيه في الآيِ المُتَشابِهة الاعتِمادُ والمُعوَّل، فرَحم الله امرَأً نَظر ....

حاشية الصاوي

قوله: (جلال الدين المحلي) كان على غاية من العلم والعمل والزهد والورع والحلم، حتى كان من أخلاقه أنه يَقضي حوائج بيته بنَفسه مع كونه عِنده الخَدم والعبيد.

قوله: (وقد أفرغتُ فيه) الضمير عائد على (ما) في قوله: (آخر ما كمَّلت به)، وكذا بَقية الضمائر.

قوله: (جهدي) بفتح الجيم وضمِّها؛ أي: طاقَتي.

قوله: (وبذلت فكري) الفكر: قوَّةٌ في النفس يَحصل بها التأمُّل.

قوله: (في نفائس) أي: دقائق ونِكات مرضيَّة.

قوله: (أراها) بفتح الهمزة وضمِّها.

قوله: (تجدي) أي: تَنفع.

قوله: (قدر ميعاد الكليم) أي: وهو أربعون يوماً؛ لأنه سيَأتي أنه ابتدأ فيه أول يوم من رمضان، وختمه لعشرة من شوال، وفي ذلك إشارةٌ إلى أنَّ في هذه المدة حصَل لموسى الفتح وإعطاء التوراة وهي كلام الله، فقد خُلِعَتْ عليَّ خلعة من خِلَعِهِ حيث فتح الله عليَّ في تلك المدة بخِدمة كلام الله، والإخبار بذلك من باب التحدث بالنعمة؛ فإنَّ هذا الزمن عادةً لا يَسَع هذا التأليف إلا بعنايةٍ من الله سيَّما مع صغر سنِّ الشيخ حينئذ؛ فإنه كان عمره أقلَّ من ثِنتين وعشرين سَنة بشهور.

قوله: (وهو) أي: ما كمَّلتُ به.

قوله: (مستفادٌ من الكتاب المكمل) هذا تواضعٌ من الشيخ، وإشارة إلى أنه حذَا حذوَه واقتفى أثره؛ فالشيخ المحلي قد سنَّ سنَّةً حسنة للشيخ السيوطي، فلَه أجرها وأجر مَن عمل بها إلى يوم القيامة.

قوله: (وعليه) أي: الشيخ، أو الكتاب المكمل، وهو متعلق بمحذوف خبر مقدَّم، و(الاعتماد) مبتدأ مؤخَّر، وقوله: (في الآي... إلخ) متعلق بـ(الاعتماد)، و(المعوَّل) معطوف على (الاعتماد) عطف مرادِف.

بِعينِ الإنصاف إلَيه، ووَقف فِيه على خَطأ فأَطلَعني علَيه، وقد قُلتُ:

حَـمِـدت اللهَ رَبِّـي إذ هَـدانـي لِـمـا أبـدَيتُ معْ عَـجزِي وضَعفي

فـمَـن لـي بِـالـخَـطـا فـأُردَّ عَـنـه ومَـن لـي بِـالـقَـبُـول ولـو بِـحَـرف؟

هذا ولَم يَكُن قَطُّ في خَلَدِي أن أتَعَرَّضَ لِذلك؛ لِعِلمِي بِالعَجزِ عن الخَوض في هٰذه المَسالِك، ....

حاشية الصاوي

قوله: (بعين الإنصاف) إما على حذف مُضاف؛ أي: بعين صاحب الإنصاف، أو في الكلام استعارة بالكناية؛ حيث شبَّه الإنصاف بإنسان ذي عين، وطَوى ذكر المشبَّه به، ورَمز له بشيء من لوازمه وهو العين، فإثباتُه تخييل، واحترز بعين الإنصاف من عين الاعتساف؛ فإنها لا تَرى محاسن أصلاً؛ كما قال العارف[1]: [الطويل]

وعـيـنُ الـرِّضـا عَـن كـلِّ عـيـبٍ كَـلِـيـلـةٌ كـمـا أنَّ عـيـنَ الـسُّـخـطِ تُـبْـدِي الـمَـساوِيَا

قوله: (ووقف فيه على خطأ) أي: اطَّلع عليه.

قوله: (فأطلعني) أي: دلَّني عليه، وعرَّفني به.

قوله: (وقد قُلت) أي: شاكراً لله، سالكاً سبيل الاعتذار.

قوله: (إذ هداني) أي: لأجل هِدايته لي.

قوله: (لما أبديت) متعلق بـ(هَداني).

قوله: (فمن لي بالخطا) أي: من يتكفَّل لي بإظهار الخطأ.

قوله: (فأردَّ عنه) أي: أُجيب عنه وأصلحه.

قوله: (ومن لي بالقبول) أي: من يُبشِّرني بالقبول من الله لهذا التأليف ولو حرفاً؛ لأنَّ القبول من رحمة الله، ومَن رحمه.. لا يعذِّبه.

قوله: (هذا) أي: افهم وتأمَّل ما ذكرتُه لك.

قوله: (في خلدي) بفتحتين، معناه: البال والقَلب.

قوله: (لذلك) أي: لتأليف تلك التكملة.

قوله: (المسالك) أي: مَسالك التفسير الذي هو أصعب العلوم؛ لاحتِياجه إلى الجمع بين المعقول والمنقول.

---

(١) البيت للإمام الشافعي كما في «ديوانه» (ص٩١).

وعَسى الله أن يَنفعَ بِه نَفعاً جَمًّا، ويَفتَح بِه قُلُوباً غُلْفاً وأعيُناً عُمْياً وآذاناً صُمًّا، وكأنِّي بِمَن اعتادَ المُطَوَّلات وقد أضرَبَ عن هذهِ التَّكمِلة وأصلِها حَسماً، وعَدل إلى صَرِيح العِناد ولَم يُوَجِّه إلى دَقائِقها فَهماً، ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾، رَزَقنا الله بِه هِدايةً إلى سَبِيل الحَقِّ وتَوفِيقاً، واطِّلاعاً على دَقائِق كلِماتِه وتَحقِيقاً، وجَعَلنا بِه ....

حاشية الصاوي

قوله: (وعسى الله) هذا تَرجٍّ من الشيخ رضي الله عنه، وقد حقَّق الله رجاءه.

قوله: (جمًّا) بفتح الجيم؛ أي: كثيراً.

قوله: (غلفاً) أي: مُغطَّاة ممنوعة عن فَهم علم التفسير؛ لِصعوبته.

قوله: (عمياً) أي: لا تُبصر، فإذا نظرت فيه وتأمَّلته.. فأرجو أن يَزول عنها العمى لتُبصره وتُدركه.

قوله: (وآذاناً صمًّا) أي: فبِسماعه يزول عنها الصمم، وتَصير مستمعة لدقائق التفسير.

قوله: (وكأني بمن اعتاد المطوَّلات) أي: مُلتبس بمن اعتاد، فالباء للملابسة، ويصح أن تكون بمعنى (من)، والمعنى: وكأني قريب ممن اعتاد... إلخ.

قوله: (وقد أضرب) أي: أُعرض.

قوله: (وأصلها) أي: وهي قِطعة الجلال المحلي.

قوله: (حسماً) الحسم: المنع والقطع، وهو مفعول مُطلق مؤكد لعامله المعنوي الذي هو (أعرض)، كأنه قال: وقد أعرض إعراضاً.

قوله: (وعدل) أي: مال.

قوله: (إلى صريح العناد) من إضافة الصفة للموصوف؛ أي: العِناد الصريح.

قوله: (ومن كان في هذه) أي: التكملة مع أصلها، وفي بمعنى: عن، وقوله: (أعمى) أي: معرضاً عنها وغيرَ واقف على دقائقها، وقوله: (فهو في الآخرة) المراد بها المطوَّلات، وقوله: (أعمى) أي: غير فاهمٍ لها، وهو اقتِباس من الآية الشريفة، والاقتباس: تضمين الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث لا على أنه منه.

قوله: (رزقنا الله به... إلخ) هذا الضمير وما بعدَه لما كمَّل به.

قوله: (هداية) أي: وصولاً للمقصود.

قوله: (على دقائق كلماته) أي: القرآن.

﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾، وفُرِغَ مِن تَأْلِيفه يومَ الأحدِ عاشِر شوَّال سَنة سَبعين وثَمانِمائةٍ، وكان الابتِداءُ فيه يوم الأرِبعاء مُستَهلِّ رَمضان مِن السَّنة المَذكُورة، وفُرغ مِن تَبيِيضه يومَ الأربعاء سادِس صَفر سَنة إحدَى وسَبعِين وثَمانِمائة. والله أعلَمُ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾) المراد بالمعيَّة: أن يَستمتع فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضورِ معهم وإن كان كلٌّ في مَنزلته.

قوله: (وفُرِغَ من تأليفه) أي: جمعه وتَسوِيده؛ بدليل قوله: (وفرغ من تبييضه).

قوله: (سنة سبعين وثمان مئة) أي: وذلك بعد وَفاة الجلال المحلي بست سنين.

قوله: (وفرغ من تبييضه) أي: تحريره ونَقلِه من المسوَّدة.

قوله: (سادس صفر) أي: فكانت مُدة تحريره أربعة أشهر إلا أربعة أيام.

قوله: (السُّيوطي) بضم السين نسبة لسُيوط قرية بصعيد مصر.

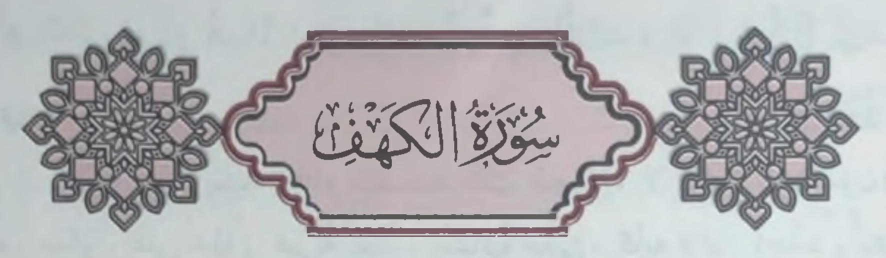
واعلَم: أنه قد وُجد بعد ختم هذه التكملة مما هو منقولٌ عن خطِّ السيوطي ما نصه: (قال الشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر الخطيب الطوخي: أخبرني صديقي الشيخ العلامة كمال الدين المحلي... إلخ) فليس من أصل تأليف السيوطي، والله أعلَم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

وكان الفراغ من تَسويد هذا الجزء يومَ الخميس المبارك، ثالث عشر شعبان المبارك، سنة خمس وعشرين ومئتين وألف من هجرة من له العزُّ والشرف، بمشهَد الإمام الحسين رضي الله عنه وعنَّا به، ومدَّنا من إمداده آمين، وغفَر الله لِكاتبه[1].

---

(١) جاء في خاتمة هذا الجزء من النسخة (أ) ما نصُّه: (بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً، الحمد لله الذي لا يخيِّب مَن استخاره، وقف وحبس وسبَّل وتصدَّق بهذا الجزء وما قبله الحاشية بتمامها الكائنة على تفسير الجلالين لِشيخنا وقُدوتنا إلى الله تعالى العارف بالله تعالى، أستاذنا الشيخ أحمد الصاوي الحفناوي المالكي، المحترم المكرم الحاج إبراهيم بن المرحوم إلى الله تعالى الحاج محمد بدر الدين، تابع مؤلفها المذكور، ضاعف الله له الأجور، على مُطلق طالب علم ينتفع بها إن شاء الله تعالى بجميع أوجه الانتفاعات الشرعية من قراءة ومطالعة ومقابلة وكتابة وغير ذلك، وجعل مقرَّها تحت يد كاتبها العبد الفقير قاسم الشتي خادم نعال مؤلفها في خزانة الوقف الكائنة برواق الغنيمة المنسوبة للشيخ أحمد الصباغ السكندري، وشرط واقفُها النظر في ذلك لمؤلفها المتقدم ذكره أطال الله عمره مع الصحة، وقفاً صحيحاً شرعيًّا مرضيًّا، وهو بحال الصحة والسلامة وكامل الأوصاف المعتبرة شرعاً، طالباً بذلك الثواب الجزيل من المولى الجليل، تحريراً في ختام الحجة سنة (١٢٣٠) من هجرته ﷺ، وعلى الله القبول).

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ....



مَكِّيَّة إلَّا ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ...﴾ الآيةَ. مِائة وعَشرُ آياتٍ، أو خَمس عَشرة آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ هو الوَصف بِالجَمِيلِ ثابِتٌ ﴿لِلَّهِ﴾ تَعالى، وهل المُرادُ الإعلام بِذَلِك

حاشية الصاوي

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله الأول الآخر، الباطِن الظاهر، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الطاهر الفاخر، وعلى آله وأصحابه ذَوي العُلا والمفاخر.

وبعد: فلمَّا انتهى الكلام على تَكملة الجلال السيوطي.. فلنَشرع الآن في الكلام على تأليف شيخِه الجلال محمد بن أحمد المحلي، نفَعنا الله بهما وبعلومهما في الدنيا والآخرة، ونَسأل الله الإعانة على البدء والختام، والموتَ على كمال الإيمان والإسلام.

قال نفَعنا الله به:

سُورَةُ الكَهْفِ

(سُورةُ الكهف مكيَّة) سمِّيت بذلك؛ لذكر قصة أصحاب الكهف فيها؛ من بابِ: تسمية الشيء باسم بعضه، و(سورة): مبتدأ، و(مكية): خبر أول، و(مئة... إلخ): خبر ثانٍ.

قوله: (ثابت) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ الجارَّ والمجرور في ﴿لِلَّهِ﴾ متعلق بمحذوفٍ، خبر المبتدأ، أو المراد بالثبوت: الدَّوام والاستمرار أزلاً وأبداً، فحصل الفرق بين حمد القديم والحادث، فوصف القديم بالكمالات أزليٌّ مستمرٌّ، وكمال الحادث عارضٌ.

قوله: (الإعلام بذلك) أي: الإخبارُ بأنَّ وصفه الكماليَّ أزليٌّ، فتكون الجملة خبريةً لفظاً ومعنًى، والمقصود منها: كونها عقيدةً للعباد، وشرطاً في إيمانهم، والمخبرُ بالحمد حامدٌ.

﴿ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ ....

لِلإيمانِ بِه، أو الثَّناء بِه أو هُما؟ احتِمالات أفيَدُها الثَّالِث، ﴿ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾: مُحمَّد

حاشية الصاوي

قوله: (أو الثناء به) أي: إنشاء الثناء بمضمُون تلك الجملة، لا إنشاءُ المضمون؛ فإنه ثابتٌ أزلاً يَستحيل إنشاؤه، فتكون على هذا: خبريَّةً لفظاً، إنشائيةً معنىً، كأنه قال: أجدِّد وأُنشئ حمداً لنفسي بنفسي؛ لِعجز خلقي عن كُنه حمدي؛ ولذا حكي عن أبي العباس المرسي أنه سأل ابن النحاس النحوي عن (أل) في ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ هل هي جنسيَّة أو عهديَّة؟ فقال: يقولون: إنها جنسيَّة، فقال: لا، بل هي عَهديَّة؛ لأنَّ الله لما علم عَجْزَ خلقِهِ عن كُنْهِ حمده.. حمد نفسَهُ بنفسه، وأبقاه لهم يَحمدونه[١].

قوله: (أو هما) أي: الإعلام والثناء، ويكون هذا مِن باب استعمال الجملة في الخبر والإنشاء على سبيل الجمع بين الحقيقة والمجاز، فاستِعمالها في الخبر حقيقةٌ، واستعمالها في الإنشاء مجازٌ، وحينئذٍ: فيكون المقصود من هذه الجملة أمرَين: الإعلام به للإيمان والتصديق، وإنشاء الثناء.

قوله: (أفيدها الثالث) أي: أكثرها فائدة؛ لدلالته على أمرَين مقصودٍ كلٌّ منهما بالذات.

إن قلتَ: إن إنشاء الثناء يستلزم الإعلام، والإعلام يستلزم إنشاء الثناء.. قُلنا: نعم ولكن فرقٌ بين الحاصل المقصود، والحاصل الغير المقصود، فتحصَّل أنه إذا جعلت الجملة خبريَّة فقط.. كان الثناء حاصلاً غير مَقصود، وإن جُعلت إنشائية فقط.. كان الإيمان بها حاصلاً غير مقصود، وإن استُعملت فيهما.. كان كلٌّ منهما مقصوداً لذاته.

قوله: (﴿ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ﴾) تعليق الحكم بالمشتقِّ يُؤذن بالعلِّيَّة، كأنه قال: الحمد لله لأجل إنزاله... إلخ، وإنما جعل الإنزال سبباً في الحمد؛ لأنه أعظَم نعمة وجدت دنيا وأخرى؛ إذ به تنال سعادةُ الدَّارين؛ إذ فيه صلاح المعادِ والمعاش، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

قوله: (﴿عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾) الإضافة لتشريف المضاف؛ ولذا قال القاضي عياض[٢]: [الوافر]

وممَّا زادَني شَرفاً وَتِيهاً ... وكِدْتُ بِأَخْمَصِي أَطَأُ الثُّرَيَّا

---

(١) واختار الأستاذ القشيري في «لطائفه» (١/ ٤٥) أنها للجنس فقال: (واللام ههنا للجنس، ومقتضاها: الاستغراق، فجميع المحامد لله سبحانه إمَّا وصفاً وإمَّا خلقاً، فله الحمد لظهور سلطانه، وله الشكر لوفور إحسانه).

(٢) نسبهما له ملا علي القاري في «مرقاة المفاتيح» (١/ ٩).

﴿ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ ....

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: القُرآنَ ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ﴾ أي: فِيهِ ﴿عِوَجَا﴾: اختِلافاً أو تَناقُضاً، ـ والجُملة حال مِن ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ ـ.

(﴿٢﴾ - ﴿٣﴾) ﴿قَيِّمًا﴾: مُستَقِيماً ـ حال ثانِية مُؤكِّدة ـ ﴿لِّيُنذِرَ﴾: يُخوِّف بِالكِتابِ الكافِرِينَ ﴿بَأْسًا﴾: عَذاباً ﴿شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾: مِن قِبَلِ الله، ....

حاشية الصاوي

دُخُـولـي تَـحـتَ قَـولِـكَ: يَـا عِـبـادِي وأنْ صـيَّـرْتَ أحْـمَـدَ لـي نَـبِـيَّـا

قول: (﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ﴾) الجملة إمَّا معطوفة على قوله: ﴿أَنزَلَ﴾، فتكون من جملة المحمود عليه، أو حال كما قال المفسِّر.

قوله: (اختلافاً) أي: في اللفظ والمعنى، والعِوَجُ بالكسر: الفسادُ في المعاني، وبالفتح: في الأجسام.

قوله: (تناقضاً) نعتٌ لـ(اختلافاً) على حَذف مضاف؛ أي: ذا تناقضٍ.

قوله: (﴿قَيِّمًا﴾) إن أريد به الاستقامة في المعنى.. كان حالاً مُؤكِّدة كما قال المفسِّر، وإن أريد به الاستقامة مطلقاً.. كان حالاً مؤسِّسة.

قوله: (مستقيماً) أي: معتدلاً قائماً بمصالح العباد دنيا وأخرى، فهو مُصلِحٌ لصاحبه دنياه وآخرتَهُ من حيث إنه يُؤنِسه في قبره، ويتلقى عنه السؤال، ويكون نوراً على الصراط، ويُوضع في الميزان، ويرقى به درجات الجنة، وهذا لِلعامل به، وقائمٌ على غير العامل به بمعنى: أنه يكون حجة عليه، أو المعنى: قيِّماً حسن الألفاظِ والمعاني؛ لِكَونه في أعلى طبقات الفصاحة والبلاغة.

فإن قلتَ: ما فائدة التأكيد؟ قُلنا: دفعُ توهُّم أنَّ نفي العِوَج عن غالبه؛ لأنَّ الحكم للغالب.

قوله: (﴿لِّيُنذِرَ﴾) متعلق بـ﴿أَنزَلَ﴾ وهو يَنصب مفعولين، قدَّر المفسِّر الأول بقوله: (الكافرين)، والثاني هو قوله: ﴿بَأْسًا﴾، وقوله: ﴿وَيُنذِرَ﴾: معطوف على قوله: ﴿لِّيُنذِرَ﴾ الأول، وحذف مفعوله الثاني؛ لدلالة ما هنا عليه، وذكر مفعوله الأول؛ ففي الكلام احتباكٌ؛ حيث حذف من كلٍّ نظير ما أثبته في الآخَر.

قوله: (الكتاب) هو فاعل (ينذر)، وفي بعض النسخ: (بِالكتاب)، وحينئذ: فيكون فاعل الإنذار إما ضميرٌ عائد على الله، أو على محمد.

وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً

﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ هو الجنَّة.

(﴿٤﴾ - ﴿٥﴾) ﴿وَيُنذِرَ﴾ مِن جُملة الكافرين ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ﴾: بِهَذا القَول ﴿مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ﴾ مِن قَبلِهم القائلِينَ لَهُ، ﴿كَبُرَتْ﴾: عَظُمَت ﴿كَلِمَةً﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾) نعت لـ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وقوله: ﴿أَنَّ لَهُمْ﴾ أي: بأنَّ لهم، وإنما ذكر المفعولين معاً؛ لعدم النظير لهم، بخلاف أهل الإنذار فأنواعُهم مختلفة.

قوله: (﴿مَّٰكِثِينَ﴾) أي: مُقيمين.

قوله: (هو الجنة) أي: الأجرُ الحسنُ.

قوله: (من جملة الكافرين) أشار بذلك إلى أن قوله: (وينذر) معطوف على (ينذر) الأول عطف خاصٍّ على عامٍّ، والنكتة: التشنيع والتقبيح عليهم؛ حيث نَسبوا له الولد وهو مستحيلٌ عليه، قال تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٠-٩٢].

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾) أي: مولوداً ذكراً أو أنثى، فيَشمل النصارى واليهود ومشركي العرب.

قوله: (﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾) أي: لاستِحالته عليه عقلاً.

قوله: (بهذا القول) هذا أحدُ أوجهٍ في مرجع الضمير، والثاني: أنه راجعٌ للولد؛ أي: إنهم نَسبوا له الولد مع عدم عِلمهم به؛ لاستحالته وعدم وجوده. الثالث: أنه راجعٌ لله؛ أي: ليس لهم عِلم بالله؛ إذ لو علموه.. لما نَسبوا له الولد.

قوله: (مَنْ قبلهم) بفتح الميم: بدل من (آبائهم) أي: فالمراد بـ(آبائهم): مَنْ تقدَّمهم عموماً، وليس المراد بهم خُصوص مَنْ لهم عليهم ولادة.

قوله: (﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾) (كبُر): فعل ماض لإنشاء الذم، والتاء: علامة التأنيث، والفاعل مستتر تقديره: هي، و﴿كَلِمَةً﴾: تمييز له، والمخصوص بالذم محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله:

تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ....

تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ ـ ﴿كَلِمَةً﴾ تَميِيزٌ مُفسِّر لِلضَّمِيرِ المُبهَم، والمَخصُوصُ بِالذَّمِّ مَحذُوف ـ أي: مَقالَتُهم المَذكُورة، ﴿إِن﴾: ما ﴿يَقُولُونَ﴾ في ذلكَ ﴿إِلَّا﴾ مَقُولاً ﴿كَذِبًا﴾.

﴿٦﴾ ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ﴾: مُهلِكٌ ﴿نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾: بَعدَهم أي: بَعد تَوَلِّيهم عَنك ﴿إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾: القُرآنِ ﴿أَسَفًا﴾: غَيظاً وحُزناً مِنك لِحِرصِك على إيمانِهم، ـ ونَصبُهُ على المَفعُول لَه ـ.

حاشية الصاوي

(مَقالتهم)، وهذه الجملة مستأنفة لإنشاء ذمِّهم، ونظيرها قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣].

قوله: (﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾) أي: من غير تأمُّل وتدبُّر فيها، بل جرَت على ألسنتهم من غير سند.

قوله: (في ذلك) أي: في هذا المقام، وهو نِسبة الولد لله.

قوله: (﴿إِلَّا كَذِبًا﴾) صفة لموصوف محذوف، قدَّره المفسر بقوله: (مقولاً).

قوله: (﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ﴾... إلخ) (لعل): تأتي للترجي، وللإشفاق، وكلٌّ ليس مقصوداً هنا، بل المراد هنا: النهي، والمعنى: لا تبخع نفسك؛ أي: لا تُهلكها من أجل أسفِك وغمِّك على عدم إيمانهم.

قوله: (بعدهم) تفسير لـ﴿ءَاثَٰرِهِمْ﴾ أي: فالآثار جمع أثر، والمراد منه: البعديَّة.

قوله: (﴿إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا﴾) شرطٌ حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه، والتقدير: فلا تُهلك نفسك، والمقصود منه: تَسلية النبي ﷺ، والمعنى: لا تحزن على عدم إيمانهم حزناً يؤدي لإهلاك نفسك، وأما أصل الحزن والغمِّ.. فهو شرطٌ في الإيمان لا ينهى عنه؛ لأنَّ الرضا وشرح الصدر بالكفر كفرٌ.

قوله: (لحرصك) علَّة لِلعلَّة.

قوله: (ونصبه على المفعول له) أي: والعامل فيه ﴿بَٰخِعٌ﴾.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝٨﴾ ....

(٧ - ٨) ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ مِن الحَيوان والنَّباتِ والشَّجَرِ والأنهارِ وغَيرِ ذلك ﴿زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ﴾: لِنَختبِرَ النَّاسَ ناظِرِينَ إلى ذلك ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فِيهِ أي: أزهَدُ لَهُ، ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا﴾: فُتاتاً ﴿جُرُزًا﴾: يابِساً لا يُنبِتُ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّا جَعَلْنَا﴾) كالتعليل لما قبله، فهو مِن جملة تسليته ﷺ، و(جعَل): إن كانت بمعنى: صيَّر.. فـ﴿زِينَةً﴾ مفعول ثان، وإن كانت بمعنى: خلق.. فـ﴿زِينَةً﴾ حال، أو مفعول لأجله، وعلى كلٍّ: فقوله: ﴿مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ مفعول.

قوله: (وغير ذلك) أي: مِن باقي النعم التي خَلقها الله للعباد كالذهب والفضة والمعادن.

قوله: (﴿زِينَةً لَّهَا﴾) أي: يتزيَّن بها ويتنعَّم، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ...﴾ [آل عمران: ١٤] الآية.

قوله: (لنختبر الناس) أي: نُعاملهم معاملة المختبِر.

قوله: (ناظرين إلى ذلك) حال من (الناس) أي: لِنَختبر الناس في حال نظرهم إلى الزينة.

قوله: (﴿أَيُّهُمْ﴾) مبتدأ، و﴿أَحْسَنُ﴾: خبر، و﴿عَمَلًا﴾: تمييز، والجملة في محل نصب سدَّت مسدَّ مفعولي (نبلُو).

قوله: (أي: أزهد له) تفسير لقوله: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، والمعنى: نميِّز بين حسن العمل وسيِّئه بتلك الزينة؛ فمَن زَهدها.. كان من أهل الحسن، ومَن رغب فيها.. كان بضدِّ ذلك، فتدبَّر.

قوله: (﴿لَجَٰعِلُونَ﴾) أي: مُصيِّرون، و﴿صَعِيدًا﴾: مفعول ثان.

قوله: (فُتاتاً) بضم الفاء: مصدر كالحُطام والرفات؛ أي: تراباً.

قوله: (﴿جُرُزًا﴾) نعت لـ﴿صَعِيدًا﴾، والمعنى: إنا لَنعيد ما على الأرض من الزينة تراباً مستوياً بالأرض كصعيد أملَسَ لا نبات به.

إن قلتَ: إن قوله: ﴿مَا عَلَيْهَا﴾ صريحٌ في أن الأرض تستمرُّ، فيكون مُنافياً لقوله في الآية الأخرى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]؟

أجيب: بأنه خصَّ ما على الأرض من الزِّينة؛ لأنه الذي به الغُرور والفتنة.

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩﴾ ....

﴿٩﴾ ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ أي: أظَنَنتَ ﴿أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ﴾: الغارِ في الجَبَل ﴿وَٱلرَّقِيمِ﴾: اللَّوحِ المَكتُوب فِيهِ أسماؤُهُم وأنسابُهُم، وقد سُئلَ ﷺ عَن قِصَّتهم، ﴿كَانُوا۟﴾ في قِصَّتهم ﴿مِنْ﴾ جُملة ﴿ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ ـ خَبَر (كان)، وما قَبله حالٌ ـ أي: كانُوا عَجَباً دُون باقِي الآياتِ أو أعجبَها، ليس الأمرُ كذَلك.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾) ﴿أَمْ﴾: منقطعة، وفيها ثلاثة مذاهب: مذهب الجمهور: تُفسَّر بـ(بل) والهمزة، وعند طائفة: تفسَّر بالهمزة وحدها وعليه درج المفسِّر، وعند طائفة أخرى: تفسَّر بـ(بل) وحدها.

قوله: (أي: أظننت) الاستفهام إنكاريٌّ؛ أي: لا تَظُنَّ أنَّ قصة أهل الكهف عجيبةٌ دون باقي الآيات؛ فإنَّ غيرها من الآيات الدالة على قُدرة الله كالليل والنهار، والسماوات والأرض أعجب منها.

قوله: (﴿ٱلْكَهْفِ﴾) مفرد، وجمعه: كُهوف، وأكْهُف.

قوله: (الغار في الجبل) أي: وإن لم يكن متَّسعاً وهو قول، وقيل: إنَّ الكهف الغار المتَّسع، فإن لم يتَّسع.. سمِّي غاراً فقط.

قوله: (﴿وَٱلرَّقِيمِ﴾) هو بمعنى: مَرقُوم.

قوله: (اللوح) أي: وكان من رصاص، وقيل: من حجارة، وهو مَدفون عند باب الغار تحت البناء الذي عليه، وقيل: إنَّ الرقيم اسم الوادي الذي فيه أصحاب الكهف، وقيل: اسم للقرية، وقيل: اسم للجبل، وقيل: اسم كتاب مرقوم عندهم فيه الشرع الذي تمسَّكوا به من دين عيسى، وقيل: دراهمهم التي كانت معهم، وقيل: كَلبهم.

قوله: (فيه أسماؤهم) أي: ففيه فلان بن فلان من مدينة كذا، خرج في وقت كذا، من سنة كذا.

قوله: (في قصتهم) أي: وكانَت بعد عيسى عليه السلام.

قوله: (ليس الأمر كذلك) أي: ليست أعجبها، ولا هي عجبٌ دون غيرها، بل هي من جملة الآيات العجيبة.

إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ ....

﴿١٠﴾ اذكُر ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾) أي: نزَلوه وسَكنوه، وحاصل قصتهم ـ كما قال محمد بن إسحاق ـ : لما طغى أهل الإنجيل وكثُرت فيهم الخطايا حتى عبدوا الأصنام وذبحُوا لها، وبقي فيهم مَنْ هو على دين المسيح مُستمسكين بعبادة الله وتوحيده، وكان بالروم مَلك يقال له: دقيانوس؛ عَبَدَ الأصنام، وذبح للطواغيت، وكان يَحمل الناس على ذلك، ويقتل من خالفه، فمرَّ بمدينة أصحاب الكهف، وهي مدينة من الروم يقال لها: أفسوس، واسمها عند العرب طَرسوس، فاستخفى منه أهل الإيمان، فصار يُرسل أعوانه، فيُفتشون عليهم ويُحضرونهم له، فيأمرهم بعبادة الأصنام ويَقتل مَن يخالفه.

فلمَّا عظمت هذه الفتنة ورأى الفتية ذلك.. حَزنوا حزناً شديداً، وكانوا من أشراف الرُّوم وهم ثمانية، وكانوا على دين عيسى، فأُخبر الملك بهم وبعبادتهم، فبعث إليهم، فأُحضروا بين يدَيه يَبكون، فقال: ما منعكم أن تذبحوا لآلهتنا وتجعلوا أنفسكم كأهل المدينة، فاختارُوا إمَّا أن تكونوا على ديننا، وإمَّا أن نقتُلكم، فقال له أكبرهم: إنَّ لنا إلهاً عظَمته مِلء السماوات والأرض، لن ندعُوَ من دونه إلهاً أبداً، اصنَع بنا ما بدا لك، وقال أصحابه مثل ذلك، فأمر الملك بنَزع لباسهم والحلية التي كانت عليهم، وكانوا مُسوَّرين ومطوَّقين، وكانوا غلماناً مُرداً حساناً جدًّا، وقال: سأتَفرغ لكم وأعاقبكم، وما يَمنعني من فعل ذلك بكم الآن إلا أني أراكم شباباً، فلا أحبُّ أن أُهلِكَكم، وإني قد جعلتُ لكم أجلاً تدبِّرون فيه أمركم وتَرجِعون إلى عقولكم.

ثم إنه سافر لغرض من أغراضِه، فخافوا أنه إذا رجع مِن سفره يعاقبهم أو يقتلهم، فاشتَورُوا فيما بينهم، واتفقوا على أن يأخذ كلُّ واحدٍ منهم نَفقةً من بيت أبيه؛ يتصدَّق ببعضها، ويَتزوَّد بالباقي، ففعلوا ذلك وانطلَقوا إلى جبل قريب من مدينتهم يقال له: بيجلوس فيه كهفٌ، ومرُّوا في طريقِهم بكلب، فتبعهم فطرَدُوه، فعاد، ففعلوا ذلك مِراراً، فقال لهم الكلب: أنا أحبُّ أحبابَ الله عزَّ وجلَّ، فنامُوا وأنا أحرسُكم، فتبعهم، فدخلُوا الكهف وقعدوا فيه ليس لهم عملٌ إلا الصلاة والصيام والتسبيح والتحميد، وجعلوا نفَقتهم تحت يد واحدٍ منهم اسمه: تمليخا، كان يأتي المدينة يَشتري لهم الطعام سرًّا ويَتجسَّسُ لهم الخبر، فلَبثوا بذلك الغار ما شاء الله.

. . . .

حاشية الصاوي

ثم رجع الملك دقيانوس من سَفره إلى المدينة، وكان تمليخا يومئذ بالمدينة يَشتري لهم طعاماً، فجاء وأخبرهم برُجوع الملك، وأنه يُفتش عليهم، ففزعوا وشرَعوا يذكرون الله عزَّ وجلَّ ويَضرعون إليه في دفع شرِّه عنهم، وذلك عند غروب الشمس، فقال لهم تمليخا: أيا إخوتاه؛ كلُوا وتوكَّلوا على ربِّكم، فأكلوا وجلسُوا يتحدَّثون ويتواصَوْنَ، فبَينما هم كذلك إذ ألقى الله عليهم النومَ في الكهف، وألقاه أيضاً على كلبهم وهو باسطٌ على باب الكهف، ففتَّش عليهم الملك، فدُلَّ عليهم، فتحيَّر فيما يَصنع بهم، فألقى الله في قلبه أن يَسُدَّ عليهم باب الغار، وأراد الله عزَّ وجلَّ أن يُكرِمهم بذلك، ويجعلهم آيةً للناس، وأن يبيِّن لهم أنَّ الساعة آتيةٌ، وأنه قادرٌ على بعثِ العباد من بعد الموت، فأمر الملك بِسَدِّه وقال: دعُوهم في كهفهم الذي اختارُوه قبراً لهم، وهو يظنُّ أنهم أيقاظٌ يَعلمون ما يصنع بهم، وقد تَوفَّى الله أرواحهم وفاةَ نومٍ.

ثمَّ إنَّ رجلين مؤمنَين في بيت الملك دقيانوس يَكتمان إيمانهما شرعا يَكتبان قصة هؤلاء الفتية، فكتبا وقتَ فَقدِهِمْ وعددَهم وأنسابَهم ودينَهم وممن فرُّوا في لَوحين من رصاص، وجعَلاهما في تابوت من نحاس، وجعلا التابوت في البُنيان، وقالا: لعلَّ الله أن يُظْهِرَ على هؤلاء الفتية قوماً مُؤمنين قبل يوم القيامة، فيَعرفوا مِن هذه الكتابة خبرهم.

ثم مات الملك دقيانوس هو وقومُه، ومرَّ بعده سنون وقُرون، وتغايرت الملوك، ثم مَلَكَ تلك المدينة رجلٌ صالحٌ يقال له: بيدروس، واختَلف الناس عليه؛ فمنهم المؤمن بالساعة، ومنهم الكافر بها، فشقَّ ذلك عليه حيث كان يَسمعهم يقولُون: لا حياة إلا حياة الدنيا، وإنما تُبعث الأرواح دون الأجساد، فجعل يتضرَّع ويقول: ربِّ؛ أنت تَعلَم اختلاف هؤلاء، فابعث لهم آية تبيِّن لهم أمرَ الساعة والبعث، فأراد الله أن يُظهِرَه على الفتية أصحاب الكهف ويُبيِّن للناس شأنهم، ويجعلهم آيةً وحجةً عليهم؛ ليَعلموا أنَّ الساعة آتيةٌ لا ريب فيها، وأنَّ الله يبعث مَن في القبور، فألقى الله في قلب رجل من أهل تلك الناحية أن يَهدمَ ذلك البناء الذي على باب الكهف، ويَبني بحجارته حظيرةً لِغنمه، فهدمه وبنى به حظيرة لِغَنمه، فلما انفتح باب الكهف.. بعث الله هؤلاء الفتية، فجلسُوا فَرِحين مُسفرةً وجوههم، طيِّبة نُفوسهم، وقد حفظ الله عليهم أبدانهم وجمالهم وهيأَتهم، فلم يتغير منها شيءٌ، فكانت هيئتُهم وقت أن استيقظوا كهيئتهم وقتَ أن رقدوا، ثم أرسلُوا تمليخا إلى المدينة؛ ليشتري لهم الطعام، فذَهب فرأى المدينة قد تغيَّر حالها وأهلُها ومَلِكها، وقد أخذه أهل المدنية

فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ ....

ـ جمع (فتى) وهو الشَّابُّ الكامِل ـ خائفِينَ على إيمانِهم مِن قَومِهم الكُفَّار ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ﴾: مِن قِبَلِك ....

حاشية الصاوي

وذهبوا به إلى ذلك الملك المؤمِن، فأخبره تمليخا بقِصَّته وقصة أصحابه، فقال بعض الحاضرِين: يا قوم؛ لعلَّ هذه آيةٌ من آيات الله جعَلها الله لكم على يَدِ هذا الفتى، فانطلقوا بنا حتى يُرِيَنا أصحابه، فانطلق أريوس وأسطيوس من عُظَماء المملكة، ومعهما جميع أهل المدينة كَبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف؛ لِيَنظروا إليهم، فأوَّل من دخل عليهم هذان العظيمان الكبيران، فوجدُوا في أثر البناء تابوتاً من نحاس، ففَتحاه فوجدا فيه لَوحين من رصاص مكتوباً فيهما قِصتهم، فلما قرؤوهما.. عَجِبوا وحمدوا الله الذي أراهم آية تدلُّهم على البعث.

ثم أرسلُوا قاصداً إلى ملكهم الصالح بيدروس أن عَجِّل بالحضور إلينا لعلَّك ترى هذه الآيةَ العجيبة؛ فإنَّ فِتية بعثهم الله وأحياهم، وقد كان تَوفاهم ثلاث مئة سنة وأكثر، فلما جاءه الخبر.. ذهَب همُّه وقال: أحمَدُك رب السماوات والأرض، تفضَّلت عليَّ ورحمتني ولم تُطفئ النور الذي جعلتَه لآبائي، فركب وتوجَّه نحو الكهف، فدخل عليهم وفرح بهم واعتَنَقهم، ووقف بين أيدِيهم وهم جُلوس على الأرض يسبِّحون الله ويَحمدونه، فقالوا له: نَستودعك الله، والسلام عليك ورحمة الله، حَفِظك الله وحفظ مُلكَك، ونُعيذك بالله من شرِّ الإنس والجن، فبينما الملك قائمٌ إذ رجعوا إلى مَضاجعهم فناموا، وتَوفى الله أنفسهم، فقام الملك إليهم وجعل ثِيابهم عليهم، وأمر أن يُجْعَلَ كلُّ رجل منهم في تابُوت من ذهب.

فلما مشى ونام.. أتَوه في منامه فقالوا له: إنا لم نُخلَق من ذهب ولا فضة، ولكنَّا خُلقنا من التراب وإلى التراب نَصير، فاتركنا كما كنَّا في الكهف على التراب حتى يَبعثَنا الله منه، فأمر الملك عند ذلك بتابوت من ساج، فجُعلوا فيه، وأمر أن يُبنى على باب الكهف مسجداً فيه، ويسدَّ به باب الغار، فلا يراهم أحدٌ، وجعل لهم عيداً عظيماً، وأمر أن يُؤتى كل سنة. اهـ ملخصاً من «الخازن»[1].

قوله: (جمع فتيٍّ) أي: كصبيٍّ وصِبْيَةٍ.

---

(١) «تفسير الخازن» (٣/١٥٦ـ ١٥٨).

رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ ....

﴿رَحْمَةً وَهَيِّئْ﴾: أصلِحْ ﴿لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾: هِدايةً.

(﴿١١﴾ - ﴿١٢﴾) ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ أي: أنـمْنـاهـم ﴿فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾: مَعدُودةً، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾: أيقَظْناهُم ﴿لِنَعْلَمَ﴾ عِلمَ مُشاهَدةٍ ﴿أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾: الفَريقَينِ المُختَلِفينِ في مُدَّة لُبثِهم ﴿أَحْصَىٰ﴾ - فِعلٌ بِمَعنَى (ضَبَطَ) - ﴿لِمَا لَبِثُوٓا۟﴾ لِلُبثِهِم، - مُتعلِّق بِما بَعده - ﴿أَمَدًا﴾: غايةً.

حاشية الصاوي

قوله: (أصلح) أي: أو يسِّر.

قوله: (هداية) أي: تُثبتنا على الإيمان، وتوفيقاً للأعمال الصالحة.

قوله: (﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾) مفعوله محذوف، تقديره: حجاباً مانعاً لهم من السماع، وهذا هو المعنى الحقيقي وليس مراداً، بل المراد: أَنمناهم؛ ففي الكلام تجوُّزٌ؛ حيث شبَّه إلقاءَ النوم بضرب الحجاب، واستُعير اسم المشبَّه به للمشبه، واشتق من الضرب (ضربنا) بمعنى: أَنمنا استعارة تصريحيَّة تبعيَّة.

قوله: (مَعدودة) أشار بذلك إلى أن ﴿عَدَدًا﴾ مصدر بمعنى: مَعدودة، نعت لـ﴿سِنِينَ﴾، وسيأتي عدُّها في الآية.

قوله: (علم مشاهدة) جوابٌ عمَّا يقال: كيف قال تعالى: ﴿لِنَعْلَمَ﴾ مع أنه تعالى عالم بكلِّ شيء أزلاً؟!

فأجاب بقوله: (عِلم مشاهدة)، والمعنى: ليظهر ويُشاهد ويحصل لهم ما تعلَّق به علمنا أزلاً من ضَبط مُدَّتهم.

قوله: (الفريقين المختلفين) قيل: المراد بالفريقين: أصحاب الكهف؛ لافتراقهم فرقتَين: فرقة تقول: يوم، وفرقة تقول: بعض يوم، وقيل: هم أهل المدينة؛ افترقوا فرقتَين في قدر مُدتهم بالتَّخمين والظَّنِّ.

قوله: (فعل) أي: ماضٍ، وليس اسم تفضيل؛ لأنه لا يبنى من غير الثلاثي.

قوله: (للبثهم) أشار بذلك إلى أنَّ (ما) مصدرية مراعًى فيها اعتبار المدة، وقوله: (متعلق بما بعده) أي: حال منه، و﴿أَمَدًا﴾ مفعول ﴿أَحْصَىٰ﴾.

﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾ ....

(﴿١٣﴾ - ﴿١٤﴾) ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ﴾: نقرأ ﴿عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾: بالصِّدقِ، ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: قوَّيناها على قولِ الحقِّ ﴿إِذْ قَامُوا﴾ بين يدَي مَلِكِهم وقد أمَرَهُم بالسُّجودِ لِلأصنام ﴿فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا مِن دُونِهِ﴾ أي: غيره ﴿إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ أي: قولاً ذا شَطَط أي: إفراطٍ في الكُفر إن دَعَونا إلَهاً غير الله فَرضاً.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم﴾) أي: نفصِّل لكم خبرهم يا محمَّد.

قوله: (﴿بِالْحَقِّ﴾) الباء: لِلملابسة، والجارُّ والمجرور حال من: (نبأ).

قوله: (﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾) أي: شبابٌ، كانوا من عُظماء أهل تلك المدينة، وأحدهم كان وزيراً للملك.

قوله: (﴿ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾) أي: صدَّقوا به وانقادوا لأحكامه.

قوله: (قوَّيناها على قول الحق) أي: حيث خالَفوا الملك ولم يحصل لهم منه رعبٌ ولا خوفٌ.

قوله: (﴿إِذْ قَامُوا﴾) ظرف لـ(رَبطنا) أي: ربطنا على قلوبهم وقتَ قيامهم.

قوله: (بين يدَي ملكهم) أي: واسمه دقيانوس.

قوله: (﴿فَقَالُوا﴾) أي: خطاباً للملك، ثلاث جمل، وآخرها قوله: ﴿شَطَطًا﴾.

قوله: (﴿لَن نَّدْعُوَا﴾) أي: نَعبد.

قوله: (أي: قولاً ذا شطط) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿شَطَطًا﴾ منصوب على المصدرية، صفة لمحذوف على حذف مضاف.

قوله: (أي: إفراط في الكفر) أي: مجاوزة الحدِّ فيه.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾ ....

﴿١٥﴾ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ - مُبتدأ - ﴿قَوْمُنَا﴾ - عطف بيانٍ - ﴿ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا﴾: هَلَّا ﴿يَأْتُونَ عَلَيْهِم﴾: على عِبادَتِهم ﴿بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ﴾: بِحُجَّةٍ ظاهِرة، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي: لا أحَد أظلَم ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بِنسبة الشَّريك إلَيهِ تَعالَى.

﴿١٦﴾ قال بَعضُ الفِتية لِبَعضٍ: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ - بِكَسرِ المِيم وفَتح الفاء وبِالعَكسِ -:

حاشية الصاوي

قوله: (﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا﴾) هذه جمل ثلاث قالوها فيما بينَهم بعد خروجهم من عند الملك، وآخرها قوله: ﴿كَذِبًا﴾.

قوله: (عطف بيان) أي: أو بدل.

قوله: (﴿ٱتَّخَذُوا۟﴾) خبر المبتدأ.

قوله: (هلَّا) أشار بذلك إلى أن (لولا) للتحضيض، والمقصود من ذكر هذا الكلام فيما بينَهم: تذاكر التوحيد، وتَقوية أنفسهم عليه.

قوله: (على عبادتهم) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف.

قوله: (أي: لا أحد) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: (قال بعض الفِتية) قدَّره المفسِّر؛ إشارةً إلى أن (إذ) ظرف منصوب بمحذوف؛ أي: قال بعضهم لِبَعض وقت اعتزالهم.

قوله: (﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾) (ما): موصولة، أو مصدرية، والمعنى: وإذا اعتزلتموهم والذي يعبدونه غير الله، أو ومَعبوداتهم غير الله.

قوله: (﴿يَنشُرْ لَكُمْ﴾) أي: يبسُطْ ويوسِّعْ.

قوله: (وبالعكس) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

---

(١) قرأ بكسر الميم وفتح الفاء الجمهور، ونافع وابن عامر بالعكس. انظر «الدر المصون» (٧/ ٤٥٥).

﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ ....

ما تَرتَفِقُون به مِن غَداءٍ وعَشاء.

(١٧) ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ﴾ ـ بالتَّشديدِ والتَّخفيف ـ: تَمِيل ﴿عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾: ناحيَتَه، ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾: تَترُكهُم وتَتَجاوَز عَنهُم فلا تُصِيبُهُم البَتَّة، ﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾: مُتَّسَعٍ مِن الكَهف يَنالُهُم بَرد الرِّيح ونَسِيمُها، ﴿ذَٰلِكَ﴾ المَذكُور ﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: دَلائِلِ قُدرَته، ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (من غداء أو عشاء) أي: أو غير ذلك.

قوله: (﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ﴾) الخطاب للنبي، أو لكلِّ أحدٍ، والمعنى: لو كنت هناك عندهم واطَّلعت على كهفهم.. لرأيتَ الشمس إذا طلعت... إلخ.

قوله: (بالتَّشديد) أي: فأصله: تتزاور، قلبت التاء زاياً وأدغمت في الزاي.

قوله: (والتَّخفيف) أي: بحذف إحدى التاءين، وهما قراءتان سبعيَّتان[١].

قوله: (ناحيته) أشار بذلك إلى أن ﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾ و﴿ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ ظرفا مكان بمعنى: جهة اليمين، وجهة الشمال، والمراد: يمين الداخل للكهف وشماله، وذلك أن كهفَهم مستقبل بنات نعش، فتميل عنهم الشمس طالعةً وغاربةً؛ لئلا تؤذيهم بحرِّها، ولا يُنافي هذا ما تقدَّم في القصة: أنه سدَّ باب الكهف وبُنِيَ عليه مسجدٌ؛ لأنَّ الكهف له محلٌّ منفتح من أعلاه جهة بنات نعش[٢].

قوله: (﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾) أي: وسَطه، والجملة حاليَّة.

قوله: (المذكور) أي: من نَومهم وحمايتهم من إصابة الشمس لهم.

قوله: (﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾) جملة معترضةٌ في أثناء القصة؛ لِتَسليته ﷺ.

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بتشديد الزاي وتخفيف الراء مضمومة، والباقون وهم عاصم وحمزة والكسائي بتخفيف الزاي والواو، ولا خلاف في ضم الراء. انظر «السراج المنير» (٢/ ٣٥٦).

(٢) بنات نعش: علم لكواكب معروفة في السماء، ويُقال: بنات نعش الكبرى، وبنات نعش الصغرى، وأصحاب النجوم يُسمون الكبرى: الدب الأكبر، والصغرى: الدب الأصغر. انظر «حاشية الشهاب» (٦/ ٨٢).

وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ ....

﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾.

﴿١٨﴾ ﴿وَتَحْسَبُهُمْ﴾ لَو رأيتَهُم ﴿أَيْقَاظًا﴾ أي: مُنتَبِهِينَ لِأنَّ أعيُنَهم مُنفَتِحةٌ، ـ جَمع (يَقِظ) بِكَسرِ القاف ـ ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾: نِيامٌ جَمع (راقِد)، ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ لِئَلَّا تَأكُلَ الأرضُ لُحُومَهم، ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾: يَدَيهِ ﴿بِٱلْوَصِيدِ﴾: بِفِناءِ الكَهف، وكانُوا إذا انقَلَبُوا انقَلَبَ هو مِثلَهم في النَّوم واليَقَظة، ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا﴾) أي: معيناً.

قوله: (﴿مُّرْشِدًا﴾) أي: هادياً.

قوله: (﴿وَتَحْسَبُهُمْ﴾) خِطاب للنبي، أو لكل أحد.

قوله: (بكسر القاف) أي: ك: فخِذ وأفخاذ، وتضمُّ أيضاً ك: عضُد وأعضاد.

قوله: (﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾ . . . إلخ) قيل: يُقلَّبون في كل سنةٍ مرَّةً في يوم عاشوراء، وقيل: يقلَّبون مرتين، وقيل: كل تسع سنين، والمقلِّب لهم قيل: الله، وقيل: ملَك بأمره تعالى.

قوله: (﴿وَكَلْبُهُم﴾) وكان أصفرَ اللون، وقيل: أسمر، وقيل: كلون السماء، واسمه: قطمير، وقيل: ريان، وهو من جملة الحيوانات التي تدخل الجنة، وبهذا تعلم أنَّ حبَّ الصالحين والتعلُّق بهم يُورث الخير العظيم، والفوز بجنَّات النعيم.

قوله: (﴿ذِرَاعَيْهِ﴾) منصوب بـ﴿بَٰسِطٌ﴾، وهو ليس بمعنى الماضي المنقطع، بل المستمرُّ، وقولهم: اسم الفاعل لا يَعمل إن كان بمعنى الماضي؛ أي: المنقطع[1].

قوله: (بفناء الكهف) أي: رَحبته، وقيل: المراد بالوصيد: العتبة، وقيل: الباب، وقيل: التراب.

قوله: (﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾) الخِطاب للنبي، أو لكلِّ أحد.

---

(١) وقيل: المراد هنا: حكاية الحال؛ ألا ترى أن المضارع يَصح وقوعه هنا فيقال: يبسط ذراعيه، وقيل: اسم الفاعل يعمل ولو كان بمعنى الماضي، وهو مذهب الكسائي وهشام وابن مضاء. انظر «شرح الرضي على الكافية» (٣/ ٤١٨).

لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ ....

﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ﴾ - بالتَّشديدِ والتَّخفِيف - ﴿مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ - بِسُكُونِ العَين وضَمِّها -، مَنَعَهُم الله بِالرُّعبِ مِن دُخُول أَحَد علَيهِم.

﴿١٩﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما فعَلنا بِهِم ما ذَكَرنا ﴿بَعَثْنَٰهُمْ﴾: أيقَظْناهُم ﴿لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ﴾ عَن حالِهِم ومُدَّةِ لُبثِهِم، ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فِرَارًا﴾) منصوب على المصدر من معنى الفعل قبله، أو على الحال؛ أي: فارًّا.

قوله: (﴿رُعْبًا﴾) أي: فزعاً[1]، رُوي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: غزَونا مع معاوية نحو الروم، فمرَرنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف، فقال معاوية: لو كشف لنا عن هؤلاء نظَرنا إليهم، فقال ابن عباس: قد منع من ذلك من هو خير منك: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾، فبعث معاوية أناساً فقال: اذهبوا فانظرُوا، فلمَّا دخلوا الكهف.. بعث الله عليهم ريحاً فأخرجَتهم[2].

قوله: (بسكون العين وضمها) ظاهره: أنَّ القراءات أربعٌ، وليس كذلك، بل ثلاث فقط سبعيَّات؛ لأن اللام إن خُفِّفت جاز في العين السكون والضم، وإن شدِّدت تعيَّن في العين السكون فقط[3].

قوله: (كما فعلنا بهم ما ذكر) أي: من إلقاء النوم عليهم تلك المدَّة الطويلة، فيكون إيقاظهم آيةً أخرى يُعتبر بها هم وغيرهم.

قوله: (﴿لِيَتَسَآءَلُوا۟﴾) اللام: لِلسببية، أو للعاقبة والصيرورة.

قوله: (﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾) أي: واحد منهم، وهو كبيرهم ورئيسُهم مكسلمينا.

---

(١) واختلف في سبب ذلك الرعب؛ فقال الكلبيّ: لأنَّ أعينَهم منفتحة كالمتيقظ، وقيل: إنَّ الله تعالى منعهم بالرعب حتى لا يراهم أحد. انظر «الفتوحات الإلهية» (٣/ ١٤).

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٥/ ١٥٩).

(٣) قرأ نافع وابن كثير بتشديد اللام بعد الميم، والباقون بتخفيفها، والسوسي بإبدال الهمزة ياء على أصله وقفاً ووصلاً، وحمزة في الوقف فقط، وقرأ ابن عامر والكسائي: (رعباً) بضم العين، والباقون بسكونها. انظر «السراج المنير» (٢/ ٣٥٧).

كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ....

﴿كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لأَنَّهُم دَخَلُوا الكَهف عِند طُلُوع الشَّمس وبُعِثُوا عِند غُرُوبِها، فظَنُّوا أنَّهُ غُرُوب يَوم الدُّخُول، ثُمَّ ﴿قَالُوا﴾ مُتَوَقِّفِينَ في ذلك: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ﴾ ـ بِسُكُونِ الرَّاءِ وكَسرِها ـ: بِفِضَّتِكُم ﴿هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ يُقالُ: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾) ﴿كَمْ﴾: منصوبة على الظرف، ومميِّزها محذوف تقديره: كم يوماً؟

قوله: (﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾) ﴿أَوْ﴾: لِلشك منهم؛ لتَرددهم في غروب الشمس وعدمه.

قوله: (لأنهم دخلوا الكهف... إلخ) ظاهره: أنهم نامُوا في يوم دخولهم، وتقدَّم أنهم مكثوا مُدة في الكهف قبل نومهم يتعبَّدون ويأكلون ويشربون، فكان المناسب أن يقول: (لأنهم ناموا طلوع الشمس... إلخ).

قوله: (﴿قَالُوا﴾) أي: بعضهم لبعض.

قوله: (متوقِّفين في ذلك) أي: في قدر مُدة لبثهم.

قوله: (﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾) هذا تفويضٌ منهم الأمرَ لله؛ احتياطاً وحسنَ أدبٍ.

قوله: (﴿فَابْعَثُوا﴾) أي: أرسلُوا.

قوله: (﴿أَحَدَكُم﴾) أي: وهو تمليخا.

قوله: (﴿بِوَرِقِكُمْ﴾) قيل: الوَرِقُ: الفضة المضروبة، وقيل: الفِضة مطلقاً، وتحذف فاء الكلمة فيقال: رِقَةٌ.

قوله: (بسكون الراء وكسرها) سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿هَٰذِهِ﴾) أي: الدراهم التي كانت معهم من بُيوت آبائهم؛ فإنهم أنفقوا بعضها قبل نومهم، وبقي بعضها معهم، فوَضعوه عند رؤوسهم حين ناموا، وكان عليها اسم ملكهم دقيانوس، وكان الواحد منها قدر خُف ولد الناقة الصغير.

---

(١) قرأ أبو عمرو وحمزة وأبو بكر بفتح الواو وسكون الراء، وباقي السبعة بكسر الراء. انظر «الدر المصون» (٧/ ٤٦٢).

﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ۝١٩ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ۝٢٠﴾

إنَّها المُسَمَّاة الآن طَرَسُوس بِفَتح الرَّاء، ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ أي: أيُّ أطعِمَة المَدينةِ أحَلُّ، ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾.

(٢٠) ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾: يَقتُلُوكُم بِالرَّجمِ، ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا﴾ أي: إنْ عُدتُم في مِلَّتِهِم ﴿أَبَدًا﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (الآن) أي: في الإسلام، وأمَّا في الجاهلية فكانت تُسمى: أفسوس، وقيل: إن أفسوس من أعمال طرَسوس[١].

قوله: (أحلُّ) أي: أحلُّ ذبيحة؛ لأنهم كان منهم من يذبح للطواغيت، وكان فيهم قومٌ يُخفون إيمانهم، فطلبوا أن يكون طعامهم من ذبيحة المؤمنين.

قوله: (﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾) أي: يترفق في ذهابه ورجوعه؛ لئلا يُعرف.

قوله: (﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾) أي: لا يفعلنَّ ما يؤدِّي إلى شعور أحدٍ بكم.

قوله: (﴿إِنَّهُمْ﴾) أي: أهلَ المدينةِ.

قوله: (﴿إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ﴾) أي: يغلبوكم ويطَّلعوا عليكم.

قوله: (﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ﴾) أي: يُصيِّروكم إليها.

قوله: (﴿وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾) أي: لن تَظفروا بمطلوبكم لو وقع منكم ذلك ولو كرهاً.

إن قلتَ: كيف أثبتوا عدم الفلاح بالعَود في ملتهم مع الإكراه المستفاد من قوله: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ...﴾ إلخ مع أن المكرَهَ غيرُ مؤاخذ بما أُكره عليه؟

أجيب: بأن هذا مخصوصٌ بشريعتنا، وأما مَنْ قبلنا فكانوا يؤاخذون بالإكراه؛ بدليل قوله ﷺ: **«رُفع عن أمتي الخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه»**[٢].

---

(١) طرسوس: بفتح أوله وثانيه، وسينين مُهملتين، بينهما واو ساكنة، كلمة عجمية رومية، ولا يجوز سكون الراء إلا في ضرورة الشعر، وهي مَدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم. انظر «معجم البلدان» (٤/٢٨)، وأما أفسوس.. فهي بُليدة صغيرة تُعرف باسم (باربوز) كما ذكره الغزي في «نهر الذهب في تاريخ حلب» (١/٤٥٠).

(٢) رواه ابن ماجه (٢٠٤٣) عن سيدنا أبي ذر ﷺ، وفيه: (إن الله قد تجاوز عن أمتي) بدل (رفع عن أمتي).

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ٢١﴾ ....

﴿٢١﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: كما بَعَثْناهُم ﴿أَعۡثَرۡنَا﴾: أطلَعْنا ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ قومَهم والمُؤمِنِينَ؛ ﴿لِيَعۡلَمُوٓاْ﴾ أي: قَومُهُم ﴿أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ بِالبَعثِ ﴿حَقّٞ﴾ بِطَرِيقِ أنَّ القادِرَ على إنامَتِهِم المُدَّةَ الطَّوِيلة وإبقائِهِم على حالِهِم بِلا غِذاء قادِرٌ على إحياءِ المَوتَى، ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ﴾: لا شَكَّ ﴿فِيهَآ إِذۡ﴾ ـ مَعمُولٌ لِـ﴿أَعۡثَرۡنَا﴾ ـ ﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾ أي: المُؤمِنُونَ والكُفَّار ﴿بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ﴾: أمرَ الفِتيةِ في البِناء حَولَهم، ﴿فَقَالُواْ﴾ أي: الكُفَّار: ﴿ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم﴾ أي: حَولَهُم ﴿بُنۡيَٰنٗاۖ﴾ يَستُرُهُم، ﴿رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ﴾: أمرِ الفِتيةِ وهُم المُؤمِنُونَ: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم﴾: حَولَهُم ﴿مَّسۡجِدٗا﴾ يُصَلَّى فِيهِ، وفُعِلَ ذلك على بابِ الكَهف.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَكَذَٰلِكَ﴾) أي: كما أنمناهم وبعثناهم.

قوله: (قومهم والمؤمنين) قدَّر ذلك؛ إشارةً إلى أن مفعول ﴿أَعۡثَرۡنَا﴾ محذوف.

قوله: (أي: قومهم) أي: ذرية قومهم؛ لأنَّ قومهم قد انقرضوا.

قوله: (بلا غذاء) أي: قوت.

قوله: (﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾) أي: القيامة.

قوله: (معمول لـ﴿أَعۡثَرۡنَا﴾) المناسب جعله ظرفاً لمحذوف، تقديره: اذكر، أو لقوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ﴾.

قوله: (أي: المؤمنون والكفار) أي: فقال المؤمنون: نبني عليهم مسجداً يصلي فيه الناس؛ لأنهم على ديننا، وقال الكفار: نبني عليهم بَيعة؛ لأنهم من أهل ملَّتنا.

قوله: (﴿رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡ﴾) يحتمل أن يكون من كلام الله، أو من كلام المتنازِعين.

قوله: (وهم المؤمنون) أي: الذين كانوا في زمن الملك بيدروس الرجل الصالح.

قوله: (وفعل ذلك على باب الكهف) أي: وبقي ظهر الكهف منفتحاً كما تقدَّم.

سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ....

(٢٢) ﴿سَيَقُولُونَ﴾ أي: المُتَنازِعُونَ في عَدَد الفِتْيةِ في زَمَن النَّبِيِّ ﷺ، أي: يَقُول بَعضُهُم: هُم ﴿ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ﴾ أي: بَعضُهم: ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ والقَولانِ لِنَصارَى نَجرانَ، ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ أي: ظَنًّا في الغَيبة عَنهُم، وهو راجِعٌ إلى القَولَينِ مَعاً، ونَصبُهُ على المَفعُول لَهُ أي: لِظَنِّهم ذلكَ، ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: المُؤمِنُونَ: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ - الجُملةُ مِن المُبتدأ وخَبَره صِفةُ ﴿سَبْعَةٌ﴾ بِزِيادة الواو، وقِيل: تَأكِيداً ودَلالة على لُصُوقِ الصِّفة بِالمَوصُوفِ -، ووَصفُ الأوَّلَينِ بِالرَّجمِ دُون الثَّالِث دَلِيلٌ على أنَّهُ مَرضِيٌّ وصَحِيح، ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: المتنازعون) أي: وهم النصارى والمؤمنون.

قوله: (﴿ثَلَٰثَةٌ﴾) خبر مبتدأ محذوف، قدَّره المفسر بقوله: (هم).

قوله: (﴿رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾) مبتدأ وخبر، والجملة صفة لـ﴿ثَلَٰثَةٌ﴾، وكذا يقال في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ﴾، ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ﴾.

قوله: (نجران) موضع بين الشام واليمن والحجاز.

قوله: (﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾) أي: ظنًّا من غير دليل ولا برهان.

قوله: (أي: المؤمنون) أي: قالوا ذلك بإخبار الرسول لهم عن جبريل عليه السلام.

قوله: (بزيادة الواو) أي: من غير ملاحظة معنى التوكيد[١].

قوله: (وقيل: تأكيد) أي: زائدة لتأكيد لُصوق الصفة بالموصوف[٢]، وحكمة زيادتها: الإشارة إلى تصحيح هذا القول دون ما قبله.

قوله: (ودلالة على لصق الصفة... إلخ) العطف للتفسير على ما قبله، فهما قولان فقط.

---

(١) على رأي الأخفش والكوفيين؛ لأن وجودها في الكلام كالعدم في عدم إفادة أصل مَعناها. «فتوحات» (٣/ ١٧).

(٢) بمعنى: أن اتصافه بها أمرٌ ثابت مستقر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾، وإذا كان اتصافه بها ثابتاً.. كان الموصوف ثابتاً لا محالة، وهذا ما جَنح إليه الزمخشري، واختاره ابن هشام. اهـ «فتوحات» (٣/ ١٧)، وانظر بقية الأقوال في «الدُّر المصون» (٧/ ٤٦٧).

﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ٢٢﴾ ....

﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ﴾ قال ابنُ عبَّاس: أنا مِن القَلِيل، وذَكَرَهُم سَبعةً، ﴿فَلَا تُمَارِ﴾: تُجادِلْ ﴿فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا﴾ بِما أُنزِلَ علَيك، ﴿وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم﴾: تَطلُبِ الفُتيَا ﴿مِّنۡهُمۡ﴾ مِن أهلِ الكِتاب اليَهُودِ ﴿أَحَدٗا﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾) أي: من غيره.

قوله: (﴿مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ﴾) أي: وهو النبي ومَن سمع منه.

قوله: (وذكرهم سبعة) أي: وهم: مكسلمينا، وتمليخا، ومرطونس، ونينونس، وسارينوس، وذونوانس، وفليستطيونس وهو الراعي، واسم كلبهم قطمير، وقيل: حمران، وقيل: ريان.

قال بعضهم: علِّموا أولادكم أسماء أهل الكهف؛ فإنها لو كتبت على باب دار.. لم يُحرق، وعلى متاع.. لم يُسرق، وعلى مركب.. لم تغرق.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: خواصُّ أسماء أهل الكهف تنفع لتسعة أشياء: للطلب، والهرب، ولطفء الحريق؛ تكتب على خِرقة وترمى في وسط النار تطفأ بإذن الله، ولبكاء الأطفال، والحمى المثلثة، وللصداع تُشد على العضد الأيمن، ولأم الصبيان، وللركوب في البر والبحر، ولحفظ المال، ولنماء العقل، ونجاة الآثمين. انتهى.

قوله: (﴿إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا﴾) أي: غير متعمَّق فيه، بل نقصُّ عليهم ما في القرآن من غير تجهيلٍ لهم وتفتيشٍ على عقائدهم.

قوله: (بما أنزل إليك) أي: وهو القرآن.

قوله: (﴿وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا﴾) أي: لا تسأل أحداً عن قِصتهم؛ فإنَّ فيما أوحي إليك الكفاية.

قوله: (اليهود) المناسب: عدم التقييد بذلك، بل يُقيد بالنصارى؛ لما رُوي: أنه ﷺ سأل نصارى نجران عنهم، فنهي عن ذلك[1].

---

(١) أورده القرطبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٨٤).

وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ...

(﴿٢٣﴾ - ﴿٢٤﴾) وسَأَلَهُ أهلُ مَكَّة عَن خَبَر أهلِ الكَهف فقال: «أُخبِرُكُم بِه غَداً» ولَم يَقُل: إنْ شاءَ الله، فنَزَل: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ﴾ أي: لِأجلِ شَيء: ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ أي: فِيما يُستَقبَل مِن الزَّمان، ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي: إلَّا مُلتَبِساً بِمَشِيئةِ الله تَعالَى بِأن تَقُولَ: إنْ شاءَ الله، ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ﴾ أي: مَشِيئَتَه مُعَلِّقاً بِها ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾ التَّعلِيقَ بها، ويَكُون ذِكرُها بَعد النِّسيان كذِكرِها مع القَول، قال الحَسَن وغَيره: ما دامَ في المجلِس،

حاشية الصاوي

قوله: (وسأله أهل مكة) أي: بتعليم اليهود لهم حيث؛ قالوا لهم: سَلوه عن الروح، وأصحاب الكهف، وعن ذي القرنين، فسألُوه عنها، فقال: «أبقوني غداً أخبركم» ولم يقُل: إن شاء الله، فأبطأ عليه الوحي بضعة عشر يوماً ـ أو أربعين ـ حتى شقَّ عليه، وتمارَت قريش في ذلك[1].

قوله: (فنزل) أي: بعد انقضاء تلك المدة تعليماً لأُمته الأدب وتفويض الأمور إلى الله تعالى؛ فإن الإنسان لا يدري ما يفعل به، فإذا كان هذا الخطاب لرسول الله وهو سيِّد الخلق فما بالُك بغيره؟!

قوله: (أي: لأجل شيء) أي: تهتمُّ به وتريد القُدوم عليه.

قوله: (﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ﴾) المراد بالفعل: ما يَشمل القول.

قوله: (أي: فيما يستقبل من الزمان) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بالغد: ما يستقبل؛ كان في يومك أو بعده بقليل أو كثير، لا خُصوص اليوم الذي بعد يومك.

قوله: (﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾) استثناءٌ من عموم الأحوال، كأنه قال: لا تقولنَّ لشيء في حال من الأحوال إلا في حال تلبُّسك بالتعليق على مَشيئة الله.

قوله: (ويكون ذكرها بعد النسيان... إلخ) أي: لما روي أنه ﷺ لما نزلت الآية.. قال: «إن شاء الله»[2].

قوله: (قال الحسن وغيره: ما دام في المجلس) أي: ولو انفصل عن الكلام السابق.

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٧٠).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١/ ٢٥٨) من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ أن تقول: «إن شاء الله».

وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ

﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا﴾ مِن خَبَر أهل الكَهف في الدَّلالةِ على نُبُوَّتِي ﴿رَشَدًا﴾: هِدايةً، وقَد فعَلَ الله تَعالى ذلك.

﴿٢٥﴾ ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ﴾ - بِالتَّنوينِ - ﴿سِنِينَ﴾ ....

حاشية الصاوي

وقال ابن عباس: يجوز انفِصاله إلى شهر، وقيل: إلى سنة، وقيل: أبداً، وقيل: إلى أربعة أشهر، وقيل: إلى سنتين، وقيل: ما لم يأخذ في كلام آخرَ، وقيل: يجوز بشرط أن ينوي في الكلام، وقيل: يجوز انفصاله في كلام الله تعالى؛ لأنه عالم بمُراده لا في كلام غيره.

وعامة المذاهب الأربعة على خلاف ذلك كلِّه؛ فإنَّ شرط حلِّ الأيمان بالمشيئة: أن تتصل، وأن يقصد بها حلُّ اليمين، ولا يضرُّ الفصل بتنفسٍ أو سعالٍ أو عطاسٍ، ولا يجوز تقليد ما عدَا المذاهبَ الأربعةَ ولو وافق قول الصحابة أو الحديث الصحيح والآية؛ فالخارج عن المذاهب الأربعة ضالٌّ مضلٌّ، وربما أدَّاه ذلك إلى الكفر؛ لأنَّ الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أُصول الكفر.

قوله: (﴿وَقُلْ﴾) أي: لأهل مكة.

قوله: (﴿أَن يَهْدِيَنِ﴾) أي: يَدلَّني.

قوله: (في الدلالة) متعلق بـ(أَقْرَبَ).

قوله: (﴿رَشَدًا﴾) إما مفعول مطلق لـ(يهديني)؛ لموافقته له في المعنى، وإليه يشير المفسِّر بقوله: (هداية)، ويصح أن يكون تمييزاً لـ(أَقْرَبَ) أي: لأقرب هدايةً من هذا.

قوله: (وقد فعل الله تعالى ذلك) أي: هداه لما هو أعجب، وأطلعه على ما هو أغرَب؛ حيث شاهد ما شاهد في ليلة الإسراء، وأعطاه عُلوم الأولين والآخرين، وفاق عليهم بعلوم لم يطلع عليها أحد سواه، وأشار المفسِّر بذلك إلى أن الترجي في كلام الله بمنزلة التحقيق.

قوله: (﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ﴾) هذا ردٌّ على أهل الكتاب حيث؛ اختلفوا في مدة لبثهم.

وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ ....

ـ عَطفُ بَيان لِـ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ﴾ ـ، وهَذهِ السِّنُونَ الثَّلاثُمائة عِند أهل الكتابِ شَمسِيَّة، وتَزِيد القَمرِيَّة علَيها عِند العَرَب تِسعَ سِنِينَ، وقد ذُكِرَت في قَولِه: ﴿وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا﴾ أي: تِسعَ سِنِينَ، فالثَّلاثُمِائة الشَّمسِيَّة ثَلاثُمِائة وتِسعٌ قَمرِيَّة.

﴿٢٦﴾ ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ﴾ مِمَّن اختَلَفُوا فِيهِ، وهو ما تَقَدَّمَ ذِكرُه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (عطف بيان) أي: لا تمييزاً؛ لأنَّ تمييز المئة في الكثير مفرد مجرور، وفي قراءة بالإضافة، وعليها: فتكون من القليل[١]، قال ابن مالك[٢]: [الرجز]

ومِئـةً والألـفَ لِلـفَـرد أَضِـفْ ... ومـئـة بِالـجـمـع نَـزراً قـد رُدِف

قوله: (تسع سنين) أي: لأنَّ كلَّ ثلاث وثلاثين سنة وثلث سنة شمسية تزيد سنة قمرية.

قوله: (أي: تسع سنين) أشار بذلك إلى أنه حذف المميَّز من الثاني؛ لدلالة الأول عليه.

قوله: (﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ﴾) إن قلتَ: ما فائدة الإخبار بذلك بعد أن بيَّن الله ذلك؟

أجيب بأوجه:

أحدها: أنَّ المعنى: قُل الله أعلم بأن الثلاث مئة سنة والتسع قمرية لا شمسية، خلافاً لزعم بعض الكفار أنها شمسية.

ثانيها: أنَّ المعنى: الله أعلَم بحقيقة لُبْثِهم وكيفيَّتِهِ.

ثالثها: أنَّ المعنى: الله أعلَم بمدة لُبثهم قبل البعث وبعده.

واعلم: أنه اختلف في أصحاب الكهف؛ هل ماتُوا ودفنوا أو هم نِيام وأجسامهم محفوظة؟ والصحيح: أنهم نيام ويَستيقظون عند نزول عيسى، ويحجون معه، ويموتون قبل يوم القيامة حين تأتي الريح اللينة كما قال ﷺ: «لَيَحجنَّ عيسى بن مريم ومعه أصحاب الكهف؛ فإنهم لم يَحجوا بعد» ذكره ابن عيينة[٣]، وفي رواية: «مَكتوب في التوراة والإنجيل: أنَّ عيسى بن مريم عبد الله

---

(١) قرأ حمزة والكسائيُّ بغير تنوين في الوصل، والباقون بالتنوين. انظر «السراج المنير» (٢/٣٦٦).

(٢) كما في «الخلاصة»، باب: العدد.

(٣) أورده ابن عطيَّة في «المحرَّر الوجيز» (٣/٥١١).

لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٦﴾ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ﴿٢٧﴾ ....

﴿لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ أي: عِلمُه، ﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ﴾ أي: باللهِ، هي صيغة تعجُّب، ﴿وَأَسۡمِعۡۚ﴾ به كذلك، بِمَعنَى: ما أبصَرَهُ وما أسمَعَهُ! وهُما على جِهةِ المَجاز، والمُرادُ أنَّهُ تَعالى لا يَغِيب عن بَصَرِه وسَمعِه شَيءٌ، ﴿مَا لَهُم﴾: لِأهلِ السَّماواتِ والأرض ﴿مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ﴾: ناصِرٍ، ﴿وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا﴾ لِأنَّهُ غَنيٌّ عن الشَّريك.

(﴿٢٧﴾ - ﴿٢٨﴾) ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا﴾: مَلجَأً، ....

حاشية الصاوي

ورسوله، وأنه يمرُّ بالروحاء حاجًّا ومعتمراً ويجمع الله له ذلك، فيَجعل الله حواريَّه أصحاب الكهف والرقيم، فيمرُّون حجاجاً؛ فإنهم لم يحجوا ولم يموتُوا». انتهى[1].

قوله: (أي: علمهما) أي: عِلم السماوات والأرض وما غاب فيهما.

قوله: (على جهة المجاز) أي: لأنَّ التعجب: استعظامُ أمرٍ خفي سببه، وعظمُ وصف الله ظاهر بالبرهان لا يخفى، فإحاطته بالموجودات سمعاً وبصراً وعلماً أمرٌ ثابت بالبرهان، وصار كالضروري، وإنما المقصودُ ذكر العظمة لا حقيقة التعجب.

قوله: (﴿مِن وَلِيّٖ﴾) إما مبتدأ مؤخَّر، أو فاعل بالظرف.

قوله: (﴿فِي حُكۡمِهِۦٓ﴾) أي: قضائه.

قوله: (﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ﴾) أي: ولا تعتبر بهم.

قوله: (﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾) أي: لا يقدر أحد أن يغيِّر شيئاً من القرآن؛ فلا تخشَ من قراءتك عليهم تبديله، بل هو محفوظ من ذلك، لا يأتيه الباطل من بين يدَيه ولا من خَلفه إلى يوم القيامة.

قوله: (ملجأ) أي تلتجئ إليه وتَستغيث به عند النوازل والشدائد غير الله تعالى.

---

(١) رواه القرطبي في «التذكرة» (ص٧٧٣).

وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾: احبِسْها ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ﴾ بعبادتهم ﴿وَجْهَهُۥ﴾ تَعالى لا شَيئاً مِن أعراضِ الدُّنيا، وهُمُ الفُقَراء، ﴿وَلَا تَعْدُ﴾: تَنصَرِفْ ﴿عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ عَبَّرَ بِهِما عَن صاحِبِهِما ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾) في هذه الآية أمرٌ للنبي ﷺ بمراعاة فَقر المسلمين والجلوس معهم، وهي أبلغ من آية (الأنعام)[1]؛ لأنَّ تلك إنما نُهِيَ فيها عن طردهم، وهذه أُمِرَ بحبس نفسه على الجلوس معهم، كأنَّ الله يقول له: احبِس نفسك على ما يَكرهه غيرك من رثاثة ثياب الفقراء وروائحتهم الكريهة، ولا تلتفت لجمال الأغنياء وحسن ثيابهم؛ فإنَّ حُسن الظاهر مع فساد الباطن غيرُ نافع، قال الشاعر: [الوافر]

جمالُ الوجهِ مَعْ قُبْحِ النُّفوسِ ... كَقِنْدِيلٍ على قَبْرِ المجُوسِ

قوله: (﴿مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾) أي: يَعبدونه.

قوله: (﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾) المراد بالغداة: أوائل النَّهار وأواخر الليل، وبالعشيِّ: أوائل الليل وأواخر النهار، وحينئذٍ: فقد استَغرقوا أوقاتهم في العبادة.

قوله: (﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾) أي: يَقصدون بعبادتهم ذات ربهم ورضاه عليهم[2].

قوله: (لا شيئاً من أعراض الدنيا) أي: ولا شيئاً من نَعيم الجنة، وهذا مقام الكمَّل، والصحابةُ به أحرى.

قوله: (تنصرف ﴿عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾) هو كنايةٌ عن الإعراض عنهم؛ أي: لا تُعرض عنهم، بل أَقْبِلْ عليهم، وهو جوابٌ عمَّا يقال: كان مقتضى الظاهر: ولا تَعدُ عينيك بالنصب؛ لأنه فعلٌ متعدٍّ مع أنَّ التلاوة بالرفع لا غير، فأجاب المفسِّر: بأنها وإن كانت بالرفع إلا أنها تَرجع لمعنى النصب؛

---

(١) وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

(٢) عدَّاه بـ(على) كقول الشاعر:

إذا رَضِيَت عليَّ بنو قُشَيرٍ ... لَعَمرُ الله أعجبَني رِضاها

والمراد: رضيت عني. انظر «خزانة الأدب» (١٠/ ١٣٨).

﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ۝٢٨﴾

﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ أي: القُرآنِ، هو عُيَينةُ بنُ حِصنٍ وأصحابُه، ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ في الشِّرْك ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾: إسرافاً.

حاشية الصاوي

لأنَّ الفعل مسنَدٌ للعينين، وهو في الحقيقة مُسنَد لصاحبهما؛ ولذلك عبَّر بـ(تنصرف) لتصحيح رفع (العينين) دون تصرف.

قوله: (﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾) الجملة حال من الكاف في ﴿عَيْنَاكَ﴾، والشرط موجود وهو كون المضاف جزءاً من المضاف إليه، والمعنى: لا تَنصرف عيناك عنهم حال كونك طالباً زينة الدنيا بمجالَسة الأغنياء وصحبة أهل الدنيا، والخطاب لِلنبي والمراد هو وغيره، وإنما خوطب النبي وإن كان معصوماً من ذلك؛ تَسليةً للفقراء وتطميناً لقلوبهم[1].

قوله: (وهو عيينة بن حصن) أي: الفزاري، أتى النبيَّ ﷺ قبل أن يُسلم وعنده جماعةٌ من الفقراء منهم سلمان، وعليه شَملة صوف قد عرق فيها، وبيَده خوص يشقُّه وينسجه، فقال عيينة للنبي: أما يُؤذيك ريح هؤلاء؟! ونحن سادات مضر وأشرافها إن أسلمنا.. تسلم الناس، وما يمنعنا من اتباعك إلا هؤلاء، فنَحِّهم عنك حتى نتبعك، أو اجعل لنا مجلساً ولهم مجلساً، وقد أسلَم بعد ذلك وحسُن إسلامه، وكان في حنين من المؤلَّفة قلوبهم فأعطاه النبي ﷺ منها مئة بعير، وكذلك أعطى الأقرع بن حابس، وأعطى العباس بن مرداس أربعين بعيراً.

وقيل: نزلت في أصحاب الصفة، وكانوا سبع مئة رجل فُقراء في مسجد رسول الله ﷺ لا يخرجون إلى تجارة ولا زَرع ولا ضرع، يُصلون صلاة وينتظرون أخرى، فلمَّا نزلت.. قال النبي ﷺ: «الحمد لله الذي جعل في أمتي من أُمِرتُ أن أصبر نفسي معهم»[2].

قوله: (﴿فُرُطًا﴾) مصدر (أفرط) سماعي؛ أي: متجاوزاً فيه الحد.

---

(١) ولم يرد النبي ﷺ أن يفعل ذلك، ولكن الله نهاهُ عن أن يفعله، وليس هذا بأكثر من قوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ وإن كان الله أعاذَه من الشرك، وإنما هو على فرض المحال. «فتوحات» (٣/ ٢١) نقلاً عن «حاشية العلامة الكرخي على الجَلالين».

(٢) رواه أبو داود (٣٦٦٦) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وانظر سبب النزول في «تفسير الخازن» (٣/ ١٦٣).

وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ....

﴿٢٩﴾ ﴿وَقُلِ﴾ لَهُ ولِأصحابِه: هَذا القُرآنُ ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ تَهدِيد لَهُم، ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: الكافِرينَ ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾: ما أحاطَ بِها، ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾: كعَكَرِ الزَّيت، ﴿يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ مِن حَرِّه إذا قُرِّبَ إلَيها، ﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾ هو ﴿وَسَآءَتْ﴾ أي: النَّارُ ﴿مُرْتَفَقًا﴾: ـ تَمييز مَنقُولٌ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَقُلِ﴾ له) أي: لعُيينة بن حصن.

قوله: (﴿ٱلْحَقُّ﴾) خبر لمبتدأ محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (هذا القرآن).

قوله: (تهديدٌ لهم) أي: تخويفٌ وردعٌ، لا تخيير وإباحة؛ لذكره الوعد الحسن على الإيمان، والوعيد بالنار على الكفر؛ فالعاقل لا يَرضى بفوات النعيم، واختيار العذاب.

قوله: (﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا﴾) راجع لقوله: ﴿وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ راجع لقوله: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن﴾، فهو لفٌّ ونشرٌ مشوَّش.

قوله: (﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾) صفة لـ﴿نَارًا﴾، والسرادق: كناية عن السُّور، وهو نار أيضاً؛ لما ورد: «أنَّ أرضها من رصاص، وحيطانها من نحاس، وسَقفها من كبريت، ووَقودها الناس والحجارة؛ فإذا أوقدت فيها النار.. صار الكل ناراً»[١]، أجارَنا الله منها بمنِّه وكرمه.

قوله: (﴿يُغَاثُوا۟﴾) فيه مُشاكلة لقوله: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟﴾، وتهكُّم بهم؛ إذ لا إغاثة فيه؛ لأنه لا ينقذ من الهلاك[٢].

قوله: (كعكر الزيت) بفتحتَين هو: اسمٌ لما يبقى في إناء الزيت بعد أخذ الصافي منه، وهو تشبيهٌ في الصورة، وإلا.. فهو نارٌ كما وَصفه بقوله: ﴿يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾.

قوله: (أي: قَبُحَ مرتفقُها) أي: فحوَّل الإسنادَ إلى النار ونصب ﴿مُرْتَفَقًا﴾ على التميز؛ لأنَّ ذكر الشيء مبهماً ثمَّ مفسَّراً أوقعُ في النَّفس.

---

(١) لم أجده فيما بين يديَّ من المصادر.

(٢) في (ط٢): (المهالك).

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ ....

عن الفاعِل - أي: قَبُحَ مُرتَفَقُها، وهو مُقابِلٌ لِقولِه الآتِي في الجَنَّة: ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾، وإلَّا فأيُّ ارتِفاقٍ في النَّار؟

﴿٣٠﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ - الجُملةُ خَبَر ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾، وفِيها إقامةُ الظَّاهِرِ مُقامَ المُضمَر - والمَعنَى: أجرَهُم، أي: نُثِيبُهُم بِما تَضمَّنَهُ.

﴿٣١﴾ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾: إقامةٍ ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾ - قِيل: ﴿مِن﴾ زائدة، وقِيل: لِلتَّبعِيضِ -، وهي جَمعُ أَسوِرة كـ(أَحمِرة) جَمع سِوارٍ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (وهو مقابل) أي: ذكر على سَبيل المقابلة والمشاكلة لما سيأتي في الجنة.

قوله: (وإلا) أي: وإلَّا نقل: إنه مُشاكلة بل على سبيل الحقيقة.

قوله: (وفيها إقامة الظاهر مقام المضمر) أي: وهو الرابط؛ لأنه بمعنى الموصول الذي هو اسم (إن) على حدِّ:[1] [الطويل]

سُعادُ الذي أَضْناكَ حُبُّ سُعادَا

قوله: (أي: نثيبُهم) تفسير لِقوله: ﴿لَا نُضِيعُ﴾.

قوله: (بما تضمَّنه) أي: بثوابٍ تضمَّنه ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾، وقد اشتملت هذه الآيةُ على خمسة أنواع من الثواب: الأول: جَنات عدن، الثاني: تجري من تحتهم الأنهار، الثالث: يحلَّون فيها، الرابع: يلبسون ثياباً، الخامس: متكئين... إلخ.

قوله: (﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ﴾) أي: تحت مساكنهم.

قوله: (قيل: «من» زائدة) أي: بدليل آيةِ (هل أتى): ﴿وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ﴾ [الإنسان: ٢١].

قوله: (وهي جمع أَسْوِرَةٍ) أي: فـ(أساوِر) جمع الجمع.

---

(١) تمامه كما في «شرح التسهيل» (١/ ٢١٢):

وإعـراضُـهـا عـنـك اسـتـمـرَّ وزادَا

وفيه: (التي) بدل (الذي)، والمراد: أضناك حبُّها، فوضع الظاهر موضع الضمير.

مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ ......

﴿مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ﴾: ما رَقَّ مِن الدِّيباج، ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾: ما غَلُظَ مِنهُ، وفي آيةِ الرَّحمَن: ﴿بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤]، ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾: جَمع أرِيكةٍ وهي السَّرِير في الحَجَلةِ، وهي بَيتٌ يُزَيَّن بِالثِّيابِ والسُّتُور لِلعَرُوسِ، ﴿نِعْمَ ٱلثَّوَابُ﴾: الجزاءُ الجنَّةُ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِن ذَهَبٍ﴾) جاء في آية أخرى: ﴿مِّن فِضَّةٍ﴾، وفي أخرى: ﴿مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾؛ فيلبس كلُّ واحدٍ الأساورَ الثلاثةَ؛ لما ورد أنه: «يُسوَّر المؤمن في الجنة بثلاثة أَسوِرة: سوار من ذهب، وسِوار من فضة، وسوار من لُؤلؤ»[1]، وفي «الصحيح»: «تبلغ حلية المؤمن حيث يَبلغ الوضوء»[2].

قوله: (﴿مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾) جمع سُندسة وإستبرقة، وقيل: ليسا جمعين[3].

قوله: (من الديباج) أي: الحرير.

قوله: (بطائنها) أي: الفُرش.

قوله: (﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾) حالٌ عاملها محذوف؛ أي: يجلسون متَّكئين.

قوله: (جمع أريكة) أي: كسفينة، ولا يقال له: أريكة إلا إذا كان في داخل الحَجَلَةِ، وبدونها: سرير، وتقدَّم: «أنَّ السرير عليه سبعون فراشاً؛ كلُّ فراش عليه زوجة من الحور العين»[4].

قوله: (في الحجلة) بفتحتين في محلِّ نصبٍ على الحال.

قوله: (للعروس) يستعمل في الرجل والمرأة، لكن الجمع مختلِف؛ فيقال: رجال عُرُسٌ، ونساءٌ عرائسُ.

قوله: (الجنة) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ المخصوص بالمدح محذوف.

---

(١) رواه ابن شاهين في «الترغيب في فضائل الأعمال» (٥٦٧)، والفاكهي في «أخبار مكة» (٢/ ١٣٠) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) رواه النسائي في «المجتبى» (١/ ٩٣) عن سيِّدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) وهل (إستبرق) عربيُّ الأصل، مشتق من البريق، أو مُعرَّب، أصله: استبره؟ خلافٌ بين اللغويين. انظر «الدر المصون» (٧/ ٤٨٤).

(٤) كما رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٨٤٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ وَاضْرِبْ لَهُم ....

﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾.

﴿٣٢﴾ ﴿وَاضْرِبْ﴾: اجعَلْ ﴿لَهُم﴾: لِلكُفَّارِ مع المُؤمِنين ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مُرْتَفَقًا﴾) أي: مُنتفعاً ومسكناً.

قوله: (﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا﴾) قيل: نزلت في أخوَين من أهل مكة من بني مخزوم، وهما: أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد وكان مؤمناً، وأخوه الأسود بن عبد الأسد وكان كافراً، فشبَّههما الله برجلين من بني إسرائيل أخوَين: أحدهما مؤمن واسمه يهوذا ـ وقيل: تمليخا ـ والآخر كافر واسمه قيطوس، وهما اللذان وصفهما الله في سورة (الصافات) بقوله: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ . . .﴾ [الصافات: ٥١] الآيات.

وكانت قصَّتهما على ما ذكره عطاء الخراساني قال: كان رجلان شريكان لهما ثمانية آلاف دينار، وقيل: كانا أخوَين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار، فاقتسماها، فاشترى أحدهما أرضاً بألف دينار، فقال صاحبه: اللهم؛ إنَّ فلاناً قد اشترى أرضاً بألف دينار، وإني أشتري منك أرضاً في الجنة بألف دينار، فتصدَّق بها، ثمَّ إنَّ صاحبه بنى داراً بألف دينار، فقال هذا: اللهم؛ إنَّ فلاناً بنى داراً، وإني اشتريت منك داراً في الجنة بألف دينار، فتصدَّق بها، ثمَّ تزوَّج صاحبه امرأة وأنفَق عليها ألف دينار، فقال هذا: اللهم؛ إني أخطبُ إليك امرأة من نساء الجنة بألف دينار، فتصدَّق بها، ثمَّ إن صاحبه اشترى خدماً ومتاعاً بألف دينار، فقال هذا: اللهم؛ إني أشتري منك خدماً ومتاعاً في الجنة بألف دينار، فتصدَّق بها.

ثمَّ أصابته حاجةٌ شديدةٌ فقال: لو أتيتُ صاحبي لعلَّه ينالني منه معروفٌ، فجلس على طريق حتى مرَّ به في خدَمه وحشمه، فقام إليه، فنَظره صاحبه فعرفه، فقال: فلان؟ قال: نعم، فقال: ما شأنُك؟ قال: أصابتني حاجة بعدك، فأتيتُك؛ لِتعينني بخير، قال: فما فُعِلَ بمالك وقد اقتسمنا مالاً وأخذتَ شطره؟! فقصَّ عليه قصَّته، فقال: وإنك لمن المتصدِّقين بهذا، اذهب فلا أُعطيك شيئاً، فطرَده، فقضي عليهما فتوفِّيا، فنزل فيهما: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ . . .﴾ إلخ[1].

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٧)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٩٠) لعبد الرزاق وابن المنذر، وروي: أنه لما أتاه . . أخذ بِيَده وجعل يطوف به ويريه أمواله، فنزل فيهما ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾، وهي من الأخبار الإسرائيلية.

﴿مَثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾﴾ ....

﴿مَثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ ـ بَدَل ـ وهو وما بَعدَه تَفسِير لِلمَثَلِ، ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا﴾: الكافِر ﴿جَنَّتَيْنِ﴾: بُستانَينِ ﴿مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ يُقتاتُ بِه.

﴿٣٣﴾ ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ﴾ ـ ﴿كِلْتَا﴾: مُفرَدٌ يَدُلُّ على التَّثنِيَة: مُبتَدأ ـ ﴿آتَتْ﴾ ـ خَبَره ـ ﴿أُكُلَهَا﴾: ثَمَرَها ﴿وَلَمْ تَظْلِم﴾: تَنقُصْ ﴿مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا﴾ أي: شَقَقْنا ﴿خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾ يَجرِي بَينَهما.

حاشية الصاوي

وليس هذا مخصوصاً بأبي سَلمة وأخيه، بل هو مثلٌ لكلِّ مَنْ أقبل على الله وتَرك زينة الدنيا، ومن اغترَّ بالدنيا وزِينتها وترك الإقبال على الله.

قوله: (بدل) أي: ويصح أن يكون مفعولاً ثانياً؛ لأن (ضرب) مع المثل يجوز أن يتعدَّى لاثنين.

قوله: (﴿وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾) أي: جعلنا النخل حولهما ومُحيطاً بكلٍّ منهما.

قوله: (﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾) أي: ليكونَ جامعاً للأقوات والفواكه.

قوله: (مفرد) أي: باعتبار لفظه، وقوله: (يدل على التثنية) أي: باعتبار معناه، فاعتبر اللفظ تارةً فأفرد، والمعنى أخرى فثنَّى.

قوله: (مبتدأ) أي: وهو مَرفوع بضمة مُقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين منع من ظهورها التعذر، و﴿كِلْتَا﴾: مضاف، و﴿الْجَنَّتَيْنِ﴾: مضاف إليه، وهذا إعرابه إن أضيف لظاهر؛ فإن أُضيف لضمير كان ملحقاً بالمثنى؛ فيُعرب بالحروف.

قوله: (﴿آتَتْ أُكُلَهَا﴾) هذا كنايةٌ عن نموِّها وزيادتها، فليست كالأشجار؛ يتمُّ ثمرها في بعض السنين، وينقص في بعض.

قوله: (﴿وَفَجَّرْنَا﴾) أي: شققنا[1].

قوله: (يجري بينهما) أي: ليسقي أرضه ومواشيَه بسهولة.

---

(١) كذا في الأصول، ولعل نسخة «الجلال» التي عند المصنِّف رحمه الله ليس فيها تفسير (وفجَّرنا).

﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾

﴿٣٤﴾ ﴿وَكَانَ لَهُۥ﴾ مع الجَنَّتَينِ ﴿ثَمَرٌ﴾ ـ بِفَتحِ الثَّاء والمِيم وبِضَمِّهِما، وبِضَمِّ الأوَّل وسُكُون الثَّاني، وهو جَمع ثَمَرَة كـ(شَجَرة وشَجَر، وخَشَبة وخُشُب، وبَدَنة وبُدْن) ـ، ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ المُؤمِن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾: يُفاخِرُهُ: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾: عَشِيرةً.

(﴿٣٥﴾ - ﴿٣٦﴾) ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾ بِصاحِبِه يَطُوف بِه فِيها ويُرِيهِ أثمارَها، ولَم يَقُل:

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَكَانَ لَهُۥ﴾) أي: لأحدهما.

قوله: (﴿ثَمَرٌ﴾) المراد به: أمواله التي هي من غير الجنتين كالنقد والمواشي، وسمِّيت ثمراً؛ لأنه يثمر أي: يزيد.

قوله: (بفتح الثاء والميم... إلخ) القراءات الثلاثة سبعيَّة[1].

قوله: (وهي جمع «ثمرة») أي: بفتحتين، وهذا على كلِّ واحد من الأوجه الثلاثة؛ فالمفرَد لا يختلف، وإنما الاختلاف في الجمع، فقوله: (كشجرة... إلخ) لفٌّ ونشرٌ مرتَّب.

قوله: (﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ﴾) حاصل مَقالات الكافر لصاحبه المؤمن ثلاثٌ، وكلُّها شنيعةٌ: الأولى: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ...﴾ إلخ، الثانية: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ...﴾ إلخ، الثالثة: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً...﴾ إلخ.

قوله: (يفاخره) أي: يراجعه بالكلام الذي فيه الافتخار.

قوله: (﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا﴾... إلخ) ﴿أَنَا۠﴾: مبتدأ، و﴿أَكْثَرُ﴾: خبره، و﴿مِنكَ﴾: متعلق بمحذوف حال من ﴿مَالًا﴾، و﴿مَالًا﴾: تمييز محوَّل عن المبتدأ، والأصل: مالي أكثر منك، فحذف المبتدأ وأُقيم المضاف إليه مقامه، فانفصل وجعل المبتدأ في الأصل تمييزاً، ويقال في قوله: ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ ما قيل هنا.

قوله: (ويريه آثارها) أي: بهجتها وحُسنها، وفي نسخة: (أثمارها) وهي ظاهرة.

---

(١) قرأ أبو جعفر وعاصم ورَوح بفتح الثاء والميم، وقرأ أبو عمرو بضم الثاء وإسكان الميم فيهما، وقرأ الباقون بضم الثاء والميم. انظر «النشر في القراءات العشر» (٢/ ٣١٠).

وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ ....

جَنَّتَيهِ إرادةً لِلرَّوضة، وقِيل: اكتِفاءً بِالواحِدِ، ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ بِالكُفرِ، ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ﴾: تَنعَدِمَ ﴿هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى﴾ في الآخِرةِ على زَعمِك ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾: مَرجِعاً.

﴿٣٧﴾ ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾: يُجاوِبُهُ: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ لِأنَّ آدم خُلِقَ مِنهُ، ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾: مَنِيٍّ ﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ﴾: عَدَّلَك وصَيَّرَك ﴿رَجُلًا﴾؟

﴿٣٨﴾ ﴿لَّٰكِنَّا۠﴾ أصلُه: لَكِن أنا، نُقِلَت حَرَكة الهَمزة إلى النُّون ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾) الجملة حالية من فاعل (دخل)، و﴿لِّنَفْسِهِۦ﴾: مفعوله، واللام: زائدة.

قوله: (﴿قَآئِمَةً﴾) أي: كائنة وحاصِلة.

قوله: (على زعمك) دفع بهذا ما يقال: إنه يُنكر البعث فكيف يقول ذلك؟! فأجاب: بأنه مجاراة له في زعمه.

قوله: (مرجعاً) أشار بذلك إلى أن ﴿مُنقَلَبًا﴾ تمييز، وهو اسم مكان من الانقلاب بمعنى: الرجوع، والمراد: عاقِبة المال.

قوله: (﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ﴾) أي: وهو المؤمن، وقد ردَّ المقالات الثلاث على طريق اللَّف والنَّشر المشوَّش.

قوله: (﴿أَكَفَرْتَ﴾) الاستفهام لِلتوبيخ والتقريع، والمعنى: لا ينبغي ولا يَليق منك الكفر بالذي خلقك... إلخ، هذا ردٌّ للمقالة الأخيرة.

قوله: (﴿رَجُلًا﴾) مفعول ثان لـ﴿سَوَّىٰكَ﴾ لأنه بمعنى: صيَّرك كما قال المفسِّر.

قوله: (﴿لَّٰكِنَّا۠﴾) استدراك على قوله: ﴿أَكَفَرْتَ﴾ كأنه قال: أنتَ كافر بالله، لكن أنا مؤمن،

﴿هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٣٨ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ ....

أو حُذِفَت الهَمزةُ ثُمَّ أُدغِمَت، النُّونُ في مِثلِها، ﴿هُوَ﴾ ضميرُ الشَّأن تُفسِّرُه الجُملة بعدَه، والمعنى: أنا أَقُول: ﴿ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾.

(﴿٣٩﴾ - ﴿٤٠﴾) ﴿وَلَوۡلَآ﴾: هَلَّا ﴿إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ﴾ عِندَ إعجابِك بِها هَذا: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾، في الحَدِيث: «مَن أُعطِيَ خَيراً مِن أهلٍ أو مالٍ فيَقُول عِند ذلك: ما شاءَ الله لا قُوَّة إلَّا بِالله، لَم يَرَ فِيه مَكرُوهاً»، ....

حاشية الصاوي

واختلف القرَّاء في وصل (لكنَّا) فبعضهم يثبت ألفاً بعد النون، وبعضهم يَحذفها، وفي الوقف تثبت قولاً واحداً؛ لثبوتها في الرسم[1].

قوله: (أو حذفت الهمزة) أي: من غير نَقل، فقوله: (ثم أدغمت النون) أي: بعد تسكينها بالنسبة للنقل، وعلى الثاني فهي ساكنة فتُدغم حالاً.

قوله: (ضمير الشأن) أي: فـ﴿هُوَ﴾: مبتدأ، والجملة بعده خبره، ولا تحتاج لرابط؛ لأنها عينُه في المعنى، وهو معها خبر عن (أنا)، والرابط الياء من ﴿رَبِّي﴾.

قوله: (﴿وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾) مراده: لا أكفر به؛ لأنَّ إنكار البعث كفرٌ.

قوله: (﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ﴾) هذا ردٌّ للمقالة الثانية، و(لولا): تحضيضيَّة داخلة على ﴿قُلۡتَ﴾، و﴿إِذۡ﴾: ظرف لـ﴿قُلۡتَ﴾ مقدَّم عليه، وجملة ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾: خبر لمحذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (هذا)[2].

قوله: (لم ير فيه مكروهاً) أي: لم يُصَبْ فيه بمصيبة[3].

(١) قرأ أبو جعفر وابن عامر ورُوَيس (لكنا) بإثبات الألف بعد النون وصلاً، وقرأ الباقون بغير ألف. انظر «النشر في القراءات العشر» (٢/ ٣١١).

(٢) والجملة من المبتدأ والخبر مقول القول؛ أي: هلَّا قُلت: هذا ـ أي: ما عليه الجنة من الحسن والنضارة ـ ما شاء الله؛ أي: الذي شاءه الله؛ أي: كان ينبغي لك أن تقول: هذا الأمر هو الذي شاءه الله، فترُده لخالقه، ولا تفتخر به؛ لأنه ليس من صنعك. «فتوحات» (٣/ ٢٧).

(٣) روى ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١) عن سيدنا أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنعم الله على عبده نعمة في أهل أو مال أو ولد فيقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، فيرى فيه آفة دونَ الموت».

إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ ....

﴿إِن تَرَنِ أَنَا﴾ ـ ضميرُ فصل بينَ المَفعولَين ـ ﴿أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ ـ جَوابُ الشَّرط ـ، ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا﴾: جَمع حُسْبانة أي: صَواعِق ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾: أرضاً مَلساءَ لا يَثبُت علَيها قَدم.

﴿٤١﴾ ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا﴾ بِمَعنَى غائِراً، عَطف على (يُرسِل) دُون (تُصبح)؛ لِأنَّ غَورَ الماء لا يَتَسَبَّب عن الصَّواعِق، ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا﴾: حِيلة تُدرِكُهُ بِها.

﴿٤٢﴾ ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ ـ بِأوجُهِ الضَّبطِ السَّابِقة ـ مع جَنَّته بِالهَلاكِ فهَلَكَت، ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ نَدَماً وتَحَسُّراً ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ في عِمارةِ جَنَّتِه ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾: ساقِطةٌ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِن تَرَنِ﴾) هذا ردٌّ لِلمقالة الأولى.

قوله: (ضمير فصل) أي: و﴿أَقَلَّ﴾: مفعول ثان، وقرئ بالرفع فيكون خبراً عن ﴿أَنَا﴾[1]، و﴿مَالًا وَوَلَدًا﴾: تمييزان، وقوله: ﴿فَعَسَىٰ...﴾ إلخ: جواب الشرط.

قوله: (﴿أَن يُؤْتِيَنِ﴾) يحتمل أن يكون في الدنيا أو الآخرة.

قوله: (جمع حسبانة) أي: فهو اسم جنس جمعي، يفرِّق بينه وبين واحده بالتاء.

قوله: (بمعنى: غائراً) أي: ذاهباً في الأرض.

قوله: (لأنَّ غور الماء... إلخ) أي: أو يقال: إنه يفسَّر (الحسبان) بالقضاء الإلهيِّ، وهو عامٌّ يتسبب عنه؛ إمَّا إصباح الجنة صعيداً زلقاً، أو ماؤها غوراً، وعلى هذا: فيكون معطوفاً على ﴿يُصْبِحَ﴾.

قوله: (﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾) أي: أموالِه؛ بدليل قول المفسِّر: (مع جنَّته).

قوله: (بأوجه الضبط) أي: الثلاثة.

قوله: (﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾) الجملة حاليَّة.

(١) وهي قراءة عيسى بن عُمر كما ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ١٢٣).

عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ....

﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: دَعائِمِها لِلكَرْمِ، بِأن سَقَطَت ثُمَّ سَقَطَ الكَرمُ، ﴿وَيَقُولُ يَا﴾ - لِلتَّنبيه - ﴿لَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾.

﴿٤٣﴾ ﴿وَلَمْ تَكُن﴾ - بِالتَّاءِ والياء - ﴿لَّهُۥ فِئَةٌ﴾: جَماعةٌ ﴿يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ عِندَ هَلاكِها، ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ عِند هَلاكِها بِنَفسِه.

﴿٤٤﴾ ﴿هُنَالِكَ﴾ أي: يَومَ القِيامةِ ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾ - بِفَتحِ الواو: النُّصرةُ وبِكَسرِها: المِلك - ﴿لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾ - بِالرَّفعِ صِفة ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾، وبِالجَرِّ صِفة الجَلالة -، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾) جمع عَرش، وهو: بيت جريد أو خشب يُجعل فوقه الثمار.

قوله: (دعائمها) جمع دعامة، وهي: الخشب ونحوه الذي يُنصب ليُمَدَّ الكَرْمُ عليه.

قوله: (﴿وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى﴾) أي: تحسُّراً وندماً على تلف ماله، لا توبةً؛ بدليل قوله: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ﴾.

قوله: (بالتاء والياء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿يَنصُرُونَهُۥ﴾) أي: يَدفعون عنها الهلاك.

قوله: (﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾) أي: قادراً على ذلك.

قوله: (﴿هُنَالِكَ﴾) يصح أن يكون خبراً مقدَّماً، و﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾: مبتدأ مؤخَّراً، وتكون هذه الجملة مستقلةً، أو معمولاً لـ﴿مُنتَصِرًا﴾، وقوله: ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ﴾: مبتدأ وخبر[2].

قوله: (الملك) أي: القهرُ والسَّلطنةُ.

قوله: (بالرفع) راجع لفتح الواو وكسرها، وكذا قوله: (وبالجر)؛ فالقراءات أربع سبعيَّات[3].

---

(١) قرأ الأخوان: حمزة والكسائي: (يكن) بالياء. انظر «الدر المصون» (٧/ ٤٩٧).

(٢) وعلى الأول: الوقف على ﴿مُنتَصِرًا﴾، وعلى الثاني: الوقف على ﴿هُنَالِكَ﴾.

(٣) قرأ حمزة والكسائي بكسر الواو، والباقون بفتحها، وقوله تعالى: ﴿ٱلْحَقِّ﴾ قرأه أبو عمرو والكسائي برفع القاف، وقرأه الباقون بخفضها. انظر «السراج المنير» (٢/ ٣٧٩).

هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا ....

﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ مِن ثوابِ غَيره لَو كان يُثِيب، ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ - بِضَمِّ القاف وسُكُونها -: عاقِبَةً لِلمُؤمِنِينَ، ونَصبُهُما على التَّمييز.

﴿٤٥﴾ ﴿وَاضْرِبْ﴾: صَيِّر ﴿لَهُم﴾: لِقَومِك ﴿مَّثَلَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ - مَفعُول أوَّلُ - ﴿كَمَآءٍ﴾ - مَفعُول ثانٍ - ﴿أَنزَلْنَٰهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِۦ﴾: تَكاثَفَ بِسَبَبِ نُزُولِ الماء ﴿نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ أو امتزَجَ الماءُ بِالنَّباتِ فرَوِيَ وحَسُنَ، ﴿فَأَصْبَحَ﴾: صارَ النَّبات ﴿هَشِيمًا﴾: يابِساً مُتفَرِّقَةً

حاشية الصاوي

قوله: (﴿خَيْرٌ ثَوَابًا﴾) أي: إثابةً.

قوله: (لو كان يثيب) أي: فاسمُ التفضيل على بابه على فرض أنَّ غيرَ الله يثيب.

قوله: (﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾) أي: أنَّ عاقبة طاعة المؤمن خيرٌ من عاقبة طاعة غيره.

قوله: (بضم القاف وسكونها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (صيِّر) أي: شبِّه.

قوله: (﴿مَّثَلَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾) أي: صِفتها وحالها وهيئتها.

قوله: (﴿كَمَآءٍ﴾) أي: كصفة وحال وهيئة ماء... إلخ، وهذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ [الحديد: ٢٠].

قوله: (تكاثف) أي: غلُظ والتفَّ بعضه على بعض.

قوله: (أو امتزج الماء بالنبات) أشار بذلك إلى أنه تفسيرٌ ثانٍ لـ(اختلط)، ومِن المعلوم: أنَّ الامتزاج من الجانبين، فصحَّ نسبته إلى النبات وإن كان في عُرف اللغة والاستعمال أنَّ الباء تدخل على الكثير الغير الطارئ، وقد دخلت هنا على الكثير الطارئ مبالغةً في كثرة الماء حتى كأنه الأصليُّ.

قوله: (فرَوِيَ) بفتح الراء وكسر الواو؛ أي: ارتوى.

قوله: (﴿هَشِيمًا﴾) أي: مهشوماً مكسَّراً.

---

(١) قرأ عاصم وحمزة بسكون القاف، والباقون بضمها. انظر «السراج المنير» (٢/ ٣٧٩).

تَذْرُوهُ ٱلرِّيَـٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ ....

أجزاؤُهُ، ﴿تَذْرُوهُ﴾: تَنشُرُهُ وتُفرِّقهُ ﴿ٱلرِّيَـٰحُ﴾ فتَذهَبُ به، المَعنَى: شَبِّهْ الدُّنيا بِنَباتٍ حَسَنٍ فيَبِسَ فتَكَسَّرَ ففرَّقتهُ الرِّياحُ، وفي قِراءة: ﴿ٱلرِّيحُ﴾، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾: قادِراً.

﴿٤٦﴾ ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يُتجَمَّل بِهِما فِيها، ﴿وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ﴾ هي «سُبحانَ الله، والحَمدُ للهِ، ولا إلَه إلَّا الله، والله أكبَر» زادَ بَعضهم «ولا حَول ولا قُوَّة

حاشية الصاوي

قوله: (وتفرِّقه) عطفُ تفسيرٍ.

قوله: (المعنى) أي: معنى المثل.

قوله: (شبِّه) فعل أمر، وفاعِله: مستتر عائد على النبي ﷺ، والدنيا: مفعوله.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1].

قوله: (﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾) أي: ولم يَزل.

قوله: (قادراً) المناسب أن يقول: (كامل القدرة) كما يُؤخذ من الصيغة.

قوله: (﴿ٱلْمَالُ﴾) أي: وهو الذهب والفضة والخيل المسوَّمة والأنعام والحرث.

قوله: (﴿زِينَةُ﴾) هو مصدر بمعنى اسم المفعول؛ بدليل قوله: (يتجمَّل بهما فيها)؛ ولذا صحَّ الإخبار به عن الاثنَين.

قوله: (هي سبحان الله... إلخ) أي: وتسمَّى غراس الجنة؛ أي: إنَّ بكلٍّ واحدةٍ من هذه الكلمات تُغرس له شجرةٌ في الجنة، فيها ما تشتهي الأنفس وتَلَذُّ الأعين.

وقيل: إن المراد بـ(الباقيات الصالحات): الصلوات الخمس، وقيل: أركان الإسلام، وقيل: كلُّ ما يثاب عليه العبدُ في الدار الآخرة، وهو الأتمُّ، وإنما خصَّ المفسِّر (سبحان الله... إلخ) بالباقيات الصالحات؛ لمزيد فَضلها وثوابها؛ ولذا وصَّى رسول الله ﷺ عمَّه العباس بصلاة التسابيح ولو في العُمر مَرة[2]، وأوصى الخليل رسول الله بأن يأمر أمَّته أن يُكثروا من غِراس الجنة كما في حديث الإسراء[3].

---

(١) قرأ حمزة والكسائي بالتوحيد، والباقون بالجمع. انظر «السراج المنير» (٢/ ٣٢٠).

(٢) رواه أبو داوود (١٢٩٧)، وابن ماجه (١٣٨٧) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه ابن حبان (٨٢١)، وأحمد في «مسنده» (٣٨/ ٥٣٣) عن سيدنا أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، وفيهما: (وما غراس الجنة؟ قال: لا حول ولا قوة إلا بالله).

خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ

إلَّا بِاللهِ» ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ أي: ما يَأمُلُهُ الإنسانُ ويَرجُوهُ عِند الله تَعالى.

﴿٤٧﴾ ﴿وَ﴾ اذكُرْ ﴿يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾: يُذهَب بِها عَن وَجهِ الأرضِ فتَصِيرُ هَباءً مُنبَثًّا، ـ وفي قِراءة بِالنُّونِ وكَسرِ الياء ونَصبِ ﴿الْجِبَالَ﴾ ـ ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾: ظاهِرةً ليسَ علَيها شَيءٌ مِن جَبَل ولا غَيرِه، ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾: المؤمِنين والكافِرين ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾: نَترُك ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ﴾) التفضيل ليس على بابه؛ لأنَّ زينة الدنيا ليس فيها خيرٌ، ولا يرد علينا: أنَّ السعي على العِيال من الخير؛ لأنه من حيِّز الباقيات الصالحات، لا من حيِّز الزينة، أو يقال: إنه على بابه بالنسبة لزعم الجاهل.

قوله: (ويرجوه) عطفُ تفسيرٍ.

قوله: (﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾) هذا كالدليل لكون الدنيا فانيةً ذاهبةً.

قوله: (هباءً) أي: غباراً، وقوله: (منبثًّا) أي: مفرَّقاً كما في سورة (الواقعة).

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1].

قوله: (﴿وَتَرَى الْأَرْضَ﴾) أي: تُبصرها.

قوله: (ولا غيره) أي: مِن بناء وشجر وبحار وغير ذلك.

قوله: (﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾) أتى به ماضياً؛ إشارةً إلى أنَّ الحشر مُقدَّمٌ على تسيير الجبال والبُروز؛ ليعاينوا تلك الأهوال العظام، كأنه قيل: وحشَرناهم قبل ذلك، وعلى هذا: فتبديل الأرض يَحصل وهم ناظرون لذلك، ووقت التبديل يكون الخَلق على الصراط، وقيل: على أجنحة الملائكة؛ كما تقدَّم[2].

قوله: (﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾) عطف على قوله: (حشَرناهم)، والمغادَرة من جانبه؛ ولذا فسَّرها بقوله: (نترك).

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بضم التاء وفتح الياء مبنيًّا للمفعول، و(الجبال) بالرفع لقيامه مقام الفاعل، وحذف الفاعل للعلم به وهو الله، أو مَن يأمره من الملائكة، وهذه القراءة موافقة لما اتفق عليه في قوله: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾، والباقون «نسير» بنون العظمة، والياء مكسورة. انظر «الدر المصون» (٧/ ٥٠٣).

(٢) في تفسير قوله تعالى في سورة (إبراهيم): ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾، انظر (٣/ ٤٩١).

مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ الْكِتَابُ ....

﴿مِنْهُمْ أَحَدًا﴾.

﴿٤٨﴾ ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ ـ حال ـ أي: مُصطفِّينَ كُلُّ أُمَّة صَفٌّ، ويُقالُ لَهُم: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: فُرادَى حُفاةً عُراةً غُرْلاً، ويُقالُ لِمُنكِري البَعث: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَ﴾ن ـ مُخففة مِن الثَّقِيلة ـ أي: أَنَّهُ ﴿لَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ لِلبَعثِ.

﴿٤٩﴾ ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾: كِتابُ كُلِّ امرِئٍ ....

حاشية الصاوي

قوله: (حال) أي: من الواو في (عُرِضوا)، و﴿صَفًّا﴾: مفرد وقع موقع الجمع، فالمعنى: جميعاً، ونظيره قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا﴾ [طه: ٦٤] أي: جميعاً، أو المراد: صفوفاً؛ لما ورد: «أهلُ الجنة مئة وعشرون صفًّا، أنتم منها ثمانون»[١]، وورد: أن النبي ﷺ قال: «إن الله تبارك وتعالى يُنادي بصوت رفيع غير فظيع: يا عبادي؛ أنا الله لا إله إلا أنا أرحَم الراحمين، وأحكم الحاكمين، وأسرَع الحاسبين، يا عبادي؛ لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنُون، أحضِروا حجَّتكم، ويسِّروا جوابكم؛ فإنكم مَسؤولون محاسبون، يا ملائكتي؛ أقيموا عبادي صفوفاً على أطراف أنامل أقدامهم للحساب»[٢].

قوله: (ويقال لهم) أي: توبيخاً وتقريعاً.

قوله: (أي: فُرادى) أي: مُنفردين عن المال والبنين.

قوله: (غُرلاً) جمع أغرَل؛ أي: غير مختونين.

قوله: (﴿بَلْ زَعَمْتُمْ﴾) أي: قُلتم قولاً كذباً.

قوله: (أي: أنه) أي: الحال والشأن.

قوله: (﴿مَّوْعِدًا﴾) أي: مكاناً تُبعثون فيه.

قوله: (﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾) هو بالبناء للمفعول في قراءة العامَّة، وقرئ شذوذاً بالبناء للفاعل، وهو الله، أو الملك[٣].

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٤٦)، وابن ماجه (٤٢٨٩) عن سيدنا بريدة بن الحصيب رضي الله عنه.

(٢) أورده القرطبي في «تفسيره» (١٠/ ٤١٧)، وعزاه لابن منده في «التوحيد».

(٣) وبها قرأ زيد بن علي. انظر «الدر المصون» (٧/ ٥٠٦).

فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ....

في يَمِينِه مِن المُؤمِنِين وفي شِمالِه مِن الكافِرِين، ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: الكافِرِين ﴿مُشْفِقِينَ﴾: خائفِينَ ﴿مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ﴾ عِندَ مُعايَنَتِهم ما فِيه مِن السَّيِّئات: ﴿يَا﴾ - لِلتَّنبِيه - ﴿وَيْلَتَنَا﴾: هَلَكَتنا، وهو مَصدَر لا فِعلَ له من لَفظِه، ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ مِن ذُنُوبِنا ﴿إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ﴾: عَدَّها وأثبَتَها؟! تَعَجَّبُوا مِنهُ في ذلك، ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ﴾: مُثبَتاً في كِتابِهم، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾: لا يُعاقِبُه بِغَيرِ جُرمٍ، ولا يَنقُصُ مِن ثَوابِ مُؤمِنٍ.

حاشية الصاوي

قوله: (في يَمينه) أي: فحِين يقرؤه يَبْيَضُّ وجهه ويقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ...﴾ [الحاقة: ١٩] إلى آخرها في سورة (الحاقة).

قوله: (وفي شِماله من الكافرين) أي: فحين يقرؤه يسودُّ وجهه ويقول: ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ...﴾ [الحاقة: ٢٥] إلخ.

قوله: (هَلَكَتَنا) أي: هلاكنا، والمقصود: التحسُّر والتندُّم، وقيل: الياء: حرف نداء، و﴿ويلتنا﴾: منادى تنزيلاً لها منزلة العاقل، فكأنه يقول: يا هلاكي احضر، فهذا أوانُك.

قوله: (وهو مصدر) أي: الوَيل، وقوله: (لا فعل له من لفظه) أي: بل مِن معناه، وهو (هلك).

قوله: (﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ﴾) ﴿ما﴾: استفهامية مبتدأ، و﴿لهذا الكتاب﴾: خبره؛ أي: أيُّ شيءٍ لهذا الكتاب؟

قوله: (﴿لَا يُغَادِرُ﴾) الجملة حالية من ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾.

قوله: (تعجَّبوا) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام للتعجب.

قوله: (منه) أي: الكتاب.

قوله: (في ذلك) أي: الإحصاءِ المذكور.

قوله: (﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾) أي: لا يُعامله معاملة الظالم بحيث يعذِّبه من غير ذنب أو ينقص من أجره.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ ....

﴿٥٠﴾ ﴿وَإِذْ﴾ - مَنصُوب بِـ(اذكُر) - ﴿قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ سُجُودَ انحِناءٍ لا وضع جَبهةٍ تَحِيَّة لَه، ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ قِيل: هو نَوعٌ مِن المَلائكة، فالاستِثناءُ مُتَّصِل، وقِيل: هو مُنقَطِع وإبلِيسُ هو أبُو الجِنِّ، فلَه ذُرِّيَّة ذُكِرَت معهُ بَعد، والمَلائكةُ لا ذُرِّيَّة لَهُم، ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ أي: خَرَجَ عَن طاعَتِه بِتَركِ السُّجُود، ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ - الخِطابُ لِآدَم وذُرِّيَّتِه، والهاءُ في المَوضِعَينِ لِإبلِيسَ - ....

حاشية الصاوي

قوله: (منصوب بـ«اذكر») أي: فـ(إذ): ظرف لِذلك المقدَّر، والمعنى: اذكر يا محمد لقومك وقت قولنا للملائكة. . . إلخ، والمراد: اذكر لهم تِلك القصة، وقد كرِّرت في القرآن مراراً؛ لأنَّ معصية إبليس أول مَعصية ظَهرت في الخلق.

قوله: (سجود انحناء) جوابٌ عمَّا يقال: إنَّ السجود لغير الله كفرٌ، وتقدَّم الجواب: أنَّ السجود لله وآدمُ كالقِبلة؛ أو أنَّ محلَّ كونِ السجود لغير الله كفراً إن لم يكُن هو الآمر به، وإلَّا . . فالكفر في المخالفة.

قوله: (﴿فَسَجَدُوٓا۟﴾) أي: جميعاً.

قوله: (قيل: هم نوع من الملائكة) أي: وعلى هذا القول: فهم ليسُوا معصومين كالملائكة، بل يتوالدون ويَعصون.

قوله: (وإبليس أبو الجن) هذا توجيهٌ لكونه منقطعاً، وهو الحقُّ، وعليه: فالجنُّ نوعٌ آخرُ غيرُ الملائكة، فالجنُّ من نار، والملائكة من نور.

قوله: (فله ذرية) تفريع على كونه أباً؛ إذ الأب يستلزم ابناً.

قوله: (﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾) أي: تكبُّراً وحسداً.

قوله: (﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ﴾) الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والاستفهام توبيخي، والمعنى: أَبَعْدَ ما حصل منه ما حصل يَليق منكم اتخاذه؟

قوله: (﴿وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾) عطف على الضمير في «تتخذونه»، قال مجاهد: مِن ذرية إبليس: لاقِسُ وولْهَانُ وهما صاحبا الطهارة والصلاة اللذان يُوسوسان فيهما، ومن ذريته مرَّةُ وبه يكنى، وزَلَنْبُورُ

أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

﴿أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ تُطِيعُونَهُم ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾ أي: أعداءٌ؟ ـ حال ـ ﴿بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ إبليسُ وذُرِّيَّتُه في إطاعَتِهم بَدَلَ إطاعةِ الله.

﴿٥١﴾ ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ﴾ أي: إبليسَ وذُرِّيَّتَه ﴿خَلْقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ....

حاشية الصاوي

وهو صاحب الأسواق يُزيِّن اللغو والحلف الكاذب ومدح السلع، وبترُ وهو صاحب المصائب يزين خدش الوجوه ولَطم الخدود وشقَّ الجيوب، والأعورُ وهو صاحب الزنا يَنفخ في إحليل الرجل وعَجيزة المرأة، ومطروسُ وهو صاحب الأخبار الكاذبة يُلقيها في أفواه الناس لا يجدون لها أصلاً، وداسمُ وهو الذي إذا دخل الرجل بيته ولم يُسَمِّ ولم يذكر الله دخل معه[(١)].

قال القرطبي: (واختُلِفَ هل لإبليس ذرية من صلبه؛ فقال الشعبي: سألني رجل فقال: هل لإبليس زوجة؟ فقلتُ: إن ذلك عرس لم أشهَده، ثم ذكرت قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ فعلمتُ أنه لا تكون ذُرية إلا من زوجة، فقلتُ: نعم.

وقال مجاهد: إنَّ إبليس أدخل فرجه في فرج نَفسه، فباض خمس بيضات، فهذه أصل ذُريته، وقيل: إن الله خَلق له في فخذه اليمين ذكراً، وفي فخذه اليسرى فرجاً، فهو ينكح هذه بهذا فيخرج له كل يوم عشر بَيضات، يخرج من كل بيضة سبعون شيطاناً وشيطانة، فهو يُفرخ ويطير، وأعظمهم عند أبيهم منزلة أعظمهم في بني آدم فِتنة. وقال قوم: ليس له أولاد ولا ذرية، وإنما المراد بذريَّته: أعوانُه من الشياطين)[(٢)].

قوله: (تُطيعونهم) أي: بدل طاعتي.

قوله: (حال) أي: من مفعول (تَتَّخِذُونَ).

قوله: (﴿لِلظَّـٰلِمِينَ﴾) متعلِّق بـ﴿بَدَلًا﴾ الواقع تمييزاً للفاعل المستتر، وقوله: (إبليسُ وذريَّته) بيان لِلمخصوص بالذم المحذوف، والأصل: بِئس البدل إبليس وذريَّته.

قوله: (أي: إبليس وذريته) تفسير للضمير في ﴿أَشْهَدتُّهُمْ﴾، والمعنى: لم أُحضرهم حين خلقت السماوات والأرض، ولا حين خَلقت أنفسهم؛ فكيف تَتخذونهم أولياء تطيعونهم؟!

---

(١) انظر «تفسير البغوي» (٥/ ١٩٧)، و«تفسير الخازن» (٣/ ١٦٧).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٠/ ٤٢٠).

وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ ....

﴿وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: لَم أُحضِر بَعضَهُم خَلْقَ بَعضٍ ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ﴾: الشَّياطِين ﴿عَضُدًا﴾: أعواناً في الخَلق، فكيفَ تُطِيعُونَهُم؟

﴿٥٢﴾ ﴿وَيَوْمَ﴾ - مَنصُوب بـ(اذكُر) - ﴿يَقُولُ﴾ - بِالياءِ والنُّون - ﴿نَادُواْ شُرَكَآءِيَ﴾: الأوثانَ ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ لِيَشفَعُوا لَكُم بِزَعمِكُم، ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ﴾: لَم يُجِيبُوهُم ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم﴾: بَين الأوثانِ وعابِدِيها ﴿مَّوْبِقًا﴾: وادِياً مِن أودِيَةِ جَهنَّم يَهلِكُونَ فِيه جَمِيعاً، وهو مِن (وَبَقَ) بِالفتح: هَلَكَ.

﴿٥٣﴾ ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ﴾ أي: أيقَنُوا ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ﴾) فيه وضع الظاهر مَوضع المضمر[١].

قوله: (﴿عَضُدًا﴾) هو في الأصل: العُضو الذي هو من المرفق إلى الكتف، ثم أطلق على المعين والناصر، والمراد هنا: مقدَّماً لهم في مناصب خير، بل هم مَطرودون؛ فكيف يُطاعون؟!

قوله: (بالياء والنون) أي: وهما قراءتان سبعيَّتان[٢].

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾) أي: زَعمتموهم شركاء، فالمفعولان محذوفان.

قوله: (لِيَشفعوا لكم) متعلق بـ(نادوا).

قوله: (﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم﴾) أي: مشتركاً.

قوله: (وادياً من أودية جهنم) قال أنس بن مالك: (هو وادٍ في جهنم من قيح ودَم)[٣].

قوله: (من «وبق» بالفتح؛ أي: كـ: (وَعد).

قوله: (﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ﴾) أي: عايَنوها من مسيرة أربعين عاماً.

---

(١) إذ المراد بالمضلين: من انتفى عنهم إشهاد خلق السماوات والأرض، فمقتضى الظاهر: متخذهم. اهـ «فتوحات» (٣/ ٣٣).

(٢) قرأ حمزة «نقول» بنون العظمة مراعاة للتكلم في قوله: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ﴾ إلى آخره، والباقون بياء الغيبة. انظر «الدر المصون» (٧/ ٥٩).

(٣) رواه البيهقي في «البعث والنشور» (٤٧٢).

أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ ....

﴿أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ أي: واقِعُونَ فِيها، ﴿وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾: مَعدِلاً.

﴿٥٤﴾ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾: بيَّنَّا ﴿فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ صِفة لِمَحذُوفٍ أي: مَثَلاً مِن جِنسِ كُلِّ مَثَل لِيتَّعِظُوا، ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي: الكافِرُ ﴿أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾: خُصُومةً في الباطِل، وهو تَمييز مَنقُولٌ مِن اسمِ (كان)، المَعنَى: وكان جَدَلُ الإنسان أكثَرَ شَيءٍ فِيه.

﴿٥٥﴾ ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ﴾ أي: كُفَّار مَكَّة ﴿أَن يُؤْمِنُوٓا۟﴾ ـ مَفعُول ثانٍ ـ ﴿إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾: القُرآنُ ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ـ فاعِل ـ أي: سُنَّتُنا فِيهِم وهي الإهلاكُ المُقدَّر علَيهِم، ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قِبَلًا﴾: مُقابَلةً وعِياناً، وهو القَتلُ يومَ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مَصْرِفًا﴾) أي: مكاناً يحلُّون فيه غيرها.

قوله: (﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾) أي: معنى غريب بديع، يُشبه المثل في غرابته.

قوله: (خُصومة في الباطل) هذا هو معنى الجدل هنا، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ المؤمن ليس كثير الجدل في الباطل، بل هو شَديد الخُصومة في الحق.

قوله: (﴿وَيَسْتَغْفِرُوا۟﴾) عطف على ﴿أَن يُؤْمِنُوٓا۟﴾.

قوله: (﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾) الكلام على حذف مضاف؛ أي: إلا انتظارهم وطلبهم إتيان سُنة الأولين بقولهم: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ...﴾ [الأنفال: ٣٢] الآية.

قوله: (وهي الإهلاك) أي: الذي يَستأصلهم.

قوله: (المقدَّر) أي: في الأزل، وقوله: (عليهم) أي: الأولين.

قوله: (﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ﴾) أي: الناسَ.

قوله: (مُقابلة وعياناً) تفسير لـ(قِبَلاً) بكسرٍ ففتح.

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ ....

بَدر، وفي قِراءة بِضمَّتَينِ جمع (قَبِيلٍ) أي: أنواعاً.

﴿٥٦﴾ ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ لِلمُؤمِنينَ، ﴿وَمُنذِرِينَ﴾: مُخَوِّفِينَ لِلكافِرين، ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ بِقَولِهِم: أَبَعَثَ اللهُ بَشَراً رَسُولاً؟ ونَحوِه؛ ﴿لِيُدْحِضُواْ بِهِ﴾: لِيُبطِلُوا بِجِدالِهِم ﴿ٱلْحَقَّ﴾: القُرآنَ، ﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى﴾ أي: القُرآنَ ﴿وَمَآ أُنذِرُواْ﴾ بِه مِن النَّار ﴿هُزُوًا﴾: سُخرِيَّةً.

﴿٥٧﴾ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾: ما عَمِلَ مِن الكُفر والمَعاصِي، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾: أغطِيَةً ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ أي: مِن أن يَفهَمُوا

حاشية الصاوي

قوله: (أي: أنواعاً) تفسير لـ﴿قُبُلًا﴾ بضمَّتين، فكلٌّ من القراءتين له معنى يَخصُّه[1].

قوله: (القرآن) المناسب أن يقولَ: أي: جميع ما جاءت به الرسل.

قوله: (﴿ءَايَٰتِى﴾) المناسب تفسيرها بمعجزات الرسل، لا خُصوص القرآن؛ لأنه في كلِّ كافرٍ من هذه الأمة وغيرها.

قوله: (﴿وَمَآ أُنذِرُواْ﴾) (ما): موصولة، والعائد محذوف؛ أي: الذي أُنذروا به، أو مصدرية؛ أي: إنذارهم.

قوله: (﴿هُزُوًا﴾) يقرأ بالهمز والواو، سبعيَّتان[2].

قوله: (﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾) أي: لم يتدبَّرْها وقتَ تذكيره بها.

قوله: (﴿إِنَّا جَعَلْنَا﴾) بمنزلة التعليل لِقوله: ﴿فَأَعْرَضَ﴾.

---

(١) قرأ أبو جعفر والكوفيون: عاصم وحمزة والكسائي بضم القاف والباء، وقرأ الباقون بكسر القاف وفتح الباء. انظر «النشر في القراءات العشر» (٢/ ٣١١).

(٢) قرأ حفص بالواو وقفاً ووصلاً، وحمزة بالواو ووقفاً لا وصلاً، وسكن الزاي حمزة، ورفعها الباقون، ولحمزة في الوقف أيضاً النقل. انظر «السراج المنير» (٢/ ٣٨٧).

وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا ﴿٥٨﴾ وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم ....

القُرآنَ أي: فلا يَفهَمُونَهُ، ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ﴾: ثِقَلاً فلا يَسمَعُونَه، ﴿وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا﴾ أي: بِالجَعل المذكُورِ ﴿أَبَدٗا﴾.

﴿٥٨﴾ ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم﴾ في الدُّنيا ﴿بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ﴾ فِيها، ﴿بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ﴾ وهو يَومُ القِيامةِ ﴿لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا﴾: مَلجَأً.

﴿٥٩﴾ ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ﴾ أي: أهلُها كعادٍ وثَمُودَ وغَيرِهما ﴿أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ﴾: كفَرُوا، ﴿وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم﴾: لإهلاكِهِم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (فلا يَسمعونه) أي: سماعَ تفهُّمٍ وانتِفاعٍ.

قوله: (﴿لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ﴾) أي: المستأصِلَ لهم.

قوله: (وهو يوم القيامة) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بالموعد: الزمانُ المعدُّ لهم، ويصحُّ أن يرادَ به المكان.

قوله: (﴿لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ﴾) أي: العذاب.

قوله: (﴿مَوۡئِلٗا﴾) الموئل: المرجع من: وَأَلَ يَئِلُ؛ أي: رجع، ويُقال للملجأ أيضاً؛ يقال: وَأَلَ فلانٌ إلى فلان: إذا لجأ إليه، والمعنى: لن يَجدوا غير العذاب ملجأً يَلتجئون إليه كنايةً عن عدم خلوصهم منه.

قوله: (أي: أهلها) أشار بذلك إلى أن الكلامَ على حذف مضاف.

قوله: (﴿أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ﴾) أي: في الدنيا كما قال تعالى: ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا...﴾ إلخ.

قوله: (﴿لِمَهۡلِكِهِم﴾) أي: لهلاكهم المذكور وقتاً مُعيناً، نزل بهم فيه، فكذلك قومك لهم وقت ينزل بهم فيه، وهو معنى قوله: ﴿مَّوۡعِدٗا﴾.

مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ ....

وفي قِراءة بِفَتحِ الميم أي: لِهَلاكِهِم ﴿مَّوْعِدًا﴾.

﴿٦٠﴾ ﴿وَ﴾ اذكُرْ ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ هو ابنُ عِمرانَ ﴿لِفَتَىٰهُ﴾ يُوشَعَ بنِ نُون، كان يَتبَعُهُ

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً، وتحتها قراءتان: فتح اللام وكسرها، فمَجموع القراءات السبعيَّة ثلاثةٌ: ضمُّ الميم مع فتح اللام، وفتح الميم مع فتح اللام، وفتح الميم مع فتح اللام أو كسرها[1].

قوله: (واذكر) قدَّره؛ إشارةً إلى أن (إذ) ظرفٌ لمحذوف، والمعنى: اذكر يا محمَّد لقومك وقتَ قول موسى لفتاه... إلخ، والمراد: اذكر لهم قصَّته وما وَقع له مع الخضر عليهما السلام.

قوله: (هو ابن عمران) أي: رسول بني إسرائيل، من سبط لاوي بن يعقوب، وهذا هو الصحيح الذي أجمعت عليه الآثار الصحيحة، ولا يقدح فيه كونه يتعلَّم من الخضر؛ لأنَّ الكامل يَقبل الكمال، سواء قُلنا: إنَّ الخضر نبيٌّ أو وليٌّ، فاستفادتُه منه لا يقدح في كونه أفضل منه؛ لأنَّ تلك مزيَّة، وهي لا تقتضي الأفضليَّة، يدلُّ على ذلك: أنَّ رسول الله ﷺ مع كونه أعلمَ الناس أمرَه الله بالاستزادة من العلم بقوله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، خلافاً لمن زعم أنه موسى بن ميشا بن يوسف بن يعقوب[2]، وادَّعى أنه نبي قبل موسى بن عمران محتجًا: بأنَّ الله بعد أن أنزَل على موسى بن عمران التوراة وكلَّمه بلا واسطة وأعطاه المعجزات العظيمة الباهرة يَبعُد أن يستفيد من مطلق نبيٍّ أو وليٍّ، وهذا القول خلاف الصحيح.

قوله: (يوشع بن نون) هو ابن أفرائيم بن يوسف، أرسله الله بعد موسى، فقاتل الجبَّارين، ورُدَّت له الشمس، وتقدَّمت قصَّته في (المائدة).

قوله: (كان يتبعه) هذا بيان وجه إضافته إلى موسى، وكان ابنَ أخته، وقيل: كان عبداً له، وهو بعيد؛ لأنَّ شرط النبيِّ الحرية.

---

(١) قرأ أبو بكر بفتح الميم واللام التي بعد الهاء فيهما، وروى حفص بفتح الميم وكسر اللام في الموضعين، وقرأ الباقون بضم الميم وفتح اللام. انظر «النشر في القراءات العشر» (٢/ ٣١١).

(٢) وهو قول أهل الكتاب، وتبعهم بعض المحدثين والمؤرِّخين. انظر «حاشية الشهاب على البيضاوي» (٦/ ١١٤)، وردَّ سيدنا ابن عباس على نوف البكالي الذي كان يزعم أن موسى عليه السلام صاحب بني إسرائيل ليس هو موسى صاحب الخضر عليه السلام بحديث سيدنا أبي بن كعب ﷺ. انظر «صحيح البخاري» (٣٤٠١)، و«صحيح مسلم» (٢٣٨٠).

لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا ....

ويَخدُمُهُ ويَأخُذ مِنهُ العِلمَ: ﴿لَآ أَبۡرَحُ﴾: لا أزالُ أسِيرُ ﴿حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾: مُلتَقى بَحرِ الرُّوم وبَحر فارِس مِمَّا يَلِي المَشرِقَ، أي: المَكانَ الجامِع لِذلك، ﴿أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾: دَهْراً طَوِيلاً في بُلُوغِه إن بَعُدَ.

﴿٦١﴾ ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا﴾: بينَ البَحرَين ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾: نَسِيَ يُوشَعُ حَمْلَه

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَآ أَبۡرَحُ﴾) هي من أخوات (كان)، اسمها مستتر وجوباً، وخبرها محذوفٌ، قدَّره المفسِّر بقوله: (أسير) أي: لا أبرح سائراً.

قوله: (ملتقى بحر الروم... إلخ) وملتقاهما عند البحر المحيط.

قوله: (مما يَلي المشرق) أي: وذلك بإفريقية.

قوله: (دهراً طويلاً) وقيل: الحُقُب: ثمانون سنة، وقيل: سنة واحدة بلغة قريش، وقيل: سبعون، ويجمع على: أحقاب ك: عُنُق وأعناق.

قوله: (إن بَعُدَ) أي: إن لم أُدركه، والمعنى: لا بدَّ من سيري إلى أن أبلغ مجمع البحرين، أو أسير زمناً طويلاً حتى آيسَ من الوصول.

قوله: (بين البحرين) أشار بذلك إلى أن (بين) ظرف، وهو الموضع الذي وُعِدَ موسى أن يجتمع فيه بالخضر.

قوله: (﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾) قيل: كان مشويًّا، وقيل: كان مملَّحاً وقد أكلا منه زماناً طويلاً قبل أن يدركا الصخرة.

قوله: (نسي يوشع حمله) هذا يقتضي أنه كان موجوداً على البر حين نَسيه يوشع، ولكن الموجود في القصة: أنَّ موسى ويوشع لما وَصلا للصخرة التي عندها عين الحياة.. ناما، ثم استيقظ يوشع فتوضأ من تلك العين، فانتَضح الماء عليه فعاش ووثب في الماء، فهذا يقتضي أنه نسي إخبار موسى بما رأى، فالمناسب لِلمفسِّر أن يقول: نسي يوشع أن يخبر موسى بما شاهدَه من الأمر العجيب.

إن قلتَ: إنَّ شأن الأمر العجيب عدمُ نِسيانه.

فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ ....

عِند الرَّحِيل ونَسِيَ مُوسى تذكِيرَه، ﴿فَاتَّخَذَ﴾ الحُوتُ ﴿سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ﴾ أي: جَعَلَهُ بِجَعلِ الله ﴿سَرَبًا﴾ أي: مِثلَ السَّرَب وهو الشَّقُّ الطَّوِيل لا نَفاذَ لَهُ، وذلك أنَّ الله تعالَى أمسَكَ عن الحُوت جَرْيَ الماءِ فانجابَ عَنهُ، فبَقِيَ كالكُوَّة لَم يَلتَئِم، وجَمَدَ ما تَحتَه مِنهُ.

﴿٦٢﴾ ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ ذلك المَكانَ بِالسَّيرِ إلى وَقتِ الغَداء مِن ثانِي يَوم، ﴿قَالَ﴾ مُوسى ﴿لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ هو ما يُؤكَلُ أوَّل النَّهار، ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾: تَعَباً، وحُصُولُه بَعد المُجاوَزة.

حاشية الصاوي

أجيب: بأنه أُدْهِشَ من عظيم ما رأى من قُدرة الله وعظمته للحكمة التي ترتَّبت على ذلك.

قوله: (﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ﴾) هذا الاتخاذ قبل النسيان، فيكون في الآية تقديم وتأخير، والأصل: فأدركته الحياة، فخرج من المكتل وسقط في البحر، فاتَّخذ سَبيله.

قوله: (﴿سَرَبًا﴾) مفعولٌ ثانٍ لـ(اتَّخذ).

قوله: (وذلك) أي: سبب ذلك.

قوله: (فانجاب) أي: انقطع الماء وانكشف.

قوله: (فبقي) أي: صار.

قوله: (كالكوَّة) هي بالفتح: نَقب البيت، وهو يجمع على (كِوًى) بكسر القاف ممدوداً ومقصوراً.

قوله: (لم يلتئم) أي: يَلتصق حتى يرجع إليه موسى، فرأى مسالكه.

قوله: (وجمد ما تحته) أي: فجعل الحوت لا يمسُّ شيئاً في البحر إلَّا يبس.

قوله: (ذلك المكان) أي: مجمَع البحرين.

قوله: (﴿مِن سَفَرِنَا هَٰذَا﴾) أي: الذي وقع بعد مجاوزتهما الموعد.

قوله: (﴿نَصَبًا﴾) مفعولٌ بـ﴿لَقِينَا﴾.

قوله: (وحُصوله بعد المجاوزة) إنما كان حصول النَّصَبِ بعد المجاوزة؛ لحصول السفر مع الانتظار والتشوُّق، وأمَّا سَفرهما قبل وصول مجمع البحرين فكان مقصوداً دفعة؛ فلا مشقَّة فيه.

قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا

﴿٦٣﴾ ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ﴾ أي: تَنَبَّه ﴿إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ بِذلك المَكانِ، ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ يُبدَلُ مِن الهاء: ﴿أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ بَدَلَ اشتِمال أي: أنساني ذِكرَهُ، ﴿وَٱتَّخَذَ﴾ الحُوتُ ﴿سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ ـ مَفعُول ثانٍ ـ أي: يَتَعَجَّب مِنهُ مُوسى وفَتاهُ لِما تَقَدَّمَ في بَيانِه.

﴿٦٤﴾ ﴿قَالَ﴾ مُوسَى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: فَقدُنا الحُوتَ ﴿مَا﴾ أي: الَّذي ﴿كُنَّا نَبْغِ﴾: نَطلُبُهُ؛ فإنَّهُ عَلامةٌ لَنا على وُجُود مَن نَطلُبُهُ، ﴿فَٱرْتَدَّا﴾: رَجَعا ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا﴾ يَقُصّانِها ﴿قَصَصًا﴾ فأتَيا الصَّخرةَ.

﴿٦٥﴾ ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: تنبَّهْ) أي: تذكَّرْ واستمع لما أُلقيه لك من شأن الحوت.

قوله: (﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾) أي: نسيتُ إخبارك بما شاهدته منه؛ كما تقدَّم.

قوله: (﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾) إن قلتَ: إنَّ الشيطان لا تَسلُّط له على الأنبياء.

أجيب: بأنه أضاف النسيان إليه؛ هَضماً لنفسه.

قوله: (أي: يتعجَّب منه موسى وفتاه) أي: حيث أكَلا من الحوت شقَّه الأيسر ثم حيي بعد ذلك.

قوله: (لما تقدَّم في بيانه) أي: وهو قوله: (وذلك أن الله أمسك عن الحوت جري الماء... إلخ).

قوله: (مَنْ نَطْلُبُهُ) أي: وهو الخَضر.

قوله: (﴿فَوَجَدَا عَبْدًا﴾) قيل: دخلا السرب مكان الحوت، فوجَداه جالساً على جزيرة في البحر، وقيل: وجَداه عند الصخرة مغطًّى بثوبٍ أبيضَ، طرفُه تحت رأسه، والآخر تحت رجليه، فسلَّم عليه موسى، فرفع رأسه واستوى جالساً وقال: وعليك السلام يا نبيَّ بني إسرائيل، فقال له موسى: ومَن أخبرك أني نبيُّ بني إسرائيل؟ فقال: الذي أدراك بي ودَلَّك عليَّ، ثم قال: لقد كان لك في بني إسرائيل شغلٌ، قال موسى: إن ربي أرسَلني إليك؛ لأتبعك وأتعلَّم منك[1].

(١) أورده الثعلبي في «تفسيره» (٦/١٣٨) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وفي «البخاري» (١٢٢)، و«مسلم» =

مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ....

مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ هو الخَضِرُ ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾: نُبُوَّةً في قَولٍ، ووَلايةً في آخَرَ، وعلَيهِ أكثَرُ العُلَماء، ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا﴾: مِن قِبَلِنا ﴿عِلْمًا﴾ ـ مَفعُول ثانٍ ـ أي: مَعلُوماً مِن المُغَيَّبات، رَوَى البُخارِيُّ حَدِيثَ: «أنَّ مُوسَى قام خَطِيباً في بَنِي إسرائيلَ، فسُئلَ:

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِّنْ عِبَادِنَآ﴾) الإضافة لتشريف المضاف؛ أي: من عَبيد الخصوصية.

قوله: (هو الخضر) بفتح الخاء مع كسر الضاد أو سكونها، وبكسر الخاء مع سكون الضاد؛ فيه ثلاثُ لغاتٍ، وهذا لقبه، واسمه: بليا بفتح الباء وسكون اللام بعدها ياء تحتيَّة آخره ألف مقصورة، ومعناه بالعربية: أحمد بن ملكان، وكُنيته: أبو العباس. قال بعض العارفين: مَن عرف اسمه واسم أبيه وكنيته ولقبه.. مات على الإسلام، ولُقب بالخضر؛ لأنه جلس على الأرض فاخضرَّت تحته، وقيل: لأنه كان إذا صلَّى.. اخضرَّ ما حولَه، وهو من نَسل نوح، وكان أبوه من الملوك.

قوله: (نبوَّةً في قولٍ) أي: وقد صحَّحه جماعة، والجمهور على أنه حيٌّ إلى يوم القيامة؛ لِشُربه من ماء الحياة، يجتمع به خواصُّ الأولياء ويأخذون عنه، قال السيد البكري صاحبُ ورد السحر في توسُّلاته: [الكامل]

بِنَقِيبِهِمْ في كُلِّ عَصْرِ الخِضْرِ أَبِي الـ ... ـعبَّاسِ مَنْ أَحْيَا بِمَاءِ وِصَالِهِ[1]

حَيٌّ وَحَقِّكَ لَمْ يَقُلْ بِوَفَاتِهِ ... إِلَّا الَّذِي لَمْ يَلْقَ نُورَ جَمَالِهِ

فَعَلَيهِ مِنِّي كُلَّمَا هَبَّ الصَّبَا ... أَزْكَى سَلامٍ طَابَ فِي إِرْسَالِهِ

وقد اجتمع برسول الله ﷺ وأخذ عنه؛ فهو صحابي.

قوله: (﴿مِن لَّدُنَّا﴾) أي: ممَّا يختصُّ بنا ولا يُعلَمُ بواسطة مُعلِّمٍ من أهل الظاهر.

قوله: (خطيباً) أي: واعظاً يذكِّر الناس حتى فاضت العيون، ورقَّت القلوب، وكانت تلك الخطبة بعد هلاك القِبط ورجوع موسى إلى مصر.

= (٦٢٣٩): (فسلم عليه موسى، فقال: أنَّى بأرضك السلام؟ قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، قال: يا موسى إنك على علمٍ من عِلمِ الله علَّمكه الله لا أعلَمه، وأنا على علمٍ من عِلمِ الله علَّمنيه لا تعلمه).

(١) كذا في الأصول، ولا يستقيم الوزن فيه، والقصيدة ذكرها العلامة النبهاني في «شواهد الحق» (ص٣٠٨) عن الشيخ البكري، والبيت فيها:

بِنقيبِهِمْ خضرٌ وكنيتُهُ أبو الـ ... ـعبَّاس مَنْ أحيا بماء وصاله

أيُّ النَّاس أعلَمُ؟ فقال: أنا، فعَتَبَ الله علَيهِ إذ لَم يَرُدَّ العِلمَ إلَيهِ، فأوحَى الله إلَيهِ: إنَّ لِي عَبداً بِمَجمَعِ البَحرَينِ هو أعلَمُ مِنك، قال مُوسى: يا رَبِّ فكيف لِي بِه؟ قال: تَأخُذُ معك حُوتاً فتَجعَلُهُ في مِكتَلٍ، فحيثُما فقَدتَ الحُوتَ فهو ثَمَّ، فأخَذَ حُوتاً فجَعَلَهُ في مِكتَل، ثُمَّ انطَلَقَ وانطَلَقَ معهُ فَتاهُ يُوشَعُ بن نُون، حتَّى أتَيَا الصَّخرةَ ووَضَعَا رُؤُوسَهُما فنامَا، واضطَرَبَ الحُوت في المِكتَل فخَرَجَ مِنهُ فسَقَطَ في البَحر، ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾، وأمسَكَ الله عَن الحُوتِ جَرْيَة الماء فصار عَلَيهِ مِثلُ الطَّاق، فلَمَّا استَيقَظَ نَسِيَ صاحِبُه أن يُخبِرَهُ بِالحُوتِ، فانطَلَقا بَقِيَّةَ يَومِهما ولَيلَتِهما، حتَّى إذا كانَا مِن الغَداةِ قال مُوسى لِفَتاهُ: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا. . .﴾ إلى قَوله: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾، . . . .

حاشية الصاوي

قوله: (إذ لم يردَّ العلم إليه) فكان عليه أن يقولَ مثلاً: الله أعلم، وهذا من باب عِتاب الأحباب؛ تأديباً لموسى، وإلَّا. . فالواقع أنَّ موسى أعلَم من الخضر.

قوله: (هو أعلَم منك) أي: في خُصوص علم الكشف والوقائع المخصوصة، وهو بالنسبة للعلم الذي أوحاه الله إلى موسى قليلٌ؛ فلذلك رغب موسى في حِيازته لعلمه.

قوله: (فكيف لي به؟) فلمَّا سمع موسى هذا. . تشوَّقت نفسه الزكية وهمَّته العليَّة لتحصيل علم ما لم يَعلم.

قوله: (قال: تأخذ معك حوتاً) لعلَّ الحكمة في تخصيصه: ما ظهر بعدُ من حياتِه ودخوله في البحر.

قوله: (فتجعله في مكتل) هو الزِّنبيل؛ بكسر الزاي من خُوص النخل، ويقال له: القفَّة، تَسَعُ خمسة عشر صاعاً.

قوله: (فهو ثَمَّ) أي: هناك.

قوله: (جرية الماء) بكسر الجيم.

قوله: (مثل الطَّاق) هو: البناء المقوَّس كالقنطرة.

قوله: (أن يخبره بالحوت) أي: بما يَحصل من أمره.

قوله: (قال موسى) أي: بعد أن صلَّيا الظهر من اليوم الثاني.

قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ ....

قال: وكان لِلحُوتِ سَرَباً، ولِمُوسى ولِفَتاهُ عَجَباً... إلخ».

﴿٦٦﴾ ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا﴾ أي: صَواباً أرشُدُ بِه، ـ وفي قِراءة بِضَمِّ الرَّاء وسُكُونِ الشِّين ـ وسَأَلَهُ ذلك لأنَّ الزِّيادةَ في العِلمِ مَطلُوبة.

(﴿٦٧﴾ - ﴿٦٨﴾) ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (قال) أي: النبي ﷺ في شأنِ تفسير الآية[1].

قوله: (﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ﴾) أي: بعد أن تلاقَيَا وحصل الوصول.

قوله: (﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾) استفهام تعطُّف؛ رعايةً للأدب في حقِّ المعلِّم، وبذلك الأدب يحصل النفع والسؤدد.

قوله: (﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ﴾) أي: ليس لي قصدٌ في اتِّباعك إلا تَعليمَكَ إيَّاي، لا شيئاً من الأغراض غير التعليم.

قوله: (﴿رُشْدًا﴾) مفعولٌ ثانٍ لـ(تعلمني) أي: لتعلِّمني صواباً من الذي علَّمكه الله.

قوله: (وفي قراءة) أي: وعليها فيكون من باب (قتل)، وقياس مصدره بفتح الرَّاء، فيكون بضمِّها اسم مصدر، وعلى الأولى فيكون من باب (طرب)[2].

قوله: (وسأله ذلك) جوابٌ عمَّا يقال: إنَّ موسى من أُولي العزم، ونبيٌّ ورسولٌ جزماً، وأسمعه الله كلامه، وأعطاه التوراة، وهو أفضَلُ من الخضر؛ فكيف يسعى إليه ويتعلَّم منه؟! فأجاب: بأنَّ الزيادة في العلم مطلوبةٌ، على أنَّ عِلم الخضر لا يحتاج إليه موسى في شرعه، وإنما هي مزيَّة خُصَّ بها الخضرُ، وأمر الله موسى أن يَأخذ من الخضر ويكتمها؛ لتكمل له جميع المزايا، ولا يقتضي أنَّ الخضر أعلَم منه؛ لأنَّ موسى كاملٌ في علمه لا تحتاج شريعته إلى شيءٍ من الخضر، وإنما علمه مزيَّة خصَّه الله بها لا يقتدى به فيها.

قوله: (﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾) أي: لما تَرى من مخالفة شرعك ظاهراً؛ لأنَّ المتعلِّم

---

(١) روى الحديث بتمامه البخاري (١٢٢)، ومسلم (٦٢٣٩) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٢) قرأ أبو عمرو بفتح الراء والشين، والباقون بضم الراء وسكون الشين. انظر «السراج المنير» (٢/ ٣٩٢).

وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ﴿٦٩﴾ ....

﴿وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا﴾، في الحَدِيث السَّابق عَقِبَ هَذِه الآية: يا مُوسى إنِّي على عِلم مِن عِلمِ الله عَلَّمَنِيهِ لا تَعلَمُهُ، وأنتَ على عِلم مِن عِلمِ الله عَلَّمَكَهُ الله لا أعلَمُهُ». وقَوله: ﴿خُبۡرٗا﴾ مَصدَر بِمَعنَى: ﴿لَمۡ تُحِطۡ﴾ أي: لَم تَخبُرْ حَقِيقتَه.

﴿٦٩﴾ ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي﴾ أي: وغَيرَ عاصٍ ﴿لَكَ أَمۡرٗا﴾ تَأمُرُنِي بِه، وقَيَّدَ بِالمَشِيئة لِأَنَّهُ لَم يَكُن على ثِقَةٍ مِن نَفسِه فِيما التَزَمَ، وهَذِهِ عادةُ الأنبِياء والأولِياءِ أن لا يَثِقُوا إلى أنفُسِهِم طَرْفَةَ عَينٍ.

حاشية الصاوي

قسمان: متعلِّمٌ ليس عنده شيءٌ من العُلوم ولم يمارس الاستدلال، وهذا تعليمه سهلٌ، ويقبل كلَّ ما ألقي إليه، ومتعلِّمٌ مارس الاستدلالَ وحصَّل العلوم غير أنه يُريد أن يزداد علماً على علمه، وهذا تعليمه شاقٌّ شديدٌ؛ لأنه إذا رأى شيئاً أو سمع كلاماً.. عرَضه على ما عنده؛ فإن وافقه، وإلَّا.. ناقش فيه.

قوله: (﴿وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ﴾) الاستفهام تعجُّبي.

قوله: (إني على علم) أي: وهو علم الكشف.

قوله: (وأنت على علم) أي: وهو عِلم ظاهر الشريعة.

قوله: (مصدر.. إلخ) مفعولٌ مطلق مؤكِّد لعامله في المعنى؛ لأن ﴿لَمۡ تُحِطۡ﴾ بمعنى (لم تُخبر)، والخُبر بالضمِّ معناه: العلم، والأوضح: أنه تَمييز نسبة؛ أي: لم تُحِط به من جهة العِلم.

قوله: (أي: وغير عاص) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿وَلَآ أَعۡصِي﴾ معطوف على ﴿صَابِرٗا﴾، و(لا) بمعنى (غير).

قوله: (لأنه لم يكن على ثقةٍ من نفسه) أي: فكأنَّه قال: ستَجدني صابراً إن وافق شرعي أو أوحى الله إليَّ في شأنه؛ فأنا لا أدري ما يَفعله الله ولم يقُل الخضر: إن شاء الله؛ لأنَّ الله أطلعه على أنَّ موسى لا يَصبر على أمرٍ يخالف شَرعه، فحينئذ: جزم بأنه لا يستطيع معه صبراً.

قوله: (أن لا يثقوا إلى أنفسهم) ضمَّنه معنى (يَميلوا) أو (يركنوا) فعدَّاه بـ(إلى).

قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ ....

﴿٧٠﴾ ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي﴾ - وفي قِراءة بِفَتحِ اللام وتَشديد النُّون - ﴿عَن شَيۡءٍ﴾ تُنكِرُهُ مِنِّي في عِلمِك واصبِر ﴿حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا﴾ أي: أذكُرُهُ لَك بِعِلَّتِهِ، فقَبِلَ مُوسى شَرْطَه رِعايةً لِأدَبِ المُتَعَلِّم مع العالِم.

﴿٧١﴾ ﴿فَٱنطَلَقَا﴾ يَمشِيانِ على ساحِلِ البَحر ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ﴾ الَّتي مَرَّت بِهِما ﴿خَرَقَهَاۖ﴾ الخَضِرُ، بِأن اقتَلَعَ لَوحاً أو لَوحَينِ مِنها مِن جِهةِ البَحر ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي﴾) أي: لا تُبادرني بالسؤال عن حكمته، بل اصبِر حتى يظهر لك ما فيه من الباطن.

قوله: (بفتح اللام) أي: مع الهمز، وهما قراءتان سبعيَّتان، وبدون الهمز مع تشديد النون لغير السبعة[1].

قوله: (في علمك) أي: بحسب ظاهر علمك.

قوله: (واصبر) قدَّره؛ إشارةً إلى أنه المغيَّا بـ(حتى).

قوله: (بعلَّته) أي: حكمته وسَببه.

قوله: (﴿فَٱنطَلَقَا﴾) أي: ومعهما يوشع، وإنما لم يذكر في الآية؛ لأنه تابعٌ، والمقصودُ ذكرُ موسى والخضر، وقيل: لم يكُن معهما، بل ردَّه موسى حين التقى مع الخضر.

قوله: (يمشيان على ساحل البحر) أي: يطلبان سفينة، فوجدَا سفينةً فركباها، فقال أهلها: هؤلاء لصوص؛ لأنهم رأوهم نزلوا بغير زاد ولا متاع، فقال صاحب السفينة: ما هم بلُصوص ولكني أرى وجوه الأنبياء، وعن أبيِّ بن كعب عن النبي ﷺ: «**مرَّت بهم سفينة، فكلَّموا أهلها أن يَحملوهم، فعرفوا الخضر بعلامةٍ، فحمَلوهم بغير نَوْلٍ**»[2] أي: عِوض.

---

(١) قرأ نافع وابن عامر بفتح اللام وتشديد النون مَكسورة من غير ياء، وقرأ الباقون بإسكان اللام وتخفيف النون، وقرأ أبو جعفر بفتح السين واللام وتشديد النون من غير همز. انظر «الدر المصون» (٧/ ٥٢٧).

(٢) رواه البخاري (١٢٢)، ومسلم (٦٢٣٩).

قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا ....

بِفَأْسٍ لَمَّا بَلَغَت اللُّجَجَ، ﴿قَالَ﴾ لَهُ مُوسَى: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾؟ - وفي قراءةٍ بفتح التَّحتانيَّة والرَّاءِ ورَفعِ (أهلها) -، ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ أي: عَظِيماً مُنكراً. رُوِيَ أنَّ الماء لم يَدخُلْها.

(﴿٧٢﴾ - ﴿٧٣﴾) ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ أي: غَفَلتُ عَن التَّسلِيم لَك وتَركِ الإنكارِ عَلَيكَ، ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾: تُكَلِّفنِي ﴿مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾: مَشَقَّةً في صُحبتِي إيَّاك، أي: عامِلْني فِيها بِالعَفوِ واليُسرِ.

﴿٧٤﴾ ﴿فَانطَلَقَا﴾ بَعد خُرُوجِهما مِن السَّفِينة يَمشِيانِ، ﴿حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بفأس) بالهمز، وجمعه: فؤوس؛ أي: القَدُوم.

قوله: (لما بلغت اللُّجَج) بالضم جمع لُجَّة، وهي الماء الغزير[1].

قوله: (وفي قراءة) أي: وهما سبعيَّتان[2].

قوله: (روي: أن الماء لم يدخلها) وقيل: إنَّ موسى لما رأى ذلك.. أخذ ثوبَه فجعله في الخرق.

قوله: (﴿بِمَا نَسِيتُ﴾) أي: بالأمر الذي غَفلت عنه؛ لقيام حميَّة الشرع بي، وقيل: المراد بالنسيان: الترك.

قوله: (﴿عُسْرًا﴾) مفعولٌ ثانٍ لـ﴿تُرْهِقْنِي﴾.

قوله: (﴿غُلَامًا﴾) قيل: كان اسمه شمعون.

---

(١) في (ط٢): (لما بلغت اللُّجَّ)، وبهما جُمِعَ، قال العلامة الزبيدي في «تاج العروس» (٦/ ١٨٠): (والجمعُ: لُجٌّ ولُجَجٌ).

(٢) قرأ حمزة والكسائي بالياء التحتية مفتوحة وفتح الراء ورفع اللام من (أهلها)، والباقون بالتاء الفوقية مضمومة وكسر الراء ونصب لام (أهلها). انظر «السراج المنير» (٢/ ٣٩٣).

﴿فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾ ....

لَم يَبلُغِ الحِنث يَلعَبُ مع الصِّبيانِ أحسَنُهُم وجهاً ﴿فَقَتَلَهُۥ﴾ الخَضِر بِأن ذَبَحَهُ بِالسِّكِّينِ مُضطَجِعاً، أو اقتَلَعَ رَأسَه بِيَدِه، أو ضَرَبَ رَأسَهُ بِالجِدارِ، أقوالٌ، وأتَى هُنا بِالفاءِ العاطِفة لِأنَّ القَتلَ عَقِبَ اللُّقِيِّ، وجَوابُ ﴿إِذَا﴾: ﴿قَالَ﴾ لَهُ مُوسى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ أي: طاهِرةً لَم تَبلُغْ حَدَّ التَّكلِيف، وفي قِراءة: ﴿زَكِيَّةً﴾ بِتَشدِيدِ الياء بِلا ألِف، ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي: لَم تَقتُلْ نَفساً، ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ ـ بِسُكُونِ الكاف وضَمِّها ـ أي: مُنكَراً.

﴿٧٥﴾ ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ زادَ ﴿لَّكَ﴾ على ما قَبلَه ....

حاشية الصاوي

قوله: (لم يَبلغ الحنث) يُطلق الحنث على المعصية، وعلى مخالفة اليمين، والمراد: لم يبلغ حدَّ التكليف؛ من باب: إطلاق الملزوم وإرادة اللازم.

قوله: (مع الصبيان) أي: وكانوا عشرة.

قوله: (اقتلع رأسه بيده) أي: بعد أن لوَى عنقه.

قوله: (لأن القتل عقب اللُّقِيِّ) أي: بخلاف السفينة؛ فإنَّ الخرق لم يكن عقب ركوبها؛ فلذا لم يأتِ بالفاء.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهما سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾) أي: من غير استحقاقها للقتل، والجارُّ والمجرور متعلق بـ(قتلتَ).

قوله: (﴿لَّقَدْ جِئْتَ﴾) أي: فعلتَ.

قوله: (﴿نُّكْرًا﴾) هو أعظم من الإِمْرِ؛ لأنَّ فيه القتلَ بالفعل، بخلاف خرق السفينة فإنه يمكن تَداركه، وقيل بالعكس؛ لأنَّ الإِمْرَ فيه قتل أنفس متعددة بسبب الخَرق، فهو أعظم من قتل الغلام وحده.

قوله: (بسكون الكاف وضمِّها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2].

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بألف بعد الزاي وتخفيف الياء التحتية، والباقون بغير ألف بعد الزاي وتشديد التحتيَّة. انظر «السراج المنير» (٢/ ٣٩٥).

(٢) قرأ نافع وأبو بكر وابن ذكوان بضمتين، والباقون بضمة وسكون. انظر «الدر المصون» (٧/ ٥٣٠).

قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ

لِعَدَمِ العُذْرِ هُنا.

﴿٧٦﴾ ولِهَذا ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾ أي: بَعدَ هَذِه المَرَّة ﴿فَلَا تُصَٰحِبْنِي﴾ لا تَترُكْني أتَّبِعُك، ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي﴾ - بِالتَّشدِيدِ والتَّخفِيف -: مِن قِبَلِي ﴿عُذْرًا﴾ في مُفارَقَتِك لي.

﴿٧٧﴾ ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ هي أنطاكِيةُ ﴿ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا﴾: طَلَبَا مِنهُم الطَّعامَ بِضِيافةٍ، ﴿فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا﴾ ارتِفاعُه مِائةُ ذِراع ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ أي: يَقرُبُ أن يَسقُطَ لِمَيَلانِه، ﴿فَأَقَامَهُۥ﴾ الخَضِرُ بِيَدِه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (لِعدم العذر هنا) أي: لأنه لم يُبْدِ هنا عذراً.

قوله: (بالتشديد والتخفيف) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1]، والنون للوقاية أتى بها؛ لتقيَ الفعل من الكسر كما أُتي بها في (مِن) و(عن) محافظةً على تسكين النون.

قوله: (﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾) أي: وكان إتيانهم لها بعد الغروب والليلةُ باردةٌ ممطرةٌ.

قوله: (هي أنطاكية) بتخفيف الياء.

قوله: (طلبا مِنهم الطعام) روي: أنهما طافا في القرية فاستطعماهم، فلم يُطعموهما، واستضافاهم، فلم يضيِّفوهما، فأطعمتهما امرأةٌ من أهل بربرة، فدعا لنسائهم ولَعن رجالهم، وعن قتادة: شرُّ القرى التي لا تضيِّف الضيف[2].

قوله: (مئة ذراع) أي: وعرضُه خمسون، وامتداده على وجه الأرض خمس مئة ذراع.

قوله: (فأقامه الخضر بِيَده) قيل: مسَّه بها فاستقام، وقيل: أقامه بعمود، وقيل: نقَضه وبناه.

---

(١) قرأ نافع بضم الدال وتخفيف النون، وقرأ شُعبة كذلك إلا أنه يُشم الدال فتصير ساكنة قريبة من الضم، والباقون بضمِّ الدال وتشديد النون. انظر «السراج المنير» (٢/ ٣٩٥).

(٢) انظر «تفسير الخازن» (٣/ ١٧٣).

﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۝٧٧ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ۝٧٨ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ﴾ ....

﴿قَالَ﴾ لَهُ موسى: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَخِذْتَ﴾ - وفي قِراءة: ﴿لَتَّخَذْتَ﴾ - ﴿عَلَيْهِ أَجْرًا﴾: جُعْلاً، حيثُ لَم يُضَيِّفُونا مع حاجَتِنا إلى الطَّعام.

۝٧٨ ﴿قَالَ﴾ لَه الخَضِر: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ﴾ أي: وقتُ فِراقِ ﴿بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ - فِيهِ إضافة (بَين) إلى غَير مُتَعَدِّد، سَوَّغَها تكريرُه بِالعَطفِ بِالواو -، ﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾ قَبل فِراقِي لَك ﴿بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾.

۝٧٩ ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾) أي: كان ينبغي لك أخذ جُعْلٍ منهم على فِعلك؛ لتقصيرهم فينا مع حاجتِنا؛ فقد فعلتَ المعروف مع غير أهله.

قوله: (وفي قراءة) أي: بإظهار الذال وإدغامها في التاء على كلٍّ، فتكون القراءات أربعاً سبعيَّات[1].

قوله: (﴿بِتَأْوِيلِ﴾) أي: تفسير هذه الآيات التي وقعَت لموسى مع الخضر، وحكمة تخصيص الخضر لموسى بتلك الثلاثة: ما ورد: (أنه لما أنكر خرق السفينة.. نُودي: يا موسى؛ أين كان تدبيرك هذا وأنت في التابوت مَطروحاً في اليمِّ؟! فلمَّا أنكر أمرَ الغلام.. قيل له: أين إنكارك هذا مِن وكزك القبطي وقضائك عليه؟! فلمَّا أنكر إقامة الجدار.. نُودي: أين هذا من رَفعك حجر البئر لبنتي شعيب دون أجرٍ؟!)[2].

قوله: (﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ﴾) شروعٌ في وفاء ما وَعد الخضر به موسى على سبيل اللَّف والنَّشر المرتَّب، والسفينة: تجمع على (سَفِينٍ) و(سَفَائِنَ)، ويجمع السَّفين على (سُفُنٍ) بضمَّتين؛ مأخوذة من: السَّفْنِ كأنها تَسْفِنُ الماء؛ أي: تَقشره، وصاحبها: سفَّان.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بتخفيف التاء بعد اللام وكسر الخاء، وأظهر ابن كثير الذال عند التاء على أصلها، وأدغمها أبو عمرو والباقون بتشديد التاء وفتح الخاء، وأظهر حفص الذال على أصله وأدغمها الباقون. انظر «السراج المنير» (٢/٣٩٧).

(٢) انظر «تفسير القرطبي» (١١/٣٣).

لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ ....

﴿لِمَسَٰكِينَ﴾ عَشَرةٍ ﴿يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ بِها مُؤاجَرةً لَها طَلَباً لِلكَسبِ، ﴿فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم﴾ إذا رَجَعُوا أو أمامَهُم الآنَ ﴿مَّلِكٞ﴾ كافِرٌ ﴿يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ صالِحةٍ ﴿غَصۡبٗا﴾ - نَصبُه على المَصدَرِ المُبَيِّنِ لِنَوعِ الأخذ -.

﴿٨٠﴾ ﴿وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لِمَسَٰكِينَ﴾ عشرةٍ) أي: وكانوا إخوة وَرِثوها من أبيهم، خمسة زمنى، وخمسة يَعملون في البحر، وقيل: بكلٍّ واحدٍ زمانةٌ ليست بالآخر، فأمَّا العمَّال منهم فأحدهم مجذوم، والثاني أعوَر، والثالث أعرج، والرابع آدر، والخامس محموم لا تنقطع عنه الحمى الدهر كلَّه وهو أصغرُهم، والخمسة الذين لا يُطيقون العمل: أعمى، وأصمُّ، وأخرس، ومقعد، ومجنون، وكان البحر الذين يَعملون فيه ما بين فارس والروم.

قوله: (﴿فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا﴾) أي: فإذا رآها الملك معيبةً.. تركها، فإذا جاوزُوه.. أصلحوها وانتفعوا بها.

قوله: (﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم﴾) الجملة حاليَّة على إضمار (قد).

قوله: (إذا رجعوا) من المعلوم أنه إذا كان وراءهم وقت رجوعهم فبالضرورة يكون في حال تَوجُّههم أمامهم؛ فقد اتَّحد هذا القول مع ما بعده، وقد يجاب: بأن قوله: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم﴾ أي: في حال توجُّههم لكنهم في حال رجوعهم يمرُّون عليه، وحينئذٍ: فلا يكونُ أمامهم الآن، وقوله: (أو أمامهم الآن) أي: ووراء بمعنى: أمام؛ قال تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ [إبراهيم: ١٦].

قوله: (﴿مَّلِكٞ﴾ كافرٌ) أي: وكان مَلك غسان، واسمه جيسور[1].

قوله: (صالحة) أي: صحيحةٍ.

قوله: (﴿فَخَشِينَآ﴾) أي: إنَّ الله أَعْلَمَ الخضر بوقوع ذلك من الغلام إن لم يَقتله.

---

(١) كذا في الأصول و«الفتوحات» (٣/ ٤٢) نقلاً عن الإمام القرطبي، والذي في «البخاري» (٤٧٢٦): أن الملك اسمه هُدَدُ بن بُدد، والغلام المقتول اسمه جيسور؛ فيما نقل عن غير سعيد بن جبير، وانظر «تفسير القرطبي» (١١/ ٣٦).

أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾

﴿أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ فإنَّهُ كما في حَدِيث مُسلِم: «طُبِعَ كافِراً، ولو عاشَ لَأرهَقَهُما ذلك لِمَحَبَّتِهما لَه؛ يَتَّبِعانِه في ذلك».

﴿٨١﴾ ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا﴾ - بِالتَّشدِيدِ والتَّخفِيف - ﴿رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾ أي: صَلاحاً وتُقًى، ﴿وَأَقْرَبَ﴾ مِنهُ ﴿رُحْمًا﴾ بِسُكُونِ الحاء وضَمِّها: أي: رَحمةً، وهي البِرُّ بِوالِدَيهِ، فأبدَلَهُما تَعالى جارِيةً تَزَوَّجَت نَبِيًّا، فوَلَدَت نَبِيًّا فهَدَى الله تَعالى بِهِ أُمَّةً.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَن يُرْهِقَهُمَا﴾) أي: يكلِّفهما ويُوقعهما في الكفر.

قوله: (طبع كافراً) أي: خلق مجبولاً على الكفر، وحينئذٍ: فيكون مُستثنى من حديث: «كلُّ مولودٍ يولد على فطرة الإسلام»[1].

قوله: (أي: لِمحبتهما له) علَّة لإيقاعه لهما في الكفر.

قوله: (بالتشديد والتخفيف) قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (﴿خَيْرًا مِّنْهُ﴾) اسم التفضيل ليس على بابِه؛ إذ لم يكن في الغلام خيرٌ، أو على بابه باعتبار زَعمهما.

قوله: (﴿زَكَوٰةً﴾) تمييز، وكذا قوله: ﴿رُحْمًا﴾.

قوله: (جارية) أي: بنتاً.

قوله: (فولدت نبيًّا) وقيل: اثني عشر نبيًّا، وقيل: ولدت سبعين نبيًّا[3].

وما فعله الخضر من قتل الغلام إنما هو جارٍ على شَرعه لا على شرعنا؛ فإنه لا يجوز قتل الصبيان الكفار إلا أن يُقاتِلوا بالسلاح في الحرب، ولو اطَّلع شخصٌ على ما اطَّلع عليه الخضر..

---

(١) رواه البخاري (١٣٥٩)، ومسلم (٦٨٤٩) عن سيدنا أبي هريرة ﷺ، وفيهما: (على الفطرة) بدل (فطرة الإسلام).

(٢) قرأ نافع وأبو عمرو بفتح الباء الموحدة وتشديد الدال، والباقون بسكون الموحدة وتخفيف الدال. انظر «السراج المنير» (٢/ ٣٩٨).

(٣) وقيل: أبدلهما بغلام مسلم، وقيل: إن الغلام الذي قتل فرح به أبواه حين ولد، وحزنا عليه حين قتل، ولو بقي.. لكان فيه هلاكهما، فليَرضَ العبد بقضاء الله تعالى؛ فإن قضاء الله سبحانه وتعالى للمؤمن فيما يَكره خيرٌ له من قضائه فيما يُحب. انظر «تفسير الخازن» (٣/ ١٧٤).

وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا

﴿٨٢﴾ ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ﴾: مالٌ مَدفُونٌ مِن ذَهَبٍ وفِضَّةٍ ﴿لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ فحُفِظا بِصَلاحِهِ في أنفُسِهما ومالِهِما، ....

حاشية الصاوي

فلا يَجوز له قتل الغلمان، وقد أرسل بعضُ الخوارج لابن عباس يَسأله: كيف قتل الخضر الغلام الصغير وقد نهى النبي ﷺ عن قتلِ أولاد الكفار فضلاً عن أولاد المؤمنين؟! فكتب إليه على سبيل المجاراة والتسليم لِدَعواه: إن علمت من حال الولدان ما عَلِمه عالم موسى.. فلك أن تقتُلَهم[١].

وروي: أنَّ موسى لما قال لِلخضر: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً...﴾ الآية.. غضب الخَضر، واقتلع كتف الصبي الأيسر، وقَشر اللحم عنه، وإذا فيه مكتوبٌ: كافرٌ لا يؤمن بالله أبداً[٢].

قوله: (﴿فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ﴾) اسم أحدِهما أصرم، والآخر صريم.

قوله: (﴿فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾) هي المعبَّر عنها أوَّلاً بالقرية تحقيراً لها؛ لكون أهلها لم يُضيِّفوهما، وعبَّر عنها بالمدينة تعظيماً لها من حيث اشتمالها على هذَين الغلامين وعلى أبيهما.

قوله: (مال مدفون من ذهب وفضة) هذا أحد أقوال في تفسير الكنز، وقيل: كان علماً في صحف مَدفونة، وقيل: كان لوحاً من ذهب مكتوب في أحد جانبَيه: بسم الله الرحمن الرحيم، عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يَحزن؟! عجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يَتعب؟! عجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح؟! عجبتُ لمن يؤمن بالحساب كيف يَغفل؟! عجبت لمن يعرف الدنيا وتقلُّبها بأهلها كيف يَطمئن إليها؟! لا إله إلا الله محمَّد رسول الله، وفي الجانب الآخر مكتوب: أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي، خلقتُ الخير والشرَّ، فطوبى لمن خلقتُهُ للخير وأجريتُهُ على يدَيه، والويل لمن خلقتُهُ للشَّر وأجريتُهُ على يدَيه[٣].

قوله: (﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾) قيل: إنه أبوهما مباشرة، وقيل: هو الأب السابع، وقيل: العاشر وكان يسمَّى كاشحاً، واسم أمهما دُنيا، وفيه دليلٌ على أنَّ تقوى الأصول تَنفع الفروع.

---

(١) رواه مسلم (٤٧١٢) فيما أجاب به سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما نجدة الحروري.

(٢) أورده القرطبي في «تفسيره» (١١/ ٢١) نقلاً عن كتاب «العرائس».

(٣) روى الطبراني في «الدعاء» (١٦٢٩) ما كتب على جانبه الأول موقوفاً على سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما. وانظر «تفسير الخازن» (٣/ ١٧٤).

فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ ....

﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ أي: إيناسَ رُشْدِهما، ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ ـ مفعُول لَهُ عامِلُه (أرادَ) ـ، ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ﴾ أي: ما ذُكِرَ مِن خَرقِ السَّفينةِ وقَتلِ الغُلامِ وإقامةِ الجدارِ ﴿عَنْ أَمْرِى﴾ أي: اختِيارِي، بَل بِأمرِ إلهامٍ مِن اللهِ، ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ يُقالُ: (اسطاعَ) و(استَطاعَ) بِمَعنَى: أطاقَ، ففي هَذا وما قَبلَه جَمعٌ بينَ اللُّغتَينِ، ونُوِّعَت العِبارةُ في ﴿فَأَرَدتُّ﴾ ﴿فَأَرَدْنَآ﴾ ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾.

﴿٨٣﴾ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ أي: اليَهود ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: إيناس رشدهما) أي: حتى يبلغا أن يُعْلَمَ إيناس رُشدهما؛ أي: قوَّتهما وكمالهما.

قوله: (﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾) أي: من تحت الجدار، ولولا فِعلي ذلك.. لضاع.

قوله: (بل بأمر إلهامٍ من الله) لم يقل: (بوحي)؛ لعَدم الجزم بنبوَّته.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾) أي: ما ذكر من الأجوبة الثلاثة.

قوله: (ونُوِّعت العبارة) أي: أنَّ هذا التغاير تنويعٌ في العبارة، وبعضُهم أبدى حكمةً في اختلاف التعبير، وهي أنَّ الأولى لما كان ظاهرها إفساداً محضاً.. أضافه لنفسه حيث قال: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾؛ أدباً مع الله وإن كان الكلُّ منه، والثاني[1] لما كان فيه نوعُ إصلاحٍ ونوعُ إفسادٍ.. عبَّر فيه بقوله: ﴿فَأَرَدْنَآ﴾، والثالث لما كان إصلاحاً محضاً.. أضافه لله بقوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾.

قيل: إنَّ الخضر لما أراد أن يفارق موسى.. قال له موسى: أوصِني، قال: كن بسَّاماً ولا تكن ضحَّاكاً، ودَعِ اللَّجاجة، ولا تمشِ في غير حاجة، ولا تَعِبْ على الخطَّائين خطاياهم، وابكِ على خطيئتك يا ابن عمران[2].

قوله: (﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾) أي: المشركون بأمر اليهود؛ فاليهود سببٌ في السؤال وإن لم تَقع منهم المباشرة له، فصحَّ قول المفسِّر: (اليهود).

---

(١) كذا في الأصول، والسياق يقتضي (والثانية)، ولعله أراد: وقوله الثاني، وكذا قوله فيما بعدُ: والثالث.

(٢) انظر «تفسير القرطبي» (١١/ ٤٥).

عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ ....

﴿عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ اسمُهُ الإسكَندَرُ، ولَم يَكُن نَبِيًّا، ﴿قُلْ سَأَتْلُواْ﴾: سَأَقُصُّ ﴿عَلَيْكُم مِّنْهُ﴾: مِن حالِه ﴿ذِكْرًا﴾: خَبَراً.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾) لقِّب بذلك؛ لما قيل: إنَّ له قرنَين صغيرين في رأسه، وقيل: لأنه أُعطِيَ علمَ الظاهر والباطن، وقيل: لأنه ملَك فارس والروم.

قوله: (اسمه الإسكندر) أي: وهو الذي بنى الإسكندرية وسمَّاها باسمه.

قوله: (ولم يكن نبيًّا) أي: على الصحيح، وإنما كان وليًّا فقط، وما يأتي مما يُوهم نبوَّته.. فمؤوَّلٌ ومحمولٌ على الإلهام والإلقاء في القلب، وذلك غير مخصوص بالأنبياء.

وإسكندر من أولاد سام بن نوح، وكان ابن عجوز ليس لها غيره، وكان أسودَ اللون، وكان على شريعة إبراهيم الخليل؛ فإنه أسلَم على يديه ودعا له وأوصاه بوصايا، وكان يَطوف معه، وكان الخضر وزيره وابن خالته، وكان يَسير معه على مقدمة جيشه، وهذا بخلاف ذي القرنين الأصغر؛ فإنه من وَلد العيص بن إسحاق وكان كافراً، عاش ألفاً وست مئة، وكان قبل المسيح بثلاث مئة سنة.

وفي «القرطبي»: (قال وهب بن منبه: كان ذو القرنين رجلاً من الروم، ابن عَجوز من عجائزهم ليس لها ولدٌ غيره، وكان اسمه إسكندر، فلمَّا بلغ.. كان عبداً صالحاً، قال الله تعالى ـ أي: على لسان نبيٍّ كان موجوداً، أو بإلهام ـ: يا ذا القرنين؛ إني باعثك ـ أي: سلطاناً ـ إلى أُمَم الأرض، وهم أممٌ مختلفةٌ ألسنتُهم، وهم جميع الأرض، وهم أصناف: أمَّتان بينهما طول الأرض كلِّها، وأمَّتان بينهما عرض الأرض كلِّها، وأُمَم في وسط الأرض منهم الجن والإنس، ويأجوج ومأجوج، فأمَّا اللتان بينهما عرض الأرض.. فأمَّة في قُطر الأرض تحت الجنوب ويقال لها: هاويل، وأمَّة في قطر الأرض الأيسر ويقال لها: تَاوِيل، وأمَّا اللَّتان بينهما طول الأرض.. فأمَّة عند مطلع الشمس يقال لها: منسك، وأمَّة عند مغرب الشمس يقال لها: ناسك، فقال ذو القرنين: إلهي؛ لقد ندَبتني لأمر عظيم لا يقدر قدرَه إلا أنت، فأخبرني عن هذه الأمم بأيِّ قوة أكاثرهم؟ وبأيِّ صبر أُقاسيهم؟ وبأيِّ لسان أناطقهم؟ وكيف لي بأن أفقه لُغتهم وليس لي قوة؟ فقال الله تعالى: سأظفِّرك بما حمَّلتك، أشرح لك صدراً فتسمع كلَّ شيء، وأثبت لك فهماً فتَفقه كلَّ شيء، وألبسك الهيبة فلا يَرُوعك شيءٌ، وأسخِّر لك النور والظلمة فيكونان جنداً من جنودك، يَهديك النور

. . . .

حاشية الصاوي

من أمامك، وتحففظك الظلمة من ورائك، فلما قيل له ذلك.. سار بمن تبعه، فانطَلق إلى الأمة التي عند مغرب الشمس؛ لأنها كانت أقرب الأمم وهي ناسك، فوجد جنوداً لا يُحصيها إلا الله، وقوَّةً وبأساً لا يُطيقه إلا الله تعالى، وألسنةً مختلفة، وأهواءً مشتَّتةً، فكاثرهم بالظلمة، فضرب حولهم ثلاث عساكر مِن جنود الظلمة قدر ما أحاط بهم من كل مكان حتى جمعهم في مكان واحد، ثم دخل عليهم بالنور، فدَعاهم إلى الله تعالى وإلى عبادته، فمِنهم من آمن به، ومنهم من صدَّ عنه، فأدخل على الذين تولَّوا الظلمة فغشيتهم من كلِّ مكان، فدخلت في أفواههم وأنوفهم وأعينهم وبيوتهم، وغَشيتهم من كل مكان، فتحيَّروا وهاجوا وأشفقُوا أن يهلكوا، فعجُّوا إلى الله بصوت واحد: إنا آمنَّا، فكشفها عنهم، وأخَذهم عنوة، ودخلُوا في دعوته، فجنَّد من أهل المغرب أمماً عظيمة، فجعلهم جنداً، ثم انطلق بهم يَقُودهم والظلمة تسوقهم وتحرُسه من خلفه، والنور أمامه يقوده ويدلُّه وهو يسير في ناحية الأرض الأيمن وهي هاويل، وسخَّر الله له يدَه وقلبه وعقله ونظره؛ فلا يخطئ إذا عمل عملاً، فإذا أتوا مخاضة أو بحراً.. بنى سقفاً من ألواح صغار أمثال النعال، فيضمها ساعة، ثم يحمل عليها جميع من معه من تلك الأمم، فإذا قطع البحار والأنهار.. فتَقها ودفع إلى كل رجل لوحاً؛ فلا يكترث بحمله، فانتهى إلى هاويل، ففعل بهم كفِعله بناسك، فآمنوا، فأخذ جيوشاً منهم فانطلق إلى ناحية الأرض الأخرى حتى انتهى إلى منسك عند مطلع الشمس، فعمل فيها، وجنَّد منها جنوداً كفعله في الأول، ثم كرَّ مقبلاً حتى أخذ ناحية الأرض اليسرى يريد تاويل وهي الأرض التي تقابل هاويل بينهما عرض الأرض، ففعل بها كفعله فيما قبلها، ثم عطف إلى التي في وسط الأرض من الإنس والجن ويأجوج ومأجوج، فلمَّا كان بِبعض الطريق مما يلي منقطع الترك نحو المشرق.. قالت أمة صالحة من الإنس: يا ذا القرنين؛ إنَّ بين هذين الجبلين خَلقاً من خلق الله كثيرين، ليس فيهم مشابهة للإنس وهم أشباه البهائم، يأكلون العشب، ويَفترسون الدوابَّ والوحش كما تَفترسها السباع، ويأكلون دوابَّ الأرض كلَّها من الحيَّات والعقارب والوزغ وكلِّ ذي روح مما خَلق الله في الأرض، وليس لله خلقٌ تَنْمِي نماءَهُم في العام الواحد، فإذا طالَت المدة.. فسيَملؤون الأرض ويُخرجون أهلها منها، فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سدًّا... إلى آخر ما يأتي في الآية.

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ....

﴿٨٤﴾ ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بِتَسهِيلِ السَّير فِيها، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ يَحتاج إِلَيهِ ﴿سَبَبًا﴾: طَرِيقاً يُوصِلُهُ إلى مُرادِه.

(﴿٨٥﴾ - ﴿٨٦﴾) ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾: سَلَكَ طَرِيقاً نَحو الغَرب، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾: مَوضِعَ غُرُوبها، ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾: ذاتِ حَمأة وهي الطِّينُ الأَسوَدُ، ....

حاشية الصاوي

وبالجملة: فقد ملَّكه الله ومكَّنه، ودانَت له الملوك؛ فقد روي: «أن الذين ملكوا الدنيا كلَّها أربعةٌ: مؤمنان وكافران؛ فالمؤمنان: سليمان بن داوود، والإسكندر، والكافران: نمروذ، وبخت نصَّر»[1]، وسيَملكها من هذه الأمَّة خامسٌ وهو المهدي.

قوله: (﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾) أي: بالتصريف فيها حيث يشاء.

قوله: (طريقاً) أي: كآلات السير، وكَثرة الجند.

قوله: (إلى مُراده) أي: وهو جميع الأرض.

قوله: (﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾) بالتشديد والتخفيف، قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (موضع غروبها) أي: فالمراد: أنه بلغ آخرَ العمارة من الأرض، ووصل إلى ساحل البحر المحيط، فلمَّا لم يبقَ قدَّامه شطٌّ، بل مياه لا آخر لها.. رأى الشمس كأنها تغرُب فيه، وسمَّاه الله عيناً؛ لأنه بالنسبة إلى ما هو أعظَم منه في علم الله كالعين وإن كان عظيماً في نفسِه.

قوله: (﴿حَمِئَةٍ﴾) بالهمز بدون ألف، وبألف بعدها ياء، قراءتان سبعيَّتان[3]؛ فأما الأولى فهي من الحمأة، وهي: الطين الأسود، وأما الثاني فهي اسم فاعل من: حَمِيَ يَحْمَى، والمعنى: في عين حارَّة، ولا تنافيَ بين القراءتين؛ لأنَّ العين جامِعة بين الوصفين: الحرارة، وكون أرضِها من طين.

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ٣٤٦) عن مجاهد، وبخت نصَّر: يجوز كتابة اسمه موصولاً ومفصولاً كما جرى عليه المخطوط، قيل: بخت بمعنى: ابن، ونصَّر: اسمُ صنم وجد مطروحاً عنده، فنسب إليه.

(٢) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو «فاتَّبع» و«ثم اتَّبع» في المواضع الثلاثة بهمزة وصل وتشديد التاء، والباقون بهمزة القطع وسكون التاء. انظر «الدر المصون» (٧/ ٥٤٠).

(٣) قرأ ابن عامر وأبو بكر والأخوان بالألف وياء بعد الميم، والباقون دون ألف وهمزة بعد الميم. انظر «الدر المصون» (٧/ ٥٤١).

وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ....

وغُرُوبُها في العَين في رَأيِ العَين، وإلَّا فهي أعظَمُ مِن الدُّنيا، ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا﴾ أي: العَين ﴿قَوْمًا﴾ كافِرين، ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ بإلهامٍ ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾ القومَ بالقَتلِ، ﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ بالأسرِ.

﴿٨٧﴾ ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ بالشِّركِ ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾: نَقتُلُه، ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ ـ بِسُكُونِ الكاف وضَمِّها ـ: أي: شَدِيداً في النَّار.

﴿٨٨﴾ ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: الجَنَّة، ـ والإضافة لِلبَيان، وفي قِراءة بِنَصبِ ﴿جَزَآءً﴾ وتَنوينه، قال الفَرَّاء: ونَصبُه على التَّفسِير أي: لِجِهة النِّسبة ـ ...

حاشية الصاوي

قوله: (وغُروبها في العين... إلخ) جوابٌ عمَّا يقال: إن الشمس في السماء الرابعة، وهي قَدر كرة الأرض مئة وستين مرة؛ فكيف تسَعها عين في الأرض تغرُب فيها؟! فأجاب: بأنَّ هذا الوجدان باعتبار ما رأى، لا حقيقة؛ كما يرَى راكب البحر الشمسَ طالعةً فغاربةً فيه.

قوله: (كافرينَ) أي: وكانوا في مدينة لها اثنا عشر ألف باب، كانت على ساحل البحر المحيط، وقُوتُهم ما يَلْفِظُهُ البحر من السمك، وكان لباسهم جُلود الوحوش.

قوله: (﴿قُلْنَا﴾) أي: بإلهام.

قوله: (بالأسر) أي: وسمِّي إحساناً بالنسبة للقتل.

قوله: (﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾) أي: استمرَّ على ظلمه.

قوله: (﴿ثُمَّ يُرَدُّ﴾) أي: في الآخرة.

قوله: (بسكون الكاف وضمِّها) أي: فهما سبعيَّتان[1].

قوله: (أي: لجهة النسبة) أي: نِسبة الخبر المقدَّم وهو الجارُّ والمجرور إلى المبتدأ المؤخَّر وهو ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾، والتقدير: فالحسنى كائنةٌ له من جهة الجزاء[2].

---

(١) قرأ نافع وأبو بكر وابن ذكوان بضمتين، والباقون بضمة وسكون. انظر «الدر المصون» (٧/ ٥٣٠).

(٢) وقيل: منصوب على الحال أي: فله المثوبة الحسنى مجزيًّا بها، وقرأ حفص وحمزة والكسائي بفتح الهمزة بعد =

وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ ....

﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ أي: نَأمُرهُ بِما يَسهُل علَيهِ.

(﴿٨٩﴾ - ﴿٩٠﴾) ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ نَحوَ المَشرِق، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ﴾: مَوضِعَ طُلُوعِها، ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ هُم الزَّنجُ ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا﴾ أي: الشَّمسِ ﴿سِتْرًا﴾ مِن لِباسٍ ولا سَقفٍ؛ لِأنَّ أرضَهُم لا تَحمِل بِناءً، ولَهُم سُرُوب يَغِيبُونَ فِيها عِند طُلُوع الشَّمس ويَظهَرُونَ عِند ارتِفاعِها.

﴿٩١﴾ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: الأمرُ كما قُلنا، ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ أي: عِند ذِي القَرنَينِ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ﴾) أي: لِمن آمن.

قوله: (مَوضع طُلوعها) أي: الموضع الذي تَطلع الشمس عليه أوَّلاً؛ قيل: بلغه في اثنتي عشرة سنة، وقيل: أقل؛ لأنه سخِّر له السحاب، وطُويت له الأسباب.

قوله: (هم الزَّنج) بفتح الزاي وكسرها.

قوله: (﴿سِتْرًا﴾) هو بالفتح المصدر، وبالكسر الاسم، وهو في الآية بالكسر.

قوله: (ولا سَقف) أي: ولا أشجار؛ لأنَّ أرضهم رخوةٌ لا تحمل بناءً؛ لعدم الجبال فيها، فتَميد بأهلها ولا تستقرُّ.

قوله: (ويظهرون عند ارتفاعها) أي: مَغيبها، يسعون في تحصيل مهمَّات معاشهم، فحالهم بالضد من أحوال الخَلق؛ فما دامت الشمس طالعةً.. فهم في السراديب، وإذا غرَبت.. خرجوا لِتكسُّباتهم.

قوله: (أي: الأمر) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ خبرٌ لمحذوف.

قوله: (﴿وَقَدْ أَحَطْنَا﴾... إلخ) الجملة مستأنفة من كلام الله، وفائدةُ الإخبار بذلك: الاعتناء بشأن ذي القرنين، وأنَّ الله معه بالنصر والعَون أينما حلَّ.

= الزاي منونة وتكسر في الوصل لالتقاء الساكنين، والباقون بضم الهمزة من غير تنوين فالإضافة للبيان. انظر «السراج المنير» (٢/ ٤٠٣).

﴿خُبْرًا ۝٩١ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝٩٢ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۝٩٣﴾ ....

مِن الآلاتِ والجُندِ وغَيرِهما ﴿خُبْرًا﴾: عِلماً.

(﴿٩٢﴾ - ﴿٩٣﴾) ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝٩٢ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ ـ بِفَتحِ السِّين وضَمِّها هُنا وبَعدُ ـ هُما جَبَلانِ بِمُنقَطَعِ بِلاد التُّرك، سَدَّ الإسكَندَرُ ما بَينَهما كما سَيأتِي، ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا﴾ أي: أمامَهُما ﴿قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ أي: لا يَفهَمُونَه إلَّا بَعد بُطءٍ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ثُمَّ أَتْبَعَ﴾) تقدَّم أنه يقرأ بالتشديد والتخفيف.

قوله: (﴿سَبَبًا﴾) أي: طريقاً آخر تُوصله لجهة الشمال؛ لأنَّ يأجوج ومأجوج وإن كانوا في وسط الأرض إلا أنهم لجهة الشمال؛ لأنَّ أرضهم واسعة جدًّا تَنتهي إلى البحر المحيط. قال بعضهم: مسافة الأرض بتمامها خمس مئة عام؛ ثلاث مئة بحار، ومئة وتسعون مَسكن يأجوج ومأجوج، تبقى عشرة؛ للحبشة منها سبعة، وثلاثة لجملة الخلق غيرهم.

قوله: (هنا وبعدُ) أي: في هذه الآية وقوله الآتي: ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾، وفي (يس): ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ [يس: ٩]؛ فهذه المواضع تُقرأ بالفتح والضمِّ، سبعيَّتان[1].

قوله: (جبَلان) أي: عاليان جدًّا مَلِسَان.

قوله: (بمنقطَع) بفتح الطاء؛ أي: آخِر بلاد الترك.

قوله: (سدَّ الإسكندر ما بينهما) أي: الفتحة التي بين الجبلَين، وقدرها مئة فرسخ، ومسيرة الفرسخ ساعة ونصف، فتكون مسيرته مئة وخمسين ساعة، مسيرة اثني عشر يوماً ونصف، فتبلُغ مسافته نحو العقبة من مصر.

قوله: (أي: أمامهما) أي: بقربهما.

قوله: (﴿قَوْمًا﴾) أي: وهُم الترك والروم.

قوله: (﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾) أي: لِغرابة لغتهم وبطء فهمهم.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح سين «السدين» و«سدًّا» في هذه السورة، وحفص فتح الجميع؛ أعني: مَوضعي هذه السورة، وموضعَي سورة (يس)، وقرأ الأخوان بالفتح في «سدًّا» في سُورتيه، وبالضم في «السدين»، والباقون بالضمِّ في الجميع. انظر «الدر المصون» (٧/ ٥٤٤).

قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ....

ـ وفي قِراءة بِضَمِّ الياء وكَسرِ القاف ـ.

﴿٩٤﴾ ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ ـ بِالهَمزِ وتَركِه، هُما اسمانِ أعجَمِيَّانِ لِقَبِيلَتَينِ، فلَم يَنصَرِفَا ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة) أي: وهما سبعيَّتان[1]، والمعنى: لا يُفْهِمون غيرَهم؛ لشدَّة عُجْمَتِهِم، فكلامهم مُغلق.

قوله: (﴿قَالُواْ﴾) أي: قال مترجمهم؛ لأنهم من أولاد يافث بن نوح، وذو القرنين من أولاد سام؛ فلا يَفهم لغتهم، وإنما كان لهم مترجم يفهم كلاً من اللُّغتين، وقيل: خاطبُوه بأنفسهم، وفهم لغتهم كرامةً له؛ لما تقدَّم: أنَّ الله جعل له فهماً يَفقه به كلَّ شيء، وهو الأقرب.

قال أهل التواريخ: أولاد نوح ثلاثة: سام، وحام، ويافث؛ فسام أبو العرب والعجم والروم، وحام أبو الحبشة والزنج والنوب، ويافث أبو الترك والبربر وصقلية ويأجوج ومأجوج، قال ابن عباس: هم عشرة أجزاء، وولدُ آدم كلُّهم جزءٌ[2].

قوله: (﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾) روي: «أن كلًّا من الجبلين اشتمل على أربعة آلاف أمَّة، لا يموت الواحد منهم حتى ينظر ألفَ ذكرٍ من صلبه، كلُّهم قد حمل السلاح، وهم أصنافٌ: صنفٌ منهم طولُه عشرون ومئة ذراع في السماء، وصنفٌ منهم طوله وعرضه سواء عشرون ومئة ذراع، وصنفٌ منهم يفترش أحدهم إحدى أذنَيه ويلتحف بالأخرى، لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلُوه، ومن مات منهم أكلُوه»[3]، والجميع كفارٌ، دعاهم النبي ﷺ إلى الإيمان ليلة الإسراء، فلم يُجيبوا.

قوله: (بالهمز وتركه) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[4].

قوله: (أعجمِيان) أي: لا اشتقاق لهما، ومُنِعَا من الصرف للعلميَّة والعجمة.

---

(١) قرأ الأخوان بضم الياء وكسر القاف، والباقون بفتحها. انظر «الدر المصون» (٧/ ٥٤٥).

(٢) انظر «البداية والنهاية» لابن كثير (٢/ ١١٠)، وفي «سنن الترمذي» (٣٢٣١) من حديث سيدنا سَمُرة عن النبي ﷺ قال: «سام أبو العرب، وحام أبو الحبش، ويافث أبو الروم».

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤/ ١٥٥) عن سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

(٤) قرأ عاصم بالهمزة الساكنة، والباقون بألف صريحة. انظر «الدر المصون» (٧/ ٥٤٥).

مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ....

﴿مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بِالنَّهبِ والبَغي عِند خُرُوجِهم إلَينا، ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾: جُعْلاً مِن المالِ، ـ وفي قِراءة: (خَراجاً) ـ ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾: حاجِزاً فلا يَصِلُونَ إلَينا؟

﴿٩٥﴾ ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى﴾ ـ وفي قِراءة بِنُونَين مِن غَير إدغام ـ ﴿فِيهِ رَبِّى﴾ مِن المالِ وغَيره ﴿خَيْرٌ﴾ مِن خَرجِكُم الَّذِي تَجعَلُونَه لي، فلا حاجةَ بِي إلَيهِ، وأجعَل لَكُم السَّدَّ تَبَرُّعاً، ﴿فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ﴾ لِمَا أطلُبُه مِنكُم ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾: حاجِزاً حَصِيناً.

حاشية الصاوي

قوله: (بالنهب والبغي) أي: فكانوا يخرجون أيام الربيع إلى أرضِهم فلا يدعون فيها شيئاً أخضر إلا أكاوه، ولا يابساً إلا احتَملوه وأدخلُوه أرضهم.

قوله: (عند خروجهم) أي: من هذه الفتحة.

قوله: (وفي قراءة: «خراجاً») أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1].

قوله: (وفي قراءة بنونين) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[2].

قوله: (وغيره) أي: كالملك.

قوله: (وأجعل لكم السد تبرعاً) روي: أنه قال لهم: أعدُّوا لي الصخرة والحديد والنُّحاس حتى أعلم عِلمهم، فانطلق حتى توسَّط بلادهم، فوجد طُول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا، لهم مخاليبُ وأضراسٌ كالسباع، ولهم شعرٌ يُواري أجسادهم ويتقون به من الحرِّ والبرد، ولكلِّ واحدٍ منهم أذنان عظيمتان، يَفترش إحداهما ويلتحف بالأخرى، يُصيِّف في واحدة ويشتي في الأخرى، يتسافدون تسافُد البهائم، فلمَّا عاين ذو القرنين ذلك.. اهتمَّ بالسَّدِّ فبنى الجدار على الماء بالصخر والحديد والنحاس المذاب، فلمَّا وصل إلى ظاهر الأرض.. بنى بقطع الحديد، وأفرَغ عليه النحاس المذاب. ولا يشكل هذا على ما تقدَّم من أنهم أصناف؛ لأنه رأى صِنفاً من الأصناف.

---

(١) قرأ حمزة والكسائي بفتح الراء وألف بعدها، والباقون بسكون الراء ولا ألف بعدها. انظر «السراج المنير» (٢/ ٤٠٥).

(٢) قرأ ابن كثير «مكنني» بإظهار النون، والباقون بإدغامها في نون الوقاية للتخفيف. انظر «الدر المصون» (٧/ ٥٤٧).

ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ ....

﴿٩٦﴾ ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾: قِطَعَه على قَدرِ الحِجارةِ التي يُبنَى بها، فبَنى بِها وجَعَلَ بَينها الحَطَب والفَحْم، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ ـ بِضَمِّ الحَرفَينِ، وفَتحِهما، وضَمِّ الأوَّل وسُكُون الثَّانِي ـ أي: جانِبَي الجَبَلَينِ بِالبِناءِ ووَضعِ المَنافِخ والنَّار حَولَ ذلك، ﴿قَالَ ٱنفُخُوا۟﴾ فنَفَخُوا، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ﴾ أي: الحَدِيد ﴿نَارًا﴾ أي: كالنَّارِ ﴿قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ هو النُّحاس المُذابُ، ـ تَنازَعَ فِيهِ الفِعلانِ وحُذِفَ مِن الأوَّل لِإعمالِ الثَّاني ـ فأَفرَغَ النُّحاسَ المُذاب على الحَدِيد المُحْمَى، فدَخَلَ بَين زُبَرِه فصارَا شَيئاً واحِداً.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ءَاتُونِي﴾) بفتح الهمزة وكسرها مع المدِّ فيهما، قراءتان سبعيَّتان[1]، فـ﴿زُبَرَ﴾ على الفتح منصوب على المفعوليَّة، وعلى الكسر منصوبٌ بنزع الخافض.

قوله: (﴿زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾) جمع زُبْرَة كـ: غُرَف وغُرْفة.

قوله: (بضم الحرفين. . . إلخ) أي: فالقراءات السبعيَّة ثلاث[2].

قوله: (بِالبناء) متعلق بـ﴿سَاوَىٰ﴾.

قوله: (ووضع المنافخ) جمع مِنْفَخ كـ: مِنبَر، ويقال: مَنافخ كـ: مفاتح، ويجمع على (مَنافيخ).

قوله: (فنَفخوا) أي: وهذه كرامةٌ لذي القرنين؛ حيث منع الله حرارة النار عن العمَلة الذين ينفخون ويُفرغون النحاس مع أنه أصعب من النار مع قربهم من ذلك.

قوله: (وحذف من الأول) أي: هو وضَميره؛ لأنه فضلة، والأصل: آتوني قطراً أفرغ عليه قطراً.

قوله: (بين زُبَرِه) أي: مكان الحطب والفحم الذي كان بينهما، فلمَّا أكلَته النار.. بقي ما بينهما خالياً، فأفرغ فيه النحاس المذاب، فامتَزج بالحديد.

---

(١) قرأ أبو بكر بهمزة وصل، والباقون بهمزة القطع فيهما. انظر «الدر المصون» (٧/ ٥٤٧).

(٢) قرأ أبو بكر بضم الصاد وسكون الدال، وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بضمهما، والباقون بفتحهما. انظر «الدر المصون» (٧/ ٥٤٩).

﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ۝٩٧ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ۝٩٨ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ﴾ ....

﴿٩٧﴾ ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ﴾ أي: يَأجُوجُ ومَأجُوج ﴿أَن يَظْهَرُوهُ﴾: يَعلُوا ظَهرَه لِارتفاعِه ومَلاسَتِه، ﴿وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾: خَرْقاً لِصَلابَتِه وسُمكِه.

﴿٩٨﴾ ﴿قَالَ﴾ ذُو القَرنَينِ: ﴿هَٰذَا﴾ أي: السَّدُّ أي: الإقدارُ عَلَيهِ ﴿رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾ نِعمةٌ لِأنَّهُ مانِعٌ مِن خُرُوجِهم، ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى﴾ بِخُرُوجِهم القَرِيبِ مِن البَعث ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾: مَدكُوكاً مَبسُوطاً، ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى﴾ بِخُرُوجِهِم وغَيرِه ﴿حَقًّا﴾ كائناً.

﴿٩٩﴾ قال تَعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾: يَومَ خُرُوجِهم ﴿يَمُوجُ فِى بَعْضٍ﴾: يَختَلِطُ بِه

حاشية الصاوي

قوله: (لارتفاعه) أي: فكان ارتفاعه مئتي ذراع.

قوله: (ومَلاسته) أي: فكان لا يَثبت عليه قدم ولا غيره.

قوله: (﴿وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾) أي: خرقاً بالنَّبل؛ كما يشهد له ما روى الشيخان عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: «**أنهم يَحفرونه كلَّ يوم حتى إذا كادوا يخرقونه.. قال الذي عليهم: ارجعوا نستَحفرونه غداً، قال: فيُعيده الله كأشدَّ مما كان حتى إذا بلغ مدَّتهم وأراد الله أن يَبعثهم إلى الناس.. قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله، قال: فيَرجعون فيجدونه على هيئتِه حين تركوه فيَخرقونه فيخرجون منه إلى الناس، فيَستقُون المياه وتَنفر الناس منهم**»[1].

قوله: (﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى﴾) أي: وقتُ وعده.

قوله: (بِخُروجهم) أي: فيخرجون على الناس، فيَنفرون منهم، فيرمون بسهام إلى السماء فترجع مخضبةً بالدماء، فيقولون: قهَرنا مَنْ في الأرض ومَنْ في السماء، فيزدادون قوَّة وقَسوة.

قوله: (قال تعالى) أشار بذلك إلى أن كلام ذي القرنين تمَّ عند قوله: ﴿حَقًّا﴾، وهذا من كلام الله.

قوله: (﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ﴾) أي: لِشدة الازدحام عند خروجهم، وذلك عقب موتِ

---

(١) رواه الترمذي (٣١٥٣)، وابن ماجه (٤٠٨٠)، وفيه: (فينشفون) بدل (فيستقون)، وفي (ط٢): (فيستسقون)، وما ذكره المصنف من كون الحديث من رِواية الشيخين.. تبع فيه العلامة الجَمل في «فتوحاته» (٣/ ٥١)، وانظر «الدر المنثور» (٥/ ٤٦٢).

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ ....

لِكَثرَتِهِم، ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ أي: القَرنِ لِلبَعثِ، ﴿فَجَمَعْنَٰهُمْ﴾ أي: الخَلائِقَ في مَكانٍ واحدٍ يومَ القِيامة ﴿جَمْعًا﴾.

(﴿١٠٠﴾ - ﴿١٠١﴾) ﴿وَعَرَضْنَا﴾: قَرَّبْنا ﴿جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ﴾ ـ بَدَل مِن (الكافِرينَ) ـ ﴿فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى﴾ أي: القُرآنِ فهُم عُمْيٌ لا يَهتَدُونَ بِه، ﴿وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ أي: لا يَقدِرُونَ أن يَسمَعُوا مِن النَّبيِّ ما يَتلُو علَيهِم بُغضاً لَهُ فلا يُؤمِنُون بِه.

حاشية الصاوي

الدجال، فيَنحاز عيسى بالمؤمنين إلى جبل الطور فراراً منهم، ثم يُسلِّط الله عليهم دوداً في أنوفهم، فيَموتون به، فتُنْتِنُ الأرض منهم، فتأتي طيورٌ تَرميمهم في البحر بدعاء عيسى عليه السلام، ولا يدخلون مكة ولا المدينة ولا بيت المقدس، ولا يَصِلون إلى مَنْ تحصَّن بورِدٍ أو ذِكرٍ.

قوله: (لِكثرتهم) أي: وضِيق الأرض؛ فإنَّ أرضنا بالنسبة لأرضهم ضيِّقة جدًّا.

قوله: (﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾) أي: النفخة الثانية بدليل التعقيب في قوله: ﴿فَجَمَعْنَٰهُمْ﴾، وأما النفخة الأُولى.. فعندها تخرج روح كلِّ ذي روح، واختلف في القَدْرِ الذي بين النفختين، والصحيح: أنه أربعون عاماً.

قوله: (أي: القرن) وهو بيَد إسرافيل عليه السلام.

قوله: (قرَّبنا) أي: أظهرنا؛ بحيث يكونون مُشاهدين لها.

قوله: (﴿يَوْمَئِذٍ﴾) إن كان المراد به: يوم الموقف.. فالعرض على حَقيقته؛ بمعنى: التقريب والإظهار، وإن كان المراد: بعد انفِضاضه.. فالمراد بالعرض: امتزاجها بهم، فيكون كناية عن دخولهم فيها وتعذيبهم بها، وفائدةُ التأكيد على الأول: الإشارة إلى أنه لم يكن بينهم وبينها حجاب.

قوله: (﴿أَعْيُنُهُمْ﴾) أي: بَصائرهم.

قوله: (لا يَهتدون) أي: لا يتَّعظون ولا يؤثِّر في قلوبهم.

قوله: (﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾) أي: سماعَ قبولٍ وفهمٍ؛ لِوجود الحجاب المانع لهم من ذلك.

أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ....

(١٠٢) ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى﴾ أي: مَلائكَتِي وعِيسى وعُزَيراً ﴿مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ﴾: أرباباً؟ ـ مَفعُول ثانٍ لِـ﴿يَتَّخِذُواْ﴾، والمَفعُول الثَّانِي لِـ(حَسِبَ) مَحذُوف ـ، المَعنَى: أظَنُّوا أنَّ الاتِّخاذ المَذكُورَ لا يُغضِبُني ولا أُعاقِبُهم علَيهِ؟ كلَّا، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾) الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أكفروا فحسبوا... إلخ، والاستفهامُ للتوبيخ والتقريع.

قوله: (أي: ملائكتي وعيسى وعزيراً) أشار بذلك إلى تنوُّعهم في الكفر؛ فالمشركون يَعبدون الملائكة، والنصارى يعبدون عيسى، واليهود يعبدون العُزير.

قوله: (وعزيراً) هذا لقبه، واسمه قطفير أو أطفير[1].

قوله: (﴿مِن دُونِىٓ﴾) أي: غيري، وهو صادقٌ بكونهم يُشركونهم معه في العبادة، أو خصُّوهم بالعبادة دونَه.

قوله: (مفعولٌ ثان لـ﴿يَتَّخِذُواْ﴾) أي: والأول قوله: ﴿عِبَادِى﴾ فمفعولا (اتخذ) مذكوران.

قوله: (والمفعول الثاني لـ«حَسب» محذوف) أي: والأول قوله: ﴿أَن يَتَّخِذُواْ...﴾ إلخ والتقدير: أظنَّ الكافرون اتِّخاذَهم عبادي من دُوني أرباباً لا يُغضبني؟! بل هو مغضِبٌ لي وأُعاقبهم عليه.

وبتفسير الأولياء بالأرباب اندفعت شبهةُ مَنْ يزعم أنَّ محبَّة الأولياء وزيارتهم إشراكٌ، واستدلُّوا بمثل هذه الآية؛ فيقال: إن كان اعتقادُ الأولياء على سبيل أنهم يضرُّون الخلقَ وينفعونهم بذواتهم.. فمُسلَّم أنه إشراك، وأمَّا إن كان على سبيل أنهم عباد اختارُوا خدمة ربِّهم وعبادته فاختارهم وأحبَّهم.. فهذا الاعتقاد مُنجٍ من المهالك، ومُورثٌ للفوز بصُحبتهم ومرافقتهم في دار السلام؛ لِما ورد: «المرءُ مع من أحبَّ»[2].

قوله: (كلَّا) هي كلمة ردع وزجر.

---

(١) كذا في الأصول و«الفتوحات» (٣/ ٥٢)، وعزَاه إلى السيوطي في «التحبير في علم التفسير»، والذي فيه: أن هذا اسم عزيز مصر. انظر «التحبير» (ص١٥٢).

(٢) رواه البخاري (٦١٦٨)، ومسلم (٢٦٤٠) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ﴾ ....

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ﴾: هَؤلاءِ وغَيرِهم ﴿نُزُلًا﴾ أي: هي مُعَدَّةٌ لَهُم كالمَنزِلِ المُعَدِّ لِلضَّيفِ.

(﴿١٠٣﴾ - ﴿١٠٤﴾) ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ ـ تَمييز طابَقَ المُمَيَّز ـ، وبَيَّنَهُم بِقَولِه: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: بَطَلَ عَمَلُهم ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ﴾: يَظُنُّونَ ﴿أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾: عَمَلاً يُجازَونَ عليه.

﴿١٠٥﴾ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ بِدَلائلِ تَوحِيدِه مِن القُرآن وغَيرِه، ﴿وَلِقَآئِهِۦ﴾ أي: وبِالبَعثِ والحِساب والثَّواب والعِقاب، ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾: بَطَلَت ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾) أي: هيَّأنا وأحضرنا.

قوله: (هؤلاء) أي: الذين عبدوا الملائكة وعيسى وعزيراً، وقوله: (وغيرهم) أي: من بَقية الكفار.

قوله: (كالمنزل المعدّ للضيف) أي: فهو استهزاءٌ وسخريةٌ بهم؛ حيث سمّى محلَّ عذابهم نُزُلاً، والنُّزُل: اسمٌ لمكان الضيف أو لما يُهيّأ له.

قوله: (﴿بِٱلْأَخْسَرِينَ﴾) جمع أخسَر؛ إما بمعنى: أشدُّ الناس خسراناً، أو بمعنى: خاسر.

قوله: (طابق المميَّز) جوابٌ عما يقال: كيف جمع التمييز مع أنَّ أصله الإفراد؟ ولِمَ جمع المصدر مع أنه لا يثنّى ولا يجمع؟ فأجابَ: بأنه جمع لمشاكلة مميِّزه.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾) خبرُ مبتدأ محذوف؛ أي: هم الذين... إلخ.

قوله: (بطل عملهم) أي: لأنَّ شرط الثواب الإسلام، والكفرُ لا تَنفع معه طاعةٌ.

قوله: (﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ﴾) الجملة حالية من فاعل ﴿ضَلَّ﴾.

قوله: (أي: وبالبعث) فالمراد بلِقاء الله: لقاء بَعثه وحسابه... إلخ.

قوله: (﴿فَحَبِطَتْ﴾) أي: بسبب ذلك.

﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ۝١٠٥ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَـٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ۝١٠٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ﴾ ....

﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ أي: لا نَجعَلُ لَهم قَدراً.

(١٠٦) ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الأمرُ الَّذِي ذَكَرتُ عَن حُبُوط أعمالِهم وغَيرِه، وابتَدَأ: ﴿جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَـٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا﴾ أي: مَهزُوءاً بِهِما.

(١٠٧ - ١٠٨) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ﴾ في عِلـمِ الله ﴿جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ﴾ هو وسَط الجَنَّةِ وأعلاها، والإضافةُ إلَيهِ لِلبَيانِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: لا نَجعل لهم قدراً) أي: منزلة، وإنما قال ذلك؛ لأنَّ الكفار على التحقيق تُوزن أعمالهم، وبعضهم أجاب: بأن الآية فيها حذف النعت، والتقدير: وزناً نافعاً.

قوله: (أي: الأمر ذلك) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ خبر لمحذوف.

قوله: (الذي ذكرت) تفسيرٌ لاسم الإشارة.

قوله: (وابتدأ) أشار بذلك إلى أن جملة ﴿جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ مستأنفة، وهو صادق بأن يكون ﴿جَزَآؤُهُمْ﴾: مبتدأ، و﴿جَهَنَّمُ﴾: خبراً، وبالعكس، ويصح أن يكون ﴿ذَٰلِكَ﴾: مبتدأ أول، و﴿جَزَآؤُهُمْ﴾: مبتدأٌ ثانٍ، و﴿جَهَنَّمُ﴾: خبر الثاني، وهو وخبرُه خبر الأول.

قوله: (﴿بِمَا كَفَرُوا۟﴾) الباء: سببيَّة، و(ما): مصدرية؛ أي: بسَبب كفرهم واتِّخاذهم.

قوله: (في عِلم الله) أي: قبل أن يُخلقوا، وهو جوابٌ عمَّا يقال: إنهم يَدخلونها في المستقبل فلِمَ عبَّر بالماضي؟ فأجاب: بأن المراد ثبَتت واستقرَّت لهم قبل خَلقهم، فهو نظير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ...﴾ [الأنبياء: ١٠١] الآية.

قوله: (هو وسَط الجنة) إمَّا بسكون السين بمعنى: أنها مُتوسطة بين الجنان، أو بفتحها بمعنى: خِيارها، قال كعب: (ليس في الجنان جنَّة أعلى من جنة الفردوس؛ فيها الآمرُون بالمعروف، والنَّاهون عن المنكر)(١).

والفردوس: الجنة من الكَرم خاصة، أو ما غالبها كرم، واختُلف فيه؛ فقيل: عربي، وقيل: أعجمي، وقيل: هو رومي، وقيل: فارسي، وقيل: سرياني.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٣١).

نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ

﴿نُزُلًا﴾: مَنزِلاً، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ﴾: يَطلُبُونَ ﴿عَنْهَا حِوَلًا﴾: تَحَوُّلاً إلى غَيرِها.

﴿١٠٩﴾ ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ﴾ أي: ماؤُهُ ﴿مِدَادًا﴾ هو ما يُكتَب بِه ﴿لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾ الدَّالَّة على حِكَمِه وعَجائِبِه بِأن تُكتَب بِه، ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ﴾ في كِتابَتِها ....

حاشية الصاوي

قوله: (مَنزلاً) أي: وقيل: هو ما يُهيَّأ للضيف.

قوله: (﴿خَٰلِدِينَ﴾) حال مقدَّرة.

قوله: (﴿لَا يَبْغُونَ﴾) حال أخرى.

قوله: (تحوُّلاً) أي: انتقالاً عنها إلى غيرها؛ لأنَّ فيها ما تَشتهيه الأنفس وتَلذُّ الأعين.

قوله: (﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا﴾) سبب نزولها: أن اليهود قالت: يا محمد؛ إننا قد أُوتينا التوراة وفيها عِلم كثير، فكيف تقول: وما أُوتيتم من العلم إلا قليلاً؟![1]، وقصدُهم بذلك: الإنكار عليه، وإثبات الفضل لهم.

قوله: (أي: ماؤه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف.

قوله: (﴿لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾) أي: النَّفسية القائمة بذاته، ويصحُّ أن يراد بها: الكلمات القرآنية الحادثة، ويَكون المراد بعدم تَناهيها: باعتبار مدلولاتها.

قوله: (﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ﴾) أي: فرغ.

قوله: (﴿قَبْلَ أَن تَنفَدَ﴾) إن قلتَ: إنَّ الآية تدل على نفاد الكلمات وفَراغها؛ لأنَّ مقتضى قوله: ﴿قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ أنها تَفرغ بعد فراغ المداد، وأجيب: بأنَّ (قبل) بمعنى (غير)[2].

قوله: (بالتاء والياء) أي: فهما سبعيَّتان[3].

قوله: (لنفد) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ ﴿لَّوْ﴾ شرطيَّةٌ جوابها محذوف، ويُوضح هذه الآية قوله تعالى

---

(١) رواه الترمذي (٣١٤٠)، والنسائي في «الكبرى» (١١٣١٤) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أي: لنفد البحر ولم تنفد كلمات ربي، وذكر في «الكشاف»: أن (قبل) هنا بمعنى (غير) أو بمعنى (دون). «فتوحات» (٥٣/٣).

(٣) قرأ حمزة والكسائي بالياء التحتية على التذكير، والباقون بالفوقية على التأنيث. انظر «السراج المنير» (٤١١/٢).

﴿قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾

﴿قَبْلَ أَن تَنفَدَ﴾ - بالتَّاءِ والياء -: تَفرُغَ ﴿كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ﴾ أي: البَحرِ ﴿مَدَدًا﴾ زيادةً فيهِ لَنَفِدَ ولَم تَفرُغ هي، ونَصبُهُ على التَّمييز.

﴿١١٠﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ﴾: آدميٌّ ﴿مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ (أنَّ) المَكفُوفة بـ(ما) باقِيةٌ على مَصدَريَّتِها، والمَعنى: يُوحَى إليَّ وَحدانيَّةُ الإلَهِ، ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟﴾: يَأمُلُ ﴿لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ بِالبَعثِ والجَزاء، ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ﴾ أي: فِيها بِأن يُرائيَ ﴿أَحَدًۢا﴾.

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

في سورة (لقمان): ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧].

قوله: (ونصبه على التمييز) أي: لـ(مِثْل).

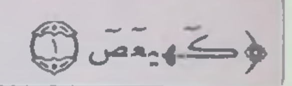
قوله: (باقية على مَصدريتها) أي: فـ(ما) وإن كفَّتها عن العمل لا تُخرجها عن المصدرية.

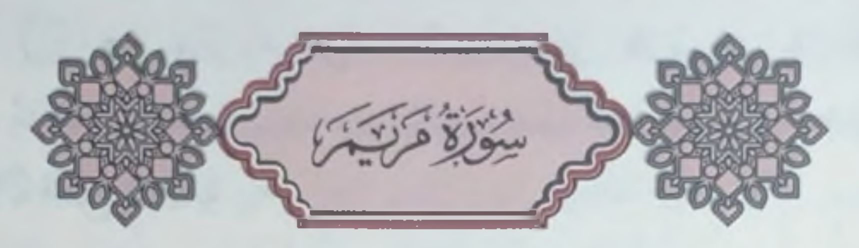
قوله: (والمعنى) أي: المأخوذ من التركيب.

قوله: (﴿عَمَلًا صَٰلِحًا﴾) أي: بشُروطه وأركانه.

قوله: (بأن يُرائي) أي: هذا قدرٌ زائدٌ على التوحيد والعمل، وحينئذ: فيكون بياناً للإيمان الكامل الذي يَرقى به صاحبه المراتب العليَّة واللقيَّ الخاص، وإلا.. فالمراتب ثلاثة: مَن أراد بعمله الحظَّ الفاني.. فهو في أدنى المراتب، ومن أراد به الخوف من العقاب والفوزَ بجزيل الثواب.. فهو أعلى منه، ومن أراد به وجه الله.. فهو في أعلى المراتِب.




﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ ....



مَكِّيَّة، أو إلَّا سَجدَتها فمَدَنِيَّة، أو إلَّا ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ...﴾ الآيَتَينِ فمَدنيَّتانِ، وهي ثَمانٍ أو تِسع وتِسعُونَ آية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ الله أعلَمُ بِمُراده بِذلك.

حاشية الصاوي

سُورَةُ مَرْيَمَ

(مَكية) سمِّيت بذلك؛ لِذكر قصتها فيها على عادته تعالى من تسمية السورة باسم بعضها، وفي بعض النسخ: (عليها السلام)، ولا ضرَر فيها وإن كان المقصودُ ذكرَ اسم السورة لا العَلَمَ المشهورَ، ولم تُذْكَر امرأةٌ باسمها صريحاً في القرآن إلا مريم؛ فذُكرت فيه في ثلاثين موضعاً، وحكمة ذلك: التبكيت على مَنْ يزعم من الكفار أنها زوجة الله؛ لأنَّ العظيم يأنَف من ذكر زوجته باسمها، فكأنَّ الله يقول لهم: لو كان ما تَزعمون حقًّا.. ما صرَّحتُ باسمها.

قوله: (أو: إلا ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾... إلخ) تحصَّل أن الأقوال ثلاثة: قيل: مكية بتمامِها، وقيل: المدني منها آية السجدة فيها، وقيل: المدني منها آيتان: قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾ إلى قوله: ﴿شَيۡـًٔا﴾.

قوله: (﴿كٓهيعٓصٓ﴾) اعلَم: أنَّ الكاف والصاد يمدَّان لازماً باتفاق السبعة، وهو قدر ثلاث ألفات، والهاء والياء يمدَّان مدًّا طبيعيًّا باتفاقهم، وهو قدرُ ألف، ويجوز في العين المدُّ اللازمُ المذكورُ، والقصر بقدر ألفَين، قراءتان سبعيَّتان، ويتعين في النون من (عين) إخفاؤها في الصاد وغنَّتها وفتح العين، ويجوز في الدال الإظهار والإدغام في ذال ﴿ذِكۡرُ﴾، والقراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (الله أعلم بمراده بذلك) هذا هو الحقُّ، وللسلف أقوالٌ أخر؛ منها: ما قاله ابن عباس:

(١) إدغام دال الصاد في الذال للبصري والشامي والأخوَين وخلف. انظر «البدور الزاهرة» (ص١٩٨).

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾ ....

(﴿٢﴾ - ﴿٣﴾) هذا ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ﴾ ـ مَفعُول ﴿رَحْمَتِ﴾ ـ ﴿زَكَرِيَّآ﴾ ـ بَيان لَه ـ، ﴿إِذْ﴾ ـ مُتعلِّق بِـ﴿رَحْمَتِ﴾ ـ ﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً﴾ مُشتَمِلاً على دُعاء ﴿خَفِيًّا﴾: سِرًّا جَوفَ اللَّيل لِأَنَّهُ أسرَعُ لِلإجابةِ.

حاشية الصاوي

إنه اسم من أسماء الله تعالى، وقال قتادة: هو اسم من أسماء القرآن، وقيل: هو اسم الله الأعظم؛ ولِذا يذكره العارفون في آخر أحزابهم؛ كالسيد الدسوقي وأبي الحسن الشاذلي، وقيل: هو اسم السورة، وقيل: قَسَم أقسم الله به، وعن الكلبي: هو ثناء أثنى به على نفسه، وقيل: مَعناه كافٍ لخلقه، هادٍ لعباده، يدُه فوق أيديهم، عالم ببريَّته، صادق في وعده؛ فكلُّ حرفٍ يُشير لمعنىً من هذه المعاني، وقيل غير ذلك[1].

قوله: (هذا) قدَّره؛ إشارةً إلى أن ﴿ذِكْرُ﴾ خبرٌ لمحذوف.

قوله: (﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ﴾) هو مصدر مضاف لمفعوله، والفاعل محذوف؛ أي: ذكرُ الله رحمته عبده زكريا.

قوله: (مفعول ﴿رَحْمَتِ﴾) أي: و(رحمة) من إضافة المصدر لفاعله، وهذه التاء لا تمنع عمل المصدر؛ لأنها من بنية الكلمة لا للوحدة، ومعنى ذكر الرحمة: بُلوغها وإصابتها لعبده زكريا؛ بمعنى: عامَله بالرحمة والنعمة لا بالغضب والنقمة، وليس المراد بالذكر حقيقتَهُ وهو ضِد النسيان؛ لأنه مستحيلٌ.

قوله: (متعلق بـ﴿رَحْمَتِ﴾) أي: على أنه ظرف له؛ أي: رحمة الله إيَّاه وقتَ أن ناداه.

قوله: (مُشتملاً على دعاء) أي: وهو قوله: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾ إلى قوله: ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾، فجملة النداء ثمانِ جُمل، والدعاء منه هو قوله: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ﴾.

قوله: (جَوف الليل) أي: في جَوفه.

قوله: (لأنه أسرع للإجابة) أي: ما ذكر من كونه خفيًّا حاصلاً في جوف الليل، فتحصَّل أن إخفاء الدعاء والذُّلَّ والتواضعَ والانكسارَ فيه من أسباب الإجابة سيَّما إذا كان في جوف الليل.

---

(١) انظر هذه الأقوال وغيرها في «الدر المنثور» (٥/ ٤٧٨).

قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ ....

﴿٤﴾ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ﴾: ضَعُفَ ﴿ٱلْعَظْمُ﴾ جَمِيعُه ﴿مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ﴾ مِنِّي ﴿شَيْبًا﴾ تَمييز مُحوَّل عَن الفاعِل، أي: انتَشَرَ الشَّيب في شَعْره كما يَنتَشِرُ شُعاع النَّار في الحَطَب، وإنِّي أُرِيد أن أدعُوَك، ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ﴾ أي: بِدُعائي إيَّاكَ ﴿رَبِّ شَقِيًّا﴾ أي: خائِباً فِيما مَضَى، فلا تُخَيِّبني فِيما يَأتي.

﴿٥﴾ ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ﴾ أي: الَّذِينَ يَلُونِي في النَّسَب كبَني العَمِّ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قَالَ رَبِّ﴾) أي: مالكي ومُرَبيّ.

قوله: (﴿وَهَنَ﴾) من باب (وعد) بفتح الهاء للسبعة، وقرئ بضمِّها وكسرها[1].

قوله: (جميعُهُ) أشار بذلك إلى أن (أل) في ﴿ٱلْعَظْمُ﴾ للاستغراق.

قوله: (أي: انتشر) أشار بذلك إلى أنَّ في (اشتعل) استعارةً تبعيَّةً؛ حيث شبَّه انتشار الشيب باشتعال النار في الحطب، واستُعير الاشتعال للانتشار، واشتق منه اشتعل بمعنى: انتشر، والجامع: أنَّ كلاً يضعف ما نزل به، وأعاد الضمير على (الرأس) مذكَّراً[2]؛ لأنها تذكَّر لا غير.

قوله: (وإني أريد أن أدعوك) تمهيد لقوله: ﴿وَلَمْ أَكُنۢ...﴾ إلخ.

قوله: (أي: بدعائي إياك) أشار بذلك إلى أنَّ (دعاء) مضاف لمفعوله، والفاعل محذوف.

قوله: (فيما مضى) أي: أنتَ قد أجبتني في الزمان الماضي حال شُبوبيَّتي وعوَّدتني منك بالإحسان والإجابة؛ فلا تُخيِّبني فيما يأتي في حال شَيخوختي.

قوله: (﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ﴾) جمع مَولى، وهو العاصب.

قوله: (كبَني العم) أي: لأنهم كانوا أشرار بني إسرائيل، فخاف أن يُبدِّلوا دينهم.

---

(١) قرأ الأعمش بكسرها. وقرئ بضمها. انظر «الدر المصون» (٧/ ٥٦٤).

(٢) أي: في قوله: (انتشر الشيب في شعره).

مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ ....

﴿مِن وَرَآءِى﴾ أي: بَعدَ مَوتِي على الدِّين أن يُضَيِّعُوهُ كما شاهَدتُه في بَنِي إسرائيلَ مِن تَبدِيل الدِّين، ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾: لا تَلِد، ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ﴾: مِن عِندِك ﴿وَلِيًّا﴾: ابناً.

﴿٦﴾ ﴿يَرِثُنِى﴾ - بِالجَزمِ جَواب الأمر، وبِالرَّفع صِفة ﴿وَلِيًّا﴾ - ﴿وَيَرِثُ﴾ - بِالوَجهَينِ - ﴿مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ جَدِّي العِلمَ والنُّبُوَّةَ، ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ أي: مَرضِيًّا عِندَك.

﴿٧﴾ قال تَعالى في إجابةِ طَلَبِه ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِن وَرَآءِى﴾) متعلق بمحذوف؛ أي: جورَ الموالي من ورائي[١].

قوله: (على الدين) متعلق بـ﴿خِفْتُ﴾.

قوله: (من تبديل الدين) بيان لـ(ما).

قوله: (﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى﴾) أي: وهي أشاع أختُ حنَّة، كلتاهما بنت فاقود؛ فوُلِدَ لأشاع يحيى، ولحنَّة مريم.

قوله: (لا تلد) أي: لم تَلد أصلاً في صغرها ولا كبرها.

قوله: (وبالرفع) صفة ﴿وَلِيًّا﴾ هي سبعيَّة أيضاً، وهي أظهر معنىً؛ لأنها تفيد أنَّ هذا الوصف من جملة مطلوبه[٢].

قوله: (العلم والنبوة) أي: لا المال؛ لأنَّ الأنبياء لا يُورِّثون درهماً ولا ديناراً.

قوله: (قال تعالى) أشار بذلك إلى أنَّ هذا من كلام الله، ولا ينافيه ما تقدَّم في سورة (آل عمران) من أنه من كلام الملائكة؛ لأنه يمكن أن يكون الخطاب وقع مرَّتين، أو المعنى: على لسان الملائكة.

---

(١) أي: الكائنَ من بعدي، وعلَّقه العلامة السمين الحلبي في «الدر المصون» (٧/ ٥٦٦) بما تضمَّنه (الموالي) من معنى الفعل؛ أي: الذين يَلُون الأمر بعدي، ولا يتعلق بـ(خِفت)؛ لفساد المعنى.

(٢) قرأ أبو عمرو والكسائي بجزم الثاء المثلثة فيهما على أنهما جواب الأمر؛ إذ تقديرهما: إن تهَب يَرِث، والباقون بالضم فيهما على أنهما صفة. انظر «السراج المنير» (٢/ ٤١٤).

يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ ....

الابنَ الحاصلَ بِه رحمتُه: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ﴾ يَرِثُ كما سَألتَ، ﴿ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ أي: مُسمًّى بِيَحيى.

﴿٨﴾ ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ﴾: كيفَ ﴿يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ مِن (عَتَا): يَبِسَ، أي: نِهايةَ السِّنِّ مِائة وعِشرينَ سَنةً، وقَد بَلَغَت امرَأتُه ثمانيةً وتِسعِينَ سَنةً، وأصلُ (عُتِيٍّ): عُتُووٌ، كُسِرَت التَّاء تَخفِيفاً، وقُلِبَت الواوُ الأُولى ياءً لِمُناسَبة الكسرةِ، والثانيةُ ياءً لِتُدغَمَ فيها الياءُ.

حاشية الصاوي

قوله: (الحاصلَ به) نعتٌ لـ(الابن).

قوله: (﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ﴾) بين هذه البشارة ووُجود الولد في الخارج بالفعل ثلاث عشرة سنة.

قوله: (﴿ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾) إنما سمَّاه بذلك؛ لأنَّ رحم أمِّه حيِيَ به بعد موته بالعقم، أو لحياة القلوب به، وهو ممنوع من الصرف للعَلَمية والعجمة، وتقول في تَثنيته: يحيَيان رفعاً، ويحيَيَين نصباً وجرًّا، وتقول في جمعه للسلامة: يحيَون رفعاً، ويحيَين نصباً وجرًّا.

قوله: (أي: مسمًّى بيحيى) أي: لم يسمَّ بيَحيى قبله.

قوله: (كيف) اسم استفهام، سؤال عن جهة حُصول الولد؛ لاستبعاد ذلك بحسب العادة، لا بحسَب القدرة الإلهيَّة، أو استفهام تعجُّب وسرورٍ في هذا الأمر العجيب.

قوله: (﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾) أي: ولم تَزل.

قوله: (يبس) بالياء المثناة بعدها باء موحدة من اليُبس؛ يقال: عتا العود بمعنى: يَبِس وجفَّ، ومعناه هنا: يَبس العظم والعَصب والجلد.

قوله: (عُتُوو) هو بضمَّتين وواوين.

قوله: (كُسرت التاء... إلخ) اشتمل كلامه على أربع إعمالات في الكلمة: كسر التاء، وقلب الواو الأولى ياء، وقلب الثانية كذلك؛ لاجتماعها مع الواو وسبق إحداهما بالسكون، وإدغام الياء في الياء، وهذا على غير قراءة حفص، وأما على قراءتِه من كسر العين إتْباعاً للتاء.. ففيه خمس إعمالات.

قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ ....

﴿٩﴾ ﴿قَالَ﴾: الأمرُ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مِن خَلقِ غُلام مِنكُما، ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ أي: بِأن أرُدَّ عَلَيك قُوَّةَ الجِماع وأفتقَ رَحِم امرأتِك لِلعُلُوقِ، ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ قَبل خَلقِك، ولِإظهارِ الله هَذِهِ القُدرةَ العَظِيمة ألهَمَهُ السُّؤالَ لِيُجابَ بِما يَدُلُّ عَلَيها.

﴿١٠﴾ ولَمَّا تاقَت نَفسُه إلى سُرعة المُبَشَّر به ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ أي: عَلامةً على حَملِ امرَأتِي، ﴿قَالَ ءَايَتُكَ﴾ عَلَيهِ ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ أي: تَمتَنِعَ مِن كلامِهِم بِخِلافِ ذِكر الله تعالى ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ﴾ أي: بِأيَّامِها كما في (آل عِمران): ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ [٤١] ﴿سَوِيًّا﴾ - حال مِن فاعِل ﴿تُكَلِّمَ﴾ - أي: بِلا عِلَّة.

حاشية الصاوي

قوله: (الأمر) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ خبرٌ لمحذوف.

قوله: (﴿قَالَ رَبُّكَ﴾) أي: على لِسان مَلك، أو إلقاء في القلب، وأما الخطاب جهراً مشافهةً.. فلم يكن لغير موسى وسيِّدنا محمد عليهما الصلاة والسلام.

قوله: (وأَفْتُقَ) من باب (نصر) أي: أَشُقَّ.

قوله: (﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ﴾) الجملة حاليَّة.

قوله: (ولما تاقَت نفسه) أي: تطلَّعت وتشوَّفت، وأشار بذلك إلى أن قوله: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ مرتَّب على محذوف.

قوله: (إلى سُرعة المبشَّر به) أي: بِعلامة تدلُّ على حُصوله بالفعل، وليس عند زكريا شكٌّ في إجابة الله دعاءه، بل قَصد تعجيل المسرَّة؛ ليزداد فرحاً وشكراً.

قوله: (أي: تُمْنَعَ) أي: قهراً بلا آفة.

قوله: (بأيامها) أشار بذلك إلى وجه الجمع بين ما هنا وبين آية (آل عمران)، وحِكمة ذكر الليالي هنا: أنَّ الليل سابق على النهار، وهذه السورة مكيَّة، والمكي مُقدَّم على المدني، و(آل عمران) مدنيَّة، فأعطى السابقَ للسابقِ، والمتأخِّرَ للمتأخِّرِ.

قوله: (حال من فاعل ﴿تُكَلِّمَ﴾) أي: يَنعدم منك الكلام حال كونك سليماً لم يَطرأ عليك آفةٌ ولا علةٌ تمنعك من الكلام، ويَصح أن يكون صفة لـ﴿ثَلَٰثَ﴾ أي: ثلاثاً كاملاتٍ لا نقص فيهنَّ.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ⑪ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ﴾ ....

⑪ ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾ أي: المَسجِد، وكانُوا يَنتَظِرُونَ فَتحَه لِيُصَلُّوا فِيهِ بِأمرِهِ على العادةِ، ﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾: أشارَ ﴿إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟﴾: صَلُّوا ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾: أوائلَ النَّهار وأواخِرَه على العادةِ، فعَلِمَ بِمَنعِهِ مِن كلامِهِم حَملَها بِيَحيَى.

⑫ وبَعد وِلادَته بِسَنَتَينِ قال الله تَعالى لَه: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: التَّوراةَ ﴿بِقُوَّةٍ﴾: بِجِدٍّ، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ﴾: النُّبوةَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾) أي: متغيِّرَ اللون عاجزاً عن الكلام، فأنكروا ذلك عليه وقالُوا له: ما لك؟ فأشار إليهم أن صلُّوا بكرةً وعشيًّا.

قوله: (﴿مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾) يُطلق على الغرفةِ، وصدرِ البيت، وأكرمِ مواضعه، ومقامِ الإمام من المسجد، والموضعِ يَنفرد به الملك، وعلى المسجد جَميعه؛ فالمحراب المعروف الآن يوافق اللغة قديماً.

قوله: (أي: المسجد) أي: موضع الصلاة.

قوله: (وكانوا ينتظرون فتحه) أي: فكان هو مُقيماً به ولا يفتحه إلا وقت الصلاة، ولا يَدخلونه إلا بإذنه.

قوله: (أشار إليهم) أي: بأصبعه، وقيل: كتب لهم.

قوله: (أوائل النهار وأواخِره) أي: فالمراد بالصلاة في هذَين الوقتين: صلاة الصبح وصلاة العصر، والمعنى: صلُّوا صلاتكم على عادتكم، ولا تَنتظروني أُكلمكم، بل دَعوني وحالي.

قوله: (فعلم) أي: زكريا.

قوله: (وبعد ولادته... إلخ) قدَّر ذلك؛ إشارةً إلى أن قوله: ﴿يَٰيَحْيَىٰ...﴾ إلخ مرتَّب على محذوف.

قوله: (قال تعالى له) أي: على لسان الملك.

قوله: (﴿خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾) أي: اعمل بأحكامه، وليس المراد: اشتَغل بحفظه في المكتب مثلاً؛ لأن الله ألقاه على قلبه بمجرد قوله: ﴿خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾.

قوله: (﴿بِقُوَّةٍ﴾) أي: جدٌّ واجتهادٍ، وإنما أمر بذلك؛ لأنَّ كلام الله عظيمٌ جليلُ القدر، فيحتاج

صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ ....

﴿صَبِيًّا﴾ ابنَ ثلاثِ سِنِين.

(﴿١٣﴾ - ﴿١٤﴾) ﴿وَحَنَانًا﴾: رَحمةً لِلنَّاسِ ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾: مِن عِندِنا، ﴿وَزَكَوٰةً﴾: صَدَقةً علَيهِم، ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ رُوِيَ أنَّهُ لَم يَعمَلْ خَطِيئةً ولَم يَهُمَّ بِها، ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ﴾ أي: مُحسِناً

حاشية الصاوي

للاهتمام به والاجتهاد فيه، ومِن هنا ينبغي لطالب العلم الجدُّ والاجتهادُ فيه، ولا يتراخى في طلبه؛ فإنك إن أعطيْتَ العلمَ كلَّك.. أعطاك بعضَهُ، وإن أعطيْتَهُ بعضَكَ.. لم يُعطك شيئاً منه؛ ولذا قال الإمام الشافعي رضي الله عنه[1]: [الطويل]

أَخِي لَنْ تَنالَ العِلمَ إِلَّا بِسِتَّةٍ ... سَأُنْبِيكَ عَنْها مُخبراً بِبَيانِ

ذَكاءٌ وَحِرصٌ وَاجتِهادٌ وَبُلغَةٌ ... نَصِيحَةُ أُسْتاذٍ وطُولُ زَمانِ

ولم يأمر الله سيدنا محمداً بتلقي ما أوحي إليه بقوَّة؛ لأنَّ الله أعطاه عزماً وقوة عظيمة، فلم يَحتج للأمر بذلك، بل قيل له: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥].

قوله: (ابن ثلاث سنين) أي: فأحكم الله عَقله وقوَّى فهمه، وقولهم: (النبوة على رأس الأربعين).. محلُّه في غير يحيى وعيسى على ما يأتي، وقيل: المراد بالحكم: فهم التوراة وقراءتها، وأما النبوة.. فتأخَّرت للأربعين كغيره.

قوله: (﴿وَحَنَانًا﴾) أي: رحمةً ورقَّة في قلبه، وتعطُّفاً على الناس.

قوله: (صدَقة عليهم) أي: توفيقاً للتَّصدُّق، وقيل: المراد بالزكاة: طَهارته من الأوساخ، أو طهارة مَنِ اتَّبعه، أو المرادُ: أنَّ الله تصدَّق به على والدَيه.

قوله: (﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾) أي: مجبولاً على التقوى، ومن جملة تَقواه: أنه كان يتقوَّت بالعشب، وكان كثير البكاء، فكان لِدمعه مجارٍ على خدِّه[2].

قوله: (ولم يهمَّ بها) أي: لم تخطُر بباله، ولا خصوصيَّة له بذلك، بل جميع الأنبياء كذلك.

---

(١) كما في «ديوانه» (ص١١٦)، وفيه: (سأنبيك عن تفصيلها) بدل (سأنبيك عنها مخبراً)، (وصحبة أستاذ) بدل (نصيحة أستاذ)، ونسبها الإمام ابن السبكي في «الطبقات» (٥/ ٢٠٨) لإمام الحرمين الجويني.

(٢) روى ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٤/ ٢٠١) عن مجاهد قال: كان طعام يحيى بن زكريا العشب، وإن كان ليبكي من خشية الله حتى لو كان القار على عينيه.. لحرقه، ولقد كانت الدموع اتخذت في وجهه مجرى.

﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ١٤ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ١٥ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ ....

إليهما، ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا﴾: مُتكبِّراً ﴿عَصِيًّا﴾: عاصِياً لِربِّه.

١٥ ﴿وَسَلَٰمٌ﴾ مِنَّا ﴿عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ أي: في هَذِهِ الأيَّام المَخُوفة الَّتي يَرَى فِيها ما لَم يَرَهُ قَبلَها، فهو آمِنٌ فِيها.

١٦ ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (عاصياً لربِّه) أشار بذلك إلى أنَّ المبالغة ليست مرادةً، بل المنفيُّ أصلُ العصيان، لا المبالغة فيه.

قوله: (﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ﴾) أي: أمانٌ له من المخاوف، ونكَّر هنا وعرَّف في قصة عيسى؛ لأنَّ ما هنا حاصلٌ من الله، والقليل منه كثير، وما ذكر في قصة عيسى (أل) فيه لِلعهد؛ أي: السلام المعهود، وهو الكائن من الله.

قوله: (﴿يَوْمَ وُلِدَ﴾) أي: من أن ينالَه الشيطان بمكروه.

قوله: (﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾) أي: من عذاب القبر.

قوله: (﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾) أي: من هَول الموقف، ولا ينافي هذا ما ورد: «أنَّ الأنبياء يوم القيامة يَجثُون على الركب ويقولون: ربِّ سلِّم سلِّم»[1]؛ لأنَّ جلال الله محيطٌ بهم، فهم خائفون من هَيبته وجلاله، لا مِن عذابه وعقابه؛ لصدق وَعد الله في تأمينهم؛ فلا يخلف وعده.

بقي شيء آخر وهو أنه ورَد: أن يحيى قتل في حياة والده[2]؛ فكيف ذلك مع طلبه ولداً يَرثه وإجابة الله له بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ﴾.

أجيب: بأنَّ هذه الرواية ضعيفة، والحقُّ: أنه عاش بعد أبيه الزمن الطويل، وحينئذ: فقد سَقط السؤال والجواب.

قوله: (﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾) أي: قِصة ولادتها لعيسى وحملها به؛ فإنها من الآيات الكبرى، وتقدَّم أن معنى مريم: العابدة خادِمة الرب.

---

(١) رواه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (٣٧٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، وليس فيه ذكر الجثو على الركب.

(٢) كما رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٤/٢٠٧) عن ابن المسيب.

مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا ....

القُرآنِ ﴿مَرْيَمَ﴾ أي: خَبَرها، ﴿إِذِ﴾: حِينَ ﴿ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ أي: اعتَزَلَت في مَكان نَحوَ الشَّرق مِن الدارِ.

﴿١٧﴾ ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾: أرسَلَت سِتراً تَستَتِر بِه لِتُفَلِّيَ رَأسَها أو ثِيابَها، أو تَغتَسِلَ مِن حَيضِها، ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾: جِبريلَ ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾ بَعد لُبسِها ثِيابَها ..

حاشية الصاوي

قوله: (القرآن) أشار بذلك إلى أن (أل) في ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ للعهد.

قوله: (﴿إِذِ ٱنتَبَذَتْ﴾) ظرف لمحذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (أي: خبرها)، وهو بدل اشتمال، وليس المراد خصوصَ الخبر الواقع في وقت الانتباذ، بل هو وما بعده إلى آخِر القصة.

قوله: (أي: اعتَزلت في مكان) أشار بذلك إلى أن ﴿مَكَانًا﴾ منصوب على الظرفية، ويصح أن يكون مفعولاً به على أن معنى ﴿ٱنتَبَذَتْ﴾: أتَت مكاناً.

قوله: (من الدار) أي: دار زَوج خالتها وهو: زكريا القيِّمُ عليها، وفي بعض النسخ: (أو شرق بيت المقدس) أي: فقوله في الآية: ﴿شَرْقِيًّا﴾ يحتمل أن يكون شرقيًّا من دارها، أو مِن بيت المقدس.

قوله: (أو تغتسل من حيضها) أي: لأنها كانت تتحوَّل من المسجد في بيت خالتها إذا حاضَت، وتعود إليه إذا طَهُرت، وقد حاضت قبل حملها بعيسى مرَّتين.

قوله: (﴿رُوحَنَا﴾) سمِّي بذلك؛ لأنَّ الله أحيا به القُلوب والأديان؛ كما أنَّ الروحَ به حياةُ الأجسادِ، أو كناية عن محبة الله له كما يَقول الإنسان لمن يحبُّه: أنت روحي.

قوله: (﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾) اختلف في كيفية تمثُّل الملك في غير صُورته الأصليَّة؛ هل تنعدم بقيَّة أجزائه الزائدة، أو تَنفصل مع كونها باقية، أو لا تنفصل وإنما تخفى عن الرائي؟ وهو الذي نَدين الله به؛ لأنَّ لهم قدرةً على التشكُّلات بالصُّوَر الجميلة ولا تحكم عليهم.

قوله: (بعد لُبسها ثيابها) جوابٌ عمَّا يقال: إنَّ الملك لا يَدخل على امرأة مكشوفة الرأس فضلاً عن كونها مكشوفةَ البدن؛ فكيف أتى مريم وهي تغتسل؟! فأجاب المفسِّر: بأنه إنما تمثَّل لها بعد أن لبسَت ثيابها.

﴿بَشَرًا سَوِيًّا ۝١٧ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۝١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ۝١٩ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ ....

﴿بَشَرًا سَوِيًّا﴾: تامَّ الخَلقِ.

(١٨ - ٢٠) ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ فتنتهي عنّي بتعوُّذي، ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ بالنُّبوَّة، ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بَشَرًا سَوِيًّا﴾) أي: بصورة شاب أمرَد معتدل الخِلقة؛ لتأنس بكلامه، ولعلَّه يُهيج شهوتها فتنحدر نطفتها إلى رَحمها[1]، ولا يقال: إنَّ النظر المهيِّج للشهوة حرامٌ؛ لأنَّ ذلك إذا كان مع اختيار، وأمَّا الميل الطبيعي.. فلا يُؤاخذ به الإنسان.

قوله: (﴿بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾) خصَّته بالذكر؛ ليَرحم ضعفها وعجزها عن دَفعه؛ لعدم المغيث لها من الخلق.

قوله: (﴿إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾) أي: عاملاً بمقتضى تَقواك وإيمانك.

قوله: (فتَنتهي عني) هو جواب الشرط، وقدَّره فعلاً مضارعاً مقروناً بالفاء، فهو على تقدير المبتدأ؛ ليكون الجواب جملةً اسميَّةً حتى يسوغ اقترانه بالفاء؛ أي: فأنتَ تَنتهي عني.

قوله: (﴿رَسُولُ رَبِّكِ﴾) أي: جبريل، وقولهم: إنَّ الوحي لم ينزل على امرأةٍ قط؛ أي: برسالة، فأمَّا بغيرها.. فلا مانعَ منه[2].

قوله: (﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾) بالياء والهمزة، قراءتان سبعيَّتان[3]؛ فعلى الأُولى الإسناد لله، وعلى الثانية الإسناد لجبريل؛ لكونه سبباً فيه.

قوله: (﴿غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾) فيه مجازُ الأَوْلِ[4]؛ لأنه حينئذ لم يكن غلاماً.

---

(١) كذا في «تفسير البيضاوي» (٤/ ٧)، ومثل هذا الكلام ليس لائقاً بالسيدة العذراء عليها السلام.

(٢) كما نقله العلامة الكرخي في «حاشيته على الجلالين» عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، والوحي هنا ببشارة الولد لا بالرسالة. انظر «الفتوحات» (٣/ ٥٩).

(٣) قرأ نافع وأبو عمرو «ليهب» بالياء، والباقون بالهمز، انظر «الدر المصون» (٧/ ٥٧٧).

(٤) أي: الصيرورة؛ كما مرَّ في غير موضع من هذا الكتاب. انظر (١/ ٨٤).

وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ....

بتزوُّجٍ، ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾: زانيةً؟

﴿٢١﴾ ﴿قَالَ﴾: الأمرُ ﴿كَذَٰلِكِ﴾ مِن خلقِ غُلامٍ مِنك مِن غيرِ أبٍ، ﴿قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ أي: بِأن يَنفُخَ بِأمرِي جِبريلُ فِيك فتحمِلِي بِه، ولِكَونِ ما ذُكِرَ في مَعنَى العِلَّة عَطَفَ عَلَيهِ: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ على قُدرَتِنا، ﴿وَرَحْمَةً مِنَّا﴾ لِمَن آمَنَ بِه، ﴿وَكَانَ﴾ خلقُه ﴿أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ بِه في عِلمِي. فنَفَخَ جِبرِيلُ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بتزوُّج) دفع به ما يقال: إنَّ قولها: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ يدخل تحته ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾، فأجاب بأنَّ المسَّ عبارة عن النكاح في الحلال، والزنا ليس كذلك، بل يقال: فَجَرَ بها، وما أشبَهه.

قوله: (﴿بَغِيًّا﴾) لم يقل: بَغيَّة؛ لأنَّ (بغيًّا) غالب في النساء، فأجرَوه إجراء (حائض) و(طامث) و(عاقر)، أو يقال: إن أصله: (بَغُوْياً) بوزن (فعول)، اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون، قُلبت الواو ياء، وأدغمت في الياء، وكُسرت الغين لتصح الياء، وحيث كان بزنة (فعول) فلا تَلحقه التاء؛ كما قال ابن مالك[1]: [الرجز]

ولا تَلِي فارِقَةٌ فَعُولَا أصلاً، ولا المِفعالَ والمِفْعِيلَا

وهذا ليس استبعاداً منها لِقدرة الله، وإنما هو تعجُّبٌ من مخالَفة العادة.

قوله: (الأمر) قدَّره؛ إشارةً إلى أن ﴿كَذَٰلِكِ﴾ خبرٌ لمحذوف.

قوله: (﴿قَالَ رَبُّكِ﴾) بمنزلة العِلة، كأنه قيل: الأمر كذلك؛ لأنه علينا هيِّن ولِنجعله... إلخ.

قوله: (على قُدرتنا) أي: كمال قدرتنا على أنواع الخلق؛ فإنه تعالى خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخَلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخَلَق عيسى من أنثى بلا ذكر، وخلق بَقيَّةَ الخلق من ذكر وأنثى.

قوله: (﴿أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾) أي: لا يتغيَّر ولا يَتبدَّل.

قوله: (فنفخ جبريل) أي: نفخة وصلَت إلى فرجها، ودخلت منه جَوفها، وليس المراد: أنه نفخ في فرجها مباشرة.

(١) «الخلاصة»، باب التأنيث، (ص٦٣).

﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾ ....

في جَيبِ دِرعِها، فأَحَسَّت بِالحَملِ في بَطنِها مُصَوَّراً.

(﴿٢٢﴾ - ﴿٢٣﴾) ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ﴾: تَنَحَّت ﴿بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾: بَعِيداً من أهلِها. ﴿فَأَجَآءَهَا﴾: جاءَ بِها ﴿ٱلْمَخَاضُ﴾: وجَعُ الوِلادة ﴿إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ لِتَعتَمِدَ عَلَيهِ، فوَلَدَت، والحَملُ والتَّصوِير والوِلادةُ في ساعةٍ، ﴿قَالَتْ يَٰ﴾ - لِلتَّنبِيهِ - ﴿لَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ الأمرِ ﴿وَكُنتُ نِسْيًا مَّنسِيًّا﴾: شَيئاً مَترُوكاً لا يُعرَفُ ولا يُذكَر.

حاشية الصاوي

قوله: (دِرعها) أي: قَميصها.

قوله: (﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾) أي: بعيداً من أهلها، وهو بيت لحم؛ فراراً من تعيير قومها بولادتها من غير زَوج.

قوله: (﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ﴾) أي: ألجأها.

قوله: (لِتَعتمد عليه) أي: فاعتمَدت عليه، وقيل: حضَنته وكان يابساً فاخضرَّ وأثمر لِوَقته.

قوله: (فولدت) أي: ببَيت لحم، فخافت عليه فجاءت به إلى بيت المقدس، فوَضعته على صخرة فانخفضت الصخرة له وصارت كالمهد، وهي الآن مَوجودة تُزار بحرم بيت المقدس، ثم بعد أيام توجَّهت به إلى بحر الأردن، فغمَسته به، وهو اليوم الذي يتخذه النصارى عيداً ويُسَمُّونه يوم الغطاس، وهم يظنُّون أنَّ المياه في ذلك اليوم تقدَّست؛ فلِذلك يَغطسون في كل ماء.

قوله: (في ساعة) هو الصحيح، وقيل: حملته في ساعة، وصوِّر في ساعة، ووُصف في ساعة، وقيل: كان مدَّة حملها تسعة أشهر، وقيل: ثمانية أشهر، وقيل: ستة أشهر، وسنُّها إذ ذاك عشر سنين، وقيل: ثلاث عشرة سنة، وقيل: ست عشرة سنة.

قوله: (﴿لَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾) إنما تمنَّت الموت؛ لئلا تقعَ المصيبة بمن تكلَّم في شأنها بسوء، وإلَّا.. فهي راضية بما بُشِّرَتْ به.

قوله: (﴿وَكُنتُ نَسْيًا﴾) بكسر النون وفتحها، قراءتان سبعيَّتان[1]، وقوله: ﴿مَّنسِيًّا﴾ تأكيد لـ﴿نَسْيًا﴾.

---

(١) الجمهور على كسر النون وسكون السين وبِصريح الياء بعدها. وقرأ حمزة وحفص وجماعة بفتح النون. انظر «الدر المصون» (٧/ ٥٨٢).

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤﴾ ....

﴿٢٤﴾ ﴿فَنَادَىٰهَا مَن تَحۡتَهَآ﴾ أي: جِبريلُ ـ وكان أسفَلَ مِنها ـ ﴿أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَنَادَىٰهَا﴾) أي: لما شقَّ عليها الأمر وعَلِمت أنها تُتهم ولا بدَّ؛ لعدم وجود بيِّنة ظاهرةٍ تشهد لها.

قيل: أول من عَلم بها يوسف النجار، وكان رفيقاً لها يخدمان المسجد، ولا يُعلم من أهل زمانهما أحدٌ أشدُّ عبادة واجتهاداً منهما، فبقي متحيِّراً في أمرها، ثم قال لها: قد وقع في نفسي من أمرِكِ شيءٌ، وقد حرصت على كِتمانه، فغلبني ذلك، فرأيت أن أتكلَّم به أشفي صَدري، فقالت: قل قولاً جميلاً، قال: أخبريني يا مريم؛ هل يَنبُت زرع بغير بَذر؟ فقالت: نعم ألم تَعلم أنَّ الله أنبت الشجرة بالقدرة من غير بَذر ولا غيث، أو تقول: إنَّ الله تعالى لا يقدر أن يُنبت الشجرة حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على إنباتها؟!

قال يوسف: لا أقول هذا، ولكني أقول: إنَّ الله يَقدر على ما يشاء يقول له: كن، فيكون.

قالت مريم: ألم تَعلم أنَّ الله تعالى خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى، فعِند ذلك زال ما في نفسه من التهمة، وكان يَنُوب عنها في خدمة المسجد مُدَّة نِفاسها[1].

قوله: (﴿مِن تَحۡتِهَآ﴾) بفتح الميم وكسرها، قراءتان سبعيَّتان[2]؛ فعلى الأولى الفاعل هو الموصول، و﴿تَحۡتَهَآ﴾: صلته، وعلى الثانية الفاعل ضمير مستتر، والجار والمجرور متعلِّق بـ(نادى).

قوله: (أي: جبريل) تفسير لـ﴿مَن﴾ على الفتح، وللضمير المستتر في (نادى) على الكسر، وقيل: المنادي لها عيسى، ومعنى كونه تحتَها: أسفل ثيابها، وحينئذ: فيكون قوله: ﴿أَلَّا تَحۡزَنِي﴾ إلى قوله: ﴿فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا﴾ أولَ كلام عيسى.

قوله: (وكان أسفلَ منها) أي: كان جبريل في مكانٍ أسفل من مريم.

قوله: (﴿أَن لَّا تَحۡزَنِي﴾) يحتمل أن تكون (أن) مفسِّرة وقد وجد شرطها وهو: تقدُّم ما هو بمعنى القول، و(لا): ناهية، وحذفت النون للجازم، أو ناصبة، و(لا): نافية، وحُذفت النون للناصب.

---

(١) انظر «تفسير الخازن» (٣/ ١٨٥).

(٢) قرأ الأخوان ونافع وحفص بكسر ميم (من)، وجر (تحتها) على الجار والمجرور، والباقون بفتحها ونصب (تحتها). انظر «الدر المصون» (٧/ ٥٨٣).

﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ﴾ ....

نَهرَ ماءٍ كان انقَطَعَ.

﴿٢٥﴾ ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ كانَتْ يابسةً، ـ والباءُ زائدةٌ ـ ﴿تَسَٰقَطۡ﴾ ـ أصلُه بتاءَينِ قُلِبَت الثَّانِيةُ سِيناً وأُدغِمَت في السين، وفي قِراءة تركُها ـ ﴿عَلَيۡكِ رُطَبٗا﴾ ـ تَمييز ـ ﴿جَنِيّٗا﴾ صِفتُه.

﴿٢٦﴾ ﴿فَكُلِي﴾ مِن الرُّطَب ﴿وَٱشۡرَبِي﴾ مِن السَّرِيِّ ﴿وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ﴾ بِالوَلَدِ ـ تَمييز مُحوَّل مِن الفاعِل ـ أي: لِتَقَرَّ عَينُكِ به ....

حاشية الصاوي

قوله: (نهرَ ماءٍ) وجمعه: سُرْيان؛ كـ: (رغيف) و(رُغفان)، ويطلق السَّريُّ على الشريف الرئيس، وأصله: سَرِيوٌ، اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون، قلبت الواو ياء وأُدغمت في الياء كسيِّد، ويكون المراد به: عيسى، وما مشى عليه المفسِّر أظهَر؛ لمناسبة قوله: ﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي﴾.

قوله: (كان انقطع) أي: ثم جرى وامتلأ ماءً ببركة عيسى وأمِّه.

قوله: (والباء: زائدة) أي: ويَصح أن تكون أصليَّة، والمفعول محذوف، والجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لـ﴿رُطَبٗا﴾، والتقدير: هُزِّي إليك رطباً كائناً بجذع النخلة.

قوله: (وفي قراءة بتَركها) أي: التاء مع تخفيف السين وفتح القاف، وبقي قراءة سبعيَّة أيضاً، وهي ضم التاء مع كسر القاف بمعنى: تُسقط، فـ﴿رُطَبٗا﴾ مفعول به[1].

قوله: (تَمييز) أي: على القراءتين اللَّتين ذكرهما المفسِّر، لا على الثالثة.

قوله: (﴿جَنِيّٗا﴾) أي: تامًّا نضجُه، صالحاً للاجتناء.

قوله: (﴿وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ﴾) العامَّة على فتح القاف من: قرَّ يَقَرُّ بكسر العين في الماضي، وفتحها في المضارع من باب (تَعِبَ)، وقُرِئ شذوذاً بكسر القاف، وهي لغة نجد بفتح العين في الماضي، وكسرها في المضارع من باب (ضرَب).

---

(١) قرأ حمزة (تَسَاقط) بفتح التاء وتخفيف السين وفتح القاف، والباقون غير حفص كذلك إلا أنهم شددوا السين، وحفص بضم التاء وتخفيف السين وكسر القاف. انظر «الدر المصون» (٧/٥٨٧).

فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا ....

أي: تَسكُن فلا تَطمَحُ إلى غيره، ﴿فَإِمَّا﴾ - فِيهِ إدغامُ نُونِ (إن) الشَّرطِيَّة في (ما) الزَّائدة - ﴿تَرَيِنَّ﴾ - حُذِفَت مِنهُ لامُ الفِعل وعَينُه، وأُلقِيَت حَرَكَتُها على الرَّاء، وكُسِرَت ياءُ الضَّمِير لِالتقاءِ السَّاكِنَين - ﴿مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾ فيَسأَلك عَن وَلَدِك، ﴿فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ أي: إمساكاً عَن الكَلام في شَأنِه وغَيره ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: تسكن) أي: فهو من القَرار بمعنى: عدم الحركة، ويصح أن يكون من القَرّ وهو: البَرد؛ لأنَّ العين إذا فرح صاحبها.. كان دمعها بارداً، وإذا حزن.. كان دمعها حارًا، كأنه قال: اتركي الحزن، وافرَحي بما أعطاك ربك.

قوله: (حذف منه لام الفعل) أي: وأصله: تَرْأَيِيْنَ بهمزة هي عين الكلمة، وياء مكسورة هي لامها، وأخرى ساكنة هي ياء الضمير، والنون علامة الرفع، نقلت حركة الهمزة إلى الراء، فسقطت الهمزة، فتحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، فالتقى ساكنان حذفت لالتقائهما، ثم أُكِّد بالنون وحرِّك بالكسر؛ ففيه سِت إعمالات: نقل الحركة، وسقوط الهمزة، وقلب الياء ألفاً، وحذفها، وتأكيده بالنون، وتحريكه بالكسر، وإن نظرتَ لحذف نون الرفع للجازم.. كانت سبعاً، أفاد المفسِّرُ منها خمساً ولم يرتِّبها كما يُعلَم بالتأمُّل.

قوله: (فيَسألك عن ولدك) جوابٌ عمَّا يقال: إن قولها: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ كلامٌ، فقد حصل التناقض، فأجاب: بأن المراد: إذا رأيتِ أحداً من البشر وسألكِ عن أمركِ.. فقُولي... إلخ، ويكون إنشاء النذر من حِين قولها للسائل تلك المقالة[١].

قوله: (﴿صَوْمًا﴾) قيل: كان في بني إسرائيل مَنْ أراد أن يَجتهد.. صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام[٢]؛ فلا يتكلم حتى يُمسي، وفي هذا دلالة على ترك مجادلة السفهاء والتكلم معهم؛ فإنه أغيَظ لهم.

---

(١) وقيل: المراد بقوله: ﴿فَقُولِىٓ...﴾ إلى آخره: أنه بالإشارة، وليس بشيء، بل المعنى: فلن أكلم اليوم إنسيًّا بعد هذا الكلام. انظر «الدر المصون» (٧/ ٥٩٢).

(٢) وقيل: صياماً حقيقةً، وكان صيامُهم فيه الصمتَ، فكان التزامُه التزامَه، وقد نهى رسولُ اللهِ ﷺ عن صومِ الصمتِ، فصار ذلك منسوخاً فِينا. انظر «تفسير النسفي» (٢/ ٣٣٣).

﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ۝٢٦ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ۝٢٧ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ۝٢٨﴾ ....

مَع الأناسِيِّ، بِدَلِيلِ: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ أي: بعدَ ذلك.

(٢٧ - ٢٨) ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾ - حال - فرأوه، ﴿قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾: عَظِيماً حَيثُ أَتَيتِ بِوَلَدٍ مِن غَيرِ أبٍ، ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ هو رَجُلٌ صالِح، أي: يا شَبِيهَتَه في العِفَّة، ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾ أي: زانِياً، ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ أي: زانِيةً، فمِن أينَ لَك هَذا الولدُ؟

حاشية الصاوي

قوله: (مع الأناسيِّ) أي: لا مع الله كالذكر، ولا مع الملائكة؛ لما وَرد: أنها كانت تكلم الملائكة، ولا تُكلم الإنس[1].

والأناسي: بفتح الهمزة جمع إنسِيّ، أو إنسان، وأصله على هذا: أناسِين، قلبت النون ياءً وأدغمت في الياء.

قوله: (أي: بعد ذلك) أي: بعد قولها: ﴿إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾.

قوله: (﴿فَأَتَتْ بِهِۦ﴾) أي: في يوم وَضعه، وقيل: بعد أربعين يوماً لما طهُرت من نفاسها.

قوله: (فرَأوه) أي: أبصَروه.

قوله: (﴿قَالُوا۟﴾) أي: أهلها، وكانوا أهل بيت صالحين؛ بمصدُوق قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٣ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ٣٣-٣٤].

قوله: (﴿لَقَدْ جِئْتِ﴾) أي: فعلتِ وأتيت.

قوله: (﴿فَرِيًّا﴾) من: فَرَيْتُ الجلد: قطعتُه؛ أي: شيئاً قاطعاً وخارقاً للعادة، ومُقطعاً للعرض.

قوله: (هو رجل صالح) أي: في بني إسرائيل، شبِّهت به في عفَّتها وصلاحها، قيل: إنه تَبع جنازته يوم مات أربعون ألفاً من بني إسرائيل كلُّهم يسمَّون هارُون سوى سائر الناس[2].

قوله: (﴿مَا كَانَ أَبُوكِ﴾) أي: عِمران، وقوله: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ﴾ أي: حنَّة.

---

(١) انظر «تفسير الثعلبي» (٦/ ٢١٢)، وفيه: (يقال: كانت تكلم الملائكة ولا تُكلم الإنس).

(٢) وقيل: كان هارون أخا مريم لأبيها، وقيل: إنما عنَوا هارون أخا موسى؛ لأنها كانت من نَسله كما يقال للتميمي: يا أخا تميم، وقيل: كان هارون في بني إسرائيل فاسقاً أعظم الفسق فشبَّهوها به. انظر «تفسير الخازن» (٣/ ١٨٦).

فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ....

﴿٢٩﴾ ﴿فَأَشَارَتْ﴾ لَهُم ﴿إِلَيْهِ﴾ أن: كَلِّمُوهُ، ﴿قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ﴾ أي: وُجِدَ ﴿فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾؟

(﴿٣٠﴾ - ﴿٣١﴾) ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: الإنجيلَ، ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ أي: نَفَّاعاً لِلنَّاسِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾) أي: وحينئذٍ غضب القوم وقالُوا: أتسخرين بنا؟ ثم قالوا: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾.

قوله: (وُجِدَ) أشار المفسِّر إلى أن ﴿كَانَ﴾ تامة، وحينئذ: فـ﴿صَبِيًّا﴾: حال، ويصح أن تكون ناقصة، و﴿صَبِيًّا﴾: خبرها[1].

قوله: (﴿فِى ٱلْمَهْدِ﴾) قيل: المراد به: حِجرها، وقيل: هو المَهد بعينه، وردَ: أنه لما أشارت إليه.. ترك الرضاع، واتَّكأ على يساره، وأقبل عليهم، وجعل يُشير بيَمينه، وقال: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ...﴾ إلخ[2].

قوله: (﴿عَبْدُ ٱللَّهِ﴾) وَصف نفسه بذلك؛ لئلا يُتَّخذَ إلهاً، وكلُّ هذه الأوصاف تقتضي براءةَ أمِّه؛ لأنَّ هذه أوصافُ الكامِلين المطهَّرين من الأرجاس.

قوله: (﴿وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾) أي: في الحال، وقيل: المراد: سيَجعلني بعد الأربعين، قولان للعلماء، والله أعلم بحقيقة الحال.

قوله: (أي: نفَّاعاً للناس) أي: لأنه كان يُبرئ الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى، ويَهدي من ضلَّ.

---

(١) وهي على بابها من دلالتها على اقتران مَضمون الجملة بالزمان الماضي من غير تعرض للانقطاع، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾؛ ولذلك يعبر عنها بأنها تُرادف «لم تزل»، وقيل: «كان» زائدة، ولو كانت ناقصة.. لم يَبق خارقاً للعادة ومحلًّا للتعجب والإنكار؛ فإنَّ كلَّ من يكلمه الناس كان في المهد صبيًّا قبل زمان تكليمه، فتجعل زائدة لمجرد التأكيد من غير دلالة على زمان، والمعنى: كيف نُكلم من هو في المهد الآن حالة كونه صبيًّا؟ فـ﴿صَبِيًّا﴾: حال مؤكدة. انظر «الدر المصون» (٧/ ٥٩٢)، و«حاشية الشهاب على البيضاوي» (٦/ ١٥٤).

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٥/ ٢٢٩).

وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ....

إخبارٌ بما كُتِبَ له، ﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾: أمَرَني بِهما ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾.

(﴿٣٢﴾ - ﴿٣٣﴾) ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي﴾ - منصوبٌ بـ(جعَلني) مُقدَّراً - ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾: مُتَعاظِماً ﴿شَقِيًّا﴾: عاصِياً لِربِّه. ﴿وَٱلسَّلَٰمُ﴾ مِنَ الله ﴿عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ يُقالُ فِيهِ ما تَقدَّم في السيِّد يَحيى.

﴿٣٤﴾ قال تَعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ - بِالرَّفعِ خبَر مُبتَدأ مُقدَّر،

حاشية الصاوي

قوله: (إخبارٌ بما كُتِبَ له) أي: فالماضي بمعنى المستقبل، وقيل: على حَقيقته.

قوله: (أمَرَني بهما) أي: بِفعلهما.

قوله: (﴿وَبَرًّۢا﴾) العامة على فتح الباء، وقرئ بكسرها؛ إما على حذف مضاف؛ أي: ذا برٍّ، أو مبالغةً[1].

قوله: (متعاظماً) أي: بل جَعلني متواضعاً، ومِن تواضعه أنه كان يأكل ورق الشجر، ويَجلس على التراب، ولم يَتخذ له مسكناً.

قوله: (﴿وَٱلسَّلَٰمُ﴾) «أل» فيه: للعهد[2]؛ أي: السلام الحاصل لِيَحيى حاصلٌ لي؛ فلا يقال: إن يحيى سلَّم عليه ربُّه، وعيسى سلَّم على نفسه، بل هو حاكٍ السلام عن الله.

قوله: (﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾) هذا آخر كلامه، ثمَّ سكت بعد ذلك فلم يتكلَّم حتى بَلغ المدة التي يتكلم فيها الأطفال.

قوله: (قال تعالى) أشار بذلك إلى أنَّ هذا من كلام الله تعالى، وأمَّا كلام عيسى.. فقد انتهى إلى قوله: ﴿حَيًّا﴾.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾) أي: المذكورُ بتلك الأوصاف، واسم الإشارة: مبتدأ، و﴿عِيسَى﴾: خبره،

---

(١) وهي قراءة أبي نهيك وأبي مجلز. انظر «المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات» (٢/٤٢).

(٢) وقد تكون للجنس؛ فالمعنى: وجنسُ السلام عليَّ، وفيه تعريضٌ باللعنةِ على أعداءِ مريمَ وابنِها؛ لأنه إذا قال: وجنسُ السلامِ عليَّ.. فقد عرَّضَ بأن ضدَّه عليكم؛ إذ المقامُ مقامُ مُناكَرةٍ وعنادٍ، فكان مَئِنَّةً لمثل هذا التعريض. انظر «الكشاف» (٣/١٦).

﴿ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝٣٤ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ ....

أي: قولُ ابن مَريَم، وبِالنَّصبِ بِتَقدِيرِ (قُلت)، والمَعنى: القَولُ الحقّ - ﴿ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ مِن المِريَة، أي: يَشُكُّونَ وهُم النَّصارى، قالُوا: إنَّ عِيسى ابنُ الله، كَذَبوا.

﴿٣٥﴾ ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ﴾ تَنزِيهاً لَهُ عَن ذلك، ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ أي: أرادَ

حاشية الصاوي

و﴿ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾: صفته، و﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾: خبر مبتدأ محذوف؛ أي: قولُ ابن مريم قولُ الحق، وهو مِن إضافة الموصوف للصفة؛ أي: القَول الحق، والمعنى: أن الموصوف بما ذُكر من الأوصاف هو عيسى بن مريم، وقوله: (القولَ الحقَّ) أي: الصدق المطابق للواقع.

قوله: (وبالنصب) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (بتقدير «قُلت») أي: فهو مصدر مؤكِّد لعامله.

قوله: (والمعنى) أي: على كلٍّ من القرائن؛ فعلى الرفع يكون المعنى: قول عيسى القول الحق، وعلى النصب يكون المعنى: قُلت حاكياً عن عيسى القولَ الحق، والقائل ذلك هو الله تعالى.

قوله: (﴿ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾) خبر لمحذوف؛ أي: هو عيسى الذي فيه يَترددون ويتحيرون.

قوله: (قالوا: إن عيسى ابن الله) أي: وقالوا غير هذه المقالة؛ كما يأتي في قوله: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ [مريم: ٣٧]، وإنما اقتصر على هذه هنا؛ لأنها التي يتضح إبطالها بقوله: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ...﴾ إلخ.

قوله: (﴿مَا كَانَ لِلَّهِ﴾) أي: لا يُمكن ولا يتأتى؛ لأنه مستحيلٌ لا تتعلَّق به القدرة.

قوله: (﴿أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾) «أنْ» وما دخلت عليه: في تأويل مصدر اسم ﴿كَانَ﴾، والمعنى: ما كان اتخاذ الولد من صِفته، بل هو محالٌ، قال تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝٩١ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٠-٩٢].

قوله: (عن ذلك) أي: اتخاذ الولد.

قوله: (﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾) هذا كالدليل لما قبله، كأنه قال: إنَّ اتِّخاذَ الولد والسَّعيَ في أسبابه شأنُ العاجز الضعيف المحتاج الذي لا يَقدر على شيء، وأما القادر الغني الذي يقول للشيء: كُن،

(١) قرأ عاصم وحمزة وابن عامر (قول الحق) بالنصب، والباقون بالرفع. انظر «الدر المصون» (٧/٥٩٨).

﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ ....

أن يُحدِثَهُ ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ - بالرَّفعِ بتَقدِيرِ (هو)، وبالنَّصبِ بتَقدِيرِ (أنْ) -، ومِن ذلك خَلقُ عِيسَى مِن غيرِ أبٍ.

﴿٣٦﴾ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾ - بفَتحِ (أنَّ) بتَقديرِ (اذكُر)، وبِكَسرِها بتَقدِيرِ (قُل) -، بِدَلِيلِ: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٧]، ﴿هَٰذَا﴾ المَذكُورُ ﴿صِرَٰطٌ﴾: طَرِيق ﴿مُّسْتَقِيمٌ﴾: مُؤَدٍّ إلى الجَنَّة.

﴿٣٧﴾ ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ أي: النَّصارَى في عِيسى أهو ابنُ الله أو إلَهٌ معهُ أو ثالِثُ ثَلاثَة؟ ....

حاشية الصاوي

فيكون.. فلا يحتاج في اتخاذ الولد إلى إحبال الأنثى، وحيث أوجده بقَول: كن.. لا يسمَّى ابناً له، بل هو عبده ومَخلوقه، فهو تبكيتٌ وإلزامٌ لهم بالحُجَج الباهرة.

قوله: (بتقدير «أن») أي: بعد فاء السببية الواقعة بعد الأمر[١].

قوله: (﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ﴾) هذا من كلام عيسى، سَواء قرئ بكسر (إن) أو فتحها[٢]، فهو من تعلُّقات قوله: ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ إلخ.

قوله: (بتقدير «اذكر») أي: اذكر يا عيسى أن الله... إلخ.

قوله: (بتقدير «قل») أي: و(إنَّ) تُكسَرُ بعد القول.

قوله: (﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾) من كلام عيسى أيضاً.

قوله: (المذكور) يعني: القول بالتوحيد ونَفي الولد.

قوله: (﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ﴾) أي: إنَّ النصارى تحزَّبوا وتفرَّقوا في شأن عيسى بعد رفعه إلى السماء أربعَ فِرق: اليعقوبية، والنسطورية، والملكانية، والإسلامية؛ لما روي: أنه اجتمع

---

(١) قرأ ابن عامر بنصب (فيكون)، والباقون برفعها. انظر «الدر المصون» (٢/ ٨٨).

(٢) قرأ ابن عامر والكوفيون بكسر «إن» على الاستئناف، ويؤيدها قراءة أبيٍّ: (إن الله) بالكسر دون واو، وقرأ الباقون بفتحها. انظر «الدر المصون» (٧/ ٥٩٨).

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ....

﴿فَوَيْلٌ﴾: فشِدَّةُ عَذاب ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بِما ذُكِرَ وغَيرِه، ﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: حُضُورِ يَوم القِيامةِ وأهوالِه.

﴿٣٨﴾ ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ بِهِم، صِيغَتا تَعَجُّب بِمَعنًى: ما أسمَعَهُم وما أبصَرَهم! ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ في الآخِرةِ ....

حاشية الصاوي

بنو إسرائيل فأخرجوا منهم أربعة نفرٍ، من كلِّ قومٍ عالمهم، فامترَوا في شأن عيسى حين رفع، فقال أحدهم: هو الله هبَط إلى الأرض فأحيا مَنْ أحيا، وأمات من أمات، ثم صَعد إلى السماء، وهم اليعقوبية، فقالت الثلاثة: كذبتَ، ثم قال اثنان منهم للثالث: قُل فيه، قال: ابن الله، وهم النسطورية، فقال الاثنان: كذَبت، ثم قال أحد الاثنين للآخر: قُل فيه، فقال: هو ثالث ثلاثة: الله إله، وهو إله، وأُمه إله، وهم الملكانية، فقال الرابع: كذبتَ، بل هو عبد الله ورسوله وكلمته وهم المسلمون، وكان لكلِّ رجلٍ منهم أتباعٌ على ما قال: فاقتَتلوا وظهروا على المسلمين[1].

وكفرُ الفرقةِ الأخيرة بعدم اتباعهم لِنَبينا ﷺ من حين البعث، وأما الذين اتَّبعوه منهم.. فهم الذين يُعْطَوْن أجرهم مرَّتين كالنجاشي وأتباعه، وسلمان وأتباعه، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟...﴾ [المائدة: ٨٢] الآيات.

قوله: (فشِدة عذاب) وقيل: المراد بالوَيل: وادٍ في جهنم يأكل الحجارة والحديد، قُوتُهم فيه الجيف.

قوله: (﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾) يُطلق المشهد على الشهادة، وعلى الحضور، وهو المراد هنا، وسمِّي بذلك؛ لِشهادة الأعضاء عليهم بما كسبُوا، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤].

قوله: (﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾) هو فِعل ماض جاء على صورة الأمر، ومعناه التعجب، وإعرابه: ﴿أَسْمِعْ﴾ فعل ماض للتعجب، والباء: زائدة، والضمير: فاعِله، ﴿وَأَبْصِرْ﴾: مثله، وحذف (بهم) من الثاني؛ لِدلالة الأول عليه.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/٢٤٠٨) عن قتادة.

﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ ....

﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ - مِن إقامة الظَّاهِر مُقامَ المُضمَر - ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ أي: في الدُّنيا ﴿فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: بَيِّن به صُمُّوا عَن سَماع الحَقِّ وعَمُوا عن إبصارِه، أي: اعجَبْ مِنهُم يا مُخاطَب في سَمعِهِم وإبصارِهِم في الآخِرةِ بعدَ أن كانُوا في الدُّنيا صُمًّا عُمْياً.

﴿٣٩﴾ ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾: خَوِّفْ يا مُحمَّد كُفَّارَ مكَّةَ ﴿يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ هو يَومُ القِيامة، يَتَحَسَّر فِيه المُسِيءُ على تَركِ الإحسان في الدُّنيا، ﴿إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ لَهُم فِيه بِالعَذابِ، ....

حاشية الصاوي

وليس المراد التعجب من المتكلم وهو الله تعالى؛ لاستِحالته عليه، بل المراد: التعجيب وهو: حملُ المخاطب على التعجب؛ أي: اعجبُوا يا عبادي من شِدة سمعهم وبصرهم لذلك اليوم.

قوله: (من إقامة الظاهر مُقام المضمر) أي: إشارةً إلى أنَّ من اتصف بصفاتهم يسمَّى ظالماً.

قوله: (﴿فِى ضَلَٰلٍ﴾) أي: خطأ وعدم اهتِداء للحق.

قوله: (به صمُّوا) أي بسبب الضلال في الدنيا حَصل لهم الصَّمم، فالعجب منهم في الحالتين شدة الإسماع والإبصار في الآخرة، وضِدهما في الدنيا.

قوله: (هو يوم القيامة) أي: وله أسماء كثيرة؛ منها: يوم الدين، ويوم الجزاء، ويوم الحساب، والحاقَّة، والقارعة، واليوم الموعود... وغير ذلك.

قوله: (يتحسَّر فيه المسيء... إلخ) أي: والمحسِن على ترك الزيادة في الإحسان؛ كما في الحديث[1].

قوله: (﴿إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾) أي: حُكِمَ وأمضي، وذلك أنه ورد: «**إذا استقرَّ أهل الجنة في الجنة، وأهلُ النار في النار.. يُؤتى بالموت في صورة كبش، فيُذبح بين الجنة والنار، ويُنادي المنادي: يا أهل الجنة؛ خُلود بلا موت، ويا أهلَ النار خلود بلا موت**»[2] فعند ذلك يَزداد أهل النار حسرةً على حسرتهم، وأهلُ الجنة فرحاً على فرحهم.

---

(١) فيما رواه الترمذي (٢٤٠٣) عن سيدنا أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِن أحد يَموت إلا ندم»، قالوا: وما نَدامته يا رسول الله؟ قال: «إن كان محسناً.. ندم ألا يكون ازداد، وإن كان مُسيئاً نَدم ألا يكون نَزع».

(٢) رواه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٧٢٨٣) عن سيِّدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ ....

﴿وَهُمْ﴾ في الدُّنيا ﴿فِي غَفْلَةٍ﴾ عنهُ ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بِه.

﴿٤٠﴾ ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ ـ تأكيد ـ ﴿نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ مِن العُقَلاء وغَيرِهم بِإهلاكِهم، ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ فِيه لِلجَزاء.

(﴿٤١﴾ - ﴿٤٢﴾) ﴿وَٱذْكُرْ﴾ لَهُم ﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي: خَبَرَه، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا﴾: مُبالِغاً في الصِّدقِ، ﴿نَّبِيًّا﴾ ويُبدَل مِن (خَبَره): ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ آزَرَ: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾) الجملة حالية، وكذا قوله: ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وهذا الإنذار لكلِّ مكلَّف، وإنما خصَّه المفسِّر بأهل مكة؛ لأنهم سببُ نزولها، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

قوله: (بإهلاكهم) أي: فلا يبقى حيٌّ سوى الله تعالى؛ لما ورد: **«أنَّ الله تعالى يُنادي بعد انقراض الدنيا بأهلها: لِمَن الملك اليوم؟ فيُجيب نفسه بقوله: لله الواحد القهار»**[1].

قوله: (﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾) أي: يُرَدُّون؛ فيجازى كلُّ أحدٍ بما قدَّمه من خيرٍ وشرٍّ.

قوله: (﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ﴾) يحتمل أنه مَعطوف على قوله: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾، والمعنى: واذكر لأهل مَكة قصة إبراهيم لعلهم يَعتبرون فيؤمنوا، ويحتمل أنه معطوف على قوله: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾ عطفَ قصةٍ على قصةٍ، وهو الأقرَب.

قوله: (مبالغاً في الصدق) أي: في أقوالِه وأفعاله وأحواله.

قوله: (﴿نَّبِيًّا﴾) وصف خاص؛ لأنَّ كلَّ نبيٍّ صدِّيق ولا عكس، وبين الولاية والصِّديقيَّة عمومٌ وخصوصٌ مطلقٌ أيضاً؛ فكلُّ صدِّيق وليٌّ ولا عكس؛ لأنَّ الصِّديقيَّة مرتبةٌ تحتَ مرتبةِ النبوَّة.

قوله: (ويبدل من «خبرُه») أي: بدل اشتمال، وحينئذٍ فقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ مُعترِض بين البدل والمبدل منه.

قوله: (﴿لِأَبِيهِ﴾) قيل: حقيقةً، وهو ما مشى عليه السيوطي في سورة (الأنعام)[2] تبعاً للمفسِّر

---

(١) رواه البيهقي في «البعث والنشور» (٦٠٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر (٢/ ٣٩٤).

﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾﴾ ....

﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ ـ التَّاء عِوَض عن ياءِ الإضافةِ، ولا يُجمَعُ بَينَهما ـ، وكان يُعبَد الأصنامَ ﴿لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ﴾: لا يكفِيك ﴿شَيۡـٔٗا﴾ مِن نَفعٍ أو ضُرٍّ.

(﴿٤٣﴾ - ﴿٤٥﴾) ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا﴾: طَرِيقاً ﴿سَوِيّٗا﴾: مُستَقيماً، ....

حاشية الصاوي

هنا، ولا يضرُّ كفرُ أصول الأنبياء؛ فإنَّ الله يخرج الحيَّ من الميت، ولا يُنافيه قوله ﷺ: **«ما زلتُ أتنقَّل من الأصلاب الطاهِرة إلى الأرحام الفاخرة»**[1]؛ لأنَّ المعنى: الطاهرة من سِفاح الجاهلية وإن كانوا كفاراً، أو يقال: إنَّ آزَر لم يتحقَّق كفره إلا بعد بعثة إبراهيم، وحينئذٍ: فقد انتقل منه النور المحمَّدي إلى ولده وهو في حالةِ الفترة.

وقيل: هو عمُّه، واسم أبيه تارخ، وسمِّي أباً على عادة الأكابر من تَسمية العم أباً، وعليه: فلا يرد الحديث المتقدِّم، وهما قولان للمُفسرين.

قوله: (التاء عوض عن ياء الإضافة) أي: فأصله: أبي، فيُقال في إعرابه: (يا): حرف نداء، و(أب): منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة، والتاء: عِوض عن الياء.

قوله: (ولا يجمع بينهما) أي: فلا يقال: يا أبَتي؛ لأنَّ فيه الجمعَ بين العوض والمعوَّض، ويقال: يا أبتَا؛ لأنَّ الألف عوضٌ عن الياء أيضاً؛ ففيه جمع بين عِوضين.

قوله: (﴿لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ﴾) أي: لأيِّ سببٍ تَعبد ما لا سمع فيه ولا بصر؟

قوله: (أو ضُرٍّ) أي: أو دفع ضرٍّ.

قوله: (﴿مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾) أي: العِلم بالتوحيد والشرع.

قوله: (﴿فَٱتَّبِعۡنِيٓ﴾) أي: امتَثِل أمري فيما آمرُك به.

قوله: (مُستقيماً) أي: لا اعوِجاج فيه.

---

(١) رواه الآجري في «الشريعة» (٩٦٠) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ ....

﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾ بطاعَتِك إيَّاهُ في عِبادةِ الأصنامِ، ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا﴾: كثيرَ العِصيانِ، ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ إنْ لَم تَتُب، ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا﴾: ناصِراً وقَرِيناً في النَّار.

﴿٤٦﴾ ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ﴾ فتَعِيبُها، ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ﴾ عن التَّعرُّض لَها ﴿لَأَرۡجُمَنَّكَۖ﴾ بِالحِجارةِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بِطاعتك إيَّاه) أي: فالمراد بعبادته: امتثالُ أمرِه في عبادة الأصنام؛ حيث حسَّنها له بوَسوَسته.

قوله: (﴿عَصِيّٗا﴾) أي: وطاعة العاصي عِصيان.

قوله: (﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ﴾) أي: في المستقبل إن لم ترجع، وإنما عبَّر بالخوف؛ لأنه لم يكن قاطعاً بموته على الكفر، بل كان مترجياً إيمانه، وقيل: المراد بالخوف: العِلم، والأقرب: الأول؛ لأنه لو عَلم عدم هدايته.. ما خاطبَه بهذا الخطاب اللطيف.

قوله: (ناصراً وقريناً) المناسب: الاقتصار على تفسيره بالقرين؛ لأنه بعد الدخول في العذاب لا يتأتّى مُعاونتُه ولا مناصرتُه.

قوله: (﴿أَرَاغِبٌ﴾) مبتدأ، و﴿أَنتَ﴾: فاعل سدَّ مسدَّ الخبر، وسوَّغه اعتماده على الاستفهام، وهو أولى من جعله خبراً مقدَّماً، و﴿أَنتَ﴾: مبتدأ مؤخر؛ لأنه يَلزم عليه الفصل بين العامل وهو ﴿أَرَاغِبٌ﴾ والمعمول وهو ﴿عَنۡ ءَالِهَتِي﴾ بِأجنبي وهو ﴿أَنتَ﴾؛ لأن المبتدأ غيرُ مَعمول للخبر[1].

قوله: (﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ﴾... إلخ) قابَلَ التَّعطُّف واللَّطافة في الخطاب بالفَظاظة والغلظة، فناداه باسمه، وصدَّر كلامه بالإنكار، وهدَّده بقوله: ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ﴾، وكلُّ إناءٍ بالذي فيه يَنضح.

قوله: (بالحجارة) أي: حتى تموت أو تخلّي سَبيلي.

(١) خلافاً للزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٢٢).

﴿وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ ....﴾

أو بِالكَلامِ القَبيحِ فاحذَرْني، ﴿وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾: دَهراً طَويلاً.

﴿٤٧﴾ ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾ مِنِّي، أي: لا أُصيبُك بِمَكرُوهٍ، ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ مِن (حَفِيَ) أي: بارًّا فيُجِيب دُعائي، وقد وَفى بِوَعدِهِ بقولِه المَذكُور في (الشُّعَراء): ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ﴾ [٨٦]، وهذا قبلَ أن يَتَبيَّن لَهُ أنَّهُ عَدُوٌّ لله كما ذَكَرَه في (براءة).

﴿٤٨﴾ ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾: تَعبُدُون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟﴾: أَعبُدُ ....

حاشية الصاوي

قوله: (أو بالكلام القبيح) أي: الشتمِ والذَّمِّ.

قوله: (فاحذَرني) قدَّره؛ إشارةً إلى أن قوله: ﴿وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ معطوف على مَحذوف؛ ليَحصل التناسب بين المعطوف والمعطوف عليه؛ فإن جملة (اهجُرني) إنشائية، وجملة (لئن لم تنته... إلخ) خبريَّة، ولا يصحُّ عطف الإنشاء على الخبر[1].

قوله: (﴿مَلِيًّا﴾) إما منصوب على الظرفية، وإليه يشير المفسِّر بقوله: (دهراً طويلاً)، أو على الحال من فاعل (اهجُرني) أي: اعتَزلني سالماً لا يُصيبك منِّي مَضرَّة.

قوله: (أي: لا أُصيبك بمكروه) أي: فهو سلام مُتاركة ومقاطعة.

قوله: (﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾) أي: أطلُب غُفرانه لك المترتِّب على هدايتك وإسلامك.

قوله: (﴿حَفِيًّا﴾) أي: مبالِغاً في إكرامي واللطف بي والاعتناء بشأني، ويُطلق الحفيُّ على المستقصي في السؤال، ومنه: قوله تعالى: ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧].

قوله: (وهذا قبل أن يَتبين له أنه عدوٌّ لله) هذا جوابٌ عمَّا يقال: كيف يَجوز الاستغفار للكفار؟ فأجاب: بأنه استغفر له قبل عِلمه أنه عدو لله، فلمَّا عَلم ذلك.. تبرَّأ منه، وبهذا تَعلم أنه يجوز الدعاء بالمغفرة للكافر إن قُصد بها هدايته وإسلامه؛ فإن قُطِع بكفره.. فلا يجوز.

قوله: (﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ﴾) أي: أرتحل من أرضكم وبلادكم، وقد فعَل ذلك.

---

(١) وهذا التناسب ليس بلازم عند سيبويه؛ لأنه يُجيز عطف الجملة الخبرية على الجملة الإنشائية. «فتوحات» (٣/ ٧٣) نقلاً عن «حاشية الكرخي على الجلالين»، وانظر تفصيل المسألة في «مُغني اللبيب» (ص٦٢٧).

رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا ....

﴿رَبِّي عَسَىٰٓ أَ﴾ن ﴿لَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي﴾: بِعبادَتِه ﴿شَقِيًّا﴾ كما شَقِيتُم بِعبادةِ الأصنامِ.

﴿٤٩﴾ ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ بِأن ذَهَبَ إلى الأرضِ المُقدَّسةِ، ﴿وَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾ ابنَينِ يَأنس بِهِما: ﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا﴾ مِنهُما ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾.

﴿٥٠﴾ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم﴾: لِلثَّلاثةِ ﴿مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ المالَ والوَلَد، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾: رَفِيعاً هو الثَّناء الحَسَنُ في جَمِيع أهلِ الأديانِ.

﴿٥١﴾ ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بأن ذهب) أي: من بابِل بالعراق إلى الأرض المقدَّسة.

قوله: (يأنس بهما) استفيد منه: أنه رأى يعقوب، وهو كذلك؛ لما تقدَّم أنه مُبشَّر بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، وقد عاش إبراهيم مئة وخمساً وسبعين سنة، وبينَه وبين آدم ألفا سنة، وبينَه وبين نوح ألف سنة.

قوله: (﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾) خصَّهما؛ لأنه سيَذكر إسماعيل بمزايا تخصُّه.

قوله: (للثلاثة) أي: إبراهيم وولدَيه.

قوله: (المال والولد) أي: فبسط لهم الدنيا، ووسَّع لهم الأرزاق، وأكثر لهم الأولاد؛ فجَميع الأنبياء الذين جاؤوا بعده من ذريَّته.

قوله: (في جميع أهل الأديان) أي: فكل أهل دِين يترضَّون عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ويذكرونهم بخَير إلى يوم القيامة.

قوله: (﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ﴾) معطوف على قوله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾ عطف قصة على قِصة، والحاصل: أنَّ الله تعالى ذكر في هذه السورة أسماء عشرة من الأنبياء: زكريا، ويحيى، وعيسى، وإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وإسماعيل، وموسى، وهارون، وإدريس، وذكر لكلٍّ أوصافاً ومناقبَ يجب الإيمان بها؛ تنبيهاً على عظيم شأنهم، وتعليماً للأمة المحمَّدية؛ ليقتدُوا بهم، وكذا يُقال في جميع قِصص الأنبياء المذكورة في القرآن.

وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ ....

ـ بِكَسرِ اللَّام وفَتحِها، مِن أخلَصَ في عِبادَته، وأخْلَصَه الله مِن الدَّنَس ـ، ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾.

﴿٥٢﴾ ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾ بِقَولِ: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [القصص: ٣٠] ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ اسم جَبَل ﴿ٱلْأَيْمَنِ﴾ أي: الَّذِي يَلِي يَمِين مُوسى حِينَ أقبَلَ مِن مَديَنَ، ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾: مُناجِياً بِأن أسمَعَهُ الله تعالى كَلامَه.

حاشية الصاوي

قوله: (بكسر اللام وفتحها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (من أخلص في عِبادته) أي: لم يَلتفت لغير مولاه، وهذا راجع لقراءة الكسر.

قوله: (وخلَّصه الله) أي: صفَّاه ونقَّاه، وهو راجع لقراءة الفتح، فيكون لفًّا ونشراً مرتباً؛ فموسى عليه السلام صفَّاه مَولاه واختاره لخدمته ومحبَّته، فتسبَّب عن ذلك إخلاصه في عبادته.

قوله: (﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾) أي: ثبت واستقرَّ أزلاً في علمنا نبوَّته ورسالته، وإلَّا.. فرسالته في الخارج حينَ المناداة.

قوله: (بقول: يا موسى) أي: في سورة (القصص) في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ...﴾ [القصص: ٢٩] الآيات.

قوله: (اسم جبل) هو معروف بين مَدين ومصر.

قوله: (الذي يلي يَمين موسى) هذا صريحٌ في أن المراد به: الطور الذي عِند بيت المقدس، لا الطور الذي عند السويس؛ لأنه على يَسار المتوجه من مدين إلى مصر كما هو مُشاهد.

و﴿ٱلْأَيْمَنِ﴾: صفة لِلجانب بدليل تبعيَّته له في الإعراب في قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾، والمعنى: أنه سمع النداء في ذلك المكان بِجميع أجزائه من كلِّ جهة.

قوله: (﴿وَقَرَّبْنَٰهُ﴾) أي: تقريبَ شرف ومكانة، لا مكان.

قوله: (من كلِّ جهة) أي: بكل جارِحة[2].

---

(١) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بفتح اللام، والباقون بكسرها. انظر «السراج المنير» (٢/٤٣١).

(٢) كذا في الأصول، ولعلها زيادة من نسخة المصنف رحمه الله تعالى.

وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ ....

﴿٥٣﴾ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ﴾: نِعمَتِنا ﴿أَخَاهُ هَٰرُونَ﴾ ـ بَدَل أو عَطف بَيان ـ ﴿نَبِيًّا﴾ حال هي المَقصُودة بِالهِبة إجابةً لِسُؤالِهِ أن يُرسِلَ أخاهُ معهُ، وكان أسَنَّ مِنهُ.

﴿٥٤﴾ ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ لَم يَعِد شَيئاً إلَّا وفَّى بِه، وانتَظَرَ مَن وعَدَهُ ثَلاثَةَ أيَّام أو حَولاً حتَّى رَجَعَ إلَيهِ في مَكانِه، ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾ إلى جُرهُم ﴿نَّبِيًّا﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (بدل أو عطف بيان) أي: و﴿أَخَاهُ﴾: مفعول به، وقوله: ﴿مِن رَّحْمَتِنَآ﴾ أي: من أجل رحمتِنا.

قوله: (هي المقصودة بالهبة) جوابٌ عمَّا يقال: ما معنى هِبته له مع كونه أكبر منه؛ والموهوب يكون متأخِّراً عن الموهوب له؟ فأجاب: بأن المراد: جعَله نبيًّا يُعينه ويشدُّ عَضُده.

قوله: (إجابة لسؤاله) تعليل لقوله: (وهبنا) حيث قال: ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى﴾.

قوله: (وكان أسنَّ منه) أي: بأربع سنين.

قوله: (﴿إِسْمَٰعِيلَ﴾) أي: ابن إبراهيم، وكان من هاجر جارية سارية التي وهبَتْها له، فلمَّا ولدت إسماعيل.. نقَلها إلى الحجاز قبل بناء البيت، فتربَّى إسماعيل بين جُرْهم عرَب من اليمن، فزوَّجوه منهم، فلمَّا كبِرَ.. أرسَله الله إليهم؛ كما قال المفسِّر، ثم تناسلَت منه العرب الذين منهم رسول الله ﷺ، وكَفاه بهذا فخراً، ولما كان أعظم مزيَّة من أولاد إبراهيم.. أفرَده بالذكر والثناء.

قوله: (﴿صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾) خصَّ بهذا الوصف وإن كان موجوداً في غيره من الأنبياء؛ لأنه المشهور بين خِصاله.

قوله: (وانتظر مَنْ وعده) أي: شخصاً وعده إسماعيل، وكان عليه إبراز الضمير؛ لأنَّ الصلة جرَت على غير مَن هي له، والمعنى: أن إسماعيل وعد شخصاً أن ينتظره في مكان ليَذهب الرجل ويأتي له، فمكث ثلاثة أيام أو حولاً[1].

قوله: (﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾) أي: بشَريعة أبيه.

---

(١) وناهيك أنه وعدَ من نفسه الصبرَ على الذبح فَوَفَّى، وقيل: لم يَعِدْ ربَّه موعداً إلا أنجزَه. انظر «تفسير النسفي» (٢/ ٣٤١).

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ ....

﴿٥٥﴾ ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ﴾ أي: قومه ﴿بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ أصله: مَرضُووٌ، قُلبت الواوانِ ياءَينِ والضَّمَّةُ كسرةً.

(﴿٥٦﴾ - ﴿٥٧﴾) ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ﴾ هو جَدُّ أبِي نُوح، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ هو حَيٌّ في السَّماء الرَّابِعة أو السَّادِسة أو السَّابِعة، أو في الجَنَّة، أُدخِلَها بَعد أن أُذِيقَ المَوتَ وأُحيِيَ ولَم يَخرُج مِنها.

حاشية الصاوي

قوله: (قُلبت الواوان. . . إلخ) أي: فوقعت الواو الثانية متطرفةً، قلبت ياء، فاجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قُلبت الواو ياء، وأدغمت في الياء، وهذا الوصف جامعٌ لكلِّ خيرٍ؛ لأنَّ من كانت أفعاله مرضيَّة لربِّه لا يَصدر عنه إلَّا كل برٍّ وإحسان، ولا شكَّ أن الأنبياء كذلك؛ لأنَّ الله أعلمُ حيث يَجعل رسالته.

قوله: (﴿إِدْرِيسَ﴾) هذا لقبُه، واسمه: أَخْنُوخُ بن شيث بن آدم، ولقِّب بذلك؛ لأنه أول من درَس الكتب[1]؛ لأنَّ الله أنزل عليه ثلاثين صَحيفة؛ قيل: هي التي نزَلت على أبيه، وقيل: غيرها، وهو أول من خطَّ بالقلم، وخاطَ الثياب، واتَّخذ السلاح، وقاتل الكفار، ونظرَ في عِلم النجوم والحساب.

قوله: (هو جدُّ أبي نوح) أي: لأنَّ نوحاً ابن لَمْك ـ بفتح اللام وسكون الميم ـ بن متوشلخ بن إدريس.

قوله: (﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾) اختَلف المفسرون في المكان العليِّ؛ فقيل: المراد به: المكان المعنَوي، وهو الرفعة وعلوُّ المنزلة، وقيل: المراد به: المكان الحسِّي، وعليه: فقيل: هو السماء الرابعة، وقيل: الجنة.

واختَلفوا في سبب رفعه؛ فقيل: إنه كان لإدريس كلَّ يوم من العبادة مثلُ ما يُرفع لجميع أهل الأرض في زمانه، فعَجب منه الملائكة، واشتاق إليه مَلَك الموت، فاستأذن ربَّه في زيارته، فأَذن

(١) وقولُهم: سُمِّيَ به لكثرة دراستِه كتبَ اللهِ لا يصحُّ؛ لأنه لو كان (إفعيلاً) من الدَّرس لم يكُن فيه إلا سببٌ واحدٌ وهو العَلَمية، وكان منصرفاً، فامتناعُه من الصرف دليلُ العجمةِ. انظر «الكشاف» (٤/ ٢٨).

. . . .

حاشية الصاوي

له، وأتاه في صورة بني آدم وكان إدريس يَصوم الدهر، فلمَّا كان وقت إفطاره.. دَعاه إلى طعامه، فأبى أن يأكل معه، ففَعل ثلاث ليال، فأنكره إدريس وقال له في الليلة الثالثة: إني أريد أن أعلَمَ مَن أنت؟ قال: أنا ملك الموت، استَأذنت ربي أن أصحبك، فقال: لي إليك حاجة، قال: ما هي؟ فقال: تَقبض روحي، فأوحى الله إليه أن اقبِض روحه، فقبضها وردَّها إليه في ساعة، فقال له مَلك الموت: ما الفائدة في سُؤالك قبض الروح؟ قال: لأذُوق الموت وغمَّته فأكون أشدَّ استِعداداً، ثم قال له إدريس: إنَّ لي إليك حاجة، قال: وما هي؟ قال: تَرفعني إلى السماء؛ لأنظر إليها وإلى الجنة والنار، فأذن الله له، فرَفعه، فلما قرُب من النار.. قال: لي إليك حاجة، قال: وما تريد؟ قال: تسأل مالكاً حتى يفتَح أبوابها، ففعل، فقال له: كما أريتَني النار.. فأرِني الجنة، فذهب به إلى الجنة، فاستفتح ففتح أبوابها، فأدخَله الجنة، ثم قال له مَلك الموت: اخرج لتعود إلى مقرِّك، فتعلَّق بشجرة وقال: ما أخرج منها، فبَعث ملكاً حكماً بينهما، فقال له الملك: ما لك لا تخرُج؟ قال: لأنَّ الله تعالى قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] وقد ذُقته، وقال: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] وقد وَردتها، وقال: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨] ولستُ أخرج، وأوحى الله إلى مَلك الموت بإذني دخَل الجنة، وبأمري لا يَخرج منها فهو حيٌّ هناك[1].

وقيل: سببه: أنه نام ذاتَ يوم، فاشتدَّ عليه حرُّ الشمس، فقال: اللهم خفِّف عن مَلك الشمس وأعِنْهُ؛ فإنه يمارس ناراً حامية، فأصبح مَلك الشمس وقد نُصِبَ له كرسيٌّ من نُور عنده سبعون ألف ملك عن يمينه، ومِثلها عن شماله يَخدمونه ويتولَّون عمله من تحت حُكمه، فقال ملك الشمس: يا رب؛ مِن أين لي هذا؟ قال: دعَا لك رجل من بني آدم يقال له: إدريس، فقال: يا رب؛ اجعَل بيني وبينه خُلَّة، فأذن له في ذلك، فصار يتردَّد على إدريس، فقال له: إنك أكرم الملائكة عند مَلك الموت؛ فاشفَع لي عنده؛ ليؤخر أَجلي فأزدادَ عبادةً وشكراً، فقال الملك: لا يُؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها، فرَفعه في مكانه، ثم أتى ملَك الموت فقال له: لي صَديق من بني آدم يَتشفع بي إليك؛ لتؤخر أجله، فقال: ليس ذلك لي، ولكن إن أحببتَ.. أعلمته متى يموت فيُقدم لنفسه، قال: نعم، فنَظر في ديوانه فقال: إنك كلَّمتني في إنسان يموت الساعةَ عند مطلع الشمس، قال: إني أتيتُك وتركته

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٥/ ٢٣٩) عن وهب بن مُنبه، وانظر الأقوال في سبب رَفعه عليه السلام في «زاد المسير» (٣/ ١٣٦).

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ﴾ ....

(٥٨) ﴿أُولَٰئِكَ﴾ ـ مُبتدأ ـ ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ ـ صِفة لَهُ ـ ﴿مِّنَ النَّبِيِّينَ﴾ ـ بَيان لَهُ، وهو في مَعنَى الصِّفة، وما بَعده إلى جُملة الشَّرط صِفة لِلنَّبِيِّينَ ـ، فقَولُه: ﴿مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾ أي: إدرِيسَ ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ في السَّفِينة أي: إبراهيمَ ابنَ ابنِه سام، ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: إسماعِيلَ وإسحاق ويَعقُوب ﴿وَ﴾ مِن ذُرِّيَّة ﴿إِسْرَائِيلَ﴾ وهو يَعقُوب، أي: مُوسى وهارُون وزَكَرِيَّا ويَحيى ....

حاشية الصاوي

هناك، فانطَلق، فوَجده قد مات، ثم أحياه الله، فهو يرفع في الجنة تارةً، ويَعبد الله مع الملائكة في السماء الرابعة تارةً أخرى(١).

قال العلماء: أربَعة من الأنبياء أحياء: اثنان في الأرض، وهما: الخضر، وإلياس، واثنان في السماء، وهما: عيسى، وإدريس(٢).

قوله: (﴿أُولَٰئِكَ﴾) اسم الإشارة عائِد على الأنبياء المذكورين في هذه السورة، وهم عَشرة؛ أولهم زكريا، وآخِرهم إدريس كما تقدَّم.

قوله: (صفة له) أي: لاسم الإشارة؛ أي: أولئك الموصوفُون بإنعام الله عليهم، وذلك أنَّ الله لما وصف كلاً من الأنبياء بأوصاف تخصُّه أولاً.. ذكر ثانياً لهم صِفة تعمُّهم.

قوله: (بيان لهم) أي: لِلمُنْعَم عليهم.

قوله: (أي: إدريس) تفسير للذريَّة؛ أي: إن إدريس مِن ذُرية آدم؛ لأنه تقدم أنه ابن شيث بن آدم.

قوله: (﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا﴾) أي: ومِن ذرية من حملنا.

قوله: (أي: إبراهيم) تفسير لبعض ذُرية من حُمِلَ مع نوح؛ لأنَّ مَنْ حُمِلَ معه أولاده الثلاثة، وإبراهيم من ذريَّة أحدهم وهو سام، لكن بِوسائط؛ فإنَّ بين إبراهيم ونوح عشرةَ قرونٍ.

---

(١) انظر «تفسير القرطبي» (١١/١١٨ـ ١١٩).

(٢) انظر «تفسير الخازن» (٣/١٩١).

﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۝٥٨ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُولَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ ....

وعِيسى، ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَآ﴾ أي: مِن جُملَتِهِم، وخبر ﴿أُولَٰٓئِكَ﴾: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾: جَمع ساجِد وباكٍ، أي: فكُونُوا مِثلَهم. وأصلُ (بُكِيّ): بُكُويٌ، قُلِبَت الواوُ ياءً والضمةُ كسرةً.

(٥٩ - ٦٠) ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بِتَركِها كاليَهُودِ والنَّصارَى، ﴿وَٱتَّبَعُوا ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ مِن المَعاصِي، ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ هو وادٍ في جَهنَّم أي: يَقعُون فِيه، ﴿إِلَّا﴾: لَكِن ﴿مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُولَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ﴾: يُنقَصُون ......

حاشية الصاوي

قوله: (وعيسى) أي: فأولاد البنات من الذرية، والحاصل: أنَّ مِن ذرية آدم لصلبه إدريس، ومن ذرية نُوح بوسائط إبراهيم، ومِن ذريته إسماعيل وإسحاق ويعقوب، ومِن ذرية يعقوب موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى.

قوله: (﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾) عطف على ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ زيادةً في تمجيدهم.

قوله: (﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾) أي: إن الأنبياء إذا سمعُوا آيات الله التي خصَّهم بها من الكتب المنزلة عليهم.. سجدُوا وبكَوا خضوعاً وخشوعاً.

قوله: (وباكٍ) أي: على غير قياس، وقياسه: (بُكاة) ك: (قاضٍ) و(قُضاة).

قوله: (فكونُوا مثلهم) أي: في السجود والخشوع والخُضوع والبكاء عند تلاوة القرآن؛ لما في الحديث: «اتلُوا القرآن وابكوا؛ فإن لم تبكُوا.. فتباكَوْا»[1].

قوله: (﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾) أي: وُجد من بعد النَّبيين.

قوله: (﴿خَلْفٌ﴾) هو بالسكون في الشرِّ، وبالفتح في الخير؛ يقال: خلْفُ سَوْءٍ، وخلَفُ صدقٍ.

قوله: (هو وادٍ في جهنم) أي: تستعيذ من حرِّه أودِيَتُها.

قوله: (﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾) قدَّر المفسِّر (لكن)؛ إشارةً إلى أن الاستثناء منقطع؛ لأنَّ المستثنى المؤمنون، والمستثنى منه الكفَّار.

---

(١) رواه ابن ماجه (١٣٣٧) عن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ ....

﴿شَيْـًٔا﴾ مِن ثَوابِهم.

﴿٦١﴾ ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾: إقامةٍ ـ بَدَل مِن ﴿ٱلْجَنَّةَ﴾ ـ ﴿ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ ـ حال ـ أي: غائبِينَ عَنها ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ﴾ أي: مَوعُوده ﴿مَأْتِيًّا﴾ بِمَعنَى آتِياً، وأصلُه: مَأْتُويٌ، أو مَوعُودُه هُنا الجَنَّة يَأتِيه أهلُه.

﴿٦٢﴾ ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ مِن الكَلام ﴿إِلَّا﴾: لَكِن يَسمَعُونَ ﴿سَلَٰمًا﴾ مِن المَلائكةِ علَيهِم أو مِن بَعضِهم على بَعضٍ، ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ أي: على قَدرِهما في الدُّنيا، وليسَ في الجَنَّة نَهارٌ ولا لَيل، بَل ضَوءٌ ونُور أبَداً.

حاشية الصاوي

قوله: (بدل من ﴿ٱلْجَنَّةَ﴾) قال بعضهم: إنه بدل كلٍّ من بعض؛ لأن الجنة بعض الجنات، وردَّ: بأن (أل) في (الجنة) جِنسية، فهو بدل كلٍّ من كلٍّ.

قوله: (أي: غائبين عنها) أي: غير مُشاهدين لها؛ لأنَّ الوعد حاصلٌ في الدنيا، ومن فيها لا يشاهد الجنة.

قوله: (أي: مَوعوده) أي: الذي وُعد به من الجنة وغيرها.

قوله: (بمعنى: آتياً) أي: فاسم المفعول بمعنى اسم الفاعل.

قوله: (أو موعوده... إلخ) إشارة لتفسير آخَر، وعليه: فاسم المفعول باقٍ على ما هو عليه، وحينئذٍ: فيكون المراد بالموعود: خصوصَ الجنة.

قوله: (﴿لَغْوًا﴾) هو الكلام الزائد المستغنى عنه.

قوله: (لكن يسمعون ﴿سَلَٰمًا﴾) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع؛ لأنَّ السلام ليس من جنس اللغو.

قوله: (وليس في الجنة نهار ولا ليل) أي: وإنما يَعرفون الليل بإرخاء الحجب وغَلق الأبواب، والنَّهارَ بفتحها ورفع الحجب كما رُوي[1]، وليس معرفة الليل للاستراحة فيه والنوم؛ إذ لا نومَ

(١) أخرج ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٢١) عن الوليد بن مسلم قال: سألت زهير بن محمد عن قوله تعالى: =

﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ ....

﴿٦٣﴾ ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ﴾: نُعطِي ونُنزِل ﴿مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ بطاعتِه.

﴿٦٤﴾ ونزَل لمَّا تأخَّرَ الوَحي أيَّاماً وقال النَّبيُّ ﷺ لِجبريلَ: ....

حاشية الصاوي

ولا تعب فيها، بل ذلك على عادة الملوك في الدنيا من تهيئة تُحفٍ في الصباح والمساء؛ لِيَتمَّ نظامهم.

قوله: (﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ﴾) اسم الإشارة عائد على (الجنة) في: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾، وأتى باسم الإشارة البعيد؛ إشارةً لِعلوِّ رتبتها ورفيع مَنزلتها.

قوله: (﴿نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا﴾) عبَّر بالميراث؛ إشارةً إلى أنهم يُعْطَوْنها عطاءً لا يُرَدُّ ولا يبطل كالميراث.

قوله: (﴿مَن كَانَ تَقِيًّا﴾) أي: سعيداً، وهو مَن مات على كلمة الإخلاص ولو مصرًّا على الكبائر، فمآله للجنَّة وإن أُدخل النار وعذِّب فيها بقدر جُرمه؛ لأنَّ الجنة جعلت مسكناً للموحِّدين، والنار جُعلت مسكناً للمشركين، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى في سورة (فاطر): ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ إلى أن قال: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [فاطر: ٣٢-٣٣]، وقوله ﷺ: «من مات لا يُشرك بالله شيئاً.. دخل الجنة وإن زنى وإن سَرق وإن شرب الخمر»[1]، ولكن الجنة مراتب ودَرجات على حسَب التفاوت في الأعمال الصالحة.

قوله: (بِطاعته) أي: ولو بمجرَّد الإسلام.

قوله: (ونزل لما تأخر الوحي) أي: حين سأله اليهود عن الرُّوح، وأصحاب الكهف، وذي القرنين، فقال: أخبركم غداً ولم يقُل: إن شاء الله، فتأخر جبريل حتى شقَّ على النبي ﷺ، ثم نزل بعد أربعين يوماً ـ وقيل: خمسة عشر ـ فقال له رسول الله ﷺ: «أبطأتَ عليَّ حتى ساءني واشتقت إليك»، فقال له جبريل: إني كنت أشوقَ ولكنِّي عبدٌ مأمورٌ؛ إذا بُعِثْتُ.. نزَلت، وإذا حُبِسْتُ.. احتَبستُ[2].

= ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ قال: ليس في الجنة ليل ولا شمس ولا قمر، هم في نور أبداً، ولهم مقدار الليل والنهار، يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحُجُب وإغلاق الأبواب، ويَعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب. وانظر «الدر المنثور» (٥/ ٥٢٨ ـ ٥٢٩).

(١) رواه البخاري (١٢٣٧)، ومسلم (١٨٥) عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه، وليس فيهما ذكر شرب الخمر.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٢٣).

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ ....

«ما يَمنَعُك أن تَزُورَنا أكثَرَ مِمَّا تَزُورُنا؟»: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ أي: أمامَنا مِن أُمُورِ الآخِرة، ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ مِن أُمُورِ الدُّنيا، ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي: ما يَكُون في هَذا الوَقت إلى قِيامِ السَّاعة، أي: لَهُ عِلمُ ذلك جَمِيعه، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ بِمَعنَى ناسِياً، أي: تارِكاً لَك بِتَأخِيرِ الوَحي عَنك.

حاشية الصاوي

قوله: (أكثر مما تزورنا) هذا عتاب من رسول الله لجبريل، كأنه قال له: إن شوقي إليك في ازدياد، فكان الرجاء فيك الزيارة لا الهجر[1].

قوله: (﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾) هذا على لسان جبريل، أمره الله تعالى بذلك؛ اعتذاراً لرسول الله، وجواباً لسؤاله المذكور. والتَّنزُّل: النزول شيئاً فشيئاً.

قوله: (مِن أمور الآخرة) بيان لـ(ما)، ويصح أن يحمل قوله: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ على ما يأتي، وقوله: ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ على ما يَسبق، وقوله: ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ على الحالة الراهنة.

قوله: (له علم ذلك جَميعه) أي: تفصيلاً، وأما عِلم بعضه إجمالاً.. فيكون لبعض الحوادث كالأنبياء والأولياء بإلهام من الله تعالى، ومع ذلك فيكتمونه ولا يفشون منه إلا ما أُذِنَ لهم فيه.

إذا علمت ذلك.. فالتشدُّق بالتَّحري على المغيَّبات من الضلال المبين؛ لأنه لو استند لقواعد.. فهي كاذبة ولو صادفَت الحق؛ بمصداق قوله ﷺ: **«كذَب المنجمون وإن صدَقوا»**، وإن استند لكَشف.. فصاحبها لا يطَّلع إلا على بعض جزئيات، ومع ذلك هو مأمور بكتمها؛ لأن الله قال لنبيِّه على لسان جبريل: ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [مريم: ٦٤] فكيف بغيره من آحاد الخَلق؟!

قوله: (أي: تاركاً لك) أي: إن عدم التنزل لحكمة يَعلمها الله، لا تركاً لك وهجراناً، وهذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣].

---

(١) والخبر رواه البخاري في «صحيحه» (٤٧٣١) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ ....

﴿٦٥﴾ هو ﴿رَّبُّ﴾: مالِكُ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ﴾ أي: اصبِر عَلَيها، ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾: أي: مُسَمًّى بِذَلك؟ لا.

﴿٦٦﴾ ﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ المُنكِرُ لِلبَعث هو أُبي بن خَلَف أو الوَلِيدُ بن المُغِيرة النَّازِلُ فِيهِ الآيَةُ: ﴿أَءِذَا﴾ - بِتَحقِيقِ الهَمزة الثَّانِية وتَسهِيلِها، وإدخالِ أَلِف بَينها بِوَجهَيها وبَين الأُخرَى - ﴿مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا﴾ مِن القَبر كما يَقُولُ مُحمَّد؟ - فالاستِفهامُ بِمَعنَى النَّفي - أي: لا أُحيا بَعد المَوت، - و(ما) زائدة لِلتَّأكِيدِ، وكذَا اللَّام - ورُدَّ عليه بِقَوله تَعالى:

حاشية الصاوي

قوله: (هو) قدَّره؛ إشارةً إلى أن ﴿رَّبُّ﴾ خبرٌ لمحذوف.

قوله: (﴿فَٱعۡبُدۡهُ﴾) أي: دُمْ على عِبادته، ولا تحزن بإبطاء الوحي واستهزاء الكفرة.

قوله: (أي: مسمًّى بذلك) أي: بلفظ الجلالة، أو بِرب السماوات والأرض، وقيل: معنى ﴿سَمِيّٗا﴾: مثلاً يستحق أن يسمَّى إلهاً وأحداً يسمَّى بالله؛ فإنَّ المشركين وإن سمَّوا الصنم إلهاً لم يُسمُّوه (الله) قطُّ؛ لظهور أحديَّته وأنه ربُّ السماوات والأرض وما بينهما، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقد وَرد: أن امرأة سمَّت ولدها الله، فنزلت عليه نار فأحرَقته.

قوله: (المنكر لِلبعث) أشار بذلك إلى أن المراد بالإنسان: خُصوص الكافر المنكر للبعث.

قوله: (أو الوليد) (أو): لتنويع الخلاف في المراد بالإنسان الذي قال تلك المقالة، وفي الحقيقة: كلٌّ من الشخصين قد قالها.

قوله: (﴿أَءِذَا﴾) منصوبة بقوله: ﴿أُخۡرَجُ حَيًّا﴾، ولا يقال: إنَّ ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها؛ لأنَّ ذاك في لام الابتداء، وأمَّا هذه فهي زائدة كما قال المفسِّر.

قوله: (وإدخال ألف بينها) أي: الثانية، وقوله: (وبين الأخرى) أي: الأُولى، وكان المناسب أن يقول: (وتركه)، فتكون القراءات أربعاً، وهي سبعيَّات[1].

---

(١) انظر «الدر المصون» (٧/٦١٨).

أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ ....

﴿٦٧﴾ ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَٰنُ﴾ - أصله: يَتذَكَّر، أُبدِلَت التَّاء ذالاً وأُدغِمَت في الذَّال، وفي قِراءة تَركُها وسُكُون الذَّال وضَمُّ الكاف - ﴿أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ فيستَدِلَّ بالابتِداءِ على الإعادةِ؟

﴿٦٨﴾ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ أي: المُنكِرِينَ لِلبَعثِ ﴿وَالشَّيَٰطِينَ﴾ أي: نَجمَع كُلًّا مِنهُم وشَيطانَه في سِلسِلة، ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾ مِن خارِجها ﴿جِثِيًّا﴾ على الرُّكَب جَمع جاثٍ، وأصله: (جُثُوٌّ) أو (جُثُويٌ) مِن (جَثا يَجثُو) و(يَجثِي) لُغَتانِ.

(﴿٦٩﴾ - ﴿٧٠﴾) ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾: فِرقَةٍ مِنهُم ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَوَلَا يَذْكُرُ﴾) الاستفهام للتوبيخ.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1].

قوله: (﴿مِن قَبْلُ﴾) أي: من قبل بَعثه.

قوله: (فيستدل بالابتداء على الإعادة) أي: لأنها أهوَن، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

قوله: (﴿فَوَرَبِّكَ﴾) أضاف اسمه تعالى إلى اسمه ﷺ تشريفاً وتعظيماً.

قوله: (﴿لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾) أي: وهو الموقف.

قوله: (وأصله: جُثُوو) أي: بواوين، قلبت الثانية ياءً لتطرفها، فاجتمعت مع الواو الساكنة، قلبت الواو ياءً، وأدغمت في الياء.

قوله: (أو جثوي) أي: بياء بعد واو، قلبت الواو ياءً وأدغمت في الياء، وعلى كلٍّ كسرت الثاء؛ لتصحَّ الياء.

قوله: (﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾) أي: مِن كل أمَّة.

---

(١) قرأ نافع وابن عامر وعاصم وجماعة: «يذْكر» مخففاً، والباقون بالتشديد، وقد قرأ بهذا الأصل وهو: يتذكر أبيٌّ. انظر «الدر المصون» (٧/ ٦١٩).

أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا

﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾: جراءةً، ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا﴾ أحقُّ بجهنَّم الأشدُّ وغيره منهم ﴿صِلِيًّا﴾: دُخولاً واحتِراقاً، فنَبدَأ بِهِم، ـ وأصلُه: (صُلُويٌ) مِن (صَلِيَ) بِكَسرِ اللَّام وفَتحِها ـ.

(﴿٧١﴾ - ﴿٧٢﴾) ﴿وَإِن﴾ أي: ما ﴿مِّنكُمْ﴾ أحَدٌ ﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾ أي: داخِل جَهَنَّم، ...

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَيُّهُمْ﴾) موصولة بمعنى (الذي)، فبُنِيَت على الضمِّ؛ لإضافتِهَا وحذفِ صدر صلتها، وقوله: (﴿أَشَدُّ﴾): خبر لمحذوف، والجملة صِلتها، وهي وصلتها في محل نصب مفعول ﴿لَنَنزِعَنَّ﴾، و﴿عِتِيًّا﴾: تمييز محوَّل عن المبتدأ المحذوف؛ أي: عُتُوُّه أشدُّ، والمعنى: أنه يميز طوائف الكفار؛ فيَطرح الأعتى فالأعتى على الترتيب؛ لأنَّ عذاب الضالِّ المضلِّ يكون فوقَ عذاب من يضل تبعاً لغيره، وليس عذاب مَن يتمرَّد ويتجبَّر كعذاب المقلِّد.

قوله: (﴿صِلِيًّا﴾) بضمِّ الصاد وكسرها، قراءتان سبعيَّتان[1]، جمع صال كـ: (جثيًّا) جمع (جاثٍ).

قوله: (فنَبدأ بهم) أي: بالذين هم أَولى بها.

قوله: (من: صَلِيَ بكسر اللام) أي: كـ: رَضِيَ، وقوله: (وفتحها) أي: كـ: رَمَى.

قوله: (﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾) أي: مسلماً أو كافراً، والحاصل: أنه اختَلف المفسرون في المراد بالورود؛ قيل: الدخول، وقيل: الحُضور معها في الموقف، والذي عوَّل عليه الأشياخ: أنَّ المراد به: المرُور على الصراط، وهو على ظهرها أحدُّ من السيف، وأرقُّ من الشَّعرة، ويتَّسع للمؤمن بقَدر عمله، ومن هنا تقول النار للمؤمن: «جُزْ يا مؤمنُ؛ فقد أطفأ نُورك لهبي»[2]، وهم في المرور مُختلفون؛ لما في الحديث: «**يَرد الناس النار، ثم يَصدرون عنها بأعمالهم؛ فأوَّلهم كلمح البصر، ثمَّ كالريح، ثمَّ كعَدْوِ الفرس، ثمَّ كالراكب المجدِّ، ثمَّ كشَدِّ الرجل في مَشيه**»[3].

---

(١) قرأ حفص وحمزة والكسائي (عِتِيًّا) و(صِلِيًّا) و(جِثِيًّا) بكسر عين الأوَّل، وصاد الثاني، وجيم الثالث، وضمَّ الباقون. انظر «السراج المنير» (٢/ ٤١٥).

(٢) رواه البيهقي في «الشعب» (٣٦٩) عن سيدنا يعلى بن منية رضي الله عنه.

(٣) رواه بنحوه البخاري (١٣٠)، ومسلم (٣٧٣) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ....

﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ : حَتَمَهُ وقَضَى بِه لا يَترُكُه، ﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ ـ مُشدَّداً ومُخفَّفاً ـ ﴿الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ الشِّركَ والكُفر مِنها، ﴿وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ﴾ بِالشِّركِ والكُفر ﴿فِيهَا جِثِيًّا﴾ على الرُّكَب.

﴿٧٣﴾ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي: المُؤمِنِين والكافِرِين ﴿آيَاتُنَا﴾ مِن القُرآنِ ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ : واضِحاتٍ ـ حال ـ ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: داخل جهنم) أي: وتكون على المؤمنين ولو ماتُوا عصاةً غير من تحقَّق فيهم الوعيد.. برداً وسلاماً؛ لِدخولهم فيها وهي خامدةٌ؛ فلا يَشعرون بها.

قوله: (﴿كَانَ﴾) أي: الوُرود.

قوله: (﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾) أي: نُخرجهم منها من غير أن يمسَّهم عذابها، وهم مَن لم ينفذ فيهم الوعيد، أو بعد العذاب وهو مَن نفذ فيهم الوعيد(١).

قوله: (﴿وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ﴾) أي: نتركهم فيها على سَبيل الخلود، وقوله: (﴿جِثِيًّا﴾) حال من ﴿الظَّالِمِينَ﴾.

قوله: (﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾... إلخ) أي: حين نزلت على النبي ﷺ آياتُ القرآن، وتلاها على المؤمنين والكافرين، وعجزوا عن مُعارضتها.. أخذ أغنياء الكفار في الافتخار على فُقراء المؤمنين بما لهم من حُظوظ الدنيا حيث قالوا لهم: انظروا إلى منازلنا فترَوها أحسن من منازلكم، وإلى مجالسنا فتروها أحسن من مجالسكم، نَجلس في صدر المجلس وتجلسون في طرفه الحقير، فإذا كان ذلك لنا في الدنيا.. فنحن عند الله خيرٌ منكم، ولو كنتُم على خير.. لأكرمَكم كما أكرمنا، وقصدُهُم بذلك فتنةُ فقراء المؤمنين بزينة الدنيا، قال تعالى: ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٥].

قوله: (﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾) أي: أغنياؤهم.

---

(١) كذا في الأصول، ولعلها: (وهم من نفذ فيهم الوعيد).

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ﴾ ....

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ نَحنُ وأنتُم ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ مَنزِلاً ومَسكَناً، بِالفَتحِ مِن قامَ وبِالضَّمِّ مِن أقامَ، ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ بِمَعنَى النَّادِي، وهو مُجتَمَعُ القَومِ يَتحدَّثُونَ فِيه، يَعنُونَ نَحنُ فنكون خيراً مِنكُم، قال تعالى:

﴿٧٤﴾ ﴿وَكَمْ﴾ أي: كثيراً ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ أي: أُمَّةٍ مِن الأُمَمِ الماضِيةِ ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا﴾: مالاً ومَتاعاً ﴿وَرِءْيًا﴾: مَنظَراً، مِن الرُّؤية، فكَما أهلَكناهُم لِكُفرِهِم نُهلِكُ هَؤلاء.

﴿٧٥﴾ ﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ﴾ ـ شَرطٌ جَوابُه ـ: ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ بِمَعنَى الخَبَر ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾) أي: الفقراء منهم.

قوله: (نحن وأنتم) بيانٌ لـ﴿ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾.

قوله: (بالفتح وبالضم) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[١]؛ فالفتح على أنه من (قام) ثلاثيًّا، والضم على أنه من (أقام) رباعيًّا، وكلٌّ يحتمل أن يكون اسمَ مكان، أو اسم مصدر.

قوله: (قال تعالى) أي: ردًّا عليهم.

قوله: (﴿هُمْ أَحْسَنُ﴾) مبتدأ وخبر، والجملة صفة لـ﴿قَرْنٍ﴾، و﴿أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾: تمييزان.

قوله: (﴿وَرِءْيًا﴾) أي: مرئيًّا كـ(الذِّبح) بمعنى (المذبوح)، وقوله: (منظراً) أي: هيئةً وصورةً.

قوله: (﴿قُلْ﴾) أي: لِلكُفار المفتخرين على فقراء المؤمنين.

قوله: (﴿فِى ٱلضَّلَٰلَةِ﴾) أي: الكفرِ والغفلةِ عن عواقب الأمور.

قوله: (بمعنى الخبر) أي: وأتى به على صورة الأمر؛ إعلاماً بأنه يحصل ولا بدَّ بمقتضى حكمته، كأنه ألزم نَفسه بذلك.

---

(١) قرأ ابن كثير بضم الميم، والباقون بفتحها. انظر «السراج المنير» (٢/ ٤٤١).

﴿لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ ....﴾

أي: يَمُدُّ ﴿لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ في الدُّنيا يَستَدرِجهُ، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ﴾ كالقَتلِ والأسرِ ﴿وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ المُشتَمِلةَ على جَهنَّم فيَدخُلُونَها، ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾: أعواناً أهُم أم المُؤمِنُونَ؟ وجُندُهم الشَّياطِينُ وجُندُ المُؤمِنِين علَيهِم الملائكةُ.

﴿٧٦﴾ ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟﴾ بالإيمانِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: يمدُّ ﴿لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾) إنما ذكر (الرحمن)؛ إشارةً إلى أن رحمته غلَبت غضبه.

قوله: (يَستدرجه) أي: بأن يُطيل عمره ويكثر ماله ويُمكنه من التصرُّف فيه.

قوله: (﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ﴾) غاية في قوله: ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾.

قوله: (﴿وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾) (إمَّا): حرف تفصيل، وهي مانعة خُلوٍّ تجوِّز الجمع، و﴿ٱلْعَذَابَ﴾ و﴿ٱلسَّاعَةَ﴾: بدلان من ﴿مَا﴾، والمعنى: يَستمرون في الطغيان إلى أن يعلموا إذا رأَوا العذاب أو الساعة من هو شرٌّ مكاناً وأضعفُ جنداً.

قوله: (﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾) جواب ﴿إِذَا﴾، وقوله: (﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾) راجع لِقوله: ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾، وقوله: (﴿وَأَضْعَفُ جُندًا﴾) راجع لقوله: ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ على طريق اللَّف والنَّشر المرتَّب.

قوله: (أهُمْ أَمِ المؤمنون؟) أشار بذلك إلى أنَّ (مَن) استفهامية، ويصح كونها موصولة مفعول (يَعلمون).

قوله: (عليهم) متعلق بـ(جُند)؛ لتضمُّنه معنى المعاوِنين، وذلك كما وقع لهم في بدر؛ فالكفار كان جندهم إبليس وأعوانه جاؤوا لهم لِيُعينوهم ثمَّ انخذلوا عنهم، والمؤمنون كان جندهم الملائكة كما تقدَّم في (الأنفال) و(آل عمران).

قوله: (﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ﴾) هذه الجملة مُستأنفة، أو معطوفة على جملة الشرط المحكية بالقول، كأنه قال: قل لهم: مَن كان في الضلالة... إلخ وقُل لهم: ويزيد الله الذين اهتدوا... إلخ.

هُدًىۗ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ ....

﴿هُدًىۗ﴾ بِما يَنزِل علَيهِم مِن الآياتِ، ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ هي الطَّاعة تَبقَى لِصاحِبِها ﴿خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا﴾ أي: ما يُرَدُّ إلَيهِ ويُرجَع، بِخِلافِ أعمال الكُفَّار، والخَيريَّة هُنا في مُقابَلةِ قَولِهم: ﴿أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا﴾.

﴿٧٧﴾ ﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ العاصِي بنَ وائل ﴿وَقَالَ﴾ لِخَبَّابِ بنِ الأرَتِّ القائل

حاشية الصاوي

قوله: (بما ينزل عليهم مِن الآيات) أي: فكلما نزلت عليهم آيةٌ من القرآن.. ازدادوا بها هدىً وإيماناً، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ [الأنفال: ٢].

قوله: (هي الطاعة) تقدَّم أنَّ هذا أحدُ تفاسيرَ في (الباقيات الصالحات)، وهو الأحسَن[١].

قوله: (﴿خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ﴾) أي: من زينة الدنيا التي يتنعَّم بها الكفار.

قوله: (بِخلاف أعمال الكفار) أي: فإنها شرٌّ مردًّا؛ لكونهم يردُّون إلى جهنم، فتحصَّل: أنَّ الأعمال كلَّها باقيةٌ لأصحابها؛ فالمؤمنون تبقى لهم الأعمال الصالحة فيتنعَّمون بها في الجنة، والكفار تبقى لهم الأعمال السيئة فيُعذَّبون بها في النار؛ فالعاقل يختار لنفسه أيَّ العملَين يبقى له.

قوله: (والخيرية... إلخ) أي: فـ(أفعل) التفضيل ذكر على سبيل المشاكلة للكلام السابق، فاندفع ما يُقال: إنَّ أعمال الكفار لا خير فيها أصلاً؛ فكيف تَصح المفاضلة؟!

قوله: (﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾) الاستفهام تعجُّبي؛ أي: تعجَّب يا محمد من مَقالة هذا الكافر الشنيعة.

قوله: (العاصي بن وائل) هو أبو سيدنا عمرو الذي فتح مِصر في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وهو والد عبد الله أحدِ العبادلة المشهور.

قوله: (لخبَّاب بن الأرتِّ) هو بدريٌّ من فقراء الصحابة، وذلك أنَّ خبَّاباً كان صائغاً، فصاغ للعاصي حليًّا ثمَّ طالبه بأجرته، فقال له: لن أقضيك حتى تكفر بمحمد، فقال خبَّاب: لن أكفر به حتى تموت ثمَّ تبعث، قال: وإني لمبعوثٌ من بعد الموت؟! فسوف أُعطيك إذا رجعتُ إلى مال وولد[٢].

---

(١) انظر (٤/١٥٣).

(٢) رواه البخاري (٢٢٧٥)، ومُسلم (٧١٦٤).

لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّاۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ

لَهُ: تُبعَث، بَعد المَوت، والمُطالِبِ لَهُ بِمالٍ: ﴿لَأُوتَيَنَّ﴾ على تَقديرِ البَعث ﴿مَالًا وَوَلَدًا﴾ فأقضِيك، قال تَعالى:

﴿٧٨﴾ ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ أي: أعَلِمَهُ وأن يُؤتَى ما قالهُ، ـ واستُغنِيَ بِهَمزة الاستِفهام عن هَمزة الوَصل فحُذِفَت ـ ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ بِأن يُؤتَى ما قالَهُ؟

(﴿٧٩﴾ - ﴿٨٠﴾) ﴿كَلَّاۚ﴾ أي: لا يُؤتَى ذلك، ﴿سَنَكْتُبُ﴾: نَأمُر بِكَتبِ ﴿مَا يَقُولُ﴾ .....

حاشية الصاوي

قوله: (واستغني بهمزة الاستفهام... إلخ) أي: فأصله: أاِطلع، حذفت همزة الوصل تخفيفاً.

قوله: (﴿كَلَّآ﴾) ذكر النحويون في هذه اللفظة ستة مذاهب؛ أحسنها: أنها حرف ردع وزجر، الثاني: أنها حرف تصديق بمعنى (نعم)، الثالث: أنها بمعنى (حقًّا)، الرابع: أنها ردٌّ لما قبلها، الخامس: أنها صلة في الكلام بمعنى (أي)، السادس: أنها حرفُ استفتاح[1].

وذكرت في القرآن في ثلاثة وثلاثين موضعاً، وكلُّها في النصف الثاني منه، في خمس عشرة سورة كلُّها مكيَّة، ترجع إلى ثلاثة أقسام:

قسم يَجوز الوقف عليها وعلى ما قبلها؛ فيبتدأ بها، وذلك في خمسة مواضع: اللتان في هذه السورة، واللتان في (الشعراء)، وواحدة في (سبأ).

وقسم اختلف فيه هل يجوز الوقف عليها أو يتعيَّن على ما قبلها؟ وذلك في تسعة مواضع: واحدة في (المؤمنون)، واثنتان في (سأل سائل)، والأولى والثالثة في (المدثر)، والأولى في سورة (القيامة)، والثانية في سورة (ويل للمطففين)، والأولى في سورة (الفجر) والتي في سورة (ويل لكل).

وقسم لا يجوز الوقف عليها باتفاق، وهو التسع عشرة الباقية.

قوله: (﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾) أي: نُظهره له ونعلمه أنَّا كتبناه، فاندفع ما يقال: إنَّ الكتابة لا تتأخر من القول، قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨][2].

---

(١) ذكر الأقوال معزوَّة لأصحابها العلامة السمين الحلبي في «الدر المصون» (٧/ ٦٣٧).

(٢) فإن قلت: كيف قيل: (سنكتب) بسين التسويف مع أنه قد كتب من غير تأخير؛ لأنَّ نفس الكتابة لا تتأخر عن القول؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما: سنُظهر له ونعلمه أنا كتَبنا، والثاني: أن المتوعد يقول للجاني: سوف أنتقم منك، يعني: أنه لا يُخِلُّ بالانتصار وإن تطاول به الزمان واستأخرَ. «فتوحات» (٣/ ٨٦) نقلاً عن «حاشية الكرخي على الجلالين».

وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ ....

﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾: نَزِيدُهُ بِذلك عَذاباً فوقَ عَذابِ كُفرِه، ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ مِن المالِ والوَلَد، ﴿وَيَأْتِينَا﴾ يومَ القِيامة ﴿فَرْدًا﴾ لا مالَ لَهُ ولا ولدَ.

﴿٨١﴾ ﴿وَٱتَّخَذُوا۟﴾ أي: كُفَّارُ مكَّة ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الأوثانَ ﴿ءَالِهَةً﴾ يَعبُدُونَهُم، ﴿لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا﴾: شُفَعاءَ عِند الله بِأن لا يُعَذَّبُوا.

﴿٨٢﴾ ﴿كَلَّا﴾ أي: لا مانِعَ مِن عَذابِهم، ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ أي: الآلِهةُ ﴿بِعِبَادَتِهِمْ﴾ أي: يَنفُونَها كما في آيةٍ أُخرَى: ﴿مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ [القصص: ٦٣]، ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾: أعواناً وأعداءً.

حاشية الصاوي

قوله: (نَزيده بذلك عذاباً... إلخ) أي: لما تقدَّم أنَّ كلَّ من كان أشدَّ كفراً.. كان أعظم عذاباً.

قوله: (﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾) أي: نَسلبه ونأخذه منه بأن يخرج من الدنيا خالياً من ذلك.

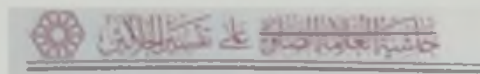
قوله: (﴿فَرْدًا﴾) أي: منقطعاً عن مالِه وولده بالكليَّة؛ فلا يلقى مالاً ولا ولداً أصلاً؛ لا في البعث، ولا في النار؛ لانقطاع الأسباب بينهم وبين أولادهم، بل وبين ما يَشتهون؛ كما قال تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤]، وأما المؤمنون وإن كانوا يُبعَثون فرادى إلا أنهم يلاقون أحبابهم وأولادهم وما يشتهونه.

قوله: (﴿وَٱتَّخَذُوا۟﴾) حكاية عمَّا وقع من الكفار عموماً.

قوله: (الأوثان) هو مفعول أول، و﴿ءَالِهَةً﴾ مفعول ثان.

قوله: (﴿سَيَكْفُرُونَ﴾... إلخ) في معنى التعليل.

قوله: (﴿ضِدًّا﴾) أي: أضداداً، وإنما أفرده إمَّا لكونه مصدراً في الأصل، أو لأنه مفرد في معنى الجمع.



﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ ....

﴿٨٣﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ﴾: سَلَّطْناهم ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ﴾: تُهَيِّجُهم إلى المعاصِي ﴿أَزًّا﴾؟

﴿٨٤﴾ ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ بِطَلَبِ العَذاب، ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ﴾ الأيَّامَ واللَّيالِي أو الأنفاسَ ﴿عَدًّا﴾ إلى وَقتِ عَذابِهم.

(﴿٨٥﴾ - ﴿٨٦﴾) اذكُر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بإيمانِهم ﴿إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾: جَمع (وافِد) بِمَعنَى راكِب، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾) أي: وأمَّا المؤمنون.. فليس للشياطين عليهم سَبيل، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢].

قوله: (تُهيجهم إلى المعاصي) أي: تُغريهم بتزيين الشهوات لهم.

قوله: (﴿أَزًّا﴾) مفعول مطلق لـ﴿تَؤُزُّهُمْ﴾، والأَزُّ: يُطلق على الغليان، وعلى الحركة الشديدة، وعلى التهييج والإزعاج، وهو المراد هنا.

قوله: (﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾) أي: لِتَستريح أنت والمؤمنون من شرِّهم، وتطهر الأرض من فسادهم؛ لأنَّ لهم أياماً محصورة، وأنفاساً مَعدودة يعيشونها، ثم يُرَدُّون إلى العذاب.

قوله: (﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾) أي: نَضبط ما يقع منهم ولا نهمل منه شيئاً؛ ليؤاخذوا به.

قوله: (أو الأنفاسَ) تفسيرٌ ثانٍ.

قوله: (إلى وقت عَذابهم) أي: وهو مَوتهم؛ لأنَّ بموتهم تصير قبورهم حفرةً من حفر النار، فيُعذبون فيها إلى قيام الساعة، فيقذفون في النار.

قوله: (﴿يَوْمَ نَحْشُرُ﴾) ظرف معمول لمحذوف، قدَّره المفسر بقوله: (اذكر) أي: اذكر يا محمد لقومك هذا اليوم العظيم؛ فإنه يوم الفَصل بين أهل الجنة وأهل النار.

قوله: (بمعنى راكب) هذا المعنى ليس مأخوذاً من معنى الوفد؛ لأنَّ الوفد في اللغة: الجماعة الذين يقدمون على الملوك للعطايا من غير تَقييد بركوب، بل هو مأخوذ من قَرينة مدح المتقين؛

﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴿٨٦﴾﴾ ....

﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ بِكُفرِهِم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾: جَمع (وارِد) بِمَعنَى ماشٍ عَطشانَ.

حاشية الصاوي

لما وَرد: «أنهم يُحشرون ركباناً على نجائب سَرجها من ياقوت، وعلى نُوق رحالها من ذهب، وأزمَّتها من زبرجد»[1].

واختلف في وقت ركوبهم؛ فقيل: من أول خُروجهم من القبور، وقيل: من مُنصرَفهم من الموقف، وعلى كلٍّ فيستمرون راكبين حتى يَقرعوا باب الجنة، وجُمِعَ بأنهم يركبون من أول خروجهم من القبور حتى يأتُوا الموقف، ثم بعد انفِضاض الموقف يركبون حتى يَدخلوا الجنة.

وعن ابن عباس: (من كان يحب ركوب الخيل.. وفد إلى الله تعالى على خيل لا تَرُوث ولا تبول، لحمها من الياقوت الأحمر، ومن الزبرجد الأخضر، ومن الدرِّ الأبيض، وسُرُوجها السندس والإستبرق، ومن كان يحب ركوب الإبل.. فعلى نُجُبٍ لا تبعر ولا تبول، أزمَّتها من الياقوت والزبرجد، ومن كان يحب ركوب السُّفن.. فعلى سفن من زبرجد وياقوت، قد أمِنوا الغرَق، وأمنوا الأهوال)[2].

وورد أيضاً: «يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق: راغبِين وراهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعَشرة على بعير»[3].

قوله: (بكفرهم) أشار بذلك إلى أن المرادَ بالمجرمين: الكفار.

قوله: (﴿وِرْدًا﴾) أي: مُشاة عطاشاً قد تقطعت أعناقهم من العطش، ومع ذلك يحملون أوزارهم على ظهورها؛ لما ورد: «أن المؤمن إذا أُخرج من قبره.. استقبله عملُه في أحسن صورة، وأطيَبِ ريح، فيقول: هل تَعرفني؟ فيقول: لا، فيقول: أنا عملك الصالح، طالما ركبتُك وأتعبتك في الدنيا، اركبني اليوم، وإن الكافر يَستقبله عمله في أقبح صورة وأنتنها ريحاً، فيقول: هل تَعرفني؟ فيقول: لا، فيقول: أنا عملك السيئ، طالما ركبتَني وأتعبتني في الدنيا، وأنا اليوم أركبُك، قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام: ٣١]»[4].

(١) رواه ابن شاهِين في «الترغيب في فضائل الأعمال» (٥٦٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٠٨).

(٢) أورده القرطبي في «تفسيره» (١١/ ١٥١).

(٣) رواه البخاري (٦٥٢٢)، ومُسلم (٧٣٠٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، وتمامه: «ويحشر بقيتهم النار، تقيل معهم حيث قالوا، وتَبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتُمسي معهم حيث أمسوا».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٢٧).

لَا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ ....

﴿٨٧﴾ ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ أي: النَّاس ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ أي: شَهادة أن لا إلَه إلَّا الله ولا حَولَ ولا قُوَّة إلَّا بِالله.

(﴿٨٨﴾ - ﴿٨٩﴾) ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي: اليَهُودُ والنَّصارَى ومَن زَعَمَ أنَّ المَلائكةَ بَناتُ الله: ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾، قال تَعالى لَهم: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا﴾ أي: مُنكَراً عَظِيماً.

(﴿٩٠﴾ - ﴿٩٢﴾) ﴿تَكَادُ﴾ - بالتاءِ والياء - ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ - بِالنُّونِ، وفي قِراءة

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾) أي: الخلقُ عموماً، مُؤمنهم وكافرهم، وقوله: (﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾) أي: كونه يَشفع لغيره، أو يشفع غيره فيه.

قوله: (﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ﴾) مُستثنى من العموم المتقدِّم، وهو متصل.

قوله: (﴿عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾) كرَّر لفظ (الرحمن) في هذه السورة ست عشرة مرةً؛ إشارةً إلى أن رحمته غلَبت غضبه.

قوله: (أي: شهادة أن لا إله إلا الله) أي: مع عَديلتها، وهي: محمَّد رسول الله.

قوله: (ولا حولَ ولا قوة إلا بالله) في رواية: «والتَّبري من الحَول والقوة لله، وعدم رجاء غيره»[1].

قوله: (ومن زعم أن الملائكة بنات الله) أي: وهم مُشركو العرب، وهذا رجوع لذكر قبائح الكفار إثر بيان عاقبتهم وعاقبةِ المؤمنين.

قوله: (قال تعالى) أي: تقريعاً وتوبيخاً.

قوله: (منكَراً عظيماً) أي: فظيعاً شديداً.

قوله: (﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾... إلخ) هذا بيان لِكون ذلك الشيء منكراً عظيماً.

قوله: (﴿يَنفَطِرْنَ﴾) أي: يَتَفَتَّتنَ ويُقَطَّعنَ.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً، وظاهره: أن القراءات أربع، وليس كذلك،

(١) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٠٦)، والطبراني في «الدعاء» (١٥٧٠) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾ ....

بِالتاء وتَشديدِ الطاء ـ بِالانشِقاقِ ﴿مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا﴾ أي: تَنطَبِقُ علَيهم مِن أجلِ ﴿أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا﴾ قالَ تَعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ أي: ما يَلِيق بِهِ ذلك.

﴿٩٣﴾ ﴿إِن﴾ أي: ما ﴿كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾ ذَليلاً خاضِعاً يَوم القِيامة، مِنهُم عُزَير وعِيسَى.

(﴿٩٤﴾ ـ ﴿٩٥﴾) ﴿لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا﴾ فلا يَخفَى علَيهِ ....

حاشية الصاوي

بل هي ثلاث فقط؛ لأنَّ في قراءة التاء من (تكاد) وجهين: التاء والنون من (يَتفطرن)، وفي قراءة الياء وجهاً واحداً وهو التاء من (يَتفطرن)، والثلاث سبعيَّات[1].

قوله: (﴿وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ﴾) أي: تَخسف بهم.

قوله: (من أجل ﴿أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا﴾) المعنى: أنَّ هذه المقالة منهم مُوجبة للغضب عليهم الذي ينشأ عنه نزول السماء قِطعاً قطعاً عليهم، وخسف الأرض بهم، وسقوط الجبال عليهم لولا حِلمه وسبق رحمته، أو المعنى: أنَّ هذه المقالة من عِظَمها وشناعتها تفزع منها السماوات والأرض والجبال، وتتمنى أنها لو أهلكت مَنْ تفوَّه بها لولا رحمة الله.

قوله: (قال تعالى) أي: ردًّا عليهم.

قوله: (﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ﴾) أي: لا يَليق به ذلك ولا يتَأتى؛ لاستحالته عليه عقلاً ونقلاً؛ لأن الولد علامة الضعف والحدوث.

قوله: (﴿لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ﴾) أي: أحاط بهم عِلمه.

قوله: (﴿وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا﴾) أي: عدَّ أشخاصهم وأنفاسهم وأفعالهم؛ فلا يَخفى عليه شيءٌ من أمورهم.

---

(١) قرأ نافع والكسائي بالياء من تحت، والباقون بالتاء من فوق، وقرأ أبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم وحمزة (ينفطرن) مضارع (انفطر)، والباقون (يتفطرن) مضارع (تفطر) بالتشديد. انظر «الدر المصون» (٧/٦٤٦).

﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ۝٩٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ۝٩٦ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ ....

مَبلَغُ جَميعِهِم ولا واحِدٌ مِنهُم. ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ بِلا مالٍ ولا نَصيرٍ يَمنَعُه.

﴿٩٦﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ فِيما بَينَهُم يَتَوادُّونَ ويَتَحابُّونَ ويُحِبُّهُم الله تَعالى.

﴿٩٧﴾ ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ﴾ أي: القُرآنَ ﴿بِلِسَانِكَ﴾ العَرَبِيِّ ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (مبلغ جَميعهم) راجع لقوله: ﴿وَعَدَّهُمْ﴾، وقوله: (ولا واحدٌ منهم) راجع لِقوله: ﴿أَحْصَىٰهُمْ﴾، فكأنه قال: أحاط بهم علماً جمعاً وفُرادى.

قوله: (﴿فَرْدًا﴾) أي: منفرداً.

قوله: (﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾) أي: في الدنيا والآخرة، والتنوين للتعظيم؛ أي: ودًّا عظيماً؛ فكلما عظُمت طاعاتهم.. عظم ودُّهم لربهم ولأحبابه. وعبَّر بـ(الرحمن)؛ لعظم تلك النعمة؛ فإنَّ المحبة رأس الإيمان وأساسُه؛ لما في الحديث: «ألا لا إيمانَ لمن لا محبَّة له»؛ فمن أعطي المحبة لله ولأحبابه.. فقد أعطي خير الدنيا والآخرة؛ لأنَّ المحبة حكمة إيجاد الخلق؛ لما في الحديث القدسي: «فأحببتُ أن أعرف فخلقت الخلق، فبي عرَفوني»[1]، وبالجملة: فالمحبة أمرها عظيم؛ ولذا كان تنافس العارفين فيها، فكلٌّ من عظمت مَعرفته.. ازداد محبَّة وشغفاً.

وعبَّر بأداة الاستقبال؛ لأن المؤمنين كانوا بمكة في مبدأ الإسلام مفرَّقين، فوعد الله رسوله بأنه يؤلِّف بين قلوب المؤمنين ويَضع فيها المحبة، فهذه الآية نزَلت في مبدأ الإسلام تسليةً له ﷺ.

و﴿وُدًّا﴾ بضمِّ الواو للسبعة، وقرئ بفتحها وكسرها، فهو مثلَّث[2].

قوله: (﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ﴾) أي: أنزلناه ميسَّراً.

قوله: (العربيِّ) أي: فالمراد باللسان: اللُّغةُ العربيةُ.

---

(١) أورده العلامة العجلوني في «كشف الخفا» (٢/ ١٣٢)، وقال: (قال ابن تيمية: ليس من كلام النبي ﷺ، ولا يُعرف له سند صحيح ولا ضعيف، وتَبِعه الزركشي والحافظ ابن حجر في «اللآلئ» والسيوطي وغيرهم، وقال القاري: لكنَّ معناه صحيح مُستفاد من قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: ليعرفوني؛ كما فسَّره ابن عباس رضي الله عنهما).

(٢) العامَّة على ضم الواو، وقرأ أبو الحارث الحنفي بفتحها، وجناح بن حبيش بكسرها. انظر «الدر المصون» (٧/ ٦٥٣).

﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾﴾

الفائزِينَ بِالإيمانِ، ﴿وَتُنذِرَ﴾: تُخَوِّفَ ﴿بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾: جَمع ألَدَّ أي: جَدِلٍ بِالباطِلِ وهُم كُفَّار مَكَّة.

﴿٩٨﴾ ﴿وَكَمْ﴾ أي: كثِيراً ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ أي: أُمَّة مِن الأُمَم الماضِية بِتَكذِيبِهِم الرُّسُل، ﴿هَلْ تُحِسُّ﴾: تَجِدُ ﴿مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا﴾: صَوتاً خَفِيًّا؟ لا، فكَما أهلَكنا أُولئكَ نُهلِكُ هَؤلاءِ.

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

قوله: (جمع ألَدَّ) أي: شَديد الخصومة.

قوله: (﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾... إلخ) تخويفٌ لهم، وتسليةٌ له ﷺ.

قوله: (﴿هَلْ تُحِسُّ﴾) بضم التاء وكسر الحاء من: (أحسَّ) رباعيًّا، والاستفهام إنكاري؛ كما أشار له بقوله: (لا)، وقرئ شذوذاً بفتح التاء وضمِّ الحاء أو كسرها[1].

قوله: (﴿مِنْهُم﴾) حال من ﴿أَحَدٍ﴾؛ لأنه نعت نكرة قدِّم عليها.

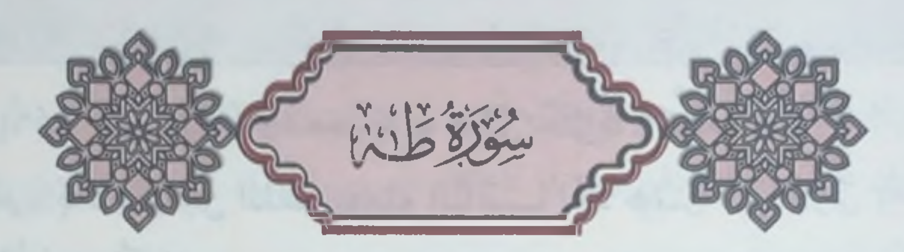
قوله: (صوتاً خفيًّا) أي: والمعنى: استأصلناهم بالهلاك جميعاً حتى لا يُرَى منهم أحد، ولا يُسْمَع لهم صوتٌ خفيٌّ.

✿ ✿ ✿

---

(١) قرأ أبو حيوة وأبو جعفر وابن أبي عَبلةَ: «تَحُس» بفتح التاء وضم الحاء، وقرأ بعضهم: «تَحِس» بالفتح والكسر. انظر «الدر المصون» (٧/ ٦٥٣).

﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢﴾ ....



مَكِّيَّة، مائةٌ وخمس وثلاثون آيةً أو وأربعون أو وثِنتانِ.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١ - ٢) ﴿طه﴾ الله أعلَم بِمُرادِه بِذلك. ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ يا مُحمَّدُ ﴿لِتَشۡقَىٰٓ﴾: لِتَتعَبَ بِما فعَلت بَعد نُزُولِه مِن طُول قِيامِك بِصَلاةِ اللَّيل، أي: خَفِّفْ عن نَفسِك.

حاشية الصاوي

سُورَةُ طه

(مكية) أي: كلُّها، وقيل: إلا ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ...﴾ الآية، وهذه السورة نزلت قبل إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكانت سبباً فيه[1].

قوله: (أو أربعون... إلخ) أي: فالخِلاف في سبع آيات، أو خمس.

قوله: (الله أعلم بمراده بذلك) أشار بذلك إلى أن ﴿طه﴾ حروفٌ مقطَّعةٌ استأثر الله بعِلمها.

وقيل: إن (طه) اسم من أسماء رسول الله ﷺ حُذف منه حرف النداء.

وقيل: إنه فعل أمر، وأصله: طَأها، والمعنى: طأ الأرض بقدميك معاً، خوطب به لمَّا كان يشدِّد على نفسه في تهجُّده؛ حيث كان يقوم الليل كلَّه ويَقِف على إحدى رجليه ويُريح الأخرى من شدة التعب، فأمَره الله بالتخفيف على نفسه، فكان يصلي وينام، ويقوم على رجليه معاً[2].

قوله: (من طول قيامك) بيان لـ(ما)، وقيل: إنَّ معنى ﴿لِتَشۡقَىٰٓ﴾: لتُتعِبَ نفسك بتأسُّفك على كُفرِ من كَفَرَ؛ فإنما عليك البلاغ، فأَرِح نفسك من هذا التعب؛ فإنا أنزلنا القرآن لمن يذَّكر ويخشى.

---

(١) روى قصة إسلامه رضي الله عنه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١/ ٢٧٩).

(٢) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (٢/ ٥٤٣) لابن مردويه في «تفسيره» عن سيدنا عليٍّ كرم الله وجهه.

﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ ....

﴿٣﴾ ﴿إِلَّا﴾: لَكِن أنزلناهُ ﴿تَذْكِرَةً﴾ بِهِ ﴿لِّمَن يَخْشَىٰ﴾: يَخافُ الله.

﴿٤﴾ ﴿تَنزِيلًا﴾ ـ بَدَل مِن اللَّفظ بِفِعلِهِ النَّاصِب لَهُ ـ ﴿مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾: جَمع عُلْيَا كـ(كُبرَى وكُبَر).

(﴿٥﴾ ـ ﴿٦﴾) هو ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ وهو في اللُّغة سَرِيرُ المُلك ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ استِواءً يَلِيقُ بِهِ، ....

حاشية الصاوي

وقيل: إنه ردٌّ وتكذيب للكفرة حيث قالوا لما رأوا كثرةَ عبادته وتهجُّداته: إنك لَتشقى بترك ديننا، وإن القرآن أُنزل عليك لتشقى به[1].

قوله: (لكن) أشار بذلك إلى أنَّ الاستثناء منقطعٌ؛ لأنَّ التذكرة ليست من جِنس الشقاء.

قوله: (﴿تَذْكِرَةً﴾) مفعول لأجله، و﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾ كذلك، وإنما نصب الثاني دون الأول؛ لأنَّ فاعل الذكرى والإنزال هو الله، بِخلاف الأوَّل[2].

قوله: (﴿لِّمَن يَخْشَىٰ﴾) أي: لمن في قلبه رقَّةٌ يتأثر بالمواعظ.

قوله: (بدل من اللفظ) أي: عوضٌ[3] من التلفظ والنطق بِفعله المقدَّر، والأصل: نزَّلناه تنزيلاً، فحذف الفعل وجوباً؛ لِنيابة المصدر عنه في المعنى والعمل.

قوله: (هو) قدَّره؛ إشارةً إلى أن ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ خبرٌ لمحذوف، وحينئذ: فيكون نعتاً مقطوعاً قُصِدَ به المدح.

قوله: (سرير الملك) أي: الذي يَجلس عليه الملك، قال تعالى في حقِّ بِلْقِيس: ﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا﴾ [النمل: ٤١].

قوله: (استواء يليق به) هذه طريقة السلف الذين يُفوِّضون علم المتشابه لله تعالى، ومن ذلك: جواب الإمام مالك رضي الله عنه عن معنى الاستواء على العرش في حقِّه تعالى؛ حيث قال للسائل:

---

(١) انظر «زاد المسير» (٣/ ١٥٠).

(٢) وشرط نصب المفعول له: اتحاد الفاعل والزمن.

(٣) فليس المراد البدلَ الاصطلاحي.

لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ ......

﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ مِن المَخلُوقات، ﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ هو التُّراب النَّدِيُّ، والمُراد الأَرَضُونَ السَّبع لِأَنَّها تحتَه.

﴿٧﴾ ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ﴾ في ذِكرٍ أو دُعاء ....

حاشية الصاوي

الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، أخرجوا عني هذا المبتدع[1].

وأما الخلَف ـ وهم من بعد الخمس مئة[2] ـ فيؤوِّلونه بمعنىً صحيحٍ لائقٍ به سبحانه وتعالى؛ فيقولون: إن المراد بالاستواء: الاستيلاء بالتصرف والقهر؛ فالاستواء له مَعنيان: الركوب والجلوس، والاستيلاء بالقهر والتصرف، وكِلا المعنيين واردٌ في اللغة، يُقال: استوى السلطان على الكرسي بمعنى: جلس، واستوى على الأقطار بمعنى: مَلك وقهر، ومن الثاني قولُ الشاعر[3]: [الرجز]

قد استَوى بِشرٌ على العِراقِ ... مِن غيرِ سَيفٍ ودَمٍ مُهراقِ

وحينئذٍ: فالمتعيِّن إطلاقه عليه تعالى بهذا المعنى هو الثاني.

قوله: (من المخلوقات) بيانٌ للثلاثة.

قوله: (هو التراب النَّديُّ) أي: الذي فيه نَداوةٌ؛ فإن لم يكن نديًّا.. فهو ترابٌ، ولا يقال له: ثرى.

قوله: (﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ﴾) المقصود منه: النهي عن الجهر لِغير أمر شرعي؛ كأنه يقول: إنَّ الله غنيٌّ عن الجهر فلا تُجهد نفسك به، فالجهرُ بالذِّكر أو الدعاء أو القراءة بقصد إسماع الله تعالى.. إمَّا جهلٌ أو كفرٌ، وأمَّا لغرض آخر كإرشاد العباد وحُضور القلب ودفع الشواغل والوسوسة.. فهو مطلوبٌ.

---

(١) انظر «طبقات الشافعية» للسبكي (٤: ٢٨٧)، وفي «الاعتقاد» للبيهقي (ص١١٦): (الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعاً، فأمر به أن يُخرَج).

(٢) وقيل: من بعد القرون الثلاثة. انظر «شرح الباجوري على الجوهرة» (ص١٥٦).

(٣) هو للبعيث كما قاله ابن عباد، أو للأخطل كما قاله الجوهري. انظر «إتحاف السادة المتقين» (٣/١٠٦).

﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩﴾ ....

فالله غَنِيٌّ عن الجَهر بِهِ؛ ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ مِنهُ أي: ما حَدَّثت بِهِ النَّفس وما خَطَرَ ولَم تُحَدِّث بِهِ، فلا تُجهِد نَفسَك بِالجَهرِ.

(٨) ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ التِّسعةُ والتِّسعُونَ الوارِدُ بِها الحَدِيث، و(الحُسنَى) مُؤنَّث الأحسَنِ.

((٩) - (١٠)) ﴿وَهَلْ﴾: قَد ﴿أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (فالله غنيٌّ... إلخ) قدَّره؛ إشارةً إلى أن جواب الشرط محذوف، وقوله: ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ...﴾ إلخ تعليلٌ لذلك المحذوف.

قوله: (﴿وَأَخْفَى﴾) هو أفعل تفضيل؛ أي: والذي هو أخفَى من السِّر.

قوله: (أي: ما حدَّثَتْ به النفس.... إلخ) هذا أحد أقوال في تفسير ﴿ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾، وقال ابن عباس: (السرُّ: ما أسرَّه ابن آدم في نفسه، وأخفى: ما أخفى على ابن آدم ممَّا هو فاعله وهو لا يَعلمه، فالله يعلم ذلك كلَّه، وعِلمه فيما مضى من ذلك وما يستقبل علمٌ واحدٌ، وجميعُ الخلائق في عِلمه كنفسٍ واحدةٍ)[1].

قوله: (فلا تجهد) بفتح التاء والهاء، أو ضمِّ التاء وكسر الهاء؛ من (جهد) و(أجهد) أي: لا تُتعب نفسك بالجهر بقَصد إسماع الله تعالى، وهذا نهيٌ له ﷺ والمراد به غيرُهُ.

قوله: (والحسنى مُؤنث الأحسن) أي: فهي اسم تفضيل يُوصف بها الواحد من المؤنث والجمع من المذكر لغير العاقل؛ كما هنا.

قوله: (﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾) الاستِفهام للتشويق والتقرير في ذِهن السامع، والجملة مستأنفة خطاب لسيدنا محمد ﷺ، كأنَّ الله يقول له: إنا أرسلناك بالتوحيد ولا غرابةَ في ذلك؛ فإنه أمرٌ مستمرٌّ فيما بين الأنبياء كابراً عن كابر، وقد خُوطب به موسى حيث قيل له: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى﴾ [طه: ١٤]، وبه ختم موسى مقالته حيث قال: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا

(١) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ١٢٥).

إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا ....

إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ﴾: لِامرَأتِه ﴿ٱمْكُثُوٓا﴾ هُنا، وذلك في مَسِيرِه مِن مَديَنَ طالِباً مِصر،

حاشية الصاوي

هُوَ﴾ [طه: ٩٨] فالمقصود من الاستفهام: تَشويق السامع؛ ليتلقى ما ذكر بتَطلع والتفات وحضور قلب، لا حقيقته؛ فإنه مستحيل عليه تعالى، أو أن (هل) بمعنى (قد) كما قال المفسِّر.

قوله: (﴿إِذْ رَءَا نَارًا﴾) ظرف لـ﴿حَدِيثُ﴾.

قوله: (امرأته) أي: وهي بِنت شعيب، واسمها: صفوراء، وقيل: صفورياء، وقيل: صفورة، واسم أختها: ليا، وقيل: شرفا، وقيل: عبدا. واختُلف في التي تزوَّجها؛ فقيل: هي الصغرى، وقيل: الكبرى، وتقدَّم ذلك.

قوله: (﴿ٱمْكُثُوٓا﴾) إنما أتى بجمع الذكور وإن كان الخطاب لامرأتِه؛ تعظيماً، أو مُراعاة لمن معها من الخدم والأولاد.

قوله: (وذلك في سيره[1]... إلخ) رُوي: أنه عليه السلام استأذن شعيباً عليه السلام في الخروج إلى أمِّه وأخيه بمصر، فخرج بأهله وأخذ على غير الطريق؛ مخافةً من ملوك الشام، فلما وافى وادي طوى ـ وهو بالجانب الغربي من الطور الذي هو بفلسطين؛ لأنه هو الذي على يمين المتوجه من مَدين، وقيل: هو الذي بين مصر وأيلة، وردَّ: بأنه على يَسار المتوجه من مدين إلى مصر كما هو مشاهد وقد قال تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ [مريم: ٥٢] ـ وُلِدَ له ولدٌ في ليلة مُظلمة شاتية باردة، وكانت ليلة الجمعة، وقد أخطأ الطريق، وتفرَّقت ماشيتُه ولا ماء عنده، وقَدح زَنده فلم يخرج ناراً[2]، فبينما هو كذلك إذ رأى عن يسارِ الطريق من جانب الطور ناراً، فأمر أهله بالمكث؛ لئلا يتَّبعوه فيما عَزم عليه من الذهاب إلى النار كما هو المعتاد؛ لئلَّا ينتقلوا إلى موضع آخر؛ فإنه مما لا يَخطر بالبال، فلما وصل إلى تلك النار التي أبصرها.. خاطَبه الله وأرسله إلى فرعون، وخلَّف أهله في المكان الذي تركهم فيه، فلم يزالوا مُقيمين فيه حتى مرَّ بهم راعٍ من أهل مدين، فعرَفهم فحملهم إلى شُعيب، فمَكثوا عنده حتى جاوز موسى ببني إسرائيل البحر، وغَرق فرعون وقومه، فبعثهم شعيب إلى موسى بمصر.

---

(١) في (ط٢): (مسيره).

(٢) الزند: العود الذي يقدح به النار. «القاموس» (١/ ٢٨٥).

﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾﴾ ....

﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ﴾: أبصرتُ ﴿نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ﴾: شُعلةٍ في رَأس فَتِيلةٍ أو عُود، ﴿أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى﴾ أي: هادِياً يَدُلُّني على الطَّريق، وكان أخطأها لِظُلمةِ اللَّيل، وقال: (لعلَّ) لِعَدم الجَزم بِوَفاء الوَعد.

(﴿١١﴾ - ﴿١٢﴾) ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ وهي شَجَرةُ عَوسَجٍ، ﴿نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ﴾ - بِكَسرِ الهَمزة بِتَأويلِ ﴿نُودِيَ﴾ بِـ(قِيل)، وبِفَتحِها بِتَقدِيرِ الباء - ﴿أَنَا۠﴾ - تَأكِيدٌ لِياء المُتكلِّم - ﴿رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ﴾: المُطهَّر أو المُبارَك، ﴿طُوٗى﴾ - بَدَل أو عَطف بَيان،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ﴾) من الإيناس، وهو: الإبصار، ومنه: إنسان العين؛ لأنه يُبصر الأشياء.

قوله: (﴿أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى﴾) ﴿أَوۡ﴾: مانعة خلوٍّ تُجوِّزُ الجمع، و﴿عَلَى﴾ بمعنى (عند) أي: عند النار.

قوله: (وكان أخطأها) أي: لأنه سار على غير الطريق؛ مخافةً من ملوك الشام.

قوله: (لعدم الجزم بوفاء الوعد) أي: لأنه لا يَدري ما يفعل الله به.

قوله: (﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾) أي: النار التي آنسها.

قوله: (عَوْسَج) هذا أحد أقوال فيها، وقيل: عليق، وقيل: عُنَّاب.

قوله: (﴿نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾) هذا أول المكالمة بينه وبين الله تعالى، وآخرها قوله فيما يأتي: ﴿أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾، وهذا بالنسبة لهذه الواقعة، وإلَّا.. فله مكالماتٌ أُخر، وسمع الكلام بكلِّ أجزائه من جميع جهاته حتى إنَّ كلَّ جارحةٍ منه كانت أذناً.

قوله: (﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾) أي: تواضعاً لله، ومن ثَمَّ كان السلف يَطوفون بالكعبة حفاةً، وقيل: أمر بخلعها؛ لِنجاستهما؛ لأنهما كانا من جلد حمار ميِّت لم يُدبغ[1]، روي: أنه خلَعهما وألقاهما خلف الوادي.

---

(١) وقيل: ليباشر بقدميه بركة الوادي، وهذا الذي رجَّحه الطبري في «تفسيره» (١٨/٢٧٨)؛ لأن في ذكر قوله: ﴿إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾ بِعَقِبه دليلاً واضحاً على أنه إنما أمره بِخلعهما؛ لما ذكرنا.

وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا ....

بِالتَّنوِينِ وتَركه؛ مَصرُوف بِاعتِبارِ المَكان، وغَير مَصرُوف لِلتَّأنِيث بِاعتبارِ البُقعة مع العَلَمِيَّة ـ.

(﴿١٣﴾ - ﴿١٥﴾) ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ﴾ مِن قَومِك ﴿فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ إلَيكَ مِنِّي، ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ فِيهَا. ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾ عَن النَّاس، ويَظهَر لَهُم قُربُها بِعَلاماتِها؛ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بالتنوين وتركه) هما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ﴾) أي: للنبوة والرسالة، وكان عمرُه إذ ذاك أربعين سنة؛ كما سيأتي عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٠].

قوله: (﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾) بدل من (ما يوحى)، وهو إشارةٌ للعقائد العقليَّة، وقوله: ﴿فَٱعۡبُدۡنِي﴾ إشارةٌ للأعمال الفرعيَّة، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ إشارة لِلعقائد السمعيَّة؛ فقد اشتمل ذلك على جملة الدِّين.

قوله: (﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾) خصَّها بالذكر وإن كانَت داخلة في جملة العبادة؛ لِعِظم شأنها واحتوائها على الذكر، وشغل القلب واللسان والجوارح، فهي أفضَل أركان الدين بعد التوحيد.

قوله: (﴿لِذِكۡرِيٓ﴾ فيها) أي: لِتذكرني فيها؛ لأنها مشتملةٌ على كلامي وغيره من أنواع الذكر.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾) أي: حاصلةٌ ولا بدَّ، وسمِّيت ساعة؛ لأنها تأتي في ساعة؛ أي: قِطعة من الزمان.

قوله: (﴿أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾) أي: أريد إخفاءَ وقتها، والحكمة في إخفاء وقتها وإخفاء الموت: أنَّ الله حَكم بعدم قبول التوبة عند قربها، وفي الغرغرة؛ فلو عرَف الخلق وقتهما.. لاشتغلوا بالمعاصي إلى قرب ذلك الوقت، ثمّ يَتوبون فيتخلَّصون من عقاب المعصية، فتعريف وَقتهما كالإغراء بفعل المعاصي.

قوله: (بِعلاماتها) أي: أماراتها، وأول العلامات الصغرى: بعثتُه ﷺ، وآخرها ظهور المهدي.

---

(١) قرأ الكوفيون وابن عامر بضمِّ الطاء والتنوين، والباقون بضمِّها من غير تنوين. انظر «الدر المصون» (٨/ ١٦).

لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ ....

﴿لِتُجْزَىٰ﴾ فِيها ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ بِهِ مِن خَيرٍ أو شَرٍّ.

﴿١٦﴾ ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ﴾: يَصرِفَنَّك ﴿عَنْهَا﴾ أي: عنِ الإيمانِ بِها ﴿مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ في إنكارِها، ﴿فَتَرْدَىٰ﴾ أي: فتَهلِك إن صَدَدتَ عَنها.

﴿١٧﴾ ﴿وَمَا تِلْكَ﴾ كائنةً ﴿بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ﴾؟ الاستِفهامُ لِلتَّقرِيرِ لِيُرَتِّبَ عليهِ المُعجِزةَ فِيها.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لِتُجْزَىٰ﴾) متعلق بـ﴿أُخْفِيهَا﴾، أو بـ﴿ءَاتِيَةٌ﴾، وقوله: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ جملة معترضة بين المتعلَّق والمتعلِّق.

قوله: (﴿بِمَا تَسْعَىٰ﴾) (ما): موصولة، وجملة ﴿تَسْعَىٰ﴾: صِلته، والعائد محذوفٌ، قدَّره المفسِّر بقوله: (به)، وقوله: (من خير أو شرٍّ) بيان لـ(ما).

قوله: (﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ﴾) الخطاب لموسى والمراد غيره، والفعل مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة.

قوله: (﴿فَتَرْدَىٰ﴾) منصوب بفتحة مقدَّرة على الألف بـ(أنْ) مضمرة بعد فاء السببية في جواب النهي.

قوله: (﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ﴾) أي: بعد أن خلَع عليه خِلعةَ النُّبوة والرسالة.. بسط له الكلام؛ ليزداد حبًّا وشَغفاً، ويؤيِّده بالمعجزات الباهرة.

و(ما): اسم استفهام مبتدأ، و﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة خبر، وقوله: ﴿بِيَمِينِكَ﴾ متعلق بمحذوف حال، والعامل فيه معنى الإشارة، وهذا أحسن من جعل ﴿تِلْكَ﴾ اسماً موصولاً بمعنى (التي)، و﴿بِيَمِينِكَ﴾: صِلتها؛ لأنه ليس مذهب البصريين[1].

قوله: (الاستفهام للتقرير) أي: فحكمة الاستفهام كون موسى يُقرُّ ويعترفُ بصفات تلك العصا

---

(١) لأنهم لم يَجعلوا من أسماء الإشارة موصولاً إلا (ذا) بشروط، وأما الكوفيون.. فيُجِيزون ذلك في جميعها، ومنهُ هذه الآية عندهم؛ أي: وما التي بِيَمينك؟ انظر «الدر المصون» (٨/ ٢٣).

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ۝١٨﴾ ....

﴿١٨﴾ ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا﴾ : أعتَمِدُ ﴿عَلَيْهَا﴾ عِند الوُثوب والمَشيِ، ﴿وَأَهُشُّ﴾ : أخبِطُ ورَق الشَّجَر ﴿بِهَا﴾ لِيَسقُطَ ﴿عَلَىٰ غَنَمِي﴾ فتَأكُلَهُ، ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ﴾ : جمع مَأرُبة ـ مُثلَّث الرَّاء ـ أي: حَوائجُ ﴿أُخْرَىٰ﴾ كحَملِ الزَّاد والسِّقاءِ وطَردِ الهَوامِّ، زادَ في الجَواب بَيانَ حاجاتِه بِها.

حاشية الصاوي

فيَمنحه فوق ما يعلم منها، وليس المراد حقيقة الاستفهام الذي هو طلب الفَهم؛ فإنه مستحيل عليه تعالى؛ لِعِلمه بها.

قوله: (﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾) أي: وكانت من آس الجنة، نَزل بها آدم منها، ثمَّ ورثها شعيب، فلمَّا زوَّجه ابنته.. أمرَها أن تُعطيه عصاً يدفع بها السباع عن غنمه، وكانت عِصيُّ الأنبياء عنده، فوقع في يدها عصا آدم، فأخذها موسى بعِلم شعيب.

وإنما زاد في الجواب؛ لأنَّ المقام مقام مُباسطة وخطاب الحبيب، ولا شكَّ أنَّ الزيادة في الجواب في هذا المقام مما يريح الفؤاد، وإلَّا.. فكان يَكفيه أن يقول: هي عصاي.

قوله: (عند الوثوب) أي: النهوض للقيام.

قوله: (﴿وَأَهُشُّ﴾) بضم الهاء من: (هشَّ يهُشُّ) بمعنى: خبط الشجر؛ ليسقطَ ورقه، وأمَّا (هشَّ يهِشُّ) بكسر الهاء.. فيقال على اللين والاسترخاء، وسُرعة الكسر والبشاشة.

قوله: (﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾) أجمل في هذا الجواب؛ إمَّا حياءً من الله تعالى؛ لِطول الكلام، أو اتكالاً على عِلمه تعالى.

قوله: (كحمل الزاد) أشار بالكاف إلى أنَّ لها منافعَ أخرَ، فكان يستقي بها الماء من البئر فيَجعلها موضع الحبل، وكلُّ شعبةٍ من شعبتيها تصير دلواً ممتلئاً، وكانت تُماشيه وتحادثه، وكان يضرب بها الأرض فيخرج له ما يأكله يومَه، ويركزها فيخرج الماء، فإذا رفعها.. ذهب الماء، وكان إذا اشتهى ثمرةً.. ركزها فتغصن غُصنين، فصارت شجرة وأورقت وأثمرت، وكانت شُعبتاها تضيئان بالليل كالسراج، وإذا ظهر له عدوٌّ.. كانت تُحاربه.

قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ ....

(﴿١٩﴾ - ﴿٢٠﴾) ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ﴾: ثُعبانٌ عَظِيم ﴿تَسْعَىٰ﴾: تَمشِي على بَطنِها سَرِيعاً كسُرعةِ الثُّعبان الصَّغِير المُسَمَّى بِالجانِّ المُعَبَّر بِه فِيها في آيةٍ أُخرَى.

﴿٢١﴾ ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ مِنها، ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا﴾ مَنصُوب بِنَزعِ الخافِض أي: إلى حالَتِها ﴿ٱلْأُولَىٰ﴾، فأدخلَ يَدَه في فَمِها فعادَت عَصاً، فتَبَيَّنَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَأَلْقَىٰهَا﴾) أي: طرحها على الأرض.

قوله: (﴿فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾) عبَّر عنها هنا بـ: الحية، وفي آية أخرى بـ: ثعبان، وفي أخرى بأنها كالجانِّ، ووجه الجمع: ما أشار له المفسِّر بقوله: (تمشي على بطنها سريعاً كسرعة الثعبان... إلخ)، والحاصل: أن تسميتها حيَّة باعتبار كونها ثعباناً عظيماً، وجانًّا باعتبار سُرعة مشيها.

قوله: (المسمَّى بالجان) أي: وهو الثعبان الصغير، وأما الجن.. فهو النوع المعروف.

قوله: (﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾) إنما حصل له الخوف؛ لأنَّ صُورتها هائلة، فشعبتاها صارتا شدقين لها، والمحجن عُنقها، وعيناها تتَّقدان ناراً، تمرُّ بالصخرة العظيمة فتلتقمها، وتقطع الشجرة العظيمة بأنيابها، ويُسمع لأسنانها صوتٌ عظيمٌ، فظنَّ أنها سَطوةٌ من الله عليه، فولَّى مدبراً ولم يُعقب، فلما قال الله له: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ تبيَّن له أنها نعمةٌ لا نقمةٌ.

قوله: (فأدخل يده) أي: مكشوفة، وقيل: كان عليه مِدْرَعَةُ صوفٍ، فلما قال الله له: ﴿خُذْهَا﴾.. لفَّ كُمَّ المِدْرَعَةِ على يده، فأمره الله أن يَكشف يده وقال: أرأيتَ لو أذن الله لها أكانت المدرعة تغني عنك شيئاً؟ قال: لا، ولكني ضعيفٌ، من الضعف خُلِقْتُ، فكشَف عن يده ثمَّ وضعها في فم الحيَّة[1].

قوله: (وتبيَّن) هو فعل ماضٍ، فاعله ضمير يعود على موسى؛ أي: عَلم.

---

(١) انظر «تفسير البغوي» (٨/ ٦٧١).

وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا

أنَّ مَوضِعَ الإدخالِ مَوضِع مَسكِها بَين شُعبتَيها، وأُرِيَ ذلك السَّيِّدُ مُوسى لِئَلَّا يَجزَعَ إذا انقَلَبَت حَيَّة لَدَى فِرعونَ.

﴿٢٢﴾ ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ﴾ اليُمنَى بِمَعنَى الكَفِّ ﴿إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ أي: جَنبِك الأيسَرِ تَحت العَضُد إلى الإبط وأخرِجْها ﴿تَخْرُجْ﴾ خِلافَ ما كانَت علَيهِ مِن الأُدْمة، ﴿بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ أي: بَرَص تُضِيء كشُعاعِ الشَّمس تَغشَى البَصَرَ، ﴿ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾ ـ وهي و﴿بَيْضَآءَ﴾ حالانِ مِن ضَمير ﴿تَخْرُجْ﴾ ـ.

﴿٢٣﴾ ﴿لِنُرِيَكَ﴾ بِها إذا فعَلتَ ذلك لِإظهارِها ﴿مِنْ ءَايَٰتِنَا﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (أن موضع. . . إلخ) في محل المفعول به.

قوله: (موضع مسكها) أي: الاتكاء عليها، والمعنى: أنه لما وضع يده في فمها وانقلبت عصاً ويدُه بحالها. . رأى محلَّ يده هو ما بين الشفتين، والشعبتان صارتا شِدقين، وصار ما تحتهما ـ وهو محل مسكها بيَده ـ عنقاً لها.

قوله: (وأُرِيَ ذلك) أي: بصَّر الله موسى قَلْبَها حيَّةً في ذلك الوقت؛ لئلا يَجزع. . . إلخ.

قوله: (لدى فرعون) أي: عِنده.

قوله: (بمعنى: الكفِّ) أي: لا بمعنى حَقيقتها، وهي: من الأصابع إلى المنكب.

قوله: (تحت العضد) بيان للمراد من الجنب، وقوله: (إلى الإبط) بمعنى: المرفق منتهياً إلى الإبط.

قوله: (من الأدمة) أي: السُّمرة.

قوله: (﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾) متعلق بـ﴿تَخْرُجْ﴾، وهذا يسمَّى عند أهل البيان احتراساً، وهو: أن يؤتى بشيء يرفع توهُّم غير المراد؛ لأنَّ البياض قد يُراد به البرَص والبَهَق.

قوله: (تضيء كشعاع الشمس) أي: فكان إذا أدخل يده اليمنى في جيبه وأدخلها تحتَ إبطه الأيسر وأخرجها. . كان لها نورٌ ساطعٌ يُضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر وأشدَّ ضوءاً، ثمَّ إذا ردَّها إلى جيبِه. . صارت إلى لونها الأول.

﴿ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾﴾ ....

الآيةَ ﴿ٱلْكُبْرَى﴾ أي: العُظمَى على رِسالَتِك، وإذا أرادَ عَودَها إلى حالَتها الأُولَى ضَمَّها إلى جَناحِه كما تَقَدَّمَ وأخرَجَها.

﴿٢٤﴾ ﴿ٱذْهَبْ﴾ رَسُولاً ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ ومَن معَهُ ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾: جاوَزَ الحَدَّ في كُفرِه إلى ادِّعاء الإلهيَّة.

(﴿٢٥﴾ - ﴿٣٢﴾) ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾: وَسِّعهُ لِتَحمُّلِ الرِّسالة، ﴿وَيَسِّرْ﴾: سَهِّلْ ﴿لِىٓ أَمْرِى﴾ لِأُبَلِّغها، ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى﴾ حَدَثَتْ مِن احتِراقه ....

حاشية الصاوي

قوله: (الآيةَ ﴿ٱلْكُبْرَى﴾) قدَّره؛ إشارةً إلى أن ﴿ٱلْكُبْرَى﴾ صفة لمحذوف، مفعول ثان لقوله: (نريك)، والكاف: مفعول أول، و(الكبرى): اسم تفضيل، والمعنى: التي هي أكبرُ من غيرها حتى من العصا؛ لأنها لم تعارض أصلاً، وأما العصا.. فقد عارَضها السحرة.

قوله: (﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾) أي: بهاتين الآيتين، وهما: العصا واليد، رُوي: أن الله قال لموسى عليه السلام: اسمع كلامي، واحفَظ وصيَّتي، وانطلق برسالتي؛ فإنك بعَيني وسمعي، وإنَّ معك يدي ونصري، وإني أُلبسك جبَّة من سلطاني تستكمل بها القوة في أمرك، أبعثُك إلى خلقٍ ضَعيفٍ من خلقي، بطَر نعمتي، وأَمِنَ مكري، وغرَّته الدنيا حتى جَحد حقِّي، وأنكر ربوبيَّتي، أُقسم بعزَّتي لولا الحجة التي وضعت بيني وبين خلقي.. لَبطشت به بَطشة جبَّار، ولكن هان عليَّ وسقط من عيني، فبَلِّغه رسالتي، وادعُه إلى عبادتي، وحذِّره نعمتي، وقل له قولاً ليناً؛ لا يَغتر بلباس الدنيا؛ فإنَّ ناصيته بيَدي، لا يطرف ولا يتنفس إلا بعلمي، فسَكت موسى سبعة أيام لا يتكلم، ثمَّ جاءه الملك فقال له: أَجِب ربك فيما أمرك، فعند ذلك قال: ربِّ اشرح لي صَدري[1].

قوله: (وسِّعه لتحمُّل الرسالة) أي: فإنك كلَّفتني بأمرٍ عظيمٍ لا يَقْوَى عليه إلَّا مَنْ شرحتَ صدره وقوَّيتَه.

قوله: (﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى﴾) أي: لُكْنَةً حاصلةً فيه، وقد أجيب بحلِّها فعاد لِفصاحته الأصلية، وهذا هو الأحسَن، وقيل: زال بعضها؛ بدليل قوله: ﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا﴾،

(١) نقله الخطيب الشربيني في «السراج المنير» (٢/٤٥٨) عن وَهب بن مُنبه.

﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾﴾ ....

بِجَمرةٍ وضَعَها بِفِيهِ وهو صَغِير، ﴿يَفْقَهُوا﴾: يَفهَمُوا ﴿قَوْلِي﴾ عِند تَبلِيغ الرِّسالةِ، ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا﴾: مُعِيناً علَيها ﴿مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ﴾ ـ مفعولٌ ثانٍ ـ ﴿أَخِي﴾ ـ عطفُ بيان ـ ﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾: ظَهرِي، ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ أي: الرِّسالةِ، والفِعلانِ بِصِيغَتَي الأمر والمُضارع

حاشية الصاوي

وقول فرعون: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢]، وردَّ: بأن معنى ﴿هُوَ أَفْصَحُ﴾: أنه لم يَطرأ عليه لكنة، وقول فرعون: باعتبار ما يَعهَده منه.

قوله: (بجمرة وضعها... إلخ) أي: وذلك أنَّ موسى لاعبَه فرعون ذات يوم، فنَتف لحيته ولطمه على وجهه، فاغتمَّ وهمَّ بقَتله، فقالت له زوجته آسية بنت مزاحم: مثل هذا الغلام لا يُغتمُّ منه؛ لأنه لا يفرِّق بين التمرة والجمرة، فأُتِيَ له بطَشْتٍ فيه تمرٌ ـ وقيل: جوهرٌ ـ وبِطشت فيه جمرٌ، فأراد أن يأخذ التمر أو الجوهر، فأخذ جبريل بيَده ووَضعها على الجَمرة، فأخذ جمرةً ووَضعها على فيه، فاحترق لسانه وصار فيه لُكنة[1].

قوله: (﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾) مجزوم في جواب الدعاء.

قوله: (﴿وَزِيرًا﴾) من الوِزْرِ وهو: الثقل، سمِّي بذلك لأنه يتحمَّل مَشاقَّ الملك، ويُعينه على أموره، ويقوم بها[2].

قوله: (مفعول ثانٍ) أي: والأول ﴿وَزِيرًا﴾، والأحسن: عكسُه؛ بأن يجعل ﴿وَزِيرًا﴾ مفعولاً ثانياً مقدَّماً، و﴿هَارُونَ﴾ مفعول أول مؤخَّر؛ لأنَّ القاعدة: إذا اجتمع معرفة ونكرة.. يُجعل المفعول الأول هو المعرفة؛ لأن أصله المبتدأ، والنكرة المفعول الثاني؛ لأن أصله الخبر، و﴿وَزِيرًا﴾ نكرة، و﴿هَارُونَ﴾ معرفة بالعَلميَّة[3].

قوله: (والفعلان بصفتي الأمر والمضارع) حاصلُ ما هنا: أن القراءات السبعيَّة خمسةٌ: اثنتان

---

(١) انظر «تفسير القرطبي» (١١/ ١٩٢).

(٢) وقيل: بل هو من الوَزَرِ وهو الملجأ، كقوله تعالى: ﴿لَا وَزَرَ﴾. «الدر المصون» (٨/ ٣٣).

(٣) ويجوز أن يكون «لي» مفعولاً ثانياً مقدماً، و(وزيراً) هو المفعول الأول، و(مِن أهلي) على هذا: يجوز أن يكون صفة لـ(وزيراً)، ويجوز أن يكون متعلقاً بالجعل، و(هارون): بدل من (وزيراً). انظر «الدر المصون» (٨/ ٣٠).

كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ ....

المَجزُوم، وهو جَواب الطَّلَب.

(﴿٣٣﴾ - ﴿٣٥﴾) ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ﴾ تَسبِيحاً ﴿كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ﴾ ذِكراً ﴿كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾: عالِماً فأنعمتَ بالرِّسالةِ.

(﴿٣٦﴾ - ﴿٣٩﴾) ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ مَنًّا عليك. ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ﴾ ....

حاشية الصاوي

عند الوقف على ياء ﴿أَخِى﴾، وهما: قِراءة الفعلين بصفتي الأمر؛ فتُضم الهمزة في الأول وتفتح في الثاني، والمضارع فتفتح في الأول وتضم في الثاني، وثلاثة عند وصل ﴿أَخِى﴾ بما بعده، وهي: أن تسكن الياء ممدودةً قدر ألفين مع قراءة الفعلين بالمضارع، أو تَفتحها والفعلان بالأمر، أو تحذفها وهما بالأمر أيضاً[1].

قوله: (وهو جواب الطلب) أي: وهو (اجعل لي).

قوله: (﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾) تعليل لكلٍّ من الأفعال الثلاثة التي هي: اجعَل، واشدد، وأشْرِك.

قوله: (﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ﴾) أي: جواباً لمطلوباته، وقوله: ﴿سُؤْلَكَ﴾ أي: مَسؤولك، فـ(فُعْلٌ) بمعنى (مفعول) كـ: (أُكْلٍ وخُبْزٍ) بمعنى: مأكول ومَخبوز.

قوله: (﴿يَٰمُوسَىٰ﴾) خاطبه باسمه إشعاراً بمحبَّته، وتعظيمِ شأنه، ورِفعةِ قدره عليه السلام.

قوله: (منًّا عليك) أي: تفضُّلاً حاصلاً عليك، وقدَّره؛ دخولاً على ما بعده.

قوله: (﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ﴾) استئنافٌ مسوقٌ لزيادة الطمأنينة لموسى؛ كأن الله يقول له: إنا قد مَنَنَّا عليك بمننٍ سابِقة من غير دعاء منك ولا طلب، فلأن نُعطيك ما تطلبه بالأولى. وصدَّر الجملة بالقسم؛ زيادةً في الاعتِناء بشأنه.

قوله: (﴿مَرَّةً أُخْرَىٰ﴾) تأنيث (آخَر) بمعنى: غير؛ أي: تحقَّقت مِنَّتنا عليك مرة أخرى غير المنة التي تحقَّقت لك بسؤالك، والمراد بالمنة: الجِنس الصادق بالمنن الكثيرة.

---

(١) قرأ ابن عامر «أَشدُد» بفتح الهمزة للمضارعة وجزم الفعل جواباً للأمر، «وأُشرِكه» بضم الهمزة للمضارعة وجزم الفعل نسقاً على ما قبله، وقرأ الباقون بحذف همزة الوصلِ من الأول، وفتح همزة القطع في الثاني، على أنهما دعاء من موسى لربه بذلك. انظر «الدر المصون» (٨/ ٣٢).

أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ ....

ـ لِلتَّعليلِ ـ ﴿أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ مَناماً أو إلهاماً لَمَّا ولَدَتك وخافَت أن يَقتُلَك فِرعونُ في

حاشية الصاوي

قوله: (للتعليل) أي: لقوله: ﴿مَنَنَّا﴾، والمعنى: لأننا أوحينا إلى أمك... إلخ، ويَصح أن تكون للظرفية، والمعنى: ولقد مننَّا عليك وقتَ إيحائنا إلى أمك، وحاصل ما ذكره من المنن من غير سؤال ثمانية:

الأُولى: قوله: ﴿إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ﴾، الثانية: قوله: ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ...﴾ إلخ، الثالثة: قوله: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾، الرابعة: قوله: ﴿فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾، الخامسة: قوله: ﴿وَقَتَلۡتَ نَفۡسًا﴾، السادسة: قوله: ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًاۚ﴾، والسابعة: قوله: ﴿فَلَبِثۡتَ سِنِينَ﴾، الثامنة: قوله: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾.

قوله: (﴿إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾) أي: واسمها: يوحانذ؛ بياء مضمومة فواو ساكنة، بعدها حاء مهملة، فألف فنون مكسورة، فذال معجمة.

قوله: (مناماً أو إلهاماً) أي: أو يَقظة، ولا يُنافيه كونها ليست نبيَّةً؛ فإنَّ المخصوص بالأنبياء الوحي بالشرائع والتكاليف، وأمَّا الوحي بغير الشرع.. فجائزٌ حتى للنساء كما وَقع لمريم أمِّ عيسى[1].

قوله: (لما ولدتك) أي: في السنة التي رتَّب فيها فِرعون أتباعه لذبح كلِّ مَنْ يُولد من الذكور في تلك السنة، وذلك: أنَّ فرعون رأى رؤيا أهالته، فقَصَّها على الكهنة، فعبرت له بمولود يكون زَوال ملكه على يدَيه، فأمر أتباعه بأن يذبحوا كلَّ مَنْ يُولد من الذكور حتى شقَّ الأمر، فأبقى القتل في سنة، ورفعه في سنة، فصادف وِلادة موسى في السنة التي فيها القتل.

فلما وُلِدَ.. جاء أتباع فرعون يُفتشون على المولود، فوضعته أمُّه في التَّنور، فجاءت أختُه فأوقَدته، ففَتشوا عليه فلم يَجدوه، فخرجوا من عندها، فنَظرت إلى التنور فوجدته موقداً، فخافت عليه، فناداها من التَّنور، فأخرجته سالماً، فأوحى الله إليها أن أرضِعيه، فإذا خفتِ عليه.. فألقيه في اليمِّ، فأخذت صندوقاً وجعَلت فيه قطناً ووضعته فيه، ثمَّ طلَت رأس التابوت بالقار[2] وألقَته في اليم، فموَّجه البحر حتى أدخله في نهر كائن في بُستان فرعون، وكان فرعون جالساً مع آسية

---

(١) وكما أوحى للنحل وحيَ هدايةٍ ورشدٍ؛ فقال: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ﴾.

(٢) القار: شيء أسوَدُ يُطلى به السفن، يمنع الماء أن يدخل. «تاج العروس» (١٣/ ٤٩٩).

مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ ....

جُملةِ مَن يُولَد، ﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾ في أمرِك. ـ ويُبدَل مِنهُ ـ: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ﴾: أَلقِيهِ ﴿فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ﴾ بِالتَّابُوتِ ﴿فِى ٱلْيَمِّ﴾: بَحرِ النِّيل ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ أي: شاطِئِهِ، والأمرُ بِمَعنى الخَبَر، ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ وهو فِرعَونُ، ﴿وَأَلْقَيْتُ﴾ بَعد أن أخذَكَ ﴿عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾ لِتُحَبَّ في النَّاس؛ فأحَبَّك فِرعَونُ وكُلُّ مَن رَآك، ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾: تُربَّى على رِعايَتِي وحِفظِي لَك.

حاشية الصاوي

زوجته، فأمر به فأُخرج، ففتح فإذا هو صبي أحسن الناس وجهاً، فأحبَّه عدوُّ الله حبًّا شديداً حتى إنه لم يَقدر على بُعده عنه، وذلك قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾ [طه: ٣٩].

قوله: (﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾) أبهمه للتعظيم؛ كقوله تعالى: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨].

قوله: (في أمرك) أي: شأنك.

قوله: (ويبدل منه) أي: بدلَ مفصَّل من مجمل.

قوله: (أي: شاطئه) المراد: قُربه؛ لأنَّ الصندوق أخذ من نفس البحر قريباً من البر.

قوله: (والأمر بمعنى الخبر) أي: وحكمة العدول عنه: أنه لما كان إلقاء البحر إياه بالساحل أمراً واجبَ الحصول؛ لتعلُّق الإرادة به.. نزِّل البحر منزلة شخص مُطيع أمره الله بأمرٍ لا يستطيع مُخالفته.

وقوله: (﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾) يحتمل أن المعنى: ألقيت عليك محبة صادرة مني؛ بأن أحببتُك، فتسبَّب عن محبتي محبَّةُ الناس لك، ويحتمل أن المعنى: ألقيتُ عليك محبَّة خلقتُها في قلوب الناس لك، فأحبُّوك، والأول أحسَن؛ لِعدم الكلفة فيه.

قوله: (﴿وَلِتُصْنَعَ﴾) عطفه على محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (لتُحَبَّ من الناس).

قوله: (تربَّى على رِعايتي... إلخ) أي: فالعين هنا بمعنى: الرعاية والحفظ؛ مجازاً مرسلاً من إطلاق السبب ـ وهو العين ـ على المسبب ـ وهو الحفظ والرعاية ـ لأنَّ شأن من يَنظر الشيء بِعينه أن يحفظه ويَرعاه.

﴿إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ﴾ ....

(﴿٤٠﴾ - ﴿٤١﴾) ﴿إِذْ﴾ - لِلتَّعليلِ - ﴿تَمْشِىٓ أُخْتُكَ﴾ مَريَمُ لِتَتعرَّفَ خَبَرَكَ وقد أحضَرُوا مَراضِعَ وأنتَ لا تَقبَلُ ثَديَ واحِدةٍ مِنها، ﴿فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾؟ فأُجِيبَت، فجاءَت بِأُمِّهِ فقَبِلَ ثَديَها، ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بِلِقائِك ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ حِينئذٍ، ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ هو القِبطِيُّ بِمِصرَ، فاغتَمَمتَ لِقَتلِهِ مِن جهة فِرعَونَ، ﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾: اختَبَرناك بِالإيقاعِ في غَير ذلك وخَلَّصناكَ مِنهُ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أُخْتُكَ﴾ مريم) أي: وكانت شقيقتَهُ، وهي غيرُ أمِّ عيسى.

قوله: (لتتعرف خبرك) أي: فوجدَتك وقعت في يد فرعون، فدلَّتهم على أمِّك حيث قالت: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ...﴾ إلخ.

قوله: (وأنت لا تقبل... إلخ) أي: لحكمة عظيمة، وهي وقوعك في يد أمِّك؛ لأنَّك لو رضعتَ غيرها.. لاستغنوا عن أمِّك.

قوله: (﴿عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾) أي: يُكمل رضاعه، وقد أرضعته أمُّه؛ قيل: ثلاثة أشهر، وقيل: أربعة.

قوله: (﴿فَرَجَعْنَٰكَ﴾) معطوف على محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (فأُجيبت... إلخ).

قوله: (﴿كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾) أي: تسكنَ وتبردَ دمعةُ حزنها.

قوله: (﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ حينئذ) أي: حينئذ قَبِلْتَ ثَديها، والمراد: نفي دَوام الحزن.

قوله: (هو القبطي) أي: واسمه: قاب قان، وكان طباخاً لفرعون.

قوله: (من جهة فرعون) أي: لا من جهة قَتله؛ فإنه كان كافراً.

قوله: (﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾) أي: خلَّصناك من محنةٍ بعد أخرى، روي: أنَّ سعيد بن جبير سأل ابن عباس رضي الله عنهما عن هذه الآية فقال: خلَّصناك من محنةٍ بعد محنةٍ؛ وُلد في عام كان يقتل فيه الولدان، فهذه فتنة يا ابن جبير، وألقته أمُّه في البحر، وهمَّ فرعون بقتله، وقتل قبطيًّا، وأجَّر نفسه عشر سنين، وضلَّ الطريق، وضلَّ غنَمه في ليلة مظلمة، وكان يقول عند كل واحدة: فهذه فِتنة يا ابن جبير[1].

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٣٢٦) مطولاً.

﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ....﴾

﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ﴾ عَشراً ﴿فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ بَعد مَجِيئك إلَيها مِن مِصرَ عِند شُعَيب النَّبيِّ وتَزَوُّجك بِابنَتِه، ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ في عِلمِي بِالرِّسالة، وهو أربَعُونَ سَنةً مِن عُمرِك ﴿يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ﴾: اختَرتُك ﴿لِنَفْسِى﴾ بِالرِّسالةِ.

﴿٤٢﴾ ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ﴾ إلى النَّاس ﴿بِـَٔايَٰتِى﴾ التِّسعِ، ﴿وَلَا تَنِيَا﴾: تفتُرَا ﴿فِى ذِكْرِى﴾ بِتَسبِيحٍ وغَيرِه.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿سِنِينَ﴾ عشراً) أي: ولبثَ في مصر قبل قتل القبطي ثلاثين سنة، وقيل: خرج من مصر وهو ابن اثنتي عشرة سنة، فمكث بمَدين لرعي الغنم عشر سنين، وبعدها ثمانية عشر سنة.

قوله: (﴿عَلَىٰ قَدَرٍ﴾) أي: مقدار من الزمان.

قوله: (﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾) أي: لِتَشتغل بأوامري وتبليغ رسالتي، وأن تكون في حركاتك وسكَناتك لي لا لغيري.

قوله: (﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى﴾) أي: قد أجبناك فيما طلبتَ، وأعطينا أخاك الرسالة؛ فاذهب أنتَ وهو إلى فرعون وقومه.

قوله: (إلى الناس) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّه حُذِفَ من هنا؛ لِدلالة قوله فيما يأتي: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ عليه؛ كما أنَّه حذف فيما يأتي قوله: ﴿بِـَٔايَٰتِى﴾؛ لدلالة ما هنا عليه؛ ففي الكلام احتِباكٌ؛ حيث حذف من كلٍّ نظيرَ ما أثبته في الآخر.

قوله: (﴿بِـَٔايَٰتِى﴾ التسع) المناسب للمفسِّر أن يقول: العصا واليد؛ لأن باقي التسع لم يكن في المبدأ، بل كان في أثناء المدة، وعليه: فجمعُ الآيات باعتبار ما اشتَملت عليه العصا واليد من المعجزات المتعدِّدة.

قوله: (﴿وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى﴾) يقال: وَنَى يَنِي وَنْياً كـ: وَعد يَعِد وَعداً: إذا فتَر، وأصله: تَوْنِيَا، حذفت الواو؛ لِوقوعها بين عدوَّتيها: الفتحة، والكسرة.

قوله: (وغيره) كتبليغ الرسالة، وهو المقصود بالذات.

اذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ ....

(﴿٤٣﴾ - ﴿٤٤﴾) ﴿اذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ بِادِّعائِهِ الرُّبُوبِيَّةَ، ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ في رُجُوعِه عَن ذلك، ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾: يَتَّعِظ ﴿أَوْ يَخْشَىٰ﴾ الله فيَرجِعَ، والتَّرَجِّي بِالنِّسبة إلَيهِما لِعِلمِه تَعالى بِأَنَّهُ لا يَرجِع.

(﴿٤٥﴾ - ﴿٤٦﴾) ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾ أي: يَعجَلَ بِالعُقُوبة، ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ أي: يَتكبَّر، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿اذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾) إن قلتَ: ما حِكمة جمعهما في ضمير واحد مع أنَّ هارون لم يكن حاضراً في محل المناجاة، بل كان في ذلك الوقت بمِصر؟

وأُجيب: بأنَّ الله كشف الحجاب في ذلك الوقت عن سمع هارون حتى سَمع الخطاب مع أخيه، لكن موسى سمعه من الله بلا واسِطة، وهارون سمعه من جبريل عن الله، وهذا أحسَن ما يقال.

قوله: (﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾) أي: سهلاً لطيفاً، وقد قصَّه الله في سورة (النازعات) في قوله: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ١٨-١٩]؛ فإنه دَعوة في صورة عرض.

قوله: (في رجوعه عن ذلك) أي: عمَّا هو فيه من ادِّعاء الربوبية والتكبُّر.

قوله: (والترجي بالنسبة إليهما) أي: إلى موسى وهارون، والمعنى: اذهبا مُتَرَجِّيَيْنِ إيمانه وطامعَيْنِ فيه، ولا تذهَبا آيسَيْنِ منه.

قوله: (لعلمه تعالى بأنه لا يرجع) أي: والفائدة في إرسالهما: إلزامُه الحجة، وقطع عذره؛ لجريان عادتِه سبحانه وتعالى أنه لا يعذِّب أحداً إلا بعد تَبليغه الدعوة وعناده بعد ذلك.

قوله: (﴿قَالَا رَبَّنَآ﴾) أَسند القول لهما؛ لأنه وقع من كلٍّ منهما وإن كان مكانهما مختلفاً؛ لما تقدَّم أنه لا مانع من إزالة الحجاب عن هارون وسماعه من جبريل ما قيل لموسى وقتَ المناجاة.

قوله: (أي: يعجل بالعقوبة) أي: فلا يَصبر إلى تمام الدعوة وإظهار المعجزة.

قوله: (﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾) أي: يزداد تكبُّراً وكفراً، و(أو): مانعة خلوٍّ تُجوِّز الجمع.

قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٤٨﴾ ....

﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا﴾ بِعَوني، ﴿أَسْمَعُ﴾ ما يَقُولُ ﴿وَأَرَى﴾ ما يَفعَلُ.

﴿٤٧﴾ ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ إلى الشَّامِ ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ أي: خَلِّ عَنهُم مِن استِعمالِك إيَّاهُم في أشغالِك الشَّاقَّة، كالحَفرِ والبِناء وحَملِ الثَّقِيل، ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ﴾: بِحُجَّة ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ على صِدقِنا بِالرِّسالة، ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ أي: السَّلامةُ لَهُ مِن العَذاب.

﴿٤٨﴾ ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ﴾ ما جِئْنا به ﴿وَتَوَلَّى﴾: أعرَضَ عَنهُ. فأتَياهُ وقالا جَمِيعَ ما ذُكِر.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قَالَ لَا تَخَافَا﴾) أي: لا تنزعجا منه.

قوله: (﴿فَأْتِيَاهُ﴾) أي: اذهبا بأنفسكما إليه، ولا تقعُدا في مكانٍ وترسلا له.

قوله: (﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾) أمرهما الله أن يقولا له ستَّ جمل؛ أولها: قوله: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾، الثانية: قوله: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، الثالثة: قوله: ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾، الرابعة: قوله: ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾، الخامسة: قوله: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾، والسادسة: قوله: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾.

قوله: (﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾) أي: أطلِقهم من أسرِك ولا تتولَّ عليهم؛ فإنهم أولاد الأنبياء، ولا يَليق أن يولَّى عليهم خسيس، والمعنى: أن موسى وهارون أُرْسِلا إلى فرعون بأنه يُؤمن بالله وحده، ولا يتولى على بني إسرائيل.

قوله: (بِحجة) أي: دليل وبرهان على ما ادَّعيناه من الرسالة.

قوله: (فأتَياه وقالا له جميع ما ذكر) قدَّر ذلك؛ إشارةً إلى أن قوله: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا...﴾ إلخ مرتَّب على محذوف، وإشعاراً بأنهما سارعا إلى امتثال الأمر من غير تَوانٍ فيه.

قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ....

(﴿٤٩﴾ - ﴿٥٠﴾) ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾؟ اقتصَرَ علَيهِ لِأنَّهُ الأصلُ، ولِإدلالِه علَيهِ بِالتَّربِية. ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ﴾ مِن الخَلقِ ﴿خَلْقَهُۥ﴾ الَّذِي هو علَيهِ مُتَمَيِّز بِه عن غيره، ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ الحَيَوانَ مِنهُ إلى مَطعَمِه ومَشرَبه ومَنكَحِه وغَيرِ ذلك.

﴿٥١﴾ ﴿قَالَ﴾ فِرعونُ: ﴿فَمَا بَالُ﴾: حالُ ﴿ٱلْقُرُونِ﴾: الأُمَم ﴿ٱلْأُولَىٰ﴾ كقَومِ نُوحٍ وهُود ولُوط وصالِح في عِبادَتِهم الأوثانَ؟

﴿٥٢﴾ ﴿قَالَ﴾ مُوسى: ﴿عِلْمُهَا﴾ أي: عِلمُ حالِهم مَحفُوظٌ ﴿عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ﴾ هو اللَّوحُ المَحفُوظ يُجازِيهِم علَيها يَومَ القِيامة، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا﴾) لم يُضِف الرب لنفسه؛ تكبُّراً وطغياناً، وخوفاً على قومه إذا أضاف الربَّ لنفسه أن يَميلوا لموسى.

قوله: (اقتصر عليه) أي: مع تَوجيهه الخطاب لهما.

قوله: (لأنه الأصل) أي: في الرسالة، وهارون وإن كان رسولاً إلا أنَّ المقصود منه معاونةُ موسى.

قوله: (ولإدلاله عليه بالتربية) أي: ولإقامة فرعون الدليل على موسى؛ بأن ذكَّره بتَربيته في قوله الآتي في (الشعراء): ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ [الشعراء: ١٨].

قوله: (﴿خَلْقَهُۥ﴾) أي: صُورته وشكله.

قوله: (الحيوان منه) أي: من كل شيء.

قوله: (﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾) لما ظهر للَّعين حقِّيَّة ما قال موسى وبُطلان ما هو عليه.. أراد أن يَصرفه عليه السلام إلى ما لا يَعنيه من الأمور التي لا تعلُّق لها بالرسالة من الحكايات؛ خوفاً على رِياسته أن تذهب، فلم يَلتفت موسى عليه السلام إلى ذلك الحديث وقال: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾.

قوله: (في عِبادتهم الأوثان) أي: أكان سبباً في شَقاوتهم أو سعادتهم؟! وإنما لم يوضح له الجواب؛ لأنه مأمورٌ بملاطفَتِه، وإذا وضح له الجواب.. ربما نفَر وتغيَّر.

لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ ....

﴿لَّا يَضِلُّ﴾: يَغِيبُ ﴿رَبِّي﴾ عن شَيءٍ ﴿وَلَا يَنسَى﴾ رَبِّي شَيئاً.

﴿٥٣﴾ هو ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ﴾ في جُملةِ الخَلق ﴿ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾: فِراشاً، ﴿وَسَلَكَ﴾: سَهَّلَ ﴿لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾: طُرُقاً، ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: مَطَراً، قال تَعالى تَتمِيماً لِما وَصَفَهُ بِه مُوسى وخِطاباً لِأهلِ مكَّة: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا﴾: أصنافاً ﴿مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ صِفة ﴿أَزْوَٰجًا﴾، أي: مُختَلِفةَ الألوانِ والطُّعُوم وغَيرِهما، و(شَتَّى) جَمع شَتِيتٍ كمَرِيضٍ ومَرضَى، مِن شَتَّ الأمرُ: تَفرَّق.

﴿٥٤﴾ ﴿كُلُوا۟﴾ مِنها ﴿وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ﴾ فِيها، جَمع نَعَم وهي الإبِل والبَقَر والغَنَمُ، يُقال: رَعَت الأنعامُ ورَعَيتُها، والأمرُ لِلإباحة وتَذكِيرِ النِّعمة ـ والجُملةُ حال مِن ضَمِير (أخرَجنا) ـ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي﴾) أي: لا يَذهب شيءٌ عن علمه.

قوله: (﴿وَلَا يَنسَى﴾) أي: بعد عِلمه.

وقوله: (﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾) هذا من جملة جواب موسى عن سؤال فرعون الأوَّل.

قوله: (﴿مِهَٰدًا﴾[1]) أي: كالمهاد.

قوله: (طرقاً) أي: تَسلكونها من قُطْرٍ إلى قُطْرٍ؛ لتَقضوا مآربكم.

قوله: (قال تعالى) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا﴾ من كلامه تعالى لا بطريق الحكاية عن موسى، بل خطاباً لأهل مكة وامتناناً عليهم، ويَنتهي إلى قوله: ﴿تَارَةً أُخْرَىٰ﴾، وقيل: إنه من كلام موسى، وفيه التفات من الغيبة للتكلُّم.

قوله: (وخطاب لأهل مكة) أي: في قوله: ﴿وَٱرْعَوْا۟﴾.

قوله: (﴿شَتَّىٰ﴾) ألفه للتأنيث.

قوله: (يقال: رعت الأنعام... إلخ) أي: فيُستعمل لازماً ومتعدياً.

(١) قرأ الكوفيون: (مَهْداً) بفتح الميم وسكونِ الهاء من غير ألفٍ، والباقون: (مِهاداً). انظر «الدر المصون» (٨/ ٥١).

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾

أي: مُبيحِينَ لَكُم الأكلَ ورَعْيَ الأنعام. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المَذكُورِ هُنا ﴿لَأَيَٰتٍ﴾: لَعِبَراً ﴿لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾: لِأصحابِ العُقُول، جَمعُ (نُهْيَة) كـ(غُرفة وغُرَف)، سُمِّيَ بِه العَقل لِأنَّهُ يَنهَى صاحِبَه عن ارتِكابِ القَبائح.

﴿٥٥﴾ ﴿مِنْهَا﴾ أي: مِن الأرضِ ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾ بِخَلقِ أبِيكُم آدم مِنها، ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ مَقبُورِينَ بعدَ المَوت، ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ عِندَ البَعث ﴿تَارَةً﴾: مَرَّةً ﴿أُخْرَىٰ﴾ كما أخرَجْناكُم عِند ابتِداء خَلقِكُم.

﴿٥٦﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ﴾ أي: أبصَرنا فِرعَونَ ﴿ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا﴾ التِّسعَ ﴿فَكَذَّبَ﴾ بِها وزَعَم أنَّها سِحر، ﴿وَأَبَىٰ﴾ أن يُوَحِّدَ الله تَعالى.

(﴿٥٧﴾ - ﴿٥٨﴾) ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾: مِصرَ ويَكُونَ لك المُلك فيها ﴿بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: مبيحين لكم) المناسب أن يقول: (أي: قائلين لكم: كلوا... إلخ)، فهو أمرُ إباحةٍ.

قوله: (جمع نُهْيَةٍ) وقيل: إنه اسم مفرد، فهو مصدرٌ ك: الهدى والسُّرى.

قوله: (بخلق أبيكم آدم منها) أي: فجَميع الخلق غير آدم خُلِقوا من الأرض بواسطة، وهذا أحدُ قولين، وقيل: كلُّ إنسانٍ خُلِقَ من التراب بلا واسطةٍ؛ لأنَّ كل نُطفةٍ وقعت في الرحم يأخذ الملك الموكَّل بها شيئاً من تراب المكان الذي يُدفن فيه فيَذره على النطفة، فيخلق الله النَّسمة من النطفة والتراب.

قوله: (﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا﴾) إخبارٌ عمَّا وقع لموسى في مُدة دعائه لفرعون، وبهذا التقرير صحَّ قول المفسِّر: (التسع)، واندفع ما يقال: إنَّ فرعون في ابتداء الأمر لم يرَ إلا العصا واليد، وعليه: فتكونُ هذه الجملة معترضةً بين القصَّة.

قوله: (﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾) أي: بعد أن رأى ما رَأى من معجزة العصا واليد.. قال ما ذكر؛ تستُّراً وخوفاً على حظِّ رِياسته؛ لئلا يُؤمن قومه.

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ ....﴾

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ يُعارِضُهُ، ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ لِذلك ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا﴾ ـ مَنصُوب بِنَزعِ الخافِض (في) ـ ﴿سُوًى﴾ ـ بِكَسرِ أوَّله وضَمِّه ـ أي: وسَطاً تَستَوِي إلَيهِ مَسافَةُ الجائي مِن الطَّرَفَين.

﴿٥٩﴾ ﴿قَالَ﴾ مُوسى: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ يوم عِيد لَهُم يَتزَيَّنُونَ فِيه ويَجتمِعُون، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ﴾) اللام: مُوطئة لقسم محذوف، تقديره: وعزَّتي وكبريائي[1]، وقوله: (﴿بِسِحْرٍ﴾) متعلِّق بـ(نأتينك).

قوله: (﴿مِّثْلِهِۦ﴾) أي: في الغرابة.

قوله: (﴿مَوْعِدًا﴾) الأحسَن: أنه ظرف زمان، مفعول أول مؤخَّر لقوله: (اجعَل)، وقوله: ﴿بَيْنَنَا﴾: مفعول ثانٍ مقدَّم، وقوله: (بنزع الخافض[2]) أي: فالمعنى: عيِّن زماناً بيننا وبينك نَجتمع فيه في مكانٍ سُوًى؛ أي: متوسِّط.

قوله: (﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾) خصَّه عليه السلام بالتعيين؛ لمزيد وثوقه بربِّه، وعدم مُبالاته بهم، وليكون ظهور الحقِّ على رؤوس الأشهاد، ويَشيع ذلك بين كلِّ حاضرٍ وبادٍ، فيكون أعظمَ فخراً لموسى عليه السلام.

قوله: (يوم عيد لهم) أي: وكان يوم عاشوراء، واتُّفق أنه يوم سبت.

---

(١) اللام واقعةٌ في جواب قَسَم محذوف، كما قدَّره المفسر رحمه الله تعالى.

(٢) فيه: أنَّ العامل إن كان (اجعل).. فهو مُتعدٍّ بنفسه لهذا المنصوب؛ فلا وجه لِتَكلف حذف حرف الجر، وإن كان (موعداً).. فلا يخلُو؛ إما أن يكون المراد به المصدرَ أو الزمان أو المكان؛ فإن كان الأول.. ورَد عليه: أن الوعد ليس في المكان المستوي، بل الذي فيه إنما هو المناظَرة، والوعدُ وقع في مكان التخاطب قبل ذلك، وإن كان الثاني.. وَرَد عليه مثلُ الذي وَرد على ما قبله، وإن كان الثالث.. كان الصواب أن يجعله بدلاً منه، وحينئذ: فالأظهَرُ أنه منصوب بـ(اجعَل) على أنه مفعول فيه، ومِن المعلوم أنه على معنى (في)، فكأنَّ هذا شُبْهة الشارح في تعبيره بنزع الخافض، كأنه لما رأى أنَّ المعنى على نزع الخافض.. تَساهل فعبَّر بهذه العبارة، مع أنها لا تُقالُ إلا في العامل الذي لا يَصِلُ للمعمول بنفسه. تأمل. «فتوحات» (٣/ ١٠٣).

﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ۝٥٩ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ۝٦٠ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ ....

﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ﴾: يُجمَعَ أهل مِصر ﴿ضُحًى﴾ وقتَهُ لِلنَّظَرِ فِيما يَقَع.

۝٦٠ ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ﴾: أدبَرَ ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ أي: ذَوِي كَيدِه مِن السَّحَرة، ﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾ بِهِم المَوعِدَ.

۝٦١ ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ﴾ وهُم اثنانِ وسَبعُونَ مع كُلِّ واحِدٍ حَبلٌ وعَصاً: ﴿وَيْلَكُمْ﴾ أي: ألزَمَكُم الله الوَيلَ ﴿لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بِإشراكِ أحَدٍ معهُ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ﴾) «أنْ» وما دَخلت عليه: في تأويل مصدر معطوف على ﴿ٱلزِّينَةِ﴾؛ أي: ويوم حشْرِ النَّاس ضحىً.

قوله: (وقتَهُ) أي: وقت الضحى، وهو: ارتفاع الشمس.

قوله: (أدبر) أي: انصَرف في المجلس.

قوله: (أي: ذوي كيده) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف.

قوله: (ثم أتى بهم الموعد) أي: في يوم الزينة، وفي المكان المتوسط، وهو سكندريَّة.

قوله: (وهم اثنان وسبعون) اثنان من القبط، والسبعون من بني إسرائيل، وهذا أحد أقوال في عدَدهم، وقيل: كانوا اثنين وسبعين ألفاً ـ وهو ما في بعض النسخ ـ وقيل: اثني عشر ألفاً.

قوله: (مع كلِّ واحدٍ حبلٌ وعصاً) تقدَّم أنها كانت حملَ أربع مئة بَعير[1].

قوله: (أي: ألزمكم الله الويل) أشار بذلك إلى أن ﴿وَيْلَكُمْ﴾ مَنصوب بفعل محذوف، والويل معناه: الدَّمار والهلاك.

قوله: (بإشراك أحد معه) أي: بِسَبب إشراك أحد مع الله، والمعنى: ألزَمكم الله الويل إن افتريتم على الله الكذب بِسبب إشراككم مع الله بدَوام تصديقكم لفرعون.

---

(١) ما تقدَّم أنها حمل ثلاث مئة بعير، انظر (٢/٥٨٣).

فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ ....

﴿فَيُسْحِتَكُم﴾ ـ بِضَمِّ الياء وكَسرِ الحاء وبِفَتحِهِما ـ أي: يُهلِكَكُم ﴿بِعَذَابٍ﴾ من عِندِه، ﴿وَقَدْ خَابَ﴾: خَسِرَ ﴿مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾: كذَبَ على اللهِ.

(﴿٦٢﴾ - ﴿٦٣﴾) ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ في مُوسى وأخِيه، ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ﴾ أي: الكَلامَ بَينهم فِيهِما. ﴿قَالُوٓاْ﴾ لِأنفُسِهم: ﴿إِنَّ هَٰذَيْنِ﴾ لِأبِي عَمرو، ولِغَيرِه: ﴿هَٰذَٰنِ﴾ وهو مُوافِقٌ لِلُغة

حاشية الصاوي

قوله: (بضم الياء... إلخ) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان، فالضمُّ من الرباعي، والفتح من الثلاثي[١].

قوله: (﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾) أي: تَناظروا وتشاوروا في أمر موسى وأخيه سرًّا، واختُلف فيما أسرُّوه؛ فقيل: هو قولهم: (إنَّ هذين لساحران)[٢]، وقيل: هو قول بعضهم لبعض: ما هذا قولَ ساحرٍ؛ فإن غلَبَنا.. اتَّبعناه، وإن غلَبْناه.. بَقينا على ما نحن عليه.

قوله: (﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ﴾) أي: تحدَّثوا سرًّا فيما بينهم.

قوله: (لأبي عمرو) أي: فقراءته بالياء اسم (إنَّ)، و(ساحران): خبرها، واللام: للابتداء زُحلقت للخبر، وقوله: (ولغيره) خبرٌ مقدَّم، و(هذان): مبتدأ مؤخَّرٌ، وقوله: (وهو موافق) أي: (هذان) موافقٌ لمن يُعرب المثنى بحركات مقدَّرة على الألف؛ فيبني اسم الإشارة الدال عليه على الألف.

وقد أجمل المفسِّر في قوله: (ولغيره: «هذان»)، والحاصل: أن القراءات السبعيَّات أربعٌ: الأُولى لأبي عمرو التي ذكرها المفسِّر، وبقي ثلاث: الأُولى: تشديد نون (هذان) مع تخفيف نون (إن)، والثانية والثالثة: تخفيف نون (هذان) مع تشديد نون (إن) أو تخفيفها؛ فعلى تشديد نون (إنَّ) يكون (هذان) اسمَهَا مبنيًّا على الألف، و(ساحران) خبرها، وعلى تخفيفها يكون (هذان ساحران) مبتدأً وخبراً، و(إن): مخففة، واسمها ضمير الشأن، والجملة خبر (إن)[٣].

---

(١) قرأ الأخوان: حمزة والكسائي وحفص عن عصام: «فيُسحِتكم» بضم الياء وكسر الحاء، والباقون بفتحهما. انظر «الدر المصون» (٨/ ٦٠).

(٢) أي: كما في قراءة أبي عمرو كما سيُبيِّنه بعد.

(٣) اختلف القُراء في هذه الآية الكريمة: فقرأ ابن كثير وحده: «إنْ هذانّ» بتخفيف «إنْ»، والألفِ، وتشديد النون، =

﴿لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ....﴾

من يَأتي في المُثنَّى بالألف في أحوالِه الثَّلاثِ، ﴿لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾ مُؤنَّث (أمثَل) بِمَعنَى أشرَف، أي: بِأشرافِكُم بِمَيلِهِم إلَيهما لِغَلَبَتِهما.

﴿٦٤﴾ ﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ﴾ مِن السِّحر ـ بِهَمزةِ وصل وفَتحِ المِيم مِن (جَمَعَ) أي: لَمَّ، وبِهَمزة قَطعٍ وكَسر المِيم مِن (أجمَعَ): أحكَمَ ـ، ﴿ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا﴾ ـ حال ـ أي: مُصطَفِّينَ، ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ﴾: فازَ ﴿ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾: غَلَبَ.

(﴿٦٥﴾ - ﴿٦٦﴾) ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ اختَر ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِىَ﴾ عَصاكَ أي: أوَّلاً، ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ عَصاهُ. ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟﴾ فألقَوا، ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: بإشرافكم) تفسير لـ(طريقتكم)؛ فإنَّ من جملة مَعاني الطريقة: أماثلَ الناس وأشرافَهُم؛ أي: وذلك كفرعون وجلسائه.

قوله: (﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ﴾) أي: اجعَلوه مجمعاً؛ بحيث لا يتخلَّفُ عنه واحدٌ منكم.

قوله: (بهمزة وصل... إلخ) أي: فهما سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا﴾) أي: لأنه أهيَبُ في صدور الرَّائِينَ.

قوله: (﴿إِمَّآ أَن تُلْقِىَ﴾) «أن» وما بعدها: في تأويل مصدر منصوب بفعل محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (اختَر).

قوله: (﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟﴾) أي: لِيَظهر الفرق بين المعجزة والسحر.

= وحفص كذلك إلا أنه خفَّف نون «هذان»، وقرأ أبو عمرو: «إنَّ» بالتشديد «هذَين» بالياء وتخفيف النون، والباقون كذلك إلا أنهم قرؤوا «هَذان» بالألف. انظر «الدر المصون» (٨/ ٦٣).

(١) قرأ أبو عمرو: «فاجمعوا» بوصل الألف وفتح الميم، والباقون بقطعها مفتوحة وكسر الميم. انظر «الدر المصون» (٨/ ٦٨).

فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ ....

﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾ ـ أصلُه: (عُصُوٌّ) قُلِبَت الواوانِ ياءَينِ وكُسِرَت العَين والصَّاد ـ ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا﴾ حَيَّاتٌ ﴿تَسْعَىٰ﴾ على بُطُونِها.

﴿٦٧﴾ ﴿فَأَوْجَسَ﴾: أَحَسَّ ﴿فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ أي: خافَ مِن جِهةِ أنَّ سِحرَهُم مِن جِنسِ مُعجِزَتِه أن يَلتَبِس أمرُهُ على النَّاس فلا يُؤمِنُوا به.

(﴿٦٨﴾ - ﴿٦٩﴾) ﴿قُلْنَا﴾ لَه: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ علَيهِم بِالغَلَبة. ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ وهي عَصاهُ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ﴾) (إذا): فجائية، و﴿حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾ مبتدأ، خبره جملة ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ... إلخ﴾.

قوله: (أصله: عُصُوو) أي: بوزن (فُلوس)، وقوله: (قلبت الواوان ياءين... إلخ) أي: قُلبت الثانية ياء؛ لوقوعها متطرفة، فاجتَمعت مع الواو وسبقت إحداهما بالسكون، قُلبت الواو ياء وأُدغمت في الياء.

قوله: (وكسرت العين) أي: إتْبَاعاً للصاد، وكُسرت الصاد؛ لتصحَّ الياء.

قوله: (﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ﴾) أي: لأنهم طَلَوها بالزئبق، فلمَّا اشتدَّ حرُّ الشمس.. اضطرَبت واهتزَّت، فتخيَّل أنها تتحرَّك.

قوله: (﴿خِيفَةً﴾) أصله: خِوْفة، قلبت الواو ياءً؛ لكسر ما قبلها.

قوله: (من جهة أن سحرهم... إلخ) جوابٌ عمَّا يقال: كيف حصل له الخوفُ مع عِلمه بأنه على الحقِّ ولا يَصل له سوء منهم؟!

قوله: (﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾) فيه إشارةٌ إلى أنَّ لهم علوًّا وغلبةً بالنسبة لِسائر الناس، فطمَّنه[1] الله بأمور لا تخطُر بِباله؛ فإنَّ ابتلاع العصا لحبالهم وعصيِّهم أمرٌ لم يَخطر ببال موسى.

---

(١) كذا في الأصول، ولعل الصواب: فطمْأنَهُ.

تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ....

﴿تَلْقَفْ﴾: تبتَلِعْ ﴿مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٖۖ﴾ أي: جِنسُه، ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ بِسِحرِه، فألقى مُوسَى عَصاهُ فتَلَقَّفَت كُلَّ ما صَنَعُوه.

﴿٧٠﴾ ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا﴾: خَرُّوا ساجِدِين لله تَعالى، ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿تَلْقَفْ﴾) بفتح اللام وتشديد القاف، أو بسكون اللام وفتح القاف، قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿مَا صَنَعُوٓاْ﴾) أي: اختَرعوا مما لا حقيقة له.

قوله: (أي: جنسه) دفع بذلك ما يقال: لِمَ لمْ يقل: (ولا يُفلح السحرة) بصيغة الجمع؟ وفيه إشارةٌ إلى أنَّ الكلام موجَّهٌ للعُموم، فكأنه قال: لا يفلح كلُّ ساحرٍ؛ سَواء كان من هؤلاء أو مِن غيرهم.

قوله: (﴿حَيْثُ أَتَىٰ﴾) أي: في أيِّ زمانٍ أو مكانٍ أقبَل منه.

قوله: (فألقى موسى عصاه... إلخ) قدَّره؛ إشارةً إلى أن قوله: ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا﴾ مرتَّبٌ على محذوف.

قوله: (﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا﴾) أي: إيماناً بالله، وكفراً بفِرعون، وهذا من غريب قدرة الله؛ حيث ألقَوا حبالهم وعصيَّهم للكفر والجحود، ثمَّ ألقَوْا رُؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود، فما أعظم الفرق بين الإلقاءَين!

قيل: لم يرفعوا رؤوسهم من السجود حتى رأَوا الجنة والنار والثواب والعقاب، ورأَوا مَنازلهم في الجنة.

قوله: (و﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾) قدَّر المفسِّر الواو؛ إشارةً إلى أنه معطوف على قوله: ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا﴾، وفيه إيماءٌ إلى أنهم جمعوا في الإيمان بين القول والفعل.

---

(١) قرأ العامة بفتح اللام وتشديد القاف وجزم الفاء على جواب الأمر، وقرأ حفص: «تلقف» بسكون اللام وتخفيف القاف. انظر «الدر المصون» (٨/ ٧٤).

قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ....

(٧١) ﴿قَالَ﴾ فِرعونُ: ﴿ءَامَنتُمْ﴾ - بِتَحقِيقِ الهَمزتَينِ، وإبدالِ الثَّانِية أَلِفاً - ﴿لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ﴾ أنَا ﴿لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾: مُعَلِّمُكُم ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾) أي: لما شاهد فِرعون من السحرة الإقرار والسجودَ.. خاف أن يَقتديَ الناس بهم في الإيمان بالله وحده، فألقى شُبهتَين:

الأولى: قوله: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ أي: لم تُشاوروني ولم تستعينوا بنَظر غيركم، بل في الحال آمنتُم له، فحينئذٍ دلَّ ذلك على أن إيمانكم ليس عن بصيرة، بل بسبب آخَر.

الثانية: قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ أي: فأنتم أتباعُه في السحر، فتواطأتم معه على أن تظهرُوا العجز من أنفسكم؛ ترويجاً لأمره، وتفخيماً لِشأنه؛ لتنْزِعوا الملك مني.

وهاتان الشبهتان لا يَقبلهما إلا مَنْ عنده تردُّدٌ أو شكٌّ، وأمَّا من كشَف الله عنه الحجاب كالسَّحرة.. فلا يدخل عليه شيءٌ من ذلك؛ لِظُهور شمس الهدى واتِّضاحها لهم.

قوله: (بتحقيق الهمزتين) أي: الأُولى وهي للاستفهام، والثانية هي المزيدة في الفعل الرباعي، وقوله: (وإبدال الثانية ألفاً) صوابه: (الثالثة) وهي فاء الكلمة، فيكون في كلامه إشارةٌ لقراءة واحدة، أو يقال: إنَّ معنى قوله: (الثانية) أي: في الفعل بقَطع النظر عن همزة الاستفهام، فيكون قد أشار لقراءتين، وبَقيت قراءة أخرى وهي تسهيل الثانية، والثلاث سبعيَّات[1]، ولا يتأتى هنا الرابعة المتقدمة في (الأعراف)، وهي قَلب الأولى واواً؛ لعدم الضمة قبلها هنا، بخلاف ما تقدَّم فإنه تقدَّمها ضمَّة، ونص الآية: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم﴾، وأصل الفعل: أَأْمن كـ(أَكْرم) بهمزتين: الأولى زائدة، والثانية فاء الكلمة، قلبت الثانية ألفاً على القاعدة، قال ابن مالك[2]: [الرجز]

وَمَدًّا ابْدِلْ ثانيَ الهَمزَين مِنْ ... كِلمةٍ انْ يَسْكُنْ كآثِر وائتمِنْ

ثم دخَلت همزة الاستفهام.

---

(١) أجمعوا على إبدال الثالثة ألفاً، واختلفوا في الأولى والثانية؛ أمَّا الأولى فقد قرأ بحذفها هنا حفص وقُنبل ورويس، وبإثباتها الباقون، وأما الثانية فقد سهلها بينَ بينَ المدنيان والمكي والبصري والشامي، وحققها شعبة والأخوان وخلف ورَوح. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٠٥).

(٢) «الخلاصة»، باب: الإبدال (ص٧٦).

﴿ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ ....

﴿ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ - حال - بِمَعنى مُختَلِفة، أي: الأيدِي اليُمنى والأرجُل اليُسرى، ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ أي: عَلَيها، ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ﴾ يَعني نَفسَه وربَّ مُوسى ﴿أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾: أدومُ على مُخالَفَتِه.

﴿٧٢﴾ ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ﴾: نَختارَك ﴿عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ الدَّالَّةِ على صِدقِ مُوسى ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾: خَلَقَنا، - قَسَم أو عَطفٌ على ﴿مَا﴾ - ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ أي: اصنَعْ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِّنْ خِلَٰفٍ﴾) ﴿مِّنْ﴾: ابتدائية؛ أي: فالقطع ابْتُدِئَ من مخالفة العُضو للعضو.

قوله: (أي: عليها) أشار بذلك إلى أنَّ في الكلام استعارةً تبعيَّةً؛ حيث شبَّه الاستعلاء المطلق بالظرفية المطلقة، فسَرى التشبيه من الكليات للجزئيات، فاستعيرت لفظة (في) الموضوعة للظرفية الخاصة لمعنى (على) الموضوعة للاستعلاء الخاصِّ بِجامع التمكُّن في كلٍّ.

قوله: (على مُخالفته) متعلق بكلٍّ من: (أشدُّ) و(أبقى).

قوله: (﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا﴾) أي: قالوا ذلك غيرَ مُكترثين بوعيده لهم.

قوله: (﴿مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾) أي: المعجزات الظاهرة، وجمَعها باعتبار ما اشتملت عليه العصا واليد من الخوارق للعادات، وإنما نُسِبَ المجيء لهم وإن كان موسى جاء بها لفرعون وقومه أيضاً؛ لأنهم هم المنتفِعون بها.

قوله: (قسمٌ) أي: وجوابه محذوف، تقديره: لا نؤثرك على الحق، ولا يجوز أن يكون قوله: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ﴾ جوابَهُ؛ لأنَّ القسم لا يجاب بـ(لن) إلَّا شذوذاً، ولا ينبغي حَمْلُ التنزيل عليه[1].

قوله: (أو عطف على ﴿مَا﴾) أي: والتقدير: لن نؤثرك على الذي جاءنا من البينات ولا على الذي فطَرنا[2].

قوله: (﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾) (اقضِ): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنتَ، و﴿مَا﴾: اسم

---

(١) كما نصَّ عليه ابن هشام في «مغني اللبيب» (ص٨٠٥).

(٢) وإنما أخَّروا ذكر الباري تعالى؛ لأنه من باب: الترقي من الأدنى إلى الأعلى. انظر «الدر المصون» (٨/ ٧٧).

إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ ....

ما قُلتَه، ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ النَّصب على الاتِّساعِ أي: فِيها، وتُجزَى عَلَيهِ في الآخِرةِ.

﴿٧٣﴾ ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا﴾ مِن الإشراكِ وغَيرِه، ﴿وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ﴾ تَعَلُّماً وعَمَلاً لِمُعارَضةِ مُوسى، ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ﴾ مِنك ثَواباً إذا أُطِيعَ، ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ مِنكَ عَذاباً إذا عُصِيَ.

حاشية الصاوي

موصول مفعول، و﴿أَنتَ قَاضٍ﴾: صِلته، والعائد محذوف تقديره: الذي أنت قاضيه، وقد أشار لهذا ابن مالك بقوله[1]: [الرجز]

كـذاكَ حَـذفُ مـا بِـوَصـفٍ خُـفِـضَـا　　　　كـ(أنـتَ قـاضٍ) بـعْـدَ أمـرٍ مِـنْ قَـضـى

وهو جوابٌ عن تهديده المذكور، كأنهم قالوا: لا نُبالي بك ولا بتهديدك؛ فافعل ما بدا لك، ولم يثبت في الكتاب ولا في السنة أنه فَعل ما هدَّدهم به.

قوله: (النصب على الاتساع) أي: نصب ﴿هَٰذِهِ﴾ المبدلة منه ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ على نَزع الخافض.

قوله: (﴿وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ﴾) معطوف على ﴿خَطَٰيَٰنَا﴾ أي: ويَغفر لنا الذي أكرهتنا عليه من السحر.

قوله: (تعلُّماً وعملاً) أي: لأنَّ فرعون كان يُخبره الكهنة بظهور مولود من بني إسرائيل يكون زوال ملكه على يدَيه، فلعلهم كانوا يصفونه له بهاتين المعجزتين، فأحبَّ أن يتهيَّأ لمعارضته بإكراه الناس على تعليم السحر، وأكرَهَهم أيضاً على الإتيان بهم من المدائن البعيدة.

ومما يدل على كونهم مكرَهين على عمَله: ما روي: أنهم قالوا لفرعون: أرِنا موسى وهو نائم، ففعل، فوجدوه تحرُسه عصاه، فقالوا: ما هذا ساحر؛ فإنَّ الساحر إذا نام.. بطَل سحره، فأبى إلا أن يُعارضوه.

قوله: (﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾) ردٌّ لقوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾.

---

(١) «الخلاصة»، باب: الموصول، (ص١٦).

إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى ....

﴿٧٤﴾ قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا﴾: كافِراً كفِرعَونَ، ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستَرِيح ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ حَياةً تنفَعُه.

﴿٧٥﴾ ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: الفَرائِضَ والنَّوافِل ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾: جَمع (عُلْيَا) مُؤنَّث أَعلَى.

﴿٧٦﴾ ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ أي: إقامةٍ ـ بَيان له ـ ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾: تَطَهَّرَ مِن الذُّنوب.

﴿٧٧﴾ ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى﴾ ـ بِهَمزةِ قَطع مِن (أَسرَى)، وبِهَمزة وَصل

حاشية الصاوي

قوله: (قال تعالى) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ...﴾ إلخ مستأنفٌ من كلامه تعالى، وقيل: إنه من كلام السَّحرة ألهمهم الله إياه.

قوله: (﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا﴾) أي: بأن يموت على كفره.

قوله: (فيستريح) أي: من العذاب.

قوله: (حياةً تنفعُهُ) أي: بأن تكون هَنيئة مريئة.

قوله: (﴿وَذَٰلِكَ﴾) أي: ما تقدَّم من قوله: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ...﴾ إلخ.

قوله: (تطهَّر من الذنوب) أي: بعدم فعلها، أو بالتوبة النَّصوح منها.

قوله: (﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾) عطف قصة على قصة؛ لأنَّ الله تعالى قصَّ علينا أولاً مبدأ رسالة موسى إلى فرعون وما وقع منه، وقصَّ علينا ثانياً مُنتهى أمر فرعون وجنوده، وكلُّ ذلك عبرة للأمة المحمدية؛ لِيعلموا أنَّ الظالم وإن أمهله الله وأمدَّه بالنعم.. لا يُهمله، وقد ذُكِرَتْ هذه القصةُ هنا مختصرةً، وتقدَّم ذكرها في (الأعراف) مبسوطةً.

قوله: (﴿بِعِبَادِى﴾) أي: وكانوا ستَّ مئة ألف وسبعين ألفاً.

فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَـٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ ....

وكَسر النُّون مِن (سَرَى) لُغَتانِ ـ أي: سِرْ بِهِم لَيلاً مِن أرضِ مِصرَ، ﴿فَٱضْرِبْ﴾: اجعَلْ ﴿لَهُمْ﴾: بِالضَّربِ بِعَصاك ﴿طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾ أي: يابِساً، فامتَثَلَ ما أُمِرَ بِه وأيبَسَ اللهُ الأرضَ فمَرُّوا فيها، ﴿لَّا تَخَـٰفُ دَرَكًا﴾ أي: أن يُدرِكَك فِرعَونُ ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ غَرَقاً.

حاشية الصاوي

قوله: (لغتان) أي: وقراءتان سبعيَّتان[1]، وكان المناسب لِلمفسِّر التنبيه على ذلك.

قوله: (أي: سِرْ بهم ليلاً) تفسيرٌ لكلٍّ من القراءتين.

قوله: (من أرض مصر) أي: إلى البحر، فهو مأمورٌ بالسير له؛ فلا يقال: لمَ لمْ يَسِرْ في البر في طريق الشام؟

قوله: (﴿طَرِيقًا﴾) مفعول به؛ لتضمُّن (اضرب) معنى (اجعل)؛ كما أشار له المفسِّر، والمراد بالطريق: جنسُهُ؛ فإنَّ الطُّرق كانت اثنتي عشر بعدد أسباط بني إسرائيل.

قوله: (﴿يَبَسًا﴾) أي: يَؤُولُ إلى ذلك؛ لأنه لم يكن يابساً قبلُ، وإنما مرَّت عليه الصبا فجفَّفته، قال ابن عباس: لما أمر الله موسى أن يَقطع بقومه البحر وكان يوسف عَهِدَ إليهم عند موته أن يخرجوا بعِظامه معهم من مصر، فلم يعرفوا مكانها حتى دلَّتهم عليها عجوزٌ، فأخذوها، وقال لها موسى: اطلبي مني شيئاً، فقالت: أكُون معك في الجنة[2].

فلمَّا خرجوا.. تبعهم فرعون، فلمَّا وصل البحر وكان على حِصان.. أقبل جبريل على فرس أنثى في ثلاثة وثلاثين من الملائكة، فسار جبريل بين يدَي فرعون، فأبصر الحصان الفرس، فاقتحم بفرعون على أثرِها، فصاحت الملائكة بالقبط: الحَقوا حتى إذا لحق آخرهم وكاد أوَّلهم أن يخرج.. التقى البحر عليهم، فغرقوا، فرجع بنو إسرائيل حتى يَنظروا إليهم وقالوا: يا موسى؛ ادع الله أن يُخرجهم لنا حتى ننظر إليهم، فلفظهم البحر إلى الساحل، فأصابُوا من أمتعتهم شيئاً كثيراً.

قوله: (﴿لَّا تَخَـٰفُ﴾) العامة ـ ما عدا حمزة وحده ـ على الرفع، وعليه: فهو جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب، أو حال من فاعل (اضرِب) أي: اضرب لهم طريقاً حالَ كونك غير

---

(١) قرأ نافع وابن كثير بكسر النون وهمزة وصل بعدها من: سرى، والباقون بسكون النون وهمزة قطع بعدها من: أسرى. انظر «السراج المنير» (٢/ ٤٧٥).

(٢) خبر عجوز بني إسرائيل رَواه ابن حبان في «صحيحه» (٧٢٣) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾ ....

(٧٨ - ٧٩) ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ﴾ وهو معَهُم، ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ﴾ أي: البَحرِ ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾: فأغرَقَهُم. ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ﴾ بدُعائِهِم إلى عِبادَتِه ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ بَل أوقَعَهُم في الهَلاك، خِلافَ قَولِه: ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩].

(٨٠) ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ﴾ فِرعَونَ بإغراقِه، ﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾ فنُؤتي مُوسى التَّوراةَ لِلعَمَلِ بِها، ....

حاشية الصاوي

خائف، وقرأ حمزة بالجزم على أن (لا) نافية، و(تخف): مجزوم بها، وقوله: ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ هو بالألف باتفاق القراء؛ فعلى رفع (لا تخاف) العطفُ ظاهرٌ، وعلى الجزم فيكون قوله: ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ معطوفاً على (لا تخف) مجزوماً، وعلامة جَزمه حذف الألف، والألف الموجودة للإشباع، أتي بها موافقةً للفواصل ورؤوس الآي[1].

قوله: (﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ﴾) أي: بعد ما أرسل حاشرين يجمعون له الجيش، فجمعوا جيوشاً كثيرة حتى كان مُقدمة جيشه سبعَ مئةِ ألفٍ فضلاً عن الجناحَين والقلب والساقة.

قوله: (﴿بِجُنُودِهِۦ﴾) الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من ﴿فِرْعَوْنُ﴾.

قوله: (﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾) أي: عَلَاهم وغمرهم من الأمر الهائل ما لا يبلغ كُنْهَهُ أحدٌ.

قوله: (﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ﴾) إخبارٌ عن حاله قبل الغرق.

قوله: (خلاف قوله: ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾) أي: إنه مخالفٌ له، فهو تكذيب لِفرعون في قوله.

قوله: (﴿قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ﴾... إلخ) قدَّم أولاً نعمة الإنجاء، ثمّ النعمة الدينيَّة، ثمّ الدنيوية، فهو ترتيب في غاية الحُسن.

قوله: (فنؤتي موسى التوراة) جوابٌ عمَّا يقال: إنَّ المواعدة كانت لموسى، لا لهم؛ فكيف

---

(١) وقيل: مجزوم بحذف الحركة تقديراً؛ كقوله:

إذا العَجوزُ غَضِبت فطَلِّق ... ولا تَرضَّاها ولا تَمَلَّق

ومنه: ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ في أحد القولَين؛ إجراءً لحرف العلة مُجرى الحرف الصحيح. انظر «الدر المصون» (٨/ ٨٣).

وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ ....

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ هُما التُّرَنْجَبِينُ والطَّيرُ السُّمانَى بِتَخفِيفِ المِيم والقَصرِ، والمُنادَى مَن وُجِدَ مِن اليَهُود زَمَنَ النَّبيِّ ﷺ، وخُوطِبُوا بِما أنعَمَ الله بِه على أجدادِهم زَمَن النَّبيِّ مُوسى علَيه السلام تَوطِئةً لِقَولِه تَعالى لَهُم:

﴿٨١﴾ ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ أي: المُنعَم بِه عَلَيكُم، ﴿وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ﴾ بِأن تكفُرُوا النِّعمةَ بِه، ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾ ـ بِكَسرِ الحاء أي: يَجِب، وبِضَمِّها أي: يَنزِلُ ـ ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى﴾ ـ بِكَسرِ اللَّام وضَمِّها ـ ﴿فَقَدْ هَوَىٰ﴾: سَقَطَ في النَّار.

حاشية الصاوي

أُضيفت لهم؟ وأجيب أيضاً: بأنه أمر موسى أن يختار منهم سبعين رجلاً، فأضيفت المواعدة لهم بهذا الاعتبار.

قوله: (هما الترنجبين) هو شيءٌ حلوٌ أبيَض مثل الثلج، كان ينزل عليهم في التِّيه من الفجر إلى طلوع الشمس، لكلِّ إنسان صاعٌ.

قوله: (والطير السُّمَانَى) أي: فكان ريح الجنوب يَأتيهم به، فيذبح الرجل منهم ما يَكفيه، وشربهم من العيون التي تخرج من الحجر.

قوله: (والمنادى مَنْ وُجِدَ من اليهود... إلخ) هذا أحد قولين، وقيل: المخاطَب من كان في عهد موسى.

قوله: (توطئةً) أي: تمهيداً.

قوله: (﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾) أي: لَذائذِهِ وحلالاتِهِ.

قوله: (بأن تكفروا النعمة) أي: بعدم شكرها، وبَطَرِكُمْ لها.

قوله: (بكسر الحاء... إلخ) أي: ففي كلٍّ قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (سقط في النار) أي: على سبيل الخلود.

---

(١) قرأ العامة «فيحل» بكسر الحاء، واللام من «يحلل»، والكسائي في آخرين بضمهما. انظر «الدر المصون» (٨/ ٨٦).

وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ ....

﴿٨٢﴾ ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ مِن الشِّركِ ﴿وَءَامَنَ﴾: وحَّدَ الله، ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ يَصدُقُ بالفَرضِ والنَّفلِ، ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ بِاستِمرارِه على ما ذُكِرَ إلى مَوتِه.

(﴿٨٣﴾ - ﴿٨٥﴾) ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ﴾ لِمَجيءِ مِيعادِ أَخذِ التَّوراةِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (يَصدق بالفرض والنفل) أي: العمل الصالح يَشمل كلاً منهما.

قوله: (باستمراره على ما ذكر إلى مَوته) أي: بأن يَدوم على التوبة والإيمان والأعمال الصالحة، وهو جوابٌ عمَّا يقال: ما فائدة ذكر الاهتداء آخراً مع أنه داخل في عُموم قوله: ﴿وَءَامَنَ﴾؟ فأفاد المفسِّر: أنَّ النجاة التامةَ والمغفرة الشاملة لِمَن حصلت منه التوبة والأعمال الصالحة ثم استمرَّ عليها إلى أن لقيَ مولاه.

قوله: (﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾) (ما): استفهامية مبتدأ، و﴿أَعْجَلَكَ﴾: خبره، و﴿عَن قَوْمِكَ﴾: متعلق بـ﴿أَعْجَلَكَ﴾، والمعنى: أيُّ شيءٍ جعلك متعجِّلاً عن قومك وسابقاً لهم؟

وحاصلُ ذلك: أنَّ الله سبحانه وتعالى وعد موسى ثلاثين يوماً، وأتمَّها بعشر بعد إغراق فِرعون وقومه، يَصومها ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام فيها، وأمره تعالى أن يُحضر من قومه سبعين رجلاً يختارهم من بني إسرائيل؛ ليذهبوا معه إلى الطور لأجل أن يأخذوا التوراة، فخرج بهم، وخلَّف هارون على من بقي ـ وفي رواية: أنه أمر هارون ألَّا يأتي بهم عند تمام الميقات ـ فسار موسى بالسبعين، ثم عجل من بينهم تشوُّقاً إلى ربِّه وخلَّفهم وراءه وأمرَهم أن يَتبعوه إلى الجبل، فقال تعالى له: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ...﴾ إلخ.[1] والمقصود من سؤال الله لموسى: إعلامه بما حَصل من قومه، وإلَّا.. فيَستحيل عليه تعالى السؤال لطلب الفهم.

قوله: (﴿عَن قَوْمِكَ﴾) سِياق المفسِّر يقتضي أن المراد بهم: جملة بني إسرائيل، وأيَّده جماعة من المفسرين.

قوله: (لمجيء ميعاد أخذ التوراة) أي: لمجيئك إلى ميعاد أخذ التوراة.

(١) انظر «زاد المسير» (٣/ ١٧١).

يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ ....

﴿يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُولَآءِ﴾ أي: بِالقُربِ مِنِّي يَأْتُونَ ﴿عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ عَنِّي أي: زِيادةً على رِضاك، وقَبلَ الجَواب أتى بِالاعتِذارِ على حَسَبِ ظَنِّه، وتَخَلَّفَ المَظنُون لَمَّا ﴿قَالَ﴾ تَعالى: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ﴾ أي: بعدَ فِراقِك لَهُم، ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ﴾ فعَبَدُوا العِجلَ.

﴿٨٦﴾ ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ﴾ مِن جِهَتِهم ﴿أَسِفًاۚ﴾: شَدِيدَ الحُزنِ، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قَالَ هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾) ﴿هُمْ﴾: مبتدأ، و﴿أُولَآءِ﴾: خبره، وقوله: ﴿عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾ خبرٌ بعد خبرٍ.

قوله: (أي: زيادةً على رضاك) أي: فسارعتُ إلى امتثال أمرك؛ طلباً لزيادة رضاك، لا لأصل الرضا؛ فإنه حاصلٌ، وطلبه لا يَليق بحال الأنبياء.

قوله: (وقبل الجواب) أي: جواب السؤال، وهو قوله: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾.

قوله: (أتى بالاعتذار) أي: عن سَبقه لقومه، وقوله (بحسب ظنِّه) متعلق بالاعتذار.

قوله: (وتخلَّف المظنون لما ﴿قَالَ﴾ تعالى) أي: ظهر لموسى أن ظنَّه تخلَّف حين أخبره الله بأن قومه قد عبدوا العجل، وهذا يؤيِّد ما قُلناه أولاً: إن المراد بالقوم: جميعُ بني إسرائيل.

قوله: (أي: بعد فِراقك لهم) أي: بعشرين يوماً، وهذا الإخبار من الله تعالى عند تمام الأربعين.

قوله: (﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ﴾) اسمه: موسى بن ظفر، منسوبٌ إلى سامرةَ قبيلةٍ من بني إسرائيل، كان منافقاً وكان قد ربَّاه جبريل؛ لأنَّ فرعون لما شرَع في ذبح الولدان.. وضعته أُمُّه في حفرة، فتعهَّده جبريل، وكان يُغذِّيه من أصابعه الثلاثة، فيَخْرُجُ له من أحدهما لبنٌ، ومن الأخرى سمنٌ، ومن الأخرى عسلٌ.

قوله: (﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ﴾) أي: بعد أن تمَّم الأربعين وأخَذ التوراة.

أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ ....

أي: صِدقاً أنَّهُ يُعطِيكُم التَّوراةَ؟ ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾: مُدَّةُ مُفارَقَتِي إيَّاكُم، ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ﴾: يَجِبَ ﴿عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بِعِبادَتِكُم العِجلَ، ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾ وتَرَكتُم المَجيءَ بَعدِي؟

﴿٨٧﴾ ﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ ـ مُثَلَّثُ المِيمِ ـ أي: بِقُدرَتِنا أو أَمرِنا، ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ﴾ ـ بِفَتحِ الحاءِ مُخففاً، وبِضَمِّها وكَسرِ المِيمِ مُشدَّداً ـ ﴿أَوْزَارًا﴾: أثقالاً ﴿مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ أي: حُلِيِّ قَومِ فِرعَونَ ....

حاشية الصاوي

روي: أنه لما رجع موسى.. سمع الصياح والضجيج، وكانوا يَرقصون حول العجل، فقال للسبعين الذين كانوا معه: هذا صوت الفِتنة[1].

قوله: (أنه يعطيكم التوراة) «أنَّ» وما دخلت عليه: في تأويل مصدر مفعول ثان لقوله: ﴿يعِدْكُمْ﴾، والأوَّلُ الكافُ.

قوله: (﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾) المعنى: إن كان الحامل لكم على ذلك غضب الله عليكم.. فلا يَليق من العاقل التعرُّض لِغضب الله عليه.

قوله: (وتَركتم المجيء بعدي) أي: لأنه وعدهم أن يتَّبعوه على أثره للميقات، فخالفوا واشتغلوا بِعبادة العجل.

قوله: (﴿مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾) أي: لأنا لو خُلِّينا وأنفسنا.. ما أخلَفنا، ولكن السَّامريَّ سوَّل لنا وغَلب على عقولنا، فأطعناه.

قوله: (مثلث الميم) أي: وكلُّها قراءاتٌ سبعيَّاتٌ[2].

قوله: (وبضمِّها وكسر الميم) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[3].

---

(١) انظر «تفسير البغوي» (٥/ ٢٩١).

(٢) قرأ الأخوان: حمزة والكسائي بضمِّ الميم، ونافع وعاصم بفتحها، والباقون بكسرها. انظر «الدر المصون» (٨/ ٨٩).

(٣) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحفص بضم الحاء وكسر الميم مشددة، وأبو جعفر كذلك إلا أنه خفَّف الميم، والباقون بفتحهما خفيفةَ الميم. انظر «الدر المصون» (٨/ ٩٠).

فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ ...

استعارَها مِنهُم بَنُو إسرائيلَ بِعِلَّة عُرسٍ فبَقِيَت عِندَهم، ﴿فَقَذَفْنَٰهَا﴾: طَرَحناها في النَّار بِأمرِ السَّامِرِيِّ، ﴿فَكَذَٰلِكَ﴾ كما أَلْقَينا ﴿أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ ما معَهُ مِن حُلِيِّهم ومِن التُّراب الَّذِي أخَذَهُ مِن أثَر حافِر فرَسِ جِبريلَ على الوَجه الآتي.

﴿٨٨﴾ ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا﴾ صاغَهُ مِن الحُلِيِّ، ﴿جَسَدًا﴾: لَحماً ودَماً ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ أي: صَوتٌ يُسمَع، أي: انقلَبَ كذلك بِسَبَبِ التُّراب الَّذِي أثَرُهُ الحَياةُ فِيما يُوضَع فِيهِ، ووَضَعَهُ بَعد صَوغِه في فَمِه، ﴿فَقَالُوا۟﴾ أي: السَّامِرِيُّ وأتباعُه: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾ مُوسى رَبَّه هُنا وذَهَب يَطلُبُه، قال تَعالى:

﴿٨٩﴾ ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أن﴾ ـ مُخفَّفة مِن الثَّقِيلة واسمُها مَحذُوف ـ أي: أنَّهُ ﴿لَّا يَرْجِعُ﴾ العِجلُ ﴿إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ أي: لا يَرُدُّ لَهُم جَواباً، ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا﴾ أي: دَفْعَه ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ أي: جَلْبَه أي: فكيفَ يُتَّخذ إلَهاً؟

حاشية الصاوي

قوله: (استعارها منهم بنو إسرائيل) أي: قبل مَسخ أموالهم.

قوله: (بعلَّة عرس) أي: إنَّ بني إسرائيل أظهروا أنَّ العلة في استعارتها هو العُرس، وفي الواقع ليس كذلك.

قوله: (بأمر السامري) أي: فقال لهم: إنما تأخَّر عنكم موسى؛ لما معكم من الأوزار، فالرأي أن تحفروا لها حُفيرة وتوقدوا فيها ناراً وتقذفُوا فيها؛ لتتخلصوا من ذنبها.

قوله: (﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا﴾) هذا من كلام الله تعالى حكايةً عن فِتنة السامري، فهو معطوف على قوله: ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ﴾.

قوله: (﴿جَسَدًا﴾) حال من (العجل)، ولا يقال: جَسَدٌ إلا للحيوان، ولا يقال لغيره: جسد إلا للزعفران والدم إذا يَبس.

قوله: (وأتباعه) أي: الذين ضلُّوا وصاروا يُساعدونه على مَنْ توقَّف من بني إسرائيل.

قوله: (﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾) الاستفهام للتوبيخ والتقريع.

قوله: («أن» مخفَّفة من الثقيلة) أي: فقوله: ﴿أَلَّا يَرْجِعُ﴾ بالرفع في قراءة العامَّة.

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾﴾ ....

﴿٩٠﴾ ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ﴾ أي: قبلَ أن يرجِعَ موسى: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى﴾ في عِبادَتِه ﴿وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى﴾ فيها.

﴿٩١﴾ ﴿قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ﴾: نَزالَ ﴿عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ﴾ على عِبادَتِه مُقيمين، ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾.

(﴿٩٢﴾ - ﴿٩٣﴾) ﴿قَالَ﴾ موسى بعدَ رُجُوعِه: ﴿يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟﴾ بِعِبادَتِه ﴿أَ﴾ن ﴿لَّا تَتَّبِعَنِ﴾ - ﴿لَا﴾ زائِدة - ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾ بِإقامَتِك بينَ مَن يَعبُدُ غيرَ الله تَعالى؟

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ﴾ . . . إلخ) أي: فنَصحهم هارون قبل رجوع موسى.

قوله: (﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾) إنما ذكر هذا الاسم؛ تنبيهاً على أنهم متى تابوا . . قَبِلَ الله توبتَهم؛ لأنه هو الرحمن.

قوله: (﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾) غايةٌ لعكوفهم بطريق التعلُّل والتسويف، لا بطريق الوعد وترك عبادته عند رُجوعه.

قوله: (﴿إِذْ رَأَيْتَهُمْ﴾) ظرف منصوب بـ﴿مَنَعَكَ﴾، والمعنى: أيُّ شيء منَعك وقت رؤيتك ضلالهم؟

قوله: («لا» زائدة) أي: للتأكيد، والمعنى: ما منعك من اتباعي في الغضب لله والمقاتلةِ لِمن كفر؟

قوله: (بإقامتك بين مَنْ يعبد غير الله) أي: ولم يُبالغ في منعهم والإنكار عليهم.

قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ

﴿٩٤﴾ ﴿قَالَ﴾ هارُون: ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ ـ بِكَسرِ المِيم وفَتحِها ـ أراد: أُمِّي، وذِكرها أعطَفُ لِقَلبِه، ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي﴾ وكان أخَذَها بِشِمالِه، ﴿وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾ وكان أخَذَ شَعَره بِيَمِينِه غَضَباً، ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾ لَو اتَّبَعتُك ولا بُدَّ أن يَتبَعَني جَمعٌ مِمَّن لَم يَعبُدُوا العِجل ﴿أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وتَغضَب عليَّ، ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ﴾: تَنتَظِر ﴿قَوْلِي﴾ فِيما رَأيتَه في ذلك.

﴿٩٥﴾ ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ﴾: شَأنُك الدَّاعِي إلى ما صَنَعتَ ﴿يَٰسَٰمِرِيُّ﴾؟

﴿٩٦﴾ ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ ـ بِالياءِ والتَّاء ـ أي: عَلِمتُ ما لَم يَعلَمُوه، ﴿فَقَبَضْتُ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بكسر الميم) أي: فحذفت الياء وبقيت الكسرة دالَّة عليها، وقوله: (وفتحها) أي: فحذفت الألف المنقلبة عن الياء وبقيت الفتحة دالَّة عليها، والقراءتان سبعيَّتان[١].

قوله: (أعطَفُ لقلبه) أي: لا لِكونه أخاه من أمِّه فقط؛ فإنَّ الحقَّ أنه شقيقُه.

قوله: (وكان أخذ شعره) أي: الرأس.

قوله: (﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾) معطوف على ﴿أَن تَقُولَ﴾ أي: وخَشيت عدم ترقُّبك؛ أي: انتظارَكَ وتأمُّلَكَ في قولي حتى تَفهمَ عُذري؛ فالياء في ﴿قَوْلِي﴾ واقعة على هارون، هذا هو المتبادر من عبارة المفسِّر. وقيل: إنه معطوف على ﴿فَرَّقْتَ﴾ أي: وخشيت أن تقول: لم تَرقب قولي؛ أي: تحفظه وتعمل به؛ فعليه: الياء واقعة على موسى.

قوله: (﴿قَالَ بَصُرْتُ﴾) بضم الصاد في قراءة العامة؛ من باب: ظَرُفَ، وقرئ بكسرها؛ من باب: تَعِبَ[٢].

قوله: (بالياء) أي: بنُو إسرائيل، وقوله: (والتاء) أي: أنتَ وقومك، والقراءتان سبعيَّتان[٣].

---

(١) قراءة ابن عامر وشعبة والكسائي بكسر الميم، والباقون بالنصب. انظر «السراج المنير» (١/ ٥١٩).

(٢) قرأ الأعمش وأبو السمال: «بَصِرت» بالكسر، «يبصَروا» بالفتح، وهي لغة. انظر «الدر المصون» (٨/ ٩٤).

(٣) قرأ الأخوان: حمزة والكسائي: (تَبصروا) خطاباً لموسى وقومه، أو تعظيماً له، والباقون بالغيبة عن قومه. انظر «الدر المصون» (٨/ ٩٤).

قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ ....

﴿قَبۡضَةٗ مِّنۡ﴾ تُرابِ ﴿أَثَرِ﴾ حافِرِ فرَسِ ﴿ٱلرَّسُولِ﴾: جِبريلَ، ﴿فَنَبَذۡتُهَا﴾: ألقيتُها في صُورة العِجلِ المُصاغ، ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ﴾: زَيَّنت ﴿لِي نَفۡسِي﴾ وأُلقِيَ فِيها أنْ آخُذَ قَبضةً مِن تُراب ما ذُكِرَ وأُلقِيَها على ما لا رُوحَ لَه يَصِير لَه رُوح، ورَأيتُ قَومَك طَلَبُوا مِنك أن تَجعَلَ لَهُم إلَهاً، فحَدَّثَتني نَفسِي أن يَكُونَ ذلك العِجلُ إلَهَهم.

﴿٩٧﴾ ﴿قَالَ﴾ لَهُ مُوسى: ﴿فَٱذۡهَبۡ﴾ مِن بَينِنا ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ﴾ أي: مُدَّةَ حَياتِك ﴿أَن تَقُولَ﴾ لِمَن رَأيتَه: ﴿لَا مِسَاسَۖ﴾ أي: لا تَقرَبْني، فكان يَهِيمُ في البَرِّيَّة وإذا مَسَّ أحَداً

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾) أي: وعرَفه لسابق الألفة، فلمَّا جاء جبريل لِيَطلب موسى إلى الميقات؛ لأخذ التوراة.. كان راكباً على فرس؛ كلما وضَعت حافرها على شيءٍ اخضرَّ، فعرف السَّامريُّ أن للتراب الذي تضع الفرس حافرها عليه شأناً.

قوله: (في صورة العجل) أي: في فَمِه.

قوله: (المصاغ) صوابُه: المصوغ؛ كما في بعض النسخ[1].

قوله: (طلبوا منك) أي: حين جاوَزوا البحر؛ كما قال تعالى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ...﴾ الآية.

قوله: (﴿فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ﴾) (إن): حَرف توكيد ونصب، والجار والمجرور: خبرها مقدَّم، و﴿أَن تَقُولَ﴾: في محل نصب اسمها مؤخَّر، والمعنى: إن هذا القول ثابتٌ لك ما دُمت حيًّا لا ينفكُّ عنك، فكان يصيح في البريَّة: لا مساس، وحرَّم موسى عليهم مُكالمته ومواجهته ومبايَعته، ويقال: إنَّ قومه باقيةٌ فيهم تلك الحالة إلى الآن. وهذه الآية أصلٌ في نفي أهل البدع والمعاصي، وهِجرانهم، وعدم مخالطتهم.

قوله: (فكان يَهيم في البريَّة) أي: مع السِّباع والوحوش، يقال: إنَّ موسى همَّ بقَتلِه، فقال الله له: لا تَقتله؛ فإنه سخيٌّ[2].

(١) وفي «المختار»، مادة (صوغ): (صَاغَ الشَّيْءَ مِنْ بَابِ: قالَ).

(٢) انظر «تفسير الثعلبي» (٦/ ٢٥٨).

وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَٰلِكَ ....

أو مَسَّهُ أحَد حُمَّا جَمِيعاً، ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ لِعَذابِك ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ ـ بِكَسرِ اللَّام أي: لَن تَغِيبَ عَنهُ، وبِفَتحِها أي: بَل تُبعَث إلَيهِ ـ، ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ﴾ ـ أصلُه: ظَلِلتَ بِلامَينِ؛ أُولاهُما مَكسُورة حُذِفَت تَخفِيفاً ـ أي: دُمتَ ﴿عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ أي: مُقِيماً تَعبُدُه، ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ بِالنَّار، ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾: نُذرِيَنَّهُ في هَواءِ البَحر. وفَعَلَ مُوسى بعدَ ذَبحِه ما ذَكَرَهُ.

﴿٩٨﴾ ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ ـ تَمييزٌ مُحوَّل عن الفاعِل ـ أي: وسِعَ عِلمُه كُلَّ شيءٍ.

﴿٩٩﴾ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما قَصَصنا عَلَيك يا مُحمَّد ....

حاشية الصاوي

قوله: (وبفتحها) أي: هما قراءتان سبعيَّتان[١].

قوله: (﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ﴾) فلا يبقى له عينٌ ولا أثرٌ.

قوله: (بعد ذبحه) أي: ولما ذبحه.. سال منه الدم.

قوله: (﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ﴾... إلخ) كلامٌ مستأنفٌ؛ لتحقيق الحقِّ إثرَ إبطال الباطل، وهذا آخر قصة موسى المذكورة في هذه السورة.

قوله: (﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾) جملةٌ مستأنفةٌ، ذُكرت تسليةً له ﷺ، وتكثيراً لمعجزاته، وزيادةً في علم أمَّتِهِ؛ ليعرفوا أحبابَ الله فيحبُّونهم، وأعداءَ الله فيبغضونهم، فيزدادوا رفعةً وشأناً؛ حيث اطَّلعوا على سير الأوائل.

قوله: (أي: كما قصصنا عليك) أشار بذلك إلى أن الكاف: نعتٌ لمصدر محذوف، تقديره: كقصصنا[٢] هذا الخبرَ الغريبَ نقصُّ عليك... إلخ.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر اللام على البناء للفاعل، والباقون بفتحها على البناء للمفعول. انظر «الدر المصون» (٨/ ٩٨).

(٢) كذا في الأصول، ولعلها: (كقصِّنا)؛ كما هو في «الفتوحات الإلهية» (٣/ ١٢١).

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ ....

هَـذِه القِصَّة ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ﴾: أخبارِ ﴿مَا قَدْ سَبَقَ﴾ مِن الأُمَم، ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ﴾: أعطيناكَ ﴿مِن لَّدُنَّا﴾: مِن عِندِنا ﴿ذِكْرًا﴾: قُرآناً.

(١٠٠ - ١٠١) ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ فلَم يُؤمِن بِه ﴿فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾: حِملاً ثَقِيلاً مِن الإثمِ. ﴿خَالِدِينَ فِيهِ﴾ أي: في عَذابِ الوِزر، ﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾ - تَمييز مُفسِّر لِلضَّمِيرِ في (ساءَ)، والمَخصُوصُ بِالذَّمِّ مَحذُوف تَقدِيرُه: وِزرُهم، واللَّامُ لِلبَيانِ، ويُبدَل مِن ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ -:

حاشية الصاوي

قوله: (هذه القصة) أل: للجنس؛ لأنَّ المتقدم ثلاثُ قصص: قصة موسى مع فرعون، ومع بني إسرائيل، ومع السَّامريِّ.

قوله: (﴿ذِكْرًا﴾) سمِّي بذلك؛ لتذكيره النِّعَمَ والدارَ الآخرةَ.

قوله: (﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾) هذه الجملة في محل نصب صفة لـ﴿ذِكْرًا﴾.

قوله: (فلم يؤمن به) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بالإعراض عنه: الكفرُ به، وإنكارُ كونه من عند الله كلاً أو بعضاً.

قوله: (من الإثم) بيانٌ للحمل الثقيل.

قوله: (﴿خَالِدِينَ فِيهِ﴾) الجملة في محل نصبٍ على الحال من الضمير في ﴿يَحْمِلُ﴾ العائدِ على (مَنْ) باعتبار معناها، والتقدير: يَحملون الوزر حالَ كونهم مخلَّدين فيه.

قوله: (أي: في الوزر) أي: عِقابه، فالكلام على حذف مضاف.

قوله: (﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾) (ساء): فعل ماض لإنشاء الذم، والفاعل مُستتر عائد على الحمل المفسَّر بقوله: ﴿حِمْلًا﴾، و﴿لَهُمْ﴾: جارٌّ ومجرور متعلق بقولٍ محذوف[1]، و﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: ظرف لـ(ساء)، و﴿حِمْلًا﴾: تمييزٌ، والمخصوص بالذم محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (وِزرهم).

(١) أي: يقال لهم هذا الكلام وفي حقِّهم. «الفتوحات الإلهية» (٣/ ١٢١).

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ ....

﴿١٠٢﴾ ﴿يَوْمَ نَنفُخُ فِي الصُّورِ﴾: القرنِ النَّفخةَ الثَّانية، ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ﴾: الكافِرين ﴿يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ عُيُونُهم مع سَوادِ وُجُوهِهم.

﴿١٠٣﴾ ﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾: يَتَسارُّونَ ﴿إِن﴾: ما ﴿لَّبِثْتُمْ﴾ في الدُّنيا ﴿إِلَّا عَشْرًا﴾ مِن اللَّيالي بِأَيَّامِها.

﴿١٠٤﴾ ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ في ذلكَ أي: ليسَ كما قالُوا، ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ﴾: أعدَلُهم ﴿طَرِيقَةً﴾ فِيه: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ يَستَقِلُّونَ لُبثَهم في الدُّنيا جِدًّا لِما يُعايِنُونَه في الآخِرة مِن أهوالِها.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يَوْمَ نَنفُخُ﴾) أي: نأمر بالنفخ، وفي قراءة سبعيَّة أيضاً بالياء مع بناء الفعل للمفعول؛ أي: ينفخ إسرافيل[١].

قوله: (القرن) أي: وفيه طاقات على عدَد أرواح الخلائق.

قوله: (النفخة الثانية) أي: لحشر الخلائق.

قوله: (﴿زُرْقًا﴾) حال من ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾.

قوله: (مع سواد وجوههم) خصَّت بالذكر؛ لأنها مظهرُ القُبح والحسن.

قوله: (﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾) أي: يَخفضون أصواتهم ويخفونها؛ لما شاهدوه من الرُّعب والهول.

قوله: (من الليالي بأيامها) حمل المفسِّر العشر على الليالي دون الأيام؛ لتجريده من التاء؛ فإنَّ المعدود إذا كان مؤنثاً.. جرِّد المعدُود من التاء، عكس المذكَّر.

قوله: (﴿أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾) أي: أعدلهم رأياً في الدنيا.

قوله: (لما عاينوه في الآخرة من الهول) أي: فنسب ذلك القول لهم؛ لشدة ما عاينوا من الهول، لا لِكونه أقربَ إلى الصدق.

---

(١) قرأ أبو عمرو: (ننفخ) مبنيًّا للفاعل بنون العظمة، أسند الفعل إلى الآمر به؛ تعظيماً للمَأمور وهو الملك إسرافيل، والباقون بالياء مضمومةً مفتوح الفاء على البناء للمفعول. انظر «الدر المصون» (١٠٣/٨).

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ....

(﴿١٠٥﴾ - ﴿١٠٧﴾) ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾ كيفَ تَكُونُ يَومَ القِيامةِ؟ ﴿فَقُلْ﴾ لَهُم: ﴿يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ بِأن يُفَتِّتَها كالرَّملِ السَّائل ثُمَّ يُطِيرَها بِالرِّياحِ، ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا﴾ مُنبَسِطاً ﴿صَفْصَفًا﴾: مُستَوِياً، ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا﴾: انخِفاضاً، ﴿وَلَآ أَمْتًا﴾: ارتِفاعاً.

﴿١٠٨﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يَومَ إذ نُسِفَت الجِبال ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ أي: النَّاسُ بعدَ القِيام مِن القُبُور ﴿ٱلدَّاعِىَ﴾ إلى المَحشَر بِصَوتِه وهو إسرافِيلُ، يَقُول: هَلُمُّوا إلى عَرض الرَّحمَن، ﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ أي: لِاتِّباعِهِم أي: لا يَقدِرُونَ أن لا يَتَّبِعُوا، ﴿وَخَشَعَتِ﴾: سَكَنَت ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾) أي: كفارُ مكة تعنُّتاً واستهزاءً.

قوله: (ثم يطيرها بالرياح) أي: فالمعنى: أنها تذهب بقُدرة الله، فلا يبقى لها أثرٌ.

قوله: (﴿فَيَذَرُهَا﴾) أي: يتركها، والضمير عائد على الأرض.

قوله: (﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾) حالان من الضمير في (يَذَرها)، والقاع: المستوي الصَّلبُ، والصفصفُ: الأرض الملساء، فهو قريبٌ في المعنى من القاع، فهو توكيدٌ له.

قوله: (﴿عِوَجًا﴾) تقدَّم أنَّ العِوَجَ بالكسر في المعاني، وبالفتح في المحسوسات، وما هنا من الثاني، لكن عبَّر فيه بالكسر؛ لأنه لشدَّة غرابتِه كأنه صار من قَبيل المعاني.

قوله: (﴿يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ﴾) أي: فيُقبلون من كلِّ جهة.

قوله: (وهو إسرافيل) أي: فيَضع الصور على فيه، ويقف على صخرة بيت المقدس، ويقول: يا أيتها العِظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة؛ إنَّ الله يأمركنَّ أن تجتمِعْنَ لفصل القضاء، فيُقبلون عليه[١]، وقيل: المنادي جبريل، والنافخ إسرافيل، وصحَّحه بعضُهم[٢].

قوله: (إلى عرض الرحمن) أي: العرض عليه.

قوله: (﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾) أي: لا يَزيغون عنه يميناً ولا شمالاً، بل يأتون سراعاً.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٨٢) من حديث كعب.

(٢) انظر «الفتوحات الإلهية» (٣/ ١٢٢).

ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ

﴿ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ صوتَ وَطءِ الأقدامِ في نَقْلِها إلى المَحشَرِ كصَوتِ أخفافِ الإبلِ في مَشيِها.

(﴿١٠٩﴾ - ﴿١١٠﴾) ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾ أحَداً ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ أن يُشفَعَ لَهُ، ﴿وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ بِأن يَقُولَ: لا إلَه إلَّا الله. ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ مِن أُمُورِ الآخِرة، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ مِن أُمُورِ الدُّنيا، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾: لا يَعلَمُونَ ذلك.

﴿١١١﴾ ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ﴾: خَضَعَت ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾) أي: لجلاله وهَيبتِه.

قوله: (﴿إِلَّا هَمْسًا﴾) مفعول به، وهو استثناء مفرَّغ.

قوله: (﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾) ﴿مَنْ﴾: مفعول به، وهي واقعة على المشفُوع له، أو على الشفيع[1]، فقول المفسّر: (أن يشفع له) أي: أو يَشفع في غيره.

قوله: (بأن يقول: لا إله إلا الله) أي: مع عَديلتها، وهي: محمَّد رسول الله، والمعنى: أنَّ كلَّ من مات على الإسلام.. فقد رضي الله قولَه، وأذن له أن يَشفع في غيره، وأن يشفع غيره فيه.

قوله: (﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾) أي: الخلق عموماً.

قوله: (﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ﴾) أي: بما بين أيدِيهم وما خلفَهم.

قوله: (لا يعلمون ذلك) أي: لا تفصيلاً ولا إجمالاً، وإنما يَعلمه الله سبحانه وتعالى.

قوله: (﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ﴾) (عنَا): فعل ماض، والتاء: للتأنيث، و﴿ٱلْوُجُوهُ﴾: فاعل، وأصله: عَنَوَت، تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، ثم حُذفت لالتقاء الساكنين، فهو من باب: سما يسمُو سُمُوًّا، وأما (عَنِيَ) ـ ك: رضيَ ـ يَعنَى عَنَاءً.. فهو بمعنى: تَعب، وليس مراداً هنا، بل المراد هنا: خضَعت وذلَّت.

---

(١) ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى أحدُ الوجوه في إعراب (مَنْ)، والثاني: أنه في محل رفع بدلاً من الشفاعة، ولا بدَّ من حذف مضاف تقديره: إلا شفاعة من أذن له، والثالث: أنه منصوب على الاستثناء من الشفاعة بتقدير المضاف المحذوف، وهو استثناء مُتصل على هذا، ويجوز أن يكون استثناء منقطعاً إذا لم تقدر شيئاً. انظر «الدر المصون» (٨/ ١٠٧).

لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ ....

﴿لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ أي: اللهِ، ﴿وَقَدْ خَابَ﴾: خَسِرَ ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ أي: شِركاً.

﴿١١٢﴾ ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: الطَّاعاتِ ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ بِزِيادةٍ في سَيِّئاتِه، ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ بِنَقصٍ مِن حَسَناتِه.

حاشية الصاوي

و(أل) في ﴿ٱلْوُجُوهُ﴾ للاستغراق؛ أي: كل الوُجوه، والمراد: أصحابها، وخُصَّت الوجوه بالذكر؛ لأن الذلَّ أوَّل ما يظهر فيها.

قوله: (﴿لِلْحَيِّ﴾) أي: الذي حياتُه أبديَّة لا أول لها ولا آخر.

قوله: (﴿ٱلْقَيُّومِ﴾) أي: القائم على كلِّ نفس بما كسبت؛ فيُجازيها على الخير والشَّرِّ.

قوله: (﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾) أشار بذلك إلى أنَّ الخلائق تنقسم في القيامة قسمَين: أهل سعادة، وأهل شَقاوة، وكلاهما في خضوعٍ وذلٍّ لله جلَّ جلاله، لكن أهل السعادة خُضوعهم إجلالاً وهيبة ورغبة في الله، وأهل الشقاوة خُضوعهم رهبة وإشفاقاً من عذاب الله، ويأساً من رحمة الله، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس: ٣٨-٤١].

قوله: (خسر) أي: ظهر خُسرانه.

قوله: (﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾) أي: تحمَّله وارتكبه، وهذه الآية باعتبار ظاهرها تدلُّ على أنَّ أهل الظلم خائبون خاسرُون؛ أي: مُعرضون لذلك؛ ففي الحديث: «**الظلم ظلماتٌ يوم القيامة**»(١)؛ فإنَّ الظالم ربما أدَّاه ظُلمه إلى الكفر والعياذ بالله تعالى، فإذا مات على ذلك.. فهو مخلَّد في النار، وإن مات على الإسلام.. فقد نقَص عن مراتب المطهَّرين؛ بسبب الزيادة في سيئاته، والنَّقص من حسناته.

قوله: (﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾) الجملة حاليَّة.

قوله: (﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾) أي: وبِضدِّها تتميَّز الأشياء؛ فالعاصي الظالم يخاف زيادةَ

---

(١) رواه البخاري (٢٤٤٧)، ومسلم (٦٦٦٩) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ....

﴿١١٣﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ - معطوف على ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ﴾ - أي: مِثلَ إنزالِ ما ذُكِرَ ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي: القُرآنَ ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا﴾: كرَّرْنا ﴿فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الشِّركَ، ﴿أَوْ يُحْدِثُ﴾ القُرآنُ ﴿لَهُمْ ذِكْرًا﴾ بِهلاكِ مَن تَقَدَّمَهُم مِن الأُمَمِ فيعتَبِرُون.

﴿١١٤﴾ ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ﴾ ....

حاشية الصاوي

سيئاتِهِ ونقصَ حسناتِهِ؛ لما ورد: أنه يُؤخذ من حسناته للمظلوم، فإذا لم يبقَ له حسنات.. طُرِحَ من سيئات المظلوم عليه[1].

قوله: (أي: مثل إنزال ما ذكر) أي: الآيات المشتملة على تلك القصص العجيبة الغريبة.

قوله: (﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾) أي: على لسان جبريل مفرَّقاً في ثلاث وعشرين سنة على حسَبِ الوقائع.

قوله: (﴿عَرَبِيًّا﴾) أي: بِلُغة العرب؛ ليعرفوا أنه في الفصاحة والبلاغة خارجٌ عن طَوق البشر.

قوله: (﴿مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾) أي: التخويف.

قوله: (لعلهم يتقون الشرك) أي: يَجعلون بينهم وبين الشرك وقايةً؛ بأن يُؤمنوا.

قوله: (﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾) أي: موعظة في القلوب، فينشأ عنها امتثالُ الأوامرِ، واجتنابُ النواهي.

وتكرارُ المواعظ في القرآن من مَزيد رحمته تعالى بعباده، سيَّما مع إمهالهم وعدم مُعاجلتهم بالأخذ؛ ولذلك يُقال للكفار يوم القيامة: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧].

قوله: (﴿ٱلْمَلِكُ﴾) أي: النافذ حكمُه وأمره.

---

(١) كما روى الترمذي (٢٤١٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون مَن المفلس»؟ قالوا: المفلس فينا يا رسول الله مَن لا درهم له ولا متاع، قال رسول الله ﷺ: «المفلس من أُمتي مَنْ يأتي يوم القيامة بصلاته وصيامه وزكاته، ويأتي قد شتَم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسَفك دم هذا، وضرب هذا؛ فيَقعد فيقتص هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فَنيت حسناته قبل أن يُقتص ما عليه من الخطايا.. أخذ من خطاياهم، فطُرح عليه، ثم طرح في النار».

.... ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾

﴿ٱلْحَقُّ﴾ عَمَّا يَقُولُ الـمُشرِكُون، ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ أي: بِقِراءَتِه ﴿مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ أي: يَفرُغ جِبرِيل مِن إبلاغِه، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ أي: بِالقُرآنِ، فكُلَّما أُنزِلَ علَيهِ شَيء مِنهُ زادَ بِه عِلمُه.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلْحَقُّ﴾) أي: الثابت الذي لا يَقبل الزوال أزلاً ولا أبداً.

قوله: (﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾) المعنى: لا تَتعجل بقراءة ما ألقاه عليك جبريل في قلبك حتى يَقرأه عليك.

وسبب ذلك: أنَّ جبريل كان يأتي للنبي ﷺ بالقرآن، فيُلابس جسمه، ويَضعه في قلبه، فيريد النبيُّ ﷺ التعجُّل والنطق به، فأمره الله ألّا يَنطق به حتى يقرأه جبريل باللسان عليه ظاهراً، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦-١٩][١].

والحكمة في تلقي رسول الله ﷺ عن جبريل ظاهراً: أنه يكون سنَّةً متَّبعةً لأمَّته، فهم مأمورُون بالتلقي من أفواه المشايخ، ولا يُفلِح من أخذ العلم أو القرآن من السطور، بل التَّلقِّي له سرٌّ آخرُ.

قوله: (﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾) أي: سَلْ ربَّك الاستزادةَ من العلوم بسبب توالي القرآن؛ فإنها أفضل ما يُسْأَلُ وأعزُّ ما يُطْلَبُ، ومن هنا أَمْرُ المشايخ للمُريدين بتلاوة القرآن والتعبُّد به بعد كمالهم ونظافة قلوبهم، وما دامُوا لم يكملوا.. يَأمرونهم بالمجاهدة بالذكر ونحوه؛ لتخلُصَ قلوبهم، والحكمة في ذلك: أن الغفلة في الذكر أخفُّ منها في القرآن؛ لما في الأثر: «رُبَّ قارئ والقرآن يَلعنُه»[٢]، فجعل العارفون للتوصُّل للقرآن طُرُقاً يجاهدون أنفسهم فيها؛ لِيَزدادوا بقراءتهم القرآنَ علوماً ومعارفَ وأخلاقاً، وحينئذ: فليس تركهم القراءةَ في المبدأ؛ لكون غيره أفضلَ منه، بل لينظفوا أنفسهم للقراءة.

---

(١) كما رواه البخاري (٧٥٢٤)، ومُسلم (٩٣٦) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ذكره الغزالي في «الإحياء» (١/ ٢٧٤) من كلام سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه، وكونُ القرآن على حالين من قارئه ثابتٌ في الأحاديث الصحيحة؛ ففي «صحيح مُسلم» (٢٢٣): «والقرآن حجة لك أو عليك».

وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ....

﴿١١٥﴾ ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾ وصَّيناهُ أن لا يَأكُلَ مِن الشَّجَرة، ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: قَبل أكلِه مِنها، ﴿فَنَسِىَ﴾: تركَ عَهْدَنا، ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾: حَزماً وصَبراً عمَّا نَهيناهُ عَنهُ.

﴿١١٦﴾ ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ وهو أبُو الجِنِّ كان يَصحَبُ المَلائكةَ ويَعبُدُ الله معَهُم، ﴿أَبَىٰ﴾ عن السُّجُود لِآدَمَ، ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢].

﴿١١٧﴾ ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ حوَّاءَ ـ بالمدِّ ـ، ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾: تتعَبَ بِالحَرثِ والزَّرعِ والحَصدِ والطَّحن والخَبزِ وغَير ذلك، ....

حاشية الصاوي

قوله: (وصَّيناه ألَّا يأكل من الشجرة) أي: نهَيناه عن الأكل منها، وحتَّمنا عليه الأكل منها، فغلب مُرادنا على أمرنا.

قوله: (ترك عهدنا) أي: متأوِّلاً؛ حيث غلَّطه إبليس بقوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠]، ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١]، فظنَّ أنه لا يَحلف أحدٌ بالله كذباً.

قوله: (﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾) كُرِّرت هذه القصة في سبع سور من القرآن؛ تعليماً للعباد امتثالَ الأمرِ، واجتنابَ النهي، وعطفُ هذه القصة على ما قبلها من عطفِ السبب على المسبَّب؛ لأنَّ هذه القصة سببٌ في عَداوة إبليس لآدم.

قوله: (﴿فَسَجَدُوٓا۟﴾) أي: جميعاً، وتقدَّم الجواب عن سجود الملائكة بأوضحِ وجه.

قوله: (﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾) استثناءٌ متصلٌ أو منقطعٌ.

قوله: (كان يصحب الملائكة... إلخ) توجيهٌ للاتصال؛ لِكونه لم يعبِّر بـ(لكن).

قوله: (﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا﴾) النهي لإبليس صُورةً، والمراد: نهيهما عن تعاطي أسباب الخروج، فيتسبَّب عن ذلك حُصول التعب له في الدنيا.

إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ ....

واقتصَرَ على شَقائهِ لِأنَّ الرَّجُل يَسعَى على زَوجَتِه.

(﴿١١٨﴾ - ﴿١١٩﴾) ﴿إِنَّ لَكَ أَ﴾ن ﴿لَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ﴾ - بِفَتحِ الهَمزة وكَسرها، عَطف على اسم ﴿إِنَّ﴾ وجُملَتِها - ﴿لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا﴾: تَعطَش ﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾: لا يَحصُلَ لَك حَرُّ شَمس الضُّحَى لِانتِفاءِ الشَّمسِ في الجَنَّة.

﴿١٢٠﴾ ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾ أي: الَّتِي يَخلُدُ مَن يَأكُل مِنها، ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾: لا يَفنَى وهو لازِم الخُلدِ؟

﴿١٢١﴾ ﴿فَأَكَلَا﴾ أي: آدَم وحَوَّاء ﴿مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ أي: ظَهَرَ لِكُلٍّ مِنهُما قُبُله وقُبُلُ الآخَر ودُبُرُه، وسُمِّيَ كُلٌّ مِنهُما سَوأَةً لِأنَّ انكِشافَه يَسُوءُ صاحِبَه، ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾: أخَذَا يُلزِقانِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (واقتصر على شقائه) أي: مع أنَّ النهي لهما معاً.

قوله: (﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾... إلخ) قابَل الله سبحانه وتعالى بين الجوع والعُري، والظمأ والضحو وإن كان الجُوع يُقابل العطش، والعري يقابل الضحو؛ لأنَّ الجوع ذلُّ الباطن، والعري ذلُّ الظاهر، والظمأ حرُّ الباطن، والضحو حَرُّ الظاهر، فنفى عن ساكن الجنة ذلَّ الظاهر والباطن، وحرَّ الظاهر والباطن.

قوله: (بفتح الهمزة وكسرها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ﴾) بيان لِصورة الوسوسة.

قوله: (﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾) أي: بسبب تساقُط حُللِ الجنة عنهما لما أكلا من الشجرة.

قوله: (يسوء صاحبه) أي: يَحزنه.

(١) قرأ نافع وأبو بكر: (وإنك) بكسر الهمزة، والباقون بفتحها؛ فمن كسر.. فيجوز أن يكون ذلك استئنافاً، وأن يكون نسقاً على (إن) الأولى، ومَن فتح.. فلأنه عطف مصدراً مؤولاً على اسم (إن) الأولى. انظر «الدر المصون» (٨/ ١١٣).

عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا ....

﴿عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۚ﴾ لِيستتِرَا به، ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ بِالأكلِ مِن الشَّجَرة.

﴿١٢٢﴾ ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾: قرَّبه ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾: قَبِلَ توبتَه، ﴿وَهَدَىٰ﴾ أي: هَدَاهُ إلى المُداوَمة على التَّوبةِ.

﴿١٢٣﴾ ﴿قَالَ ٱهْبِطَا﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۚ﴾) أي: وَرق التين، فصارا يُلْزِقَانِ بعضه ببعض حتى يَصير طويلاً عريضاً يَصلح للاستتار به.

قوله: (﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾) أي: وقع فيما نُهِيَ عنه متأوِّلاً؛ حيث تخلَّف ما قصدَه بأكله من الشجرة، وضلَّ عن مطلوبه وهو الخُلود في الجنة؛ فمَعصيته: وقوعُه في المخالفة باعتبار الواقع، لا في القصد والنية، بل قصدُهُ ونيَّتُه امتثالُ الأمر، وتجنُّبُ ما يوجب الخروج، وحينئذٍ: فلا يجوز أن يُطْلَقَ على آدم العصيان والغواية من غير اقتران بالتأويل، ولا نفيُ اسم العصيان عنه؛ لِصَريح الآية، وعلى كلِّ حالٍ فالله عنه راضٍ، وهو مَعصوم قبل النبوة وبعدها من كلِّ ما يُخالف أمر الله، هذا هو الحقُّ في تقرير هذا المقام.

واعلم: أن الخطأ والنسيان يَقع من المعصومين للتشريع والمصالح؛ كما هو معهودٌ في نُصوص الشرع، وتسمية الله له في حقِّهم مَعصيةً من باب: حسَناتُ الأبرار سيئاتُ المقرَّبين.

قوله: (بالأكل من الشجرة) تقدَّم أنها الحِنطة، وقيل: التين، وقيل غير ذلك.

قوله: (﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ﴾) أي: اصطَفاه واختاره.

قوله: (قَبِلَ توبته) أي: بقوله ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا...﴾ إلخ.

قوله: (إلى المداومة على التوبة) أي: الاستِمرار عليها.

قوله: (﴿قَالَ ٱهْبِطَا﴾) أي: قال الله تعالى لآدم وحواء: اهبِطا من الجنة؛ لأنَّ مكثهما فيها كان معلَّقاً على عدم الأكل من الشجرة، وقد سبَق في عِلمه تعالى أنهما يأكلان منها، فهو أمرٌ مبرَمٌ، والمعلَّقُ على المبرَمِ مبرمٌ، فإخراجهما ليس لِلغضب عليهما، بل لمزيد شرفهما ورفعة قدرهما؛ لأنهما خرجا من الجنة منفردين، ويَعودان إليها بمئة وعشرين صفًّا من أولادهما.

مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ ...

أي: آدم وحوَّاء بما اشتَمَلتُما عليهِ مِن ذُرِّيَّتِكُما ﴿مِنْهَا﴾: مِن الجنَّة ﴿جَمِيعًا بَعْضُكُمْ﴾: بَعضُ الذُّرِّيَّة ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ مِن ظُلمِ بَعضِهِم بَعضاً، ﴿فَإِمَّا﴾ - فِيه إدغامُ نُون (إنْ) الشَّرطيَّة في (ما) المَزِيدة - ﴿يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ﴾: أي: القُرآنَ ﴿فَلَا يَضِلُّ﴾

حاشية الصاوي

إن قلتَ: ما الحكمة في تَعليق الخروج على الأكل من الشجرة ولم يَكن بلا سبب؟

أجيب: بأنَّ الله سبحانه وتعالى كريمٌ، ومن عادة الكريم ألَّا يسلُب نِعمته عن المنعَم عليه إلَّا بحُجة[1]، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣].

قوله: (أيْ آدمُ وحواءُ) يحتمل أن (أيْ) حرف نداء، و(آدم): منادى مبني على الضم في محل نصب، و(حواء): معطوف على (آدم)، ويحتمل أنَّ (أي) حرف تفسير، و(آدم وحواء): تفسير للضمير في (اهبِطا).

قوله: (اشتملتما عليه) قصد بذلك التوفيق بين هذه الآية وآية (الأعراف)؛ حيث جمع فيها، وتقدَّم لنا وجهٌ آخر في التوفيق بينهما: بأنَّ الجمع باعتبار آدمَ وحواء وإبليس والحية، وعلى هذا: فقولُه: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ أي: باعتبار أنَّ الحيَّة وإبليس عدوٌّ لآدم وذريته.

قوله: (من ظلم بعضكم بعضاً) أي: من أجل ظُلم بعضهم بعضاً؛ لما في الحديث: «**سألتُ ربي ألَّا يسلِّط على أمَّتي عدوًّا من سِوى أنفسها، فاستجاب لي**»[2].

قوله: (﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾) (إنْ): شرطيَّة مُدغمة في (ما) الزائدة، و﴿يَأْتِيَنَّكُم﴾: فعل الشرط، مَبني على الفتح في محل جزم؛ لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، و﴿مِّنِّى﴾: متعلق بـ﴿هُدًى﴾، و﴿هُدًى﴾: فاعل، وقوله: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ...﴾ إلخ (مَن): شرطية، و﴿ٱتَّبَعَ﴾: فعل الشرط، وجملة ﴿فَلَا يَضِلُّ﴾ جوابه، وقوله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ...﴾ إلخ جملة شرطية أيضاً، والجُملتان في محل جزم جواب الشرط الأول.

قوله: (أي: القرآن) في تفسير (الهدى) و(الذكر) فيما يأتي بالقرآن قُصورٌ؛ لأنَّ الخطاب مع آدم وذريَّته، وهُداهم وتذكيرهم أعمُّ من أن يكون بالقرآن أو بغيره من الكُتب النازلة على الرسل، فالمناسب أن يقول: (أي: كتاب ورسول).

---

(١) في (أ): (بجنحة).

(٢) رواه الترمذي (٢١٧٥)، والنسائي في «المجتبى» (٣/ ٢١٦) عن سيدنا خباب بن الأرتّ رضي الله عنه.

وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا

في الدُّنيا ﴿وَلَا يَشْقَىٰ﴾ في الآخِرةِ.

﴿١٢٤﴾ ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾: القُرآنِ فلَم يُؤمِن به ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ - بالتَّنوينِ - مَصدَر بِمَعنى ضَيِّقة، وفُسِّرَت في حَديثٍ بِعَذابِ الكافِرِ في قَبرِه، ﴿وَنَحْشُرُهُۥ﴾ أي: المُعرِضَ عن القُرآن ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾: أي: أعمَى البَصَر.

(﴿١٢٥﴾ - ﴿١٢٦﴾) ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ في الدُّنيا وعِندَ البَعث؟ ﴿قَالَ﴾: الأمرُ ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾: تَركتَها ولَم تُؤمِن بِها، ....

حاشية الصاوي

قوله: (بالتنوين) أي: وصلاً، وإبداله ألفاً وقفاً، وفي قراءة شاذة: (ضَنكى) كـ(سَكرى) بألف بدل عن التنوين؛ إجراءً للوصل مجرى الوَقف.

قوله: (مصدر) أي: وهو لا يثنَّى ولا يجمع ولا يؤنَّث، بل هو بِلَفظ واحد للجميع؛ ولذلك لم يقل: ضَنكة.

قوله: (بعذاب الكافر في قبره) أي: لما ورد: «أنه يَضغط عليه القبر حتى تَختلفَ أضلاعه، ولا يزال في العذاب حتى يُبعثَ»[(١)]، وقيل: المراد بالعيشة الضنكى: الحياة فيما يُغضب الله تعالى وإن كان في رَخاء ونعمة؛ إذ لا خير في نعمة بعدَها النار؛ لما في الحديث: «رُبَّ شهوةِ ساعةٍ أورَثت حزناً طويلاً»[(٢)].

قوله: (أي: المعرضَ عن القرآن) المناسب أن يقولَ: (المعرض عن الهدى) لما علمتَ.

قوله: (أي: أعمى البصر) أي: وذلك في المحشَر، فإذا دخل النار.. زال عَماه؛ ليرى مقعدَهُ في النار وعذابَهُ بها.

قوله: (الأمر كذلك) قد أشار إلى أنَّ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ خبرٌ لمحذوف.

قوله: (تركتها ولم تؤمن بها) أي: فالمراد بالنسيان: الإعراضُ وعدمُ الإيمان بها، وليس المرادُ

(١) رواه الترمذي (٢٤٦٠) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه البيهقي في «الشعب» (١٣٨٨) عن سيدنا ابن البجير رضي الله عنه.

وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ ....

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: مِثل نِسيانِك آياتِنا ﴿ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾: تُترك في النَّار.

﴿١٢٧﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومِثل جَزائِنا مَن أعرَضَ عن القُرآنِ ﴿نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ﴾: أشرَكَ ﴿وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ﴾ مِن عَذابِ الدُّنيا وعَذاب القَبر ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾: أدوَمُ.

﴿١٢٨﴾ ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ﴾: يَتَبَيَّن ﴿لَهُمْ﴾ لِكُفَّارِ مكَّةَ ﴿كَمْ﴾ - خَبريَّة - مَفعُول ﴿أَهْلَكْنَا﴾ أي: كثيراً إهلاكُنا ﴿قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ أي: الأُمَم الماضِيَة بِتكذِيبِ الرُّسُل، ﴿يَمْشُونَ﴾ - حال مِن ضَمِير ﴿لَهُمْ﴾ - ﴿فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ﴾: في سَفَرِهم إلى الشَّام وغَيرِها فيَعتَبِرُوا؟ - وما ذُكِرَ

حاشية الصاوي

حقيقةَ النسيان، وحينئذٍ: فلا يَصح الاستدلال بهذه الآية على أنَّ مَنْ حفظ القرآن ثم نَسِيَه. . يُحشر يوم القيامة أعمى؛ لأنه أمرٌ اختَلف فيه العلماء؛ فمذهب مالك ﷺ: حِفظ الزائد عمَّا تصح به الصلاة من القرآن مستحبٌّ أكيد ابتداءً ودواماً، فنِسيانه مكروه، ومذهب الشافعي: نسيان كلِّ حرف منه كبيرةٌ تُكفَّر بالتوبة والرجوع لِحفظه.

قوله: (أدْوَم) أي: لأنه لا يَنقطع، بخلاف عذاب الدنيا والقبر.

قوله: (﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾) الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أعمُوا فلَم يَهد لهم؟

قوله: (يتبيَّن) أشار بذلك إلى أن ﴿يَهْدِ﴾ فعل لازم، والمعنى: أعمُوا فلم يظهر لهم إهلاكُنا كثيراً من قبلهم من القُرون؟

قوله: (مفعول به) أي: وتمييزها محذوف؛ أي: قرناً، وقوله: (﴿مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾) متعلق بمحذوف صفة لِذلك التمييز.

قوله: (بتكذيب الرسل) الباء: سببيَّة؛ أي: إنَّ الإهلاك بِسَبب تكذيب الرسل وتركِ الإيمان بالله ورسله.

قوله: (وما ذكر) مبتدأ، وقوله: (لا مانع منه) خبره، والمعنى: أنَّ أخْذَ المصدر من الفعل لصحة المعنى. . لا يَتوقف على الحرف المصدري، بل يُسبك المصدر من الفعل بدون سابك؛ لِتوقف المعنى عليه، وأما لصحة الإعراب. . فلا يكون غالباً إلا بحرفٍ مصدريٍّ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ ۝١٢٨ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ۝١٢٩﴾

مِن أخذِ (إهلاك) مِن فِعله الخالي عن حَرفٍ مَصدَرِيٍّ لِرعايةِ المَعنى لا مانِعَ مِنهُ ـ. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾: لَعِبَراً ﴿لِأُولِي النُّهَىٰ﴾: لِذَوِي العُقُول.

١٢٩ ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بِتأخِيرِ العَذاب عَنهُم إلى الآخِرة، ﴿لَكَانَ﴾ الإهلاكُ ﴿لِزَامًا﴾: لازِماً لَهُم في الدُّنيا، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: مَضرُوب لَهُم، ـ مَعطُوف على الضَّمِير المُستَتِر في (كان)، وقامَ الفَصل بِخَبرِها مَقامَ التَّأكِيد ـ.

حاشية الصاوي

قوله: (لِذوي العقول) أي: السليمة الصافية، وخُصُّوا بالذكر لأنهم المنتفِعون.

قوله: (﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا﴾) أي: إنَّ الله سبحانه وتعالى سَبَق في عِلمِه تأخيرُ العذاب العامِّ لهذه الأمة؛ إكراماً لنبِّيها ﷺ، ولولا ذلك لحلَّ بهم كما حلَّ بمَنْ قبلهم من القرون الماضية، فتأخيرُهُ إمهالٌ لا إهمالٌ؛ لِيَتدارك الكافر ما فاته فيما بقي من عُمره، فإن تاب.. قَبِلَهُ ربُّهُ.

قوله: (معطوف على الضمير المستتر في «كان») أي: والمعنى: لكان الإهلاك والأجل المعيَّن له لزاماً لهم؛ أي: لازماً لهم، ولم يقُل: لازمَيْنِ؛ لأنَّ (لزاماً) مصدر في الأصل وإن كان هنا بمعنى اسم الفاعل، وقوله: (وقام الفصل... إلخ) أي: إنَّ العطف على ضَمير الرفع المنفصل جائزٌ إذا حصل الفاصل[١] بالضمير المنفصل أو فاصِلٍ ما كما هنا، قال ابن مالك[٢]: [الرجز]

وإنْ على ضميرِ رفعٍ متَّصِلْ   عطفْتَ فافْصِلْ بِالضَّميرِ المنفَصِلْ

أو فاصِلٍ مَا ....

وأحسن ممَّا قرَّره المفسِّر: أن يُجعل قوله: ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ معطوف على ﴿كَلِمَةٌ﴾، والمعنى: ولولا كلمةٌ وأجلٌ مسمًّى، وهو مُدَّة مَعيشتهم في الدنيا التي قدَّرها الله لهم.. لَكان العذاب العامُّ لازماً لهم.

(١) كذا في الأصول، ولعلها: الفصل.

(٢) «الخلاصة»، باب: عطف النسق، (ص٤٨).

﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ١٣٠﴾ ....

﴿١٣٠﴾ ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ مَنسوخ بِآية القِتال، ﴿وَسَبِّحۡ﴾: صَلِّ ﴿بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ ـ حال ـ أي: مُلتَبِساً بِه، ﴿قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ﴾: صَلاةِ الصُّبح، ﴿وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ﴾: صَلاةِ العَصر، ﴿وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ﴾: ساعاتِه ﴿فَسَبِّحۡ﴾: صَلِّ المَغرِب والعِشاءَ ﴿وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ ـ عَطف على مَحَلِّ (مِن آناء) المَنصُوب ـ أي: صَلِّ الظُّهر؛ لِأنَّ وقتَها يَدخُلُ بِزَوالِ الشَّمس، فهو طَرَف النِّصف الأوَّل وطَرَف النِّصف الثَّاني، ﴿لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ﴾ بِما تُعطَى مِن الثَّواب.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾) أي: حيث علمتَ أنَّ تأخير عذابهم ليس بإهمال، بل هو لازمٌ لهم في القيامة.. فتسَلَّ واصبر ولا تَنزعج.

قوله: (منسوخ بآية القتال) أي: وعليه فالمراد بقوله: (اصبر): لا تُعاجلهم بالقتال، وقيل: إن الآية محكمة، وعليه: فالمراد بقوله: (اصبر): عدمُ الاضطراب بما صَدر منهم من الأذيَّة.

قوله: (صلِّ) إنما سمَّى التسبيح والتحميد صلاةً؛ لاشتِمالها عليهما، ولأنَّ المقصود من الصلاة: تنزيهُ الله عن كلِّ نقصٍ، والمعنى: لا تشتغل بالدعاء عليهم، بل صلِّ الصلوات الخمسَ. ولمَّا كان الأصلُ في الأمر الوجوبَ.. حمل الأمر بالتسبيح والتحميد على الأمرِ بالصلاة.

قوله: (حال) أي: مِن فاعل (سبِّح)، والباء في ﴿بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ لِلملابسة كما قال المفسِّر.

قوله: (﴿وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ﴾) جمع (إِنًى) بكسر الهمزة والقصر كـ(مِعًى)، وأصله: أَأْناء بهمزتين، أبدلت الثانية ألفاً على القاعِدة المعروفة.

قوله: (﴿وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾) المراد بالجمع: ما فوقَ الواحد؛ لأنَّ المراد به الزمنُ الذي هو آخِر النصف الأول، وأوَّل الثاني.

قوله: (المنصوب) أي: بـ(سبِّح)، والمعنى: صلِّ في أطراف النهار وهو الوقت الذي يَجمع الطرفين، وهو الزوال.

قوله: (﴿لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ﴾) متعلق بـ(سبِّح) أي: سبِّح في هذه الأوقات لَعلك ترضى بذلك، وانظر إلى هذا الخطابِ اللطيفِ المشعِرِ بأنه ﷺ حبيبُ ربِّ العالمين، وأفضلُ الخلق أجمعِين؛ حيث قال له ربُّهُ: ﴿لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ﴾ ولم يقُل: (لعلي أرضَى عليك) ونحو ذلك، ومِن هنا: قوله عليه الصلاة

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ ....

﴿١٣١﴾ ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا﴾: أصنافاً ﴿مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: زِينَتَها وبَهجَتها، ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ بِأن يَطغَوا، ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ في الجنَّة ﴿خَيْرٌ﴾ مِمَّا أُوتُوهُ في الدُّنيا ﴿وَأَبْقَىٰ﴾: أدوَمُ.

حاشية الصاوي

والسلام: «وجُعِلت قُرَّة عيني في الصلاة»[١]، وقول السيدة عائشة رضي الله عنها: (ما أرى ربَّك إلا يُسارع في هواك)[٢]، فصلاتُه ﷺ مأمورٌ بها ليَرضى هو، لا لِيُكَفِّرَ الله عنه سيئاته، ولا ليَرضى عليه، وحينئذٍ: فلا كُلفة عليه فيها؛ لأنَّ فيها شهودَهُ لربِّه الذي هو قرَّة عينِهِ، ولِلعارفين الكاملين من أُمَّته نصيبٌ من هذا المقام.

قوله: (﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾) عطفٌ على ﴿فَٱصْبِرْ﴾، أي: لا تَنظر بعينَيك إلى زهرة الدنيا نظَرَ رغبةٍ، وهذا الخطابُ لرسول الله ﷺ والمرادُ غيرُهُ؛ لأنَّ ذلك مُستحيلٌ عليه؛ لما ورد: «أنه خُيِّرَ بين أن يكونَ نبيًّا ملكاً أو نبيًّا عبداً، فاختار أن يكون نبيًّا عبداً»[٣]، وورَد: «لستُ من الدنيا، وليسَت الدنيا منِّي»[٤].

قوله: (أصنافاً ﴿مِّنْهُمْ﴾) أي: الخَلق، فالدنيا دائرة في أصناف الخلق؛ فتارةً تكون مع الشريف، وتارة مع الوضيع... وهكذا.

قوله: (﴿زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾) الأحسَن: أنه منصوب على أنه مفعولٌ ثانٍ لـ﴿مَتَّعْنَا﴾ بتَضمينه معنى (أعطينا)، والأول هو قوله: ﴿أَزْوَٰجًا﴾.

قوله: (بأن يطغوا) الباء: سببيَّة؛ أي: نَفتنهم بسبب طُغيانهم فيه.

قوله: (﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾) أي: فعلى الإنسان أن يَشتغل بما هو خيرٌ وأبقى، وهو الجنة ونعيمها، ويترك ما يَفنى وهو الدنيا، وقِسمتُهُ الأزليَّةُ تأتيه منها من غير تعبٍ ولا مشقَّة.

---

(١) رواه النسائي في «المجتبى» (٧/ ٦١) عن سيدنا أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٤٧٨٨).

(٣) رواه النسائي في «الكبرى» (٦٧٤٣) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٤) رواه الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٤/ ٣٧٥) عن سيدنا أنس رضي الله عنه.

وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ ....

﴿١٣٢﴾ ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ﴾: اصبِرْ ﴿عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ﴾: نُكَلِّفُكَ ﴿رِزْقًا﴾ لِنَفسِك ولا لِغَيرِك، ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَٰقِبَةُ﴾: الجنَّةُ ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾: لِأهلِها.

﴿١٣٣﴾ ﴿وَقَالُوا﴾ أي: المُشرِكُون: ﴿لَوْلَا﴾: هَلَّا ﴿يَأْتِينَا﴾ مُحمَّد ﴿بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ مِمَّا يَقترِحُونه. ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم﴾ - بِالتَّاءِ والياء - ﴿بَيِّنَةُ﴾: بَيانُ ﴿مَا فِى الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ المُشتَمِل علَيهِ القُرآنُ مِن أنباءِ الأُمَمِ الماضِيَة وإهلاكِهم بِتكذِيبِ الرُّسُل؟

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾) أي: أُمَّتك.

قوله: (﴿وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾) أي: وَأْمُرْهُمْ بذلك.

قوله: (﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾) أي: نحن متكفِّلون برزقك، فتفرَّغ لما كُلِّفْتَ به ولا تشتغل بما تكفَّلنا لك به، روي: (أنه ﷺ كان إذا أصاب أهلَ بيتِه ضيقٌ.. أمرَهم بالصلاة، وتلا هذه الآية)[1].

قوله: (﴿وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾) أي: الجميلةُ المحمودةُ لأهل التَّقوى.

قوله: (أي: المشركون) أي: وهُم كفَّار مكة.

قوله: (مما يقترحونه) أي: يَطلبونه تعنُّتاً كما تقدَّم بعضه في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنۢبُوعًا...﴾ [الإسراء: ٩٠] الآيات.

قوله: (﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم﴾) الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف؛ أي: أعمُوا ولم تأتهم؟!... إلخ.

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهُما قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (﴿مَا فِى الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾) أي: الكتب المتقدِّمة، والمعنى: ألم يكتفُوا بالقرآن المحتوي على أخبار الأُمَم الماضية؟

---

(١) رواه البيهقي في «الشعب» (٢٩١١)، والطبراني في «الأوسط» (١/ ٢٧٢) عن سيدنا عبد الله بن سلام رضي الله عنه.

(٢) قرأ نافع وأبو عمرو وحفص: «تأتهم» بالتأنيث، والباقون بالياء من تحت. انظر «الدر المصون» (٨/ ١٢٥).

﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾

﴿١٣٤﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ﴾: قَبل مُحمَّد الرَّسُول ﴿لَقَالُوا۟﴾ يومَ القِيامةِ: ﴿رَبَّنَا لَوْلَآ﴾: هَلَّا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ المُرسَلَ بِها ﴿مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ﴾ في القِيامةِ ﴿وَنَخْزَىٰ﴾ في جهنَّم.

﴿١٣٥﴾ ﴿قُلْ﴾ لَهُم: ﴿كُلٌّ﴾ مِنَّا ومِنكُم ﴿مُّتَرَبِّصٌ﴾: مُنتَظِرٌ ما يَؤُول إلَيهِ الأمرُ، ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ فَسَتَعْلَمُونَ﴾ في القِيامةِ ﴿مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ﴾: الطَّرِيق ﴿ٱلسَّوِىِّ﴾: المُستَقِيم، ﴿وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ مِن الضَّلالة أنحنُ أم أنتُم؟

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم﴾) كلامٌ مستأنفٌ لِتقرير ما قبله.

قوله: (﴿لَقَالُوا۟ رَبَّنَا﴾... إلخ) أي: لكان لهم أن يحتجُّوا يوم القيامة ويعتذرُوا بهذا العذر، فقطع الله عُذرهم بإرسال الرسول لهم، ولم يُهلكهم قبل مجيئه.

قوله: (﴿مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ﴾) أي: يَحصل لنا الذُّلُّ والهوانُ.

قوله: (﴿وَنَخْزَىٰ﴾) أي: نَفتضح.

قوله: (ما يؤول إليه الأمر) أي: أمرُنا وأمركم.

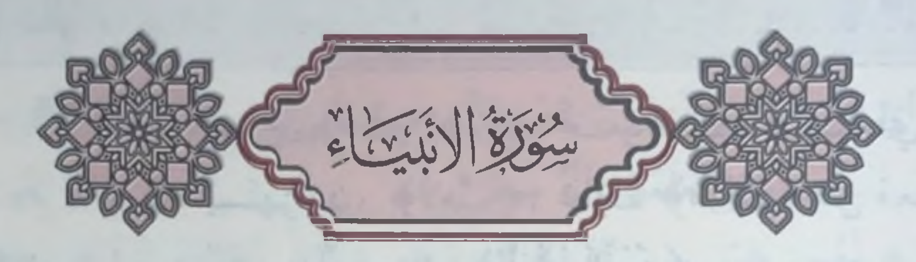
قوله: (﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾) أي: انتظروا.

قوله: (﴿مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ﴾) ﴿مَنْ﴾: في الموضعين استفهامية، والكلام على حذف مضاف، والتقدير: فستَعلمون جوابَ مَن أصحاب... إلخ، وهو: إنهم هُم المؤمنون.

قوله: (﴿وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ مِن الضلالة) أشار المفسِّر إلى وجه المغايَرة بين القسمين؛ فأصحاب الصراط السَّويِّ مَنْ لم يَضلَّ أصلاً؛ كالنبي ومَن أسلم صبيًّا، ومَن اهتدى هو: مَنْ سبق له الكفر، ثمَّ أسلَم بعد ذلك.

✿ ✿ ✿

﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ١﴾ ....



مَكِّيَّة، وهي مِائة وإحدَى أو اثنتا عَشرة آية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ﴿ٱقۡتَرَبَ﴾: قَرُبَ ﴿لِلنَّاسِ﴾: أي: أهلِ مكَّة مُنكِرِي البَعث ﴿حِسَابُهُمۡ﴾ يومَ القِيامة، ﴿وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ﴾ عَنه ﴿مُّعۡرِضُونَ﴾ عن التَّأهُّب له بِالإيمانِ.

حاشية الصاوي

سُورَةُ الأَنبِيَاءِ عليهم السلام

سمِّيت بذلك؛ لِذكر قِصص جملةٍ من الأنبياء فيها.

قوله: (مكيَّة) أي: نزَلت قبل الهجرة باتفاق.

قوله: (أو اثنتا عشرة آية) هذا الخلاف مرتَّبٌ على الخلاف في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ إلى قولـه: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾؛ هل هـو آيةٌ واحدةٌ أو آيتان وأوَّل الثانية قولـه: ﴿أُفّٖ لَّكُمۡ...﴾ إلخ[1]؟

قوله: (أهل مكة) أشار بذلك إلى أنه مِن إطلاق العام وإرادة الخاص، وحاصِل ذلك: أن كُفار قريش قالوا: محمَّدٌ يُهدِّدنا بالبعث والجزاء على الأعمال وهذا بعيدٌ، فأنزل الله: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ﴾، ووجه قُرب الحساب: أنه آتٍ لا محالة، وكلُّ آتٍ قريبٌ، أو يقال: إنَّ قربَهُ باعتبار ما مضى مِن الزمان؛ فإنَّ ما بقي أقلُّ ممَّا مضى.

قوله: (﴿وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾) الجملة حالية؛ أي: قرُب حسابهم والحالُ أنهم غافلون معرضُون غيرُ متأهِّبين له، والعبرة بعُموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهذه الآيةُ وإن كان سببُها الردَّ على كفار مكة إلا أنَّ العبرةَ بِعمومها.

---

(١) فغير الكوفيين يعدُّه آية، والكوفيون يعدُّونه آيتَين: الأولى إلى قوله: ﴿وَلَا يَضُرُّكُمۡ﴾، والثانية أوَّلها: ﴿أُفّٖ لَّكُمۡ﴾. «الفتوحات الإلهية» (٣/ ١١٧).

مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ....

(﴿٢﴾ - ﴿٣﴾) ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ شيئاً فشيئاً أي: لفظِ قرآنٍ ﴿إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾: يَستهزِئُون، ﴿لَاهِيَةً﴾: غافِلةً ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ عن معناهُ، ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى﴾: الكلامَ ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ ـ بدلٌ من واوِ ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى﴾ ـ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾) هذا في معنى العِلة لما قبله، كأنه قال: مُعرضون لأنه ما يأتيهم من ذكر. . . إلخ.

قوله: (﴿مِّن رَّبِّهِم﴾) الجار والمجرور متعلق بـ﴿يَأْتِيهِم﴾.

قوله: (أي: لفظ القرآن) دَفع بذلك ما يقال: كيف وصف الذكر بالحدوث مع أنَّ المراد به القرآن وهو قديم؟

فأجاب: بأنَّ وصفه بالحدوث باعتبار ألفاظه المنْزَلةِ علينا، وأمَّا باعتبار المدلُول ـ وهو الوصف القائم بذاته تعالى ـ فهو قديم، وأمَّا ما دلَّت عليه الألفاظُ الحادثةُ. . فمنها: ما هو قديمٌ؛ كمدلول آية الكرسي والصمديَّة، ومنها: ما هو حادث؛ كمَدلول القصص وأخبار المتقدمين، ومنها: ما هو مستحيلٌ؛ كمدلول ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ [المؤمنون: ٩١].

قوله: (﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾) الجملة حالية من فاعل ﴿ٱسْتَمَعُوهُ﴾، وكذا قوله: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾، والمعنى: ما يُقْرَأُ عليهم القرآن إلا استَمعوه في حال استهزائِهِمْ وكونِ قلوبهم غافلةً عن معناه؛ فلا يسمعونه سماع تدبُّرٍ وقبولٍ، وكلُّ آيةٍ وردت في الكفار. . جرَّت بذيلها على عُصاة الأمة؛ ففي هذه الآية تحذيرٌ لمن يَستمع القرآن في حال لهوه ولعبِهِ، وأقبحُ منه مَنْ يطربُ بسماعه من حيث اشتمالُهُ على الأنغام المعروفة، لا مِن حيث بلاغتُهُ ومواعظُهُ وأحكامُهُ وكونُهُ من عند الله؛ فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

قوله: (بدل من واوِ «أسرُّوا النجوى») أشار بذلك إلى أنَّ (أسرَّ) فعل ماض، والواو: فاعله، و﴿ٱلنَّجْوَى﴾: مفعوله، و﴿ٱلَّذِينَ﴾: بدل، وهذه إحدى طريقتَين للنحويين في الفعل الذي لحقته العلامة وأُسند للظاهر، والطريقة الثانية: أن الواو حرف علامة، و﴿ٱلَّذِينَ﴾: فاعل، وتسمى بلغة: (أكلوني البراغيث)، ولما كانت ضعيفةً لا ينبغي حملُ الآيةِ عليها. . أعرَض عنها المفسِّر.

هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ ....

﴿هَلْ هَٰذَآ﴾ أي: مُحمَّد ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ فما يَأتي بِه سِحرٌ، ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ﴾: تَتَّبِعُونَه ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾: تَعلَمُون أنَّهُ سِحر؟

﴿٤﴾ ﴿قُلْ﴾ لَهُم: ﴿رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ﴾ كائناً ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِما أسَرُّوهُ ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بِه.

﴿٥﴾ ﴿بَلْ﴾ - لِلانتِقالِ مِن غَرَض إلى آخَرَ في المَواضِع الثَّلاثةِ - ﴿قَالُوٓاْ﴾ فِيما أتَى بِه مِن القُرآن: هو ﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ﴾: أخلاطٌ رَآها في النَّوم، ﴿بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ﴾: اختَلَقَهُ، .....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾) بدل من ﴿ٱلنَّجْوَى﴾ مفسِّرٌ لها؛ أي: فكانوا يتناجَوْنَ بذلك سرًّا بينهم، ثم يُشيع كلُّ واحدٍ منهم مقالته؛ ليضلَّ غيرَهُ.

قوله: (﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ﴾) أي: تَحْضُرُونه وتَقبلونه.

قوله: (﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾) الجملة حالية من فاعل (تأتون).

قوله: (﴿فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾) أشار المفسِّر إلى أنه حال من ﴿ٱلْقَوْلَ﴾ أي: يَعلم القول حال كون القول كائناً في السماء والأرض.

قوله: (لِلانتقال من غرض إلى آخر) أي: فلا تقع (بل) في القرآن إلا للانتقال، لا للإبطال[1]؛ لأنه يكون إضراباً عن الكلام السابق، وإعراضاً عنه؛ لكونه صَدر على وجه الغلط، وتنزَّه الله عنه، خلافاً لمن يقول: إنها تأتي للإبطال واستَدل بقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ [المؤمنون: ٧٠]، ولا دليل في ذلك؛ لأن (بل) فيهما للانتقال عن الإخبار بقولهم إلى الإخبار بالواقع، فتأمَّل.

قوله: (﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ﴾) خبرٌ لمحذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (هو)، والجملة: مَقول القول.

---

(١) كما قاله ابن مالك رحمه الله تعالى، ووهَّمه ابن هشام في «المغني» (ص١٧٧)، وأوَّل المصنف وغيره ما استدل به ابن هشام رحمه الله تعالى. وانظر «الفتوحات الإلهية» (٣/ ١١٧).

بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ....

﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ فما أتى به شِعرٌ، ﴿فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ كالناقةِ والعَصا واليَدِ. قال تعالى:

﴿٦﴾ ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ﴾ أي: أهلُها ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ بِتكذيبِها ما أتاها مِن الآياتِ، ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾؟ لا.

﴿٧﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا يُوحَى﴾ - وفي قِراءةٍ بِالنونِ وكسرِ الحاء - ﴿إِلَيْهِمْ﴾ لا مَلائكةً، ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾) أي: يأتي بكلام يخيِّل للسامع معانيَ لا حقيقة لها، وليس المراد بالشعر هنا: خصوصَ الكلامِ المقفّى الموزونِ قصداً، بل ما هو أعَمُّ.

قوله: (﴿فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ﴾) جواب شرط مقدَّر، كأنه قيل: وإن لم يكن كما قُلنا، بل كان رسولاً كما يزعم.. فليَأتنا إلخ.

قوله: (﴿كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾) صفةٌ لمصدر محذوف، والتقدير: إتياناً كائناً مثْلَ إرسال الأولين.

قوله: (﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾) ﴿مِّن﴾: زائدة في الفاعل.

قوله: (لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: (﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾) ردٌّ لقولهم: ﴿هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾.

قوله: (﴿يُوحَى إِلَيْهِمْ﴾) أي: يأتيهم الوحي بالشرائع والأحكام، والمعنى: ما أرسلنا إلى الأمم قبل إرسالك لأمَّتك إلا رجالاً من أفراد جِنسك متأهِّلين للإرسال.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّةٌ أيضاً[1].

قوله: (﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾) أي: المطَّلعين على أحوال الرُّسل الماضية؛ فإنهم يخبرونكم بحقيقة الحال.

---

(١) قرأ حفص: «نوحي» بنون العظمة مبنيًّا للفاعل؛ أي: نوحي نحن، والباقون بالياء وفتح الحاء مبنيًّا للمفعول. انظر «الدر المصون» (٨/ ١٣٥).

إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ۝٨ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ۝٩ ....

العُلَماءَ بِالتَّوراةِ والإنجيل ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلكَ فإنَّهُم يَعلَمُونَهُ، وأنتُم إلى تَصدِيقِهم أقرَبُ مِن تَصدِيق المُؤمِنِين بِمحمَّد.

۝٨ ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ﴾ أي: الرُّسُلَ ﴿جَسَدًا﴾ بِمَعنَى: أجساداً ﴿لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾، بل يَأكُلُونَه، ﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ في الدُّنيا.

۝٩ ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾ بِإنجائِهِم، ﴿فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ﴾: أي: المُصدِّقِين لَهُم، ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾: المُكَذِّبِين لَهُم.

حاشية الصاوي

قوله: (العلماء بالتوراة والإنجيل) إنما أحالهم عليهم؛ لأنهم كانوا يُرسلون للمشركين أن ابقوا على ما أنتم عليه من التكذيب ونحنُ معكم، فهم مشتركون في العَداوة لرسول الله وأصحابه؛ فلا يكذِّبونهم فيما هم فيه.

قوله: (من تصديق المؤمنين) المصدر مضاف لمفعوله، والفاعل محذوف؛ أي: أقرب من تصديقكم المؤمنين، والمعنى: إذا أخبرهم المؤمنون بحال محمد وحال الرسل المتقدمين وأخبركم أهل الكتاب بذلك.. صدَّقتم أهل الكتاب دون المؤمنين؛ لأُلْفَتِكُمْ أهلَ الكتاب وعَداوتِكمْ للمؤمنين.

قوله: (﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾) ردٌّ لقولهم: ﴿مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾، والمعنى: لم نَجعلهم ملائكة، بل جعلناهم بشراً يأكلون الطعام.

قوله: (﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾) أي: ما كثين على سبيل الخلود في الدنيا، بل يَموتون كغيرهم.

قوله: (﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾) أي: بإهلاك أعدائهم.

قوله: (بإنجائهم) محمول على الرسل الذين أمروا بالجهاد؛ فلا يرد مَنْ قُتِلَ من الرسل؛ فإنهم لم يؤمروا بالجهاد.

قوله: (﴿وَمَن نَّشَاءُ﴾) أي: المؤمنين الذين اتَّبعوهم، وقد وقع ذلك لرسول الله ﷺ؛ فإنَّ كُبراء أصحابه الذين حضرُوا مغازيه لم يموتوا في حروبه، بل بقُوا بعده ومهَّدوا دينَهُ.

لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ ....

﴿١٠﴾ ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ﴾ يا مَعشَرَ قُرَيشٍ ﴿كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ لِأنَّه بِلُغَتِكُم، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتُؤمِنُون بِه؟

(﴿١١﴾ - ﴿١٢﴾) ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾: أهلَكنا ﴿مِن قَرْيَةٍ﴾ أي: أهلَها ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ﴾) كلامٌ مستأنفٌ قُصِدَ به التبكيتُ عليهم، والمعنى: كيف تعرضون عن كتابٍ فيه شرَفكم وعزُّكم؛ لأنه بلسانكم وعلى لغتكم؟! فكان بمقتضى الحميَّة والعقل أن تعظِّموا هذا الكتابَ وهذا النبيَّ الذي جاء به، وتكونوا أوَّلَ مؤمنٍ به، فإعراضكم عنه دليلٌ على عَدم عقلكم.

قوله: (﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾) أي: الثناء عليكم بالجميل، أو شرَفكم، أو مواعظكم.

قوله: (﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾) الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أجهلتم فلا تَعقلون أنَّ الأمر كذلك؟

قوله: (﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾) (كم): خبرية مفعول مقدَّم لـ﴿قَصَمْنَا﴾، و﴿مِن قَرْيَةٍ﴾: بيان لـ(كم).

قوله: (أي: أهلها) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف، والمقصود من هذه الآية: تحذيرُ الكفارِ من هذه الأمة عن عَدم الإيمان، والرجوع عن الكفر بأنهم لا يَغرنَّهم سعةُ الدنيا عليهم، والتفاخرُ بالأموال والأولاد، كأن الله يقول لهم: لا تغترُّوا بذلك؛ فإننا أهلكنا كثيراً من أهل القرى الكفار، وما جرَى عليهم يجري عليكم.

وأهل القرى؛ قيل: المراد بهم: الأُمَم الماضية كقوم نوح ولوط وصالح وشعيب وغيرهم، وقيل: المراد بهم: أهل قرية باليمن تسمَّى حضوراً ـ بوزن: شكوراً ـ بعث الله عليهم موسى بن ميشا بن يوسف بن يعقوب نبيًّا قبل موسى بن عمران، فكذَّبوه وقتَلوه، فسلَّط الله عليهم بخت نصَّر[1]، فقتل رجالهم، وسبى نساءهم، فلما استمرَّ فيهم القتل.. هربُوا، فقالت لهم الملائكة استهزاءً: لا تركضوا وارجعوا إلى مساكنكم وأموالكم لعلكم تُسْأَلون شيئاً من دُنياكم؛ فإنكم أهل نعمة وغنىً، فأتبعهم بخت نصَّر، وأخذتهم السيوف، ونادى مُنادٍ من جوِّ السماء: يا ثارات الأنبياء، فلمَّا رأوا ذلك.. أقرُّوا بالذنوب حين لم ينفَعْهم.

---

(١) بخت نصَّر البابلي: يجوز كتابة اسمه موصولاً ومفصولاً كما جرى عليه المخطوط، قيل: بخت بمعنى: ابن، ونصَّر: اسمُ صنم وجد مطروحاً عنده، فنُسب إليه.

كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ ....

﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾: كافِرةً، ﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ﴾ أي: شَعَرَ أهلُ القريةِ بِالإهلاكِ ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾: يَهرُبُون مُسرِعِين.

﴿١٣﴾ فَقالَت لَهُم المَلائكةُ استِهزاءً: ﴿لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ﴾: نُعِّمْتُم ﴿فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ شيئاً مِن دُنياكُم على العادةِ.

(﴿١٤﴾ - ﴿١٥﴾) ﴿قَالُواْ يَا﴾ ـ لِلتَّنبِيه ـ ﴿وَيْلَنَآ﴾: هَلاكَنا، ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ بِالكُفر.

﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ﴾ الكَلِماتُ ﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾: يَدعُون بِها ويُرَدِّدُونَها ....

حاشية الصاوي

فعلى القول الأول: (كم) واقعة على القرى، وعلى الثاني: واقعةٌ على أشخاص تلك القرية.

قوله: (أي: شَعَرَ أهلُ القرية) بفتح العين بمعنى: عَلم، وأمَّا بالضمِّ.. فمعناه: تكلَّم بالشِّعر ضد النَّثر.

قوله: (يهربون) أي: فالركضُ كنايةٌ عن الهرب.

قوله: (استهزاءً بهم) جوابٌ عمَّا يقال: إنَّ الملائكة معصومون من الكذب؛ فكيف يقولون لهم ذلك مع عِلمهم بأنهم مُهْلَكونَ عن آخرِهم؟

فأجاب: بأنَّ هذا القول ليس على حقيقته، بل سُخرية بهم على حدِّ: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩].

قوله: (﴿وَمَسَٰكِنِكُمْ﴾) بالجرِّ عطف على (ما).

قوله: (شيئاً من دنياكم) أي: فأنتم أهلُ سخاء وغنىً، تُعطون الفقراء، وهذا توبيخٌ وتهكُّمٌ بهم.

قوله: (بالكفر) أي: وقتل موسى.

قوله: (﴿فَمَا زَالَت﴾) (ما): نافية، و(زال): فعل ناقص، و﴿تِّلْكَ﴾: اسمها، و﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾: خبرها.

قوله: (الكلمات) المراد بها قولهم: ﴿يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾.

حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ ....

﴿حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا﴾ أي: كالزَّرعِ المَحصُودِ بِالمَناجِلِ بِأن قُتِلُوا بِالسَّيفِ، ﴿خَٰمِدِينَ﴾: مَيِّتِين كخُمُودِ النَّار إذا طَفِئَت.

(﴿١٦﴾ - ﴿١٧﴾) ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾: عابِثِين، بل دالِّين على قُدرَتِنا ونافِعِينَ عِبادَنا. ﴿لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا﴾ أي: ما يُلهَى بِه مِن زَوجةٍ أو ولَد ﴿لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾: مِن عِندِنا مِن الحُور العِين والمَلائكةِ، ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ ذلك، لَكِنَّا لَم نَفعَلْهُ فلَم نُرِدْه.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ﴾) أي: رجالهم، وأما النساء.. فقد سَباهم بخت نصَّر كما تقدَّم، وكلام المفسِّر يُفيد أنَّ هذه الآية حكايةٌ عن أهل حُضُورٍ.

قوله: (كخمود النار) أي: سكونِ لهبها مع بقاء حرِّها، وأما الهمود.. فهو عبارة عن ذهاب النار بالكليَّة حتى تَصير رماداً.

قوله: (﴿لَٰعِبِينَ﴾) حال من فاعل ﴿خَلَقۡنَا﴾، وهو محطُّ النفي.

قوله: (بل دالِّين على قُدرتنا) ويُسبِّحوننا؛ بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤].

قوله: (ونافعين لعبادنا) أي: وتفصيلُ جهات النفع بها لا يَعلمها إلا الله سبحانه وتعالى.

قوله: (﴿لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا﴾) ردٌّ على من أثبت الولد والزوجة لله.

قوله: (﴿لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾) جواب ﴿لَوۡ﴾، واستثناء نَقيض التالي ينتج نقيض المقدَّم، والمعنى: لو تعلَّقت إرادتنا باتخاذ الزوجة والولد.. لاتخذناه مِن عندنا، لكنا لم نتخذه فلم تَتعلق به إرادتنا؛ لاستحالة ذلك علينا.

قوله: (﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾) يحتمل أن تكون ﴿إِنۡ﴾ شرطية، وجوابها محذوف دلَّ عليه جواب ﴿لَوۡ﴾، ويحتمل أن تكون نافية؛ أي: ما كنَّا فاعِلين.

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ ....

﴿١٨﴾ ﴿بَلْ نَقْذِفُ﴾: نَرمِي ﴿بِالْحَقِّ﴾: الإيمانِ ﴿عَلَى الْبَاطِلِ﴾: الكُفرِ ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾: يُذهِبُه، ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾: ذاهِبٌ، ودَمَغَهُ في الأصل: أصابَ دِماغَه بِالضَّربِ، وهو مَقتَلٌ، ﴿وَلَكُمُ﴾ يا كُفَّارَ مكَّة ﴿الْوَيْلُ﴾: العَذابُ الشَّدِيد ﴿مِمَّا تَصِفُونَ﴾ الله بِهِ مِن الزَّوجةِ والوَلَد.

(﴿١٩﴾ - ﴿٢٠﴾) ﴿وَلَهُ﴾ تَعالى ﴿مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مُلكاً، ﴿وَمَنْ عِندَهُ﴾ أي: المَلائكةُ ـ مُبتدأٌ خَبَرُه ـ: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾: لا يَعيَونَ. ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ عنهُ، فهو مِنهُم كالنَّفَسِ مِنَّا لا يَشغَلُنا عَنهُ شاغِل.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾) أي: شأننا أن نؤيِّد الحقَّ ونُذْهِبَ الباطلَ.

قوله: (﴿مِمَّا تَصِفُونَ﴾ الله به) أشار بذلك إلى أنَّ (ما) موصولة، والعائد محذوف، ويصح أن تكون مصدرية، والمعنى: ولكم الويلُ من أجل وصفكم إيَّاه بما لا يَليق.

قوله: (أي: الملائكة) عبَّر عنهم بالعنديَّة؛ إشارةً إلى أنهم في مكانة وشرف ورفعة.

قوله: (﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾) أي: يتكبَّرون.

قوله: (﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾) أي: لا يكلُّون ولا يَتعبون.

قوله: (﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾) المقصودُ من هذا الإخبار: تحريضُ المؤمنين على الطاعات، وتبكيتُ الكُفار على تركها؛ لأنَّ العبادة والتسبيح وصفُ أهل القرب والشَّرف، وتركها وصف أهل البعد والخِسَّة.

قوله: (فهو منهم كالنَّفَسِ منَّا) أي: فهو سجيَّةٌ وطبيعةٌ لهم، ولا يَشغلهم التسبيحُ عن غيره كلَعن الكفرة ونزول الأرض وتَبليغ الأحكام وغير ذلك؛ كما أنَّ اشتغالَنا بالنفس لا يمنعنا الكلام.

إن قلتَ: إنَّ هذا قياسٌ مع الفارق؛ لأنَّ آلة النَّفَس غيرُ آلة الكلام، وأمَّا التسبيح واللعن.. فهما من جنس الكلام، فاجتِماعهما محالٌ.

أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ ....

﴿٢١﴾ ﴿أَمِ﴾ - بِمَعنى (بَل) لِلانتِقالِ وهَمزة الإنكارِ - ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً﴾ كائنةً ﴿مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ كحَجَرٍ وذَهَب وفِضَّة، ﴿هُمۡ﴾ أي: الآلِهةُ ﴿يُنشِرُونَ﴾ أي: يُحيُونَ المَوتَى؟ لا، ولا يَكُون إلَهاً إلَّا مَن يُحيِي المَوتى.

(﴿٢٢﴾ - ﴿٢٣﴾) ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ﴾ أي: السَّماواتِ والأرضِ ﴿ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أي: غَيره ﴿لَفَسَدَتَا﴾: خَرَجَتا عَن نِظامِهما المُشاهَد؛ ....

حاشية الصاوي

أجيب: بأنَّ الملائكة لهم ألسنةٌ كثيرةٌ؛ بعضها يُسبِّحون الله به، وبعضها يَلعنون أعداء الله به؛ فلا يُقاسون على بني آدم.

قوله: (وهمزة الإنكار) أي: وهو راجع لقوله: ﴿هُمۡ يُنشِرُونَ﴾.

قوله: (﴿هُمۡ يُنشِرُونَ﴾) أي: حيث ادَّعوا أنها آلهة.. لَزمهم ما ذُكِرَ ضمناً والتزاماً، وإلَّا.. فهم لم يدَّعوا أنها تحيي الموتى.

قوله: (﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾) ﴿لَوۡ﴾: حرف شرط، و﴿كَانَ﴾: تامة فعل الشرط، و﴿ءَالِهَةٌ﴾: فاعلها، و﴿فِيهِمَآ﴾: متعلق بـ﴿كَانَ﴾، و﴿إِلَّا﴾: بمعنى (غير) صفة لـ﴿ءَالِهَةٌ﴾ ظهَر إعرابها فيما بعدها، وقوله: ﴿لَفَسَدَتَاۚ﴾: جواب الشرط، ففِعل الشرط يقال له: المقدم، وجوابه يقال له: التالي، واستثناء نقيض التالي يُنتج نقيض المقدم، والمعنى: لكنهما لم تفسُدَا فلم يكن فيهما آلهة غير الله.

والجمع في (آلهة) ليس قيداً، وكذلك قوله: ﴿فِيهِمَآ﴾، وإنما أتى بذلك ردًّا على الكفار في اتِّخاذهم الآلهة في السماء والأرض.

قوله: (أي: غيره) أشار بذلك إلى أنَّ (إلا) صفة بمعنى (غير)، فهي اسمٌ، لكن لم يَظهر إعرابها إلا فيما بعدها؛ لكونها على صُورة الحرف، ولا يجوز أن تكون أداة استثناء؛ لا من جهة المعنى، ولا من جهة اللفظ؛ أما الأول: فلأنه يلزم منه نفي التوحيد؛ إذ التقدير: لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله.. لفسدتا، فيَقضي بمفهومه: أنه لو كان فيهما آلهة فيهم الله.. لم تفسُدَا، وهو باطل.

وأما الثاني: فلأنَّ المستثنى منه يشترط أن يكون عامًّا، و(آلهة) جمع منكر في الإثبات؛ فلا عُموم له، فلا يصح الاستثناء منه.

لِوُجُودِ التَّمانُع بَينَهم على وَفقِ العادةِ عِند تَعَدُّدِ الحاكِم مِن التَّمانُع في الشَّيء وعَدَم الاتِّفاق

حاشية الصاوي

قوله: (لوجود التمانع بينهم) أي: التخالف بين الآلهة، ويسمَّى الدليل على ذلك: برهان التمانُع والتطارد في فَرض اختلافهما، وتقريره أن يقال: لو فرض إلهان متصفان بصفات الألوهيَّة، وأراد أحدُهما إيجادَ شيء، والآخرُ إعدامَهُ؛ فإمَّا أن يتمَّ مرادهما معاً، وهو باطل؛ لِلزوم اجتماع الضدين، أو لا يتمُّ مرادهما معاً، وهو باطل أيضاً؛ لِلُزوم عجز من لا يتمُّ مراده، وعجزِ من يتمُّ مراده أيضاً؛ لوجود المماثلة بينهما، فبطَل التعدد، وثبتت الوحدانية.

وإذا فُرض اتفاقهما. . فهو باطل أيضاً؛ لوجود برهان التوارد، وتقريره أن يقال: لو فرض إلهان وأرادا معاً إيجاد شيء؛ فإمَّا أن يحصل بإرادتهما معاً، وذلك باطلٌ؛ لأنه يَلزم عليه اجتماع مؤثِّرين على أثر واحد، أو يَسبق أحدهما إلى إيجاده؛ فيَلزم عليه عجز الآخر، أو تحصيل الحاصل، ويَلزم عجز الأول؛ لوجود المماثلة بينهما.

واعلم: أنَّ الدليل على ثُبوت وحدانية الله العقل والنقل:

أمَّا النقل: فآيات كثيرة جدًّا؛ منها: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ١٦٣]، ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ٦] إلى غير ذلك.

وأما العقل: فقد علَّمنا الله كيفيَّته بقوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١]، وكهذه الآية.

إذا عَلمتَ ذلك. . فالدليل في هذه الآية قطعيٌّ كما هو الحقُّ؛ لِكون الفساد مرتَّباً على فرض الاتفاق والاختلاف، وليس إقناعيًّا بحسب ما يفهمه المخاطب، خلافاً لما تقتضيه عبارة المفسِّر حيث أحاله على العادة.

وبهذه الآية انتفت الكُموم الخمسة[1]: الكمُّ المتصل في الذات، وهو: التركيب فيها، والكمُّ المنفصل فيها، وهو: النظير فيها، والكمُّ المتَّصل في الصفات، وهو: التركيب فيها، والكمُّ المنفصل فيها، وهو: النظير، والكم المنفصل في الأفعال، وهو: المشارِكُ له فيها، والمتصل فيها لا يُنفَى؛ لأنه ثابت؛ لأنَّ أفعاله كثيرة على حسَب شُؤونه في خَلقه.

---

(١) المراد بالكمِّ هنا: العدد، والكمُّ نوعان: المنفصل، وهو: ما كان في أشياء متباعدة مُتفاكَّةٍ، والمتصل: ضدُّه. انظر «حاشية الأمير على إتحاف المريد» (ص٧٣).

فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ....

عليهِ، ﴿فَسُبْحَٰنَ﴾ تَنزيه ﴿ٱللَّهِ رَبِّ﴾: خالِق ﴿ٱلْعَرْشِ﴾: الكُرسِيِّ ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أي: الكُفَّارُ اللهَ بِه مِن الشَّريك لَهُ وغَيرِه. ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ عَن أفعالِهِم.

﴿٢٤﴾ ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ﴾ تَعالى أي: سِواهُ ﴿ءَالِهَةً﴾ - فِيهِ استِفهام تَوبيخ - ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ على ذلكَ ولا سَبِيل إلَيهِ، ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ﴾ أي: أُمَّتِي وهو القُرآنُ، ﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِى﴾ مِن الأُمَم وهو التَّوراة والإنجِيلُ وغَيرُهما مِن كُتُب الله، ....

حاشية الصاوي

قوله: (الكرسي) الصواب: إبقاء (العرش) على ما هو عليه؛ لأنَّ التحقيق: أنَّ العرش جسمٌ عظيمٌ محيطٌ بالعالم برمَّته، والكرسي تحته، وخُصَّ العرش بالذكر؛ لأنه أعظَم من غيره، فإذا كان الله ربَّ العرش.. كان ربَّ غيره بالأَولى.

قوله: (﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾) أي: لا يُسأَلُ عمَّا يحكم في عباده؛ من إعلاء وإذلال، وهُدى وإضلال، وإسعاد وإشقاء؛ لأنه الربُّ الخالق المالك لجميع الأشياء. إذا علمتَ ذلك.. فالاعتراض على أفعال الله إمَّا كفرٌ أو قريبٌ منه.

قوله: (﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾) أي: يقال للخلق: لم فعلتُم كذا؟ لأنهم عبيدٌ يجب عليهم امتثالُ أمرِ مولاهم، وتبيَّن بهذا أنَّ من يُسأَلُ عن أعماله كعيسى والملائكة.. لا يَصلح للألوهيَّة.

قوله: (﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾) إضرابٌ انتقاليٌّ من بُطلان التعدد إلى إظهار بطلان اتخاذهم تلك الآلهة من غير دليلٍ على أُلوهيَّتها.

قوله: (فيه استفهام توبيخ) أي: من حيث إنَّ (أم) بمعنى الهمزة، وسَكت عن كونها بمعنى (بل) هنا، والمناسب لما تقدَّم: أنها بمعناها أيضاً.

قوله: (على ذلك) أي: الاتخاذ، كأنَّ الله يقول لهم: نحن قد أتينا ببراهينَ دالَّةٍ على وحدانيَّتنا؛ فأتوا ببرهان يدلُّ على ثبوتِ الشريك لنا.

قوله: (﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ﴾) أي: عظتُهم ومُتمسَّكهم على التوحيد.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ۝٢٤ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ۝٢٥ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾ ....

ليسَ في واحِد مِنها أنَّ مع الله إلَهاً مِمَّا قالُوا تَعالى عَن ذلك، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾ أي: تَوحِيدَ الله ﴿فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ عَن النَّظَر المُوصِل إلَيهِ.

(٢٥) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا يُوحَىٰ﴾ - وفي قِراءةٍ بِالنُّون وكسرِ الحاء - ﴿إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ أي: وَحِّدُوني.

((٢٦) - (٢٧)) ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ مِن المَلائكةِ، ﴿سُبْحَانَهُ بَلْ﴾ هُم ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ عِندَه، والعُبُودِيَّة تُنافي الوِلادة. ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾: لا يَأتُونَ بِقَولِهِم إلَّا بَعد قَولِه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (ليس في واحد منها) أي: فراجِعوها وانظروا؛ هل في واحد منها غيرُ الأمر بالتوحيد والنَّهيُ عن الإشراك.

قوله: (﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾) إضرابٌ انتقالي من محاجَّتهم إلى بيان أنهم كالبهائم لا يميِّزون الحقَّ والباطل.

قوله: (﴿الْحَقَّ﴾) الكلام على حذف مضاف؛ أي: توحيدَ الحقِّ.

قوله: (﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾... إلخ) تقريرٌ لما قبله من كون التوحيد نطَقت به الكتب القديمة، واجتمعت عليه الرسل.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1].

قوله: (﴿وَقَالُوا﴾) الضمير عائد على فِرَق من العرب، وهم خزاعة وجُهينة وبنو سلمة؛ حيث قالوا: الملائكة بنات الله.

قوله: (والعبودية تُنافي الولادة) أي: لأنَّ عبد الإنسان لا يكون ولدَهُ، وهذا بحسَب المعتاد عندهم.

---

(١) قرأ حفص وحمزة والكسائي بالنون وكسر الحاء، والباقونَ بالياء وفتح الحاء. انظر «السراج المنير» (٢/ ٥٠٥).

وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ ....

﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ أي: بَعده.

﴿٢٨﴾ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: ما عَمِلُوا وما هُم عامِلُونَ، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ تَعالى أن يُشفَعَ لَهُ، ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ﴾ تعالى ﴿مُشْفِقُونَ﴾ أي: خائفُون.

﴿٢٩﴾ ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ﴾ أي: الله أي: غَيره، وهو إبلِيسُ دَعا إلى عِبادةِ نَفسِه وأمَرَ بِطاعَتِها، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾) أي: لا يُخالفونه في القول ولا في العمل.

قوله: (﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾) أي: فهم يُراقبونه في جميع أحوالهم؛ فلا يُقدِمون على قولٍ ولا عملٍ بغير مراده؛ لِعلمهم بأنه تعالى محيطٌ بهم.

قوله: (﴿إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾) أي: كان مؤمناً؛ فلا يُقدمون على الشفاعة إلا لمن علموا أنَّ الله راضٍ عنه، ويَقبل شفاعتهم فيه.

قوله: (﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾) أي: وَجِلُون لا يَأمنون مكره. والإشفاقُ: الخوف مع الإجلال، ويُرادفه الخشيةُ.

قوله: (﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾) أي: من الملائكة المحدَّث عنهم أوَّلاً بقوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾، وهذا على سَبيل الفرض والتقدير؛ لأنهم مَعصومون من الكفر والمعاصي، ويحتمل أنَّ القول قد وقع من بعضهم وهو إبليس كما قال المفسِّر، وكونُهُ من الملائكة.. باعتبار أنه كان بينهم ومَلحوقاً بهم في العبادة؛ حتى قيل: إنه كان أعبَدَهُمْ.

قوله: (دعا إلى عبادة نفسه) أي: لأجل الإضلال والإغواء، ولا مانعَ من ذلك؛ كما يقع لبعض الزنادقة من تشكُّلاته لهم في الصور النَّيرة كالقمر والشمس وغير ذلك، ودَعواه أنه ربُّ العالمين، وكما وقع لبرصيصا العابد؛ حيث أتى له وهو مَصلوب، وقال له: اسجد لي وأنا أُخلِّصك[1] وإن كان في الواقع معترفاً بالعبودية لله وآيساً من رحمته. إذا علمتَ ذلك.. فكلام المفسِّر لا غبار عليه.

---

(١) ذكر المفسرون قِصة العابد برصيصا الطويلة في تفسير سورة (الحشر). انظر «تفسير الخازن» (٤/ ٢٧٣).

﴿فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٩ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾ ....

﴿فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ﴾: كما نجزيه ﴿نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: المُشرِكِين.

﴿٣٠﴾ ﴿أَوَلَمۡ﴾ - بِواوٍ وتَركِها - ﴿يَرَ﴾: يَعلَمْ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا﴾ أي: سَدًّا بِمَعنَى مَسدُودة ﴿فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ﴾ أي: جَعَلنا السَّماء سَبعاً والأرضَ سَبعاً، أو فَتْقُ السَّماء أن كانَت لا تُمطِر فأمطَرَت، وفَتْقُ الأرضِ أن كانَت لا تُنبِتُ فأنبَتَت، ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾ النَّازِل مِن السَّماء والنَّابع مِن الأرض ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾) أي: إيَّاها.

قوله: (﴿أَوَلَمۡ يَرَ﴾) الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير: ألم يَتفكروا ولم يعلَموا... إلخ.

قوله: (بواو ودونها) قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾) شروعٌ في ذكر ستَّة أدلَّة على التوحيد، وأنَّ ما سوى الله مقهورٌ، وهو القاهر فوق عباده.

قوله: (﴿كَانَتَا رَتۡقٗا﴾) أي: شيئاً واحداً؛ لما روي: (أنَّ الله خلق السماوات والأرض بعضها على بعض، ثم خلق ريحاً توسَّطها، ففتَقها بها)[2]، وقيل: السماوات قِطعة واحدة مرتفعة، والأرض قطعة واحدة مُنخفضة، فجعل السماوات سبعاً، والأرضين سبعاً، ولكن السماوات طِباق، والأرض مختلف فيها؛ قيل: طباق، وقيل: مجاورة لِبعضها، كناية عن الأقاليم السبعة. وتقدَّم الجواب عن جمع السماوات وإفراد الأرض: بأن جنس السماوات مختَلف، بخلاف الأرض.

قوله: (أن كانت لا تمطر) بفتح الهمزة: مصدرية؛ أي: كونها لا تمطر، فأَمطرت.

قوله: (من الماء) الجار والمجرور: متعلق بمحذوف مفعول ثان مقدَّم، و(كلَّ شيء): مفعول أول مؤخَّر، والمعنى: ناشئاً ومتسبِّباً عنه.

---

(١) قرأ ابن كثير: (ألم ير) من غير واو، والباقُون بالواو بين همزة الاستفهام و(لم). انظر «الدر المصون» (٨/ ١٤٧).

(٢) أورده الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٧٤) من كلام كعب.

كُلَّ شَىْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾

﴿كُلَّ شَىْءٍ حَيٍّ﴾ نَباتٍ وغَيره، أي: فالماء سَبَب لِحَياتِه، ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ بِتَوحِيدِي؟

﴿٣١﴾ ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾: جِبالاً ثَوابتَ لِـ﴿أَن﴾ لا ﴿تَمِيدَ﴾: تَتحَرَّك ﴿بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ أي: الرَّواسِي ﴿فِجَاجًا﴾: مَسالِك ﴿سُبُلًا﴾ ـ بَدَل ـ أي: طُرُقاً نافِذَةً واسِعة، ﴿لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ إلى مَقاصِدِهم في الأسفارِ.

﴿٣٢﴾ ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا﴾ لِلأرضِ كالسَّقفِ لِلبَيتِ، ﴿مَّحْفُوظًا﴾ عن الوُقُوع، ﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا﴾ مِن الشَّمس والقَمَر والنُّجُوم ﴿مُعْرِضُونَ﴾ لا يَتفكَّرُونَ فِيها فيَعلَمُون أنَّ خالِقَها لا شَريكَ لَه.

حاشية الصاوي

قوله: (نبات وغيره) أي: فالحياة في كلِّ شيء بحسَبه؛ فحياة الحيوان: قيام الروح فيه، وحياة النبات: بُروزُهُ من الأرض وخضرتُهُ وإثمارُهُ.

قوله: (﴿رَوَٰسِىَ﴾) جمع راسِية؛ من: رَسَا الشَّيءُ: إذا ثبت واستقرَّ.

قوله: (﴿أَن تَمِيدَ﴾) قدَّر المفسِّر (لا) النافية؛ لصحة التعليل؛ أي: لأجل عدم تحرُّكها بهم؛ لأنَّ تثبيتها بالجبال لأجل عدَم التحرك، لا للتحرُّك.

قوله: (إلى مقاصدهم) أي: الدنيويَّةِ والأخرويَّةِ.

قوله: (كالسقف للبيت) أي: وهذا ما عليه أهل السنة، وقالت الحكماء: إنَّ السماء محيطةٌ بالأرض كإحاطة بَياض البيضة بصفارها[1]. إذا علمتَ ذلك.. فلا فرار من قضاء الله إلا إليه.

قوله: (﴿مَّحْفُوظًا﴾ عن الوقوع) أي: أو عن الفساد والخلل.

قوله: (﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا﴾) أي: الدالَّة على وجودِ الصانع وكمالِ صفاته وأفعاله.

قوله: (من الشمس والقمر) أي: وغيرهما كالنجوم، وارتفاعِهَا من غير عَمَدٍ، ونزولِ الماء منها.

قوله: (لا يتفكرون فيها) أي: مع أنهم لو سُئلوا عمَّن خلق السماوات والأرض.. ليقولُنَّ: الله.

(١) لا تخالف بين قول أهل السنة والحكماء؛ إذ نَظر أهل السنة إلى الظاهر المشاهد، ونظر الحكماء إلى الحقيقة. (ع)

وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ....

﴿٣٣﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ﴾ - تنوِينُه عِوَض عن المُضاف إلَيهِ - أي: كلٌّ مِن الشَّمس والقَمَر وتابِعِه وهو النُّجُوم، ﴿فِى فَلَكٍ﴾ أي: مُستَدِير كالطَّاحُونة في السَّماءِ ﴿يَسْبَحُونَ﴾: يَسِيرُون بِسُرعة كالسَّابِحِ في الماء، ولِلتَّشبِيهِ بِه أتَى بِضَمِيرِ جَمع مَن يَعقِلُ.

﴿٣٤﴾ ونَزَلَ لمَّا قال الكُفَّار: إنَّ مُحمَّداً سَيمُوتُ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾: أي: البَقاءَ في الدُّنيا، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ﴾ ... إلخ) فيه التفاتٌ من التكلُّم المغَيْبَة.

قوله: (من الشمس والقمر) بيانٌ للمضاف إليه المحذوف.

قوله: (أي: مستدير كالطاحونة) أي: كهيئة فَلك المغزل؛ أي: ثقالته، وقيل: الفلَكُ: السماء التي تسير فيها تلك الكواكب كما تَسير السُّفن في البحر، واختَلف الناس في حركات الكواكب على ثلاثة أقوال؛ قيل: إنَّ الفَلَك ساكن والسير للكواكب، وهو الذي يدلُّ عليه لفظ القرآن[1]، وقيل: إنَّ الفلك متحرِّك والكواكب متحركة، وحركةُ كلٍّ تدافع حركةَ الآخرِ، وقيل: إنَّ الفلك متحرِّك والكواكب ساكِنة، ولا يَعلم الحقيقة إلا الله.

واختلف؛ هل الشمس والقمر يَجريان من تحت الأرض وعليه الحكماء، أو منتهى سيرهما في العالم العلويِّ وعليه أهل السُّنة.

قوله: (وللتشبيه به) جوابٌ عمَّا يقال: لِمَ جمعهما بضمير العقلاء؟ فأجاب: بأنه كما أُسندت لهما السباحة التي هي من أفعالِ العقلاء جُمِعَا جمعَهُم.

قوله: (ونزل لما قال الكفار: إن محمَّداً سيموت) أي: شماتةً به.

قوله: (﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾) أي: سبَقت حكمتنا بأنَّ كلَّ بشرٍ من قبلك، بل ومن بعدك لا يخلد في الدنيا، بل يَذوق الموت، واقتصر على البشر وإن كان غيره كذلك بدليل ما بعده؛ للردِّ عليهم؛ لكونهم من البشر.

---

(١) كما في قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾، وهذا باعتبار الظاهر المشاهد (ع).

أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ....

﴿أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ فِيها؟ لا، ـ فالجُملةُ الأخِيرة مَحَلُّ الاستِفهام الإنكارِيِّ ـ.

﴿٣٥﴾ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ في الدُّنيا، ﴿وَنَبْلُوكُم﴾: نَختَبِرُكُم ﴿بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾ كفقرٍ وغِنًى وسَقَم وصِحَّة، ﴿فِتْنَةً﴾ ـ مَفعُول لَهُ ـ أي: لِنَنظُرَ أتَصبِرُون وتَشكُرُون أم لا؟ ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ فنُجازِيكُم.

﴿٣٦﴾ ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن﴾: ما ﴿يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ أي: مَهزُوءاً بِه

حاشية الصاوي

قوله: (فالجملة الأخيرة... إلخ) أي: فالهمزة مقدَّمة من تأخير؛ لأنَّ الاستفهام له الصَّدارة، والأصل: أفَهُمُ الخالِدون إن مِتَّ؟!

قوله: (﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾) أي: مخلوقة؛ فلا يَرد ذات الله تعالى، وهو دليلٌ لما قبله، أعمُّ منه وليس معيَّناً. وقوله: (﴿ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾) أي: ذائقة مَرارة مفارقة الروح للجسم، وهي في غاية الصعوبة جدًّا، ومثَّلوه بعصر القصَب بالآلة المعروفة؛ فإنه لا يبقى فيه طراوة أصلاً، بل يؤخذ للنار حالاً، غير أنَّ المؤمن يتسلَّى برؤية ما أُعِدَّ له من النَّعيم الدائم، والكافر يَزداد بالموت عقوبةً؛ لرؤيته ما أُعِدَّ له من العذاب المقيم.

قوله: (نَختبركم) أي: نُعاملكم معاملة المختَبِرِ؛ إذ لا يخفى على الله شيءٌ.

قوله: (أتصبرون) راجع للشَّر، وقوله: (وتشكرون) راجع للخير؛ فالمرضيُّ الكامل يشاهد الأشياء كلَّها من الله، فإذا ابتُلي بالفقر أو المرض مثلاً.. رضي به وازداد إقبالاً عليه، وإذا أُنعِمَ عليه بالغنى أو الصحة مثلاً.. ازداد شكراً وخوفاً من الله، فهو راضٍ عن الله في الحالتين، وأما الكافر والفاسق.. فيُشاهد الأشياء من الخَلق؛ فإذا ابتلي.. سَخِطَ، وإذا أُنعِمَ عليه.. بَطِرَ، فهو مغضوبٌ عليه في الحالتَين.

قوله: (﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾) أي: تُرَدُّون فيَظهر لكم جزاء أعمالكم؛ إن خيراً.. فخيرٌ، وإن شرًّا.. فشرٌّ.

قوله: (﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾) (رأى): بصريَّة؛ أي: أبصرَك المشركون.

قوله: (﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ﴾) جواب (إذا)، و(إنْ): نافية بمعنى (ما) كما قال المفسِّر.

﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٦ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ ....﴾

يَقُولُون: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ﴾ أي: يَعِيبُها، ﴿وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ لَهم ﴿هُمۡ﴾ ـ تأكيدٌ ـ ﴿كَٰفِرُونَ﴾ بِه إذ قالُوا: ما نَعرِفُه.

٣٧ ونَزَلَ في استِعجالِهم العَذابَ: ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ﴾ أي: إنَّهُ لِكَثرةِ عَجَلِه في أحوالِه كأنَّه خُلِق مِنه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (يقولون) قدَّره؛ إشارةً إلى أن قوله: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي...﴾ إلخ مَقولٌ لقولٍ محذوف، والمعنى: يقول بعضهم لِبَعض في حال الهزء والسخرية: أهذا... إلخ.

قوله: (﴿وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾) (هم): مبتدأ، ﴿كَٰفِرُونَ﴾: خبره، و﴿بِذِكۡرِ﴾: متعلق به، و﴿هُمۡ﴾ الثانية: تأكيد لفظي للأول، وحينئذ: فقد فُصل بين العامل والمعمول بالمؤكِّد، وبين المؤكَّد والمؤكِّد بالمعمول. وإضافةُ (ذكر) لـ(الرحمن) من إضافة المصدر لِفاعله؛ كما أشار له المفسِّر؛ حيث قدَّر (لهم)، وحينئذ: فالمراد بالذكر: إرشادُ اللهِ لِعباده بإرسال الرسل وإنزال الكتب، ويحتمل أنه مضاف لمفعوله؛ أي: ذكرهم الرحمنَ بالتوحيد.

قوله: (إذ قالوا: ما نَعرفه) أي: الرحمن، وذلك أنهم كانوا يقولون: (لا نَعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، وهو مسيلِمَةُ الكذَّاب)[1].

قوله: (في استعجالهم العذاب) أي: حيث قالوا: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ...﴾ [الأنفال: ٣٢] الآية.

قوله: (﴿مِنۡ عَجَلٖۚ﴾) هو: ضد البُطء؛ أي: السرعة في الأمور[2].

قوله: (أي: أنه لكثرة عَجَلِه في أحواله... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ في الكلام استعارةً بالكناية؛ حيث شبَّه العَجَلَ من حيث إنَّ الإنسان طبع عليه حتى صار كالجبلَّة له بالطين الذي خُلِقَ

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧١٥).

(٢) وقيل: العَجَلُ: الطينُ بلُغةِ حِمْيَرٍ، قال شاعرُهم:

والنَّبعُ في الصَّخرةِ الصَّمَّاءِ مَنْبِتُهُ ... والنخلُ ينبتُ بين الماءِ والعَجَلِ

انظر «الكشاف» (٤/ ١٤٦).

سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ ....

﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي﴾: مَواعِيدِي بِالعَذابِ ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ فِيه، فأراهُم القتلَ بِبَدر.

(﴿٣٨﴾ - ﴿٣٩﴾) ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ بِالقِيامة ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فِيه؟ قال تَعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ﴾: يَدفَعُون ﴿عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: يُمنَعُون مِنها في القِيامة، وجَوابُ (لَو): ما قالُوا ذلكَ.

﴿٤٠﴾ ﴿بَلْ تَأْتِيهِم﴾ القِيامةُ ﴿بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ﴾: تُحَيِّرُهُم، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: يُمهَلُونَ لِتَوبةٍ أو مَعذِرة.

حاشية الصاوي

منه البشر، وطوى ذكر المشبَّه به، ورمز له بشيء من لوازمه، وهو (خَلَق)، والمعنى: أن الإنسان جُبِلَ على السرعة في الأمور والعَجلة فيها حتى إنه يقع في المضرَّة ولا يَشعر.

قوله: (مواعيدي بالعذاب) المراد: متعلَّقاتها، وهي أنواع العذاب في الدنيا كوَقعة بدر وغيرها، وفي الآخرة كعذاب النار.

قوله: (﴿وَيَقُولُونَ﴾) أي: استهزاءً واستعجالاً للعذاب.

قوله: (﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾) شرط حُذِفَ جوابه، والتقدير: فأتوا به، وهو خطابٌ منهم للنبيِّ وأصحابه.

قوله: (قال تعالى) كلامٌ مستأنفٌ لبيان شدَّة هول ما يَستعجلون؛ لجهلهم به.

قوله: (﴿وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ﴾) أي: فهو كنايةٌ عن إحاطة النار بهم من كلِّ ناحيةٍ.

قوله: (ما قالوا ذلك) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ جواب (لو) محذوف.

قوله: (﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً﴾) إضرابٌ انتقاليٌّ من قولهم إلى بيان كيفية وُقوع العذاب بهم.

قوله: (﴿رَدَّهَا﴾) أي: دَفْعَها.

وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَ أَنفُسِهِمۡ وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ ﴿٤٣﴾ ....

﴿٤١﴾ ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾ فِيه تَسلِيَةٌ لِلنَّبيِّ ﷺ، ﴿فَحَاقَ﴾: نَزَلَ ﴿بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ وهو العَذابُ، فكَذا يَحيقُ بِمَن استَهزأَ بِك.

﴿٤٢﴾ ﴿قُلۡ﴾ لَهُم: ﴿مَن يَكۡلَؤُكُم﴾: يَحفَظُكُم ﴿بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ مِن عَذابِه إنْ نَزل بِكُم؟ أي: لا أحَد يَفعَلُ ذلك، والمُخاطَبون لا يَخافُون عَذابَ الله لإنكارِهِم لَه، ﴿بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم﴾ أي: القُرآنِ ﴿مُّعۡرِضُونَ﴾ لا يَتفكَّرُون فِيه.

﴿٤٣﴾ ﴿أَمۡ﴾ ـ فِيها معنَى الهمزةِ لِلإنكارِ ـ أي: أ﴿لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم﴾ مِمَّا يَسُوؤُهم ﴿مِّن دُونِنَاۚ﴾ أي: أَلَهُم مَن يَمنَعهُم مِنهُ غَيرُنا؟ لا، ﴿لَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ أي: الآلِهةُ ﴿نَصۡرَ أَنفُسِهِمۡ﴾ فلا يَنصُرُونَهُم ﴿وَلَا هُم﴾ أي: الكُفَّار ﴿مِّنَّا﴾: مِن عَذابِنا ﴿يُصۡحَبُونَ﴾: يُجارُون، يُقالُ: صَحِبَك الله أي: حَفِظَك وأجارَك.

حاشية الصاوي

قوله: (فيه تَسلية للنبي) أي: حيث كان يغتمُّ من استهزائهم وعدمِ انقيادِهِمْ.

قوله: (﴿قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم﴾... إلخ) أي: قل يا محمد لِلمستهزئين القائلين: لا نَعرف الرحمن: مَنْ يحفظكم بالليل والنهار من عذابه إن أراده بكم؟ وقدَّم الليل؛ لِكثرة الآفات فيه.

قوله: (والمُخاطبون لا يخافون... إلخ) توطئة لقوله: ﴿بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ﴾، والمعنى: ليس لهم حافظٌ ولا مانعٌ غيرُ الرحمن غيرَ أنهم لا يخافون؛ لإعراضهم عن ذِكره.

قوله: (فيها مَعنى الهمزة) أي: زيادة على (بل).

قوله: (﴿لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَ أَنفُسِهِمۡ﴾) أي: فكيف يتوهَّم أن يَنصروا غيرهم؟!

قوله: (يُجارون) أي: يُنْقَذُون.

بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا

﴿٤٤﴾ ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ﴾ بِما أنعَمنا علَيهِم، ﴿حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ فاغترُّوا بِذلك، ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ﴾: نَقصِدُ أرضَهُم ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾ بِالفَتحِ على النَّبيِّ، ﴿أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾؟ لا، بل النَّبيُّ وأصحابُه.

﴿٤٥﴾ ﴿قُلْ﴾ لَهُم: ﴿إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ﴾ مِن الله لا مِن قِبَل نَفسِي، ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا﴾ ـ بِتَحقيقِ الهَمزتَينِ، وتَسهِيلِ الثَّانية بَينها وبينَ الياء ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾... إلخ) إضرابٌ عمَّا توهَّموه من أنَّ حِفظهم وإمدادهم بالنعم من قبل آلهتهم، بل ما هم فيه من السَّراء والنِّعم والحفظ منَّا استدراجٌ لهم.

قوله: (بالفتح على النبيِّ) أي: وتسليطِ المسلمين عليهم.

قوله: (﴿أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾) استفهام توبيخ وتقريع، وفيه معنى الإنكار؛ ولذا قدَّر المفسِّر (لا)، وقوله: (بل النبي وأصحابه) أي: هم الغالِبون.

قوله: (﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ﴾) المقصود من ذلك: توبيخهم على ما وقع منهم؛ حيثُ أقام لهم الحُجَج والبراهين، فلم يُذعنوا لها.

قوله: (﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ﴾) بالياء المفتوحة ورفع ﴿ٱلصُّمُّ﴾ على الفاعلية، ونصب ﴿ٱلدُّعَآءَ﴾ على المفعولية، وفي قراءة سبعيَّة أيضاً بالتاء المضمومة، وكسر الميم خطابٌ للنبي، و(الصُّمَّ) مفعوله الأول، و(الدعاءَ) مفعوله الثاني[1].

والمقصود من ذلك: تَسليته ﷺ، كأنَّ الله يقول: له أَرح قلبك، ولا تعلَّقه بهم، وارْضَ بحكم الله فيهم.

قوله: (بتحقيق الهمزتين) أي: همزة ﴿ٱلدُّعَآءَ﴾ وهمزة ﴿إِذَا﴾.

قوله: (وتسهيل الثانية) فهما قراءتان سبعيَّتان[2].

---

(١) وهي قراءة ابن عامر رحمه الله تعالى. انظر «الدر المصون» (٨/ ١٦١).

(٢) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بتَحقيق الأولى وتسهيل الثانية بين الهمزة والياء، والباقون بتحقيق الهمزتين. انظر «السراج المنير» (٢/ ٥٠٦).

مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ....

﴿مَا يُنذَرُونَ﴾ أي: هُم لِتَركِهِم العَمَل بِما سَمِعُوه مِن الإنذارِ كالصُّمِّ.

﴿٤٦﴾ ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾: وَقعةٌ خَفِيفةٌ ﴿مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا﴾ - لِلتَّنبِيه - ﴿وَيْلَنَآ﴾: هَلاكَنا، ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ بِالإشراكِ وتكذِيب مُحمَّد.

﴿٤٧﴾ ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (وقعةٌ خفيفةٌ) أخذ الخفة من التَّعبير بالمسّ والنَّفحِ والتَّاءِ الدالَّةِ على المرَّة. والنَّفحُ في الأصل: هبوبُ رائحة الشيء، والمعنى: ولَئن أصابهم عذابٌ خفيفٌ.. ليقولُنَّ تحسُّراً وتندُّماً: يا وَيلنا... إلخ، وهو كناية عن كونهم في غاية الضَّعف والحقارة، ومَنْ كان كذلك.. فلا يُبَالَى به.

قوله: (﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾) هذه الآية آخِر خطابات قريش في هذه السورة، والجمع في (الموازين) للتعظيم؛ فإنَّ الصحيح أنه ميزانٌ واحدٌ لجميع الأُمَم ولجميع الأعمال، وهو: جسمٌ مخصوصٌ له لسان وكفَّتان وعمود، كلُّ كفَّة قدر ما بين المشرق والمغرب، ومكانه: قبل الصراط، كفَّته اليمنى للحسنات، وهي نيِّرة عن يمين العرش، وكفَّته اليسرى للسيئات، وهي مُظلمة عن يساره، يأخذ جبريل بعموده ناظراً إلى لسانه، وميكائيل أمينٌ عليه، يحضره الجنُّ والإنسُ، ووقته: بعد الحساب، ولا يكون الوزن في حقِّ كلِّ أحد، بل هو تابع للحساب؛ فمَن حوسب.. وُزنت أعماله، ومَن لا.. فلا.

والحقُّ: أنَّ الكفار تُوزن أعمالهم السيئة غير الكفر؛ لِيُجازَوا عليها بالعقاب زيادةً على عذاب الكفر، وأعمالهم الحسنة التي لا تتوقف على نيَّة كالعتق وصِلة الرحم والوقف؛ فيخفف عنهم بذلك من عذاب غير الكفر، فتُوزن أعمالهم لأجل ذلك، لا لِلنجاة من عذاب الكفر؛ فإنه لا يخفَّف عنهم ولا ينقطع، وأما قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥].. فمعناه: نافعاً؛ بحيث يَنجون من الخلود في النار، وقيل: حسناتهم التي فَعلوها يُجازون عليها في الدنيا كصحة وعافية، ولا يجازون عليها في الآخرة أصلاً.

واختلف هل الوزن بصِنَجٍ[1] أو لا؟ واستُظْهر الأوَّلُ تحقيقاً للعدل، فتوضع السيئات في مُقابلة

(١) الصِّنَجُ: جمع (صنجة)، وهي: ما يوزن به، قال في «المصباح المنير»، مادة: (سنج): (سنجة الميزان معرب، =

ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ ....

﴿ٱلْقِسْطَ﴾: ذواتِ العَدل ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: فِيه، ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ مِن نَقصِ حَسَنةٍ أو زِيادةِ سَيِّئة، ﴿وَإِن كَانَ﴾ العَمَل ﴿مِثْقَالَ﴾: زِنةَ ﴿حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾: بِمَوزُونِها ....

حاشية الصاوي

الحسنات؛ فإن رجح أحدهما.. وضع صنج بقدر ما رجح، فيُنعَّم بقَدْرِهِ أو يعذَّب بقَدْرِهِ؛ فإن لم يكن له إلا حسنات فقط، أو سيِّئات فقط.. وُضِعَتِ الصنج في الكفَّةِ الأخرى.

واختلف أيضاً هل الأعمال تُصوَّر وتوزن؛ فالحسناتُ تصوَّر بصورِ حسنةٍ نورانيَّةٍ ثم توضع في كفَّة الحسنات، والسيئاتُ تُصوَّر بصورةٍ قبيحةٍ ظلمانيَّةٍ ثم توضع في كفة السيئات[١]، أو تُوزن الصَّحائفُ، أو توزن الأشخاصُ؟ ولا مانعَ من حصول ذلك كلِّه.

قوله: (﴿ٱلْقِسْطَ﴾) أفرد؛ لأنه مصدر وُصِفَ به مبالغةً، أو على حذف مضافٍ.

قوله: (﴿شَيْـًٔا﴾) إمَّا مفعول ثان، أو مفعول مطلق[٢].

قوله: (﴿وَإِن كَانَ﴾ العمل) قدَّره المفسِّر؛ إشارةً إلى أن ﴿كَانَ﴾ ناقصة، اسمها: مستتر يعود على العمل، و﴿مِثْقَالَ﴾ بالنصب: خبرها، وفي قراءة سبعيَّة برفعه على أنها تامَّة[٣].

قوله: (﴿مِّنْ خَرْدَلٍ﴾) المراد: أقلُّ قليلٍ.

= والجمع: سنجات مثل: سَجْدة وسَجَدات، وسِنَج أيضاً مثل: قَصعة وقصع، قال الأزهري: قال الفراء: هي بالسين ولا تقال بالصاد، وعكس ابن السكيت وتَبِعه ابن قتيبة فقالا: صنجة الميزان بالصاد، ولا يقال بالسين، وفي نسخة من «التهذيب»: سنجة وصنجة، والسين أعرب وأفصح، فهما لُغتان، وأما كون السين أفصح.. فلأنَّ الصاد والجيم لا يجتمعان في كلمة عربيَّة).

(١) قال المصنف رحمه الله في «شرحه على الجوهرة» (ص٣٨٨): (ولا يقال: إنَّ فيه قلْبَ حقائق؛ لأنه مثال، وعلى تسليم أن فيه قلْبَ حقائق يقال: الممتنع قلْبُ أقسام الحكم العقلي، لا تصيير المعنى جِرْماً؛ لأنَّ قدرة الله صالحة لذلك؛ فإنه من جملة الممكِنات).

(٢) أي: شيئاً من الظلم. «الدر المصون» (٨/ ١٦٥).

(٣) قرأ نافع برفع (مثقال)، على أن (كان) تامة؛ أي: وإن وجد مثقال، والباقون بالنصب. انظر «الدر المصون» (٨/ ١٦٥).

وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ ....

﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾: مُحصِينَ كُلَّ شيء.

﴿٤٨﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ أي: التَّوراةَ الفارِقة بَين الحَقِّ والباطِل والحَلالِ والحَرام، ﴿وَضِيَآءً﴾ بِها ﴿وَذِكْرًا﴾ أي: عِظَةً بها ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿٤٩﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ عن النَّاسِ أي: في الخَلاء عَنهُم، ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: أهوالِها ﴿مُشْفِقُونَ﴾ أي: خائفُون.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾) أي: عالمين، والمقصود منه: التحذير؛ لأنَّ الإنسان العاقل إذا عَلم أنَّ الله تعالى يحاسب مع القدرة عليه وإحاطة علمه بجزئيات أعماله.. فإنه يكون على حذرٍ وخوفٍ منه.

قوله: (﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾) شُروعٌ في ذكر قصص الأنبياء؛ تسليةً له ﷺ، وزيادةً في عِلم أمَّته، وذكر منها عشر قصص: الأولى: قصة موسى وهارون، الثانية: قصة إبراهيم، الثالثة: قصة لوط، الرابعة: قصة نوح، الخامسة: قصة داوود وسليمان، السادسة: قصة أيوب، السابعة: قصة إسماعيل وإدريس وذي الكفل، الثامنة: قصة يونس، التاسعة: قصة زكريا، العاشرة: قصة مريم وعيسى صلوات الله وسَلامه على الجميع.

قوله: (﴿وَضِيَآءً﴾) يستضاء بها من ظلمات الجهل والكفر.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾) أي: عذابَهُ.

قوله: (﴿بِٱلْغَيْبِ﴾) حال من الفاعل في ﴿يَخْشَوْنَ﴾ أي: حالَ كونهم غائبين ومنفردين عن الناس، والناس في ذلك مراتب:

فمنهم: مَن يعتقد أنَّ الله رقيب عليه ولا يَغيب عنه، ولكنَّ قلبَهُ غيرُ ذائقٍ لذلك، وهذا محجوبٌ قد تَقع منه المعاصي، ومنهم: مَن يراقب الله بقلبه؛ بحيث يشاهد أنه في حَضرة الله، وأنه مطَّلع عليه، وهذا أعلى من الأول، ويسمَّى ذلك المقامُ مقامَ المراقبة، ومنهم: مَن يشاهد الله بعين بَصيرته، وهذا أعلى المقامات، ويسمَّى مقامَ المشاهدة.

قوله: (﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾) خصَّت بالذكر؛ لكونها أعظمَ ما يُخافُ منه.

﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٥٠ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ۝٥١ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ ....

٥٠ ﴿وَهَٰذَا﴾ أي: القرآنُ ﴿ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ ـ الاستفهامُ فيه لِلتَّوبيخ ـ.

٥١ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ أي: هُداهُ قبلَ بُلوغِه، ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ بِأنَّهُ أهلٌ لِذلك.

(٥٢ - ٥٥) ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾: الأصنامُ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مُّبَارَكٌ﴾) أي: كثير الخير.

قوله: (﴿أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾) الخطاب لأهل مكة؛ تقريعاً لهم؛ أي: إنَّ هذا القرآن فيه تذكيركم، وفيه خيرٌ كثيرٌ لا يَليق منكم إنكاره والاستهزاء به.

قوله: (أي: هُداهُ قبل بلوغه) المراد بالهدى: الاهتداء لِصلاح الدين والدنيا حين خرج من السَّرَب وهو صغير [1]، وتفكَّر واستدلَّ بالكواكب على وحدانيَّة الله، وليس المراد به النبوَّة، وقيل: من قبل موسى وهارون، وعليه: فالمراد بـ(الرشد): النبوة، فتحصَّل: أنه إن كان المراد بقوله: (قبلُ) قبلَ البلوغ.. فالمراد بـ(الرشد): الاهتداءُ لصلاح الدين والدنيا؛ لأنَّ الله لم يَتخذ وليًّا جاهلاً بمعرفته فضلاً عن نبيٍّ، وإن كان المراد به: قبلَ موسى وهارون.. فالمراد بـ(الرشد): النُّبوةُ وإرشادُ الخلق.

قوله: (﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾) أي: ولم نَزَلْ كذلك.

قوله: (﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾) ظرف لقوله: (آتينا)، أو لمحذوف؛ أي: اذكُر.

قوله: (﴿لِأَبِيهِ﴾) أي: آزر.

قوله: (﴿ٱلتَّمَاثِيلُ﴾) جمع تمثال، وهو: الصورة المصنوعة من رُخام أو نحاس أو خشب، وكانت تلك الأصنام اثنين وسبعين صنماً، بعضها من ذهب، وبعضها من فضة، وبعضها من حديد، وبعضها من رصاص، وبعضها من نحاس، وبعضها من حجر، وبعضها من خشب، وكان كبيرها من ذهب مكلَّلاً بالجواهر، في عينَيه ياقوتتان متَّقدتان تضيئان بالليل.

---

(١) السَّرَبُ: الحفير أو البيت تحت الأرض، وسبب جعله في السَّرب: أن النمرود رأى رؤيَا أنَّ ملكه يذهب على يد مولود، فأمر بقتل كل مولود، فلمَّا حملت أمُّ إبراهيم به وحان وضعها.. ذهبت به إلى سرب ظاهر البلد، فولدت فيه إبراهيم وتركته. وانظر «تفسير القرطبي» (٧/ ٢٤).

ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ....

﴿ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ أي: على عِبادَتِها مُقِيمُون؟ ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ فاقتَدَينا بهم. ﴿قَالَ﴾ لَهُم: ﴿لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ﴾ بعبادَتِها ﴿فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: بَيِّن. ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ في قَولِك هذا، ﴿أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾ فِيه؟

(﴿٥٦﴾ - ﴿٥٧﴾) ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ﴾ المُستَحِقُّ لِلعبادةِ ﴿رَبُّ﴾: مالِكُ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾: خَلَقَهُنَّ على غَير مِثالٍ سَبَق، ﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم﴾ الذي قُلتُه ﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ بِه. ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿عَٰكِفُونَ﴾) عبَّر بالعكوف الذي هو عبارة عن الاستمرار على الشيء لغرضٍ ما، ولم يعبِّر بالعبادة؛ تحقيراً لهم.

قوله: (﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا﴾... إلخ) أجابوا بذلك وإن كان غير موافق لسؤاله بـ(ما)؛ لأنه مآل سؤاله؛ إذ هو يعرف حقيقتها من كونها من ذهب أو غيره، كأنه قال: ما هي، لأيِّ شيءٍ عبدتموها؟ وحينئذ: فلم يكن لهم جوابٌ إلا التقليد.

قوله: (﴿فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾) أي: لِعدم استنادكم إلى دليل.

قوله: (﴿أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ﴾... إلخ) لما استبعدوا تضليل آبائهم.. ظنُّوا أنَّ ما قاله على وَجه اللعب، فقالوا: أصدقٌ ما تقوله أم أنت هازلٌ فيه؟!

قوله: (﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ﴾... إلخ) إضرابٌ عن قولهم بإقامة البرهان على صِدق ما ادَّعاه.

قوله: (﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم﴾) أي: على ما ذكرتُه من كون ربِّكم ربَّ السماوات والأرض دون ما عدَّاه.

قوله: (﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾) أي: العالمين بالبرهان.

قوله: (﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾) انتقالٌ من دلالة قولية إلى دلالة فعلية، فلمَّا لم يُفِد فيهم الدليل القولي.. عَدل إلى الدليل الفعلي وهو الكسر، والمعنى: لأجتهدنَّ في كسرها وأكيدنَّكم فيها.

فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ ....

﴿٥٨﴾ ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ بعدَ ذَهابِهِم إلى مُجتَمَعِهِم في يوم عِيدٍ لَهُم ﴿جُذَاذًا﴾ ـ بِضَمِّ الجِيم وكَسرِها ـ: فُتاتاً بِفَأسٍ، ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ عَلَّقَ الفَأس في عُنُقِه، ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي: إلى الكَبِير ﴿يَرْجِعُونَ﴾ فيَرَونَ ما فَعَلَ بِغَيرِه.

﴿٥٩﴾ ﴿قَالُوا﴾ بَعدَ رُجُوعِهِم ورُؤيَتِهِم ما فَعَلَ: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فِيه؟

(﴿٦٠﴾ - ﴿٦١﴾) ﴿قَالُوا﴾ أي: بَعضُهم لِبَعضٍ: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بعد ذهابهم إلى مجتمعهم) أي: وقد ذهب معهم إبراهيم، فلمَّا كان في أثناء الطريق.. ألقى نفسه وقال: إني سقيم، اشتكى رجله، فتركوه ومضَوا، ثم نادى في آخرهم وقد بقي ضعفاء الناس: تالله لأكيدنَّ أصنامكم، فسَمعها الضعفاء، فرجع إبراهيم إلى بيت الأصنام وقبالة الباب صنمٌ عظيم، وإلى جنبه أصغر منه، وهكذا كلُّ صنم أصغر من الذي يَليه، وكانوا وضعوا عند الأصنام طعاماً يأكلون منه إذا رجعوا من عِيدهم إليهم، فقال لهم إبراهيم: ألا تأكلون؟ فلم يُجيبوه، فكسرها.

قوله: (بضم الجيم وكسرها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان، وقرئ شذوذاً بفتحها[1].

قوله: (بفأس) هو مهموز: الآلة التي يُكسَرُ بها الحجر.

قوله: (﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾) أي: لم يَكسره، بل تركه، والضمير في ﴿لَهُمْ﴾ يصح أن يعود على الأصنام، أو على عابدِيها.

قوله: (﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا﴾) أي: التكسير، و﴿مَن﴾ يحتمل أن تكون استفهامية مبتدأ، و﴿فَعَلَ هَٰذَا﴾ خبره، أو موصولة، و﴿فَعَلَ﴾ صِلته، و﴿إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ خبره.

قوله: (﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى﴾) القائل: هم الضعفاء من قوم إبراهيم الذين سمعوا حَلِفه.

(١) قرأ العامة «جذاذاً» بضم الجيم، والكسائي بكسرها، وابن عباس وأبو نهيك وأبو السمال بفتحها. انظر «الدر المصون» (٨/ ١٧٣).

﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ۝٦٠ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ۝٦١ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝٦٢ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ﴾ ....

أي: يَعِيبُهم ﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ۝٦٠ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ أي: ظاهراً، ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ عليهِ أنَّهُ الفاعِلُ.

۝٦٢ ﴿قَالُوٓا۟﴾ لَهُ بَعد إتيانِه: ﴿ءَأَنتَ﴾ - بِتَحقِيقِ الهَمزَتَينِ، وإبدالِ الثَّانِيَة ألفاً وتَسهِيلِها، وإدخالِ أَلِفٍ بينَ المُسهَّلةِ والأُخرى وتَركِه - ﴿فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾.

۝٦٣ ﴿قَالَ﴾ ساكِتاً عن فِعلِه: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ﴾ عن فاعِلِه ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: يَعيبهم) أي: ينقصهم ويستهزئ بهم.

قوله: (﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾) مرفوعٌ على أنه نائب فاعل ﴿يُقَالُ﴾ على إرادة لفظه، أو مبتدأٌ خبرُهُ محذوف؛ أي: يقال له إبراهيم فاعل ذلك، أو منادى وحرف النداء محذوف، أو خبر لمحذوف؛ أي: يقال له: هذا إبراهيم[1].

قوله: (﴿قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ﴾) القائل لِذلك النمروذ.

قوله: (﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾) أي: لعلَّ الناس يَشهدون عليه بفعله؛ بأن يكون أحدٌ من الناس رآه يكسرها.

قوله: (بتحقيق الهمزتين) أي: بإدخال ألف بينهما وتركه، فتكون القراءات السبعيَّات خمساً، وحاصله: أن الهمزتين إمَّا محقَّقتان، أو الثانية مسهَّلة، وفي كلٍّ إما بإدخال ألف بينهما، أو لا، فهذه أربع، والخامسة: إبدال الثانية ألفاً[2].

قوله: (﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾) اعلَم أنَّ هذا من التعريض؛ لأنَّ القاعدة: أنه إذا دار الفعل بين قادر عليه وعاجزٍ عنه، وأثبت للعاجز بطريق التحكم به.. لزم انحصاره في الآخر، فهو إشارةٌ لنفسه مضمَّناً فيه الاستهزاء والتضليل. وقوله: ﴿هَٰذَا﴾ بدل من ﴿كَبِيرُهُمْ﴾، أو نعتٌ له.

---

(١) وعلى الأوجه الثلاثة فهو مُقتطع من جملة، وتلك الجملة محكية بـ(يقال).

(٢) جميع القُراء على تحقيق الأولى، وأمَّا الثانية فيُسهلها نافع وابن كثير وأبو عمرو، وهشام بخلاف عنه، وأدخل بينهما ألفاً قالون وأبو عمرو، والباقون بتحقيقهما وعدم الإدخال بينهما. انظر «السراج المنير» (٢/ ٥١٠).

إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ ....

﴿إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾، ـ فِيه تَقدِيم جَوابِ الشَّرط ـ وفِيما قَبله تَعرِيضٌ لَهُم بِأنَّ الصَّنم المَعلُوم عَجزُه عن الفِعل لا يَكُون إلَهاً.

(﴿٦٤﴾ - ﴿٦٥﴾) ﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بِالتَّفكُّرِ ﴿فَقَالُوٓا۟﴾ لِأنفُسِهِم: ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: بِعِبادَتِكُم مَن لا يَنطِقُ. ﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟﴾ مِن الله ﴿عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ أي: رُدُّوا إلى كُفرِهِم وقالُوا: واللهِ ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ أي: فكيفَ تَأمُرُنا بِسُؤالِهِم؟

حاشية الصاوي

وردَ: أنَّ إبراهيم قال لهم: إنَّ الكبير غضب من إشراككم معه غيره الصغار في العبادة، فكسرهنَّ، وأراد بذلك إقامة الحجة عليهم[1].

قوله: (﴿إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾) أي: إن كانوا ممَّن يمكن أن يَنطق، وخصَّ النطق بالذكر وإن كان غيرُهُ من السمع والعقل وبقيَّة أوصاف العقلاء كذلك؛ لأنه أظهرُ في تَبكيتهم.

قوله: (فيه تقديم جواب الشرط) أي: وهو قوله: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ﴾، وفيه إشارةٌ إلى أن قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ مرتبط بقوله: ﴿إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾، والمعنى: بل فعَله كبيرهم هذا؛ إن كانوا ينطقون.. فاسألوهم.

قوله: (﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾) أي: إلى عُقولهم، وتذكَّروا أنَّ من لا يقدر على دفع المضرَّة أو جلب المنفعة؛ كيف يَصلح أن يكون إلهاً؟!

قوله: (﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾) أي: انقلبوا إلى المجادلة والكفر بعد استقامتهم بالمراجعة. و﴿نُكِسُوا۟﴾ بالتخفيف مبنيًّا للمفعول في قراءة العامَّة، وفاعل النكس هو الله؛ كما يُشير إليه المفسِّر، وقرئ شذوذاً بالتشديد، وبالتخفيف مبنيًّا للفاعل[2].

قوله: (أي: رُدُّوا إلى كفرهم) أي: الاستمرار عليه.

قوله: (وقالوا: والله) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ...﴾ إلخ جوابُ قسمٍ محذوفٍ.

---

(١) انظر «تفسير الخازن» (٣/ ٢٢٩).

(٢) قرأ أبو حيوة وابن أبي عبلة وابن الجارود وابن مقسم: «نكّسوا» بالتشديد، وقرأ رضوان بن عبد المعبود: «نكسوا» مخففاً مبنيًّا للفاعل. انظر «الدر المصون» (٨/ ١٧٩).

﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ ....

﴿٦٦﴾ ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: بَدَلَه ﴿مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا﴾ مِن رِزقٍ وغيره ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ شَيئاً إذَا لَم تَعبُدُوه.

﴿٦٧﴾ ﴿أُفٍّ﴾ ـ بِكَسرِ الفاءِ وفَتحها بِمَعنَى مَصدَر ـ أي: نَتْناً وقُبْحاً ﴿لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غَيره ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنَّ هَذه الأصنامَ لا تَستَحِقُّ العِبادَةَ ولا تَصلُح لَها، وإنَّما يَستَحِقُّها الله تَعالى؟

حاشية الصاوي

قوله: (بكسر الفاء) أي: مع التنوين وتركه، وقوله: (وفتحها) أي: بترك التنوين، فالقراءات ثلاثٌ سبعيَّاتٌ[1].

قوله: (﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾) الهمزة داخلةٌ على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أجَهلتم فلا تعقلون؟!

فائدة: ورد في الحديث: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لم يَكذب إبراهيم إلا ثلاث كذَبات: ثنتين منها في ذات الله؛ قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، وقوله: ﴿كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾، وقوله لسارة: هذه أُختي**»[2] والمعنى: أنه لم يتكلم بكلام صُورته صورة الكذب إلا هذه الكلمات الثلاث؛ فقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أراد سقيم القلب من ضَلالتكم، وقوله ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ تبكيت لِقومه، وقوله: (هذه أختي) أي: في الدِّين والخلقة، فهذه الألفاظ صدقٌ في نفسها، ليس فيها كذب أصلاً، ومعنى كون الأولى والثانية في ذات الله: أنهما من أجل غَيرته على الله، وأما الثالثة فمن أجل غيرتِه على زوجته، وهذا ما فتَح الله به.

---

(١) قرأ نافع وحفص بتنوين الفاء مكسورة، وابن كثير وابن عامر بفتح الفاء من غير تنوين، والباقون بكسر الفاء من غير تنوين. انظر «السراج المنير» (٢/ ٥١١).

(٢) رواه البخاري (٣٣٥٨)، ومسلم (٦٢٢١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه مختصراً، وليس هذا من الكذب الحقيقي الذي يذمُّ فاعله حاشا وكلَّا، وإنما أطلق عليه الكذب تجوزاً، وهو من باب المعاريض المحتمِلة للأمرين لمقصد شرعي ديني. انظر «إرشاد الساري» (٥/ ٣٤٧).

﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ٦٨﴾ ....

٦٨ ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ﴾ أي: إبراهيمَ، ﴿وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي: بتحريقه، ﴿إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ﴾ نُصرتَها، فجَمعوا لهُ الحَطب الكَثير وأضرَمُوا النَّار في جَمِيعِه، وأوثَقُوا إبراهيم

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ﴾) القائل ذلك النمروذ بن كنعان بن سنجاريب بن نمروذ بن كوس بن حام بن نوح عليه السلام، وقيل: رجل من أكراد فارس اسمه هيوب، خسَف الله به الأرض، والحكمة في اختيارهم التحريق على غيره من أنواع القتل: أنَّ إبراهيم بادأهم بالفضيحة والتشنيع عليهم، فأحبوا أن يجازُوه بما فيه التشنيع والشهرة.

قوله: (فجمعوا له الحطب... إلخ) حاصل القصة في ذلك: أنه لما اجتمع نمروذ وقومه لإحراق إبراهيم.. حبَسوه في بيت وبنوا بنياناً كالحظيرة بقرية يقال لها: كوثى، ثم جمعوا له صلاب الحطب وأصناف الخشب مُدة شهر، حتى كان الرجل يمرض فيقول: لئن عُوفيت لأجمعنَّ حطباً لإبراهيم، وكانت المرأة تنذر في بعض ما تطلب؛ لئن أصابَته لتحطبنَّ في نار إبراهيم، وكانت المرأة تغزل وتشتري الحطب بغزلها احتساباً في دينها، وكان الرجل يُوصي بشراء الحطب وإلقائه فيه، فلمَّا جمعوا ما أرادوا.. أشعَلوا في كل ناحيةٍ من الحطب ناراً، فاشتعلت النار واشتدَّت، حتى إن كان الطير ليمرُّ فيحترق من شدَّة وهجها وحرِّها، فأوقَدوا عليها سبعة أيام.

فلمَّا أرادوا أن يُلقوا إبراهيم، فلم يعلموا كيف يُلقونه، فقيل: إنَّ إبليس جاء وعلَّمهم عمل المنجنيق، فعملوه، ثمَّ عمدُوا إلى إبراهيم فقيَّدوه ورفعوه على رأس البنيان، ووَضعوه في المنجنيق مقيَّداً مغلولاً، فصاحت السماء والأرض ومَن فيهما من الملائكة وجميع الخلق إلا الثقلين صيحةً واحدةً: أي ربَّنا؛ إبراهيم خَليلك يُلقى في النار وليس في أرضك أحدٌ يعبدك غيره، فَأْذَنْ لنا في نُصرته، فقال الله تعالى: «إنه خليلي، ليس لي خليلٌ غيره، وأنا الإله ليس له إلهٌ غيري، فإن استَغاث بأحدكم أو دَعاه.. فليَنصُره فقد أذنتُ له في ذلك، وإن لم يَدْعُ غيري.. فأنا أعلَم به، وأنا وليُّه، فخَلُّوا بينه وبيني»، فلمَّا أرادوا إلقاءه في النار.. أتاه خازن المياه وقال: إن أردت أخمدتُ النار، وأتاه خازن الهواء وقال: إن شئت طيَّرت النار في الهواء، فقال إبراهيم: «لا حاجةَ لي إليكم، حسبي الله ونِعم الوكيل»[1].

(١) رواه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٦/ ٢٨١).

﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾ ....

وجَعَلُوهُ في مَنجَنِيق ورَمَوهُ في النارِ، قال الله تَعالى:

﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰ إِبْرَٰهِيمَ﴾ ﴿٦٩﴾ فلَم تُحرِقْ مِنهُ غيرَ وَثاقِه، وذَهَبَت حَرارَتُها وبَقِيَت إضاءَتها، ....

حاشية الصاوي

روي: أنه قال حين أوثقوه ليلقوه في النار: «لا إله إلا أنت سُبحانك، لك الحمد، ولك الملك، لا شريك لك»، ثمَّ رمَوا به في المنجنيق إلى النار، فاستقبله جبريل فقال: يا إبراهيم؛ لك حاجة؟ قال: أمَّا إليك.. فلا، قال جبريل: فاسأل ربك، فقال إبراهيم: «حسبي من سُؤالي عِلمه بحالي»[1].

وكان وقت إلقائه فيها ابن ست عشرة سنة، وقيل: ابن ست وعشرين سنة، ولما ألقي فيها.. جعل كلُّ شيءٍ يطفئ النار إلا الوزغ؛ فإنه كان يَنفخ في النار[2]، فَصُمَّ بسبب ذلك، وأمر ﷺ بقَتله، وقال: «مَن قتل وزغة في أول ضربة.. كتب له مئة حسنة، وفي الثانية دون ذلك، وفي الثالثة دون ذلك»[3]، ذكر بعض الحكماء: أنَّ الوَزغ لا يدخل بيتاً فيه زعفران.

ومُدة مكثه في النار سبعة أيام، وقيل: أربعين يوماً، وقيل: خمسين يوماً.

قوله: (في مَنجنيق) آلة ترمى بها الحجارة، فارسي معرَّب؛ لأنَّ الجيم والقاف لا يجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب.

قوله: (﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾) أي: ابردي برداً غير ضارٍّ، وردَ: أنَّه لما ألقي فيها.. أخذت الملائكة بضبعيه، فأقعَدوه على الأرض، فإذا عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس، وأتاه جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة[4]، فألبَسه القميص وأقعده على الطنفسة، وجلس معه يُحدثه ويقول: يا إبراهيم؛ إنَّ ربك يقول لك: «أما علمتَ أنَّ النار لا تضرُّ أحبابي؟» قال إبراهيم: «ما كنتُ أياماً قط

---

(١) أورده القرطبي في «تفسيره» (١١/ ٣٠٣) عن سيدنا أبيِّ بن كعب رضي الله عنه.

(٢) رواه النسائي في «المجتبى» (٥/ ١٨٩) عن سيِّدتنا عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه مسلم (٥٩٠٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) الطنفسة: مثلثة الطاء والفاء، وبكسر الطاء وفتح الفاء، وبالعكس: واحدة الطنافس للبُسُط والثياب. انظر «القاموس المحيط»، مادة: (طنفس).

وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا ....

وبِقولِه: ﴿سَلَٰمًا﴾ سَلِمَ مِن المَوت بِبَردِها.

(﴿٧٠﴾ - ﴿٧١﴾) ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا﴾ وهو التَّحرِيقُ، ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ في مُرادِهِم. ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا﴾ ابنَ أخِيهِ هارانَ مِن العِراق ....

حاشية الصاوي

أنعمَ منِّي من الأيام التي كنتُ في النار»، ثم نظر نمروذ وأشرف على إبراهيم مِن صرح له، فرآه جالساً في روضة والملك قاعدٌ إلى جنبه، فناداه: يا إبراهيم؛ إنَّ إلهك الذي بلغَت قدرته أن حال بينك وبين النار لكبيرٌ؛ هل تستَطيع أن تخرج منها؟ قال: «نعم»، قال: هل تخشى إن قمتَ أن تضرَّك؟ قال: «لا»، قال: قم فاخرج منها، فقام إبراهيم يمشي فيها حتى خَرج منها، فلمَّا وصل إليه.. قال له: يا إبراهيم؛ من الرجل الذي رأيتُ معك مثلك في صورتك قاعد إلى جَنبك؟ قال: «ذلك مَلك الظل، أرسله إليَّ ربي لِيُؤنسني فيها»، فقال نمروذ: يا إبراهيم؛ إني مقرِّبٌ إلى إلهك قرباناً لما رأيتُ من قدرته وعزَّته فيما صنع لك حين أبيت إلا عِبادته وتوحيده، وإني ذابحٌ له أربعة آلاف بقرة، قال إبراهيم: «إذاً لا يقبل الله منك ما كنتَ على دينك حتى تفارقه وتَرجع إلى ديني»، فقال: لا أستطيع ترك مُلكي، ولكن سوف أذبحها له، فذبحها له نمروذ وكفَّ عن إبراهيم عليه السلام[1].

قوله: (وبقوله: «سلاماً...» إلخ) أي: ولو لم يقُل: ﴿عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ لما أحرقت النار أحداً، ولما أوقدت.

قوله: (﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾) أي: لأنهم خَسروا السعي والنفقة فلم يحصِّلوا مرادهم، ويحتمل أن المراد بالأخسَرين: الهالكون؛ لأنَّ الله سلَّط عليهم البعوض، فأكلت لحومهم، وشربت دماءهم، ودخلت في رأس النمروذ بَعوضةٌ فأهلكته.

قوله: (ابن أخيه هاران) أي: الأصغر، وكان له أخٌ ثالث اسمه ناخور، والثلاثة أولاد آزر، وأمَّا هاران الأكبر فهو عمُّ إبراهيم أبو سارة زوجتِهِ وقد آمنَت به.

قوله: (من العراق) أي: وصحب معه لوطاً وسارة، ونزل بحران، فمكث بها، ثم خرج منها حتى قدم مصر، ثم خرج ورجع إلى الشام، فنزل بالسبع من أرض فلسطين، وترك لوطاً بالمؤتفكة، فبَعثه الله نبيًّا إلى أهلها وما قرُب منها.

---

(١) انظر «تفسير البغوي» (٥/٣٢٨).

﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ٧١ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ٧٢ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ ....

﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ بِكَثرةِ الأنهارِ والأشجارِ وهي الشَّامُ، نَزَل إبراهِيم بِفِلَسطِينَ ولُوط بِالمُؤتَفِكةِ وبَينهما يومٌ.

(٧٢) ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾: لِإبراهيمَ ـ وكان سَألَ ولَداً كما ذُكِرَ في (الصَّافَّات) ـ ﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ أي: زيادةً على المَسؤولِ، أو هو ولَدُ الوَلَد، ﴿وَكُلًّا﴾ أي: هو ووَلَداهُ ﴿جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾: أنبياءَ.

(٧٣) ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾ ـ بِتَحقِيقِ الهَمزَتَينِ، وإبدال الثَّانِية ياء ـ يُقتَدَى بِهِم في الخَير ﴿يَهْدُونَ﴾ النَّاسَ ﴿بِأَمْرِنَا﴾ إلى دِينِنا، ....

حاشية الصاوي

قوله: (بكثرة الأنهار والأشجار) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بالبركة: الدنيوية، وعليه يُحمل ما ورد: (أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب: ألا تتحوَّل إلى المدينة فيها مُهاجرُ رسول الله وقبرُهُ؟ فقال كعب: إني وجدتُ في كتاب الله المنزل يا أمير المؤمنين أنَّ الشام كنز الله من أرضه، وبها كنزُه من عباده)[١] وإلَّا.. فالمدينة ومكة أفضل من الشام باتفاق.

قوله: (بفلسطين) بفتح الفاء وكسرها مع فتح اللام لا غير: قرى بيت المقدس.

قوله: (ولوط بالمؤتفكة) هي: قُرى قوم لوط، رفعها جبريل وأسقطها مقلوبةً بأمرٍ من الله.

قوله: (كما ذكر في «الصافات») أي: في قوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠].

قوله: (﴿نَافِلَةً﴾) حال من (يعقوب) أي: أعطي يعقوب لإبراهيم زيادةً على مطلوبه.

قوله: (ووَلداه) أي: إسحاق ويعقوب.

قوله: (وإبدال الثانية ياء) هو وجه من جملة خمسة أوجه تقدَّمت في سورة (براءة)[٢].

قوله: (﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾) أي: يَدعون الناس بوحينا.

---

(١) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (١٤/ ١٤٣) لابن عساكر رحمه الله تعالى.

(٢) انظرها (٣/ ٧١).

وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ ....

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ أي: أن تُفعَلَ وتُقامَ وتُؤتَى مِنهُم ومِن أتباعِهِم، ـ وحَذفُ هاء (إقامة) تَخفيفٌ ـ ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾.

(﴿٧٤﴾ - ﴿٧٥﴾) ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾: فَصلاً بَينَ الخُصُومِ ﴿وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ﴾ أي: أهلُها الأعمالَ ﴿ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ مِن اللِّواطِ والرَّمي بِالبُندُقِ واللَّعِب بِالطُّيُورِ وغَيرِ ذلك، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ﴾ مَصدرُ (ساءَه) نَقِيض: سَرَّه ﴿فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ بِأن أنجَيناهُ مِن قَومِه، ﴿إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾) عطفُ خاصٍّ على عامٍّ؛ لأنَّ الصلاة أفضل العبادات البدنيَّة، والزكاة أفضل العبادات الماليَّة.

قوله: (﴿وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾) تقديم الجارِّ والمجرور يفيد الحصر؛ أي: كانوا لنا، لا لِغيرنا.

قوله: (﴿وَلُوطًا﴾) منصوب بفعل مقدَّر يفسِّره قوله: (آتينا)[1].

قوله: (فصلاً بين الخصوم) أي: على وجه الحقِّ.

قوله: (﴿وَعِلْمًا﴾) أي: بالشرائع والأحكام.

قوله: (أي: أهلها) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف، أو فيه مجازٌ عقليٌّ.

قوله: (الأعمال) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ ﴿ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ صفة لموصوف محذوف.

قوله: (والرمي بالبندق) أي: رمي المارَّة بالبرام[2]، وأما بندق الرصاص.. فلم يحدث إلا في هذه الأمة.

قوله: (وغير ذلك) أي: كالضراط في المجلس.

قوله: (بأن أنجيناه من قومه) المناسب أن يقول: وأدخلناه في أهل رحمتنا؛ أي: جنَّتنا، وإلَّا.. فيلزم عليه التكرار.

---

(١) كذا في الأصول، ولعلها: (آتيناه).

(٢) والبرام: نحو كُرة من الطين تُجفف ويرمى بها بعد يُبسِها.

وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ ....

﴿٧٦﴾ ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿نُوحًا﴾ ـ وما بَعده بَدَل مِنهُ ـ، ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾: دَعَا على قَومه بِقَولِه: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ...﴾ إلَخ [نوح: ٢٦] ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: قَبل إبراهِيمَ ولُوط، ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ﴾ الَّذينَ في سَفِينَتِه ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي: الغَرقِ وتكذِيبِ قَومه لَه.

﴿٧٧﴾ ﴿وَنَصَرْنَـٰهُ﴾: مَنَعناهُ ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ الدَّالَّة على رِسالَته أن لا يَصِلُوا إلَيهِ بِسُوء، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿٧٨﴾ ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ﴾ أي: قِصَّتَهما، ....

حاشية الصاوي

قوله: (واذكر) قدَّره؛ إشارةً إلى أن (نوحاً) منصوب بفعل محذوف، وبُعِثَ نوح وهو ابن أربعين سنة، ومكث في قومه ألف سنة إلا خمسين، وعاش بعد الطوفان ستين، فجملة عُمره ألف وخمسون سنة، وهذا أحد أقوال تقدَّمت.

قوله: (بقوله: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾... إلخ) أي: بعد أن أُوحي إليه أنه لن يُؤمن من قومك إلا مَن قد آمن.

قوله: (الذين في سفينته) وجملتهم ستة رجال ونساؤهم، وقيل: أربعون رجلاً، وأربعون امرأة.

قوله: (منعناه) أشار بذلك إلى أنه ضمَّن (نصر) معنى (منع) حيث عدِّي بـ(من).

قوله: (أن لا يصلوا إليه) أي: لئلا يَصلوا إليه، فهو تعليل لـ(نصرناه).

قوله: (﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ﴾) معمولان لمحذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (اذكر)، وعاش داوود مئة سنة وبينه وبين موسى خمس مئة وتسعة وستون سنة، وقيل: تسع وسبعون، وعاش ولده سليمان تسعاً وخمسين، وبينه وبين مولد النبي ﷺ نحو ألف سنة وسبع مئة سنة.

قوله: (أي: قصتهما) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف.

قوله: (ويبدل منهما) في الحقيقة الإبدالُ من المضاف المحذوف.

﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾﴾ ....

ـ ويُبدَل مِنهُما ـ: ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ هو زَرعٌ أو كَرْم، ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ أي: رَعَتهُ لَيلاً بِلا راعٍ، بِأن انفلَتَت، ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ فِيه استِعمالُ ضَمِير الجَمع لِاثنَينِ، قال داوُد: لِصاحِبِ الحَرث رِقابُ الغَنَم، وقال سُلَيمانُ: يَنتَفِع بِدَرِّها ونَسلِها وصُوفِها إلى أن يَعُودَ الحَرث كما كان بِإصلاحِ صاحِبِها، فيَرُدُّها إلَيه.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِذْ يَحْكُمَانِ﴾) عبَّر عنه بالمضارع؛ استحضاراً للحال الماضية؛ لِغرابتها.

قوله: (هو زرع أو كرم) هما قولان للمُفسرين، وعلى كل كان قبل تمام نضجه.

قوله: (﴿إِذْ نَفَشَتْ﴾) أي: تفرَّقت وانتشرت فيه، فأفسَدته.

قوله: (﴿غَنَمُ الْقَوْمِ﴾) أي: بعض القوم؛ أي: قوم داوود، وهم أُمَّته.

قوله: (﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾) أي: كان ذلك بعِلمنا ومرأىً منَّا[1]، فخذها أيها العاقل ولا تتردَّد فيها.

قوله: (فيه استعمال ضمير الجمع لاثنين) أي: بِناء على أن أقلَّ الجمع اثنان، ويجاب أيضاً: بأن الجمع باعتبار الحاكمين والمحكوم عليهما.

قوله: (قال داوود: لصاحب الحرث رقابُ الغنم) أي: عِوضاً عن حَرثه، وحاصل تلك القصة: أنَّ رجلين دخلا على داوود عليه السلام؛ أحدهما: صاحب حَرث، والآخر: صاحب غنم، فقال صاحب الحرث: إنَّ هذا قد انفَلتت غنَمه ليلاً، فوقعت في حرثي فأفسَدته، فلم تُبْقِ منه شيئاً، فأعطاه داوود رِقاب الغنم في الحرث، فخرجا فمرَّا على سليمان وهو ابن أحد عشر سنة، فقال: كيف قضى بينكما؟ فأخبراه، فقال سليمان: لو وليتُ أمركما.. لَقضيتُ بغير هذا.

وروي أنه قال: غيرُ هذا أرفَقُ بالفريقين، فأخبر بذلك داوود، فدَعاه، فقال له: بِحَق النبوة والأبوة إلا ما أخبرتني بالذي هو أرفَق بالفريقين، قال: ادفع الغنم لِصاحب الحرث ينتفع بلَبنها وصوفها ونسلها، ويزرع صاحب الغنم لصاحب الحرث مثلَ حَرثه، فإذا صار الحرث كهَيئته يوم أُكِلَ.. دُفع إلى صاحبه، وأخذ صاحب الغنم غنَمه، فقال داوود: القضاء ما قضَيتَ[2].

---

(١) في (أ): (ومرادنا).

(٢) رواه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٦/ ٢٨٥).

فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ....

﴿٧٩﴾ ﴿فَفَهَّمْنَاهَا﴾ أي: الحُكُومةَ ﴿سُلَيْمَانَ﴾ وحُكْمُهما بِاجتِهادٍ، ورَجَعَ داوُد إلى سُلَيمانَ، وقِيل: بِوَحيٍ والثَّاني ناسِخٌ لِلأول، ....

حاشية الصاوي

ومن أحكام داوود وسليمان عليهما السلام: ما روي: (كانت امرأتان معهما ابناهما؛ جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت لِصاحبتها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنِك، فتحاكما إلى داوود، فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داوود فأخبَرتاه، فقال: ائتوني بالسكين أشُقُّه بينكما، فقالت الصغرى: لا تَفعل يرحمك الله، هو ابنها، فقضى به لِلصغرى)[1].

قوله: (﴿فَفَهَّمْنَاهَا﴾) أي: فهَّمناه الصواب فيها.

قوله: (وحكمهما باجتهاد... إلخ) أي: ويجوز الخطأ على الأنبياء إذا لم يكن فيه مفسدةٌ، ولكن لا يُبقيهم الله عليه؛ لعصمتهم، والمجتهد مأجورٌ؛ أخطأ أو أصاب، لكن المصيب له أجران، والمخطئ له أجر واحد.

قوله: (وقيل: بوحي) أي: لكلٍّ منهما، وهذا في شريعتهم، وأما في شريعتنا: فمذهب مالك: ما أتلفَته البهائم ليلاً وهي غير معروفة بالعداء ولم تُربط ولم يغلق عليها.. فعلى ربِّها، وإن زاد على قيمتها.. يُقوم إن لم يَبْدُ صلاحه بين الرجاء والخوف، وإن بدا صلاحه.. ضَمن قيمته على البتِّ، وأما ما أتلفته نهاراً وهي غير عادية ولم يكن معها راعٍ وسرَحت بعيداً عن المزارع.. فلا ضمان على ربِّها، وإن كان معها راعٍ أو سرحها ربُّها قرب المزارع أو كانت عاديةً.. فعلى ربِّها ليلاً أو نهاراً[2].

ومذهب أبي حنيفة: لا ضمان فيما أتلفَت البهائم ليلاً أو نهاراً إلا أن يكون معها سائقٌ أو قائدٌ[3].

ومذهب الشافعي فيه تفصيل؛ فانظره[4]، ويمكن تَخريج حكم داوود على شريعتنا بأنه رأى أنَّ قيمة الغنم مثلُ قيمة الحرث، وصاحِب الغنم مُفلس، فالحكم أنها تعطى لصاحب الحرث.

---

(١) رواه مسلم (٤٥١٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر «بُلغة السالك لأقرب المسالك» (٤/ ٥٠٧ ـ ٥٠٨).

(٣) انظر «حاشية ابن عابدين» (٦/ ٦٠٧).

(٤) انظر «تحفة المحتاج» (٩/ ٢٠١).

وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ ....

﴿وَكُلًّا﴾ مِنهُما ﴿ءَاتَيْنَا﴾ه ﴿حُكْمًا﴾: نُبُوَّة ﴿وَعِلْمًا﴾ بِأُمورِ الدِّين، ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾ كذلك، سُخِّرا لِلتَّسبيحِ معهُ لِأمرِه بِه إذا وجَدَ فترةً لِيَنشَط لَه، ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ تَسخِيرَ تَسبِيحِهما معهُ وإنْ كان عَجَباً عِندكُم، أي: مُجاوَبَته لِلسَّيِّدِ داوُد. ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ ﴿٨٠﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾) دفع بذلك ما يُتوهم من قوله: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ أنَّ داوود ناقص في العِلم.

قوله: (﴿وَسَخَّرْنَا﴾) أي: ذلَّلنا.

قوله: (﴿يُسَبِّحْنَ﴾) حال من ﴿ٱلْجِبَالَ﴾، وقوله (﴿وَٱلطَّيْرَ﴾) فيه قراءتان سبعيتان[1]: الرفع، والنصب؛ فالنصب إما على أنه مفعول معه، أو معطوف على ﴿ٱلْجِبَالَ﴾، والرفع على أنه مبتدأ والخبر محذوف كما قدَّره المفسِّر بقوله: (كذلك)[2]. وقدَّم الجبال؛ لكون تَسبيحها أغربَ وأعجبَ.

قوله: (لأمره به إذا وجد فترة) أي: فكان إذا وجد فترة.. أمر الجبال والطير فسبَّحت.

قوله: (وإن كان عجباً عندكم) أي: مُستغرباً، وقد اتفق في هذه الأمة لغير واحد منها كالسيد الدسوقي وأمثالِه[3].

قوله: (﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾) أي: وسبب ذلك: أنه مرَّ به مَلكان على صورة رجلين، فقال أحدهما للآخر: نِعْمَ الرجل إلا أنه يأكل من بيت المال، فسأل الله أن يَرزقَه من كسبه، فألان الله له الحديد، فكان يَعمل منه الدروع بغير نار كأنه طينٌ في يَده[4].

---

(١) في هامش (أ): (الصواب: إسقاط قوله: «قراءتان سبعيتان»، ولعله فيه لغتان من جهة العربية؛ فإنه لا يقرأ إلا بالنصب فقط).

(٢) أو عطف على الضمير في (يسبحن) ولم يؤكد ولم يُفصل، وهو موافق لمذهب الكوفيين، وهو توجيه قراءة شاذة. انظر «البحر المحيط» (٦/ ٣٠٧).

(٣) انظر ترجمة سيدي العارف بالله القطب إبراهيم الدسوقي ﷺ في «الطبقات الكبرى» للإمام الشعراني (ص٢٣٩).

(٤) انظر «تفسير الخازن» (٣/ ٤٤٢).

لَكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ....

وهي الدِّرع لِأَنها تُلبَسُ، وهو أوَّل مَن صَنَعَها، وكان قَبلها صَفائِح، ﴿لَكُمْ﴾ في جُملةِ الناس، ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾ - بِالنُّونِ للهِ، وبِالتَّحتانيَّة لِداوُد، وبِالفَوقانِيَّة لِلَّبُوسِ - ﴿مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾: حَربِكُم مع أعدائكُم، ﴿فَهَلْ أَنتُمْ﴾ يا أهلَ مكَّة ﴿شَٰكِرُونَ﴾ نِعَمِي بِتَصدِيقِ الرَّسُول؟ أي: اشكُرُوني بِذلك.

﴿٨١﴾ ﴿وَ﴾ سَخَّرنا ﴿لِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ وفي آية أُخرَى: ﴿رُخَآءً﴾ [ص: ٣٦] أي: شَدِيدة الهُبُوب وخَفِيفَتَه بِحَسَبِ إرادَتِه، ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ وهي الشَّام،

حاشية الصاوي

قوله: (وهي الدروع) أنَّث الضمير؛ لكون درع الحديد تؤنَّث وتذكَّر، وأمَّا دِرع المرأة - أي: قميصها - فهو مذكَّر.

قوله: (وهو أوَّل من صنعها) أي: حِلَقاً بعضُها داخل بعض، وقبل ذلك كانوا يصنعونها من صفائح متصلاً بعضها ببعض.

قوله: (﴿لَكُمْ﴾) أي: يا أهل مكة.

قوله: (في جملة الناس) دفع به ما يَرد: كيف تكون لأهل مكة مع أن صُنع داوود لم يكن في زمنهم؟ فأفاد أنها نِعمة اتصلت بمَنْ بعده إلى أن كانوا من جملتهم.

قوله: (وبالفوقانيَّة للبوس) أي: لأنه بمعنى الدرع، وهي تؤنَّث[1].

قوله: (﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾) عبَّر باللام؛ إشارةً إلى أن الله ملَّكه الريح وجعلها ممتثلةً لأمره، وعبَّر بـ(مع) في حق داوود؛ لأنَّ الجبال والطير قد صاحَباه في التسبيح واشتركا معه.

قوله: (أي: شديدة الهبوب... إلخ) لفٌّ ونشرٌ مرتَّبٌ.

قوله: (﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ﴾) حال.

قوله: (﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾) أي: لأنها مقرُّه، فكان ينتقل منها ويرجع إليها، قال وهب:

---

(١) قرأ شعبة بالنون؛ فالضمير لله تعالى، وقرأ ابن عامر وحَفص بالتاء على التأنيث، فالضمير للصنعة أو لِلَّبوس على تأويل الدرع، وقرأ الباقون بالياء التحتية، فالضمير لداوود أو للبوس. انظر «السراج المنير» (٢/٥١٦).

وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ....

﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ مِن ذلك عِلْمُه تَعالى بِأنَّ ما يُعطِيهِ سُلَيمانُ يَدعُوهُ إلى الخُضُوع لِرَبِّه، ففَعَلَهُ تَعالى على مُقتَضى عِلمِه.

﴿٨٢﴾ ﴿وَ﴾ سخَّرنا ﴿مِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾: يَدخُلُونَ في البَحر فيُخرِجُون مِنهُ الجَواهِرَ لِسُليمانَ، ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: سِوَى الغَوص مِن البِناء وغَيرِه، ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾ مِن أن يُفسِدُوا ما عَمِلُوا؛ لِأنَّهُم كانُوا إذا فَرَغُوا مِن عَمَلٍ قَبل اللَّيل أفسَدُوهُ إن لَم يَشتَغِلُوا بِغَيره.

حاشية الصاوي

كان سليمان عليه الصلاة والسلام إذا خرج إلى مجلسه.. عكَفت عليه الطير، وقام له الإنس والجن حين يجلس على سريره، وكان امرءاً غازياً قلَّ ما كان يقعد عن الغزو، ولا يسمع في ناحية من الأرض بملكٍ إلا أتاه حتى يذلَّهُ.

وقال مقاتل: نسجت الشياطين لسليمان بساطاً فرسخاً في فرسخ ذهباً في إبريسم، وكان يوضع له منبرٌ من الذهب وسط البساط، فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة، يقعد الأنبياء على كراسي الذهب، والعلماء على كراسي الفضة، وحولهم الناس، وحول الناس الجن والشياطين، وتظلُّه الطير بأجنحتها حتى لا يقع عليه شمس، ويرفع ريح الصبا البساط مَسيرة شهر من الصباح إلى الرواح.

وقال الحسن: لما شغلت نبيَّ الله سليمان الخيلُ حتى فاتَته صلاة العصر.. غضب لله، فعقر الخيل، فأبدله الله مكانها خيراً منها وأسرع الريح تجري بأمره كيف يشاء، فكان يغدو من إيلياء فيقيل بإصطخر ثم يروح منها، فيكون رواحها ببابل، وهكذا غدوُّها شهرٌ ورواحها شهرٌ حتى ملك الأرض مشرقاً ومغرباً مُلْكَ سَلطنةٍ وحكمٍ، وأمَّا رِسالته.. فكانت لبني إسرائيل[1].

قوله: (﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾) أي: الكفار منهم.

قوله: (وغيره) أي: كالنورة والطاحون والقوارير والصابون؛ فإنَّ ذلك من استخراجاتهم.

قوله: (لأنهم كانوا إذا فرغوا من عمل... إلخ) قيل: إنَّ سليمان كان إذا بعث شيطاناً مع إنسان ليعمل له عملاً.. قال له: إذا فرغ من عمله قبل الليل فأشغله بعملٍ آخر؛ لئلا يُفسد ما عمله ويخربه.

---

(١) نقل الأقوال الثلاثة العلامة الخازن في «تفسيره» (٣/ ٢٣٤).

وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ ....

﴿٨٣﴾ ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿أَيُّوبَ﴾ ويُبدَل مِنهُ: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ لَمَّا ابتُلِيَ بِفَقدِ جَمِيع مالِه ووَلَدِه وتَمزِيقِ جَسَده وهَجرِ جَمِيع النَّاس لَهُ إلَّا زَوجَتَه سِنِينَ ثَلاثاً أو سَبعاً ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَأَيُّوبَ﴾) قدَّر (اذكر)؛ إشارةً إلى أن (أيوب) معمول لمحذوف.

قوله: (ويبدل منه) أي: من (أيوب)، والمعنى: اذكر قصة أيوب إذ نادى ربَّه، ففي الحقيقة الإبدال من المضاف المقدَّر كما تقدَّم نظيره وسيأتي.

قوله: (لما ابتلي) متعلق بـ﴿نَادَىٰ﴾.

قوله: (بفقد جميع ماله) أي: فجملة ما ابتلاه الله به أربعة أمور، وحاصل قصته باختصار: أنَّ أيوب كان رجلاً من الروم، وهو ابن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم، وكانت أمُّه من ولد لوط بن هاران أخي إبراهيم، وكان له من أصناف المال كلِّه من الإبل والبقر والغنم والخيل والحمير ما لا يكون لرجل أفضل منه في العدة والكثرة، وكان له خمس مئة فدان، يتبعها خمس مئة عبد، لكل عبد امرأة وولد ومال، وكان له أهل وولد من رجال ونساء، وكان نبيًّا تقيًّا شاكراً لأنعم ربِّه، وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وكانوا كهولاً، وكان إبليس لا يحجب عن شيء من السماوات، فيقف فيهنَّ من حيث ما أراد، فسمع صلاة الملائكة على أيوب، فحسده وقال: إلهي؛ نظرت في عبدك أيوب فوجدته شاكراً حامداً لك، ولو ابتليتَه.. لرجع عن شكرك وطاعتك، فقال الله له: انطلق فقد سلَّطتك على ماله، فانطلق وجمع عفاريت الشياطين والجنِّ وقال لهم: قد سُلِّطْتُ على مال أيوب، فقال عفريت: أعطيتُ من القوة ما إذا شئتُ تحوَّلتُ إعصاراً من نار فأحرق كل شيءٍ آتي عليه، قال إبليس: اذهب فائتِ الإبل ورعاتها، فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الأرض إعصارٌ من نار، فأحرق الإبل ورعاتها حتى أتى على آخرها، ثم جاء إبليس في صورة القيم على قعود إلى أيوب، فوجده قائماً يصلي، فقال له: أحرقت نارٌ إبلك ورعاتها، فقال أيوب: الحمد لله، هو أعطانيها، وهو أخذها، ثم سلَّط عفريتاً على الغنم ورعاتها، فصاح عليهم فماتوا جميعاً، وعلى الحرث فتحوَّل ريحاً عاصفاً فأطارها، ثم جاء إبليس وأخبر أيوب بذلك، فحمد الله وأثنى عليه.

فلمَّا رأى أنه قد أفنى ماله ولم ينجح منه بشيء.. صعد إلى السماء وقال: يا ربِّ؛ سلِّطني على أولاده، فقال له: انطلق فقد سلَّطتك على أولاده، فذهب إليهم وزلزل بهم القصر وقلَبه عليهم،

أو ثَمانِيَ عَشرةَ، وضُيِّقَ عَيشُه، ....

حاشية الصاوي

فماتوا جميعاً، ثم جاء في صورة المعلِّم الذي يعلمهم الحكمة وهو جريح مَشدوخ الرأس يسيل دمه، فأخبره بموت أولاده وفصَّل له ذلك حتى رقَّ قلبه وبكى وقبض قَبضة من التراب فوضعها على رأسه وقال: يا ليت أمي لم تلدني، ففرح إبليس وصعد السماء سريعاً لينظر ما يفعل به، فأوحى الله إلى أيوب أنه إبليس فاستغفر، فوقف إبليس خاسئاً ذليلاً، فقال: يا ربِّ؛ سلِّطني على جسده، فقال: انطلق لقد سلطتك على جسده غير قلبه ولسانه وعقله، فانقضَّ عدو الله سريعاً فوجده ساجداً، فنفخ في منخريه نفخة اشتعل منها جسده، فخرج منها ثآليل مثل أَلْيَاتِ الغنم ووقعت فيه حكَّةٌ، فحكَّ بأظفاره حتى سقطت كلُّها، ثم حكَّها بالمسوح الخشنة حتى قطعها، ثم حكَّها بالفخار والحجارة الخشنة، فلم يَزل كذلك حتى تقطع جسده وأَنتن، فأخرجه أهل القرية وجَعلُوه على كناسة وجعلوا له عريشاً وهجَره الناس كلهم إلا زوجته رحمة بنت أفرائيم بن يوسف بن يعقوب، فكانت تخدمه وتأتيه بالطعام، وهجَره الثلاثة الذين آمنوا به ولم يتركوا دِينهم[1].

ونقل أنَّ سبب قوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾: أنَّ الدود قصد قلبه ولسانه، فخشي أن يفتر عن الذكر، ولا ينافي صبره قوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾؛ لأنه شكوى للخالق، وهي لا تنافي الصبر.

إن قلتَ: إن الأنبياء يستحيل عليهم المنفِّر من الأمراض.

أجيب: بأن ما نزل به ليس من المنفرات في شيء، وإنما هو حرارة وقد ظهرت من آثار نفخ اللعين إبليس، وأعظم الله ضرَّها لخصوص أيوب؛ تعظيماً لقدره؛ لأنَّ أشدَّ الناس بلاءً الأنبياءُ ثمَّ الأولياءُ ثمَّ الأمثلُ فالأمثلُ؛ كما ورد بذلك الحديث[2].

قوله: (أو ثماني عشرة) هذا هو الصحيح.

قوله: (وضيق) إمَّا فعلٌ مبني للمفعول عطف على (ابتلي)، أو مصدرٌ عطف على (فقد).

---

(١) أورد القصة الثعلبي في «الكشف والبيان» (٦/ ٢٩٠)، والمحققون من العلماء على أنَّ نسبة هذا إلى المعصوم عليه السلام إمَّا من عمل بَعض الوضَّاعين الذين يُركبون الأسانيد للمتون، أو من غَلط بعض الرواة، وأن ذلك من إسرائيليات بني إسرائيل وافتراءاتهم على الأنبياء، وأما البلاء الذي نزل به عليه السلام.. فكان بين الجِلد والعظم، فلم يكن مُنفراً، وما اشتهر في القصة من الحكايات المنفرة فهو باطلٌ لا أصل له. انظر «تحفة المريد» (ص٢٠٦)، و«الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» (ص٢٨٠).

(٢) رواه النسائي في «الكبرى» (٧٤٨٢) عن فاطمة عَمَّة أبي عبيدة رضي الله عنهما.

أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرࣲّۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةࣰ مِّنۡ عِندِنَا ....

﴿أَنِّي﴾ - بفَتحِ الهَمزة بتقديرِ الباء - ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ أي: الشِّدةُ، ﴿وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

﴿٨٤﴾ ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ نِداءَهُ، ﴿فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرࣲّۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ﴾: أولادَهُ الذُّكُور والإناثَ بِأن أُحيُوا لَهُ، وكُلٌّ مِن الصِّنفَينِ ثَلاثٌ أو سَبع، ﴿وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾ مِن زَوجَتِهِ وزِيدَ في شَبابِها، وكان لَهُ أندَر لِلقَمحِ وأندَر لِلشَّعِيرِ، فبَعَثَ الله سَحابَتَينِ أفرَغَت إحداهُما على أندَر القَمح الذَّهَبَ، وأفرَغَت الأُخرَى على أندَر الشَّعِير الوَرِقَ حتَّى فاضَ، ﴿رَحۡمَةࣰ﴾ - مَفعُول لَه - ﴿مِّنۡ عِندِنَا﴾ - صِفة - ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾) تعريضٌ بطلب الرحمة.

قوله: (﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ نداءه) أي: الذي في ضَمنه الدعاء.

قوله: (﴿فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرࣲّۖ﴾) روي: أنَّ الله قال له: اركضْ برجلِكَ الأرضَ، فركض، فخرجت عينُ ماءٍ، فأمره أن يغتسل منها، ففعل، فذهب كلُّ داءٍ كان بظاهره، ثم مشى أربعين خطوة، فأمره أن يضرب برجله اليمنى مرة أخرى، ففعل، فنبعت عينُ ماءٍ باردٍ، فأمره أن يشرب منها، فشرب، فذهب كلُّ داءٍ كان بِباطنه، فصار كأصحِّ ما كان، وهو معنى قوله تعالى في (سورة ص): ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدࣱ وَشَرَابࣱ﴾ [ص: ٤٢][(١)].

قوله: (بأن أحيوا له) أي: لأنهم ماتوا قبل انتهاء آجالهم، وقيل: رَزَقه الله مثلهم، روي: أنَّ امرأته ولدت بعد ذلك ستة وعشرين ابناً[(٢)].

قوله: (ثلاث أو سبع) أي: فجُملتهم ستة، أو أربعة عشر.

قوله: (وكان له أَنْدَرُ) هو الموضع الذي يُدْرَسُ فيه الطعام.

قوله: (أفرغَتْ إحداهما على أندرِ القمحِ الذهبَ) أي: لِمُناسبته له في الحمرة، وكذا يقال فيما بعده.

---

(١) انظر «تفسير البغوي» (٥/٣٤٦).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٠/٧٧) من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ٨٤ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٨٥ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٦﴾ ....

﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ ليَصبِرُوا فيُثابُوا.

(٨٥ - ٨٦) ﴿وَ﴾ اذكُـــــر ﴿إِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على طاعةِ الله وعن مَعاصِيه. ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ مِن النُّبوَّة، ﴿إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ لَها، وسُمِّيَ ذا الكِفل لِأَنَّهُ تكفَّلَ بِصِيامِ جَمِيع نَهاره وقِيامِ جَمِيع لَيلِه، وأن يَقضِيَ بَين

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾) خصَّهم؛ لأنهم المنتفعون بذلك.

قوله: (﴿وَإِسْمَٰعِيلَ﴾) عاش مئة وثلاثين سنة، وكان له حين مات أبوه تِسع وثمانون سنة، وقصَّة صبره على الذبح ستأتي مفصَّلة في سورة (الصافات).

قوله: (﴿وَإِدْرِيسَ﴾) هو جدُّ نوح، وُلد في حياة آدم قبل موته بمئة سنة، وبعث بعد موته بمئتي سنة، وعاش بعد نبوته مئة وخمسين سنة، فجملة عمره أربع مئة وخمسون سنة، وكان بينه وبين نوح ألف سنة.

قوله: (﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾) هذا لقبه، واسمه: بشرٌ، وهو ابن أيوب.

قوله: (﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ﴾) معطوف على محذوف، تقديره: فأعطيناهم ثواب الصابرين وأدخلناهم... إلخ.

قوله: (لأنه تكفَّل بصيام جميع نهاره... إلخ) فكان يصوم النهار ويصلي بالليل ولا يَفْتُرُ، وكان ينام وقت القيلولة، وكان لا ينام إلا تلك النومة، فامتحنه إبليس لينظرَ هل يغضب أم لا، فأتاه إبليس حين أخذ مضجعه فدقَّ عليه الباب، فقال: من هذا؟ فقال: شيخٌ كبيرٌ مظلومٌ بيني وبين قومي خصومةٌ، وإنهم ظَلموني، فقام وفتح له الباب، وصار يُطيل عليه الكلام حتى ذهبت القيلولة، فقال له: إذا قعدت للحكم فائتني أُخلِّص حقَّك، فلمَّا جلس للحكم لم يَجده، فلمَّا رجع إلى القائلة من الغد.. أتاه ودقَّ الباب، فقال له: مَن هذا؟ فقال: الشيخ المظلوم، ففتح الباب، فقال: ألم أقُل لك: إذا قعدتُ للحكم فائتني؟ فقال: إن خُصومي أخبثُ قوم إذا علموا أنك قاعِد قالوا: نعطيك حقَّك، وإذا قُمْتَ جَحدوني، فلمَّا كان اليوم الثالث.. قال ذو الكفل لِبعض أهله: لا تدعَنَّ أحداً يقرب هذا الباب حتى أنام؛ فإنه قد شقَّ عليَّ النعاس، فلما كانت تلك الساعة.. جاء إبليس، فلم يَأذن له الرجل، فرأى طاقة، فدخل منها ودقَّ الباب من داخل، فاستيقظ، فقال له: أتنامُ والخصوم ببابك؟ فعرَف أنه عدوُّ الله، وقال: فعلتُ ما فعلت لأُغضبك، فعَصمك الله[1].

(١) رواه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٦٢) من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ ....

النَّاس ولا يَغضَبَ، فوَفَّى بِذلك، وقِيل: لَم يَكُن نَبِيًّا.

(٨٧) ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿ذَا ٱلنُّونِ﴾: صاحِبَ الحُوت، وهو يُونُس بنُ مَتَّى، ويُبدَل مِنهُ: ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا﴾ لِقَومِه أي: غَضبانَ علَيهِم مِمَّا قاسَى مِنهُم، ولَم يُؤذَن لَهُ في ذلكَ، ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ أي: نَقضِيَ عَلَيهِ ما قَضَيناهُ مِن حَبسِه في بَطن الحُوتِ، أو نُضَيِّق عَلَيهِ بِذلك، ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: ظُلمةِ اللَّيل وظُلمةِ البَحر وظُلمةِ بَطنِ الحُوت: ....

حاشية الصاوي

قوله: (وقيل: لم يكن نبيًّا) أي: بل كان عبداً صالحاً، والصحيح: أنه نبيٌّ، قيل: بعث إلى رجل واحد.

قوله: (﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾) لقب ليونس، وجمعه: أنوان ونينان، وهو: اسمٌ للحوت كبيراً أو صغيراً.

قوله: (ابن متى) اسم أبيه، وقيل: أمّه.

قوله: (ويبدل منه) أي: بدل اشتمال.

قوله: (﴿مُغَٰضِبٗا﴾ لقومه) أي: لا لربِّه؛ لأنَّ خروجه باجتهاد منه حين وعَدهم بالعذاب، فلمَّا لم ينزل بهم.. ظنَّ أنه إن بقي بينهم قتلوه؛ لأنهم كانوا يقتلون كلَّ مَنْ ظهر عليه كذبٌ.

قوله: (أي: غضبان عليهم) أشار بذلك إلى أنَّ المفاعلة ليست على بابها.

قوله: (أي: نقضي عليه بما قضينا) أشار بذلك إلى أن معنى ﴿أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾: نقضي عليه بما قضينا من القدر، وهو القضاء، والمعنى: فظنَّ أننا لا نُؤاخذه بخروجه.

قوله: (أو نُضيق عليه) أي: فمعنى (نقدر): نُضيق؛ كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ﴾ [العنكبوت: ٦٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ﴾ [الطلاق: ٧]، لا من القُدرة بمعنى الاستطاعة التي هي ضدُّ العجز.

قوله: (من حبْسِهِ في بطن الحوت) أي: وكانت مُدة مكثه ببطن الحوت أربعين يوماً، أو سبعة أيام، أو ثلاثة، أو أربع ساعات، وأوحى الله إلى ذلك الحوت: لا تأكل له لحماً، ولا تهشم له عظماً؛ فإنه ليس رزقاً لك، وإنما جعلتك سجناً له.

وحاصل ذلك: أنه حين غاضب قومه لما لم ينزل بهم العذاب الذي تَوعدهم به.. خرج فركب سفينة، فسارت قليلاً، ثم وَقفت في لجة البحر، فقال الملاحون: هنا عبدٌ آبق من سيِّده تُظهره

﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ﴾ ....

﴿أَن﴾ أي: بِأن ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ في ذهابِي مِن بَين قومِي بِلا إذنٍ.

٨٨ ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ﴾ بِتِلكَ الكَلِمات، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما نَجَّيناهُ ﴿نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ مِن كَربِهم إذَا استَغاثُوا بِنا داعِينَ.

٨٩ ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿زَكَرِيَّآ﴾ - ويُبدَل مِنهُ -: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ بِقَولِه: ﴿رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا﴾ أي: بِلا ولَد يَرِثُني، ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾: الباقِي بَعد فَناءِ خَلقِك.

٩٠ ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ نِداءَهُ، ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ﴾ ولَداً، ﴿وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ﴾ فأتَت بِالوَلَدِ بَعد عُقمِها، ....

حاشية الصاوي

القرعة، فضربوها، فخرجت على يونس، فألقوه في البحر، فابتَلعه الحوت وهو آتٍ بما يلام عليه من ذهابه للبحر ورُكوبه إياه، فدعا ربَّه، فألقاه الحوت بالساحل ضعيفاً، وكانت تَأتيه غزالة صباحاً ومساءً فيشرب من لبنها حتى قوي، فرجع إلى قومه، فآمنوا به جميعاً، قال تعالى: ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ١٤٧ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾ [الصافات: ١٤٧-١٤٨].

قوله: (﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾) (أنْ): إمَّا مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، وما بعدها خبرها، أو تفسيرية؛ لتقدُّم جملةٍ فيها معنى القول دُون حروفه، وهذا الدُّعاء عظيمٌ جدًّا؛ لاشتماله على التهليل والتسبيح والإقرار بالذنب؛ ولِذا ورد في الحديث: «ما مِن مكروب يدعو بهذا الدعاء.. إلَّا استُجيب له»[1].

قوله: (﴿وَزَكَرِيَّآ﴾) معمول لمحذوف، قدَّره بقوله: (اذكر).

قوله: (أي: بلا ولد يَرثني) أي: في العِلم والنبوة.

قوله: (بعد عقمها) المراد به: انسِداد الرحم عن الولادة.

(١) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٤٣) عن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ ....

﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: مَن ذُكِرَ مِن الأنبياءِ ﴿كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ﴾: يُبادِرُونَ ﴿فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾: الطَّاعاتِ، ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا﴾ في رَحمَتِنا ﴿وَرَهَبًا ۖ﴾ مِن عَذابِنا، ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾: مُتواضِعِينَ في عِبادَتِهم.

﴿٩١﴾ ﴿وَ﴾ اذكُر مَريَمَ ﴿ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾: حَفِظَتهُ مِن أن يُنالَ، ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ أي: جِبرِيل حيثُ نَفَخَ في جَيبِ دِرعِها فحَمَلَت بِعِيسى، ﴿وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: الإنسِ والجِنِّ والمَلائكة، حيثُ ولَدَتهُ مِن غَيرِ فَحلٍ.

﴿٩٢﴾ ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ﴾ أي: مِلَّةَ الإسلامِ ﴿أُمَّتُكُمْ﴾: دِينُكم أيُّها المُخاطَبُون، أي: يَجِب

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ﴾) علة لمحذوف؛ أي: قالوا ما قالوا؛ لأنهم... إلخ.

قوله: (﴿رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ﴾) إمَّا منصوبان على المفعول من أجله، أو على أنهما واقعان مَوقع الحال؛ أي: راغبين راهبين.

قوله: (﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾) صفة لموصوفٍ محذوف معمولٍ لمحذوف، قدَّر ذلك المفسِّر بقوله: (واذكر مريم).

قوله: (من أن ينال) أي: يَصل إليه أحدٌ بحلال أو حرام.

إن قلتَ: المزيَّة ظاهرة في حِفظه من الحرام، وأما الحلال.. فكيف تمدح على التعفُّف عنه؟!

أجيب: بأنَّ الترهُّب كان مشروعاً لهم، أو لتكونَ ولادتها خارقةً للعادة.

قوله: (حيث نفخ في جيب درعها) أي: أمَرناه، ففعل ذلك، أو المراد: نفخنا فيها بعض الأرواح المخلوقة لنا، وهي روح عيسى.

قوله: (﴿ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾) لم يقُل: (آيتين)؛ لأنَّ كلاً من مريم وابنها بانضمامه للآخر صار آيةً واحدةً، أو فيه الحذف من الأول؛ لِدلالة الثاني عليه.

قوله: (﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ﴾) أشار المفسِّر إلى أنَّ اسم الإشارة يعود على مِلَّة الإسلام، والأمَّة في الأصل: الجماعة، ثمَّ أُطلقت على الملة؛ لأنها تستلزم الاجتماع، والمعنى: أنَّ مِلة الإسلام

أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ....

أن تكُونُوا عَلَيها، ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ ـ حالٌ لازِمة ـ ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾: وَحِّدُونِ.

﴿٩٣﴾ ﴿وَتَقَطَّعُوٓا۟﴾ أي: بَعضُ المُخاطَبِينَ ﴿أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ أي: تَفَرَّقُوا أمرَ دِينِهم مُتَخالِفِين فِيه، وهُم طَوائفُ اليَهود والنَّصارَى، ....

حاشية الصاوي

ملَّتُكم، لا اختلاف فيها من لَدن آدم إلى محمد؛ فلا تغيير ولا تبديل في أصول الدين، وإنما التغاير في الفروع؛ فمن غيَّر وبدَّل في المِلة.. فهو خارجٌ عنها ضالٌّ مضلٌّ.

وحكمةُ ذكر هذه الآية عقب القصص: دفعُ ما يتوهَّم أنَّ رسول الله ﷺ بُعِثَ بعقائد تخالِف عقائد مَنْ قبله من الرسل.

قوله: (حال لازمة) أي: من ﴿أُمَّةً﴾، وقيل: بَدل من ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾، ويكون قد فصل بين البدل والمبدل منه بخبر (إن) نحو: إن زيداً قائمٌ أخاك. و﴿أُمَّتُكُمْ﴾ بالرفع: خبر ﴿إِنَّ﴾، وقرئ شذوذاً بالنصب على أنه بدل من ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾، أو عطفُ بيان[1].

قوله: (﴿فَٱعْبُدُونِ﴾) إن كان الخطاب للمؤمنين.. فمَعناه: دُوموا على العبادة، وإن كان الخطاب للكفار.. فمعناه: إنشاء العبادة للتوحيد.

قوله: (﴿وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم﴾) أي: تفرَّقوا في أمرهم، واختلفوا في دينهم، وهذا إخبارٌ من الله بأنَّ الجميع لم يكونوا على دِين واحد؛ لسبق حكمته البالغة بذلك.

والحكمة في ذكر العبادة هنا، والتقوى في (المؤمنون)، وذكر الواو هنا والفاء هناك[2]: قيل: تفنُّن، وقيل: لأنَّ الخطاب هنا للكفار، فناسَبه ذكر التوحيد، والخطاب هناك للرسل، فناسبه ذكر التقوى، وأتى بالواو هنا؛ لأنها لا تقتضي الترتيب وهو المراد هنا؛ فإنَّ التفرُّق كان حاصلاً من قبل، بِخلاف ما يأتي؛ فإنَّ التفرق حصَل بعد إرسال الرسل، فناسبه الفاء.

قوله: (وهم طوائف اليهود والنصارى) لا مفهوم له، وهذه الأمَّة اقترفت ثلاثاً وسبعين فرقة: اثنَتان وسبعون في النار، وواحدة ناجية؛ كما في الحديث[3].

---

(١) وهي قراءة الحسن كما نقلها السمين الحلبي في «الدر المصون» (٨/ ١٩٦).

(٢) أي: في قوله تعالى في سورة (المؤمنون): ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾.

(٣) رواه ابن ماجه (٣٩٩٢) عن سيدنا عوف بن مالك رضي الله عنه.

كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ ....

قال تعالى: ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ أي: فنُجازيهِ بِعمَلِه.

﴿٩٤﴾ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ﴾ أي: جُحُودَ ﴿لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ بِأن نَأمُرَ الحفَظةَ بِكَتْبِه فنُجازيهِ علَيهِ.

﴿٩٥﴾ ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾: أُرِيدَ أهلُها ﴿أَنَّهُمْ لَا﴾ ـ زائدة ـ ﴿يَرْجِعُونَ﴾ أي: مُمتَنِع رُجُوعُهُم إلى الدُّنيا.

﴿٩٦﴾ ﴿حَتَّى﴾ غايةٌ لِامتِناعِ رُجُوعِهِم ﴿إِذَا فُتِحَتْ﴾ ـ بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيدِ ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾) تهديدٌ للكفار، والمعنى: أنَّ الله تعالى لا يُفلت أحداً، بل كلٌّ من الثابت على الحق والزائغ عنه راجعٌ إليه.

قوله: (﴿مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾) أي: الأعمال الحسنة من فرضٍ ونفلٍ.

قوله: (﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾) أي: لا يمنع من ثوابه، ولا يحرم منه، فالكفران: مصدرٌ بمعنى: الكفر الذي هو الجُحود والإنكار، فشبَّه منعَ الثواب بالكفر والجحود.

قوله: (﴿وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾) أي: حافظون للعمل؛ فلا يَضيع منه شيء.

قوله: (﴿وَحَرَامٌ﴾) خبرٌ مقدَّم، و﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾: مبتدأ مؤخَّر، والمعنى: رُجوع أهل قرية أهلكناها مُمتنع، وقوله: (إلى الدنيا) أي: البَقاء والمعيشة فيها، وقيل: إلى الإيمان؛ يعني: أنَّ رجوعهم إلى الإيمان ممتنعٌ؛ لِسبق الشقاء عليهم، قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨].

قوله: (غاية لامتناع رجوعهم) أي: فهي متعلقة بـ(حرام) غاية لما قبلها، ويصح أن تكون ابتدائية وتكون الجملة مستأنفة.

قوله: (بالتشديد والتخفيف) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

(١) قرأ ابن عامر بتشديد التاء بعد الفاء، والباقون بالتخفيف. انظر «السراج المنير» (٢/ ٥٣٠).

يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ....

﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ ـ بِالهَمزِ وتَركه اسمانِ أعجَمِيَّانِ لِقَبِيلَتَينِ، ويُقَدَّر قَبله مُضافٌ ـ أي: سَدُّهما، وذلك قُرْبَ القِيامة، ....

حاشية الصاوي

قوله: (بالهمز وتركه) قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (اسم قبيلتين) أي: مِن بني آدم، يقال: إنهم تسعة أعشار بني آدم، وتقدَّمت قصَّتهم.

قوله: (وذلك قرب القيامة) أي: بعد نزول عيسى وهَلاك الدجال حين يأتي ويمكث أربعين يوماً: يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كباقي الأيام، وفي الحديث: (قلنا: يا رسول الله؛ في اليوم الذي كسَنة يكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «لا، اقدرُوا له قَدره»، قُلنا: يا رسول الله؛ وما إسراعه في الأرض؟ قال: «كالغيث استَدبرته الريح».

فينزل عيسى على مَنارة بني أُمية شرقي دمشق، عليه حلتان ممصَّرتان، فيَقتله، ثم يخرج يأجوج ومأجوج من السَّد، فيَحصل للخلق جَدْبٌ عظيم حتى تكون رأس الثور خيراً من مئة دينار، ثم يَدعو اللهَ عيسى، فيرسل الله عزَّ وجلَّ النغف في رقابهم، فيهلكون جميعاً، فتملأ رممهم وجِيَفهم الأرض، فيدعو اللهَ عيسى، فيرسل الله عليهم طيراً كأعناق البُخت، فتحملهم وتَطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً فيغسل الأرض من آثارهم، ثم يَقول الله للأرض: أنبتي ثمرك، فيكثر الرزق جدًّا، ويَستقيم الحال لعيسى والمؤمنين، فبينما هم كذلك إذ بَعث الله عليهم ريحاً طيبة تَقبض روح كلِّ مؤمن ومسلم، وتُبقي شِرار الناس يتهارجون في الأرض كتهارُج الحمر، فعليهم تَقوم الساعة)[2].

وبين موت عيسى والنَّفخة الأولى مئة وعشرين سنة، لكن السنة بقدر شهر كما أن الشهر بقَدر جمعة، والجمعة بقدر يوم، واليوم بقدر ساعة، فيكون بين موت عيسى والنفخة قدر ثنتي عشرة سنة من السنين المعتادة[3].

---

(١) قرأهما عاصم بهمزة ساكنة، والباقون بالألف. انظر «السراج المنير» (٢/ ٥٣٠).

(٢) رواه مسلم (٧٤٨٣) بنحوه عن سيدنا النوَّاس بن سمعان ﷺ، والنغف: دُودٌ يكون في أُنوف الإبل والغنم، الواحدة نغفة.

(٣) كما روى الترمذي (٢٣٣٢) عن سيدنا أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَقوم الساعة حتى يَتقارب الزمان، فتكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كالضرمة بالنار».

وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ ....

﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾: مُرتَفِعٍ مِن الأرضِ ﴿يَنسِلُونَ﴾: يُسرِعُون.

﴿٩٧﴾ ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ أي: يَومُ القِيامة ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ أي: القِصَّةُ ﴿شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ في ذلك اليَوم لِشدَّتِه، يَقُولُون: ﴿يَا﴾ - لِلتَّنبِيه - ﴿وَيْلَنَا﴾: هَلاكَنا، ﴿قَدْ كُنَّا﴾ في الدُّنيا ﴿فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ اليَومِ، ﴿بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ أنفُسَنا بِتَكذِيبِنا لِلرُّسُلِ.

حاشية الصاوي

وفي الحديث: «لا تقوم الساعة حتى ترَوا قبلها عشر آيات: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خُسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخَسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك: نار تخرج من اليَمن تَطرد الناس إلى مَحشرهم»[1].

قوله: (﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾) أي: يأجوج ومأجوج ينتشرون في الأرض ويَسرحون فيها من كلِّ مُرتفع من الأرض.

قوله: (﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ﴾) عطف على ﴿فُتِحَتْ﴾.

قوله: (أي: القصة) أشار بذلك إلى أنَّ الضمير للقصة، و﴿شَٰخِصَةٌ﴾ خبرٌ مقدَّم، و﴿أَبْصَٰرُ﴾: مبتدأ مؤخَّر، والجملة خبر ﴿هِيَ﴾، والتعقيب عُرفي؛ لأنَّ التفاوت القليل كالعدم، فاندفع ما يقال: إنه رتَّب الشخوص على فتح السدِّ واقترابِ الساعة مع أنَّ الشخوص لا يُوجد إلا يوم القيامة.

قوله: (يقولون: ﴿يَٰوَيْلَنَا﴾) أشار بذلك إلى أن ﴿يَٰوَيْلَنَا﴾ مقولٌ لقول محذوف.

قوله: (﴿بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾) إضرابٌ عن قولهم: ﴿قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ﴾ لعلَّه يَنفعهم الإقرار بالذنب؛ فلا يَنفعهم.

---

(١) رواه مسلم (٧٣٨٨) عن سيدنا حذيفة بن أسيد الغفاري ﷺ.

إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ....

﴿٩٨﴾ ﴿إِنَّكُمْ﴾ يا أهلَ مَكَّة ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره مِن الأوثانِ ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾: وَقُودُها، ﴿أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾: داخِلُون فِيها.

(﴿٩٩﴾ - ﴿١٠٠﴾) ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الأوثانُ ﴿ءَالِهَةً﴾ كما زَعمتُم ﴿مَّا وَرَدُوهَا﴾: دَخَلُوها، ﴿وَكُلٌّ﴾ مِن العابِدِينَ والمَعبُودِينَ ﴿فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ﴾: لِلعابِدِين ﴿فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ شَيئاً لِشِدَّة غَلَيانها.

﴿١٠١﴾ ونَزَل لَمَّا قال ابنُ الزِّبَعرَى: عُبد عُزَيرٌ والمَسِيحُ والمَلائكة، فهُم في النَّار على مُقتَضَى ما تَقدَّم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (من الأوثان) خصَّها بالذكر؛ لأنها كانت مُعظم معبوداتهم، وإلَّا.. فالشمس والقمر يَصيران ثورين عقيرين في النار[1].

قوله: (وَقودها) أي: وسمِّي حصباً؛ لأنه يُرمى بهم فيها كما ترمى الحصباء.

قوله: (﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً﴾... إلخ) تبكيتٌ عليهم.

قوله: (﴿زَفِيرٌ﴾) أي: أنينٌ وتنفُّسٌ شديدٌ.

قوله: (لشدة غليانها) أي: فعدم سماعهم لِشدَّة غليان النار عليهم؛ لما ورد: «إذا بقي من يَخلد فيها.. جُعِلُوا في توابيتَ من نار، ثم جُعلت تلك التوابيتُ في توابيتَ أخرى، ثم تلك التوابيت في توابيت أخرى عليها مساميرُ من نار؛ فلا يسمعون، ولا يرى أحدٌ منهم أنَّ في النار أحداً يُعذَّب غيره»[2].

قوله: (ونزل لما قال ابن الزِّبَعْرَى... إلخ) حاصل ذلك: أنَّ رسول الله ﷺ دَخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم، وحول الكعبة ثلاث مئة وستون صنماً، فعرض له النضر بن الحارث،

(١) روى الطيالسي في «مسنده» (٢/ ٥٧٤) عن أنس رضي الله عنه: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ ثَوْرَانِ عَقِيرَانِ فِي النَّارِ» أي: زمِنان لا يجريان، أو مَنحوران. وانظر «التيسير بشرح الجامع الصغير» (٦/ ٥٤٨).

(٢) رواه البيهقي في «البعث والنشور» (٥٩٧) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

﴿ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ١٠٢﴾ ....

المَنزِلةُ ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ ومِنهُم مَن ذُكِر، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾.

١٠٢ ﴿لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ﴾: صَوتَها، ﴿وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ مِن النَّعِيم ﴿خَٰلِدُونَ﴾.

حاشية الصاوي

فكلَّمه رسول الله ﷺ حتى أفحَمه، ثم تلا عليه: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ...﴾ الآيات الثلاث، ثم قام، فأقبل ابن الزِّبَعْرَى ـ وهو بكسر الزاي، وفتح الباء، وسكون العين، وفتح الراء مقصوراً، وقد أسلَم بعد ذلك ـ فأخبره الوليد بن المغيرة بما قاله رسول الله ﷺ لهم، فقال: أما والله لو وَجدته.. لخصمته، فدعَوا رسول الله ﷺ، فقال له ابن الزبعرى: أنت قلت: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾؟ قال: «نعم»، قال: أليست اليهود تَعبد عزيراً، والنصارى تعبد المسيح، وبنو مدلج يعبدون الملائكة؟ فقال النبي ﷺ: «**إنهم يَعبدون الشيطان**»، فنزلت هذه الآية ردًّا عليه[1].

قوله: (المنزلة ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾) أي: الدرجة والرتبة الحسنى، أو المراد: الكلمة الحسنى، وهي لا إله إلا الله، أو المراد: السَّعادة الأبدية.

قوله: (ومنهم من ذكر) أي: العزير وعيسى والملائكة، والمعنى: أنَّ كلَّ مَن سبقت له الحسنى؛ سواء عُبِدَ أو لا.. فهو مُبعدٌ عن النار.

قوله: (﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾) أي: عن جهنم.

إن قلتَ: كيف ذلك مع قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾ [مريم: ٧١] والورود يقتضي القرب منها. أجيب: بأنَّ المراد: مُبعدون عن عذابها وألمها؛ فإنَّ المؤمنين إذا مرُّوا على النار تخمد وتقول: «جُزْ يا مؤمن؛ فإنَّ نُورك قد أطفأ لهبي»[2]، وهذا لا يُنافي الورود.

قوله: (﴿لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ﴾) أي: حركةَ تلهُّبها، وفي هذا تأكيدُ بُعْدِهم عنها.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ١٥٣) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٣٢٩)، والبيهقي في «الشعب» (١/ ٥٧٧) عن سيدنا يعلى بن منية رضي الله عنه.

﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ ....

﴿١٠٣﴾ ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ وهو أن يُؤمَرَ بِالعَبدِ إلى النَّار، ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ﴾: تستقبِلُهُم ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ عِند خُرُوجِهم مِن القُبُور، يَقُولُون لَهُم: ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ في الدُّنيا.

﴿١٠٤﴾ ﴿يَوْمَ﴾ ـ منصوب بـ(اذكُر) مُقدَّراً قَبلَه ـ ﴿نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ﴾ اسمُ مَلَك ﴿لِلْكِتَابِ﴾ صَحيفةِ ابنِ آدَم عِند مَوتِه، ـ واللَّام زائدة، أو السِّجِلُّ الصَّحِيفة والكِتاب بِمَعنى المَكتُوب، واللَّام بِمَعنى (على)، وفي قِراءة: ﴿لِلْكُتُبِ﴾ جَمعاً ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾) هذا بيانٌ لِنَجاتهم من الفزع إثْرَ بيان نجاتهم من النار.

قوله: (وهو أن يؤمر بالعبد إلى النار) أي: الكافرِ، وقيل: هو حين تغلق النار على أهلها وييأسون من الخروج، وقيل: هو حين يذبح الموت بين الجنة والنار ويُنادى: «**يا أهل النار؛ خلودٌ بلا موت**»[1]، وقيل: هو جميع أهوال القيامة.

قوله: (عند خروجهم من القبور) أي: تستقبلهم بالبشرى والسرور عند ذلك، وقيل: تستقبلهم على أبواب الجنة، ولا مانع أنها تَستقبلهم في الحالين.

قوله: (اسم ملك) أي: في السماء الثالثة، وعلى هذا: فالمصدر مضاف لفاعله؛ فإنَّ هذا الملك يَطوي كتب الأعمال إذا رُفِعَتْ إليه.

قوله: (واللام زائدة) أي: و(الكتاب): مفعوله.

قوله: (أو السجل: الصحيفة) أي: والمعنى: كطيِّ الصحف على مكتوبها، وعليه: فهو من إضافة المصدر لمفعوله، والفاعل محذوف، تقديره: كما يَطوي الرجل الصحيفة على ما فيها.

قوله: (وفي قراءة) أي: سبعيَّة أيضاً[2].

قوله: (جمعاً) أي: وأمَّا على قراءة الإفراد.. فـ(أل) للجنس.

---

(١) رواه البخاري (٦٥٤٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) قرأ حفص وحمزة والكسائي بضم الكاف والتاء على الجمع، والباقون بكسر الكاف على الإفراد. انظر «السراج المنير» (٢/ ٥٢٣).

كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ ....

﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ﴾ عن عَدَمٍ ﴿نُّعِيدُهُۥ﴾ بَعد إعدامِه، ـ فالكافُ مُتعلِّقة بـ(نُعِيد)، وضَمِيرُه عائد إلى ﴿أَوَّلَ﴾ و(ما): مَصدريَّة ـ ﴿وَعْدًا عَلَيْنَآ﴾ ـ مَنصُوب بـ(وَعَدنا) مُقدَّراً قَبله، وهو مُؤكِّد لِمَضمُونِ ما قَبله ـ، ﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ ما وَعَدناهُ.

﴿١٠٥﴾ ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ﴾ بِمَعنَى الكِتاب أي: كُتُبِ الله المُنزَّلَةِ ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ بِمَعنَى أُمِّ الكِتاب الذي عِند الله ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ﴾: أرضَ الجنَّة ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ﴾) أي: كما بدأناهم في بُطون أمهاتهم عُراة حفاة غُرلاً.. كذلك نعيدهم يوم القيامة.

والخلق بمعنى: المخلوق، وإضافة (أول) له من إضافة الصفة للموصوف، والمعنى: كما بَدأنا المخلوق الأول نُعيده ثانياً.

قوله: (بعد إعدامه) هذا أحد قولين لأهل السنة، والقول الثاني: أنَّ الإعادة بعد تفرُّق الأجزاء، قال في «الجوهرة»[1]: [الرجز]

وقُل: يُعَادُ الجِسمُ بِالتَّحقِيقِ عَن عَدَمٍ، وقِيلَ: عَن تَفرِيقِ

قوله: (و«ما»: مصدرية) أي: و﴿بَدَأْنَآ﴾: صِلتها، والجملة في محل جرٍّ بالكاف، و﴿أَوَّلَ خَلْقٍ﴾: مفعول به لـ﴿بَدَأْنَآ﴾.

قوله: (﴿وَعْدًا عَلَيْنَآ﴾) أي: فعلينا إنجازه؛ لِتعلق علمنا بوقوعه، وقدرتنا على إنفاذه.

قوله: (لمضمون ما قبله) أي: الجملة الخبرية.

قوله: (﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾) توكيدٌ لما قبله.

قوله: (بمعنى الكتاب) أي: فـ(أل) في ﴿ٱلزَّبُورِ﴾ للجنس، والمعنى: جِنس الكتب السماوية.

قوله: (بمعنى أمِّ الكتاب) أي: وهو اللوح المحفوظ.

قوله: (﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ﴾) مفعول ﴿كَتَبْنَا﴾.

---

(١) انظر شرح البيت في «تحفة المريد» (ص٢٧٩).

يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ....

﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ عامٌّ في كُلِّ صالِح.

﴿١٠٦﴾ ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا﴾ القُرآنِ ﴿لَبَلَٰغًا﴾: كِفايةً في دُخُول الجنَّة، ﴿لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾: عامِلِينَ بِه.

﴿١٠٧﴾ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ يا مُحمَّد ﴿إِلَّا رَحْمَةً﴾ أي: لِلرَّحمة ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: الإنسِ والجِنِّ بِك.

حاشية الصاوي

قوله: (عامٌّ في كل صالح) أي: من هذه الأمة وغيرها من الأُمم، والمراد بالصلاح: الموت على الإيمان، والمعنى: أنَّ المؤمنين يَرثون الجنة ويتنعَّمون فيها على قدر أعمالهم، وعبَّر بالميراث؛ لأنه ملكٌ مستمرٌّ يأتي من غير تكسُّبٍ، وأمَّا مَن مات على الكفر.. فليس له في الجنة نصيبٌ؛ لأنَّ الجنة عزيزةٌ عند الله، فلا يُعطيها لأعدائه، وأمَّا الدنيا.. فقد تعطى للكافر؛ لعدم عزَّتها عنده؛ لما في الحديث: «لو كانت الدنيا تَزِن عند الله جناح بعوضةٍ.. ما سقى الكافرَ منها جرعة ماء»[1] ومعناه: لو كان للدنيا قدرٌ عند الله.. لَبَقيت ببقائه، ولو كانت باقيةً.. ما نعم الكافر فيها؛ لهوانه عليه، فقدَّر الله في الأزل أنَّ الدنيا فانيةٌ زائلةٌ لا قَدر لها عنده، فنعم فيها الكفار.

قوله: (كفاية في دخول الجنة) أي: مِن حيث إنه يوصل لمراضي الله تعالى في الدنيا، ويؤنس صاحبه في القبر، ويوضع في الميزان، ويرقى به في درجات الجنة.

قوله: (عاملين به) أي: مُمتثلين أوامرَهُ، مجتنبين نواهيَهُ.

قوله: (أي: للرحمة) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿رَحْمَةً﴾ منصوب على أنه مفعول لأجله، ويصح أن يكون منصوباً على الحال؛ أي: أنه نفس الرحمة؛ لِما ورد: «أنَّ الأنبياء خُلِقوا من الرحمة»[2]، ونبيُّنا ﷺ عين الرحمة، أو على حذف مضاف؛ أي: ذا رحمة، أو راحِم؛ لما في الحديث: «إنما أنا رَحمة مُهداة»[3].

قوله: (الإنس والجن) أي: برًّا وفاجراً، مؤمناً وكافراً؛ لأنه رفع بِسببه الخسف والمسخ وعذاب

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٢٠)، وابن ماجه (٤١١٠) عن سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٢) من كلام بعض العارفين، كما في «المواهب اللدنية» للإمام القسطلاني (٢/ ٥٤٣).

(٣) رواه الدارمي في «سننه» (١٥) من حديث أبي صالح مرسلاً.

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ ....

﴿١٠٨﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ أي: ما يُوحَى إلَيَّ في أمرِ الإلَه إلَّا وَحدانِيَّتُه، ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾: مُنقادُون لِما يُوحَى إليَّ مِن وَحدانِيَّة الإلَه؟ والاستِفهامُ بمعنَى الأمرِ.

﴿١٠٩﴾ ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ عن ذلك ﴿فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ﴾: أعلَمتُكُم بِالحَربِ ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ ـ حال مِن الفاعِل والمَفعُول ـ أي: مُستَوِينَ في عِلمِه؛ لا أستَبِدُّ بِه دُونكُم لِتَتَأهَّبُوا، ﴿وَإِنْ﴾: ما ﴿أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ مِن العَذاب أو القِيامةِ المُشتَمِلة علَيهِ، وإنَّما يَعلَمُهُ الله.

حاشية الصاوي

الاستئصال، ورحمة أيضاً من حيث إنه جاء بما يُرشد الخلق إلى السعادة العظمى؛ فمن آمن.. فهو رحمة له دنيا وأخرى، ومَن كفر.. فهو رحمة له في الدنيا فقط.

قوله: (﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾) اعلَم: أنَّ في هذه الآية قصرَين: الأول: قصر الصفة على الموصوف، والثاني بالعكس، والمعنى كما قال المفسِّر: ما يُوحى إليَّ في أمر الإله إلا اختصاصه بالوحدانية؛ ففيه ردٌّ على الكفرة الذين يَعبدون غير الله.

قوله: (بمعنى الأمر) أي: فالمراد منه: التحضيض على الإسلام لا الاستفهام عنه.

قوله: (أعلمتكم بالحرب) أي: أنذرتكم به، والمراد بالحرب: مُحاربته هو وأصحابه لهم، والمعنى: أعلمتكم بأني مُحاربكم والحال أني وأنتم مُستوُون في العلم بنقض الصُّلح؛ لئلا أنسبَ للغدر المذموم فاعله.

قوله: (لِتتأهبوا) أي: لِتَستعدوا أو تتهيؤوا له، وهو علة للنفي لا لِلمنفي، فالمعنى: لا أستبد به، بل أعلمكم لتتأهبوا.

قوله: (﴿وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾) أي: لا أدري الوقت الذي يحل بكم العذاب فيه، وإنما علمه موكولٌ إلى الله، والمراد بالعذاب: تَعذيبه إياهم بحربه في الدنيا، وقوله: (أو القيامة) أي: تعذيبهم بالنار.

إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ ....

﴿١١٠﴾ ﴿إِنَّهُۥ﴾ تَعالى ﴿يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ والفِعلَ مِنكُم ومِن غيرِكُم، ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ أنتُم وغيرُكُم مِن السِّرِّ.

﴿١١١﴾ ﴿وَإِنْ﴾: ما ﴿أَدْرِى لَعَلَّهُۥ﴾ أي: ما أعلَمتُكُم به ولَم يُعلَمْ وَقتُه ﴿فِتْنَةٌ﴾: اختِبارٌ ﴿لَّكُمْ﴾ لِيَرَى كيفَ صُنعُكُم، ﴿وَمَتَٰعٌ﴾: تَمَتُّع ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: انقِضاءِ آجالِكم، وهذا مُقابل لِلأوَّل المُتَرجَّى بِـ(لعلَّ)، وليسَ الثَّاني مَحلًّا لِلتَّرجِّي.

﴿١١٢﴾ ﴿قُل﴾ - وفي قِراءة: ﴿قَٰلَ﴾ - ﴿رَبِّ ٱحْكُم﴾ بَينِي وبَين مُكَذِّبِيَّ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: بِالعَذابِ لَهُم أو النَّصرِ علَيهِم، فعُذِّبُوا بِبَدرٍ وأُحُد وحُنَينٍ والأحزابِ والخَندَق ونُصِرَ علَيهِم، ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾) أي: ما تقولونه جهراً مما لا يَليق.

قوله: (والفعل) أشار بذلك إلى أنَّ في الآية اكتفاءً.

قوله: (أي: ما أعلمتكم به) أي: وهو تأخير العذاب عنهم في الدنيا.

قوله: (اختبار لكم) أي: مُعاملتكم معاملة المختبر.

قوله: (وهذا مقابل للأول) حاصله: أن قوله: ﴿لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ﴾ محتملٌ للوقوع وعدمه، وأمَّا قوله: ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ فهو محقَّق الحصول، والأحسَن: أن يجعل قوله ﴿وَمَتَٰعٌ﴾ خبراً لمحذوف، تقديره: وهذا متاع إلى حين؛ أي: وتأخير عذابكم مَتاع؛ أي: تمتُّعٌ لكم إلى وقت فراغ الأجل، والجملة مستأنفةٌ.

قوله: (وفي قراءة: ﴿قَٰلَ﴾) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1]؛ فالأُولى أمر، والثانية إخبار عن مَقالته.

قوله: (﴿ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾) أي: عَجِّل النصر لي والعذاب لأعدائي.

قوله: (والخندق) المناسب حذفه؛ لأنه هو الأحزاب.

قوله: (﴿ٱلْمُسْتَعَانُ﴾) أي: الذي تطلب منه الإعانة.

---

(١) وبها قرأ حفص رحمه الله تعالى. انظر «السراج المنير» (٢/ ٥٣٥).

﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١١٢﴾

﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ مِن كَذِبِكُم على الله في قَولِكُم: اتَّخَذَ ولَداً، وعلَيَّ في قَولِكُم: ساحِر، وعلى القُرآن في قَولِكُم: شِعرٌ.

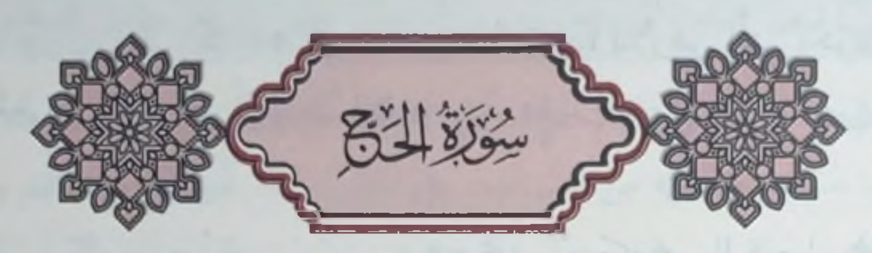


حاشية الصاوي

قوله: (﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾) أي: على وصفكم لربّكم ولِنبيِّه بالنقائص؛ فقد أمر رسول الله بتفويض الأمر إلى الله، والصبر على المشاقِّ؛ تعليماً لأمَّته حُسْنَ الالتجاء إلى ربِّهم.

✿ ✿ ✿

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ....



سُورَةُ الحَجِّ

مَكِّيَّة إلَّا ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ...﴾ الآيَتَين، أو إلَّا ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ...﴾ السِّتَّ آيات فمَدنيَّات. وهي أربعٌ أو خمسٌ أو ست أو سبعٌ أو ثمان وسبعون آيةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكَّةَ وغَيرهم ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ أي: عِقابَه ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ الحَجِّ

(مكية) سمِّيت بذلك؛ لذكر الحج فيها.

قوله: (إلا ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾... إلخ) هذا أحد قولَين في المدنيِّ منها.

قوله: (أو إلا ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾) هذا قولٌ ثانٍ، وقوله: (الست آيات) أي: وتنتهي إلى ﴿صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾، لكن أربع آيات منها متعلِّقات بالكفار، وآيتان متعلِّقتان بالمؤمنين، وقيل: إنَّ السورة كلَّها مدنيَّةٌ، وقيل: إلا أربع آيات من قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ إلى قوله: ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ فهي مكيَّات، والتحقيق: أنها مُختلطة منها مكيٌّ، ومنها مدنيٌّ، وهي من أعاجيب السور، نزلت ليلاً ونهاراً، وسفراً وحضراً، مكيًّا ومدنيًّا، سلميًّا وحربيًّا، ناسخاً ومنسوخاً، محكماً ومتشابهاً.

قوله: (أو ثمان وسبعون آية) أي: إنها سبعون آية جزماً، والخلاف في النيِّف الزائد على خمسة أقوال.

قوله: (أي: أهل مكة) إمَّا برفع (أهل) على أنَّ (أي) حرف تفسير، و(أهل) تفسيرٌ لـ﴿النَّاسُ﴾، أو نصبه على أنَّ (أي) حرف نداء، و(أهل) منادى، وقوله: (وغيرهم) بالرفع والنصب، وأشار بذلك إلى أنَّ العبرة بعُموم اللفظ لا بخصوص السبب.

إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ

بِأن تُطِيعُوهُ، ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: الحَرَكَةَ الشَّدِيدة لِلأرضِ الَّتِي يَكُون بَعدَها طُلُوعُ الشَّمس مِن مَغرِبها الذي هو قُرْبَ السَّاعة ﴿شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ في إزعاجِ النَّاس الَّذِي هو نَوعٌ مِن العِقاب.

٢ ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ﴾ بِسَبَبِها ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ بِالفِعلِ ﴿عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (بأن تطيعوه) أي: بفعل المأمورات واجتناب المنهيَّات.

قوله: (﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾. . . إلخ) تعليل لِلأمر بالتقوى، والمعنى: اتقوا ربّكم لتأمنوا من المخاوف؛ فإنَّ مَن دخل حضرته. . أَمِنَ من كلِّ ما يُزعج، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان: ٥١]، وإضافة ﴿زَلْزَلَةَ﴾ لـ﴿ٱلسَّاعَةِ﴾ من إضافة المصدر لِفاعله، والمفعول محذوف، تقديره: الأرض، وإسنادُ الزلزلة للساعة مجازٌ عقليٌّ؛ لأنها مُقدمتها ومن علامتها الكبرى؛ لما روي في حديث الصُّور: «**إنه قَرنٌ عظيمٌ يُنفخ فيه ثلاث نفخات: نَفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونَفخة القيام لرب العالمين**»[1]، وإنَّ عند نفخة الفزع يسير الله الجبال، وتَرجف الراجفة، تتبعها الرادفة، قُلوب يومئذٍ واجفة، وتكون الأرض كالسفينة تضربها الأمواج، أو كالمنديل المعلَّق تُحركه الرياح.

قوله: (أي: الحركة الشديدة) أي: وتكون تلك الحركة في نصف رمضان.

قوله: (التي يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها) أشار المفسِّر بذلك إلى أنَّ تلك الزلزلة تكون في الدنيا قبلَ طلوع الشمس من مَغربها، ويُقوي هذا القول قوله تعالى: ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ. . .﴾ الآية، والرضاع والحمل إنما هو في الدنيا، وقيل: تكون مع النفخة الأولى، وقيل: تكون مع قيام الساعة عند النَّفخة الثانية، وحينئذٍ يكون قوله: ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ مبالغة؛ أي: إنَّ الزلزلة من شدَّة هَولها وعظمة شأنها أن تذهل كلُّ مرضعة عن ولدها.

قوله: (﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾) أي: بالفعل، والمعنى: مُباشرة للإرضاع.

قوله: (﴿عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾) يصح أن تكون (ما) مصدرية؛ أي: عن إرضاعها، ويصح أن تكون موصولة؛ أي: عن الذي أرضَعته.

---

(١) رواه البيهقي في «البعث والنشور» (٦٠٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣﴾

أي: تنساهُ، ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ﴾ أي: حُبلى ﴿حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ مِن شِدَّة الخَوفِ، ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ مِن الشَّراب، ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فهُم يَخافُونَه.

﴿٣﴾ ونَزَلَ في النَّضرِ بنِ الحارِث وجَماعةٍ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ قالُوا: المَلائكةُ بَناتُ الله والقُرآنُ أساطِير الأوَّلِينَ، وأنكَرُوا البَعثَ وإحياءَ مَن صار تُراباً، ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ في جِدالِه ﴿كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ أي: مُتمرِّدٍ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ﴾) هو بفتح الحاء: ما كان في بطن أو على رأس شجرة، وأما الحِمْل ـ بكسر الحاء ـ فهو: ما يُحمل على الظهر.

قوله: (﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾) استدراكٌ على محذوف، تقديره: فهذه الأهوال ليست شديدةً ولكن عذاب الله... إلخ؛ فما بعد (لكن) مخالفٌ لما قبلها.

وهاتان الآيتان قيل: نزلَتا في غزوة بني المصطلق ليلاً، فنادى رسول الله ﷺ الناس حتى كانوا حولَه، فقرأها عليهم، فلم يرَ باكياً أكثر من تلك الليلة، فلما أصبحوا.. لم يحطُّوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام ولم يَطبخوا، والناس من بين باكٍ وجالس حَزين متفكر[1].

قوله: (﴿مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ﴾) أي: في قُدرته وصفاته العظيمة.

قوله: (﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾) حال من فاعل ﴿يُجَٰدِلُ﴾.

قوله: (وأنكروا البعث) أي: حيث قالوا: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٤٩].

قوله: (﴿مَّرِيدٍ﴾) أي: عاتٍ، والمراد: إمَّا رؤساء الكفَرة الذين يدعون من دونهم إلى الكفر، وإما إبليس وجُنوده، وهو الأقرب؛ لقوله في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ

﴿٤﴾ ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾: قُضِيَ على الشَّيطانِ ﴿أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾ أي: اتَّبَعَهُ ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ﴾ يدعُوهُ ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ أي: النارِ.

﴿٥﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي: أهـل مـكَّـةَ ﴿إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾: شَـكٍّ ﴿مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم﴾ أي: أصلَكُم آدم ﴿مِّن تُرَابٍ ثُمَّ﴾ خلَقنا ذُرِّيَّتَه ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾: مَنِيٍّ، ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ وهي الدَّمُ الجامِد، ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ وهي لَحمة قَدر ما يُمضَغ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾) هو فعل مبني للمفعول، و(أنَّ) وما دخلت عليه في تأويل مصدر: نائب الفاعل.

قوله: (﴿مَن تَوَلَّاهُ﴾) إمَّا شرطية والفاء واقعة في جوابها، أو موصولة والفاء زائدة في الخبر؛ لشبه المبتدأ بالشرط.

قوله: (يدعوه) أي: وسمَّى الدعاءَ هدايةً؛ تهكُّماً بهم.

قوله: (أي: النار) أشار بذلك إلى أنَّ المرادَ بـ﴿ٱلسَّعِيرِ﴾: النارُ بجميع طبَقاتها، لا الطبقةُ المسمَّاةُ بذلك.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾) مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه لما ذكر من يُجادل في قدرة الله بغير علم وكان جدالهم في البعث.. ذكر دليلَين على ذلك: الأول: في نفس الإنسان وابتداء خلقه، والثاني: في الأرض وما يخرج منها، فإذا تأمَّل الإنسان فيهما.. ثبت عنده البعث، وأنه واقعٌ لا محالة.

قوله: (﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾) أي: بأن تصيرَ النطفة دماً جامداً، وهكذا يقال فيما بعده؛ بدليل قوله تعالى في سورة (المؤمنون): ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ [المؤمنون: ١٤]؛ لما ورد: «أن النطفة إذا وقَعت في الرحم وأراد الله أن يَخلق منها بشراً.. طارت في بشرة المرأة تحت كلِّ ظفر وشعرة، ثمَّ تمكث أربعين يوماً، ثمَّ تَصير دماً في الرحم، فذلك جمعها»[1]، وهو وقت جعلها عَلقة، واتفقوا على أنَّ نفخ الروح فيه يكون بعد مِئة وعشرين يوماً، وذلك أربعة أشهر.

(١) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٢٦٠) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ ....

﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾: مُصوَّرةٍ تامَّةِ الخَلق، ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ أي: غيرِ تامَّة الخَلقِ؛ ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ كمالَ قُدرَتِنا لِتَستَدِلُّوا بِها في ابتِداء الخَلقِ على إعادَتِه، ﴿وَنُقِرُّ﴾ ـ مُستَأنَفٌ ـ ﴿فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: وقتِ خُرُوجِه، ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ﴾ مِن بُطُون أُمَّهاتِكُم ﴿طِفْلًا﴾ بِمَعنًى: أطفالاً، ﴿ثُمَّ﴾ نُعَمِّرُكُم ﴿لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ أي: الكَمالَ والقُوَّة، وهو ما بَين الثَّلاثِينَ إلى الأربَعِينَ سَنةً، ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ يَمُوت قَبل بُلُوغِ الأشُدِّ، ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾: أخَسِّه مِن الهَرَم والخَرَف؛ ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ قال عِكرِمة: مَن قَرَأَ القُرآن لَم يَصِرْ بِهَذه الحالةِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (تامة الخَلق) أي: تامَّة التصوير؛ بأن خُلِقَ الرأس واليدان والرجلان.

قوله: (أي: غير تامة الخلق) أي: غير تامة التصوير؛ بأن لم يُخْلَقْ فيها شيءٌ من ذلك.

قوله: (كمال قُدرتنا) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ مفعول (نبيِّن) محذوف.

قوله: (﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾) أي: فلا يُسقطه الرحم.

قوله: (﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾) أي: معيَّن لإخراجه، فتارة يخرج لستة أشهر، وتارة لأكثر.

قوله: (﴿طِفْلًا﴾) حال من مفعول ﴿نُخْرِجُكُمْ﴾، وأفرد؛ لأنه مصدرٌ في الأصل، أو لأنه يراد به الجنس، أو لأنَّ المعنى: نخرج كلَّ واحد منكم طفلاً؛ كقَولك: القوم يُشبعهم رغيفٌ؛ أي: كلُّ واحد منهم، والطفل: يُطلق على الولد من حين الانفصال إلى البلوغ.

قوله: (﴿إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾) قيل: هو خمس وسبعون سنة، وقيل: ثمانون، وقيل: تسعون.

قوله: (والخرَف) بفتحتين هو: فسادُ العقل من الكِبَر.

قوله: (﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ﴾) متعلق بـ﴿يُرَدُّ﴾ أي: لكيلا يَعقل من بعد عقله الأول شيئاً؛ لِيعود كهيئته الأولى في أوان الطفوليَّة؛ مِن سخافة العقل، وقلة الفهم، فينسى ما علمه ويُنكر ما عرفه.

قوله: (قال عكرمة: من قرأ القرآن... إلخ) أي: فهو مخصوصٌ بغير من قرأ القرآن والعلماء، وأمَّا هم.. فلا يُردُّون إلى الأرذل، بل يزداد عقلهم كلما طال عُمرهم؛ كما هو مشاهدٌ.

وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى ....

﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾: يابسةً، ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ﴾: تحرَّكت ﴿وَرَبَتْ﴾: ارتفَعت وزادَت، ﴿وَأَنۢبَتَتْ مِن﴾ - زائدةٌ - ﴿كُلِّ زَوْجٍ﴾: صِنفٍ ﴿بَهِيجٍ﴾: حَسَنٍ.

(٦ - ٧) ﴿ذَٰلِكَ﴾ المَذكُورُ مِن بَدء خَلق الإنسانِ إلى آخِرِ إحياءِ الأرضِ، ﴿بِأَنَّ﴾ بِسَبَبِ أنَّ ﴿ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾: الثابتُ الدائمُ، ﴿وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ﴾: شكَّ ﴿فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾.

(٨) ونزَلَ في أبي جهل: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى﴾ معَهُ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾) هذا هو الدليل الثاني على تمام قُدرته تعالى.

قوله: (تحركت) أي: في رأي العين بسبب حركة النبات.

قوله: (﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾) أي: هذا الصنع بسبب أنه تعالى الثابتُ الذي لا يقبل الزوال أزلاً ولا أبداً، الموجِدُ للأشياء على طِبق علمه وإرادته.

قوله: (﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾) توكيد لقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، وكذا قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾.

قوله: (ونزل في أبي جهل) أي: واسمه عمرو بن هشام، وأبو جهل كُنيته، ويكنى أيضاً بأبي الحكم.

قوله: (﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾) عطف على قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ الأول، والمعنى: أنَّ الكفار تنوَّعوا في كفرهم؛ فبعضهم كان يُقلِّد غيره في الكفر، وقد دلَّت الآية الأولى على هذا القسم، وبعضهم كان قدوةً يقتدي به غيرُهُ في الضلال والكفر، وقد دلَّت هذه الآية عليه، وبعضهم كان يدخل الإسلام باللسان وفي قَلبه الريب والشك، وهو الآتي في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾، وحينئذٍ: فليس في الآية تكرار.

قوله: (﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾) أي: معرفة، وقوله: (﴿وَلَا هُدًى﴾) أي: استدلال، ....

وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ....

﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ له نورٌ معهُ.

﴿٩﴾ ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ﴾ ـ حال ـ أي: لاوِيَ عُنُقه تكَبُّراً عن الإيمان، والعِطفُ الجانِب عن يَمين أو شِمال، ﴿لِيَضِلَّ﴾ ـ بِفَتحِ الياء وضَمِّها ـ ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: دِينِه، ﴿لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: عَذابٌ، فقُتِلَ يَوم بَدر، ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ أي: الإحراقِ

حاشية الصاوي

وقوله: (﴿وَلَا كِتَٰبٍ﴾) أي: وحي، والمعنى: أنه يجادل من غير مستندٍ أصلاً.

قوله: (﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ﴾) أي: لاويَ جَنبِهِ، والمراد منه: الإعراضُ عن الحقِّ؛ لأنَّ شأن مَنْ أعرض عن شيءٍ لَوْيُ جنبه عنه، فشبَّه عدم التمسك بالحق بليِّ الجانب[١]، واستعير اسم المشبَّه به للمشبَّه بجامع الإعراض في كلٍّ على طَريق الاستعارة التصريحية الأصلية.

والعامة على كسر العين وهو: الجانب، وقرئ شذوذاً بفتحها[٢]، وهو مَصدر بمعنى: التعطف، كأنه قال: تاركاً تعطُّفه ـ أي: رحمته ـ وتمسَّك بالقَسوة.

قوله: (أي: لاويَ عنقه) الأوضح أن يقول: جَنبه؛ لأنَّ العطف ـ بالكسر ـ الجانب إلا أن يقالَ: يَلزم من ليِّ الجانب ليُّ العُنق.

قوله: (﴿لِيُضِلَّ﴾) متعلق بـ﴿يُجَٰدِلُ﴾، وقوله: (بفتح الياء) أي: فهو فعلٌ لازمٌ، والمعنى: ليحصُلَ له الضلالُ في نفسه، وقوله: (وضمِّها) أي: فهو متعدٍّ، والمعنى: ليُوقِعَ غيرَهُ في الضَّلال، وهما قراءتان سبعيَّتان[٣]، واللام: لِلعاقبة والصيرورة.

قوله: (عذابٌ) في بعض النسخ زيادةُ: (ثقيل)، ومعناه: عظيمٌ متكرِّرٌ، وأخذ ذلك من التنوين على حدِّ: شرٌّ أهرَّ ذا نابٍ.

قوله: (﴿عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾) من إضافة الموصوف لِصفته؛ أي: العذاب المحرق، أو الحريق: طبقةٌ من طباق جهنَّم.

---

(١) لوى الحبل يَلويه، لَيًّا ـ بالفتح ـ ولُوِيًّا، بالضم مع تشديد الياء، كذا في النسخ، وهو غلط صوابه: لَوْياً ـ بالفتح ـ كما هو نصُّ «المحكم». انظر «تاج العروس» (٣٩/ ٤٣٨)، والمصنف رحمه الله استعمل المصدرين في كلامه.

(٢) وهي قراءة الحسن. انظر «الدر المصون» (٨/ ٢٣٦).

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء، والباقون بضمِّها. انظر «السراج المنير» (٢/ ٥٤٠).

ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ

بِالنَّارِ، ويُقال لَه:

﴿١٠﴾ ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ أي: قَدَّمته، عُبِّرَ عنهُ بِهِما دُون غيرهما لِأنَّ أكثَرَ الأفعال تُزاوَل بِهِما، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ﴾ أي: بِذِي ظُلمٍ ﴿لِّلْعَبِيدِ﴾ فيُعَذِّبهُم بِغَيرِ ذَنب.

﴿١١﴾ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (ويقال له) أي: من قبل الله على ألسِنة ملائكة العذاب.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾) أي: ما ذكر من الخِزْيِ وعذابِ الحريق.

قوله: (عبَّر عنه بهما. . . إلخ) جوابٌ عمَّا يقال: لمَ خصَّ اليدَين بالذكر مع أنَّ الفاعلَ هو الشخصُ ذاتُهُ؟

قوله: (تزاول) أي: تعالج.

قوله: (﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾) عطف على ﴿قَدَّمَتْ﴾.

قوله: (أي: بذي ظلم) أي: فـ(ظلَّام): صيغةُ نسبةٍ كـ: ثمَّار ونجَّار، ودفع بذلك ما يقال: إنَّ نفي الكثرة يَستدعي ثبوتَ أصلِ الظلم مع أنه مستحيلٌ؛ لأنَّ الظلم: التَّصرفُ في ملك الغير بغير إذنه، ولا ملكَ لأحدٍ معه؛ لأنَّ حكمَهُ في ملكه دائرٌ بين الفضل والعدل؛ فلا يسأل عمَّا يفعل، وحينئذٍ: فلا يَليق من الشخص الاعتراضُ على أحكام الله تعالى، وإنما يرضى ويسلِّم؛ لِيَفوز بسعادة الدنيا والآخرة.

قوله: (فيُعذبهم بغير ذنب) أي: وسمَّاه ظلماً؛ لأنه وعد الطائع بالجنة ووعدُهُ لا يتخلَّف، لكن لو فُرِضَ. . لم يكن ظلماً.

قوله: (﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾) نزلت في المنافقين وأعراب البَوادي؛ كان أحدهم إذا قدم المدينة فصحَّ بها جسمُهُ، ونُتِجَتْ بها فرسُهُ مهراً، وولدت امرأته غلاماً، وكثر ماله. . قال: هذا دينٌ حسنٌ، وقد أصبتُ فيه خيراً، واطمأنَّ له، وإن أصابه مرضٌ، وولدت امرأته جاريةً، ولم تلد فرسُهُ، وقلَّ مالُهُ. . قال: ما أصبتُ منذ دخلت في هذا الدين إلا شرًّا، فينقلب عن دينه[1].

(١) رواه بنحوه البخاري (٤٧٤٢) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما موقوفاً، وانظر «زاد المسير» (٣/ ٢٢٥).

فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ ....

أي: شَكٍّ في عِبادَتِه، شُبِّهَ بِالحالِّ على حَرف جَبَل في عَدَم ثَباتِه، ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ﴾: صِحَّةٌ وسَلامةٌ في نَفسه ومالِه ﴿ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾: مِحنةٌ وسَقَم في نَفسِه ومالِه ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ أي: رَجَعَ إلى الكُفر، ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا﴾ بِفَواتِ ما أمَّلَهُ مِنها، ﴿وَٱلْءَاخِرَةَ﴾ بِالكُفر، ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾: البيِّن.

حاشية الصاوي

وقوله: (﴿عَلَىٰ حَرْفٍ﴾) حالٌ من فاعل ﴿يَعْبُدُ﴾ أي: متزلزلاً، وقد صار مثلاً لكلِّ من كان عنده شكٌّ في شيءٍ.

قوله: (أي: شكٌّ في عبادته) أي: ضعفِ يقينٍ فيها.

قوله: (شبه بالحالِّ على حرف جبلٍ في عدم ثباته) أشار بذلك إلى أنَّ في الآية استعارةً تمثيليةً؛ حيث شبَّه حال من دخل الإسلام من غير اعتقادٍ وصحةِ قصدٍ بحال الجالس على طرف جبل تحته مَهاوي[1]، بجامع التزلزل وعدم الثبات في كلٍّ.

قوله: (﴿ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ﴾) أي: رضي به وسكن إليه.

قوله: (﴿فِتْنَةٌ﴾) المراد بها هنا: كلُّ مكروهٍ للطبع، وثقيلٍ على النفس، ولم يقُل: (وإن أصابه شرٌّ) ليقع في مقابلة الخير؛ لأنَّ ما يَنفر عنه الطبع ليس شرًّا في نفسه، بل قد يكون خيراً إذا حصل معه الرضا والتسليم.

قوله: (﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾) أي: ارتدَّ للحالة التي كان عليها أوَّلاً من الكُفر والاعتراض على الله تعالى.

قوله: (بفوات ما أمَّله) أي: وهو كثرةُ ماله واجتماعه بِأحبابه.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾) أي: الذي لا خُسرانَ مثله؛ لفوات حظِّه من الدنيا والآخرة.

---

(١) في الوقف على الاسم المنقوص إذا كان مُنوناً لغتان: الأفصح: حذف الياء، ويجوز الوقف عليه بالياء. انظر «قطر الندى» لابن هشام (ص٥٨٩).

يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥٓۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ ....

﴿١٢﴾ ﴿يَدْعُواْ﴾: يَعبُدُ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ مِن الصَّنَم ﴿مَا لَا يَضُرُّهُۥ﴾ إن لَم يَعبُدْهُ، ﴿وَمَا لَا يَنفَعُهُۥٓۚ﴾ إن عَبَدَهُ، ﴿ذَٰلِكَ﴾ الدُّعاء ﴿هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ عن الحقِّ.

﴿١٣﴾ ﴿يَدْعُواْ لَمَن﴾ ـ اللَّام زائدةٌ ـ ﴿ضَرُّهُۥٓ﴾ بِعبادَتِه ﴿أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦۚ﴾ إن نَفَعَ بِتَخَيُّلِهِ، ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ هو أي: النَّاصِر ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾: الصَّاحِب هو، وعَقَّبَ ذِكر الشَّاكِّ بِالخُسرانِ بِذِكرِ المُؤمِنِين بِالثَّواب في:

حاشية الصاوي

قوله: (من الصنم) لا مفهوم له، بل مثلُهُ كلُّ مخلوق، والحاصل: أنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخُصوص السبب، فهذه الآية تقال أيضاً لمن التجأ للمخلوق وتَرك الخالق معتمداً على ذلك المخلوق، وأما الالتجاء لِلمخلوق من حيث إنه مَهبط الرحمات كمواصلة آل البيت والأولياء والصالحين.. فهو مطلوبٌ، وهو في الحقيقة التجاءٌ للخالق، يُقرِّب ذلك: أنَّ الله تعالى أمرنا بالجلوس في المساجد، والطواف بالبيت، وقيام ليلة القدر ونحوها، وما ذاك إلا للتعرض لِلرحمة النازلة في تلك الأماكن والأزمان؛ فلا فرق بين الأشخاص وغيرها، فهُم مَهبط الرحمات، لا منشؤها، تأمَّل.

قوله: (اللام زائدة) أي: و(مَنْ): مفعول ﴿يَدْعُواْ﴾، و﴿ضَرُّهُۥٓ﴾: مبتدأ، و﴿أَقْرَبُ﴾: خبره، والجملة صلة (مَنْ)[1].

إن قلتَ: إنه أثبت الضرَّ والنفع هنا، ونفاهما فيما تقدَّم[2]؛ فقد حَصل التعارض والتناقض.

أجيب: بأنَّ النفي باعتبار ما في نفس الأمر، والإثبات باعتبار زَعمهم الباطل.

قوله: (هو) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ المخصوص بالذمِّ محذوفٌ.

قوله: (وعقَّب ذكر الشاكِّ بالخسران) الجارُّ والمجرور حال من (الشاك)، والباء: للملابسة، وقوله: (بذكر المؤمنين) متعلق بـ(عقَّب)، والمعنى: لما ذكر الشاكَّ في الدين حال كونه ملتبساً بالخسران.. ذكَر عقبه المؤمنين وما أعدَّ لهم من الثواب الجزيل.

---

(١) ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى وجهٌ من وُجوه عشرة في إعراب هذه الآية، ذكرها السمين الحلبي في «الدر المصون» (٨/٢٣٨).

(٢) أي: بقوله تعالى: ﴿يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥٓۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ١٤ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ﴾ ....

(١٤) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مِن الفُرُوض والنَّوافِل ﴿جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ مِن إكرامِ مَن يُطِيعُهُ وإهانةِ مَن يَعصِيه.

(١٥) ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾ أي: مُحمَّداً نَبِيَّه ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ﴾: بِحَبلٍ ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: سَقفِ بَيته يَشُدُّهُ فِيهِ وفي عُنُقِه، ﴿ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ﴾ أي: لِيَختَنِق بِه بِأن يَقطَعَ نَفَسه مِن الأرض ....

حاشية الصاوي

قوله: (من الفروض) أي: وهي ما أُمِرَ بها المكلَّف أمراً جازماً يترتَّب على فعلها الثوابُ، وعلى تركها العقابُ، وقوله: (والنوافل) هي: ما أُمِرَ بها الشخص أمراً غير جازم يترتَّب على فعلها الثوابُ، وليس في تركها عقابٌ.

قوله: (﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ﴾) أي: من تحت قُصورها.

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾) أي: فلا معقِّب لحكمه، ولا يُسأل عمَّا يفعل.

قوله: (﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾) هذه الآية مُرتبطةٌ بقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾، وأمَّا قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ...﴾ إلخ.. فهو معترضٌ بين أوصاف الشاك؛ لِجَري عادة الله بذكر أهل الوعد إثرَ أهل الوعيد، والمعنى: من كان يظنُّ من الكفار والشاكِّين في دينهم أنَّ الله لا يَنصر محمداً في الدنيا والآخرة.. فليَأت بحبلٍ يشدُّه في سقف بيته وفي عنقه، ثم يختنق به حتى يموت، فليَنظر هل فعله هذا يُذهِبُ غيظه وهو نصرة محمد؟ فالإتيان بالحبل والاختناق به كنايةٌ عن كونه يموت غيظاً، فيكون بمعنى قولِه تعالى: ﴿قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ﴾ [آل عمران: ١١٩]، وهذا هو المشهور في تفسير الآية؛ ولِذا مشى عليه المفسِّر.

وقيل: إنَّ المعنى: من كان يظنُّ أن لن يَنصر الله محمداً.. فليَطلب حيلةً يصل بها إلى السماء، ثم ليقطع النصر عنه، وينظر؛ هل يُذْهِبُ ما احتال به غيظه إن أمكنه ذلك؟

قوله: (بأن يقطع نفسه) بالتحريك، وهو إشارةٌ إلى أنَّ مفعول (يقطع) محذوف.

﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ۝١٥ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ۝١٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ....

كما في «الصِّحاح»، ﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ﴾ في عَدَمِ نُصرةِ النَّبيِّ ﴿مَا يَغِيظُ﴾ مِنها، المَعنَى: فليَختَنِق غَيظاً مِنها فلا بُدَّ مِنها.

﴿١٦﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: مِثل إنزالِنا الآياتِ السَّابِقةَ ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي: القُرآنَ الباقِيَ ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾: ظاهِرات ـ حال ـ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾ هُداهُ، ـ مَعطُوف على هاء ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ ـ.

﴿١٧﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ هُم اليَهُود ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾: طائفةٌ مِنهُم ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بِإدخالِ المُؤمِنينَ الجَنَّةَ وإدخالِ غَيرهم النَّارَ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (كما في «الصَّحاح») راجعٌ لجميع ما ذكر من قوله: (بحبل إلى السماء... إلخ)، و«الصَّحاح» بفتح الصاد: اسم كتاب في اللغة، للإمام أبي النصر إسماعيل بن حماد الجوهري.

قوله: (﴿مَا يَغِيظُ﴾) ﴿مَا﴾: اسم موصول، صفة لموصوف محذوف، و﴿يَغِيظُ﴾: صلته، والعائد محذوف، والتقدير: الشيء الذي يغيظه.

قوله: (منها) بيان لـ(ما) الواقعة على نُصرة النبي.

قوله: (حال) أي: من الهاء في ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾.

قوله: (على هاء ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾) أي: فالمعنى: وأنزلنا أنَّ الله يَهدي من يريد؛ أي: ويضلُّ من يريد؛ ففي الآية اكتفاءٌ.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾... إلخ) أي: فالأديان ستة: واحد لِلرحمن، وأصحابُهُ في الجنة، وخمسة للشيطان، وأصحابُها في النار.

قوله: (﴿وَٱلْمَجُوسَ﴾) قيل: هم قومٌ يعبدون النار ـ وقيل: الشمس ـ ويقولون: العالم له أصلان: النور، والظلمة، وقيل: هم قومٌ يستعملون النجاسات، والأصل: نَجوس، أبدلت النون ميماً.

قوله: (طائفة منهم) أي: من اليهود، وقيل: هم طائفة من النصارى.

إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ....

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ مِن عَمَلِهم ﴿شَهِيدٌ﴾: عالِم به عِلمَ مُشاهَدةٍ.

﴿١٨﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تَعلَمْ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ أي: تَخضَع لَهُ بِما يُراد مِنها، ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ وهُم المُؤمِنُون بِزِيادة على الخُضُوع في سُجُودِ الصَّلاة، ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ وهُم الكافِرُون؛ لِأَنَّهُم أبَوا السُّجُودَ المُتوقِّفَ على الإيمان، ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ﴾: يُشْقِهِ ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾: مُسعِدٍ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ مِن الإهانةِ والإكرامِ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾) تعليل لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾.

قوله: (عالم) أشار بذلك إلى أنَّ الشهيد معناه: الذي لا يَغيب عنه شيء.

قوله: (﴿وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ﴾) عطف خاص على قوله: ﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، ونصَّ عليها؛ لما ورد: أنَّ بعضهم كان يَعبدها.

قوله: (﴿وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾) عطف خاص على ﴿مَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾، وخصَّها بالذكر؛ لأن بعضهم كان يَعبدها.

قوله: (أي: تخضع له) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بالسجود: الخضوع والانقياد، وهو أحد قولين، وقيل: المراد بالسجود: حقيقته؛ لأنه وَرد: «ما من السماء نجمٌ ولا شمسٌ ولا قمرٌ إلا يقع ساجداً حين يغيب، ثم لا يَنصرف حتى يؤذن له»[1]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [الرعد: ١٥].

قوله: (﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾) أشار المفسِّر إلى أنه معطوف على فاعل ﴿يَسْجُدُ﴾.

قوله: (يُشْقِهِ) أي: يختم عليه الشقاء، وهو: عدم الاهتداء.

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾) أي: فلا حرج عليه، ولا مُنازع له في حكمه.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٨٦) من حديث أبي العالية ﷺ. وانظر «الدر المنثور» (٦/ ١٨).

هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ ....

(١٩ - ٢٠) ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ أي: المُؤمِنُونَ خَصمٌ والكُفَّار الخَمسةُ خصمٌ، وهو يُطلَق على الواحِد والجَماعةِ، ﴿ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ أي: في دِينِه، ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ يَلبَسُونَها، يَعني أُحِيطت بِهم النارُ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾) اسم الإشارة يعود على المؤمنين والكفار؛ كما قال المفسِّر، وسبب نزولها: تخاصُم حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث مع عتبة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، فكان كلٌّ من الفريقين يسبُّ دين الآخر.

وقيل: نزلت في المسلمين وأهل الكتاب؛ حيث قال أهل الكتاب: نحن أولى بالله وأقدم منكم كتاباً، ونبيُّنا قبل نبيِّكم، وقال المسلمون: نحن أحقُّ بالله منكم، آمنَّا بنبينا محمد ﷺ ونبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأنتُم تعرفون كتابنا ونبيَّنا وكفرتم حسداً[١].

واختُلف؛ هل هذا الخصام في الدنيا والتعقيب بقوله: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟...﴾ إلخ باعتبار تحقق مَضمونه، أو في الآخرة بدليل التعقيب؛ ولِذا قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: أنا أول من يجثو يوم القيامة للخصومة بين يدَي الله تعالى؟[٢]

قوله: (وهو يُطلق على الواحد والجماعة) أي: لأنه مصدر في الأصل، والغالب استعماله مفرداً مذكراً، وعليه قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ [ص: ٢١]، ويثنَّى ويجمع كما هُنا.

قوله: (﴿ٱخْتَصَمُوا۟﴾) جمعه باعتبار ما احتوى عليه الفريق من الأشخاص، فالجمع باعتبار المعنى كقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [الحجرات: ٩].

قوله: (أي: في دِينه) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف.

قوله: (﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾) أي: قُدرت على قدر جُثثهم؛ ففي الكلام استعارةٌ تمثيليَّةٌ؛ حيث شبَّه إعداد النار وإحاطتها بهم بتفصيل ثياب لهم وسترها لأبدانهم.

وجمع الثياب؛ لأنَّ تراكم النار عليهم كالثياب الملبُوس بعضها فوق بعض، وهو أبلغ من مقابلة الجمع بالجمع.

---

(١) انظر أسباب النزول في «زاد المسير» (٣/ ٢٢٨).

(٢) انظر «تفسير الثعالبي» (٤/ ١١٣).

﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ١٩ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ٢٠ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ٢١ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ٢٢﴾

﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾: الماءُ البالِغ نِهايةَ الحَرارةِ، ﴿يُصْهَرُ﴾: يُذابُ ﴿بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ﴾ مِن شُحُومٍ وغَيرِها ﴿وَ﴾ تُشوَى به ﴿ٱلْجُلُودُ﴾.

(﴿٢١﴾ - ﴿٢٢﴾) ﴿وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ لِضَربِ رُؤُوسِهِم. ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا﴾ أي: النَّارِ ﴿مِنْ غَمٍّ﴾ يَلحَقُهُم بِها ﴿أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ رُدُّوا إلَيها بِالمَقامِعِ، ﴿وَ﴾ قِيل لَهُم: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ أي: البالِغَ نِهايةَ الإحراقِ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾) أي: لما ذكر أنَّ الثياب تغطي الجسد غير الرأس.. ذكر ما يصيب الرأس، ولما ذكر ما يُصيب ظاهر الجسد.. ذكر ما يصيب باطنَه وهو الحميم الذي يُذيب ما في البطون من الأحشاء؛ لما في الحديث: «**إن الحميم لَيُصبُّ من فوق رؤوسهم فيَنفذ من جمجمة أحدهم حتى يخلصَ إلى جوفه، فيَسلت ما في جوفه حتى يمرُق من قدميه وهو الصَّهر، ثم يعاد كما كان**»[(١)].

قوله: (﴿وَ﴾ تُشوَى به ﴿ٱلْجُلُودُ﴾) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿ٱلْجُلُودُ﴾ مرفوعٌ بفعل مقدَّر؛ لأنَّ الجلود لا تذاب، نظير: [الكامل]

علفتُها تبناً وماءً بارداً[(٢)]

أو يصح أن يكون معطوفاً على (ما) ويُراد بالإذابة: التقطيع.

قوله: (﴿وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ﴾) جمع مِقْمَعة بكسر الميم: آلة القَمع؛ أي: الضرب والزجر.

قوله: (﴿مِنْ غَمٍّ﴾) أي: من أجل حُصوله لهم.

قوله: (﴿أُعِيدُواْ فِيهَا﴾) أي: لما ورد: (أنَّ جهنم تفور بهم، فيصعدون إلى أعلاها، فيُريدون الخروج منها، فتضربهم الزبانية بمقامِع الحديد، فيَهوون فيها سبعين خريفاً)[(٣)].

قوله: (وقيل لهم) أي: تقول لهم الملائكة ذلك.

قوله: (﴿عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾) من إضافة الموصوف للصفة؛ أي: العذاب المحرق.

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٨٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، و(يسلت): يذهب ويمر، و(يمرق): يخرج.

(٢) تقدم الرجز والكلامُ عليه (٢/ ٥٤٣).

(٣) رواه ابن المبارك في «الزُّهد» (٢/ ٩٧) عن الحسن.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٢٣﴾ ....

﴿٢٣﴾ وقال في المُؤمِنين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤۡلُؤٗاۖ﴾ ـ بِالجرِّ أي: مِنهما ـ بِأن يُرَصَّعَ اللُّؤلُؤ بِالذَّهبِ، وبِالنَّصبِ عَطفاً على مَحَلِّ ﴿مِنۡ أَسَاوِرَ﴾، ﴿وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ﴾ هو المُحرَّم لُبسُه على الرِّجال في الدُّنيا.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾... إلخ) لم يقل في حقهم: (والذين آمنوا) عطفاً على قوله: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ إشارةً لِتعظيم شأن المؤمنين.

قوله: (﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾) جمع نهر، والمعنى: تجري من تحت قُصورهم.

قوله: (﴿مِنۡ أَسَاوِرَ﴾) (مِن): إمَّا زائدة، أو للتبعيض، أو لِبيان الجنس، وقوله: ﴿مِن ذَهَبٍ﴾ (مِن): لابتداء الغاية.

قوله: (بأن يرصع اللؤلؤ بالذهب) العبارة فيها قلب، والأصل: بأن يُرصع الذهب باللؤلؤ، وقيل: إنهم يلبسون الأساورَ من النوعين الذهب واللؤلؤ، وفي آيةِ (هل أتى): ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ﴾ [الإنسان: ٢١]، فهم يَلبسونها من الأنواع الثلاثة؛ لما وردَ: «أنَّ المؤمن يُسوَّر في الجنة بثلاثة أسوِرة: سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسِوار من لؤلؤ»[(١)]، وفي الحديث: «**تَبلغ حلية المؤمن حيث يبلغ الوضوء**»[(٢)].

قوله: (﴿وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ﴾) غايَر الأسلوب؛ حيث لم يقل: (ويلبسون فيها حريراً)؛ إشارةً إلى أنَّ الحرير ثيابهم المعتادة في الجنة؛ فإنَّ العدولَ إلى الجملة الاسمية يدلُّ على الدوام.

قوله: (وهو المُحرم لبسه على الرجال في الدنيا) أي: يُوصلهم الله في الآخرة إلى ما حرَّمه عليهم في الدنيا، قال عليه الصلاة والسلام: «**مَن لبس الحرير في الدنيا.. لم يَلبسه في الآخرة**»[(٣)].

واختُلف في معنى الحديث؛ فقيل: لم يلبسه في الآخرة إذا مات مصرًّا ودخل النار؛ فلا ينافي

---

(١) رواه ابن شاهين في «الترغيب في فضائل الأعمال» (٥٦٧) عن سيدنا جابر رضي الله عنه.

(٢) رواه النسائي في «المجتبى» (١/ ٩٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٥٨٣٢)، ومسلم (٥٤٧٦) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ ....

﴿٢٤﴾ ﴿وَهُدُوٓاْ﴾ في الدُّنيا ﴿إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ وهو «لا إلَه إلَّا الله»، ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ أي: طَريقِ الله المَحمُودة ودِينه.

﴿٢٥﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: طاعَتِه ﴿وَ﴾ عن ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ﴾ ....

حاشية الصاوي

أنه إذا دخل الجنة.. يَلبسه، وقيل: لم يلبسه أصلاً ولو دخل الجنة، بل يتنعَّم بغير الحرير، وأما هو.. فلا يَشتهيه فيها. والمعتمد: الأول، وكذا يقال في الأحاديث الوارِدة فيمن شرب الخمر، ولبس الذهب[1].

قوله: (وهو لا إله إلا الله) أي: مع عَديلتها: محمد رسول الله، فهي أفضل القول؛ لما في الحديث: «**أفضل ما قلتُه أنا والنبيُّون من قبلي: لا إله إلا الله**»[2] فهي رأس المال لِذاكرها، ولا يقبل شيءٌ من الأعمال إلا بها؛ فمَن مات عليها.. حصَلت له السعادة والسيادة، نسأل الله تعالى الثبات عليها في الدنيا والآخرة بمنِّه وكرَمه.

قوله: (﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾) أي: وهو دين الإسلام، وسمي صراطاً؛ لأنه طريق يُوصل إلى رضا الله تعالى.

قوله: (أي: طريق الله المحمودة) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ وصفٌ لله تعالى، ومعناه: المحمود في أفعاله.

قوله: (﴿وَيَصُدُّونَ﴾) معطوف على ﴿كَفَرُواْ﴾ ففيه عطف المستقبل على الماضي، وحينئذٍ: فإمَّا أن يراد بالماضي المضارع، أو يُجرد المضارع عن معناه؛ بأن يراد به الثبوت والاستمرار؛ لتناسب العطف، وهذا هو الأحسَن، ولا يصح جعل جملة ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ حالاً؛ لأنَّ الجملة المضارعة المثبتة إذا وقعت حالاً لا تُقرن بالواو، قال ابن مالك[3]: [الرجز]

---

(١) حديث شارب الخمر رواه البخاري (٥٥٧٥)، ومسلم (٥٢٦٦) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما، وأما حديث لبس الذهب.. فرَواه الإمام أحمد في «مسنده» (١١٦/١١) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) رواه الترمذي (٣٥٨٥) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) «الخلاصة» (ص٣٣)، باب: الحال.

لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ ....

مَنسكاً ومُتعبَّداً ﴿لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ﴾: المُقِيمُ ﴿فِيهِ وَٱلْبَادِۚ﴾: الطَّارِئُ، ....

حاشية الصاوي

وذاتُ بدءٍ بمضارعٍ ثبتْ حوَتْ ضميراً ومِنَ الواوِ خلَتْ

ولا جعل الواو زائدةً؛ لأنَّ الأصل عدمها، وخبر (إن) محذوف يُقدَّر بعد قوله: ﴿وَٱلْبَادِۚ﴾؛ لدلالة قوله: ﴿نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، والتقدير: نُذيقهم من عذاب أليم كما سيأتي للمفسِّر.

قوله: (منسكاً) قدَّره؛ إشارةً إلى أن مفعول (جعلنا) الثاني محذوف، وقوله: (ومتعبداً) عطفُ تفسيرٍ.

قوله: (﴿لِلنَّاسِ﴾) ظرف لغو إمَّا متعلق بـ(منسكاً) الذي قدَّره المفسر، أو بـ(جعَلنا)، وهذا التقدير إنما هو لإيضاح المعنى، وإلا.. فيَصح جعل جملة ﴿سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ﴾ مفعولاً ثانياً، وعلى ما قدَّره المفسِّر تكون حاليةً.

قوله: (﴿سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ﴾) ﴿سَوَآءً﴾: بالرفع خبر مقدَّم، و﴿ٱلْعَٰكِفُ﴾ وما عطف عليه: مبتدأ مؤخَّر، وقرأ حفص بالنصب فيُعرب حالاً[1]، و﴿ٱلْعَٰكِفُ﴾: مرفوع على الفاعلية لـ﴿سَوَآءً﴾؛ لأنه مصدر وصف به، فهو في قوة اسم الفاعل المشتق تقديره: جعلناه مُستوياً فيه العاكف... إلخ.

والمعنى: أنَّ المقيم في المسجد والطارئ سواءٌ في النزول به؛ فمَن سبق إلى مكان فيه.. فهو حقُّه لا يقيمه منه غيره، وليس المراد: أنَّ دُورَ مكة غيرُ مملوكةٍ لأربابها؛ فالغريب وأهل البلد سواءٌ فيها، بل هي مملوكة لأربابها، ويجوز بيعُها وإجارتها.

قوله: (﴿وَٱلْبَادِۚ﴾) بإثبات الياء وصلاً ووقفاً، أو حذفها فيهما، أو حذفها وقفاً وإثباتها وصلاً، ثلاث قراءات سبعيَّات[2]، وقوله: (الطارئ) دفع به ما يُتوهم من قوله: (البادي): أن المراد به ساكن البادية، بل المراد به: الطارئ كان من البادية أو لا، وإنما سمِّي الطارئ بادياً؛ لأنه لا يأتي إليها إلَّا من البادية.

---

(١) هذا إن قُلنا: إن (جعل) يتعدى لواحد، وإن قُلنا: إنه يتعدى لاثنين.. كان (سواء) مفعولاً ثانياً. انظر «الدر المصون» (٨/ ٢٥٨).

(٢) أثبت ابن كثير الياء وصلاً ووقفاً، وأثبتها أبو عمرو وورش وصلاً وحذفاها وقفاً، وحذفها الباقون وصلاً ووقفاً، وهي محذوفة في الإمام. انظر «الدر المصون» (٨/ ٢٥٩).

وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادِۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا ....

﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ ـ الباءُ زائدةٌ ـ ﴿بِظُلْمٍ﴾ أي: بِسَبَبِه، بِأن ارتكَبَ مَنهيًّا ولَو شَتَمَ الخادِمَ، ﴿نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: مُؤلِم، أي: بَعضَه، ومِن هذا يُؤخَذ خَبَر ﴿إِنَّ﴾، أي: نُذِيقهُم مِن عَذاب ألِيم.

﴿٢٦﴾ ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿إِذْ بَوَّأْنَا﴾: بَيَّنَّا ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ﴾) أي: يَقصد في المسجد الحرام.

قوله: (﴿بِإِلْحَادٍ﴾) أي: عدول عن الاعتدال.

قوله: (الباء: زائدة) أي: في المفعول.

قوله: (﴿نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾) أي: في الآخرة إلا أن يتوبَ، وأُخِذَ منه: أنَّ السيئة في مكة أعظمُ من السيئة في غيرها، ومِن هنا: كره مالك المجاورة في مكة لغير أهلها، ونَدَبها بالمدينة[(١)].

قوله: (ومن هذا) أي: جوابِ الشرط.

قوله: (يؤخذ خبر ﴿إِنَّ﴾) أي: ويكون مقدَّراً بعد قوله: (والبادي).

قوله: (واذكر) قدَّره؛ إشارةً إلى أن قوله: ﴿بَوَّأْنَا﴾ ظرف لمحذوف.

قوله: (بيَّنَّا لإبراهيم مكان البيت) أي: أريناه أصلَهُ؛ ليبنِيَهُ حين أسكن ولده إسماعيل وأمَّه هاجر في تلك الأرض وأنعَم الله عليهما بزمزم، فدعا الله بعمارة هذا البيت، فبعث الله له ريحاً هفافة، فكشفت عن أساس آدم، فرتَّب قَواعده عليه؛ لأنَّ أساسه في الأرض كما قيل: ثلاثون ذراعاً بذراع آدم، وقيل: بعث الله تعالى سحابة بقدر البيت فقامَت بحذاء البيت، وفيه رأس يتكلم: يا إبراهيم؛ ابْنِ على دُوري، فبنى عليه، وجعل طوله في السماء سبعة أذرع بذارعه، وأدخل الحجر في البيت، ولم يجعل له سقفاً، وجعل له باباً، وحفر له بئراً يلقى فيه ما يهدى للبيت، وبناه قبله شيث، وقبل شيث آدم، وقبل آدم الملائكة، ثم بعد إبراهيم بناها العمالقة، ثم جُرهم، ثم قصي، ثم قريش، ثم ابن الزبير، ثم الحجاج، وهي باقية الآن على بنائه، ثم يَهدمها في آخر الزمان ذو السويقتين، فيُجدِّدها عيسى بن مريم عليه السلام.

---

(١) انظر «بلغة السالك لأقرب المسالك» (٢/ ٢٦٦).

لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا ....

﴿لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ لِيبنِيَهُ، وكان قد رُفِعَ زَمَنَ الطُّوفانِ، وأمَرناهُ ﴿أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ﴾ مِن الأوثانِ ﴿لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ﴾: المُقِيمين بِه، ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾: جَمع راكِع وساجِد: المُصَلِّين.

﴿٢٧﴾ ﴿وَأَذِّن﴾: نادِ ﴿فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ﴾ فنادَى على جبل أبي قُبَيس: يا أيُّها النَّاس إنَّ رَبَّكُم بَنَى بَيتاً وأوجبَ عَلَيكُم الحَجَّ إلَيهِ، فأجِيبُوا رَبَّكُم، والتَفَتَ بِوَجهِهِ يَميناً وشِمالاً وشَرقاً وغَرباً، فأجابَهُ كُلُّ مَن كُتِبَ لَه أن يَحُجَّ مِن أصلابِ الرِّجال وأرحامِ الأُمَّهات: لَبَّيكَ اللَّهُمَّ لَبَّيكَ، وجَوابُ الأمر: ﴿يَأۡتُوكَ رِجَالٗا﴾: مُشاةً، جمعُ راجِل كـ(قائمٍ وقِيام)،

حاشية الصاوي

قوله: (وأمرناه) قدَّره؛ إشارةً إلى أن قوله: ﴿أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي﴾ معمول لمحذوف، وذلك المحذوف معطوف على ﴿بَوَّأۡنَا﴾.

قوله: (من الأوثان) قيل: المراد بها الأصنام؛ لأنَّ جُرهماً والعمالقة كانت لهم أصنام في محل البيت قبل أن يبنيَهُ إبراهيم عليه السلام، وقيل: المراد: نَزِّهه عن أن يُعْبَدَ فيه غيره تعالى، فهو كناية عن إظهار التوحيد، ويَصح أن يكون المراد: طهِّره من الأقذار والأنجاس والدماء وجميع ما تَنفر منه النفوس.

قوله: (﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ﴾) أي: بالدعاء إليه، والأمر به.

قوله: (على جبل أبي قبيس) أي: فلمَّا صعد للنداء.. أخفَضت الجبال رؤوسها، ورفعت له القرى، فنادى في الناس بالحج، فأوَّل من أجابه أهل اليمن، فليس حاجٌّ من يومئذٍ إلى يوم تقوم الساعة إلا من أجاب إبراهيم عليه السلام يومئذ، فمن لبَّى مرة.. حجَّ مرة، ومن لبَّى مرتين.. حجَّ مرتَين، ومن لبَّى أكثر.. حجَّ بقدر تَلبيَته.

قوله: (لبيك اللهم لبيك) أي: أجَبتك إجابةً بعد إجابة.

قوله: (﴿يَأۡتُوكَ﴾) أي: يأتوا مكانك؛ لأنَّ المقصود إتيانُ البيت لا إتيان إبراهيم، وقوله: (﴿رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ﴾) ليس فيه دليلٌ على أنَّ راكب البحر لا يجب عليه الحج؛ لأنَّ مكة ليست في البحر، وإنما يُتوصل إليها على إحدى هاتين الحالتين.

وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ....

﴿وَ﴾ رُكباناً ﴿عَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ أي: بَعِيرٍ مَهزُول، وهو يُطلَق على الذَّكَر والأُنثى، ﴿يَأْتِينَ﴾ أي: الضَّوامِرُ حَملاً على المَعنى ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾: طَرِيقٍ بَعِيد.

﴿٢٨﴾ ﴿لِّيَشْهَدُوا﴾ أي: يَحضُرُوا ﴿مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ في الدُّنيا بِالتِّجارة، أو في الآخِرة أو فِيهِما، أقوال، ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ أي: عَشر ذِي الحِجَّة أو يَوم عَرَفَةَ أو يَوم النَّحر إلى آخِرِ أيَّام التَّشرِيق، أقوالٌ، ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾) التضمير في الأصل: أن تَعلف الفرس حتى تسمن ثمَّ تقلَّل عنه الأكل شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى حد القُوت، وحينئذٍ: فيكون سريع الجري.

وقدَّم الراجل؛ لما وَرد: «أنَّ له بكل خُطوة سبع مئة حسنة من حسنات الحرم، كل حسنة مئة ألف حسنة، وللراكب بكل خطوة سَبعون حسنة»[١]، وأخذ الشافعي من هذا الحديث أنَّ المشي أفضل من الركوب، وقال مالك: الركوب أفضَل؛ لأنه أقرب للشكر، ولأنَّ رسول الله ﷺ حجَّ راكباً، ولو كان المشي أفضَل.. لَفعله رسول الله ﷺ، وأجاب عن الحديث: بأنه مَزية، وهي لا تقتضي الأفضلية[٢].

قوله: (حملاً على المعنى) أي: حيث ألحق الفعل العلامة، ولو راعى اللفظ.. لقال: (يأتي).

قوله: (بالتجارة) أي: لأنها جائزةٌ للحاجِّ من غير كراهة إذا لم تكُن مقصودةً بالسفر.

قوله: (﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾) أي: عند إعداد الهدايا وذَبحها.

قوله: (عشر ذي الحجة) أي: وسمِّيت معلومات؛ لحرص الحُجاج على علمها؛ لأنَّ وقت الحج في آخرها.

قوله: (إلى آخر أيام التشريق) راجع للقولَين قبله.

قوله: (﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم﴾) أي: لأجل ما رَزقهم.

---

(١) رواه الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (١٠/ ٥١) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر «المجموع» (٧/ ٩١)، و«الشرح الكبير» للدردير (٢/ ١٠).

﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ﴾ ....

الإبِل والبَقَر والغَنَم التي تُنحَرُ في يوم العِيد وما بَعدَه مِن الهَدايا والضَّحايَا، ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا﴾ إذا كانَت مُستحَبَّة، ﴿وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ أي: الشَّدِيدَ الفقرِ.

﴿٢٩﴾ ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ﴾ أي: يُزِيلُوا أوساخَهُم وشَعَثَهم كطُولِ الظُّفُر، ﴿وَلْيُوفُوا۟﴾ ـ بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيد ـ ﴿نُذُورَهُمْ﴾ مِن الهَدايا والضَّحايا، ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟﴾ طَوافَ الإفاضةِ ﴿بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ أي: القَدِيم؛ لِأنَّهُ أوَّلُ بَيت وُضِعَ لِلنَّاس.

﴿٣٠﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ ـ خَبرُ مُبتَدأ مُقدَّر ـ أي: الأمرُ أو الشَّأنُ ذلك المَذكورُ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا﴾) أمرُ إباحةٍ؛ لمخالفة ما كانت عليه الجاهلية من عَدم الأكل من لحوم هداياهم، فأمَر الله بمخالفتهم.

واتفق العلماء على أنَّ الهدي إذا كان تطوعاً.. جاز الأكل منه، واختلفوا في الهدي الواجب؛ فقال الشافعي: لا يأكل منه، وقال مالك: يأكل من كلِّ هدي وجب عليه إلا مِن جزاء الصيد، وفِدية الأذى، والنذر إذا قصد به المساكين، وقال أصحاب أبي حنيفة: يأكل من دم التمتع والقِران، ولا يأكل من واجب سِواهما[1].

قوله: (﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ﴾) أي: بعد تمام حجِّهم وتَحللهم؛ لأنَّ الواجبَ فعلُهُ يوم النحر أربعة أشياء على الترتيب: الرمي، فالنَّحر، فالحَلق، فطواف الإفاضة، فبعد الفراغ منها حلَّ له كل شيء كان محرَّماً عليه قبل الإحرام.

قوله: (بالتشديد والتخفيف) هما قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (لأنه أول بيت وضع) وقيل: سمِّي عتيقاً؛ لأنَّ الله أعتَقه من تسلُّط الجبابِرة عليه، ومن الغرق؛ لأنه رُفِعَ أيام الطوفان.

قوله: (أي: الأمر والشأن ذلك) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ خبرٌ لمحذوف، وهذا على عادة الفُصحاء؛ إذا ذكروا جملة من الكلام ثمَّ أرادوا الخوض في كلام آخر.. يَقولون: هذا وقد كان كذا، فهو يذكر للفصل بين كلامين، أو بين وجهَي كلام واحد.

---

(١) انظر «روضة الطالبين» (٣/٢٢١)، و«بُلغة السالك» (٢/١٢٦)، و«حاشية ابن عابدين» (٢/٦١٦).

(٢) قرأ أبو بكر: «وليوفُّوا» بالتشديد، والباقون بالتخفيف. انظر «الدر المصون» (٨/٢٨).

﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾ ....

﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ هي ما لا يَحِلُّ انتِهاكُه، ﴿فَهُوَ﴾ أي: تَعظِيمُها ﴿خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ﴾ في الآخِرةِ، ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ أكلاً بَعد الذَّبح ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْۖ﴾ تَحرِيمُه في ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ. . .﴾ الآية [المائدة: ٣]، فالاستِثناءُ مُنقَطِع، ويَجُوز أن يَكُونَ مُتَّصِلاً، والتَّحرِيم لِما عَرَضَ مِن المَوت ونَحوِه، ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ ـ (مِن) لِلبَيانِ ـ أي: الَّذِي هو الأوثانُ، ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (هي ما لا يحل انتهاكه) أي: وهي التكاليف التي كلَّف الله بها عباده من واجِب وسنة ومندوب ومكروه وحرام، وتعظيمها كنايةٌ عن قبولها والخضوع لها؛ فتعظيمُهُ في الواجب والسنة والمندوب فعلُ كلٍّ، وفي المكروه والحرام تركُ كلٍّ، بل وترك ما يؤدِّي لذلك.

قوله: (﴿خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾) أي: قربةٌ وطاعةٌ يثاب عليها في الآخرة، واسم التفضيل على بابه بِاعتبار ما يَزعمه أهل اللهو والفسوق؛ من أنَّ من أَطلق نفسه في الشهوات. . فقد أصاب حظَّه، فهو خيرٌ باعتبار ما عندهم، لا باعتبار ما عِند الله؛ لما ورد: «رُبَّ شهوةِ ساعةٍ أورثت حزناً طويلاً»[1].

قوله: (﴿ٱلْأَنْعَٰمُ﴾) أي: الإبل والبقر والغنم.

قوله: (بعد الذبح) أي: أو النَّحر والعقر.

قوله: (﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْۖ﴾) أي: إلا مدلول الآية التي تتلى عليكم.

قوله: (فالاستثناء منقطع) أي: ووجهه: أنَّ في الآية ما ليس من جنس الأنعام كالدم ولحم الخنزير.

قوله: (ويجوز أن يكون متصلاً) أي: ووجهه العموم في قوله: ﴿ٱلْأَنْعَٰمُ﴾؛ لأنَّ ظاهره حلُّ الأنعام مُطلقاً ولو مُنخنقة وموقوذة ومتردِّية، فأفاد أنَّ الحلال ما عدا ما في الآية.

قوله: (﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ﴾) هو في الأصل: القذر والأوساخ، وعبادة الأوثان قذرٌ معنويٌّ.

قوله: (﴿قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾) تعميمٌ بعد تخصيصٍ؛ لأنَّ عبادة الأوثان رأس الزُّور.

---

(١) رواه البيهقي في «الشعب» (١٣٨٨) عن سيدنا أبي البجير رضي الله عنه.

حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا ....

أي: الشِّركَ باللهِ في تلبِيَتِكُم أو شَهادةَ الزُّور.

﴿٣١﴾ ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾: مُسلِمين عادِلِينَ عَن كُلِّ دِين سِوَى دِينِه، ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ - تأكِيد لِما قَبله، وهُما حالانِ مِن الواو -، ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ﴾: سَقَطَ ﴿مِنَ السَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾ أي: تَأخُذهُ بِسُرعةٍ، ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ﴾ أي: تُسقِطُه ﴿فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾: بَعِيدٍ، فهو لا يُرجَى خَلاصُه.

﴿٣٢﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ - يُقدَّر قَبله (الأمرُ) مُبتَدأً - ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا﴾ أي: فإنَّ تَعظِيمها وهي البُدنُ التي تُهدَى لِلحَرَمِ بِأن تُستَحسَن وتُستَسمَنَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: الشركَ بالله في تلبيتهم) أي: فإنهم كانوا يَقولون: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك، تملِكه وما ملك.

قوله: (أو شهادةَ الزُّورِ) أي: الشهادةَ بما لا يعلَم حقيقته.

قوله: (﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾) أي: مخلصين له.

قوله: (حالان من الواو) أي: في ﴿اجْتَنِبُوا﴾، لكن الأولى مؤسِّسة، والثانية مؤكِّدة.

قوله: (﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾... إلخ) هذا مثلٌ ضربه الله تعالى للمشرك، والمعنى: أنه شبَّه حال المشرك بحال الهاوي من السماء في أنَّ كلاً لا يملك لنفسه حِيلة حتى يقع، فهو هالك لا محالة؛ إما بِتخطُّفِ الطير لحمَهُ، أو تفرقة الرياح لأجزائه في أمكِنَة بعيدة لا يرجى خلاصُه.

قوله: (يقدَّر قبله: الأمرُ، مبتدأً) أي: واسمُ الإشارة خبرٌ، نظير ما تقدَّم.

قوله: (﴿شَعَٰٓئِرَ اللَّهِ﴾) جمع شعيرةٍ، أو شِعَارَةٍ.

قوله: (وهي البُدْنُ) فسَّرها بذلك وإن كانت الشعائرُ في الأصل أعلامَ الحج وأفعالَهُ؛ مراعاةً للسياق.

قوله: (بأن تستحسن) أي: تختار حَسنة؛ بأن تكون غالية الثمن؛ لما روي: (أنَّ عمر أهدى نجيبةً طُلبت منه بثلاث مئة دينار)[1].

(١) رواه أبو داوود (١٧٥٦) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وفيه (نجيباً) بدل (نجيبة)، وهو الفاضل من كل حيوان.

مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ....

﴿مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ مِنهُم، وسُمِّيَت شَعائرَ لِإشعارِها بِما تُعرف بِه أنَّها هَديٌ، كطَعنِ حَديدةٍ بِسنامِها.

﴿٣٣﴾ ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ كرُكُوبِها والحَمل علَيها ما لا يَضُرُّها، ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: وقتِ نَحرِها، ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ﴾ أي: مَكان حِلِّ نَحرِها ﴿إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ أي: عِنده، والمُراد الحَرَم جَميعُه.

﴿٣٤﴾ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ أي: جَماعةٍ مُؤمِنة سَلَفَت قَبلكُم ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ ـ بِفَتح السِّين مَصدَر، وبِكَسرِها اسمُ مَكان ـ أي: ذَبحاً قُرباناً أو مَكانَه؛ ﴿لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ عِندَ ذَبحِها، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾) أي: مِن امتثال الأوامر واجتناب النواهي، وقوله: (منهم) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ العائد محذوف.

قوله: (بما تعرف به) أي: بعلامةٍ يُعْرَفُ بها أنها هَدي.

قوله: (كطعن حديدة بسنامها) أي: وشقِّ الجلال وإخراج السنام من الشَّق، وكتعليق النعال في رقبتها.

قوله: (كركوبها والحمل عليها) أي: وشُرب لبنها الفاضل عن ولدها.

قوله: (أي: عنده) أشار بذلك إلى أن ﴿إِلَىٰٓ﴾ بمعنى (عند).

قوله: (والمراد: الحرم جميعه) أي: لا خُصوص الكعبة.

قوله: (أي: ذبحاً قرباناً) مفعول للمصدر الذي هو (ذبحاً)، والمعنى: أن يَذبحوا القربان، وقيل: معنى ﴿مَنسَكًا﴾: نوعاً من التعبُّد والتقرب.

قوله: (﴿لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾) معناه: أمرناهم عند ذبائحهم بذكر الله.

قوله: (﴿مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾) أي: عند ذبحها ونحرِها.

﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ۝٣٤ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣٥ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ ....

﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾: انقادوا، ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾: المُطيعين المُتواضِعين.

٣٥ ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ﴾: خافت ﴿قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ﴾ مِن البَلايا، ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾ في أوقاتِها، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾: يتصدَّقُون.

٣٦ ﴿وَالْبُدْنَ﴾: جَمع بَدَنة وهي الإبلُ ﴿جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾: أعلامِ دِينه، ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾: نَفعٌ في الدُّنيا كما تَقدَّمَ، وأجرٌ في العُقبى. ....

حاشية الصاوي

قوله: (انقادوا) أي: خَضعوا، وفوَّضوا أمورهم إليه، ورضوا بأحكامه[1].

قوله: (المُتواضعين) هذا أصل معناه؛ لأنَّ الإخبات: نزول الخبْتِ، وهو المكان المنخفِض[2].

قوله: (﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ﴾) أي: بأن سمعوا الذكر من غيرهم، أو ذَكروا بأنفسهم.

قوله: (من البلايا) أي: المحن بألَّا يجزَعوا عند نزولها بهم.

قوله: (يتصدَّقون) أي: صدقة التطوع، ويُعلم منه أنهم يخرجون الزكاة الواجبة بالأولى.

قوله: (وهي الإبل) أي: فالبُدْنُ عند الشافعي خاصَّة بالإبل، وقال أبو حنيفة: البُدْنُ: الإبل والبقر[3]، وعلى كلِّ حال فالبَقر من شعائر الله أيضاً.

قوله: (﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾) الجملةُ إمَّا حاليَّة[4]، أو مستأنفةٌ.

---

(١) كذا في الأصول بصيغة الماضي، والسياق يقتضي صيغة الأمر.

(٢) ولا يخفى حسن موقع (المخبتين) هنا؛ من حيث إن نُزُول الخبت مناسب للحجاج؛ لما فيهم من صفات المتواضِعين كالتجرُّد عن اللباس، وكشفِ الرأس، والغربة عن الأوطان؛ ولذا وصفهم بالصبر. انظر «حاشية الشهاب على البيضاوي» (٦/ ٢٩٦).

(٣) انظر «روضة الطالبين» (٣/ ٣٣٠)، و«حاشية ابن عابدين» (٢/ ٤٨٥).

(٤) إمَّا من الضمير في ﴿جَعَلْنَاهَا﴾، وإمَّا من ﴿شَعَائِرِ اللَّهِ﴾، وهذان مبنيَّان على أن الضمير في ﴿فِيهَا﴾ هل هو عائد على (البدن) أو على (شَعائر)؟ والأول قول الجمهور. انظر «الدر المصون» (٨/ ٢٧٦).

﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ﴾

﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ عِند نَحرِها ﴿صَوَافَّ﴾: قائمةً على ثَلاثٍ مَعقُولةَ اليَد اليُسرَى، ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾: سَقَطت إلى الأرضِ بعدَ النَّحر وهو وقتُ الأكل مِنها، ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ إن شِئتُم، ﴿وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ﴾: الذي يَقنَع بِما يُعطى ولا يَسألُ ولا يَتعرَّضُ، ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾: السائلَ أو المُعترِضَ، ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مِثل ذلك التَّسخِير ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾) أي: بأن تقولُوا عند ذبحها: باسم الله والله أكبر، اللهم إنَّ هذا مِنك وإليك.

قوله: (قائمة) المناسب أن يقولَ: (قائمات).

قوله: (﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾) كناية عن الموت، وجمع الجنوب مع أنَّ البعير إذا سَقط عند النحر إنما يسقط على أحد جنبَيه؛ لأنَّ ذلك الجمع في مقابلة جمع البُدْن.

قوله: (سقطت إلى الأرض) أي: فالوجوبُ: السقوطُ، يقال: وجَبت الشمس؛ أي: سقَطت.

قوله: (﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾) أي: إن كانت مستحبَّة باتفاق، وكذا إن كانت واجبةً عند مالك إلا في جزاء الصيد، وفِدية الأذى، والنذر إذا قُصد به المساكين، ولا يأكل من الواجبة عند الشافعي[1].

قوله: (﴿وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ﴾) أي: المستغنيَ بما أُعطيه، المتعفِّفَ عمَّا في أيدي الناس، الذي لا التفات له إلَيهم، الذي قال الله في حقِّ من اتَّصف بصفته: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣]، وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه[2]: [الوافر]

أَمَتُّ مَطامِعي فأَرحتُ نَفسِي ... فإنَّ النَّفسَ ما طَمِعَتْ تَهُونُ
وأَحيَيتُ القُنوعَ وكان مَيْتاً ... ففي إحيائِهِ عِرضي مَصُونُ
إذا طَمعٌ يحلُّ بقَلبِ شَخصٍ ... عَلَتْهُ مَهانَةٌ وعَلاهُ هُونُ

قوله: (أي: مثل ذلك التسخير) أي: المفهوم من قوله: ﴿صَوَافَّ﴾.

---

(١) انظر «روضة الطالبين» (٣/ ٢٢١)، و«بُلغة السالك» (٢/ ١٢٦).

(٢) ذكرها البيهقي في «مناقب الشافعي» (٢/ ٦٨٧).

سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ....

﴿سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ﴾ بأن تُنحَرَ وتُركَبَ وإلَّا لم تُطَقْ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ إنعامِي عليكُم.

﴿٣٧﴾ ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ أي: لا يُرفَعانِ إليه، ﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ أي: يُرفَع إلَيهِ مِنكُم العَمَلُ الصَّالِح الخالِص لَه مع الإيمانِ، ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾: أرشَدَكُم لِمَعالِمِ دِينِهِ ومَناسِك حَجِّه، ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: المُوَحِّدِين.

﴿٣٨﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (وإلا.. لم تُطَقْ) أي: وإلَّا نُسخِّرْها.. لم يُقْدَرْ على نحرها ورُكوبها.

قوله: (﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾) ردٌّ لما كانت عليه المشركون؛ مِن تشريح اللحم، وجعلِه حول الكعبة، وتَضميخها بالدم تقرُّباً إلى الله تعالى.

قوله: (أي: لا يُرفعان إليه) أي: وإنما يُرفع إليه العمل الصالح، ومنه: التصدُّق.

قوله: (﴿لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾) أي: بأن تَقولوا: الله أكبر على ما هَدانا، والحمد لله على ما أَوْلانا.

قوله: (﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾) أي: برضاء الله، والدرجات الرفيعة.

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾[1]) مُناسبة هذه الآية لما قبلها: أنَّ الله تعالى لما ذكر جملة مِن أفعال الحج والترغيب فيه، وذكر أنَّ الكفار يَصدُّون الناس عن المسجد الحرام.. كأنَّ قائلاً يقول: بأيِّ شيء تتمكَّن الناس من الحجِّ والهدايا مع وجود المانع؟ فأنزل الله هذه الآية بشارةً للمؤمنين، وأنهم يَتمكنون من المسجد الحرام، ويَدْفع عنهم أعداءَهم[2].

وهذه الآية وإن كان سببُ نزولها ما ذُكِرَ إلا أنَّ العبرة بعُموم اللفظ؛ ولِذا حذف المعمول؛

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (يَدفع)، والباقون: (يُدافع). انظر «الدر المصون» (٨/ ٢٨١).

(٢) انظر «البحر المحيط» (٦/ ٣٤٦).

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ ....

غَوائِلَ المُشرِكين، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾ في أمانَتِه، ﴿كَفُورٍ﴾ لِنِعمَتِه، وهُم المُشرِكُونَ، المَعنى: أنَّه يُعاقِبُهم.

﴿٣٩﴾ ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ﴾ أي: لِلمُؤمِنين أن يُقاتِلُوا، وهذهِ أوَّلُ آية نَزَلَت في الجِهاد، ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي: بِسَبَبِ أنَّهُم ﴿ظُلِمُوا۟﴾: لِظُلمِ الكافِرين إيَّاهم، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.

حاشية الصاوي

لِيُؤذن بالعموم؛ فالمؤمنون مَآلهم للعزِّ والنصر والفوز الأكبر، وإن امتُحنوا ببلاء أو غيره.. فذلك لتكفير سيئاتهم، ورفع دَرجاتهم، فهم بخيرٍ على كل حال.

قوله: (غَوائل المشركين) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ المفعول محذوف؛ لِدَلالة المقام عليه، والغوائل: جمع غائلة، وهي: ما يُصيب الإنسان من المكروه.

قوله: (في أمانته) مُفرد مضاف[1]؛ أي: أَماناته، وهي: الأوامر والنواهي.

قوله: (وهم المشركون) أي: لأنهم خائفُون كافرون في كل وقت، وأما العُصاة من المؤمنين.. فليسوا كذلك، وهذا وَعيدٌ للكفار إثرَ وعد المؤمنين؛ لأنَّ شأن الخائن يُجازى على خيانته بالخزي والعقاب.

قوله: (﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ﴾) أي: يُريدون القتال، والمأذون فيه محذوفٌ، قدَّره المفسِّر بقوله: (أن يقاتلوا)، وفي قراءة سبعيَّة: ﴿يُقَـٰتَلُونَ﴾ بالبناء للمفعول[2].

قوله: (وهذه أول آية نزلت في الجهاد) أي: بعد أن نُهي عنه رسول الله ﷺ في نيِّف وسبعين آية، وذلك: أنَّ مشركي مكة كانوا يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ ويعذِّبونهم، فيشكون إلى رسول الله ﷺ، فيَقول لهم: «اصبروا فإني لم أومَر بقتال»، حتى هاجر رسول الله ﷺ، فأنزل الله هذه الآية[3]، فحينئذٍ: كان يوم عيدٍ عند المسلمين.

قوله: (﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾) جملةٌ مستأنفةٌ، سيقت لوعد المؤمنين بالنصر على طريق الكِناية.

---

(١) أي: فيعمُّ؛ ولذا فسَّره بالجمع.

(٢) قرأه مبنيًّا للمفعول نافع وابن عامر وحفص، والباقون مبنيًّا لِلفاعل. انظر «الدر المصون» (٨/ ٢٨٢).

(٣) انظر «زاد المسير» (٣/ ٢٤١)، و«المستدرَك» (٢/ ٣٩١).

﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ﴾ ....

(٤٠) هُم ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ﴾ في الإخراجِ، ما أُخرِجُوا ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ﴾ أي: بِقَولِهِم: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ وَحدَه، وهذا القَولُ حَقٌّ، فالإخراجُ بِه إخراجٌ بِغَيرِ حَقٍّ، ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم﴾ - بَدَل بَعضٍ مِن ﴿ٱلنَّاسَ﴾ - ﴿بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ﴾ - بِالتَّشدِيد لِلتَّكثِيرِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (هم ﴿ٱلَّذِينَ﴾) قدَّر المفسِّر الضمير؛ إشارةً إلى أن الموصول خبرٌ لمحذوف، وهو أحدُ أوجه في إعرابه، ويصح أن يكون نعتاً أو بياناً أو بدلاً من ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الأول، أو منصوباً على المدح.

قوله: (﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ﴾) استثناءٌ مفرَّغٌ من محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (ما أخرجوا)، وهو متصلٌ، والمعنى: لم يكن لهم سببٌ في إخراجهم إلا تعصُّبُ المشركين عليهم من أجل مُخالفتهم في الدين.

إن قلتَ: إنَّ سبب خروجهم أمرُ الله لنبيِّه. أجيبَ: بأن سبب الخروج باطناً أمرُ الله لهم بالخروج، وظاهراً تعصُّبُ المشركين عليهم. ولا يَصح استثناؤه من المذكور؛ لأنه يصير المعنى: الذين أخرجوا من دِيارهم إلا أن يقولوا: ربنا الله، وهو لا يَصح.

قوله: (﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾) (لولا): حرف امتناع لوجود، و﴿دَفۡعُ﴾: مبتدأ، والخبر محذوفٌ، والتقدير: موجودٌ، وإضافة (دفع) لما بَعده من إضافة المصدر لفاعله، وقوله: (﴿بَعۡضَهُم﴾) أي: الكافرين، وقوله: (﴿بِبَعۡضٖ﴾) أي: المؤمنين، والمعنى: لولا دفعُ الله الكافرين بالمؤمنين موجودٌ.. لهدم في زمن موسى الكنائس التي كانوا يُصلُّون فيها في شرعه، وفي زمن عيسى الصوامع والبِيَعُ، وفي زمن نبيِّنا المساجد، وهذا الدفع حين كانُوا على الحق قبل التحريف والنسخ، وأما مِن يوم بعث الله محمداً ﷺ.. فقد بطل كلُّ دين يخالف دينه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، فلولا عزُّ الإسلام وقوَّةُ شوكته.. ما عُبِدَ الله في أيِّ زمن.

قوله: (بالتشديد للتكثير) أي: باعتبار المواضع.

صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ ....

وبالتَّخفيفِ ـ ﴿صَوَٰمِعُ﴾ لِلرُّهبانِ ﴿وَبِيَعٌ﴾: كنائِسُ لِلنَّصارَى، ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾: كنائِسُ لِليَهُودِ بالعبرانِيَّة ﴿وَمَسَٰجِدُ﴾ لِلمُسلِمين ﴿يُذْكَرُ فِيهَا﴾ أي: المَواضِعِ المَذكُورةِ ﴿ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ وتَنقَطِع العِباداتُ بِخرابِها، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ أي: يَنصُرُ دِينَه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ﴾ على خلقِه ﴿عَزِيزٌ﴾: مَنيعٌ في سُلطانِه وقُدرَتِه.

﴿٤١﴾ ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بِنصرِهِم على عَدُوِّهُم ﴿أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (وبالتخفيف) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[١].

قوله: (﴿صَوَٰمِعُ﴾) جمع صَومَعة، وهي: المحلُّ المرتفع البناء في الأماكن الخليَّة.

قوله: (للرهبان) أي: وقيل: لِلصابئين.

قوله: (﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾) جمع صلاة، سميت الكنائس بذلك؛ لأنه يُصلَّى فيها، وقيل: هي كلمة معرَّبة، أصلها بالعبرانية: (صلوثا) بفتح الصاد، والثاء المثلثة، والقصر، ومعناه في لغتهم: المصلى.

قوله: (أي: ينصر دينه) أي: وأولياءه، ومعنى نصره تعالى هو: أن يُظْفِرَ أولياءه بأعدائه، ومعنى نصر العبيد لربِّهم هو: تجلُّدهم بالقتال لأعداء الله، أو بإيضاح الأدلة والحُجَج على أعداء الله كالعلماء.

قوله: (مَنيع في سلطانه) المناسب أن يقول: (غالب على أمره)[٢]، وقد أنجز الله وَعده؛ بأن أذلَّ الكفار، وأعزَّ المسلمين فأورثهم أرضهم وديارهم.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ... إلخ) يَجوز في هذا الموصول ما جاز في الذي قبله[٣].

---

(١) قرأ بالتخفيف نافع وابن كثير، والباقون بالتثقيل. انظر «الدر المصون» (٨/ ٢٨٤).

(٢) لأن (عزيز) مأخوذ من (عزَّ) بمعنى (غلب). «فتوحات» (٣/ ١٨١) عن شيخه العلَّامة الأجهوري.

(٣) أي: ما ذكره من كونه خبراً لمحذوف، أو نعتاً أو بياناً أو بدلاً من (الذين) الأول، أو منصوباً على المدح.

وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ....

جَواب الشَّرط، وهو وجَوابه صِلةُ المَوصُول، ويُقدَّر قَبلَه (هُم) مُبتَدَأ، ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ أي: مَرجِعُها إلَيه في الآخِرة.

(﴿٤٢﴾ - ﴿٤٤﴾) ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ ... إلى آخِره فِيهِ تَسلِيةٌ لِلنَّبيِّ ﷺ، ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ تَأنِيث ﴿قَوْمُ﴾ بِاعتِبارِ المَعنى، ﴿وَعَادٌ﴾ قوم هُود ﴿وَثَمُودُ﴾ قَوم صالِح، ﴿وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ﴾: قَوم شُعَيب، ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾ كَذَّبَهُ القِبطُ لا قَومُه بَنُو إسرائيلَ، أي: كذَّبَ هؤلاءِ رُسُلَهم فلَكَ أُسوةٌ بِهِم، ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (جواب الشرط) أي: قوله: ﴿أَقَامُوا﴾ وما عطف عليه.

قوله: (وهو وجوابه) أي: الشرط وفعله وجوابه.

قوله: (صلة الموصول) أي: لا محل لها من الإعراب.

قوله: (ويقدَّر قبله... إلخ) أي: على أحد الاحتمالات المتقدمة. وهو إخبارٌ من الله عمَّا يكون عليه المهاجرون والأنصار ﭫ.

قوله: (﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾) أي: آخر أُمور الخلق مصيرها إليه، فيُجازي كلَّ شخص بعمله؛ إن خيراً فخيرٌ، وإن شرًّا فشرٌّ.

قوله: (﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾) أي: يَدوموا على تكذيبك وعدم الإيمان بك، والضمير عائدٌ على أهل مكة، والمعنى: لا تحزن وتسلَّ؛ فلستَ بأوَّل من كذَّبه قومه.

قوله: (باعتبار المعنى) أي: وهو الأُمَّة والقبيلة.

قوله: (﴿وَعَادٌ وَثَمُودُ﴾) لم يقل: قوم هود وقوم صالح؛ لاشتهارهما بهذين الاسمين.

قوله: (﴿وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ﴾) خصَّهم بالذكر وإن كان شعيبٌ أرسل إلى أصحاب الأيكة وكذَّبوه أيضاً؛ لأنهم سابِقون عليهم في التكذيب له، فخصُّوا بالذكر لسبقهم بالتكذيب.

قوله: (كذَّبه القبط، لا قومه) أشار بذلك إلى وجه بِناء الفعل في هذا الأخير للمفعول، والقِبْطُ: بوزن (القِسْط): أهلُ مصر.

قوله: (﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ﴾) وضع الظاهر موضع المضمر؛ زيادةً في التشنيع عليهم.

ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ ....

أمهلتُهُم بِتَأخِيرِ العِقاب لَهُم، ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بِالعَذاب، ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي: إنكارِي عَلَيهِم تكذِيبِهم بِإهلاكِهِم؟ والاستِفهام لِلتَّقرِير، أي: هو واقِعٌ مَوقِعَه.

﴿٤٥﴾ ﴿فَكَأَيِّن﴾ أي: كَم ﴿مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْتُهَا﴾ ـ وفي قِراءة: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ ـ ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ أي: أهلُها بِكُفرِهِم، ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾: ساقِطةٌ ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: سُقُوفِها، ﴿وَ﴾ كم مِن ﴿بِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾: مَترُوكةٍ بِمَوتِ أهلِها، ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾: رَفِيع خالٍ بِمَوتِ أهلِه.

حاشية الصاوي

قوله: (أي: إنكاري عليهم) أشار بذلك إلى أن ﴿نَكِيرِ﴾ مصدر بمعنى: الإنكار.

قوله: (بإهلاكهم) أي: بعذابِ الاستئصال.

قوله: (للتقرير) أي والمعنى: فليقرَّ المخاطبون بأنَّ إهلاكي لهؤلاء كان واقعاً مَوقعه، وفي الحقيقة هو مضمَّن معنى التعجب، والمعنى: ما أشدَّ ما كان إنكارِي عليهم.

قوله: (﴿فَكَأَيِّن﴾) مبتدأ، و﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾: تمييز، وقوله: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾: خبره، وقوله: ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾: الجملة حالية، والمعنى: عددٌ كثيرٌ من القرى أهلكتُها والحال أنها ظالمة.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1].

قوله: (أي: أهلها) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف.

قوله: (﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾) أي: تهدَّمت حِيطانها، فسقطت الحيطان فوق السُّقوف.

قوله: (﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾) قدَّر المفسِّر (كم) والجارَّ؛ إشارةً إلى أنه معطوف على ﴿قَرْيَةٍ﴾، والمعنى: عدد كثير من الآبار مُعطَّلة عن الاستقاء منها بموت أهلها، وقيل: إن البئر واحدة مَعهودة، وهي التي نزل عليها صالح مع أربعة آلاف نفرٍ ممَّن آمن به، ونَجاهم الله من العذاب وهم بحضرموت ـ وسميت بذلك؛ لأنَّ صالحاً حين حضَرها مات ـ وهناك بلدة عند البئر اسمها حاضوراء، بناها قوم صالح، وأمَّروا عليهم جَلْهَس بنَ جُلَاسٍ، وأقاموا بها زماناً، ثم كفروا وعبدوا

(١) قرأ أبو عمرو: (أهلكتها)، والباقون: (أهلكناها). انظر «الدر المصون» (٨/ ٢٨٧).

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ ....

﴿٤٦﴾ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟﴾ أي: كُفَّارُ مكَّة ﴿فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ ما نَزَل بِالمُكَذِّبين قبلَهم، ﴿أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أخبارَهم بِالإهلاكِ وخَرابِ الدِّيارِ فيَعتبِرُوا؟ ﴿فَإِنَّهَا﴾ أي: القِصَّةَ ﴿لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ ـ تأكِيد ـ.

﴿٤٧﴾ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ ....

حاشية الصاوي

صنماً، وأرسل الله تعالى إليهم حَنظلة بن صفوان نبيًّا، فقتلوه، فأهلكهم الله وعطَّل بئرهم وخرَّب قُصورهم[1]. والمتبادر من الآية العموم؛ ولِذا مشى عليه المفسِّر.

قوله: (﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟﴾) الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، تقديره: أغفلوا فلم يَسيروا؟ فهو تحريضٌ لهم على السير؛ ليشاهدوا آثار من قبلهم من الكفار؛ لِيَعتبروا، وهم وإن كانوا سافروا لم يُسافروا للاعتبار والنظر، فجُعلوا كأن لم يسافروا ولم يرَوا.

قوله: (﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ﴾) مفرَّع على قوله: ﴿يَسِيرُوا۟﴾ المنفي، فهو منفيٌّ أيضاً.

قوله: (ما نزل بالمكذبين) مفعول ﴿يَعْقِلُونَ﴾.

قوله: (أي: القصة) أي: وما بعده تفسيرٌ له.

قوله: (﴿لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾... إلخ) أي: فالخلل ليس في حواسِّهم الظاهرية، وإنما هو في قلوبهم، فترتَّب على ذلك انهماكُهُم في الشهوات وعدمُ إذعانهم للحقِّ؛ لأنَّ عمى القلب هو الضارُّ في الدين؛ لما في الحديث: «**وإنَّ في الجسد مُضغةً؛ إذا صلحت.. صلح الجسد كلُّه، وإذا فسَدت.. فسد الجسد كلُّه، ألا وهي القلب**»[2].

قوله: (تأكيد) أي: قوله: ﴿ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ تأكيدٌ لـ﴿ٱلْقُلُوبُ﴾؛ لأنه من المعلوم أنَّ القلوب حالَّة في الصدور، ومنه: قولهم: سمعت بأذني، ونَظرت بعيني.

قوله: (﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾) أي: يطلب كفارُ مكة تعجيلَ العذاب استهزاءً؛ حيث يقولون: أين ما توعَّدتنا به مع كونِنا كذَّبناك كما كذَّبت الأممُ الماضيةُ رسلَهُم؟!

---

(١) انظر «تفسير القرطبي» (١٢/ ٧٥).

(٢) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (٤١٠١) عن سيدنا النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ ....

﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ بإنزالِ العَذاب، فأنزَلَهُ يوم بَدر، ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ﴾ مِن أيَّامِ الآخِرة بِسَبَبِ العَذاب ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ ـ بِالتَّاء والياء ـ في الدُّنيا.

﴿٤٨﴾ ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ المُراد أهلُها، ﴿وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ المَرجعُ.

(﴿٤٩﴾ ـ ﴿٥١﴾) ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي: أهل مكَّة ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: بَيِّنُ الإنذارِ، وأنا بَشِير لِلمُؤمِنين؛ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾) تضمَّن ذلك نزول العذاب بهم في الدنيا، وتضمَّن قوله: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ...﴾ إلخ عذابهم في الآخرة، فهم يُعَذَّبون مرتين: في الدنيا بالقتل والأسر، وفي الآخرة بدخول النار الدائم.

قوله: (فأنجزه يوم بدر) أي: فقُتِلَ منهم سبعون، وأُسِرَ سبعون من صَناديدهم.

قوله: (﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾) اقتصر على الألف؛ لأنه مُنتهى العدد بلا تكرار، وهو كنايةٌ عن طول العذاب وعدم تناهِيه.

قوله: (بالتاء والياء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾) أتى هنا بالواو؛ لمناسبة ما قبلها في قوله: ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا...﴾ إلخ، بخلاف الأولى، فأتى بالفاء؛ لِمناسبة ما قبلها في قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾، فأتى في كلٍّ بما يُناسبه.

قوله: (﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾) أي: الموصوفون باستعجال العذاب، وقد جرَت عادة الله في كتابه أن يخاطب المؤمنين بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، وكُفار مكة بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾.

قوله: (وأنا بشيرٌ للمؤمنين) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ في الآية اكتفاءً؛ بِدَليل التعميم المذكور بعد.

(١) قرأ الأخوان وابن كثير بياء الغيبة، والباقون بتاء الخطاب. انظر «الدر المصون» (٨/ ٢٩١).

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٥٠ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ٥١ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ﴾ ....

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ مِن الذُّنُوبِ ﴿وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ هو الجنَّةُ، ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾: القُرآنِ بإبطالِها ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ مَن اتَّبَعَ النَّبيَّ، أي: يَنسُبُونَهُم إلى العَجزِ ويُثَبِّطُونَهُم عن الإيمانِ، أو مُقَدِّرِينَ عَجزَنا عنهُم، - وفي قِراءة: ﴿مُعَجِّزِينَ﴾: مُسابِقِين لَنا - أي: يَظُنُّونَ أن يَفُوتُونا بإنكارِهِم البَعثَ والعِقاب، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾: النارِ.

٥٢ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾) أي: من الذُّنوب الصغائر والكبائر.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ﴾) أي: اجتهدُوا.

قوله: (بإبطالها) الباء: بمعنى (في)، والمعنى: اجتَهدوا في إبطالها؛ حيث قالوا في القرآن: إنه أساطير الأولين وسِحر وكهانة.

قوله: (مَنِ اتَّبع النبي) أشار به إلى أن مفعول ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ محذوفٌ.

قوله: (ويثبطونهم) أي: يعوِّقونهم ويُثقلونهم.

قوله: (أو مقدِّرين عجزنا) أي: فالمفعول محذوف، تقديره: الله، والمعنى عليه: ظانِّين عجزنا عنهم.

قوله: (وفي قراءة: ﴿مُعَجِّزِينَ﴾) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1]، وتقدير المفعول عليها: مُعاجزين الله؛ أي: مسابقين له، ومعنى مُسابقتهم: ظنُّهم الفرارَ من عذاب الله، ومعنى سابقيَّة الله: إنزالُ العذاب بهم، وعدمُ فِرارِهِمْ منه.

قوله: (يظنون أن يفوتونا) أي: فلا يَلحقهم عذابنا.

قوله: (﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾) أي: مآلُهم لها، وهي مُعدَّةٌ لهم.

قوله: (﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ﴾... إلخ) هذه تسليةٌ ثانيةٌ لرسول الله ﷺ.

(١) قرأ أبو عمرو وابن كثير والجحدري بالتشديد في الجيم، والباقون: «مُعاجزين»، وابن الزبير: «مُعجِزين» بسكون العين. انظر «الدر المصون» (٨/ ٢٩١).

﴿مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ ....

﴿مِن رَّسُولٍ﴾ هو نَبِيٌّ أُمِرَ بِالتَّبلِيغِ، ﴿وَلَا نَبِيٍّ﴾ أي: لَم يُؤمَر بِالتَّبلِيغِ، ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾: قَرَأَ ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾: قِراءَتِه ما ليسَ مِن القُرآن مِمَّا يَرضاهُ المُرسَل إِلَيهِم، وقد قَرَأَ النَّبيُّ ﷺ في سُورة (النَّجم) بِمَجلِسٍ مِن قُرَيش بعدَ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِن رَّسُولٍ﴾) ﴿مِن﴾: زائدة في المفعول؛ أي: رسولاً.

قوله: (هو نبيٌّ أُمِرَ بالتبليغ) أي: إنسانٌ ذكرٌ حرٌّ أوحي إليه بشرع وأُمِرَ بتبليغه.

قوله: (﴿وَلَا نَبِيٍّ﴾) عطف على ﴿رَّسُولٍ﴾.

إن قلتَ: إنَّ تفسير النبي بكونه لم يؤمر بالتبليغ يُنافي قوله: ﴿أَرْسَلْنَا﴾؟

أجيب: بأنَّ الإرسال معناه: البعثُ لنفسه؛ لأنه أوحي إليه بشرعٍ يعمل به في نفسه، وليس مأموراً بتبليغه للخلق، أو يقدَّر قبل قوله: ﴿وَلَا نَبِيٍّ﴾ ما يُناسبه؛ كأن يقال مثلاً: ولا نبَّأنا من نبي؛ على حدِّ:[1] [الكامل]

عَـلَـفْـتُـهـا تِـبْـنـاً ومـاءً بـارداً

قوله: (أي: لم يؤمر بالتبليغ) أشار المفسِّر بهذا إلى أنَّ العطف في الآية مُغايرٌ وإن كان لفظ النبيِّ أعمَّ.

قوله: (قراءته) إنما سمِّيت القراءة أُمنيةً؛ لأنَّ القارئ إذا وَصل إلى آية رحمة.. تمنَّى حصولها، أو آية عذاب.. تمنَّى البُعد عنه.

قوله: (ما ليس من القرآن) مفعول ﴿أَلْقَى﴾.

قوله: (مما يرضاه) بيان لـ(ما).

قوله: (المرسَلُ إليهم) أي: وهُم الكفار.

قوله: (وقد قرأ النبي) أشار بذلك إلى أنَّ سبب نزول هذه الآية: قراءة النبي سورة (النجم)، وذلك كان في رمضان، سنة خمسٍ من البعثة، وكانت الهجرة إلى الحبشة في رَجب من تلك السنة، وقدوم المهاجرين إلى مكة كان في شوال من تِلك السنة.

---

(١) تقدَّم (٢/٥٤٣).

فَيَنسَخُ ٱللَّهُ ....

ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩-٢٠] بِإلقاءِ الشَّيطان على لِسانِه مِن غيرِ عِلمِه ﷺ به: (تِلك الغَرانِيقُ العُلا، وإنَّ شَفاعَتهنَّ لَتُرتَجى)، ففَرِحُوا بِذلك، ثُمَّ أخبَرَهُ جِبريلُ بِما ألقاهُ الشَّيطانُ على لِسانِه مِن ذلك فحَزِنَ، فسُلِّيَ بِهذِهِ الآية لِيَطمَئِنَّ، ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ﴾: يُبطِلُ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بإلقاء الشيطان) متعلق بـ(قرأ).

قوله: (تلك الغرانيق) معمول (قرأ)، والغرانيق في الأصل: الذكور من طير الماء، واحدها: غِرْنَوق كـ: فِردوس، أو غُرْنُوق كـ: عُصفور، وكانوا يزعمون أنَّ الأصنام تقرِّبهم من الله، وتشفع لهم، فشبِّهت بالطيور التي تعلُو في السماء وترتفع.

قوله: (ففرحوا بذلك) أي: بما سَمعوه، وقالوا: ما ذكر آلهتنا بخيرٍ قبل اليوم.

قوله: (يبطل) أي: يُزيل؛ فالنسخ في اللغة معناه: الإزالة.

وما ذكره المفسِّر من قصة الغرانيق روايةُ عامَّة المفسِّرين الظاهريِّين، قال الرازي: (أمَّا أهل التحقيق.. فقد قالوا: هذه الروايةُ باطلةٌ موضوعةٌ، واحتَجوا على البطلان بالقرآن والسنة والمعقول:

أما القرآن فبُوجوه: أحدها: قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ . . .﴾ [الحاقة: ٤٤] الآية.

ثانيها: ﴿قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ . . .﴾ [يونس: ١٥] الآية.

ثالثها: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾ [النجم: ٣].

وأما السنة فمِنها: ما روي عن محمَّد بن خزيمة أنه سُئل عن هذه القصة، فقال: هي من وضع الزنادقة، وقال البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جِهة النقل؛ فقد روى البخاري في «صحيحه»: أنه ﷺ قرأ سورة (النجم) وسجد فيها المسلمون والكفار والإنس والجن، وليس فيه حديث الغَرانيق[(١)].

وأما المعقول فمِن أوجه: أحدها: أنَّ من جوَّز على النبي ﷺ تعظيماً للأوثان.. فقد كفر.

ثانيها: لو كان الإلقاء على الرسول ثمَّ الإزالة عنه.. لكانت عِصمَته من أول الأمر أولى، وهو الذي يجب علينا اعتقاده في كل نبيٍّ.

---

(١) «صحيح البخاري» (٣٩٧٢) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ ....

﴿مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ﴾: يُثبِّتُها، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بإلقاءِ الشَّيطان ما ذُكِرَ، ﴿حَكِيمٌ﴾ في تَمكِينه مِنهُ يَفعَلُ ما يَشاءُ.

﴿٥٣﴾ ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً﴾: مِحنةً ﴿لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شَكٌّ ونِفاق ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْۗ﴾ أي: المُشرِكِين عن قَبُول الحَقِّ، ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافِرِين ﴿لَفِي شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾: خِلافٍ طَوِيل مع النَّبيِّ ﷺ ....

حاشية الصاوي

ثالثها وهو أقوى الأوجه: أنَّا لو جوَّزنا ذلك.. لارتفع الأمان عن شَرعه)[1]، ثم قال الرازي: (وقد عرفنا أن هذه القصة موضوعةٌ، وخبر الواحد لا يُعارِض الدلائل العقلية والنقلية المتواترة) قاله الخطيب، ثم قال: (وهذا هو الذي يطمئنُّ إليه القلب وإن أطنَبَ ابن حجر العسقلاني في صِحَّتها). انتهى[2].

ويكون معنى الآية على هذا التحقيق: ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ أي: تلاوته شبهاً وتخيلات في قُلوب الأمم؛ بأن يقول لهم الشيطان: هذا سِحرٌ وكهانةٌ، فيَنسخ الله تلك الشبه من قلوب مَنْ أراد لهم الهدى، ويحكم الله آياته في قُلوبهم، والله عليمٌ بما ألقاه الشيطان في قُلوبهم، حكيمٌ في تَسليطه عليهم؛ لِيَميز المفسد من المصلح.

قوله: (﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ﴾) متعلق بـ﴿يُحْكِمُ﴾ أي: ثم يُحكم الله آياته؛ ليجعل... إلخ.

قوله: (﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْۗ﴾) عطف على (الذين) أي: فتنةً للقاسية قلوبهم.

---

(١) انظر «مفاتيح الغيب» (٢٣/ ٢٣٧-٢٣٨).

(٢) انظر «السراج المنير» (٢/ ٥٦٠)، وفيه: (وعلى القول بها قد سَلك العلماء في ذلك مسالكَ: أحسنُها: أنَّ النبيَّ ﷺ كان يُرتل القرآن، فارتصده الشيطان في سَكتة من السكتات، ونطق بتلك الكلمات محاكياً نَغمته؛ بحيث سمعه من دنا إليه، فظنَّها من قوله وأشاعَها)، ونقل القاضي عياض في «الشفا» (٢/ ٣٠٠) على تسليم الحديث لو صحَّ، وقد أعاذَنا الله من صحته.. أجوبةَ أئمَّة المسلمين، واستحسن بعضاً، وردَّ بعضاً.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٤) وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ (٥٥)﴾ ....

والمُؤمنين، حيثُ جَرَى على لِسانِه ذِكرُ آلِهَتِهم بِما يُرضِيهِم، ثُمَّ أُبطِلَ ذلك.

(٥٤) ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾: التَّوحِيدَ والقُرآن ﴿أَنَّهُ﴾ أي: القُرآنَ ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ﴾: تَطمَئِنَّ ﴿لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾: طَريقٍ ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: دينِ الإسلامِ.

(٥٥) ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ﴾: شَكٍّ ﴿مِّنْهُ﴾ أي: القُرآنِ بِما ألقاهُ الشَّيطانُ على لِسانِ النَّبيِّ ثُمَّ أُبطِلَ، ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ أي: ساعةُ مَوتِهم أو القِيامةُ فجأةً، ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ هو يَوم بَدر لا خيرَ فِيه لِلكُفَّارِ، كالرِّيحِ العَقِيم التي لا تَأتي بِخَيرٍ، أو هو يَوم القِيامةِ لا لَيلَ بعدَه.

حاشية الصاوي

قوله: (حيث جرى على لسانه... إلخ) قد علمتَ أنَّ هذا خلاف الصواب، والصواب أن يقول: حيث سلَّط الشيطان عليهم بالوسوسة والطعن في القرآن.

قوله: (﴿وَلِيَعْلَمَ﴾) عطف على ﴿لِيَجْعَلَ﴾.

قوله: (﴿فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ﴾) أي: بالقرآن.

قوله: (أي: دين الإسلام) أي: وسمِّي صراطاً؛ لأنه يُوصل لمرضاة الله، كما أنَّ الصراط يوصل لدار النعيم.

قوله: (﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾) رجوعٌ لذكر حال الكفار وما هم عليه.

قوله: (أي: القرآن) أشار بذلك إلى أنَّ الضمير عائدٌ على القرآن، وقيل: عائدٌ على الرسول؛ أي: في شكٍّ في أمر الرسول من كونه صادقاً أو لا.

قوله: (بما ألقاه الشيطان على لسان النبي) هذا خلاف الصواب، والصواب أن يقول: بما ألقاه الشيطان في قُلوب مَنْ أضلَّهم الله.

قوله: (﴿يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾) العقم في الأصل: عدم الولادة، فشبَّه اليوم الذي لا خير فيه بمرأةٍ

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ﴾ ....

(٥٦ - ٥٧) ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يَومَ القِيامة ﴿لِّلَّهِ﴾ وحدَه، وما تَضمَّنهُ مِن الاستِقرارِ ناصِب لِلظَّرفِ، ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾: بينَ المُؤمِنِينَ والكافِرين بِما بَيَّنَ بَعدَه، ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ فضلاً مِن اللهِ، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: شَدِيدٌ بِسبَبِ كُفرِهم.

(٥٨) ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: طاعَتِه مِن مكَّة إلى المَدِينةِ ﴿ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ﴾ ....

حاشية الصاوي

عقيمٍ، وطوى ذكر المشبَّه به، ورَمز له بشيء من لوازمه وهو العقم، فإثباته تخييلٌ، والجامع عدم الثمرة في كلٍّ.

قوله: (﴿يَوْمَئِذٍ﴾) التنوين عوضٌ عن جملة؛ أي: الملك يوم تأتيهم الساعة بغتة ـ أو يأتيهم العذاب يوم القيامة ـ لله، ومعنى كونِه لله: عدمُ نسبة شيءٍ في الملك لأحدٍ سِواه في ذلك اليوم.

قوله: (ناصب للظرف) أي: قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾.

قوله: (﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾) جملةٌ مستأنفةٌ سِيقت جواباً لسؤال مقدَّر، تقديره: ماذا يَصنع بهم؟

قوله: (فضلاً من الله) أي: لا بسبب أعمالهم.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾) مبتدأٌ، خبره: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمْ﴾[1]، وخصَّهم بالذكر وإن كانوا داخلِين في جملة المؤمنين؛ تعظيماً لشأنهم.

قوله: (﴿ثُمَّ قُتِلُوٓا۟﴾) أي: في الحروب، وقوله: (﴿أَوْ مَاتُوا۟﴾) أي: على فراشهم من غير قتل.

---

(١) ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمْ﴾ جوابُ قسمٍ مقدَّر، والجملةُ القسميَّةُ وجوابُها هي خبرُ (الذين)، وفيه دليلٌ على وُقوع الجملة القَسَميَّة خبراً للمبتدأ، ومن يمنع يضمر قولاً هو الخبر تحكى به هذه الجملة القسمية، وهو قول مَرجوح. انظر «الدر المصون» (٨/ ٢٩٦).

وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ....

هو رِزقُ الجَنَّة، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾: أفضلُ المُعطِين.

﴿٥٩﴾ ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا﴾ ـ بِضَمِّ المِيم وفَتحِها ـ أي: إدخالاً أو مَوضِعاً ﴿يَرْضَوْنَهُۥ﴾ وهو الجَنَّة، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بِنِيَّاتِهِم، ﴿حَلِيمٌ﴾ عن عِقابِهِم.

﴿٦٠﴾ الأمرُ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي قَصَصناهُ عَلَيك، ﴿وَمَنْ عَاقَبَ﴾: جازَى مِن المُؤمِنِين ﴿بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ ظُلماً مِن المُشرِكِين، أي: قاتَلَهُم كما قاتَلُوهُ في الشَّهرِ المُحَرَّم، ..

حاشية الصاوي

قوله: (هو رزق الجنة) أي: التنعُّم فيها.

قوله: (أفضل المُعطين) أي: فالمراد بالرزق: الإعطاء، وهو يُنسب للخلق كما ينسب للخالق، إلا إنَّ نِسبته للخالق حقيقةٌ، ولغيره مجازٌ.

قوله: (﴿لَيُدْخِلَنَّهُم﴾ ... إلخ) إمَّا مستأنفٌ، أو بدل من قوله: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ﴾.

قوله: (بضمِّ الميم وفتحها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿حَلِيمٌ﴾) أي: فلا يَعجل بالعقوبة على مَنْ عصاه، بل يمهله ليتوبَ فيستحقَّ الجنة.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي قَصصناه عليك) أي: مِن وعد المؤمنين، ووعيد الكافرين. واسمُ الإشارة خبرٌ لمحذوفٍ، تقديره: الأمر الذي قصصناه عليك ذلك؛ أي: لا تَغيير فيه ولا تبديل، فهي كلمة يؤتى بها للانتِقال من كلام إلى آخر.

قوله: (﴿وَمَنْ عَاقَبَ﴾) العقاب مأخوذٌ من التعاقُب، وهو مجيءُ الشيءِ بعد غيره، وحينئذٍ: فقوله: ﴿عَاقَبَ﴾ بمعنى: جازَى حقيقة لغوية، وأمَّا قوله: ﴿بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ أتى به لِمُشاكلة الأول للازدواج، نظير: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]، والباء في ﴿بِمِثْلِ﴾ للآلة، والباء في ﴿بِهِۦ﴾ للسببيَّة.

قوله: (أي: قاتلهم) أي: قاتل مَنْ كان يُقاتله، نزلت هذه الآية في قوم من المشركين لقُوا قوماً من المسلمين لِلَيلتين بقيتا من المحرم، فقالوا: إنَّ أصحاب محمد يكرهون القتال في الشهر الحرام، فاحملوا

---

(١) قرأ نافع بفتح الميم، والباقون بالضم. انظر «السراج المنير» (٥٦٢/٢).

ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ....

﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ مِنهُم أي: ظُلِمَ بإخراجِه مِن مَنزِلِه، ﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾ عن المُؤمِنِين، ﴿غَفُورٌ﴾ لَهُم عن قِتالِهِم في الشَّهرِ الحَرام.

﴿٦١﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ النَّصرُ ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾ أي: يُدخِلُ كُلًّا مِنهُما في الآخَر بأن يَزِيدَ بِه، وذلك مِن أثَر قُدرَتِه تَعالى التي بِها النَّصرُ، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ دُعاءَ المُؤمِنِين، ﴿بَصِيرٌ﴾ بِهِم حيثُ جَعَلَ فِيهِم الإيمانَ فأجابَ دُعاءَهُم.

حاشية الصاوي

عليهم، فناشَدهم المسلمون ألَّا يقاتلوهم في الشهر الحرام، فأبَوا، فحملوا عليهم وثبت المسلمون ونصَرهم الله عليهم، وإلى هذا يُشير المفسر بقوله: (غفورٌ لهم عن قتالهم في الشهر الحرام)[١].

وقيل: نزلت في قَوم من المشركين مثَّلوا بقومٍ من المسلمين، قَتلوهم يوم أحد، فعاقبَهم رسول الله ﷺ بمثلِه.

وقيل: إنها عامَّة في النبي ﷺ وأصحابه، وذلك: أن المشركين كذَّبوا نبيَّهم، وآذَوا مَن آمن به، وأخرجوهم من مكة، فوَعد الله بالنصر محمداً وأصحابه؛ فإنهم حزب الله، والكُفار حزب الشيطان، وقدر الله أن يَنصر حزبه على حزب الشيطان[٢].

قوله: (﴿غَفُورٌ﴾ لهم) أي: ما فَعلوه؛ لأنهم فَعلوه دفعاً عن أنفسهم لا تجرياً[٣] على المحرم.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾) مبتدأ، و﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾: خبره.

قوله: (بأن يزيد) أي: الآخر، وقوله: (وذلك) أي: الإيلاج، فهو إشارةٌ إلى أنَّ الإيلاج دليلُ القدرة، والقُدرة دليل النصر؛ لأنَّ القادر على إدخال كلٍّ منهما في الآخر قادرٌ على نَصر أحبابه، وخذلان أعدائه.

قوله: (﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾) بالفتح في قراءة العامَّة عطفٌ على (أن) الأُولى، وقرئ شذوذاً بالكسر استئنافاً.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٦٧٥)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٠٤).

(٢) ذكر القولَين القرطبي في «تفسيره» (١٢/ ٩٠).

(٣) كذا في الأصول، ولعلها: تجرُّؤاً.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ....

﴿٦٢﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ النَّصرُ أيضاً ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾: الثَّابِت، ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾ ـ بالياء والتَّاء ـ: يَعبُدُون ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ وهو الأصنامُ ﴿هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾: الزَّائلُ، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ أي: العالِي على كُلِّ شَيء بِقُدرَتِه، ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ الَّذِي يَصغُرُ كُلُّ شَيء سِواهُ.

﴿٦٣﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تَعلَمْ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: مَطَراً ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾) مبتدأ وخبر، وقوله: (﴿هُوَ﴾) إما مبتدأ، أو ضمير فصل.

قوله: (الثابت) أي: الذي لا يقبل الزوال أزلاً ولا أبداً.

قوله: (بالتاء والياء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (الزائل) أي: الفاني الذي لا بقاء له.

قوله: (﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾) نتيجة ما قبله من الأوصاف.

قوله: (﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾) شروعٌ في ذكر ستة أدلة على كونه هو الحقَّ، وما سواه باطل، وفي الحقيقة كلُّ دليل نَتيجة للدليل الذي قبله؛ ففي الأدلة الترقي في الاحتجاج والمعرفة، فتأمل.

الأول: إنزال الماء الناشئ عنه اخضِرار الأرض، **الثاني**: قوله: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾، **الثالث**: تسخير ما في الأرض. **الرابع**: تسخير الفلك. **الخامس**: إمساك السماء. **السادس**: الإحياء، ثم الإماتة، ثم الإحياء ثانياً.

قوله: (تعلم) فسَّر الرؤية بالعلم دون الإبصار؛ لأنَّ الماء وإن كان مرئيًّا إلا أنَّ كون الله منزِّلاً له من السماء غيرُ مَرئي.

قوله: (مطراً) لا مفهوم له؛ لأنَّ النيل وماءَ الآبار من السماء، إلا أن يقالَ: اقتصر على المطر؛ لأنه هو المشاهَد نزوله من السماء دُون غيره.

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة بالتاء على الخطاب للمشركين، والباقون بالياء على الغيبة. انظر «السراج المنير» (٢/ ٥٦٣).

﴿فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ٦٣ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٦٤ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٦٥﴾ ....

﴿فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ﴾ بِالنَّباتِ، وهذا مِن أثَرِ قُدرَتِه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ بِعِبادِه في إخراجِ النَّبات بِالماءِ، ﴿خَبِيرٞ﴾ بما في قُلُوبِهم عِند تأخِير المَطر.

٦٤ ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ على جِهةِ المِلك، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ﴾ عن عِبادِه، ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ لِأوليائِه.

٦٥ ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾: تَعلَم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ مِن البَهائم، ﴿وَٱلۡفُلۡكَ﴾: السُّفُن ﴿تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ لِلرُّكُوبِ والحَمل ﴿بِأَمۡرِهِۦ﴾: بِإذنِه، ﴿وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ﴾ مِن ﴿أَن﴾ أو لِئَلَّا ﴿تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ﴾ فتهلِكُوا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ في التَّسخِير والإمساكِ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ﴾) عبَّر بالمضارع؛ إشارةً إلى استمرار النفع به بعد نُزوله.

قوله: (بما في قلوبهم عند تأخير المطر) أي: من التأثر والقُنوط.

قوله: (على جهة الملك) أي: فلا مُلكَ لأحدٍ معه.

قوله: (﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾) أي: ذلَّل لكم ما فيها من الدوابِّ؛ لِتنتفعوا بها.

قوله: (﴿وَٱلۡفُلۡكَ﴾) بالنصب في قراءة العامَّة عطف على (ما) في قوله: ﴿مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: وسخَّر لكم الفُلك، وإفرادها بالذكر؛ لِكَون تسخيرها أعجبَ من سائر المسخَّرات. والفلك يُطلق على الواحد والجمع بلفظ واحد، فوزن الواحد (قُفْل)، ووزن الجمع (بُدْن).

قوله: (من ﴿أَن﴾، أو: لئلا ﴿تَقَعَ﴾) أشار بذلك إلى أن ﴿أَن تَقَعَ﴾ إمَّا في محل نصب على المفعول لأجله؛ أي: لأجل أن لا تقع، أو في محل جرٍّ على حذف حرف الجر، والتقدير: من أن تقع؛ أي: من وقوعِها.

قوله: (﴿إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ﴾) استثناءٌ مفرَّغٌ من معنى قوله: ﴿وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾، والتقدير: لا يتركها تقع في حال من الأحوال إلا في حالة كونها مُلتبسة بمشيئة الله تعالى.

وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَـٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ ....

﴿٦٦﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ﴾ بالإنشاء، ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عِندَ انتِهاء آجالِكُم، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ عِند البَعث، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ أي: المُشرِكَ ﴿لَكَفُورٌ﴾ لِنِعَم الله بِتَركِه تَوحِيدَه.

﴿٦٧﴾ ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ - بِفَتحِ السِّين وكَسرِها -: شَرِيعةً ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾: عامِلُون بِه، ﴿فَلَا يُنَـٰزِعُنَّكَ﴾ يُرادُ بِه: لا تُنازِعْهُم ﴿فِى ٱلْأَمْرِ﴾ أي: أمرِ الذَّبِيحة إذ قالُوا: ما قَتَلَ الله أحَقُّ أن تَأكُلُوهُ مِمَّا قَتَلتُم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ﴾) أي: أوجدكم من العَدم؛ لِتسعدوا أو تشقوا، فكلٌّ من الإحياء الأول والثاني إمَّا نعمة أو نِقمة.

قوله: (﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ عند البعث) أي: لِلثواب والعقاب.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ﴾) أي: جحودٌ لنِعَمِ خالقِهِ.

قوله: (﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ﴾) أي: أهلِ دينٍ، فالمراد بالأمَّة: من له ملَّةٌ وشرعٌ.

قوله: (بفتح السين وكسرها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (شريعة) أي: أحكام دين لكل أمَّة معيَّنة من الأُمم؛ بحيث لا تتخطى أمَّةٌ منهم شريعتَها المعيَّنةَ لها إلى شريعةٍ أخرى؛ فالأمَّةُ التي كانت من مَبعث موسى إلى مبعث عيسى منسكها التوراة، ومن مبعث عيسى إلى مَبعث محمد ﷺ منسكهم الإنجيل، والأمَّة الموجودون عند مبعث النبي ﷺ ومن بعدهم إلى يوم القيامة مَنسكهم القرآن لا غيره، وحينئذٍ فقوله: ﴿فَلَا يُنَـٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ أي: لا ينازعنَّك هؤلاء الأممُ في أمرِ دينك زعماً منهم أنَّ شريعتَهم باقيةٌ لم تنسخ؛ فإنَّ التوراة والإنجيل شريعتان لمن مضى من الأُمَم قبل بعث محمد ﷺ، ومِن وقت بعثته انتسخ كلُّ شرعٍ سوى شَرعه ﷺ.

إذا علمتَ ذلك فقول المفسر: (﴿فَلَا يُنَـٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ أي: أمر الذبيحة. . . إلخ) لا يسلَّم؛ لأنه يقتضي أن يكون أكلُ الميتةِ من جملة المناسك والشرائع التي جعَلها الله لِبعض الأمم، ولا شكَّ في بطلان ذلك، فكان المناسب له أن يفسِّر الآية بما فسَّرناها به.

(١) قرأ حمزة والكسائي بكسر السين، والباقون بفتحها. انظر «السراج المنير» (٢/ ٥٦٤).

وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧٠﴾ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ ....

﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ﴾: إلى دِينِه ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى﴾: دِينٍ ﴿مُّسۡتَقِيمٖ﴾.

(٦٨ - ٦٩) ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾ في أمرِ الدِّين ﴿فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ فيُجازِيكُم علَيهِ، وهذا قبلَ الأمرِ بِالقِتال. ﴿ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ﴾ أيُّها المُؤمِنُون والكافِرُون ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ بِأن يَقُولَ كُلٌّ مِن الفرِيقَينِ خِلافَ قَول الآخَرِ.

٧٠ ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ﴾ ـ الاستِفهام فِيهِ لِلتَّقرِير ـ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي: ما ذُكِرَ ﴿فِي كِتَٰبٍۚ﴾ هو اللَّوحُ المَحفُوظ، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي: عِلمَ ما ذُكِرَ ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾: سَهلٌ.

٧١ ﴿وَيَعۡبُدُونَ﴾ أي: المُشرِكُون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ﴾ هو الأصنامُ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ﴾) أي: ادعُهم، أو ادع النَّاس عموماً.

قوله: (وهذا قبل الأمر بالقتال) أي: فهو منسوخٌ بآية القتال، وهذا أحد قولَين، وقيل: إنَّ الآية محكمةٌ، وحينئذٍ: فيكون المعنى: اترك جدالهم وفوِّض الأمر إلى الله بقولك: الله أعلَم بما تعملون، فيكون وعيداً لهم على أعمالهم حيث دامُوا على الكفر، وهو لا ينافي قتالهم؛ لأنَّ القتال يَرفعه أحدُ أمرين: الإسلام، أو الجزية مع البقاء على الكفر.

قوله: (﴿ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ﴾) أي: يقضي ويَفصل.

قوله: (الاستفهام فيه لِلتقرير) أي: وهو حملُ المخاطبِ على الإقرار بالحكم.

قوله: (أي: علمَ ما ذكر) أي: الموجودِ في السماءِ والأرضِ.

قوله: (هو اللوح المحفوظ) هو من دُرَّةٍ بيضاء فوق السماء السابعة، معلَّقٌ في الهواء، طولُهُ ما بين السماء والأرض، وعرضُهُ ما بين المشرق والمغرب.

سُلْطَـٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

﴿سُلْطَـٰنًا﴾: حُجَّة ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أنَّها آلِهة، ﴿وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ﴾ بالإشراكِ ﴿مِن نَّصِيرٍ﴾ يَمنَع عنهُم عذابَ الله.

﴿٧٢﴾ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا﴾ مِن القُرآنِ ﴿بَيِّنَـٰتٍ﴾: ظاهِراتٍ ـ حال ـ ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ﴾ أي: الإنكارَ لَها، أي: أثَرَه مِن الكَراهةِ والعُبُوس، ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا﴾ أي: يَقَعُونَ فِيهِم بِالبَطشِ، ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾ أي: بِأكرَهَ إلَيكُم مِن القُرآن المَتلوِّ علَيكُم؟ هو ﴿ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بأنَّ مَصِيرَهم إلَيها ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ هيَ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿سُلْطَـٰنًا﴾) أي: من جهة الوحي.

قوله: (﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾) أي: دليلٌ عقليٌّ.

قوله: (حال) أي: من (آيات).

قوله: (﴿فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾) وضع الظاهر موضعَ المضمر؛ تبكيتاً لهم.

قوله: (أي: الإنكار لها) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿ٱلْمُنكَرَ﴾ مصدرٌ ميميٌّ على حذف مضاف.

قوله: (﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾) هذه الجملة حال؛ إمَّا من الموصول، أو مِن: الوجوه، وضمَّن ﴿يَسْطُونَ﴾ معنى (يبطشون)، فعدَّاه بالباء، وإلا.. فهو متعدٍّ بـ(على).

قوله: (﴿ٱلنَّارُ﴾) قدَّر المفسِّر الضمير؛ إشارةً إلى أن النَّار خبرٌ لمحذوف، كأنه قيل: وما الأشَر؟[1] فقيل: هو النار.

قوله: (﴿وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾) (وعد): يتعدى لمفعولين: الهاء: مفعولٌ ثانٍ مقدَّم، و﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: مفعول أوَّل مؤخَّر، نظير قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ

(١) كذا هو الأصل في بناء التفضيل منه، ولا يكادُون يستعملونه إلا على لغة لبني عامر، وقرئ في الشاذ: (من الكذاب الأشَرُّ) على هذه اللغة. انظر «شرح التسهيل» لابن مالك (٣/ ٥٣).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ﴾ ....

﴿٧٣﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي: أهل مكَّةَ ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾، وهو ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾: تَعبُدُون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غَيره وهُم الأصنامُ ﴿لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا﴾ اسمُ جِنس واحِده: ذُبابةٌ، يَقَع على المُذكَّر والمُؤنَّث، ﴿وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ﴾ لِخَلقِه، ....

حاشية الصاوي

جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ٦٨]، ويَصح العكس بأن يجعل الضمير هو المفعول الأول، و﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: هو المفعول الثاني، وإليه يُشير المفسِّر بقوله: (بأن مصيرهم إليها) حيث جعل الذين كفروا هو الموعود به، والنار هي الموعودة، والمعنى: جعل الله الكفار طعاماً للنار وعَدها بهم، والأول أنسب من جهة العربية؛ لأنَّ المفعول الأول شَرطه صلاحيته لِلأخذ كـ: أعطيت زيداً درهماً.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾) هذه الآية مُرتبطة بقوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾، فالخطاب وإن كان لأهل مَكة إلا أنَّ المراد به عموم من كان يَعبد الأصنام.

والمَثَلُ في اللغة: مرادف للمِثْل والشِّبه والنظير، ثم صار حقيقةً عرفيَّةً فيما شبِّه مَضربه بموردِه[1]، كقولهم: (الصيفَ ضيَّعْتِ اللَّبن)[2] وليس مراداً هنا، بل المراد به: الأمر الغريب، والقصة العجيبة، وإليه يُشير المفسِّر في آخر العبارة بقوله: (هذا أمرٌ مستغربٌ).

قوله: (﴿فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾) أي: أصغوا إليه؛ لِتَعتبروا.

قوله: (وهو) أي: المثل المضروب.

قوله: (واحده ذبابة) أي: ويجمع على (ذِبَّان) بالكسر كـ(فربَّان)، و(ذُبَّان) بالضم كـ(قُضبان)، و(أذبَّة) كـ(أغربة)، مأخوذ من: ذُبَّ: إذا طُرِدَ، وآبَ: إذا رجع؛ لأنه يُذَبُّ فيرجع، وهو أحرَص الحيوانات وأجهلها؛ لأنه يَرمي نفسه في المهلكات، ومُدة عيشه أربعون يوماً، وأصل خلقته من العُفونات، ثمَّ يتوالد بعضُهُ من بعضٍ، يقع رَوثه على الشيء الأبيض فيرى أسود، وعلى الأسود فيرى أبيض.

قوله: (﴿وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ﴾) الجملة حاليَّة، كأنَّه قال: انتفى خلقهم الذباب على كلِّ حالٍ ولو في حال اجتماعهم.

---

(١) مَضربه: ما يضرب له ثانياً، مورده: ما ورَد فيه أولاً.

(٢) انظر «الأمثال» (ص١٠٤).

وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ....

﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا﴾ مِمَّا علَيهِم مِن الطِّيب والزَّعفرانِ المُلَطَّخُون بِه ﴿لَّا يَسْتَنقِذُوهُ﴾: لا يَستَرِدُّوه ﴿مِنْهُ﴾ لِعَجزِهِم، فكيفَ يَعبُدُونَ شُرَكاءَ الله تعالى؟ هذا أمرٌ مُستَغرَب عُبِّرَ عنهُ بِـ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ﴾، ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ﴾: العابِدُ ﴿وَٱلْمَطْلُوبُ﴾: المَعبُود.

﴿٧٤﴾ ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ عَظَّمُوهُ ﴿حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾: عَظَمَته؛ إذ أشرَكُوا بِه ما لَم يَمتَنِع مِن الذُّباب ولا يَنتَصِف مِنهُ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾: غالِب.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ﴾) أي: يأخذ ويختطف منهم.

قوله: (مما عليه من الطيب والزعفران... إلخ) أي: لأنهم كانوا يطلون الأصنام بالزعفران، ورؤوسها بالعسل، ويُغلقون عليها الأبواب، فيدخل الذباب من الكوى فيأكله، وكانوا يحلونها باليواقيت واللآلئ وأنواع الجواهر، ويُطيِّبونها بألوان الطيب، فربما سقط شيءٌ منها فيأخذه طائرٌ أو ذبابٌ، فلا تقدر الآلهة على استرداده.

قوله: (الملطخون به) المناسب أن يقول: (الملطخين) لأنه نعتٌ سببيٌّ لـ(الطيب والزعفران).

قوله: (﴿لَّا يَسْتَنقِذُوهُ﴾) أي: لا يخلِّصوه منه.

قوله: (عبَّر عنه بضرب المثل) جوابٌ عمَّا يقال: إن الذي ضُرِبَ وبُيِّن ليس بمثل حقيقة فكيف سمَّاه مَثَلاً؟

فأجاب: بأنَّ القصة العجيبة تسمَّى مَثَلاً؛ تشبيهاً لها ببَعض الأمثال في الغرابة.

قوله: (﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾) هذه الآية قيل: غير مرتبطةٍ بما قبلها، وعليه: فيكون سبب نزولها كما قيل: إنَّ رسول الله ﷺ كان جالساً وحَوله أصحابه وفي القوم مالك بن الصيف من أحبار اليهود، فقال له رسول الله ﷺ: «**ناشَدتك الله؛ هل رأيتَ في التوراة أن الله يَكره الحبر السمين؟**»، فقال: نعم، فقال له رسول الله ﷺ: «**وأنت حبرٌ سمينٌ**»، فضَحك القوم، فالتفت مالكٌ إلى عمر بن الخطاب، وقال: ما أنزل الله على بَشرٍ من شيءٍ[1].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٢١) عن سعيد بن جبير.

ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٧٥﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ ....

﴿٧٥﴾ ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ رُسلاً، نزل لَمَّا قال المُشرِكُون: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ﴾ [ص: ٨]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ﴾ لِمَقالَتِهِم ﴿بَصِيرٞ﴾ بِمَن يَتَّخِذهُ رَسُولاً، كجِبريلَ ومِيكائيلَ وإبراهِيم ومُحمَّد وغَيرهم صلَّى الله عليهِم وسَلَّم.

﴿٧٦﴾ ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ﴾ أي: ما قَدَّمُوا وما خَلَّفُوا وما عَمِلُوا وما هُم عامِلُون بعدُ، ....

حاشية الصاوي

وقيل: سبب نزولها: أنَّ اليهود قالوا: خَلق الله السماوات يوم الأحد، والأرض يوم الاثنين، والجبالَ يوم الثلاثاء، والأوراق والأشجار يوم الأربعاء، والشمس والقمر في يوم الخميس، وخَلق آدم وحواء في يوم الجمعة، ثمَّ استلقى على ظهره ووضع إحدى رجليه على الأخرى واستراح، فغضب رسول الله ﷺ[1].

وقيل: إنها من تَتمة المثل، وعليه درج المفسِّر.

قوله: (﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي﴾) أي: يختار.

قوله: (﴿مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا﴾) إن قلتَ: إنَّ هذا يقتضي أن يكون الرسل بعض الملائكة لا كلَّهم، وآية (فاطر) تقتضي أنَّ الكلَّ رسلٌ.

وأجيب: بأنَّ التبعيض بالنسبة لإرسالهم لبني آدم، والجميع رسلٌ بالنسبة لبعضهم بعضاً.

قوله: (﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ رسلاً) أشار بذلك إلى أنَّ في الآية الحذفَ من الثاني لدلالة الأول عليه.

قوله: (نزل لما قال المشركون) القائل هو الوليد بن المغيرة ووافَقه على ذلك قومه.

قوله: (كجبريل... إلخ) مثَّل باثنين من الملائكة واثنين من الإنس.

قوله: (ما قدَّموا) أي: من الأعمال.

قوله: (وما خلَّفوا) أي: لم يَعملوه بالفعل.

قوله: (أو ما عملوا) أي: بالفعل، وقوله: (وما هم عاملون) أي: في المستقبل.

---

(١) نقله الخطيب في «السراج المنير» (٢/ ٥٦٦).

وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ ....

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾.

﴿٧٧﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ﴾ أي: صَلُّوا ﴿وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ﴾: وَحِّدُوهُ، ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ﴾ كصِلةِ الرَّحِم ومَكارِمِ الأخلاقِ، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: تَفُوزُون بِالبَقاء في الجنَّة.

﴿٧٨﴾ ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ﴾ لِإقامةِ دِينه ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾ بِاستِفراغِ الطَّاقة فِيه، ونَصبُ ﴿حَقَّ﴾ على المَصدَر، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾) أي: تَصير أمور الخلائق إليه تعالى ويجازي كلاً بعمله.

قوله: (أي: صَلوا) أي: وعبَّر عنها بالركوع والسجود من باب: تسمية الشيء باسم أشرف أجزائه.

قوله: (كصلة الرحم ومكارم الأخلاق) أي: وغيرهما من الخيرات الواجبة والمندوبة.

قوله: (﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾) الترجي في القرآن بمنزلة التحقيق؛ أي: فالفلاح محقَّقٌ لمن فعل هذه الأمور.

قوله: (﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ﴾) أي: أعداءكم الظاهريَّة والباطنيَّة؛ فالظاهرية: فرق الضلال والكفر، ومجاهدتها معلومةٌ، ويسمَّى الجهاد الأصغر، والباطنية: النفس والهوى والشيطان، ومجاهدتها الامتناع من شهواتها شيئاً فشيئاً، ويسمَّى الجهاد الأكبر؛ كما في الحديث[1]، ووَجه تسميته أكبر: أنَّ الأعداء الظاهرية تحضر تارةً وتغيب أخرى وتصالح، وإذا قتلها الشخص أو قتلته.. فهو في الجنة، بخلاف الأعداء الباطنية؛ فلا تَغيب أصلاً، ولا يمكن الصلح معها، وإذا قتلت صاحبها وغلَبته.. فهو في النار.

قوله: (﴿حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾) من إضافة الصفة للموصوف؛ أي: جهاداً حقًّا.

---

(١) الذي رواه البيهقي في «الزهد الكبير» (٣٧٣)، والخطيب في «تاريخه» (١٥/ ٦٨٥) عن سيدنا جابر رضي الله عنه قال: قدم على رسول الله ﷺ قوم غُزاة، فقال ﷺ: «قَدِمتم خيرَ مَقدم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: «مُجاهَدة العبد هواهُ»، وقال البيهقي: هذا إسناد ضعيف.

هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ....

﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾: اختاركُم لِدِينِه، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ أي: ضِيق، بِأن سَهَّلَهُ عِند الضَّرُورات كالقَصرِ والتَّيَمُّم وأكلِ المَيتة والفِطر لِلمَرَضِ والسَّفَر، ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ﴾ ـ مَنصُوب بِنَزعِ الخافِض الكاف ـ ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ ـ عَطف بَيان ـ ﴿هُوَ﴾ أي: اللهُ ﴿سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ أي: قبلَ هذا الكِتاب، ﴿وَفِى هَٰذَا﴾ أي: القُرآنِ ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ يومَ القِيامة أنَّهُ بَلَّغَكُم، ﴿وَتَكُونُوا۟﴾ أنتُم ﴿شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أنَّ رُسُلَهم بَلَّغَتهُم،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾) أي: اصطفاكم وجعلكم أمَّةً وسطاً.

قوله: (﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾) المراد بالدين: أُصوله وفروعه؛ حيث لم يشدِّد عليهم كما شدَّد على مَنْ قبلهم؛ فمِن ذلك: قَبول توبتهم إذا ندموا وأقلعوا، ولم يَجعل توبتَهم قتلَ أنفسهم، وإذا أذنب الشخص ذنباً.. ستره الله ولم يَفضحه في الدنيا؛ بأن يجده مكتوباً في جبهته أو على باب داره؛ كما كان فيمن قبلهم، وجعل النجاسة تزال بالماء دُون قطع محلها... وغير ذلك.

إن قلتَ: كيف لا حرج في الدين مع أنَّ اليد تقطع بسرقة ربع دينار، والمحصن يرجم بزنا مرة ونحو ذلك؟

أجيبَ: بأنَّ رفع الحرج لمن استقام على منهاج الشرع، وأمَّا السراق وأصحاب الحدود.. فقد انتهكوا حُرمة الشرع، وانتقلوا من السهولة للصعوبة؛ لأنَّ الله لم يحرم المال مطلقاً، ولا النكاح مطلقاً، بل أحلَّ أشياء، وحرَّم أشياء، فما جزاء من يتعدَّى الحدود إلا التشديد عليه.

قوله: (بنزع الخافض في الكاف) أي: كملَّة أبيكم، فالتشبيه في أصول الدين، وفي سُهولة الفروع.

قوله: (﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾) أشار المفسِّر إلى أنَّ الضمير عائدٌ على الله تعالى، وقيل: الضمير عائد على إبراهيم.

قوله: (أي: قبل هذا الكتاب) أي: في الكتب القديمة.

قوله: (﴿وَفِى هَٰذَا﴾) أي: بقوله: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾.

قوله: (﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ﴾) متعلق بـ﴿سَمَّىٰكُمُ﴾، واللام: للعاقبة.

﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾

﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: داوِمُوا علَيها، ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾: ثِقُوا بِه، ﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾: نَاصِرُكُم ومُتَوَلِّي أُمُورِكُم، ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ هو ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ أي: النَّاصِر لكُم.

✿ ✿ ✿

حاشية الصاوي

قوله: (داوموا عليها) أي: بِشروطها وأركانها.

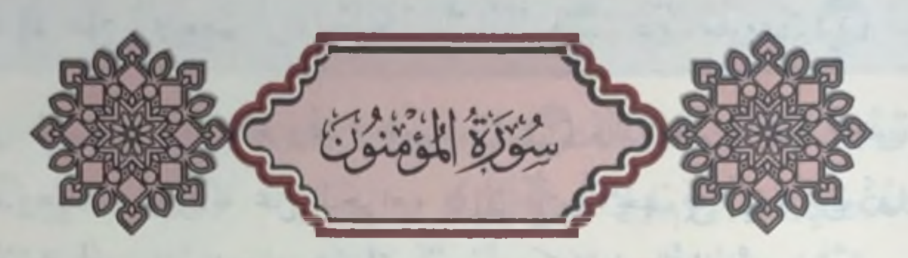
قوله: (﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾) أي: لمستحقِّها.

قوله: (ثِقوا) أي: في جميع أموركم.

قوله: (هو) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ المخصوص بالمدح محذوف، وحَذفه من الثاني لدلالة هذا عليه.

✿ ✿ ✿

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ ....



مَكِّيَّة، وهي مائةٌ وثماني أو تسع عشرةَ آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿قَدْ﴾ ـ لِلتَّحقيق ـ ﴿أَفْلَحَ﴾: فازَ ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

(﴿٢﴾ ـ ﴿٧﴾) ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾: مُتَواضِعُون. ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ المُؤْمِنُونَ مكية

(سورة): مبتدأ، و(المؤمنون): مضاف إليه مجرور بياء مقدَّرة، مَنع من ظهورها اشتغال المحل بواو الحكاية، و(مكيَّة): خبر، وظاهره: أنَّ جميعها مكيٌّ، وقيل: إلا ثلاثَ آيات، وهي قوله: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ﴾ إلى ﴿مُبْلِسُونَ﴾ فإنهنَّ مدنيَّات.

قوله: (وثمان) هذا قول الكوفيين، وقوله: (أو تسع عشرة آية) هو قول البصريين، وسببُ هذا: اختلافهم في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ هل هو آية كما قالَه البصريين، أو بعض آية كما قاله الكوفيون؟

قوله: (﴿قَدْ﴾: للتحقيق) أي: لِتَحقيق ما يحصل في المستقبل، وتنزيلِه منزلة الواقع.

قوله: (فاز ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾) أي: ظَفروا بمقصودهم، ونجَوْا من كلِّ مكروه، قال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

والمؤمِنون: جمع مؤمن، وهو المصدِّق بالله، ورُسله، وملائكته، وكتبه، واليوم الآخر، والقدر خيره وشرِّه، حُلوه ومرِّه.

قوله: (﴿خَٰشِعُونَ﴾) أي: ظاهراً وباطناً؛ فالخشوع الظاهري: التمسُّك بآداب الصلاة؛ كعدم الالتفات والعبث وسَبْقِ الإمام ووضع اليد في الخاصرة وغير ذلك، والخشوع الباطني: استحضارُ عظمةِ الله، وعدم التفكُّر بدنيويٍّ. وقدَّم الصلاة؛ لأنها أعظمُ أركان الدين بعد الشهادتين.

وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ ....

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ﴾ مِن الكلام وغَيره ﴿مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ﴾: مُؤَدُّون. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ﴾ عن الحَرام، ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ أي: مِن زَوجاتِهم، ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ﴾ أي: السَّرارِي؛ ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ في إتْيانِهِنَّ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ﴾) المراد به: كلُّ ما لا يَعود على الشخص منه فائدةٌ في الدين والدنيا، كان قولاً أو فعلاً، حراماً أو مكروهاً أو مباحاً؛ كالهزل واللعب وضياع الأوقات فيما لا يعني والتغوُّل في الشهوات وغير ذلك ممَّا نهى الله عنه، وبالجملة: فيَنبغي للإنسان أن يُرَى ساعياً في حسنةٍ لمعاده، أو درهمٍ لمعاشه، و«مِن حسن إسلام المرء تركُه ما لا يَعنيه»[1].

قوله: (﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ﴾) اعلَم: أنَّ الزكاة تطلق على القدر المخرَج كربع العشر من النقدَين، والعشر أو نصفه من الحرث، والشاة من الأربعين، وعلى المصدر الذي هو فعل الفاعل؛ فعلى الأول يكون معنى قوله: ﴿فَـٰعِلُونَ﴾: مؤدُّون؛ لأنَّ القدر المخرج لا معنى لِفعله، وعلى الثاني: فـ﴿فَـٰعِلُونَ﴾ على بابه.

قوله: (﴿حَـٰفِظُونَ﴾) أي: مانِعون.

قوله (عن الحرام) أي: عن كلِّ ما لا يحلُّ وطؤه بوجهٍ من الوجوه.

قوله: (أي: من زوجاتهم) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿عَلَىٰٓ﴾ بمعنى (من).

قوله: (﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ﴾) عبَّر بـ(ما) دون (من) وإن كان المقام له؛ لأنَّ الإناث ناقصات ولا سيَّما الأرقاء؛ ففيهنَّ شبهٌ بالبهائم في حلِّ البيع والشراء.

قوله: (أي: السَّراري) جمع سُرِّيَّة بالضم، وهي في الأصل: الأمة التي بوِّئت ببيت، مأخوذة من السِّر، وهو الجماع أو الإخفاء؛ لأنَّ الإنسان كثيراً ما يُسِرُّها ويَسترها عن حرَّته، أو من السرور؛ لأنَّ مالكها يُسَرُّ بها.

قوله: (﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾) عِلة للاستثناء.

---

(١) رواه الترمذي (٣٢١٧)، وابن ماجه (٣٩٧٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ....

﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ مِن الزَّوجاتِ والسَّرارِي ـ كالاستِمناءِ بِيَدِهِ في إتيانِهِنَّ ـ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾: المُتَجاوِزُونَ إلى ما لا يَحِلُّ لَهُم.

(﴿٨﴾ - ﴿٩﴾) ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ﴾ ـ جمعاً ومُفرَداً ـ ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ فِيما بَينَهم أو فِيما بَينَهم وبَينَ الله مِن صَلاةٍ وغَيرِها ﴿رَٰعُونَ﴾: حافِظُون، ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ﴾ ـ جَمعاً ومُفرَداً ـ ﴿يُحَافِظُونَ﴾: يُقِيمُونَها في أوقاتِها.

(﴿١٠﴾ - ﴿١١﴾) ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ لا غَيرُهُم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (كالاستمناء بيده) أي: فهو حرامٌ عند مالك والشافعي وأبي حنيفة، وقال أحمد بن حنبل: يجوز بشروط ثلاثة: أن يخاف الزنا، وألَّا يجد مهرَ حرَّةٍ أو ثمنَ أمة، وأن يَفعله بيده لا بيد أجنبي أو أجنبيَّة[1].

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ﴾) أي: ما ائتُمِنُوا عليه من حُقوق الخالق كالصلاة والصوم والحج وفعل المعروف والنهي عن المنكر، وحقوق الخلق كالودائع والصنائع وأعراض الخلق وعَوراتهم.

قوله: (جمعاً ومفرداً) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (﴿وَعَهْدِهِمْ﴾) مرادفٌ للأمانات.

قوله: (حافِظون) أي: غير مضيِّعين لها.

قوله: (﴿يُحَافِظُونَ﴾) أي: يُداومون عليها بشروطها وأركانها وآدابها، ولكون الصلاةِ عمادَ الدين وأعظمَ أركانه.. ابتدأ بها أوصافَ المؤمنين، وختَمها بها.

قوله: (لا غيرهم) أخذ الحصر من وجود ضمير الفصل؛ لأنَّ الجملةَ المعرَّفةَ الطرفين تُفيد الحصر، وهو إضافيٌّ لا حقيقيٌّ؛ لأنه ثبت أنَّ الجنة يَدخلها الأطفال والمجانين والعصاة الذين ماتوا

---

(١) انظر «حاشية ابن عابدين» (٤/ ٢٧)، و«الشرح الكبير» للدردير (٢/ ٢١٦)، و«تحفة المحتاج» (٣/ ٤٠٩)، و«المغني» لابن قدامة (٣/ ١٢٨).

(٢) قرأ ابن كثير هنا وفي (سأل): «لأمانتهم» بالتوحيد، والباقون بالجمع. انظر «الدر المصون» (٨/ ٣١٩).

﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً﴾ ....

﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ﴾ هو جَنَّةٌ أعلى الجِنان، ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، في ذلك إشارةٌ إلى المَعادِ، ويُناسِبهُ ذِكرُ المَبدَأ بَعدَه.

(﴿١٢﴾ - ﴿١٣﴾) ﴿وَ﴾ اللهِ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾: آدم ﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾ هي مِن (سَلَلتُ الشَّيءَ مِن الشَّيء) أي: استَخرَجتُه مِنهُ، وهو خُلاصَتُه، ﴿مِّن طِينٍ﴾ - مُتعلِّق بـ﴿سُلَٰلَةٍ﴾ -، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ﴾ أي: الإنسانَ نَسلَ آدم ﴿نُطْفَةً﴾: مَنِيًّا ....

حاشية الصاوي

على الإيمان بعد العفو؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، أو يقال: إنَّ الحصر فيهم حقيقيٌّ بالنسبة لِلفردوس، وباقي الجنان لمن لم يمت كافراً.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ﴾) عبَّر بالإرث دون الاستحقاق؛ لأنَّ الإرثَ ملكٌ دائمٌ.

قوله: (ويُناسبه ذكر المبدأ بعده) أشار بذلك إلى وجه المناسبة بين هذه الآية وما قبلها، والمعنى: أنَّ الآية التي سبقت ذكر فيها المعاد وما يؤول إليه أمرُ من اتصف بتِلك الصفات، وهذه الآية ذكر فيها بيان المبدأ، وحينئذٍ فبين الآيتين مناسبة، وهذا أتمُّ مما قيل: إنَّ هذه الآية جملةٌ مستأنفةٌ لا ارتباط لها بما قبلها.

قوله: (﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾... إلخ) ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات من هنا إلى قوله: ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ أربعةَ أنواعٍ من دلائل قدرته تعالى:

الأول: تقلُّب الإنسان في أطوار خِلْقَتِهِ، وهي تسعةٌ، آخرها قوله: ﴿تُبْعَثُونَ﴾. الثاني: خلق السماوات. الثالث: إنزال الماء. الرابع: مَنافع الحيوانات، وذكر منها أربعةَ أنواعٍ.

واللام موطئة لقسم محذوفٍ، قدَّره المفسِّر بقوله: (والله)[1].

قوله: (﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾) متعلق بـ﴿خَلَقْنَا﴾.

قوله: (متعلق بـ﴿سُلَٰلَةٍ﴾) أي: لأنه بمعنى: مَسلول.

قوله: (أي: الإنسانَ نسلَ آدم) أشار المفسِّر إلى أنَّ الضمير يَعود على الإنسان، لكن لا بالمعنى

---

(١) اللام واقعة في جواب قسم محذوف كما قدَّره المفسِّر رحمه الله.

فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ....

﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ هو الرَّحِم.

﴿١٤﴾ ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾: دَماً جامِداً، ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾: لَحمةً قَدرَ ما يُمضَغُ، ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ وفي قِراءة: ﴿عَظْماً﴾ في المَوضِعَينِ، و﴿خَلَقْنَا﴾ في المَواضِع الثَّلاث بِمَعنَى: صَيَّرنا، ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ بِنَفخِ الرُّوح فِيه، ....

حاشية الصاوي

الأول، وحينئذٍ: ففي الكلام استخدامٌ، ويُؤيِّده قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة: ٧-٨].

قوله: (﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾) أي: في مَقرٍّ متمكِّن، وُصِفَ بذلك؛ لأنه محفوظٌ لا يطرأ عليه اختلالٌ مع كونه ضيِّقاً.

قوله: (﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾) قيل: كلّها، وقيل: جزءٌ منها والباقي يُوضع نصفه في موضع تربته، والنصف الثاني يوضع في السماء، فإذا أراد الله إحياءَ الخلق من القبور.. أمطرت السماء منيًّا، فتتلاقى النطف النازلة من السماء بالنطف الباقية في الأرض، فتوجد الخلائق بينهما، وهذا هو حكمة قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

قوله: (وفي قِراءة: «عَظْماً») أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1].

قوله: (﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾) أي: من غير توانٍ، والمعنى: حوَّلنا النطفةَ عن صفاتها إلى صفةٍ لا يحيط بها وصفُ الواصفين.

قوله: (بنفخ الروح فيه) هذا قول ابن عباس والشعبي والضحاك، وقيل: الخَلق الآخر هو: خروجه إلى الدنيا، وقيل: خروج أسنانه وشعره، وقيل: كمالُ شبابه. والأتمُّ: أنه عامٌّ في هذا وغيره من النطق والإدراك وتحصيل المعقولات وجميع الأمور التي اشتَمل عليها بنو آدم من الكمالات الحسيَّة والمعنويَّة التي يشير لها قولُ بعض العارفين: [المتقارب]

---

(١) قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم: «عَظْماً» بالإفراد، والباقون بالجمع. انظر «الدر المصون» (٨/ ٣٢٢).

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ١٦﴾ ....

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ أي: المُقَدِّرين، ومُمَيِّز ﴿أَحۡسَنُ﴾ مَحذُوفٌ لِلعِلمِ بِه، أي: خَلقاً.

(﴿١٥﴾ - ﴿١٦﴾) ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ﴾ لِلحِسابِ والجَزاء.

حاشية الصاوي

وتحسَبُ أنَّكَ جِرْمٌ صَغيرٌ وفِيكَ انطَوَى العالَمُ الأكبَرُ

قوله: (﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾) أي: تَعاظم وارتفع قدرُهُ.

قوله: (المقدِّرين) أي: المصوِّرين، ودفع بذلك ما يقال: إنَّ اسم التفضيل يَقتضي المشاركة مع أنه لا خالق غيره، فأجاب بأنَّ المراد بالخلق: التقديرُ، لا الإيجاد والإبداع، والتقديرُ حاصلٌ من الحوادث.

قوله: (لِلعلم به) أي: من قوله: ﴿ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾؛ فإنه يدلُّ عليه.

قوله: (﴿بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾) أي: مِن الأمور العجيبة.

قوله: (﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾) أي: عند النَّفخة الثانية.

إن قلتَ: ما حكمة اختلاف المتعاطفات بـ(ثم) والفاء؛ لأنه ورد: أنَّ مدة كلِّ طور أربعون يوماً[1]؛ فإن نَظر لآخر المدة وأولها اقتضى أن يعطف بـ(ثم)، وإن نظر لآخرها اقتضى أن يعطف بالفاء؟

أُجيب: بأنه نزَّل التفاوت بين الأطوار بمنزلة التراخِي والبعد الحسِّي؛ لأنَّ حصولَ النطفة من التراب غريبٌ جدًّا، وكذا جعلها دماً، بخلاف جعل الدم لحماً، فهو قريبٌ لمشابهته له في اللَّون والصورة، وكذا جعلها عظماً، وأمَّا جَعلها خلقاً آخر.. فغريبٌ، وكذا الموت والبعث، فظهر حِكمة التعبير في كلِّ موضعٍ بما يناسبه.

---

(١) روى البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدَّثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدُوق، قال: «إنَّ أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون عَلقة مثل ذلك، ثم يكون مُضغة مثل ذلك...» الحديث.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ ....

﴿١٧﴾ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ أي: سَماواتٍ جَمع طَريقة؛ لِأنَّها طُرُقُ المَلائكةِ، ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ﴾ تَحتَها ﴿غَٰفِلِينَ﴾ أن تَسقُطَ علَيهِم فتُهلِكَهُم، بل نُمسِكُها كآيةِ: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [الحج: ٦٥].

(﴿١٨﴾ - ﴿١٩﴾) ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ﴾ مِن كِفايَتِهم، ﴿فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ فيَمُوتُونَ مع دَوابِّهِم عَطَشاً. ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ﴾) المراد به: جِهة العلو؛ لأنَّ كونَها فوقُ إنما هو بعد خلق الخَلق، وإلَّا.. فوقت خَلق السماوات لم يكونوا مخلوقين.

قوله: (لأنها طُرق الملائكة) أي: في العُروج والهبوط والطيران، وقيل: معنى ﴿طَرَآئِقَ﴾: مطروقات؛ أي: موضوعٍ بعضُها فوق بعضٍ، فهو معنى ﴿طِبَاقًا﴾ في الآية الأخرى.

قوله: (﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾) الجارُّ والمجرور متعلق بـ(أنزلنا).

قوله: (﴿بِقَدَرٍ﴾) أي: تقديرٍ؛ لجلب مَنافعهم ودفع مضارِّهم، وقيل: المعنى بقدر حاجاتهم، وإليه يشير المفسِّر.

قوله: (﴿فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾) أي: جَعلناه ساكناً ثابتاً مستقرًّا في الأرض، بعضُهُ على ظهرها، وبعضُهُ في بَطنها.

قوله: (﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾) الباء في (به): للتعدية، والمعنى: وإنا لَقادرون على إذهابه، روى الشيخان عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ أنزل من الجنة خمسةَ أنهار: سَيحون، وجيحون، ودجلة، والفرات، والنيل، أنزلها الله عزَّ وجلَّ من عين واحدة من عُيون الجنة، من أسفل درجةٍ من درجاتها، على جناحي جبريل، استودعها الجبال، وأجراها في الأرض، وجعل فيها مَنافع للناس، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج.. أرسل الله عزَّ وجلَّ جبريل، فرفع من الأرض القرآن والعلم كلَّه، والحجر الأسود من ركن البيت، ومَقام إبراهيم، وتابوت موسى بما فيه، وهذه الأنهار الخمسة، فيرفع ذلك

فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ ....

﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾ هُمَا أكثَرُ فَواكِهِ العَرَب، ﴿لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ صَيفاً وشِتاءً.

﴿٢٠﴾ ﴿وَ﴾ أنشَأْنا ﴿شَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ جَبَل - بِكَسرِ السِّين وفَتحِها، ومَنع الصَّرفِ لِلعَلَمِيَّة والتَّأنيثِ لِلبُقعة -، ....

حاشية الصاوي

إلى السماء، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾، فإذا رفعت هذه الأشياء كلُّها من الأرض.. فَقَدَ أهلُهَا خيرَ الدنيا والدين»[(١)].

قوله: (﴿لَّكُمْ فِيهَا﴾) أي: الجنات.

قوله: (﴿وَمِنْهَا﴾) أي: من ثمر الجنَّات؛ كالرُّطب والعنب والتمر والزبيب وغير ذلك.

قوله: (﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾) المراد بها: شجرة الزيتون، وخصَّت بسيناء؛ لأنَّ أصلها منه ثمَّ نُقِلت، وهي أوَّل شجرة نبتت في الأرض بعد الطوفان، وتبقى في الأرض كثيراً حتى قيل: إنها تعمر ثلاثة آلاف سنة.

قوله: (﴿سَيْنَآءَ﴾) قيل: معناه المبارك، أو الحسن، أو الملتفُّ بالأشجار، وهو الجبل الذي نُودِيَ عليه موسى.

قوله: (منع الصرف للعلمية والتأنيث) أي: وقيل: للعَلَمية والعجمة؛ لأنه اسمٌ أعجميٌّ نطقت به العرب فاختَلفت فيه لغاتهم، فقالوا: سِينَاء بكسر السين وفتحها، وسِينَين، فهو علمٌ مركبٌ كامرئ القيس، ومنع من الصرف وإن كان جزءَ عَلَم نظراً إلى أنه عُومل مُعاملة العَلم.

قوله: (والتأنيث للبقعة) أي: والهمزة فيه ليست للتأنيث، بل للإلحاق بقِرطاس[(٢)]، وهي منقلبة

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٩٥) لابن مردوَيه والخطيب عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما، وفي «صحيح مسلم» (٢٨٣٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه: «سيحان وجيحان، والفرات والنيل كلٌّ من أنهار الجنة»، وفي «صحيح البخاري» (٣٢٠٧) ذكر النيل والفرات.

(٢) الإلحاق هو: زيادةٌ في الكلمة تبلغ بها زنة الملحق به؛ لضرب من التوسُّع في اللغة، فذواتُ الثلاثة يبلغ بها الأربعة والخمسة، وذوات الأربعة يبلغ بها الخمسة. انظر «المنصف» لابن جني (ص٣٤).

تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ....

﴿تَنۢبُتُ﴾ - مِن الرُّباعِيِّ والثُّلاثيِّ - ﴿بِٱلدُّهۡنِ﴾ - الباءُ زائدةٌ على الأوَّل، ومُعَدِّيةٌ على الثَّاني - وهي شَجَرةُ الزَّيتُون، ﴿وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ﴾ - عَطف على (الدُّهنِ) - أي: إدام يَصبُغ اللُّقمة بِغَمسِها فِيه وهو الزَّيتُ.

(٢١ - ٢٢) ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾: الإبِل والبَقَر والغَنَم ﴿لَعِبۡرَةٗۖ﴾: عِظَةً تَعتَبِرُون بِها، ﴿نُّسۡقِيكُم﴾ - بِفَتحِ النُّون وضَمِّها - ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ اللَّبَن ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٞ﴾ مِن الأصوافِ والأوبارِ والأشعارِ وغَيرِ ذلك، ﴿وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيۡهَا﴾ أي: الإبلِ ﴿وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ﴾ أي: السُّفُنِ ﴿تُحۡمَلُونَ﴾.

(٢٣) ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾: أَطِيعُوهُ ووَحِّدُوه، ....

حاشية الصاوي

عن ياء أو واو؛ لوقوعها متطرفة بعد ألف زائدة[١].

قوله: (من الرباعي والثلاثي) أي فهما قراءتان سبعيَّتان[٢].

قوله: (﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ﴾) عبَّر في جانب الأنعام بِالعبرة دون النبات؛ لأنَّ العبرة فيها أظهر.

قوله: (﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾) عبَّر بلفظ الجمع هنا؛ لأنَّ المراد هنا العموم؛ بدليل العَطف بقوله: ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ. . .﴾ إلخ، وذكَّر الضمير في (النحل)[٣] باعتبار البعض؛ فإنَّ المراد خُصوص الإناث؛ بدليل الاقتصار على اللبن.

قوله: (أي: الإبل) خصَّها؛ لأنها المحمول عليها غالباً، ويصحُّ عَودُهُ على الأنعام؛ لأنَّ منها ما يحمل عليه أيضاً كالبقر.

قوله: (﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾) شروعٌ في ذكر خمس قِصَص غير قصة خلق آدم، فتكون

(١) وحينئذ: فكأنَّ منع صرفه للتعريف والتأنيث؛ لأن (سيناء) علم على بقعة. «فتوحات» (٣/ ١٩٩).

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «تُنْبِتُ» بضمِّ التاءِ وكسرِ الباءِ، والباقون بفتح التاء وضمِّ الباء. انظر «الدر المصون» (٨/ ٣٢٨).

(٣) في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾.

مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ ....

﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ ـ وهو اسمُ ﴿مَا﴾ وما قَبله الخَبَر، و﴿مِّنْ﴾ زائدةٌ ـ، ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: تَخافُونَ عُقُوبتَه بِعِبادَتِكم غَيره؟

﴿٢٤﴾ ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ لِأتباعِهِم: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ﴾: يَتشَرَّف ....

حاشية الصاوي

ستًّا: الأولى: قصة نوح، الثانية: قصة هود، الثالثة: قصة القرون الآخرين، الرابعة: قصة موسى وهارون، الخامسة: قصة عيسى وأمِّه، والمقصودُ منه: إطْلاع الأمَّة المحمديَّة على أحوال من مضى؛ ليَقتدوا بهم في الخصال المرضيَّة، ويَتباعدوا عن خصالهم المذمومة.

ونوحٌ لقبه، واسمه؛ قيل: عبد الغفار، وقيل: عبد الله، وقيل: يشكر[1].

قوله: (﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾) بمنزلة التعليل لما قبله.

قوله: (وهو اسم ﴿مَا﴾) أي: قوله: ﴿إِلَٰهٍ﴾، وأمَّا لفظ ﴿غَيْرُهُۥٓ﴾ فيصح فيه الرفعُ إتباعاً لمحلِّ ﴿إِلَٰهٍ﴾، والجرُّ إتباعاً للفظه، قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (وما قبله الخبر) أي: وهو الجارُّ والمجرور، وما مشى عليه المفسِّر طريقةٌ ضعيفةٌ للنحاة، وهي جواز إعمال (ما) عند مخالفة الترتيب بين خبرها واسمها إذا كان الخبر ظرفاً أو جارًّا أو مجروراً، والمشهور إهمالها حينئذٍ، فكان المناسب أن يقول: وهو مبتدأ مؤخَّر، وما قبله الخبر.

قوله: (﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾) الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أجهلتم فلا تتقون؟

قوله: (﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟﴾) أي: الأشرافُ، وحاصل ما ذكروه خمسُ مقالات: الأولى: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾، الثانية: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾، الثالثة: ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾، الرابعة: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾، الخامسة: ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ﴾؛ ولكونها ظاهرةَ الفسادِ لم يتعرض لردِّها.

---

(١) في (ط٢) زيادة: (وعاش من العمر ألف سنة وخمسين، لأنه أرسل على رأس الأربعين، ومكث يدعو قومه ألف سنة إلا خمسينَ، وعاش بعد الطوفان سِتين سنة، وهذا أحد أقوال تقدَّمت) وقد شطب عليها في (أ).

(٢) قرأ الكسائي بكسر الراء والهاء، والباقون بضمِّهما. انظر «السراج المنير» (٢/٥٧٦).

عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ ....

﴿عَلَيْكُمْ﴾ بِأن يَكُونَ مَتبُوعاً وأنتُم أتباعُه، ﴿وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ﴾ أن لا يُعبَدَ غيره ﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ بِذلكَ لا بَشَراً، ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ الَّذي دَعا إلَيهِ نُوح مِن التَّوحِيد ﴿فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: الأُمَمِ الماضِيَة.

﴿٢٥﴾ ﴿إِنْ هُوَ﴾: ما نُوح ﴿إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ حالةُ جُنُون، ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ﴾: انتَظِرُوه ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾: إلى زَمَن مَوتِه.

﴿٢٦﴾ ﴿قَالَ﴾ نُوح: ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾ عَلَيهِم ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾ أي: بِسَبَبِ تَكذِيبِهم إيَّايَ، بِأن تُهلِكَهُم، قال تَعالى مُجِيباً دُعاءَه:

حاشية الصاوي

قوله: (بأن يكون متبوعاً) أي: بادِّعاء الرسالة.

قوله: (ألَّا تعبدوا غيره[1]) أشار بذلك إلى أنَّ مفعول المشيئة محذوفٌ.

قوله: (بذلك) أي: بألَّا يُعْبَدَ غيره.

قوله: (لا بشراً) أي: لأنَّ الملائكة لِشدة سَطوتهم وعلوِّ شأنهم ينقاد الخلق إليهم من غير شكٍّ، فلمَّا لم يفعل ذلك.. علمنا أنه ما أرسل رسولاً.

قوله: (حالة جنون) أي: فـ(فِعلة) بالكسر للهيئة، قال ابن مالك: [الرجز]

وفِـعْـلَـةٌ لـهـيـئَـةٍ كـجِـلْـسَـهْ[2]

قوله: (إلى زمن موته) أي: فكانوا يَقولون لبعضهم: اصبروا؛ فإنه إن كان نبيًّا حقًّا.. فالله يَنصره ويقوِّي أمره، وإن كان كاذباً.. فالله يَخذله ويبطل أمره، فنستريح منه.

أو المراد بالحين: الزمان الذي تظهر فيه العواقب، فالمعنى: انتظروا عاقبةَ أمره؛ فإن أفاق، وإلَّا.. فاقتُلوه.

قوله: (﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾) أي: قال ذلك بعد أن أيِس من إيمانهم.

---

(١) في (ط٢): (ألا يُعْبَدَ غيره).

(٢) صدره كما في «الخلاصة»، باب: أبنية المصادر:

وَفَـعْـلَـةٌ لِـمَـرَّةٍ كَـجَـلْـسَـةْ

﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾ ....

(٢٧) ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾: السَّفِينةَ ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾: بِمَرأى مِنَّا وحِفظِنا، ﴿وَوَحْيِنَا﴾: أمرِنا، ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكِهِم ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ لِلخَبَّازِ بالماءِ، وكان ذلك عَلامةً لِنُوحٍ، ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا﴾ أي: أدخِلْ في السَّفِينةِ ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾ أي: ذَكَرٍ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾) (أنْ): مفسِّرة؛ لوقوعها بعد جملةٍ فيها معنى القول دُون حروفه.

قوله: (﴿بِأَعْيُنِنَا﴾) حال من الضمير في ﴿ٱصْنَعِ﴾، وجمع الأعين؛ للمبالغة.

قوله: (بمرأى منَّا وحفظنا) أشار بذلك إلى أنَّ في الآية مجازاً مرسلاً؛ لأنَّ شأن من نَظر إلى الشيء بعينه حفظُهُ، فأُطلق اللازم وأريد الملزوم.

قوله: (﴿وَوَحْيِنَا﴾) أي: تعليمنا؛ فإنَّ الله أرسل إليه جبريل، فعلَّمه صنْعَتَها، وصَنَعَها في عامين، وجعل طولها ثمانين ذراعاً، وعرضها خمسين، وارتفاعها ثلاثين، والذراع إلى المنكب، وهذا أشهر الروايات، وقيل غير ذلك، وقد تقدَّم في (هود): وجعلها ثلاث طباق: السفلى للسباع والهوام، والوسطى للدواب والأنعام، والعليا للإنس[1].

قوله: (﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾) أي: ابتدأ ظهوره.

قوله: (﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾) عطف بيان لمجيء الأمر. روي: أنه قيل له عليه السلام: إذا فار الماء من التنور.. فاركب أنت ومن معك، وكان تنور آدم عليه السلام من حجر تخبز فيه حواء، فصار إلى نوح، فلمَّا نَبع منه الماء.. أخبرته امرأته، فركبوا.

واختلفُوا في مكانه؛ فقيل: كان بمسجد الكوفة على يمين الداخل مما يلي باب كندة اليوم، وقيل: كان في عين وردة من الشام.

قوله: (علامة لنوح) أي: على ركوب السفينة.

قوله: (﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾) أي: غير البشر؛ لما يأتي أنه أدخل فيها من البشر سبعين أو ثمانين.

---

(١) انظر «تفسير القرطبي» (٩/ ٣١).

ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٧﴾ ....

وأُنثَى أي: مِن كُلِّ أنواعِهِما ﴿ٱثۡنَيۡنِ﴾ ذَكَراً وأُنثَى، وهو مَفعُول و﴿مِن﴾ مُتعلِّقةٌ بـ(اسلُك)، وفي القِصَّة أنَّ الله تَعالى حَشَرَ لِنُوحٍ السِّباعَ والطَّير وغَيرَهما، فجَعَل يَضرِبُ بِيَدَيهِ في كُلِّ نَوعٍ؛ فتَقَع يَدُه اليُمنَى على الذَّكَر واليُسرَى على الأُنثَى، فيَحمِلُهُما في السَّفِينة. ـ وفي قِراءة: ﴿كُلٍّ﴾ بِالتَّنوِين، فـ﴿زَوۡجَيۡنِ﴾ مفعُول و﴿ٱثۡنَيۡنِ﴾ تأكِيد لَه ـ ﴿وَأَهۡلَكَ﴾ أي: زَوجَته وأولاده ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ﴾ بِالإهلاكِ وهو زَوجَتُه ووَلَده كنعان، بِخِلافِ سام وحام ويافِث، فحَمَلَهُم وزَوجاتِهم ثَلاثة، وفي سُورة (هُود): ﴿وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠] قِيل: كانُوا سِتَّة رِجال ونِساءَهُم، وقِيل: جَمِيع مَن كان في السَّفِينة ثَمانيةٌ وسَبعُونَ نِصفُهم رِجال ونِصفُهم نِساء، ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾: كفَرُوا بِتَركِ إهلاكِهِم؛ ﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (وغيرهما) أي: من كل ما يَلد أو يبيض، بخلاف ما يتولد من العُفونات كالدود والبقّ فلم يحمِله فيها.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيّة أيضاً[1].

قوله: (بالتنوين) أي: فحذف ما أضيف إليه (كل)، وعُوِّض عنه التنوين.

قوله: (أي: زوجته) أي: المؤمنة؛ لأنه كان له زوجتان: إحداهما مؤمنة، فأخذها معه في السفينة، والأخرى كافرة تَركها، وهي أم ولده كنعان.

قوله: (وهو زوجته) أي: الكافرة.

قوله: (بخلاف سام) أي: وهو أبو العرب، وحام هو: أبو السودان، ويافث هو: أبو الترك.

قوله: (ستة رجال) أي: فالجملة اثنا عشر.

قوله: (بترك إهلاكهم) متعلق بـ﴿تُخَٰطِبۡنِي﴾.

قوله: (﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾) أي: محكومٌ عليهم بالغرَق.

---

(١) قرأ العامة بإضافة (كل) لـ(زوجين)، وقرأ حفص بتنوين (كل). انظر «الدر المصون» (٦/ ٣٢٣).

فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ....

﴿٢٨﴾ ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ﴾: اعتدلت ﴿أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافِرينَ وإهلاكِهِم.

﴿٢٩﴾ ﴿وَقُل﴾ عندَ نُزُولِك مِن الفُلكِ: ﴿رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا﴾ ـ بِضَمِّ المِيم وفَتح الزَّاي مَصدَرٌ أو اسم مَكان، وبِفَتحِ المِيم وكَسر الزَّاي مَكانَ النُّزُول ـ ﴿مُّبَارَكًا﴾ ذلك الإنزالُ أو المَكانُ، ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ ما ذُكِر.

﴿٣٠﴾ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المَذكُور مِن أمرِ نُوح والسَّفِينةِ وإهلاكِ الكُفَّار ﴿لَءَايَٰتٍ﴾: دَلالاتٍ على قُدرةِ الله تَعالى، ﴿وَإِن﴾ ـ مُخفَّفة مِن الثَّقِيلة واسمُها ضَمير الشَّأن ـ ﴿كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾: مُختَبِرين قَومَ نُوح بِإرسالِهِ إلَيهِم ووَعظِه.

حاشية الصاوي

قوله: (وإهلاكِهم) أي: ونجَّانا من إهلاكهم.

قوله: (﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى﴾... إلخ) العبرة بعموم اللفظ، فهذا الدعاء ينبغي قراءته لكلٍّ من نزل في محلٍّ يريد الإقامة به.

قوله: (عند نُزولك من الفلك) أي: حين استوت على الجوديِّ، وكان يوم عاشوراء، وابتداءُ ركوبه السفينة كان لعشرٍ خلَون من رجب، فكان مكثُهُم في السفينة ستةَ أشهرٍ.

قوله: (بضم الميم... إلخ) فهما قراءتان سبعيَّتان[1]، وظاهره: أنَّ الوجهين على قراءة ضمِّ الميم، وليس كذلك، بل كلٌّ من الوجهين يتأتى على كلٍّ من القراءتين.

قوله: (﴿مُّبَارَكًا﴾ ذلك الإنزال) تفسير للضمير في ﴿مُّبَارَكًا﴾، والوجهان لكلٍّ من الضمِّ والفتح.

قوله: (﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾) (إنْ): مخففة، واللام: فارقة، والمعنى: وإننا كنا مُعاملين قومَ نوحٍ معاملةَ المختبر؛ لِنَنظر هل يتبعونه ويتَّعظون بوَعظه.

---

(١) قرأ أبو بكر بفتح الميم وكسر الزاي، والباقون بضم الميم وفتح الزاي. انظر «الدر المصون» (٨/ ٣٣٠).

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ۝٣١ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣٢ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ....﴾

(٣١ - ٣٢) ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا﴾: قوماً ﴿ءَاخَرِينَ﴾ هُم عادٌ. ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ هُوداً، ﴿أَنِ﴾ أي: بِأن ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عِقابَه فتُؤمِنون؟

(٣٣) ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾) أي: من بعد قَوم نوح.

قوله: (﴿قَرْنًا﴾) أي: قوماً، سمُّوا بذلك لأنَّ بعضهم مقترنٌ ببعضٍ في الزمان.

قوله: (هم عاد) اسمُ قبيلةٍ أرسل إليها هود. وما ذكره المفسِّر من أنَّ المراد بالقرن عادٌ وبالرسول هود.. هو ما عليه أكثر المفسرِين، ويشهد له مجيء قِصة هود عقب قصة نوح في (الأعراف) و(هود) و(الشعراء):

وَخَيْرُ مَا فَسَّرْتَهُ بِالوَارِدِ[1]

ولا يشكل على هذا قولُهُ في آخر القصة: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ الموهمُ أنَّ القرن ثمود، وأنَّ الرسول صالح؛ لأنه يقال: المراد بالصيحة: صَيحة الريح؛ أي: شدَّة صوته.

قوله: (﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ﴾) أي: في القَرن، وإنما جعل القرن موضع الإرسال؛ ليدلَّ على أنه لم يأت من مكان غير مكانهم.

قوله: (﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾) أي: من جِنسهم وقبيلتهم؛ لأنَّ هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح، وهم يُنسبون لعاد، وتقدَّم ذلك في (هود).

قوله: (﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟﴾) أشار بذلك إلى أنَّ (أنْ) مصدرية، ويصح جعلها تفسيرية؛ لتقدُّمها جملة فيها معنى القول دون حروفه؛ لأنَّ (أرسلنا) بمعنى: قُلنا.

قوله: (﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ﴾) عطف على ما قبله، وأتى بالواو؛ إشارةً إلى تبايُن الكلامين، بخلاف ما في (الأعراف) و(هود)؛ فإنه في جواب سؤال مقدَّر؛ ولذا تركت الواو.

---

(١) تقدمَ ذِكرُه.

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي: بِالمَصِير إلَيها ﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ﴾: نَعَّمْناهُم ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾.

﴿٣٤﴾ ﴿وَ﴾ اللهِ ﴿لَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ﴾ ـ فِيه قَسَم وشَرطٌ، والجَوابُ لِأَوَّلِهما، وهو مُغنٍ عن جَواب الثَّاني ـ، ﴿إِنَّكُمْ إِذًا﴾ أي: إذَا أطَعتُمُوه ﴿لَّخَٰسِرُونَ﴾ أي: مَغبُونُون.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾) وصف مخصِّص؛ لأنَّ قومه بعضُهم آمَن، وبعضُهم كفر.

قوله: (﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾) أي: أعطيناهم ملكاً عظيماً، قال تعالى مذكِّراً لهم بهذه النعم على لِسان نبيِّهم: ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الشعراء: ١٣٣-١٣٤].

قوله: (﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾) هذه شبهةٌ أولى تَنتهي إلى قوله: ﴿لَّخَٰسِرُونَ﴾، والثانية: إنكارهم للبعث وتنتهي لقوله: ﴿بِمَبْعُوثِينَ﴾، وأهمل الجواب عنهما؛ لفسادهما وركاكتِهما.

قوله: (﴿وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾) أي: منه، فحذف العائد لاستكمال الشروط التي أشار إليها ابن مالك بقوله[1]: [الرجز]

كَذَا الذي جرَّ بِما المَوصولَ جرْ كَمُرَّ بِالذي مررت فَهْوَ بَرْ

قوله: (﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم﴾) اللام: مُوطئة لقسم محذوفٍ، قدَّره المفسِّر بقوله: (والله).

قوله: **(والجواب لأوَّلهما)** أي: على القاعدة التي ذكرها ابن مالك بقوله[2]: [الرجز]

واحذِفْ لدَى اجتِماعِ شَرْطٍ وقَسَمْ جَوابَ ما أخَّرْتَ فهو مُلتَزَمْ

ولا يصلح أن يكون جواباً للشرط؛ لِعدم وجود الفاء.

قوله: (﴿إِنَّكُمْ﴾... **إلخ**) الكاف: اسم (إنَّ)، و(خاسرون): خبرها، واللام: للابتداء زُحلقت للخبر، و﴿إِذًا﴾: لتأكيد مضمون الشرط؛ ولِذا قال المفسِّر: (إذا أطعتُموه)[3].

---

(١) «الخلاصة»، باب: الموصول، (ص١٦).

(٢) «الخلاصة»، باب: عوامل الجزم، (ص٥٩).

(٣) في «الدر المصون» (٥/ ٣٨٤): هي حرف جواب وجزاء، اعترضت بين الاسم والخبر، ووَهِم من جعلها ظرفيَّة في الاستقبال.

﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ . .

(٣٥ - ٣٦) ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ ـ هو خبر ﴿أَنَّكُمْ﴾ الأُولى، و﴿أَنَّكُمْ﴾ الثَّانِية تأكِيد لَها لَمَّا طالَ الفَصلُ ـ. ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ ـ اسم فِعل ماضٍ بِمَعنَى مَصدَر ـ أي: بَعُدَ بَعُدَ ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾ مِن الإخراج مِن القُبُور، ـ واللَّام زائدةٌ لِلبَيان ـ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَيَعِدُكُمْ﴾) استفهامٌ لتقرير ما قبله.

قوله: (﴿أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾) أي: من القبور، أو من العدم إلى الوجود تارةً أخرى.

قوله: (تأكيد لها) أي: تأكيدٌ لفظيٌّ.

قوله: (اسم فعل ماض) واختلف في اسم الفعل؛ فقيل: معناه لفظ الفعل، وعليه: فهو مبني على الفتح لا محل له من الإعراب، والثاني: توكيد له، واللام: زائدة، و(ما): اسم موصول فاعله، و﴿تُوعَدُونَ﴾: صلته، أو اللام: لِلبيان، والفاعل مستتر فيه، والمعنى: بَعُدَ وقوعُ خروجنا من القبور.

وقيل: معناه المصدر، وعليه: فهو مبتدأ في محل رفع، والثاني توكيد له، و﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾: متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، فاللام: ليست زائدة. إذا علمتَ ذلك.. فكلام المفسِّر رحمه الله في غاية الإجمال؛ لأنَّ قوله: (اسم فعل ماض) أحدُ قولين، وقوله: (بمعنى مصدر) هو القول الثاني.

وقوله: (أي: بَعُدَ بَعُدَ) يصح أن يقرأ بلفظ الفعل فيكون تفسيراً للفعل الماضي، أو بلفظ المصدر فيكون تفسيراً للمصدر، وقوله: (واللام زائدة) ظاهره على كلٍّ من القولين، وليس كذلك، بل هي زائدة على كون المراد به لفظ الفعل، والموصول فاعل، لا على كونها للبيان، ولا على كونه مصدراً، وقوله: (للبيان) هذا قول ثان، فكان المناسِب أن يأتي بـ(أو)[1].

وفي هذه اللفظة لغاتٌ كثيرةٌ تَزيد على الأربعين، والمشهور منها ستة عشر، وهي (هيهات) بفتح التاء وضمِّها وكسرها، وفي كلٍّ مع التنوين وبدونه. و(هيهاتْ) بإسكان التاء أو إبدالها هاء ساكنة،

---

(١) في (ط٢) زيادة، وهي: (ويترك التفريع على المصدر، وتقدم أنها ليست زائدة، بل متعلقة بمحذوف خبر)، وقد شطب عليها في (أ).

إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ....

(﴿٣٧﴾ - ﴿٣٨﴾) ﴿إِنْ هِيَ﴾ أي: ما الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ بحياةِ أبنائِنا، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ﴾ أي: ما الرَّسُولُ ﴿إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ﴾: مُصَدِّقِين بِالبَعثِ بعدَ المَوت.

(﴿٣٩﴾ - ﴿٤٠﴾) ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾ مِن الزَّمان ـ و(ما) زائدةٌ ـ ﴿لَّيُصْبِحُنَّ﴾: لَيَصِيرُنَّ ﴿نَٰدِمِينَ﴾ على كُفرِهم وتكذيبِهم.

﴿٤١﴾ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾: صَيحةُ العَذاب والهَلاكِ كائنةً ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ فماتُوا، ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً﴾ وهو نَبتٌ يَبِس، أي: صَيَّرناهُم مِثلَه في اليُبْسِ، ....

حاشية الصاوي

وفي كلٍّ من الثمانِ إما بالهاء أو لا، أو إبدالها همزة، وقرئ بالجميع، لكن المتواتر القراءة الأُولى، وهي الفتح من غير تنوين[1].

قوله: (أي: ما الحياة) أشار بذلك إلى أنَّ (إن) نافية، والضمير عائدٌ على الحياة.

قوله: (بحياة أبنائنا) جوابٌ عمَّا يقال: إنَّ في قولهم: ﴿وَنَحْيَا﴾ اعترافاً بالبَعث مع كونهم منكرين له، فأجاب: بأنَّ المراد: وتحيا أبناؤنا بعد موتنا.

قوله: (﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾) أي: بسبب تكذيبهم إياي.

قوله: (صَيحة العذاب والهلاك) جوابٌ عمَّا يقال: إنَّ الصيحة كانت عذابَ قوم صالحٍ، لا قوم هود.

قوله: (كائنةً بالحق) أي: العدلِ فيهم، وأشار بذلك إلى أنَّ الجارَّ والمجرور متعلقٌ بمحذوف حال من (الصيحة).

قوله: (﴿غُثَآءً﴾) مفعول ثان لـ(جعلنا).

قوله: (وهو نبت يبس) الأوضح أن يقول: وهو العشب إذا يَبس.

(١) ذكر اللغات والقراءات في هذه اللفظة السمينُ الحلبي في «الدر المصون» (٨/ ٣٣٧).

فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ....

﴿فَبُعْدًا﴾ مِن الرَّحمة ﴿لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: المُكَذِّبين.

(﴿٤٢﴾ - ﴿٤٣﴾) ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا﴾: أقواماً ﴿ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ بِأن تَموتَ قبلَه، ﴿وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ عنهُ، ـ ذُكِّر الضَّمِير بعدَ تَأنيثِه رِعايةً لِلمعنى ـ.

﴿٤٤﴾ ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ ـ بِالتَّنوين وعَدَمه ـ أي: مُتَتابِعِينَ بين كُلِّ اثنَينِ زَمانٌ طويل،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾) (بعداً): مصدر بدل من لفظ الفعل، والأصل: بَعدوا بُعداً، واللام: إمَّا متعلقة بمحذوف للبيان، أو بـ(بعداً)، وهو إخبارٌ، أو دعاءٌ عليهم.

قوله: (﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾) أي: من بعد قوم نوح وهود، وقوله: (﴿قُرُونًا ءَاخَرِينَ﴾) أي: كقوم صالح وإبراهيم ولوط وشعيب.

قوله: (﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾) أي: جماعة.

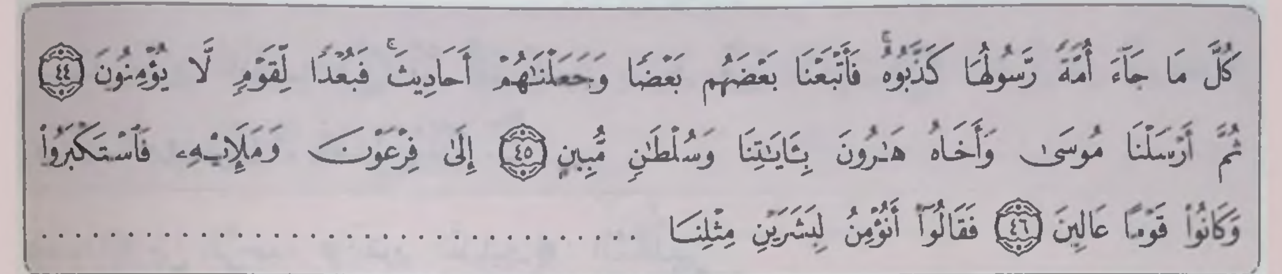
قوله: (﴿وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾) أي: لا يتأخَّرون عنه، والمقصودُ من هذه الآية: التقريعُ والتخويفُ لأهل مكة، كأنه قال: لا تغترُّوا بطول الأمل؛ فإنَّ للظالم وقتاً يُؤخذ فيه، لا يتقدَّم عليه ولا يتأخر عنه.

قوله: (بعد تأنيثه) أي: في قوله: ﴿أَجَلَهَا﴾ الراجع إلى ﴿أُمَّةٍ﴾، وقوله: (رعايةً للمعنى) أي: لأنَّ (أُمة) بمعنى: قَوم.

قوله: (﴿تَتْرَا﴾) التاء مبدلة من واو، وأصله: (وَتْراً)، وهو مصدر على التحقيق، ومعناه: المتابعة مع مهلة، وقيل: المتابعةُ مطلقاً وإن لم تكن مهلةٌ، ولكن الآية تفسَّر بالأول؛ لأنه الواقع.

قوله: (بالتنوين وعدمه) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1]؛ فمن نوَّن.. قال: إنَّ ألفه للإلحاق بجعفر كـ(علقًى)، فلمَّا نوّن.. ذهبت ألفه لالتقاء الساكنين، ومن لم ينوِّن.. قال: إنَّ ألفه للتأنيث كـ(دعوَى).

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو في الوصل بتنوين الراء على أنه مصدر بمعنى: التواتر، وقع حالاً، والباقون بغير تَنوين. انظر «السراج المنير» (٢/ ٥٨٠).


كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا ....

﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً﴾ - بتحقيقِ الهمزتَينِ، وتَسهيل الثّانية بَينها وبينَ الواو - ﴿رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ في الهلاكِ، ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾.

(﴿٤٥﴾ - ﴿٤٦﴾) ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: حُجَّةٍ بَيِّنة وهي اليَد والعَصا وغَيرُهما من الآيات، ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن الإيمان بِها وبِالله، ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ﴾: قاهِرين بَني إسرائيلَ بِالظُّلم.

(﴿٤٧﴾ - ﴿٤٨﴾) ﴿فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا ....

حاشية الصاوي

قوله: (وتسهيل الثانية... إلخ) أي: فينطق بها متوسطة بين الهمزة والواو، وهما قراءتان سبعيّتان[1].

قوله: (﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾) جمع (أُحدوثة) - كـ (أعجوبة) و(أضحوكة) -: ما يُتَحَدَّث به عجباً وتسلّياً، ولا يقال ذلك إلا في الشَّر، ولا يقال في الخير.

قوله (﴿فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾) (بُعداً): منصوب بمحذوف؛ أي: بَعدوا عن رحمتنا بُعداً لا يزول.

قوله: (﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾) أي: التسع، وهي: العصا، واليد، والسنون المجدِبة، والطمس، والطوفان، والجراد، والقُمل، والضفادع، والدم.

قوله: (﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾) عطفُ مرادفٍ؛ إشارةً إلى أنَّ المعجزات كما تسمَّى بالآيات تسمَّى بالسلطان أيضاً.

قوله: (وغيرهما) أي: من باقي التسع.

قوله: (﴿لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾) أفرد (مثل) لأنه يجري مجرى المصادر في الإفراد والتذكير، ولا يؤنَّث أصلاً.

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بتحقيق الأولى وتَسهيل الثانية بين الهمزة والواو، والباقون بتحقيقهما. انظر «السراج المنير» (٢/ ٥٨٠).

وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ ....

﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾: مُطيعونَ خاضِعُون؟ ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾.

﴿٤٩﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: التَّوراةَ ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: قَومَه بَنِي إسرائيلَ ﴿يَهْتَدُونَ﴾ بِه مِن الضَّلالة، وأُوتِيَها بعدَ هَلاك فِرعونَ وقَومِه جُملةً واحِدة.

﴿٥٠﴾ ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ عِيسى ﴿وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ لَم يَقُل: آيَتَينِ لِأنَّ الآية فِيهِما واحِدةٌ، وِلادَتُه مِن غَير فَحل، ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾: مَكان مُرتَفِع وهو بَيتُ المَقدِس أو دِمَشقُ أو فِلَسطِين؛ أقوالٌ، ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ أي: مُستَوِية يَستَقِرُّ علَيها ساكِنُوها، ﴿وَمَعِينٍ﴾ أي: ماءٍ جارٍ ظاهِرٍ تَراهُ العُيُون.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾) الجملة حاليَّة.

قوله: (﴿فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾) أي: من جملة مَنْ هلك.

قوله: (أي: قومه بني إسرائيل) أشار بذلك إلى أنَّ الضمير في ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ راجعٌ لقوم موسى، لا لفرعون وقَومه؛ لأنَّ التوراة إنما جاءته بعد هلاك فرعون وقومه.

قوله: (جملة واحدة) إما راجع لقوله: (وأوتيها)، أو راجع لـ(هلاك فرعون وقومه).

قوله: (لأنَّ الآية فيهما واحدة) أي: لأنَّ ولادته من غير أبٍ أمرٌ خارقٌ للعادة، فيصحُّ نسبته لها وله.

قوله: (﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾) سببُ ذلك: أنَّ ملك ذلك الزمان كان أراد أن يقتل عيسى، فهربت به أمُّه إلى تلك الرَّبوة، ومكثت بها اثنتي عشرة سنة حتى هلك ذلك الملك[1].

قوله: (وهو بيت المقدس) هو أعلى مكان من الأرض؛ لأنه يَزيد على غيره في الارتفاع ثمانية عشر ميلاً، فهو أقرب البقاع إلى السماء.

قوله: (﴿وَمَعِينٍ﴾) اسم مفعول من: عانَ يَعين فهو مَعِين، وأصله: (مَعيُون) كـ(مبيوع)، استثقلت الضمة على الياء فحذفت، فالتقى ساكنان، حذفت الواو لالتِقاء الساكنين، وكُسِرَت العين؛ لتصحَّ الياء.

---

(١) ذكره الخطيب في «السراج المنير» (٢/ ٥٨٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ ....

﴿٥١﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: الحَلالاتِ ﴿وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ مِن فَرضٍ ونَفل، ﴿إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ فأُجازِيكُم علَيه.

﴿٥٢﴾ ﴿وَ﴾ اعلَمُوا ﴿أَنَّ هَٰذِهِۦٓ﴾ أي: مِلَّة الإسلامِ ﴿أُمَّتُكُمْ﴾: دِينُكُم أيُّها المُخاطَبُون، أي: يَجِب أن تَكُونُوا علَيها ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ ـ حال لازِمة، وفي قِراءة بِتَخفِيفِ النُّون، وفي أُخرَى بِكَسرِها مُشدَّدة ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾) خطابٌ لجميع الرُّسل على وجه الإجمال، فليس المراد أنهم خوطبوا بذلك دُفعة واحدة، بل المراد: خوطب كلُّ رسولٍ في زمانه بذلك؛ بأن قيل مثلاً لكلِّ رسولٍ: كُلْ من الطيبات واعمل صالحاً؛ إني بما تعمل عليم.

وحكمةُ خطابِ النبي بها على سبيل الإجمال: التشنيعُ على رهبانيَّة النصارى؛ حيث يزعمون أنَّ ترك المستلذات مقرِّبٌ إلى الله، فردَّ الله عليهم: بأنَّ المدار على أكل الحلال، وفعل الطاعات.

قوله: (الحلالات) أي: مستلذَّة أم لا.

قوله: (﴿وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾) أي: شكراً على تِلك النعم؛ لتزدادوا بها قرباً من ربِّكم.

قوله: (فأجازيكم عليه) أي: إن خيراً فخيرٌ، وإن شرًّا فشرٌّ، فالآية فيها ترغيبٌ وترهيبٌ.

قوله: (﴿و﴾ اعلموا ﴿أَنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ﴾) قدَّر المفسِّر لفظ (اعلموا)؛ إشارةً إلى أنَّ (أن) بفتح الهمزة معمولة لمحذوف، و﴿هَٰذِهِۦٓ﴾: اسمها، و﴿أُمَّتُكُمْ﴾: خبرها، و﴿أُمَّةً﴾: حال، و﴿وَٰحِدَةً﴾: صفة له.

قوله: (دينكم) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بالأمَّة: الدِّينُ، والمراد به: العقائد؛ لأنها هي التي اتَّحدَت في جميع الشرائع، وأمَّا الأحكام الفرعيَّة.. فقد اختَلفت باختلاف الشرائع.

قوله: (وفي قراءة بتخفيف النون) أي: والهمزة مفتوحة، والعامل مقدَّر كما في المشددة، واسمها: ضمير الشأن، و﴿هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة: خبر (أنْ).

وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ ....

استِئنافاً ـ ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾: فاحذَرُونِ.

﴿٥٣﴾ ﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟﴾ أي: الأتباعُ ﴿أَمْرَهُم﴾: دِينَهم ﴿بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ ـ حال مِن فاعِل (تَقَطَّعُوا) ـ أي: أحزاباً مُتَخالِفِين كاليَهُودِ والنَّصارَى وغَيرِهم، ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي: عِندَهم مِن الدِّين ﴿فَرِحُونَ﴾: مَسرُورُون.

(﴿٥٤﴾ - ﴿٥٦﴾) ﴿فَذَرْهُمْ﴾: اترُك كُفَّارَ مَكَّة ﴿فِى غَمْرَتِهِمْ﴾: ضَلالَتِهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: حِينِ مَوتِهم؛ ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ﴾: نُعطِيهم ﴿مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ في الدُّنيا،

حاشية الصاوي

قوله: (استئنافاً) أي: فهو إخبارٌ من الله بأنَّ جميع الشرائع متَّفقةُ الأصول، والقراءاتُ الثلاثُ سبعيَّاتٌ[1].

قوله: (﴿فَٱتَّقُونِ﴾) أي: افعَلوا ما أمرتكم به، واتركوا ما نهيتُكم عنه.

قوله: (﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم﴾) أي: جعلوا دينهم مفرَّقاً؛ فلذلك صاروا فِرقاً مختلفة كاليهود والنصارى والمجوس وغير ذلك من الأديان الباطلة.

قوله: (﴿زُبُرًا﴾) جمع زَبور بمعنى: فريق.

قوله: (﴿فَرِحُونَ﴾) أي: لاعتقادهم أنهم على الحق.

قوله: (﴿فَذَرْهُمْ﴾) الخطاب لرسول الله ﷺ، والضمير لِكفار مكة؛ كما أشار لذلك المفسِّر، وهو تسليةٌ له.

قوله: (﴿فِى غَمْرَتِهِمْ﴾) مفعولٌ ثانٍ لـ(ذَرْهم) أي: مستقرين فيها، والغَمرة في الأصل: الماء الذي يغمر القامة، ثمَّ استعير ذلك للجهالة، والغُمْر بالضمِّ: يقال لمن لم يجرِّب الأمور، والغِمْر بالكسر: الحقد.

قوله: (﴿مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾) بيانٌ لـ(ما).

---

(١) قرأ ابن عامر وحده «وأن» هذه بفتح الهمزة وتخفيف النون، والكوفيون بكسرها والتثقيل، والباقون بفتحها والتثقيل. انظر «الدر المصون» (٨/٣٤٩).

نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ....

﴿نُسَارِعُ﴾: نُعَجِّلُ ﴿لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾؟ لا ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ أنَّ ذلك استِدراجٌ لَهُم.

(﴿٥٧﴾ - ﴿٦٠﴾) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم﴾: خَوفِهم مِنهُ ﴿مُّشْفِقُونَ﴾: خائفُون مِن عَذابِه، ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾: القُرآنِ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: يُصَدِّقُون، ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ معهُ غَيرَه، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ﴾: يُعطُونَ ﴿مَآ ءَاتَوا۟﴾: أعطَوا مِن الصَّدقةِ والأعمالِ الصَّالِحة ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾: خائفةٌ أن لا تُقبَل مِنهُم ﴿أَنَّهُمْ﴾ - يُقَدَّر قَبلَه لامُ الجر - ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾) إضرابٌ انتقاليٌّ؛ أي: لا يعلمون أنَّ تَوسعة الدنيا عليهم ليست ناشئةً عن الرضا عليهم، بل استدراجٌ لهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨].

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم﴾) ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾، و﴿هُم﴾: مبتدأ، و﴿مُّشْفِقُونَ﴾: خبره، و﴿مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم﴾: متعلق بـ﴿مُّشْفِقُونَ﴾، وكذا يقال فيما بعده.

قوله: (﴿مُّشْفِقُونَ﴾) الإشفاقُ: الخوفُ مع زيادة التعظيم، فهو أعلى من الخشية، وهذه الأوصاف متلازمة؛ من اتَّصف بواحد منها.. لَزم منه الاتصاف بالباقي.

قوله: (القرآنِ) أي: وغيره من باقي الكتب السماويَّة.

قوله: (يُعطون) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿يُؤْتُونَ﴾ من الإيتاء، وهو: الإعطاء.

قوله: (﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾) الجملة حاليَّة من فاعل ﴿يُؤْتُونَ﴾ أي: والحال أنَّ قلوبهم خائفةٌ من عَدم قَبول أعمالهم الصالحة؛ لما قام بقُلوبهم من جلال الله وهيبته وعزَّته واستغنائه؛ ولِذا ورد عن أبي بكر الصديق أنه قال: (لا آمَن مكر الله ولو كانت إحدى قدميَّ داخل الجنة والأخرى خارجها)[1]، وكان كثير البكاء من خشية الله حتى أثَّرت الدموع في خَدَّيه.

قوله: (يقدَّر قبله لامُ الجرِّ) أي: فيكون تعليلاً لقوله: ﴿وَجِلَةٌ﴾.

---

(١) ذكره الإمام ابن السبكي في «الطبقات» (٤/ ١٣٥) من كلام سيدنا عمر رضي الله عنه.

أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّۚ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ مِّنۡ هَٰذَا ....

﴿٦١﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ في عِلمِ الله.

﴿٦٢﴾ ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ أي: طاقتَها، فمَن لَم يَستَطِع أن يُصلِّيَ قائماً فليُصَلِّ جالِساً، ومَن لَم يستَطِع أن يَصُومَ فليَأكُل، ﴿وَلَدَيۡنَا﴾: عِندَنا ﴿كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ بِما عَمِلَته، وهو اللَّوح المَحفُوظ تُسَطَّرُ فِيه الأعمالُ، ﴿وَهُمۡ﴾ أي: النُّفُوسُ العامِلة ﴿لَا يُظۡلَمُونَ﴾ شَيئاً مِنها، فلا يُنقَص مِن ثَوابِ أعمال الخَيرات ولا يُزادُ في السَّيئات.

﴿٦٣﴾ ﴿بَلۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ أي: الكُفَّار ﴿فِي غَمۡرَةٖ﴾: جَهالةٍ ﴿مِّنۡ هَٰذَا﴾ القُرآنِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾) هذه الجملة خبرٌ عن قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم﴾ وما عُطف عليه، فاسم (إنَّ) أربعُ موصولات، وخبرها جملة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ. . .إلخ﴾.

قوله: (﴿وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾) الضمير؛ قيل: لِلخيرات، وقيل: للجنَّة، وقيل: للسعادة.

وقوله: (في عِلم الله) أي: كتبوا سابِقين في علم الله، فظهر فيهم مقتضى سابقيَّة العلم.

قوله: (﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾) أي: تفضُّلاً منه سُبحانه وتعالى، وإلا. . فلا يسأل عمَّا يفعل، وأتى بهذه الآية عَقب أوصاف المؤمنين؛ إشارةً إلى أنَّ تلك الأوصاف في طاقة الإنسان، وكذا التكاليف التي افترَضها الله على عباده فعلاً أو تركاً، وهذا لمن وفَّقه الله وكشفت عنه الحجب، وأمَّا المحجوب. . فيَرى التكاليف ثقيلة يشقُّ عليه تَعاطيها، قال بعض العارفين: [الوافر]

إذا رُفِعَ الحِجَابُ فَلا مَلالَهْ ... لِتَكْلِيفِ الإلَهِ ولا مَشَقَّهْ

قوله: (عندنا) أي: عنديَّة رُتبةٍ ومكانةٍ واختصاصٍ.

قوله: (﴿يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّۚ﴾) أي: يبيِّنُ أعمالَ العبادِ خَيْرَها وشرَّها.

قوله: (﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾) الجمع باعتبار العُموم المستفاد من لفظ (نفس)؛ لأنه نكرة في سياق النفي.

قوله: (فلا ينقص من ثواب أعمال الخير. . . إلخ) أي: لأنَّ الأعمال كلَّها والجزاء عليها مثبتةٌ في اللوح المحفوظ، وهو مُطابقٌ لما في عِلم الله.

قوله: (﴿بَلۡ قُلُوبُهُمۡ﴾) رجوعٌ لأحوال الكفار.

وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ ....

﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ المَذكُور لِلمُؤمِنين، ﴿هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ فيُعَذَّبُون علَيها.

﴿٦٤﴾ ﴿حَتَّىٰٓ﴾ ـ ابتِدائيَّة ـ ﴿إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم﴾ أغنِياءَهُم ورُؤَساءَهُم ﴿بِٱلْعَذَابِ﴾ أي: السَّيف يومَ بَدر، ﴿إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾: يَضِجُّونَ، يُقال لَهُم:

(﴿٦٥﴾ - ﴿٦٧﴾) ﴿لَا تَجْـَٔرُوا ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾: لا تُمنَعُون؛ ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى﴾ مِن القُرآنِ ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ﴾) أي: سيئةٌ.

قوله: (﴿مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾) أي: غير ما ذكر للمؤمنين، والمعنى: أنَّ الكفار لهم أعمالٌ مضادَّةٌ ومخالفةٌ لأوصاف المؤمنين المتقدِّمة.

قوله: (﴿هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾) أي: مُستمرُّون عليها.

قوله: (ابتدائية) أي: تبتدأ بعدها الجمل.

قوله: (﴿إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم﴾) إذا: ظرفٌ لما يستقبل من الزمان، خافضٌ لشرطه، منصوبٌ بجوابه، و(إذا) الثانية: لِلمفاجأة، قائمة مقام الفاء، قال ابن مالك:[1] [الرجز]

وتَخْلُفُ الفاءَ إذَا المفاجَأه ... كـ(إنْ تَجُدْ إذَا لَنا مُكَافَأَهْ)

قوله: (أغنياءهم ورؤساءهم) أي: كأبي جهل وأضرابِه من صناديدهم.

قوله: (﴿يَجْـَٔرُونَ﴾) أي: يَصرخون ويبتهلون ويستقيلون ويَلتجئون في كشف العذاب عنهم، ومع ذلك فلا ينفعهم.

قوله: (يقال لهم) الأقرَب: أنَّ ذلك عند قبض أرواحهم حين تأتيهم الملائكة بالمطارِق من نار يضربون بها وُجوههم وأدبارهم، وقيل: يوم القيامة حين يعذَّبون في النار.

قوله: (﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى﴾... إلخ) تعليلٌ لما قبله.

قوله: (﴿تَنكِصُونَ﴾) من باب (جلَس) و(دخل)، فهو بكسر الكاف وضمِّها.

(١) «الخلاصة»، باب: عوامل الجزم، (ص٥٩).

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ۝٦٧ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ ....

تَرجِعُونَ القَهقَرى ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ عن الإيمانِ ﴿بِهِۦ﴾ أي: بِالبَيتِ أو الحَرَم، بِأنَّهُم أهلُه في أمن بِخِلافِ سائِرِ النَّاس في مَواطِنِهم، ﴿سَٰمِرًا﴾ ـ حال ـ أي: جَماعةً يَتحدَّثُونَ بِاللَّيلِ حولَ البَيت ﴿تَهْجُرُونَ﴾ ـ مِن الثُّلاثِيِّ ـ: تَترُكُون القُرآن، ـ ومِن الرُّباعِيِّ ـ أي: تَقُولُونَ غَير الحقِّ في النَّبي والقُرآن، قال تعالى:

۝٦٨ ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟﴾ ـ أصلُه: يَتدبَّرُوا فأُدغِمَت التَّاء في الدَّال ـ ﴿ٱلْقَوْلَ﴾ أي: القُرآنَ

حاشية الصاوي

قوله: (ترجعون قهقرى) أي: إلى جِهة الخلف، وهو كنايةٌ عن إعراضهم عن الإيمان.

قوله: (﴿بِهِۦ﴾) الجارُّ والمجرور: إمَّا متعلق بـ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾، أو بـ﴿سَٰمِرًا﴾، وأشار المفسِّر إلى أنَّ الضمير إمَّا عائدٌ على البيت، أو الحرَم.

قوله: (﴿سَٰمِرًا﴾) من السَّمر، وهو: الحديث ليلاً.

قوله: (حال) المناسب للمفسِّر أن يقول: (أحوال)، ويؤخِّرَه عن قوله: ﴿تَهْجُرُونَ﴾؛ لأنَّ الأحوال ثلاثة: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ و﴿سَٰمِرًا﴾، و﴿تَهْجُرُونَ﴾[1].

قوله: (أي: جماعة) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿سَٰمِرًا﴾ اسم جمع، واحده: مُسامِر.

قوله: (من الثلاثي) أي: مأخوذ من: الهجران، وهو الترك، أو من: هَجَر هَجَراً ـ بالتحريك ـ: هذَى وتكلَّم بما لا يعقل.

قوله: (ومن الرباعي) أي: مَأخوذ من الإهجار، وهو: الفحش في الكلام.

قوله: (﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾) الهمزة داخلةٌ على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أعَمُوا فلم يدَّبروا؟

وهذا شروعٌ في بيان أنَّ إقدامهم على هذه الضلالات لا بدَّ أن يكون لأحد أُمور أربعة: أحدها: ألَّا يتأملوا في دليل نبوَّته، وهو القرآن المعجز، مع أنهم تأمَّلوا وظهرت لهم حَقيقته.

ثانيها: أن يعتقدوا أنَّ بعثة الرسول أمرٌ غريبٌ لم تُسمع ولم ترد عن الأمم السابقة، وليس كذلك؛ لأنهم عرفوا أنَّ الرسل كانت تُرسل إلى الأمم.

(١) أحوال مترادفة على الواو في (تنكصون)، أو متداخلة؛ أي: كل واحدة حال مما قبلها. «فتوحات» (٣/ ٢١٤).

أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ....

الدَّالَّ على صِدقِ النَّبي، ﴿أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾.

(٦٩ - ٧٠) ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾ الاستِفهامُ فِيه لِلتَّقرِيرِ بِالحَقِّ مِن صِدق النَّبيِّ ومَجيءِ الرُّسُل لِلأُمَم الماضِية، ومَعرفةِ رَسُولهم بِالصِّدقِ والأمانةِ وأنْ لا جُنُون بِه، ﴿بَلْ﴾ - لِلانتِقالِ - ﴿جَاءَهُم بِالْحَقِّ﴾ أي: القُرآنُ المشتَمِل على التَّوحيد وشَرائعِ الإسلام، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾.

(٧١) ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ﴾ أي: القُرآن ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾ بِأن جاءَ بِما يَهوَونَهُ مِن الشَّريك والوَلَد للهِ - تَعالى الله عن ذلك - ﴿لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ أي: خَرجَت عن نِظامها المُشاهَد؛ لِوُجُودِ التَّمانُع في الشَّيءِ عادةً عِند تَعدُّد الحاكِم، ....

حاشية الصاوي

ثالثها: ألَّا يكونوا عالمين بِأمانته وصدقه قبل ادِّعاء النبوة، وليس كذلك، بل سبقت لهم معرفةُ كونِهِ في غاية الأمانة والصدقِ.

رابعها: أن يَعتقدوا فيه الجنون، وليس كذلك؛ لأنهم كانوا يَعلمون أنه أعقل الناس. وسيأتي خامس في قوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا﴾.

و(أم): في المواضع الأربعة مقدَّرة بـ (بل) الانتِقالية وهمزة الاستفهام التقريري، وهو: حمل المخاطب على الإقرار بما يَعرفه.

قوله: (من صدق النبي... إلخ) بيانٌ للحق على طِبق الآية، على سبيل اللف والنشر المرتَّب.

قوله: (﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ﴾) أي: القرآن وغيره، فهو أعمُّ من الحق الأول؛ ولِذا أظهر في مقام الإضمار، وأشار بقوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ﴾ إلى أنَّ الأقل لم يَدُمْ على كراهة الحق، بل رجع عن كُفره وآمن.

قوله: (عادةً) المناسب أن يقول: (عقلاً)؛ لأنَّ وجود الشريك يَقضي بفساد العالم عقلاً، لا عادةً.

بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ .....

﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ أي: القُرآنِ الَّذي فِيه ذِكرُهم وشرَفُهم ﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾.

﴿٧٢﴾ ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا﴾: أجراً على ما جِئتَهم به مِن الإيمانِ؟ ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾: أجرُه وثَوابُه ورِزقُه ﴿خَيْرٌ﴾ - وفي قراءةٍ: ﴿خَرْجًا﴾ في الموضعَين، وفي قراءة أُخرَى: ﴿خَراجاً﴾

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾) إضرابٌ انتقاليٌّ، والمعنى: كيف يكرهون الحقَّ مع أنَّ القرآن أتاهم بتشريفهم وتَعظيمهم، فاللائق بهم الانقيادُ له وتعظيمه.

والعامَّة على قصر ﴿أَتَيْنَٰهُم﴾، وقرئ بالمدِّ بمعنى: أعطيناهم، وحينئذٍ: فالباء: إمَّا زائدة، و(ذكرهم): مفعول ثان، أو المفعول محذوف، وقُرئ بالقصر مع تاء المتكلم، أو تاء المخاطب[1].

وقوله: (﴿بِذِكْرِهِمْ﴾) هكذا قرأ العامَّة، وقرئ شُذوذاً (بذكراهم) بألف التأنيث، و(نذكرهم) بنون العظمة[2].

قوله: (﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا﴾) راجعٌ لقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾، وما بينهما اعتراضٌ.

قوله: (﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾) تعليلٌ لنفي السؤال المستفاد من الإنكار[3].

قوله: (أجره وثوابه) أي: في الآخِرة، وقوله: (ورزقه) أي: في الدنيا، فهذه الأمور كالخراج من حيث إنَّ الله تفضَّل بها لِعبيده، فلا يتركها أبداً.

قوله: (وفي قراءة: ﴿خَرْجًا﴾ في الموضعين... إلخ) أي: فالقراءات الثلاث سبعيَّات[4]، لكن الأُولى أبلغ؛ من حيث إنه عبَّر في جانب الله بالخراج المفيد للتكرار، وفي حَقِّ العبيد بالخرج المفيد عدم التكرار، والمماثَلة في القراءتين الباقيتين للمشاكلة.

---

(١) العامَّة على إسناد الفعل إلى ضمير المتكلم المعظم نفسه، والمراد: أتتهم رسلنا، وقرأ أبو عمرو في رواية: (آتيناهم) بالمدِّ بمعنى: أعطيناهم، وابن أبي إسحاق وعيسى بن عمر وأبو عمرو أيضاً: (أتيتُهم) بتاء المتكلم وحده، وأبو البرهسم وأبو حيوة والجحدري وأبو رجاء: «أتيتَهم» بتاء الخطاب. انظر «الدر المصون» (٨/ ٣٦٠).

(٢) قرأ عيسى: (بذكراهم) بألف التأنيث، وقتادة: (نذكِّرهم) بنون المتكلم المعظِّم نفسه مكان باء الجر، مضارع (ذكَّر) المشدد، ويكون (نذكرهم) جملة حاليَّة. انظر «الدر المصون» (٨/ ٣٦٠).

(٣) أي: لا تسألهم ذلك؛ فإن ما رزقك الله خير. «فتوحات» (٣/ ٢١٥).

(٤) قرأ ابن عامر (خرجاً) بسكون الراء، والأخوان: حمزة والكسائي: (خراجاً)، (فخراج) بالألف، والباقون كقراءة ابن عامر في (خرجاً)، والأخوين في (فخراج). انظر «الدر المصون» (٧/ ٥٤٧).

وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ ....

فِيهِما ـ، ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾: أفضلُ مَن أعطى وآجَرَ.

(﴿٧٣﴾ - ﴿٧٤﴾) ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾: طَرِيق ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: دِين الإسلام. ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾: بِالبَعثِ والثَّواب والعِقاب ﴿عَنِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ أي: الطَّرِيق ﴿لَنَٰكِبُونَ﴾: عادِلُون.

﴿٧٥﴾ ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾ أي: جُوعٍ أصابَهُم بِمكَّةَ سَبع سِنِينَ، ﴿لَّلَجُّوا۟﴾: تَمادَوا ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾: ضَلالَتِهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يَتردَّدُون.

حاشية الصاوي

قوله: (وأجر) بالقصر من باب: (ضرَب) و(نصَر)، وبالمدِّ؛ أي: أثاب.

قوله: (﴿عَنِ ٱلصِّرَٰطِ﴾) متعلق بـ(ناكبون).

قوله: (عادِلون) أي: زائغون ومُنحرفون.

قوله: (﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ﴾... إلخ) قال الأشياخ: الأظهَرُ: أنَّ هذه الآية واللتين بعدها إلى ﴿مُبْلِسُونَ﴾ مدنيَّات، وسبب ذلك: أنَّ رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة.. دعا على أهل مكة بقوله: «اللهمَّ؛ اشدُد وطأتك على مُضر، اللهم؛ اجعَلها عليهم سنيناً كسنين يوسف»[(١)]، فقحطوا حتى أكلوا العِلْهِزَ، وهو بعين مكسورة ولام ساكنة وهاء وزاي معجمة: شيءٌ كانوا يَتخذونه من الدم ووَبر الإبل في سني المجاعة، فجاء أبو سُفيان إلى رسول الله ﷺ بالمدينة فقال: أنشدُك الله والرحم؛ ألست تَزعم أنك بُعِثْتَ رحمةً للعالمين؟ قتلت الآباء بالسيف، والأبناء بالجوع، فنَزلت الآية[(٢)].

قوله: (﴿لَّلَجُّوا۟﴾) اللجاج: التَّمادي والاستمرار على العناد في تعاطي الفعل المنهي عنه.

---

(١) هذه الرواية على لغة بعض بني تميم وبني عامر؛ فإنهم يجعلون الإعراب بحركات على النون، ويلتزمون الياء في جميع الأحوال، وأما لغة الحجازيين.. فهي إعراب (سنين) وبابه إعراب الجمع بالواو رفعاً، وبالياء نصباً وجرًّا، وقد روي بها أيضاً دعاؤه ﷺ عليهم.

(٢) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ١٧٦)، وأما دعاؤه ﷺ عليهم فرَواه البخاري (٨٠٤)، ومسلم (٦٧٥) عن سيدنا أبي هريرة ﷺ، وانظر «زاد المسير» (٣/ ٢٦٨).

وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ....

﴿٧٦﴾ ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾: الجُوع ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾: تواضعُوا ﴿لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾: يَرغَبُون إلى الله بِالدُّعاءِ.

﴿٧٧﴾ ﴿حَتَّىٰٓ﴾ ـ ابتِدائيَّة ـ ﴿إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا﴾: صاحِبَ ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ هو يَوم بَدر بِالقَتلِ ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾: آيِسُون مِن كُلِّ خَير.

﴿٧٨﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ﴾: خَلَقَ ﴿لَكُمُ ٱلسَّمْعَ﴾ بِمَعنَى الأسماعَ، ﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾: القُلُوب، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾) تأكيدٌ لما قبله.

قوله: (﴿فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾) أصله: (اسْتَكْوَنُوا)[1]، نُقلت حركة الواو إلى ما قبلها، فتحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، والمعنى: لم يَحصل منهم تواضعٌ ورجوعٌ إلى الله في الماضي، ولم يحصل منهم التجاءٌ إلى الله في المستقبل.

قوله: (ابتدائية) أي: تبتدأ بعدها الجمل.

قوله: (﴿إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم﴾) (إذا): شرطية، و(إذا) الثانية: رابِطة للجواب، قائمة مقام الفاء.

قوله: (آيِسون) أي: فالإبلاس: اليأس، ومنه: إبليس؛ ليأسه من رحمة الله.

قوله: (﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ﴾... إلخ) خطابٌ لِلخلق عموماً، قصد به تذكيرَ النِّعم للمؤمنين، والتوبيخَ للكافرين حيث لم يَصرفوا النِّعم في مصارفها؛ لأنَّ السمع خُلِقَ ليسمع به ما يرشد، والبصر ليشاهدَ به الآيات الدَّالَّة على كمال أوصاف الله، والقُلوب ـ بمعنى العقول ـ ليتأمَّل بها في مَصنوعات الله؛ فمن لم يَصرف تلك النِّعم في مصارفها.. فهو بمنزلة عادمِها، قال تعالى: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ﴾ [الأحقاف: ٢٦]، وأفرد السمع وجمع الأبصار تَفنُّناً.

---

(١) أو يقال: أصله: استكن من السكون؛ لأن الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يُريده، والألف من إشباع الفتحة، أو: استكون من الكون؛ لأنه يطلب من نفسه أن يكون لمن يَخضع له. «تفسير البيضاوي» (٢/ ٤٢).

﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَـٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ ....

﴿قَلِيلًا مَّا﴾ ـ تأكيد لِلقِلَّة ـ ﴿تَشْكُرُونَ﴾.

(﴿٧٩﴾ - ﴿٨٠﴾) ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ﴾: خلقكم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: تُبعَثُون، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ﴾ بِنَفخِ الرُّوح في المُضغة، ﴿وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَـٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ﴾ بِالسَّوادِ والبَياض والزِّيادة والنُّقصان، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ صُنعَه تَعالى فتَعتبرُون؟

(﴿٨١﴾ - ﴿٨٢﴾) ﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟﴾ أي: الأوَّلُون: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾؟ لا، ـ وفي الهمزَتين في المَوضِعَينِ التَّحقِيقُ، وتَسهِيل الثَّانية، وإدخالُ ألِف بينَهما على الوَجهَين ـ.

حاشية الصاوي

قوله: (تأكيد للقلَّة) أي: لفظ (ما) تأكيد لِلقلَّة المستفادة من التنكير، والمعنى: شكراً قليلاً، وهو كناية عن عدمه.

قوله: (تُبعثون) أي: تحيون بعد الموت.

قوله: (﴿وَلَهُ ٱخْتِلَـٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ﴾) أي: خلقاً وإيجاداً.

قوله: (بالسواد والبياض) لفٌّ ونشرٌ مرتَّب.

قوله: (﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾) الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه؛ أي: أغفلتُم فلا تعقلون أنَّ القادر على إنشاء الخلق قادرٌ على إعادتهم بعد الموت؟!

قوله: (﴿بَلْ قَالُوا۟﴾) أي: كُفار مكة.

قوله: (﴿مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾) أي: مِن قوم نوح وهود وصالح وغيرهم.

قوله: (لا) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: (إدخال ألف بينهما) أي: وترك الإدخال، فالقراءات أربع: سَبعيَّات في الثاني، وثلاث في الأول بترك الإدخال بين المحقَّقتين[1].

---

(١) انظر تفصيل القراءات في «الدر المصون» (٧/١٧-١٩).

لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ ....

﴿٨٣﴾ ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا﴾ أي: البَعثَ بَعد المَوت ﴿مِن قَبْلُ إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ﴾: أكاذِيب ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ كالأضاحِيكِ والأعاجِيبِ، جَمع أُسطُورة بالضم.

﴿٨٤﴾ ﴿قُل﴾ لَهُم: ﴿لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ﴾ مِن الخَلق ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ خالِقَها ومالِكَها؟

﴿٨٥﴾ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ﴾ لَـهُم: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ـ بِإدغام التَّاء الثَّانِية في الذَّال ـ: تَتَّعِظُون فتعلَمُونَ أنَّ القادِر على الخَلق ابتِداءً قادِرٌ على الإحياءِ بعد الموت.

(﴿٨٦﴾ - ﴿٨٧﴾) ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾: الكُرسيِّ؟ .....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَقَدْ وُعِدْنَا﴾) (وُعِد): فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل هو الضمير المتَّصل، و﴿نَحْنُ﴾: توكيد له، و(آباؤنا): معطوف على الضمير المتصل، فهو نائب فاعل أيضاً، وقوله: ﴿هَٰذَا﴾: مفعول ثان لـ(وُعد)، ونائب الفاعل مفعول أول، والأصل: وَعَدَنا الآن محمد بالبعث ووَعَدَ غيرُهُ آباءنا مِنْ قَبْلِنَا به.

وقدَّم المرفوع الذي هو نائب الفاعل هنا، وعكس في (النمل)[1]؛ تفنُّناً وإشارةً إلى أنه يَجوز الأمران.

قوله: (﴿قُل﴾ لهم) أي: لأهل مَكة المنكرين للبعث.

قوله: (من الخلق) أي: المخلوقاتِ، عُقلاءَ وغيرَهُم.

قوله: (﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾) شرطٌ حُذِفَ جوابه، والتقدير: فأخبِروني بخالقهما.

قوله: (﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾) إخبارٌ من الله بما يقع منهم في الجواب قبل وُقوعه.

قوله: (بإدغام التاء) أي: بعد قَلْبِها دالاً فذالاً وتسكينِهَا.

قوله: (الكرسي) المناسب إبقاؤه على ظاهره؛ فإنَّ العرش على التحقيق غير الكرسي[2].

---

(١) في قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

(٢) خلافاً للحسن البصري. انظر «شرح المصنِّف على الجوهرة» (ص٣٩٠).

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٨٧ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ۝٨٩﴾ ....

﴿سَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: تَحذَرُون عِبادةَ غَيرِه؟

٨٨ ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ﴾: مُلكُ ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ ـ والتَّاء لِلمُبالغةِ ـ ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾: يَحمي ولا يُحمى علَيهِ ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؟

٨٩ ﴿سَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ ـ وفي قِراءة: ﴿لِلَّهِ﴾ بِلامِ الجَرِّ في المَوضِعَينِ نَظراً إلى أنَّ المَعنَى: مَن لَهُ ما ذُكِر؟ ـ ﴿قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾: تُخدَعُونَ وتُصرَفُونَ عَن الحقِّ عِبادةِ الله وَحدَه؟ ....

حاشية الصاوي

قوله: (والتاء لِلمبالغة) أي: وكذا الواو، فهما زائدتان كزِيادتهما في الرحموت والرهبوت؛ من: الرهبة والرحمة.

قوله: (يَحمي ولا يُحْمَى عليه) الأول بفتح الياء كـ(يَرْمِي)، والثاني بضمِّها، والمعنى: يمنع ويحفظ من أراد حِفظه، ولا يُمْنَعُ فيه أحدٌ، ولا ينصر مَنْ أراد خذلانَه، قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

قوله: (وفي قراءة: ﴿لِلَّهِ﴾ بلام الجرِّ) أي: وهي لِمُعظم السبعة[1].

قوله: (في المَوضعين) أي: الأخيرين، وأمَّا جواب السؤال الأول.. فهو باللام باتِّفاق السبعة، ولم يقرأ بدونها أحدٌ.

قوله: (نظراً إلى أنَّ المعنى) أي: فلامُ الجرِّ مقدَّرةٌ في السؤال، فظهرت في الجواب نظراً للمعنى، وأمَّا على قراءة إسقاطِها.. فباعتبار مُراعاة لفظ السؤال؛ لأنه لا فرقَ بين قوله: من ربُّ السماوات، وبين: لِمن السماوات؟ كقولك: مَن ربُّ هذه الدار؟ فيقال: زيدٌ، وإن شئتَ قُلتَ: لزيد؛ لأنَّ السؤال لا فرق فيه بين أن يقالَ: لمن هذه الدار؟ أو: مَن ربُّها؟

قوله: (﴿فَأَنَّىٰ﴾) أي: فكيف تسحرون.

قوله: (عبادةِ الله) بدل من (الحق)، فهو بالجرِّ.

---

(١) قرأ أبو عمرو: (سيقولون الله) من غير لام جر، والباقون: (لله). انظر «الدر المصون» (٨/ ٣٦٢).

﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝٩٠ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ ....

أي: كيف يُخَيَّلُ لَكُم أنَّهُ باطِل؟

(٩٠) ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ﴾: بِالصِّدقِ ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ في نَفيِهِ وهو.

(٩١) ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا﴾ أي: لَو كان معهُ إلَهٌ ﴿لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾: انفرَدَ بِه ومَنَعَ الآخَر مِن الاستِيلاء علَيهِ، ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ مُغالَبَةً كفِعلِ مُلوكِ الدُّنيا، ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ تَنزِيهاً له ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾هُ بِه مِمَّا ذُكِر.

(٩٢) ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: ما غابَ وما شُوهِدَ ـ بِالجَرِّ صِفة ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: كيف يخيَّل لكم) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بالسحر التخيُّلُ والوهمُ، لا حَقيقتُهُ.

قوله: (في نَفيه) أي: الحقِّ.

قوله: (﴿مِن وَلَدٍ﴾) ﴿مِن﴾: زائدة في المفعول، وقوله: ﴿مِنْ إِلَٰهٍ﴾: ﴿مِن﴾: زائدة في اسم ﴿كَانَ﴾.

قوله: (أي: لو كان معه إلهٌ) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿إِذًا لَّذَهَبَ﴾ جوابٌ لشرط محذوف وهو (لو) الامتناعية، عُلم مِن قوله: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾، وتقدَّم تحقيق الكلام في هذا البرهان في (الأنبياء)[1].

قوله: (كفعل مُلوك الدنيا) كلامه يقتضي أنَّ هذا أمرٌ عاديٌّ لا إلزامٌ قطعيٌّ، وهو خلاف التحقيق، بل التَّحقيق: أنه دليل عقليٌّ قطعيٌّ[2].

قوله: (﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾) هذا دليلٌ آخرُ على الوحدانيَّة، كأنه قال: الله عالم الغيب والشهادة، وغيره لا يَعلمها، فغيره ليس بإلهٍ.

قوله: (بالجر صفة) أي: للفظ الجلالة، أو بدل منه.

---

(١) انظر (٤/ ٣٢٠-٣٢١).

(٢) انظر (٤/ ٣٢١) في سورة الأنبياء.

فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ....

والرَّفع خبَر (هو) مُقدَّراً، ﴿فَتَعَٰلَىٰ﴾: تعظَّم ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ـهُ معهُ.

(﴿٩٣﴾ - ﴿٩٤﴾) ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا﴾ - فيه إدغامُ نُون (إنْ) الشَّرطِيَّة في (ما) الزَّائدة - ﴿تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ﴾ـهُ مِن العَذاب، هو صادِق بِالقَتل بِبَدرٍ، ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فأَهلِك بِإهلاكهِم.

(﴿٩٥﴾ - ﴿٩٦﴾) ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (والرفع خبر هو مقدر) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[١].

قوله: (﴿فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾) عطف على معنى ما تقدَّم كأنه قال: علم الغيب فتعالى[٢].

قوله: (﴿قُل رَّبِّ﴾... إلخ) هذا أمرٌ لرسول الله ﷺ بكيفيَّة دعاء يتخلَّص به مِن عذابهم، وهو مجابٌ؛ لأنَّ الله ما أمره بدعاءٍ إلا استجاب له.

قوله: (﴿إِمَّا تُرِيَنِّي﴾) (إنْ): شرطية، و(ما): زائدة، و﴿تُرِيَنِّي﴾: فعل الشرط، والنون: للوقاية، والياء: مفعول أول، و﴿مَا﴾: مفعول ثان، و﴿يُوعَدُونَ﴾: صلة ﴿مَا﴾، و﴿رَبِّ﴾: تأكيدٌ للأول، وقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلْنِي...﴾ إلخ جوابُ الشرط.

قوله: (بالقتل ببدر) أي: وهو الذي رآه بالفعل.

قوله: (فأهلك بهلاكهم) أي: لأنَّ شؤم الظالم قد يَعمُّ غيره.

إن قلتَ: إنَّ رسول الله معصومٌ من جَعله مع القوم الظالمين؛ فكيف أمره الله بهذا الدعاء؟

أجيب: بأنه أُمِرَ بذلك إظهاراً للعبودية، وتواضعاً لربِّه، وتعظيماً لأجره، وليكونَ في جميع الأوقات ذاكراً لله تعالى.

قوله: (﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ﴾... إلخ) (إنَّ): حرف توكيد ونصب، و(نا): اسمها، والجارُّ

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم بالجر، والباقون بالرفع. انظر «الدر المصون» (٨/ ٣٦٣).

(٢) ويقال له في غير القرآن: العطف على التوهم، أو يكون على إضمار القول؛ أي: أقول: فتعالى الله. انظر «الدر المصون» (٨/ ٣٦٤).

ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا

أي: الخَصلةِ مِن الصَّفحِ والإعراض عَنهُم ﴿ٱلسَّيِّئَةَۚ﴾: أذاهُم إيَّاك، وهذا قبلَ الأمرِ بالقِتالِ، ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ أي: يَكذِبُون ويَقُولُونَ فنُجازِيهم علَيهِ.

(﴿٩٧﴾ - ﴿٩٨﴾) ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ﴾: أعتَصِمُ ﴿بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾: نَزَغاتِهِم بِما يُوَسوِسُون به، ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ في أُمُوري؛ لِأَنَّهم إنَّما يَحضُرُونَ بِسُوءٍ.

(﴿٩٩﴾ - ﴿١٠٠﴾) ﴿حَتَّىٰٓ﴾ ـ ابتِدائيَّة ـ ﴿إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ ورَأى مَقعَده مِن النَّار ومَقعَده مِن الجَنَّة لَو آمَنَ، ﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ ـ الجَمعُ لِلتَّعظيمِ ـ ﴿لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾

حاشية الصاوي

والمجرور متعلق بـ﴿قَٰدِرُونَ﴾، و﴿مَا﴾: واقعة على العذاب، و﴿قَٰدِرُونَ﴾: خبر (إنَّ)، واللام: للابتداء زُحلقت للخبر، والمعنى: وإنَّا لقادرون على أن نُريك العذاب الذي نَعِدُهم به.

قوله: (أي: الخصلة. . . إلخ) أشار بذلك إلى أن (التي) صفة لموصوف محذوف، وقوله: (من الصفح) (مِن): بيان لِلخصلة التي هي أحسن.

قوله: (وهذا قبل الأمر بالقتال) أي: فهو منسوخٌ، ويحتمل أنَّ المعنى: ادفع بالتي هي أحسَن ولو في حال القتال، كأنَّ الله يقول له: إذا قدرت عليهم. . فاصفَح عنهم ولا تعاملهم بما كانوا يُعاملونك به، وحينئذٍ: فتكون الآيةُ محكمةً، وقد حَصل منه هذا الأمر عند فتح مكة.

قوله: (﴿وَقُل رَّبِّ﴾) أي: في كلِّ وقت؛ لأنَّ العِصمة والحفظ من الشيطان أمرُها عظيمٌ جدًّا، وهو وإن كان معصوماً. . فالمقصود تعليم أُمَّته، وإظهار الالتجاء لربِّه.

قوله: (﴿مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾) جمع هَمْزَة، وهي: النَّخسة.

قوله: (نزَغاتهم) أي: إفساداتهم، والمعنى: أتحصَّن بك مِن وساوس الشياطين.

قوله: (﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ﴾) كرَّر ذلك؛ للمُبالغة والاعتناء بهذه الاستعاذة.

قوله: (ابتدائية) أي: تُبْتَدَأ بعدها الجمل؛ إشارةً إلى أنَّ هذا الكلام منقطعٌ عمَّا قبله، قُصِدَ به وصفُ حالِ الكافر بعد مَوته.

قوله: (الجمع للتعظيم) جوابٌ عمَّا يقال: لِمَ لَمْ يقل: ربِّ ارجعني ـ بالإفراد ـ مع أنَّ المخاطب واحِد؟ وأجيب أيضاً: بأنَّ الواو لِتكرير الطلب، كأنه قال: ارجِعن ارجعن ارجعن، أو الجمع باعتبار

﴿فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ....﴾

بأن أشهَدَ أنْ لا إلَه إلا الله، يَكونُ ﴿فِيمَا تَرَكْتُۚ﴾: ضَيَّعتُ مِن عُمْرِي أي: في مُقابَلَتِه، قال تعالى: ﴿كَلَّآۚ﴾ أي: لا رُجُوع؛ ﴿إِنَّهَا﴾ أي: رَبِّ ارجِعُونِ ﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ﴾ ولا فائدة لَهُ فِيها، ﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾: أمامِهِم ﴿بَرْزَخٌ﴾: حاجِز يَصُدُّهُم عن الرُّجوع ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ولا رُجُوعَ بعدَه.

﴿١٠١﴾ ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾: القَرنِ النَّفخةُ الأُولى أو الثَّانية، ....

حاشية الصاوي

الملائكة الذين يَقبضون روحه، كأنه استغاث بالله أولاً، ثمّ رجع إلى طلب الرجوع إلى الدنيا من الملائكة.

قوله: (يكون فيما تركت) أي: بدلاً عنه.

قوله: (أي: لا رجوعَ) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿كَلَّآۚ﴾ هنا معناها النفي، ومع ذلك فيها معنى الزَّجر والرَّدع.

قوله: (أي: ربِّ ارجعون) أي: وما بعدها.

قوله: (﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾) الجمع باعتبارِ معنى (أحد).

قوله: (﴿بَرْزَخٌ﴾) هو المُدَّة التي من حين الموت إلى البعث، والمعنى: أنَّ بينهم وبين الرجعة حجاباً ومانعاً من الرجوع، وهو الموت.

إذا علمتَ ذلك.. فالأموات لا تَعود أجسامهم في الدنيا بأرواحهم كما كانوا أبداً، وإنما يبعثون يوم القيامة، لا فرق بين الأنبياء وغيرهم، وما وَرد عن بعض الصالحين من أنهم يجتمعون بالنبي ﷺ يقظةً.. فالمراد: أنَّ روحَهُ الشريفةَ تشكَّلت بِصُورة جسده الشريف، وكذا يقال في الأولياء والشهداء؛ لأنَّ أرواح المطيعين مطلقةٌ غيرُ محبوسةٍ، وأمَّا الكفار.. فأرواحهم مَحبوسة لا تسعى في الملكوت.

قوله: (ولا رجوعَ بعده) أي: يوم البعث.

قوله: (النفخة الأولى) هو قولُ ابن عباس، وقوله: (أو الثانية) هو قول ابن مسعود[1].

---

(١) انظر «زاد المسير» (٣/ ٢٧١).

فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ....

﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يَتَفاخَرُون بِها ﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ عَنها، خِلاف حالِهم في الدُّنيا لِما يَشغَلُهُم مِن عِظَم الأمرِ عن ذلك في بَعض مَواطِن القِيامةِ، وفي بَعضها يُفِيقُونَ، وفي آية: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات: ٥٠].

(١٠٢ - ١٠٤) ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بِالحَسَناتِ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزُون، ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بِالسَّيِّئاتِ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾، فهُم ﴿فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (يَتفاخرون بها) جوابٌ عمَّا يقال: إنَّ الأنساب ثابتةٌ بينهم لا يصح نفيُها، فأجاب: بأنَّ معنى (لا أنساب بينهم): لا يَتفاخرون بأنسابهم، وأجيب أيضاً: بأنَّ معنى (لا أنساب بينهم): لا أنسابَ تَنفعهم؛ لزوال التراحم والتعاطف من شدَّة الحَسرة والدهشة.

قوله: (خِلاف حالهم في الدنيا) أي: لأنهم كانوا يُسْأَلون عن بعضهم في الدنيا.

قوله: (لما يشغلهم) علَّة لقوله: ﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾، ودفع بذلك ما يقالُ: كيف الجمع بين هذه الآية وآية ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧]؟

فجمع المفسِّر: بأنَّ القيامة مواطنُ مختلفةٌ، وهذا مبنيٌّ على أنَّ المراد النفخة الثانية، وأمَّا على أنَّ المراد النفخة الأُولى.. فوجه الجمع: أنَّ نفيَ السؤالِ إنما هو عند النفخة الأُولى؛ لموتهم حينئذٍ، وإثباتَهُ إنما هو بعد النفخة الثانية.

قوله: (﴿مَوَٰزِينُهُۥ﴾) الجمع إمَّا للتعظيم، أو بِاعتبار الموزُون.

قوله: (بالحسنات) الباء سببيَّة؛ أي: بسبب ثِقَل الحسنات.

قوله: (بالسيئات) أي: التي بسبب ثِقل السيئات، والمعنى: فمَن رجحت حسناته.. فأولئك هم المفلحون، ومَن رجحت سيئاته.. فأولئك الذين خسرُوا... إلخ.

قوله: (فهم ﴿فِي جَهَنَّمَ﴾) أشار المفسِّر إلى أنّ قوله: ﴿فِي جَهَنَّمَ﴾ خبرٌ لمحذوف[1].

---

(١) ويحتمل أن يكون بدلاً من ﴿خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾، ولا محلَّ للبدل والمبدل منه؛ لأنَّ الصلة لا محلَّ لها، أو خبر بعد خبر لـ(أولئك). انظر «الكشاف» (٣/ ٢٠٦).

تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ....

﴿تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾: تُحرِقُها، ﴿وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ شُمِّرَتْ شِفاهُهم العُليا والسُّفلَى عن أسنانِهم، ويُقالُ لَهم:

﴿١٠٥﴾ ﴿أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي﴾ مِن القُرآن ﴿تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ تُخوَّفُون بها، ﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾؟

(﴿١٠٦﴾ - ﴿١٠٧﴾) ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا﴾ - وفي قِراءة: (شَقاوَتنا) بِفَتحِ أوَّله وألِف، وهُما مَصدَرانِ بِمَعنًى -، ﴿وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ﴾ عَن الهِداية، ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا﴾ إلى المُخالَفة ﴿فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾.

﴿١٠٨﴾ ﴿قَالَ﴾ لَهُم بِلِسانِ مالِك بعدَ قَدرِ الدُّنيا مَرَّتَينِ: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ﴾) اللَّفح: الإصابة بشدَّة.

قوله: (شمرت شِفاههم... إلخ) أي: فالكُلوح: تشمير الشفة العليا، واسترخاء السفلى؛ لما ورَد: «أنه تتقلَّص شفتُهُ العليا حتى تبلغَ وسطَ رأسِهِ، وتسترخي السُّفلى حتى تبلغ سُرَّته»[1].

قوله: (﴿تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾) أي: في الدنيا.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[2].

قوله: (وهما مصدران بمعنًى) أي: وهو سُوء العاقبة.

قوله: (بعد قدر الدنيا مرتَين) أي: وقدرها؛ قيل: سبعة آلاف سَنة بعدد الكواكب السيَّارة، وقيل: اثني عشر ألف سنة بعَدد البُروج، وقيل: ثلاث مئة ألف سنة وستون سنة بعدد أيام السنة[3].

(١) رواه الترمذي (٢٥٧٨) عن سيدنا أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٢) قرأ الأخوان: (شقاوتنا) بفتح الشين وألف بعد القاف، والباقون بكسر الشين وسكون القاف. انظر «الدر المصون» (٨/ ٣٧٠).

(٣) وكلُّها أقوالٌ إسرائيلية باطلة، وهي سبب كفر كثير من النصارى وإلحادهم بعد أن كشف العلم الحديث بُطلان تلك الأقوال، وأنَّ الأرض عُمرها ملايين السنين.

ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ ....

﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا﴾: ابعدُوا في النَّار أذِلَّاءَ ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ في رَفع العَذابِ عَنكُم؛ لِيَنقَطِعَ رَجاؤُهم.

(﴿١٠٩﴾ - ﴿١١٠﴾) ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى﴾ هُم المُهاجِرُون ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا﴾ ـ بِضَمِّ السِّين وكَسرِها ـ مَصدر بِمَعنَى الهُزء، مِنهُم بِلال وصُهَيب وعَمَّار وسَلمانُ، ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى﴾ فتَركتُمُوه لِاشتِغالِكُم بالاستِهزاءِ بِهِم، فهُم سببُ الإنساءِ فنُسِبَ إلَيهم، ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾.

﴿١١١﴾ ﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ النَّعِيم المُقِيم ﴿بِمَا صَبَرُوٓاْ﴾ على استِهزائكُم بِهِم وأذاكُم إيَّاهُم، ﴿إِنَّهُمْ﴾ ـ بِكَسرِ الهَمزةِ ـ ﴿هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ بِمَطلُوبِهِم، ـ استِئناف، وبِفَتحِها: مَفعُول ثانٍ لـ﴿جَزَيْتُهُمُ﴾ ـ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا﴾) أي: اسكتُوا سكوتَ هوانٍ وذلٍّ.

قوله: (فيَنقطع رجاؤهم) أي: وهذا آخِر كلامهم في النار؛ فلا يُسْمَعُ لهم بعد ذلك إلا الزفيرُ والشهيقُ، أو النُّباح كنباح الكلاب.

قوله: (﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ﴾) تعليلٌ لما قبله.

قوله: (بضمِّ السين وكسرها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (وسلمان) المناسب أن يقولَ بدله: (وخبَّاب)؛ لأنَّ سلمانَ ليس من المهاجرين.

قوله: (فنُسِبَ إليهم) أي: وحقُّه أن يُنسَب إلى الاستهزاء.

قوله: (﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾) أي: وذلك غايةُ الاستهزاء.

قوله: (بكسر الهمزة وفتحها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2].

---

(١) قرأ الأخوان ونافع بكسر السين. والباقون بضمها. انظر «الدر المصون» (٨/ ٣٧١).

(٢) قرأ الأخوان بكسر الهمزة استئنافاً، والباقون بالفتح. انظر «الدر المصون» (٨/ ٣٧٢).

قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ....

﴿١١٢﴾ ﴿قَالَ﴾ تعالى لَهُم بِلِسانِ مالِك ـ وفي قِراءة: ﴿قُلْ﴾ ـ: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ في الدُّنيا وفي قُبُوركُم ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾ ـ تَمييز ـ.

﴿١١٣﴾ ﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ شَكُّوا في ذلك واستَقصَرُوهُ لِعِظَمِ ما هُم فِيه مِن العَذاب، ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ أي: المَلائكةَ المُحصِينَ أعمالَ الخَلقِ.

﴿١١٤﴾ ﴿قَٰلَ﴾ تَعالى بِلِسانِ مالِك ـ وفي قِراءة: ﴿قُلْ﴾ ـ: ﴿إِن﴾ أي: ما ﴿لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بلسان مالك) دَفع بذلك ما يقال: إن قوله: ﴿قَالَ﴾ يقتضي أنَّ الله يُكلمهم مع أنه قال في آية أخرى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾، فأجاب: بأن المكلِّمَ لهم الملكُ عن الله.

قوله: (وفي قراءة: ﴿قُلْ﴾) أي: وهي سبعيَّة أيضاً، والحاصِل: أنَّ هنا وفيما يأتي في قوله: ﴿قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ﴾ ثلاثَ قراءاتٍ سبعيَّاتٍ: الأمر فيهما، والماضي فيهما، والأمر في الأول، والماضي في الثاني[1].

قوله: (﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾) ﴿كَمْ﴾: في محلِّ نَصبٍ على الظرفية الزمانية، وقوله: (﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾) هو مميزها، والمعنى: لَبِثتم كم عدداً من السنين؟ والقصدُ من هذا السؤال: التوبيخُ والتبكيتُ عليهم؛ لأنهم كانوا يَعتقدون بقاءهم في الدنيا، ويُعَوِّلون على اللبث فيها، ويُنكرون البعث، فلمَّا أدخلوا النار وأيقنُوا دوامها وخُلودهم فيها.. سألهم عن لُبثهم في الدنيا زيادةً في تحسُّرهم على ما كانوا يَعتقدونه حيث ظهر خلافه.

قوله: (﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾) بالتشديد جمع عادٍّ، من العَدد، وهذا من جملة كلامهم؛ لأنه غَشِيهم من الهول والعذاب ما يَشغلهم عن ضبط ذلك وإحصائه.

قوله: (﴿قَٰلَ﴾ تعالى) أي: تقريعاً وتخويفاً وتصديقاً لهم.

---

(١) قرأ الأخوان: (قل كم لبثتم)، (قل إن لبثتم) بالأمر في الموضعين، وابن كثير كالأخوين في الأول فقط، والباقون (قال) في الموضعين. انظر «الدر المصون» (٨/ ٣٧٢).

لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ ....

لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ مِقدارَ لُبثِكُم مِن الطُّول كان قَلِيلاً بِالنِّسبة إلى لُبثِكُم في النَّار.

﴿١١٥﴾ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ لا لِحِكمةٍ، ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ - بِالبِناء لِلفاعِلِ ولِلمَفعولِ -؟ لا، بل لِنَتعبَّدَكم بالأمرِ والنَّهي وتَرجِعُوا إلَينا ونُجازِيَ على ذلك، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

﴿١١٦﴾ ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ﴾ عن العَبَث وغَيرِه مِمَّا لا يَلِيقُ به، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَّوْ أَنَّكُمْ﴾) ﴿لو﴾: هنا امتناعية، ومفعول العِلم محذوفٌ، قدَّره المفسِّر بقوله: (مِقدار لبثكم)، وجواب (لو) محذوفٌ أيضاً، قدَّره المفسِّر بقوله: (كان قليلاً) أي: في عِلمكم، والمعنى: لو أنكم كنتم تَعلمون مقدار لُبثكم من الطول.. لَعَلمتم قلَّة لبثكم في الدنيا.

قوله: (﴿أَفَحَسِبْتُمْ﴾) الهمزة داخِلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أجهلتم فحَسبتم؟ وحَسِب: بمعنى (ظنَّ)، والاستفهام للتوبيخ والإنكار.

قوله: (﴿عَبَثًا﴾) إمَّا حال مُؤول باسم الفاعل؛ أي: عابثِين، أو مفعول لأجله. والعبثُ: اللَّعبُ، وكلُّ ما ليس فيه غرضٌ صحيحٌ؛ فقوله: (لا لحكمة) تفسيرٌ للعبث.

قوله: (﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾) عطف على ﴿أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ﴾، فيكون (حَسِب) مسلَّطاً عليه.

قوله: (بالبناء للفاعل والمفعول) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (لا) قدَّره؛ جواباً للاستفهام.

قوله: (بل لنتعبَّدكم) أي: لِنُكلِّفكم.

قوله: (على ذلك) أي: على امتثالِ التعبُّدِ المذكورِ.

قوله: (﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾) أي: حكمةُ خَلْقِي لهم: كونُهم يمتثلون أوامري، ويجتنبون نواهيَّ.

قوله: (﴿فَتَعَالَى اللَّهُ﴾) أي: تنزَّه.

---

(١) قرأ الأخوان: (تَرجعون) مبنيًّا للفاعل، والباقون مبنيًّا للمفعول. انظر «الدر المصون» (٨/ ٣٧٥).

﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ﴾

﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾: الكُرسيِّ، هو السَّرير الحسَن.

﴿١١٧﴾ ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ - صِفةٌ كاشِفة لا مَفهُوم لَها - ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ﴾: جَزاؤُه ﴿عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: لا يَسعَدُون.

﴿١١٨﴾ ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ﴾ المُؤمِنِينَ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾) أي: الذي يَحقُّ له التصرُّف في مُلكه بالإيجاد والإعدام، والثواب والعقاب وغير ذلك، فكلُّ ما سواه مقهورٌ، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨].

قوله: (﴿ٱلْكَرِيمِ﴾) بالجرِّ: صفة لـ﴿ٱلْعَرْشِ﴾؛ لأنَّ كلَّ بركة ورحمة وخيرٍ نازلة منه، وقرئ شذوذاً بالرفع على أنه نعت مقطوع للمدح[1].

قوله: (الكرسي) تقدَّم أنَّ المناسب إبقاؤه على ظاهِره.

قوله: (هو السرير الحسن) هكذا في بعض النسخ، وفي بعضها إسقاطها.

قوله: (صفة كاشفة) أي: بَيان للواقع؛ لأنَّ كلَّ من ادَّعى مع الله إلهاً آخر لا بدَّ وأن يكون لا برهان له به.

قوله: (﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾) هو جَواب الشرط.

قوله: (﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾) الجمهور على كسر (إنَّ) استئنافاً، وفيه معنى العلَّة، وقرئ شذوذاً بالفتح على أنه خبر ﴿حِسَابُهُۥ﴾[2]، والأصل: حِسابه أنه لا يُفلح هو، فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلاً عليهم[3].

---

(١) قرأ أبو جعفر وابن محيصن وإسماعيل عن ابن كثير وأبان بن تغلب بالرفع، وفيه وجهان، أحدهما: أنه نعت للعرش أيضاً، ولكنه قطع عن إعرابه لأجل المدح على خبر مبتدأ مضمر، وهذا جيد لتوافق القراءتين في المعنى، الثاني: أنه نعت لـ(ربُّ). انظر «الدر المصون» (٨/ ٣٧٥).

(٢) وبها قرأ الحسن وقتادة. انظر «الدر المصون» (٨/ ٣٧٦).

(٣) حتى لا يتأتى لهم الإنكار.

﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾

في الرَّحمةِ زِيادةٌ عن المَغفِرة، ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾: أفضَلُ راحِم.

✿ ✿ ✿

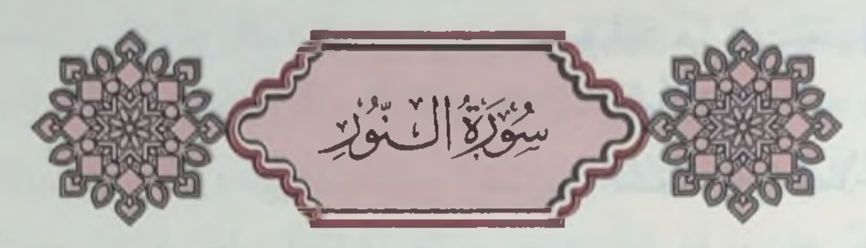
حاشية الصاوي

قوله: (في الرحمة) زيادة على المغفرة؛ أي: فذكر الرحمة بعد المغفرة تحليةٌ بعد تخليةٍ؛ ففي الغفران محو السيئات، وفي الرَّحمة رفع الدرجات.

قوله: (أفضلَ رحمة) بالنصب على التمييز.



﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَـٰهَا ....



مَدَنِيَّة، وهي ثِنْتانِ أو أربعٌ وستُّون آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿١﴾ هَذه ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَـٰهَا ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ النُّورِ

سمِّيت بذلك؛ لِذكر النور فيها، وفي هذه السورة ذكرُ أحكامِ العفافِ والسَّترِ وغيرها من الأحكام الدينية المفصَّلة؛ ولذا كتب عمر رضي الله عنه إلى الكوفة: (علِّموا نساءكم سورة «النور»)[١]، وقالت عائشة رضي الله عنها: (لا تُنْزِلوا النساء في الغُرَف، ولا تعلِّموهنَّ الكتابة، وعَلِّموهنَّ سورة «النور»، والغَزل)[٢].

قوله: (هذه سورةٌ) أشار المفسِّر إلى أنَّ ﴿سُورَةٌ﴾ خبرٌ لمحذوف، قدَّره بقوله: (هذه)، والإشارة لما في عِلم الله؛ لكونها في حُكم الحاضر الشاهد، ويصحُّ أن تكون ﴿سُورَةٌ﴾ مبتدأ، وجملة ﴿أَنزَلْنَـٰهَا﴾ صفةٌ لها، والخبر قوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾، والمعنى: السورة المنزَلة والمفروضة كذا وكذا، أو الخبر محذوف، والتقدير: فيما يُتلى عليكم، وهذا على قراءة الرفع، وهي لعامَّة القرَّاء، وقرئ (سورةً) بالنصب بفعل مضمر يفسِّره (أنزلنا)، فهو من باب الاشتغال، أو على الإغراء؛ أي: دُونَك سورةً[٣].

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢١٣).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٩٧)، والطبراني في «الأوسط» (٦/ ٣٤).

(٣) قرأ الحسن بن عبد العزيز وعيسى الثقفي وعيسى الكوفي ومجاهد وأبو حيوة في آخرين: (سورةً) بالنصب، وقد يكون توجيه النصب أيضاً بفعل مُقدَّر غير مفسَّر بما بعده، تقديره: اتل سورة، أو اقرأ سورة، أو حال من (ها) في ﴿أَنزَلْنَـٰهَا﴾. انظر «الدر المصون» (٨/ ٣٧٨).

وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى ....

﴿وَفَرَضْنَٰهَا﴾ - مُخففاً، ومُشدَّداً لِكَثرة المَفرُوض فِيها -، ﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾: واضِحاتِ الدَّلالةِ، ﴿لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ - بِإدغام التَّاء الثَّانية في الذالِ -: تتَّعِظُون.

﴿٢﴾ ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى﴾ أي: غَيرُ المُحصَنَينِ لِرَجمِهِما بِالسُّنَّة، و(أل) فِيما ذُكِرَ مَوصولةٌ، وهو مُبتَدَأ ولِشَبَهِه بِالشَّرطِ دَخَلَت الفاءُ في خَبَره، وهو: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَفَرَضْنَٰهَا﴾) أي: أوجبنا ما فيها من الأحكام إيجاباً قطعيًّا.

قوله: (مخففاً ومشدَّداً) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَآ﴾) كرَّر الإنزال؛ لِكَمال الاعتناء بشأنها.

قوله: (﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾) أي: دلائلَ على وحدانيَّة الله تعالى، وقد ذُكِرَ في أول هذه السورة أنواعٌ من الأحكام والحُدود، وفي آخِرها دلائلُ التوحيدِ؛ فقوله: ﴿وَفَرَضْنَٰهَا﴾ إشارةٌ إلى الأحكام، وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ إشارةٌ إلى الأدلَّة.

قوله: (بإدغام التاء الثانية) أي: بعد قلبها دالاً فذالاً؛ أي: وتَسكينِها؛ أي: فهما قراءتان سبعيَّتان، وبَقِيت ثالثة سبعيَّة أيضاً، وهي: حذف إحدى التاءين[2].

قوله: (﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى﴾) مبتدأٌ، والخبرُ محذوفٌ، تقديرُه: فيما يُتلى عليكم، أو جملة ﴿فاجلدوهما﴾[3] ودخلت الفاء؛ لِشَبه المبتدأ بالشرط، وعليه دَرج المفسِّر.

وقدِّمت المرأة في حدِّ الزنا، وأُخِّرت في آية حدِّ السرقة؛ لأنَّ شهوة الزنا في المرأة أقوى وأكثَر، والسرقة ناشئة من الجَسارة والقُوة، وهي في الرجل أقوى وأكثر.

قوله: (لرجمهما بالسنَّة) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى﴾ لفظٌ عامٌّ يشمل المحصنَ وغيرَهُ، فالسنَّة أخرجت المحصَن وبيَّنت أنَّ حدَّه الرَّجم، فصار الكلام في غيره.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتشديد، والباقون بالتخفيف. انظر «الدر المصون» (٨/ ٣٧٩).

(٢) هما قراءتان سبعيَّتان: التخفيف والتشديد كما في «البدور الزاهرة» (ص٢٢١)، وعبارة «الفتوحات» (٣/ ٢٢٠): (وكان عليه أن ينبِّه على القراءة الأخرى، وهي التخفيف بحذف إحدى التاءين؛ فإنها سبعيَّة أيضاً).

(٣) ولا يضرُّ كونه جملةً طلبيَّةً على المعتمد؛ كما مرَّ للمصنف في ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾.

﴿فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾

﴿فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾: ضَربةً، يُقالُ: (جَلَدَهُ): ضَرَبَ جِلدَه، ويُزاد على ذلك بِالسُّنَّة تَغريبُ عام، والرَّقيق على النِّصف مِمَّا ذُكِر، ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ أي: حُكمِه بِأن تَترُكُوا شَيئاً مِن حَدِّهما ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ أي: يَومِ البَعث، في هذا تَحرِيضٌ على ما قَبل الشَّرط، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا﴾ . . . إلخ) أي: بسَوطٍ ليِّنٍ، له رأسٌ واحدةٌ، ويجرَّد الرجل من ثيابه، والمرأةُ مما يُقيها ألمَ الضرب، وتُوضع في قفَّةٍ فيها ترابٌ للسَّتر.

قوله: (والرقيق على النصف ممَّا ذكر) أي: الجلد والتغريب، وهذا مَذهب الشافعي، وقال مالك: لا يغرَّب إلا الذكرُ الحرُّ، وأمَّا المرأة والرَّقيق.. فلا يُغرَّبان[1].

قوله: (﴿وَلَا تَأْخُذْكُم﴾) قرأ العامَّة بالتأنيث مراعاةً للفظ، وقُرئ شذوذاً بالياء التحتيَّة[2].

قوله: (﴿رَأْفَةٌ﴾) بسكون الهمزة وفتحها، قراءتان سبعيَّتان، وقرئ بالمدِّ بوزن (سَحابة)[3]. والرأفة: أشدُّ الرحمة، ويقال: رَؤُفَ بالضمِّ والفتح والكسر كـ(كَرُمَ) و(قَطَعَ) و(طَرِبَ).

قوله: (بأن تتركوا شيئاً من حدِّهما) أي: لأنَّ إقامة الحدود فيها رضا الله؛ لما ورد: «**إقامةُ حدٍّ لله تعالى في الأرض خيرٌ من أن تُمطَرُوا أربعين صباحاً**»[4].

قوله: (في هذا) أي: قوله: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ . . .﴾ إلخ.

قوله: (تحريضٌ) أي: حثٌّ على ما قبل الشرط، وهو قوله: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾، فالواجبُ الغضبُ لله، واستيفاءُ الحدود؛ اقتداءً برسول الله ﷺ؛ فإنه قال: «**لو سرَقت فاطمة بنت محمد.. لَقطعتُ يدها**»[5].

---

(١) انظر «بلغة السالك لأقرب المسالك» (٤/ ٤٥٧).

(٢) وبها قرأ سيدنا علي بن أبي طالب والسلمي ومجاهد؛ لأن التأنيث مجازي، وللفصل بالمفعول والجار. انظر «الدر المصون» (٨/ ٣٨٠).

(٣) قرأ العامة بسكون الهمزة، وابن كثير بفتحها، وقرأ ابن جريج وتروى أيضاً عن ابن كثير وعاصم: (رآفة) بألف بعد الهمزة بزنة: سحابة. انظر «الدر المصون» (٨/ ٣٨٠).

(٤) رواه النسائي في «المجتبى» (٨/ ٧٦)، وابن ماجه (٢٥٣٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) رواه البخاري (٤٣٠٤)، ومسلم (١٦٨٨) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها، وعند ابن ماجه بعد رواية هذا الحديث (٢٥٤٧) =

﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٢ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ ....

وهو جَوابُه أو دالٌّ على جَوابِه، ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا﴾ أي: الجلدَ ﴿طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قِيل: ثَلاثة، وقِيل: أربعة عدَد شُهُود الزِّنى.

٣ ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ﴾: يَتزوَّج ﴿إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ أي: المُناسِبُ لِكُلٍّ مِنهُما ما ذُكِرَ، ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ﴾ أي: نِكاحُ الزَّوانِي ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: الأخيارِ. نَزَلَ ذلك لَمَّا هَمَّ فُقَراءُ المُهاجِرين أن يَتزوَّجُوا بَغايَا المُشرِكِين ....

حاشية الصاوي

قوله: (وهو جوابه) أي: كما هو رأي الكوفيين، وقوله: (أو دالٌّ) أي: كما هو رأي البصريين[١].

قوله: (﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ﴾) الأمرُ للندبِ، والطائفةُ: الفرقةُ التي يُمكن أن تكون حلقة.

قوله: (قيل: ثلاثة... إلخ) القَولان للشافعي، وعند مالك: أقلُّ ذلك أربعة[٢].

قوله: (أي: المناسب لكلٍّ منهما ما ذكر) أي: فهذا زجرٌ لمن يريد نكاح الزانية، والمعنى: أنَّ الزاني يرغب في نِكاح الزانية والمشركة، والزانية ترغب في نكاح الزاني أو المشرك.

قوله: (﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾) أي: لِما فيه من المفاسد؛ كالطعن في النسب، والتعرُّض للتُّهم، والتَّشبُّه بالفسَّاق، فالواجبُ التَّزوج بالعَفيفات؛ لما في الحديث: «**تخيَّروا لِنُطَفكم؛ فإنَّ العرق دسَّاس**»[٣].

قوله: (نزل ذلك) أي: الآية، وحينئذٍ: فالمطابق لِسبب النزول هو الجملة الثانية، وإنما ذكر الأولى زيادةً في التَّنفير.

= قال: (محمد بن رمح: سمعت الليث بن سعد يقول: «قد أعاذها الله عزَّ وجلَّ أن تسرق، وكلُّ مسلمٍ ينبغي له أن يقول هذا»).

(١) والمسألة فيما إذا تقدَّم على أداة الشرط مما هو في معنى الجواب؛ فهو دليل الجواب البصريين، والجواب محذوف، وعند الكوفيين: أن الذي تقدم هو الجواب نفسُه. انظر «شرح الكافية الشافية» (٣/ ١٦١١).

(٢) انظر «بلغة السالك لأقرب المسالك» (٤/ ٤٥٦).

(٣) رواه ابن ماجه (١٩٦٨) عن سيدتنا عائشة ﵂، دون قوله: (فإن العرق دسَّاس)، وهي عند الشهاب القضاعي في «مُسنده» (٦٣٨) بلفظ: (وانظر في أي نصاب تضع ولدك؛ فإن العرق دسَّاس).

﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ ....

وهُنَّ مُوسِراتٌ لِيُنفِقنَ علَيهِم، فقِيل: التَّحرِيمُ خاصٌّ بِهِم، وقِيل: عامٌّ ونُسِخَ بِقَولِه تَعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ﴾ [النور: ٣٢].

﴿٤﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾: العَفِيفاتِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (وهنَّ موسرات) أي: غنيَّاتٌ.

قوله: (خاصٌّ بهم) أي: ولم يُنسَخ إلى الآن.

قوله: (﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ﴾) جمع أيِّم، وهي: مَن ليس لها زوج، بكراً أو ثيباً، ومن ليس له زوجة، وهو شمل الزاني والزانية وغيرهما، فغاية الأمر: أنَّ نكاح الفاسق والفاسقة مَكروهٌ.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾) تقدَّم أنَّ الزاني والزانية إمَّا أن يُرجما إن كانا محصنين، أو يُجلدَا إن لم يكونَا كذلك، فتبيَّن أنَّ الزنا أمرُهُ عظيمٌ شديدٌ، لا بدَّ وأن يَثبت إمَّا بإقرار، أو بأربعة عُدول، فإن انتفى واحد من ذلك.. حُدَّ المدَّعي، فبين هذه الآية وما قبلها شدَّةُ مناسبة.

وقوله: (الذين): مبتدأ، و﴿يَرۡمُونَ﴾: صلته، والخبر ثلاث جُمَل: الأولى: ﴿فَٱجۡلِدُوهُمۡ﴾، الثانية: قوله: ﴿وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ﴾، الثالثة: قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾.

ومعنى ﴿يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾: يَتَّهمونهنَّ، فشبَّه الاتهام بالرمي بجامع التأدية للهلاك في كلٍّ؛ لأنه إن ثبَت ذلك الأمر.. فقد هَلك المرمي، وإن لم يَثبُت.. فقد هَلك الرامي.

وقوله: ﴿ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ لا مفهومَ له، بل وكذا المحصَنون، وإنما خصَّهنَّ بالذكر؛ لأنَّ الشأن قُوة شهوة النساء.

قوله: (العفيفات) تفسيرٌ لـ﴿ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ باعتبار اللغة؛ لأنَّ الإحصان كما يُطلَق على الصفة يُطلق على التزوج، وعلى الحرية، ومفهوم قوله: (العفيفات): أنه إذا رمى غير عَفيف.. لا يُحَدُّ، ويشترط زيادة على العفَّة أن يكون المرمي يتأتَّى منه الزنا أو اللِّواط؛ بأن يكون ذا آلة؛ فإن رمى مجبوباً.. عُزِّر ولا يحدُّ، وأن يكون حرًّا مسلماً مكلَّفاً، فإن انتفى شرطٌ منها.. لم يُحَدَّ القاذف إلا رامي الصبي باللواط به أو الصبية المطيقين، فعند مالك يحدُّ، وعند الشافعي يُعزَّر[1].

(١) انظر «بلغة السالك لأقرب المسالك» (٤/ ٤٦٤)، و«تحفة المحتاج» (٨/ ٢١٠).

﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ ....

بالزِّنى ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ على زناهُنَّ برُؤيتِهم، ﴿فَاجْلِدُوهُمْ﴾ أي: كُلَّ واحِدٍ مِنهُم ﴿ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً﴾ في شَيءٍ ﴿أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ لإتيانِهم كبيرةً.

﴿٥﴾ ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ عَمَلَهم، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لَهُم قَذفَهم، ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم بِإلهامِهِم التَّوبةَ، فبها يَنتَهِي فِسقُهم وتُقبَل شَهادَتُهم، وقِيل: لا تُقبَل رُجُوعاً بِالاستِثناءِ إلى الجُملةِ الأَخيرةِ.

﴿٦﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ بالزِّنى ....

حاشية الصاوي

قوله: (بالزنا) أي: أو اللواط في آدمي مُطيق أو جنِّي تشكَّل بآدمي.

قوله: (﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾) أي: عُدُول، وقوله: (برؤيتهم) متعلق بـ﴿شُهَدَاءَ﴾ أي: يشهدون بأنهم رأوا الذكر في الفرج، ولا بدَّ أن يتَّحدوا في الرؤية والأداء؛ فإن اختلفوا ولو في أيِّ صفةٍ.. حُدَّ الجميع.

قوله: (﴿أَبَدًا﴾) أي: ما داموا مُصرِّين على عدم التوبة؛ بِدليل الاستثناء، وعلى هذا درَج مالك والشافعي، وقال أبو حنيفة: لا تُقبل شهادتهم ولو تابوا[1].

قوله: (﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾) استثناءٌ مُتصل؛ لأنَّ المستثنى منه الذين يرمون، والتائبون من جُملتهم.

قوله: (﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾) أي: القَذف.

قوله: (فبها ينتهي فسقهم) هذا مبنيٌّ على رُجوع الاستثناء للجملتين الأخيرتَين، وهو مذهب مالك والشافعي؛ فعندهما: أنَّ التائب تُقبل شهادته ويزول عنه اسم الفِسق.

قوله: (وقيل: لا تقبل) هذا مذهَب أبي حنيفة، واتَّفق الجميع على أنَّ القاذف يُجلَد وإن تاب، فليس الاستثناء راجعاً إلى الجملة الأُولى.

قوله: (﴿أَزْوَاجَهُمْ﴾) جمع زوج؛ بمعنى: الزَّوجة، وحذف التاء أفصَح من إثباتها إلا في المواريث.

---

(١) انظر «المدونة» (٤/ ٦٤١)، و«الأم» (٧/ ٢٧)، و«حاشية ابن عابدين» (٥/ ٤٦٧).

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٦ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٧﴾ ....

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ﴾ عليهِ ﴿إِلَّآ أَنفُسُهُمْ﴾ وقعَ ذلك لِجماعةٍ مِن الصَّحابة، ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ﴾ ـ مُبتدأ ـ ﴿أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ﴾ ـ نصب على المَصدَر ـ ﴿بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فِيما رَمَى بِه زَوجَتَه مِن الزِّنى.

﴿٧﴾ ﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ في ذلك، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ﴾) مفهومه: لو كان له بيِّنةٌ.. فلا لِعانَ بينهما عند مالك، وقال الشافعي: له ترك البَينة ويُلاعن، وأجاب عن الآية: بأنها خرجت على سبب النزول؛ فإنه لم يكن لهم بيِّنة[1]، قوله: (﴿إِلَّآ أَنفُسُهُمْ﴾) بالرفع بدل من ﴿شُهَدَآءُ﴾.

قوله: (وقع ذلك) أي: قَذف الزوجة بالزنا.

قوله: (لجماعة من الصحابة) أي: وهُم هِلال بن أمية، وعُويمر العجلاني، وعاصم بن عدي[2].

قوله: (نصب على المصدر) أي: والعامل (شهادة)، وفي قراءة سبعيَّة أيضاً بالرفع خبر المبتدأ[3].

قوله: (من الزنا) أي: أو نَفي الحمل؛ لأنَّ اللعان كما يكون في رُؤية الزنا يكون في نفي الحمل.

قوله: (﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ﴾... إلخ) بالرفع لا غير باتِّفاق السبعة، وقوله: ﴿أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ﴾ بالنصب لا غير باتفاق السبعة، وقوله: ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ...﴾ إلخ يَجوز في السبعة

---

(١) انظر «المدونة» (٢/ ٣٦٠)، و«الأم» (٥/ ١٤٣).

(٢) حديث هلال بن أمية رواه البخاري (٢٦٧١)، ومسلم (١٤٩٦) عن سيدنا أنس ﷺ، وحديث عويمر العجلاني رواه البخاري (٥٢٥٩)، ومسلم (١٤٩٢) عن سيدنا سهل بن سعد ﷺ، وأما حديث عاصم بن عدي.. فأخرج ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٤١٨٥) عن مقاتل بن حيان قال: (لما سأل عاصم عن ذلك.. ابتلي به في أهل بيته، فأتاه ابن عمه تحته ابنة عمه رماها بابن عمه المرأة والزوج والخليل ثلاثتهم بنو عَم عاصم أخي أبيه)، وانظر «إرشاد الساري» (٧/ ٢٥٢).

(٣) الذي هو (فشهادة)، وقرأ غير حفص وحمزة والكسائي بالنصب، وعلى هذا: فالخبر مقدَّر التقديم؛ أي: فعليهم شهادة، أو مُؤخَّره؛ أي: فشهادة أحدهم كافية أو واجبة. انظر «الدر المصون» (٨/ ٣٨٥).

﴿وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ۝٨ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝٩ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾ ..

وخَبَر المُبتدأ: تَدفَع عَنهُ حَدَّ القَذف.

(﴿٨﴾ - ﴿٩﴾) ﴿وَيَدْرَؤُا﴾ أي: يَدفَع ﴿عَنْهَا الْعَذَابَ﴾: حَدَّ الزنى الذي ثبَت بِشهاداتِه ﴿أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ فِيما رَماها بِه مِن الزِّنى، ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في ذلك.

﴿١٠﴾ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ بِالسَّترِ في ذلك ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ بِقَبُولِه التَّوبةَ في ذلك وغَيرِه، ﴿حَكِيمٌ﴾ فِيما حَكَمَ بِه في ذلك وغَيرِه، لَبَيَّنَ الحَقَّ في ذلك وعاجَلَ بالعقوبةِ مَن يَستَحِقُّها.

حاشية الصاوي

رفعه ونصبُه[1]، فتحصَّل أن (الخامسة) الأُولى بالرفع لا غير، وفي الثانية الوجهان، ولفظ (أربع) الأول فيه الوجهان، والثاني بالنصب لا غير.

وحكمةُ تخصيص الرجل باللَّعنة والمرأة بالغضب: أنَّ اللعن مَعناه: الطرد والبعد عن رحمة الله، وفي لِعانه إبعاد الزوجة والولد، وفي لعانها إغضابُ الرَّبِّ والزوج والأهل إن كانت كاذبة.

قوله: (وخبر المبتدأ) أي: الذي هو قوله: ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ﴾.

قوله: (في ذلك) أي: فيما رَماها به.

فائدة:

يترتب على لِعانه: دفعُ الحدِّ عنه، وقطع نسب الولد منه، وإيجاب الحدِّ عليها، وعلى لِعانها: دفع الحدِّ عنها، وتأبيد تحريمها، وفَسخ نكاحها.

قوله: (بالستر) متعلق بكل من (فَضل) و(رحمة)، قوله: (لبيَّن الحقَّ في ذلك) جواب (لولا).

قوله: (﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾... إلخ) شروعٌ في ذكر الآيات المتعلِّقة بالإفك، وهي ثمانية عشر، تنتهي بقوله: ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾، ومناسبة هذه الآيات

(١) نصبها حفص عطفاً على (أربع شهادات)، وغيره رفعها بالابتداء، و(أن غضب الله) خبره. انظر «الدر المصون» (٣٨٦/٨).

إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ....

(١١) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾: أسوَأ الكَذِب على عائشة رضي الله عنها أُمِّ المُؤمِنين بِقَذفِها ﴿عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾: جَماعةٌ مِن المُؤمِنين، قالَتْ: حسَّان بن ثابِت وعَبد الله بن أُبي ومِسطَح وحَمْنة بِنت جَحش، ﴿لَا تَحْسَبُوهُ﴾ أيُّها المُؤمِنُون غير العُصبة ﴿شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ يَأجُركُم الله بِه، ويُظهِر بَراءةَ عائشة ومَن جاءَ معها مِنهُ وهو صَفوانُ؛ فإنَّها قالت: كُنتُ مع النَّبيِّ ﷺ في غزوةٍ ....

حاشية الصاوي

لما قبلَها: أنَّ الله لما ذكر ما في الزنا مِن الشناعة والقبح، وذكر ما يترتَّب على مَن رمى غيره به، وذكر أنه لا يَليق بآحاد الأمة فضلاً عن زوجة سيِّد المرسلين ﷺ.. ذكر ما يتعلَّق بذلك.

قوله: (أسوأ الكذب) أي: أقبَحه وأفحشه.

قوله: (على عائشة) متعلق بالكذب، وقد عَقد عليها النبي ﷺ بمكة وهي بنت سِت سنين، ودخل عليها بالمدينة وهي بنت تسع، وتوفي عنها وهي بنت ثماني عشرة سنة[1].

قوله: (﴿عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾) العُصبة: من العشرة إلى الأربعين وإن كان من عيَّنَتْهم وذكرتهم أربعةً فقط؛ لأنهم هم الرُّؤساء في هذا الأمر.

قوله: (من المؤمنين) أي: ولو ظاهراً؛ فإنَّ عبد الله بن أبيٍّ من كبار المنافقين.

قوله: (قالت) أي: عائشة في تعيين أهل الإفك.

قوله: (وحمنة بنت جحش) هي زوجة طلحة بن عبيد الله.

قوله: (﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم﴾) المخاطب به النبي ﷺ وأبو بكر وعائشة وصفوان؛ تسليةً لهم.

قوله: (﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾) أي: لظهور كَرامتكم على الله، وتعظيم شأنكم، وتهويل الوعيد لمن تكلَّم فيكم، والثناء على مَنْ ظنَّ بكم خيراً.

قوله: (يأجركم الله به) أي: بسبب الصبر عليه، قوله: (ومن جاء معها) أي: يقود بها الراحلة، قوله: (وهو صفوان) أي: السُّلميُّ ابن المعطَّل.

قوله: (في غزوة) قيل: هي غزوة بني المصطلق، وكانت في السنة الرابعة، وقيل: في السادسة،

(١) رواه البخاري (٥١٣٤)، ومسلم (١٤٢٢) دون: (وتوفي عنها وهي بنت ثماني عشرة) فهي عند النسائي في «الكبرى» (٥٣٦٨)، وابن ماجه (١٨٧٧).

بعد ما أُنزِلَ الحِجاب، ففَرَغَ مِنها ورَجَعَ ودَنا مِن المَدِينة، وآذَنَ بالرَّحِيلِ لَيلةً، فمَشَيتُ وقَضَيت شَأنِي، وأقبَلتُ إلى الرَّحل فإذا عِقدِي انقَطَعَ هو بِكَسرِ المُهمَلة: القِلادةُ، فرَجَعتُ ألتَمِسهُ وحَمَلُوا هَودَجِي ـ هو ما يُركَب فِيه ـ على بَعِيرِي يَحسِبُونَنِي فِيه، وكانَت النِّساء خِفافاً، إنَّما يَأكُلنَ العُلقة ـ هو بِضَمِّ المُهمَلة وسُكُون اللَّام مِن الطَّعام أي: القَليل ـ ووَجدتُ عِقدِي، وجِئتُ بعدَما سارُوا، فجَلَستُ في المَنزِل الذِي كُنتُ فِيه وظَنَنتُ أنَّ القَوم سَيَفقِدُونِي فيَرجِعُون إليَّ، فغَلَبَتنِي عَينايَ فنِمتُ، وكان صَفوانُ قد عَرَّسَ مِن وراء الجَيش، فادَّلَجَ ـ هُما بِتَشدِيد الرَّاء والدَّال، أي: نَزَلَ مِن آخِر اللَّيل لِلاستِراحة ـ فسارَ مِنهُ، فأصبَحَ في مَنزِله، فرَأى سَوادَ إنسانٍ نائمٍ أي: شَخصَه، فعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي وكان يَرانِي قبلَ الحِجاب، فاستَيقَظتُ بِاستِرجاعِهِ حِين عَرَفَنِي أي: قَولِه إنَّا لله وإنَّا إلَيهِ راجِعُون، فخَمَّرتُ وجهِي بِجِلبابِي ـ أي: غَطَّيتُه بِالمُلاءة ـ، واللهِ ما كلَّمَنِي بِكَلِمة ولا سَمِعتُ مِنهُ كلِمةً غيرَ

حاشية الصاوي

وسببها: أنَّ رسول الله ﷺ بلغه أنَّ بني المصطَلق يجتمعون لحربه، وقائدُهُم الحارثُ بن ضرار أبو جُويرية زوجِ النبي ﷺ، فلمَّا سمع بذلك.. خرج إليهم حتى لَقيهم على ماءٍ من مياههم يقال له: المريسِيع، من ناحية قديد إلى الساحل، فاقتتلوا، فهزم الله بني المصطلق، وأمكن رسوله من أبنائهم ونسائهم وأموالهم، فأفاءها وردَّها عليهم.

قوله: (بعد ما أنزل الحجاب) أي: وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

قوله: (وآذَنَ) بالمدِّ والقصر؛ أي: أعلَم، قوله: (وقضيت شأني) أي: حاجتي كالبول مثلاً، قوله: (فإذا عقدي انقطع) أي: وكان من جزع أظفار، وهو الخرز اليماني، غالي القيمة، وكان أصله لأمِّها أعطَته لها حين تزوَّجها رسول الله ﷺ، وقيل: لأختها أسماء، وقوله: (ألتمسه) أي: أُفتِّش عليه، قوله: (فجلست في المنزل الذي كنت فيه) أي: وهذا من حسن عَقلها وجودة رأيها؛ فإنَّ من الآداب أن الإنسان إذا ضلَّ عن رفقته وعَلم أنهم يفتِّشون عليه.. أن يجلس في المكان الذي فقَدوه فيه، ولا ينتقل منه، فربَّما رَجعوا فلم يَجدوه، قوله: (فنمت) أي: وكانت كثيرة النوم؛ لحداثة سنِّها، قوله: (وكان صفوان قد عرَّس) أي: وكان صاحبَ ساقةِ رسول الله ﷺ؛ لِشجاعته، وكان إذا رحل الناس.. قام يُصلي ثم اتَّبعهم، فما سقط منهم شيءٌ.. إلَّا حمله حتى يأتيَ به أصحابه، قوله: (فسار منه) أي: فادَّلج ـ بالتشديد ـ: سار من آخر الليل، وأما أدلج: سار من أوَّله، قوله: (في منزله)

استرجاعِه حينَ أناخَ راحِلَتَه، ووَطِئَ على يَدِها فرَكِبتُها، فانطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حتَّى أتَينا الجيشَ بعد ما نَزَلُوا مُوغِرِين في نَحرِ الظَّهِيرة ـ أي: مِن أوغَرَ واقِفِينَ في مَكان وَغرٍ مِن شِدَّة الحَرِّ ـ فهَلَكَ مَن هَلَكَ فِيَّ، وكان الذي تَوَلَّى كِبرَه مِنهُم عبد الله بن أُبَيِّ بنِ سَلُول. اهـ قَولها، رَواه الشَّيخان. ....

حاشية الصاوي

أي: منزل الجيش الذي مَكثت فيه عائشة، قوله: (ووطئ على يدها) أي: الراحلة خوف أن تَقوم، قوله: (موغرين) أي: أتينا الجيش في وقت القيلولة، قوله: (فهلك من هلك) أي: تكلَّم بما كان سبباً في هلاكه، قوله: (فيَّ) أي: بسببي، قوله: (ابنُ أبيٍّ ابنُ سلول) نُسِبَ أوَّلاً لأبيه ثمَّ لأمِّه.

قوله: (انتهى قولها) هذا باعتبار ما اختصره، وإلا.. فحديثها له بقيَّةٌ كما في «البخاري»، وهي: (فقدمنا المدينة، فاشتكيت بها شهراً، وهم يُفيضون من قول أصحاب الإفك، ويَريبُني في وجعي أنِّي لا أرى من رسول الله ﷺ اللُّطفَ الذي كنتُ أرى منه حين أمرَض، إنما يدخل فيسلِّم ثمّ يقول: «كيف تيكُم؟»، لا أشعر بشيءٍ من ذلك حتى نَقِهْتُ ـ بفتح فكسر؛ أي: برئت من مرضي ـ فخرجت أنا وأمُّ مسطح قِبَلَ المناصع متبرَّزنا لا نخرج إلَّا ليلاً إلى ليلٍ، وذلك قبل أن تُتَّخذ الكُنُفُ قريباً من بُيوتنا، وأمْرُنَا أمرُ العرب الأُوَلِ في البرية أو في التَّنزُّه، فأقبلتُ أنا وأمُّ مسطحٍ بنتُ رُهمٍ نمشي، فعثرَتْ في مِرْطها ـ هو بكسر الميم: كساءٌ من صوف ـ فقالت: تَعَسَ مسطحٌ، فقلتُ لها: بئس ما قلتِ، أتسبِّين رجلاً شهد بدراً؟ فقالت: يا هنْتَاهْ ـ أي: قليلةَ المعرفة ـ ألم تسمعي ما قالوا؟ فأخبَرتني بقول أهل الإفك، فازددتُ مرضاً على مَرضي.

فلمَّا رجعت إلى بيتي.. دخل عليَّ رسول الله ﷺ فقال: «كيف تِيكم؟»، فقلتُ: ائذن لي إلى أبويَّ، قالت: وأنا حينئذٍ أريد أن أستَيقنَ الخبرَ من قِبَلِهما، فأذن لي رسول الله ﷺ، فأتيت أبوَيَّ، فقلت لأمي: ما يتحدَّث به الناس؟ فقالت: يا بُنيَّتي هوِّني على نفسك الشأن؛ فوالله قلَّما كانت امرأةٌ قط وضيئةٌ عند رجل يحبُّها ولها ضرائرُ إلا أكثَرن عليها، فقلت: سبحان الله، ولقد تحدَّث الناس بهذا؟! قالت: فبتُّ تلك الليلة حتى أصبحتُ لا يَرقأ لي دمعٌ، ولا أكتحل بنوم، ثمَّ أصبحتُ، فدعا رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحيُ يَستشيرهما في فِراق أهله، فأمَّا أسامة.. فأشار إليه بالذي يَعلم من نفسه بالودِّ لهم، فقال أسامة: هم أهلُك يا رسول الله، ولا نعلم والله إلا خيراً، وأمَّا علي بن أبي طالب.. فقال: لم يُضيِّق الله عليك، والنساء سواها كثيرٌ، واسأل الجارية تصدُقْكَ، فدعا رسول الله ﷺ بريرة، فقال: «يا بريرة؛ هل رأيتِ

. . . .

حاشية الصاوي

فيها شيئاً يَرِيبُكِ؟» فقالت بريرة: لا والذي بعَثك بالحق إن رأيتُ منها أمراً أغْمِصُه - هو بهمزة مفتوحة، فغين معجمة، فصاد مهملة؛ أي: أعيبه وأُنكره - أكثَر من أنها جاريةٌ حديثةُ السِّن تنام عن العجين، فتأتي الدَّاجنُ - هو بدال مهملة، ثمَّ جيم: ما يألف البيوت من الشاة والدجاج ونحو ذلك - فيأكله.

فقام رسول الله ﷺ من يَومه، فاستعذر من عبد الله بن أبيٍّ ابن سلول، فقال رسول الله ﷺ: **«مَنْ يَعْذِرُني من رجلٍ بلغ أذاه في أهلي؛ فوالله ما علمتُ في أهلي إلا خيراً، وقد ذكروا رجلاً ما علمتُ عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا مَعي؟»**، فقام سعد بن معاذ وقال: يا رسول الله؛ أنا والله أعْذِرُك منه، إن كان من الأوس.. ضرَبنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج.. أمرتَنا، ففعلنا أمرَك، فقام سعد بن عبادة وهو سيِّد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً، ولكن احتَملته الحميَّة، فقال: كذبتَ لعَمْرُ الله لا تَقتله ولا تقدر على ذلك، فقام أسيد بن حضير فقال: كذبتَ لعمر الله لَنَقتلنَّه؛ فإنك منافقٌ تجادلُ عن المنافقين، فثار الحيَّان الأوس والخزرج حتى همُّوا أن يَقتتلوا ورسول الله ﷺ على المنبر، فنزل فخفَّضهم حتى سكتُوا وسكت، وبكيت يومي لا يرقأ لي دمعٌ، ولا أكتحل بنومٍ، فأصبح عندي أبَواي وقد بكيت ليلتي ويوماً حتى أظنُّ أنَّ البكاء فالقٌ كبدي.

قالت: فبَينما هما جالسان عندي وأنا أبكي إذ استأذنت امرأةٌ من الأنصار، فأذنتُ لها، فجَلست تبكي معي، فبينما نحن كذلك إذ دخل رسول الله ﷺ فجلس ولم يَجلس عندي من يوم قيل لي ما قيل قبلها، وقد مكث شهراً لا يوحى إليه في شأني بشيءٍ، قالت: فتشهَّد ثمَّ قال: **«يا عائشة؛ إنه قد بَلغني عنك كذا وكذا؛ فإن كنت بريئةً.. فسيُبرئك الله، وإن كنت ألممتِ بذنبٍ.. فاستغفري الله وتُوبي إليه؛ فإنَّ العبد إذا اعترف بذنبه ثمَّ تاب.. تاب الله عليه»**، فلمَّا قضى رسول الله ﷺ مقالتَه.. قلص دمعي - أي: انقطع جريانه - حتى ما أُحِسُّ به بقطرةٍ، وقلتُ لأبي: أَجِبْ عنِّي رسول الله ﷺ فيما قال، قال: والله ما أدري ما أقول لِرسول الله ﷺ، فقلتُ لأمي: أجيبي عنِّي رسول الله ﷺ فيما قال، قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، قالت: وأنا جارية حديثة السِّنِّ، لا أقرأ كثيراً من القرآن، فقلتُ: إني والله لقد علمتُ أنَّكم سَمعتم ما تحدَّث به الناس، ووَقر في أنفسكم وصدَّقتم به، ولئن قلتُ لكم: إني بريئة - والله يعلم إني لبريئةٌ - لا تصدِّقوني بذلك، ولئن اعترفتُ لكم بأمرٍ

﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ ....

قال تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم﴾ أي: عليهِ ﴿مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾ في ذلك، ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ﴾ أي: تَحَمَّلَ مُعظَمَه فبَدَأَ بِالخَوضِ فِيه وأشاعَهُ وهو عبدُ الله بن أُبَيٍّ ﴿لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هو النَّارُ في الآخِرة.

حاشية الصاوي

ـ والله يعلم إني لبريئة ـ لتصدِّقُنِّي، والله لا أجدُ لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف إذ قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]، ثمّ تحوَّلتُ، فاضطجعتُ على فراشي وأنا أرجو أن يُبرِّئني الله، ولكن والله ما ظننْتُ أن ينزل في شأني وحيٌ، ولأنا أحقرُ في نفسي من أن يُتَكلَّمَ بالقرآن في أمري، ولكن كنت أرجُو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يُبرِّئني الله بها؛ فوالله؛ ما رام ـ أي: برح ـ مَجلسه ولا خرج أحدٌ من أهل البيت حتى أُنْزِلَ عليه الوحيُ، فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحَاءِ ـ أي: الشدة والكرب ـ حتى إنَّه لَيتحدَّر منه مثلُ الجُمَانِ ـ أي: اللؤلؤ ـ من العرَق في يوم شاتٍ، فلمَّا سُرِّيَ ـ أي: كُشف ـ عن رسول الله ﷺ وهو يضحك، فكان أوَّلَ كلمةٍ تكلَّم بها أن قال: «يا عائشة؛ احمدي الله، فقد برَّأكِ الله»، فقالت أمي: قومي إلى رسول الله ﷺ، فقلتُ: والله لا أقوم إليه ولا أحمَد إلا الله، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ...﴾ الآيات.

فلمَّا أنزل الله هذا في بَراءتي.. قال أبو بكر الصديق وكان يُنفق على مسطح بن أثاثة؛ لِقرابته منه: والله؛ لا أنفِق على مسطحٍ بشيءٍ أبداً بعد ما قال في عائشة، فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ...﴾ الآية إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فقال أبو بكر: بلى والله إني لأحبُّ أن يَغفر الله لي، فرجع إلى مسطح الذي كان يُجري عليه.

وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش عن أمري، فقال: «يا زينب؛ ما عَلمتِ مما رأيتِ؟»، فقالت: يا رسول الله، أحمي سمعي وبَصري، والله ما علمتُ عليها إلا خيراً، قالَت: وهي التي كانت تسامِيني، فعصَمها الله بالورع). انتهى[١].

قوله: (﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم﴾) أي: من العُصْبَةِ.

قوله: (﴿مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾) أي: جزاء ما اكتسب من الإثم في الدنيا، وهو لِغير عبد الله بن

---

(١) «صحيح البخاري» (٢٦٦١).

﴿لَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾﴾ ....

﴿١٢﴾ ﴿لَوْلَآ﴾: هلَّا ﴿إِذْ﴾: حين ﴿سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ﴾ أي: ظَنَّ بَعضُهم بِبَعضٍ ﴿خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾: كذِب بيِّن، ....

حاشية الصاوي

أبيٌّ؛ فإنهم قد حُدُّوا حدَّ القذف[1]، وعَمِيَ حسَّان، وشَلَّتْ يدُهُ في آخر عُمره، وعَمِيَ مسطحٌ أيضاً، أو في الدنيا والآخرة، وهو لابن أبيٍّ، فعذَّبه الله بخزي الدنيا، والخلود في النار.

قوله: (﴿لَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾) لما بيَّن سبحانه وتعالى حال الخائضين في الإفك وأنهم اكتسبوا الإثم.. شَرع في توبيخهم وزجرهم بتسعة زواجر: الأول هذا، الثاني: ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ...﴾ إلخ، الثالث: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ...﴾ إلخ، الرابع: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ...﴾ إلخ، الخامس: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ...﴾ إلخ، السادس: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ...﴾ إلخ، السابع: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ...﴾ إلخ، الثامن: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ...﴾ إلخ، التاسع: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ...﴾ إلى: ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

و(لولا) هنا: للتوبيخ[2]؛ لدخولها على الماضي؛ لأنَّ (لولا) لها ثلاثةُ أحوالٍ: إذا دخلت على ماضٍ.. كان معناها التوبيخ، وإذا أدخلت على مضارع.. كان معناها التحضيض، وإذا دخلت على جملة اسمية.. كانت امتناعية، وقد كُرِّرت هنا في ست مواضع[3]: الأول والثاني والرابع توبيخيَّة لا جواب لها، والثالث والخامس والسادس شرطيَّة، ذُكِرَ جوابها في الثالث والسادس، وحُذِفَ في الخامس، فتدبَّر.

و﴿إِذْ﴾: ظرف لـ﴿ظَنَّ﴾، والمعنى: كان ينبغي لكم بمجرَّد سماعِه أن تُحسنوا الظن في أمِّ المؤمنين، ولا تُصرُّوا على الأمر القبيح بعد سماعه.

قوله: (﴿بِأَنفُسِهِمْ﴾) أي: بأبناء جنسهم في الإيمان والصحبة.

---

(١) رواه أبو داوود (٤٤٧٤) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها.

(٢) يخالفه ما في «الدر المصون» (٨/ ٣٩٠)؛ فإنه قال: (لولا هذه: تحضيضية)، وعبارة الكرخي: (قوله: «لولا: هلا... إلخ» أشار به إلى أن «لولا» تحضيضية، وذلك كثير في اللغة إذا دخلت على الفعل، كقوله: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ﴾، وقوله: ﴿فَلَوْلَا كَانَ﴾، فأما إذا وَلِيها الاسم فليس كذلك، كقوله: ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾). «فتوحات» (٣/ ٢٢٩) بتصرف.

(٣) كذا في الأصول، والصواب: مخالفة المعدود.

لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ ....

فِيه التِفاتٌ عن الخِطاب أي: ظَنَنتُم أيُّها العُصبةُ وقُلتُم:

﴿١٣﴾ ﴿لَّوْلَا﴾: هَلَّا ﴿جَآءُو﴾ أي: العُصبةُ ﴿عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ شاهَدُوهُ، ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: في حُكمِه ﴿هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ فيه.

﴿١٤﴾ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ﴾ أيُّها العُصبةُ أي: خُضتُم ﴿فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخِرة.

﴿١٥﴾ ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي: يَروِيهِ بَعضُكُم عن بعضٍ، ـ وحُذِفَ مِن الفِعل إحدَى

حاشية الصاوي

قوله: (فيه التفات عن الخطاب) أي: إلى الغيبة؛ إذ كان مقتضى الظاهر: ظَنَنتم، وحكمته: التسجيل عليهم، والمبالغة في تَوبيخهم.

قوله: (﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ﴾) أي: الإفك، قوله: (شاهَدوه) أي: عايَنوا الزنا.

قوله: (في حكمه) أي: الشرعيِّ؛ لأنَّ مداره على الشهادة والأمر الظاهر، وهذا جوابٌ عمَّا يقال: إنهم كاذبون عند الله مطلقاً ولو أتَوا بشهداء، فأجاب: بأنهم كاذبون باعتبار حكم الشرع، ولا شكَّ أنهم لو أتوا ببيِّنة مُعتبرة. . لكان حكم الله أنهم صادقون في الظاهر، فأراد الله أن يكذِّبهم ظاهراً وباطناً.

قوله: (﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾) (لولا): امتناعية، وجوابها قوله: ﴿لَمَسَّكُمْ﴾، والمعنى: امتنع مسُّ العذاب لكم؛ لِوُجود فضل الله ورحمته عليكم.

قوله: (﴿فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾) أي: بِسَببه، و﴿مَآ﴾: اسم موصول، و﴿أَفَضْتُمْ﴾: صِلته، أو: مصدرية؛ أي: بسبب الذي أفَضتم فيه، أو بسبب إفاضتكم.

قوله: (﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾) أي: لغير ابن سلول؛ فإنَّ عذابه محتَّم.

قوله: (﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾) أي: تَتلفظون به باللسان فقط، دون اعتقاده بالقلب، فهم يعتقدون براءتها، وإنما تلفُّظهم بالإفك محضُ حَسدٍ وعنادٍ.

﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ ....

التَّائِين، و﴿إِذْ﴾ مَنصوبٌ بِـ(مَسَّكُم) أو بـ﴿أَفَضْتُمْ﴾ - ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا﴾ لا إثمَ فِيه، ﴿وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ في الإثم.

﴿١٦﴾ ﴿وَلَوْلَآ﴾: هَلَّا ﴿إِذْ﴾: حِين ﴿سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ﴾: ما يَنبَغي ﴿لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ﴾ هو لِلتَّعجِيب هُنا ﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ﴾: كَذِبٌ ﴿عَظِيمٌ﴾.

(﴿١٧﴾ - ﴿١٨﴾) ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ﴾: يَنهاكُم ﴿أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ تَتَّعِظُون بِذلك، ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ في الأمرِ والنَّهي، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِما يَأمُر بِه ويَنهَى عنهُ، ﴿حَكِيمٌ﴾ فِيه.

﴿١٩﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾ بِاللِّسانِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾) (لولا): توبيخيَّة، و﴿إِذْ﴾: ظرف لـ﴿قُلْتُم﴾، والمعنى: كان الواجب عليكم حين سمعتم هذا الأمر أن تقولوا: سبحانك، وفصل بالظرف بين (لولا) و(قلتم)؛ لأنه يغتفر في الظروف ما لا يُغتفر في غيرها.

قوله: (هو للتعجب هنا) أي: مع التنزيه، والمعنى: تنزيهاً لك من انتهاك حُرماتك؛ فإنه غير لائق بك ولا بأحبابك الذين قلتَ فيهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

قوله: (ينهاكم) أشار بذلك إلى أنه ضمَّن ﴿يَعِظُكُمُ﴾ معنى: ينهاكم، فعدَّاه بـ(عن).

قوله: (﴿أَبَدًا﴾) أي: مُدة حياتكم.

قوله: (﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾) شرطٌ حُذِفَ جوابه؛ لدلالة ما قبله عليه؛ أي: فلا تَعودوا لمثله.

قوله: (باللسان) أي: فالمراد بإشاعتها: إشاعة خبرها.

فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ ....

﴿فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بِنسبتِها إليهم وهُم العُصبةُ، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا﴾ بِحَدِّ القَذف ﴿وَٱلْأٓخِرَةِۚ﴾ بِالنَّارِ لِحَقِّ الله، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ انتِفاءَها عَنهُم، ﴿وَأَنتُمْ﴾ أيُّها العُصبةُ بِما قُلتُم مِن الإفكِ ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾ وُجُودَها فِيهِم.

﴿٢٠﴾ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أيُّها العُصبةُ ﴿وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ بِكُم لَعاجَلَكُم بِالعُقُوبة.

﴿٢١﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ﴾ أي: طُرُقَ تَزيِينه، ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ﴾ أي: المُتَّبَع ﴿يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ أي: القَبِيح ﴿وَٱلْمُنكَرِۚ﴾ شَرعاً بِاتِّباعِها، ......

حاشية الصاوي

قوله: (بنسبتها إليهم) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: خصوص عائشة وصفوان.

قوله: (وهم العصبة) تفسير لـ﴿ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ﴾.

قوله: (لحقِّ الله) أي: ذنب الإقدام، وهو محمولٌ على عبد الله بن أبيٍّ، وأمَّا غيره.. فقد تاب، وحسُنَت توبته.

قوله: (﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾) عطف على ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ﴾.

قوله: (لعاجلكم بالعقوبة) جواب (لولا)، وخبرُ المبتدأ محذوفٌ، والتقدير: موجودان.

قوله: (﴿خُطُوَٰتِ﴾) بضمِّ الطاء وسكونها، قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾) شرطٌ حُذِفَ جوابه، تقديره: فلا يُفلح أبداً، وقوله: (﴿فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ﴾... إلخ) تعليلٌ للجواب.

قوله: (أي: المتَّبع) هكذا بصيغة اسم المفعول، وهو الشيطان.

قوله: (باتباعها) متعلق بـ﴿يَأْمُرُ﴾.

(١) قرأ قنبل وابن عامر وحفص والكسائي بضم الطاء، والباقون بالسكون. انظر «السراج المنير» (٢/ ٦١٠).

وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ....

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم﴾ أيُّها العُصبة بما قُلتُم مِن الإفكِ ﴿مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ أي: ما صَلُحَ وطَهُرَ مِن هذا الذَّنب بالتَّوبة مِنهُ، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي﴾: يُطَهِّر ﴿مَن يَشَآءُ﴾ مِن الذَّنب بِقَبُولِ تَوبَته مِنه، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ بِما قُلتُم، ﴿عَلِيمٌ﴾ بِما قَصَدتُم.

﴿٢٢﴾ ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾: يَحلِفْ ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ﴾ أي: أصحابُ الغِنى ﴿مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن﴾ لا ﴿يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، نَزَلَت في أَبِي بَكر حَلَفَ أن لا يُنفِقَ على مِسطَح وهو ابنُ خالَته مِسكِين مُهاجِرٌ بَدرِيٌّ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾) هذا يُفيد أنهم تابوا وطهروا، وهو كذلك إلا عبد الله بن أبيٍّ؛ فإنه استمرَّ على النفاق حتى هلك كافراً.

قوله: (﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾) (لا): ناهية، والفعل مجزومٌ بحذف الياء.

قوله: (أي: أصحاب الغنى) في تفسير ﴿ٱلْفَضْلِ﴾ بـ(الغنى) نوعُ تكرارٍ مع قوله: ﴿وَٱلسَّعَةِ﴾، وحينئذٍ: فالمناسب تفسير الفضلِ بالعلم والدين والإحسان، وكفى به دليلاً على فضل الصِّدِّيق.

قوله: (﴿أَن﴾ لا ﴿يُؤْتُوٓا۟﴾) أشار المفسِّر إلى أنَّ الكلام على تقدير (لا) النافية.

قوله: (﴿أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾) أي: القرابة، وقوله: (﴿وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾) معطوفان على ﴿أُو۟لِى﴾، فهذه الأوصافُ الثلاثةُ لموصوفٍ واحدٍ، وهو مِسطح.

قوله: (حلف ألَّا ينفق على مسطح) أي: فبعد ذلك تاب، وجاء إلى أبي بكر واعتذر، وقال: إنما كنت أغشى مجلس حسان وأسمع ولا أقول، فقال له أبو بكر: لقد ضحكتَ وشاركت فيما قيل، وكفَّر عن يمينه[١].

(١) نقله ابن عطية في «المحرَّر الوجيز» (٤/ ١٧٣).

وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ....

لَمَّا خاضَ في الإفك بعدَ أن كان يُنفِقُ علَيهِ، وناسٍ مِن الصَّحابة أقسَمُوا أن لا يَتصدَّقُوا على مَن تَكلَّم بِشَيءٍ مِن الإفكِ، ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ۗ﴾ عَنهُم في ذلك، ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لِلمُؤمِنِين؟ قال أبُو بَكر: بَلى أنا أُحِبُّ أن يَغفِرَ الله لي، ورَجَعَ إلى مِسطَح ما كان يُنفِقُه علَيه.

﴿٢٣﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ﴾ بِالزِّنى ﴿ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾: العَفائِفَ ﴿ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾ عن الفَواحِش

حاشية الصاوي

لطيفة

وقع لابن المقري أنه وقع منه هَفوة، فقطع والده ما كان يُجريه له من النفقة، فكتب الولد لأبيه[1]: [السريع]

لا تَـقْـطَـعَـنْ عَـادةَ بِـرٍّ ولا	تَـجعَـلْ عِـقابَ الـمرءِ فـي رِزْقِـهِ
فـإنَّ أمـرَ الإفـكِ مِـن مِـسْـطَـحٍ	يَـحـطُّ قـدرَ الـنَّـجـمِ مـن أُفـقِـهِ
وقـد جـرَى مـنْـهُ الَّـذي قَـدْ جـرَى	وعُـوتِـبَ الـصِّـدِّيـقُ فـي حَـقِّـهِ

فكتب إليه والده:

قـدْ يُـمـنَـعُ الـمضـطـرُّ مـن مِـيـتـةٍ	إذا عـصَـى بِـالـسَّـيـرِ فـي طُـرْقِـهِ
لأنَّـــه يَـقـوى عـلـى تَـوبـةٍ	تُـوجِـبُ إيـصـالاً إلـى رِزقِـهِ
لـو لـم يَـتُـبْ مِـسـطـحُ مِـن ذَنـبِـهِ	مـا عُـوتِـبَ الـصِّـدِّيـقُ فـي حَـقِّـهِ

قوله: (لما خاض في الإفك) ظرفٌ لقوله: (حلف).

قوله: (﴿وَلْيَعْفُوا۟﴾) أي: أولو الفضل، قوله: (﴿وَلْيَصْفَحُوٓا۟ۗ﴾) أي: يُعرضوا عن لومهم.

قوله: (ورجع إلى مسطح ما كان ينفقه عليه) أي: وحلف ألَّا ينزع نَفقته منه أبداً، ومسطح هو: ابن أُثَاثَة بن عَبَّاد بن المطَّلِبِ بن عبد منافٍ، وقيل: اسمه عوف، ومِسطح لقبه.

قوله: (الغافلات عن الفواحش) أي: لسلامة صدورهنَّ، ونقاء قلوبهنَّ، واستغراقهنَّ في مشاهدة الله تعالى.

---

(١) انظر «السيرة الحلبية» (٢/٤٠٢).

ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ....

بِأن لا يَقَع في قُلوبِهنَّ فِعلُها، ﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ بِاللهِ ورَسُوله، ﴿لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿٢٤﴾ ﴿يَوْمَ﴾ ـ ناصِبُه الاستِقرارُ الذي تَعلَّقَ بِه (لَهُم) ـ ﴿تَشْهَدُ﴾ ـ بِالفَوقانيَّة والتَّحتانيَّة ـ ﴿عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ مِن قَول وفِعل، وهو يومُ القِيامة.

﴿٢٥﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ يُجازِيهِم جَزاءَهُ الواجِبَ علَيهِم، ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ حيثُ حَقَّقَ لَهُم جَزاءَهُ الذي كانُوا يَشُكُّون فِيه، ومِنهُم عَبد الله بن أُبَيٍّ،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾) أي: بَعدوا فيها عن الثناء الحسن على ألسِنة المؤمنين، وقوله: ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: بالعذاب إن لم يَتوبوا.

قوله: (ناصبه الاستقرار... إلخ) أي: والتقدير: وعذاب عظيم كائن لهم يَوم تشهد[1].

قوله: (بالفوقانيَّة والتحتانيَّة) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (﴿يَوْمَئِذٍ﴾) معمول لـ﴿يُوَفِّيهِمُ﴾، أو لـ(يَعلمون).

قوله: (جزاؤهم الواجب عليهم) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بـ(الدين) الجزاءُ؛ لما في الحديث: «كما تَدِينُ تُدَانُ»[3].

قوله: (﴿هُوَ ٱلْحَقُّ﴾) أي: الثابتُ الذي لا يقبل الزَّوال أزلاً ولا أبداً.

قوله: (ومنهم عبد الله بن أبيٍّ) أتى بهذا؛ ليصح قوله: (كانوا يشكون فيه)، فالشَّكُّ من بعضهم، وأمَّا حسان ومِسطح وحمنة.. فهم مؤمنون لا يتردَّدون في الجزاء.

---

(١) وقيل: ناصبه (عذاب)، وردَّ: بأنه مصدر موصوف، وأجيب: بأن الظرف يُتسع فيه ما لا يتسع في غيره، والنسفي قدَّر الناصب: يعذَّبون. انظر «الدر المصون» (٨/ ٣٩٥)، و«تفسير النسفي» (٢/ ٤٥٢).

(٢) قرأ الأخوان: (يشهد) بالياء من تحت؛ لأن التأنيث مجازي، وقد وَقع الفصل، والباقون بالتاء. انظر «الدر المصون» (٨/ ٣٩٥).

(٣) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (١٣٢) عن سيدنا أبي قلابة ﷺ.

﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ﴾ ....

والمُحصَناتُ هُنا أزواجُ النَّبيِّ ﷺ لَم يُذكَر في قَذفِهِنَّ تَوبة، ومَن ذُكِرَ في قَذفِهنَّ أوَّلَ سُورة (التَّوبة) غَيرُهنَّ.

(٢٦) ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ﴾ مِن النِّساء ومِن الكَلِمات ﴿لِلْخَبِيثِينَ﴾ مِن النَّاس، ﴿وَٱلْخَبِيثُونَ﴾ مِن النَّاس ﴿لِلْخَبِيثَٰتِ﴾ مِمَّا ذُكِرَ، ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ مِمَّا ذُكِر ﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾ مِن النَّاس، ﴿وَٱلطَّيِّبُونَ﴾ مِنهُم ﴿لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ مِمَّا ذُكِر، أي: اللَّائِقُ بِالخَبيثِ مِثلُه وبِالطَّيبِ مِثلُه، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الطَّيبُون والطَّيبات مِن النِّساء ـ ومِنهُم عائشةُ وصَفوانُ ـ ﴿مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ أي: الخَبيثُون

حاشية الصاوي

قوله: (أزواج النبي) أي: لأنَّ من قذف واحدةً منهنَّ.. فقد قذف الجميع؛ لاشتراكهنَّ في العفَّة والصِّيانة والنِّسبة لرسول الله ﷺ.

قوله: (لم يذكر في قذفهنَّ توبة) أي: مثل ما ذكر فيما تقدَّم في قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾.

قوله: (ومَنْ ذُكِرَ) مبتدأ، و(غيرُهنَّ): خبره، وهذا من باب التهويل والتعظيم لأمر الإفك، وإلا.. فهو كغيره من سائر المعاصي التي تُمحى بالتوبة، وأمَّا بعد نزول الآيات.. فقد صار قذفُ عائشة رضي الله عنها بصفوان كفراً؛ لمصادمة القرآن العظيم، فاعتقاد بَراءتها شرطٌ في صحة الإيمان.

قوله: (﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾) كلامٌ مستأنفٌ، سِيق لتأكيد البراءة لعائشة، وتقبيحاً على مَنْ تكلَّم فيها، والمعنى: أنَّ المجانسة من دواعي الانضمام؛ فالخبيث لا يكاد يألفُ غيرَ جنسِهِ، والطيِّبُ كذلك، وهو بمعنَى قولهم: كلُّ إناءٍ بالذي فيه ينضحُ[1].

قوله: (﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾) الإشارةُ بذلك لرسول الله ﷺ وعائشة؛ أي: فحيث كان رسول الله أطيبَ الطيِّبين.. تبيَّن بذلك أنَّ عائشة من أطيَب الطيِّبات.

قوله: (من الناس ومن الكلمات) هذان قولان في تفسير ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ﴾، وقوله: (ممَّا ذكر) أي: من الناس والكلمات.

قوله: (أي: اللائق بِالخبيث مثله) أي: مِن نساء أو كلمات.

(١) انظر «الأمثال» (ص١٨٦).

لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ ....

والخَبيثاتُ مِن الرِّجال والنِّساء فِيهِم، ﴿لَهُم﴾: لِلطيِّبين والطيِّباتِ ﴿مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنَّة، وقد افتخَرَت عائشةُ بِأشياءَ؛ مِنها أنَّها خُلِقَت طَيِّبةً ووُعِدَت مَغفِرةً ورِزقاً كريماً.

﴿٢٧﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ....

حاشية الصاوي

قوله: (وقد افتخرت عائشة بأشياء) منها: أنَّ جبريل عليه السلام أتى بصورتها في سَرَقَةِ حرير، وقال: «هذه زَوجتك»[١] - ويروى: أنه أتى بصورتها في راحته -، ومنها: أنَّ النبي ﷺ لم يتزوَّج بكراً غيرها، وقُبِضَ رسول الله ﷺ في حجرها، وفي يَومها، ودُفِنَ في بيتها، وكان ينزل الوحي عليه وهي معه في اللحاف، ونَزلت براءتها من السماء، وأنها ابنة الصِّدِّيق خليفةِ رسول الله ﷺ، وخُلقت طيِّبةً، ووُعِدَتْ مغفرةً ورزقاً كريماً[٢].

وفي «القرطبي»: (قال بعض أهل التحقيق: إنَّ يوسف عليه الصلاة والسلام لما رُمِيَ بالفاحشة.. برَّأه الله على لسان صبيٍّ في المهد، وإنَّ مريم لما رُميت بالفحشاء.. برَّأها الله على لسان ولدها عيسى عليهما السلام، وإنَّ عائشة لما رميت بالفحشاء.. برَّأها الله بالقول، فما رضي لها براءةَ صبيٍّ ولا نبيٍّ، حتى برَّأها الله بكلامه من القَذف والبهتان). انتهى[٣].

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾... إلخ) لما ذكر الله أحكامَ العفاف وكان من جملة العفاف عدمُ دخول منازل الغَير إلا بإذن أهلها.. ذكر الاستئذان عَقب ذلك.

وسبب نزولها: أنَّ امرأةً من الأنصار قالَت: يا رسول الله؛ إني أكون في بيتي على حالٍ لا أحبُّ أن يراني عليها أحدٌ، لا والِد ولا ولد، فيأتي الأب فيدخل عليَّ، وإنه لا يزال يَدخل عليَّ رجلٌ من أهلي وأنا على تلك الحالة، فنزَلت[٤].

قوله: (﴿غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾) أي: غيرَ محلِّ سكنِكُم، وحينئذٍ: فقد خرج مالك ذات الدار إذا دخل على مُكتريها، فيجب عليه الاستئذان؛ لأنه قد صدق عليه أنَّه غيرُ بَيته.

---

(١) كما في رواية البخاري (٣٨٩٥)، والسَّرَقَةُ: القطعة الجيدة.

(٢) رواه بتمامه أبو يعلى في «مسنده» (٤٦٢٦)، والآجري في «الشريعة» (١٩٠١).

(٣) «تفسير القرطبي» (١٢/ ٢١٢).

(٤) انظر «الدر المنثور» (٦/ ١٧١)، و«زاد المسير» (٣/ ٢٨٨).

﴿وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٢٧ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا ....﴾

﴿حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ﴾ أي: تستأذنوا ﴿وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ﴾ فيقولُ الواحِد: السَّلام عليكُم أأدخُلُ؟ كما ورَد في حَديث، ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ مِن الدُّخول بغَير استئذانٍ، ﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ ـ بإدغام التَّاء الثَّانية في الذَّال ـ خَيريَّته، فتَعملُون به.

﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا﴾ يَأذَن لَكُم .... ۝٢٨

حاشية الصاوي

قوله: (﴿حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ﴾) من الاستئناس، وهو: ضد الاستيحاش، سمِّي بذلك؛ لأنَّ المستأذن مستوحش، فإذا أُذِنَ له.. فقد زال الاستيحاش.

قوله: (فيقول الواحد: السلام عليكم، أأدخل؟) أشار بذلك إلى أنَّ السلام مقدَّم على الاستئذان، وهو قولُ الأكثر، والحقُّ: التفصيلُ؛ فإن وقع بصره على أحدٍ في البيت.. قدَّم السلام، وإلَّا.. قدَّم الاستئذانَ ثمَّ يسلِّم.

ويكون كلٌّ من السلام والاستئذان ثلاثَ مراتٍ، يفصل بين كلِّ مرَّتين بسكوتٍ يَسيرٍ: الأول إعلام، والثاني للتهيؤ، والثالث استئذان في الدخول أو الرُّجوع.

وإذا أتى الباب.. لم يَستقبله من تلقاء وجهه، بل يجيء من جهة ركنه الأيمن أو الأيسر، وإذا طلب منه التعيين.. فليعيِّن نفسَهُ بصفةٍ تميِّزه، ولا يكتفي بقوله: (أنا) مثلاً؛ لما روي عن جابر بن عبد الله قال: (استأذنت على النبي ﷺ، فقال: «مَن هذا»؟ فقلتُ: أنا، فقال النبي ﷺ: «أنا أنا»، كأنه كَره ذلك)[1]؛ لعدم إفادته، فالواجب أن يَفعل الشخص كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أراد الدخول على النبي ﷺ وهو في مشربةٍ، فقال: (السلام عليك يا رسول الله، السلام عليكم، أيدخل عمر؟)[2].

قوله: (من الدخول بغير استئذان) أي: ومن تحيَّة الجاهلية؛ حيثُ كان الرجل منهم إذا أراد أن يدخل بيتاً غيرَ بيته يقول: حيِّيتكم صباحاً، حيِّيتكم مساءً، فربَّما أصاب الرجلَ مع امرأتِه في لحافٍ.

قوله: (بإدغام التاء في الذال) أي: بعد قلبها دالاً فذالاً.

قوله: (﴿أَحَدٗا﴾ يأذن لكم) السَّالبة تصدق بنفي الموضوع، فهو صادقٌ بألَّا يكون فيها أحدٌ أصلاً، أو فيها من لا يَصلح للإذن، أو فيها من يَصلح لكن لم يأذن.

---

(١) رواه البخاري (٦٢٥٠)، ومسلم (٢١٥٥).

(٢) رواه أبو داوود (٥٢٠١)، والنسائي في «الكبرى» (١٠١٥٣).

فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ ....

﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ﴾ بعدَ الاستئذان: ﴿ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ﴾ أي: الرُّجُوع ﴿أَزْكَىٰ﴾ أي: خيرٌ ﴿لَكُمْ﴾ مِن القُعُود على البابِ، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ مِن الدُّخول بإذنٍ وغيرِ إذنٍ ﴿عَلِيمٌ﴾ فيُجازِيكُم عليه.

﴿٢٩﴾ ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ﴾ أي: مَنفعةٌ ﴿لَّكُمْ﴾ باستِكنانٍ وغيرِه، كبُيُوتِ الرُّبُط والخاناتِ المُسَبَّلة، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾: تُظهِرُون ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾: تُخفُونَ في دُخولِ غيرِ بُيُوتِكُم مِن قَصدِ صَلاحٍ أو غَيرِه. وسيأتِي أنَّهُم إذا دَخلُوا بُيُوتَهم يُسَلِّمُون على أنفُسِهم.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾) أي: حتى يَأتيكم الإذن ولو مع خادم يوثق به.

قوله: (﴿هُوَ أَزْكَىٰ﴾) أي: أطهر؛ للأمنِ من الرذائل والدَّناءات.

قوله: (﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾) هذا كالاستثناء من قوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾، وسبب نزولها: أنَّ أبا بكر رضي الله عنه لما نزَلت آية الاستئذان.. قال: (يا رسول الله؛ كيف بِالبيوت التي بين مكة والشام على ظَهر الطريق والخانات، أفلا نَدخلها إلا بإذن؟) فنزَلت[1].

قوله: (﴿غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾) أي: غيرَ مُعدَّةٍ لسكن طائفة مخصوصة؛ كالرُّبُطِ والخانات والحمَّامات والحوانِيت ونحوها.

قوله: (باستكنان) أي: طلبِ كِنٍّ يَستتر فيه من الحرِّ والبرد، وقوله: (وغيره) كالبيع والشراء.

قوله: (المسبَّلة) اقتصر عليها؛ لأنَّ مَورد سؤال أبي بكر في الخانات المسبَّلة التي بين مكة والشام.

قوله: (وسيأتي) أي: في آخرِ السورة بقوله: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: (قولوا: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين؛ فإنَّ الملائكة تَردُّ عليكم»[2] أي: وإن كان بها أهل.. فسلِّموا عليهم).

---

(١) انظر «الدر المنثور» (٦/ ١٧٦)، و«زاد المسير» (٣/ ٢٨٨).

(٢) رواه مَعمر بن راشد في «جامعه» (١٩٤٥١)، والبغوي في «شرح السنة» (١٢/ ٢٨٤) من كلام مجاهد وقتادة.

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٣٠﴾ ....

(٣٠) ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ عمَّا لا يَحِلُّ لَهُم نَظَرُه، ـ و﴿مِنْ﴾ زائدةٌ ـ ﴿وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ﴾ عمَّا لا يَحِلُّ لَهُم فِعلُه بِها، ﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ﴾ أي: خَيرٌ ﴿لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ بِالأبصارِ والفُرُوج فيُجازِيهِم علَيهِ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾... إلخ) شروعٌ في ذكر أحكامٍ تَعمُّ المستأذنين وغيرَهُم.

قوله: (﴿يَغُضُّواْ﴾) أي: يَخفضوا.

قوله: (و﴿مِنْ﴾: زائدة[1]) أي: يَغضُّوا أبصارهم. وحكمةُ دخول «مِن» في غضِّ البصر دون حفظ الفرج: الإشارةُ إلى أنَّ أمر النَّظر أوسعُ من أمر الفَرج.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ﴾) أي: لأنه أبعد للرِّيبة، ولا مفهوم للبصر والفرج، بل باقي الجوارح كذلك، وخصَّ البصر والفرج بالذكر؛ لأنهما مُقدِّماتٌ لغيرهما من الجوارح.

قوله: (فيُجازيهم عليه) أي: فالغاضُّ يُجازى بالحسنات، وغيره يجازى بالسيئات.

قوله: (﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ﴾) هذا أمرٌ من الله سبحانه وتعالى للمؤمنات بغضِّ الأبصار وحفظِ الفروج، وبَسط الكلام في شأنهنَّ؛ لأنَّ النساء شأنهنَّ التَّبرُّجُ والخيلاءُ والعجبُ؛ لما روي: (إذا أقبَلت المرأة.. جلس إبليس على رأسها، فزيَّنها لمن ينظر، وإذا أدبَرت.. جلس على عَجيزتها فزيَّنها لمن يَنظر)[2].

وقد اشتملت هذه الآية على خمسة وعشرين ضميراً للإناث، ما بين مَرفوع ومجرور، ولم يوجد لها نظيرٌ في القرآن في هذا الشأن.

قوله: (عمَّا لا يحل لهنَّ فعله بها) أي: عن الأمر الذي لا يَحل فعله بالفروج؛ كأن تمكِّن المرأة من فرجها غيرَ زوجها نظراً أو فعلاً.

---

(١) وهو قول الأخفش، ومنعه سيبويه، وقيل: للتبعيض؛ لأنه يعفى عن الناظر أول نظرة تقع من غير قَصد، وقيل: لبيان الجنس، قاله أبو البقاء، وفيه نظر؛ من حيث إنه لم يتقدم مُبهم يكون مفسراً بـ(من)، وقيل: إنها لابتداء الغاية، قاله ابن عطيَّة. انظر «الدر المصون» (٨/ ٣٩٧).

(٢) أورده القرطبي في «تفسيره» (١٢/ ٢٧٧) من كلام مجاهد.

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ ....

(٣١) ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾ عمَّا لا يَحِلُّ لَهُنَّ نَظَرُه، ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ عمَّا لا يَحِلُّ لَهُنَّ فِعله بِها، ﴿وَلَا يُبْدِينَ﴾: يُظهِرْنَ ﴿زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ وهو الوَجه والكَفَّانِ، فيَجُوز نَظَرُه لِأجنبِيٍّ إن لَم يَخَف فِتنةً في أحَد وجهَين، والثَّاني يَحرُم لِأنَّه مَظِنَّة الفِتنة، ورُجِّحَ حَسماً لِلبابِ، ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ أي: يَستُرنَ الرُّؤوسَ والأعناقَ والصُّدُور بِالمَقانِعِ، ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ الخفيَّة وهي ما عَدا الوَجهَ والكَفَّينِ ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾: جَمع بَعْل أي: زَوج، ﴿أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (﴿زِينَتَهُنَّ﴾) أي: موضعَ زينتِهِنَّ.

قوله: (فيجوز نظره لأجنبي... إلخ) هذا مذهب مالك، وأحد قولَين عند الشافعي[1].

قوله: (حسماً للباب) أي: سدًّا للذريعة.

قوله: (﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ﴾) أي: يُلقين خمرهنَّ على موضع جيوبهنَّ، وهو العُنق، والجيب في الأصل: طَوق القميص، وكانت النساء على عادة الجاهلية يسدلْنَ خُمرهنَّ من خلفهنَّ، فتبدو نحورُهنَّ وقلائدُهنَّ من جيوبهنَّ؛ لِسَعتها، فأُمِرْنَ بإرسال خمرهنَّ على جيوبهنَّ؛ ستراً لما يبدُو منها.

قوله: (﴿زِينَتَهُنَّ﴾) أي: مواضع زينتهنَّ.

قوله: (﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾) حاصل هذه المستثنيات اثنا عشر نوعاً، آخرها: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ﴾.

قوله: (﴿أَوْ ءَابَآئِهِنَّ﴾) أي: وإن عَلَوْا، قوله: (﴿أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ﴾) أي: ولو من الرضاع، وإن سفلُوا، قوله: (﴿أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ﴾) جمع أخٍ، كان من نسب أو رضاع.

قوله: (﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾) أي: نساء جنسهنَّ اللاتي اشتركن معهنَّ في الإيمان، فيخرج الكافرات.

---

(١) انظر «حاشية الدسوقي على الشرح الكبير» (١/ ٢١٤)، و«تحفة المحتاج» (٢/ ١١٢).

أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ....

فيَجُوز لَهُم نَظَره، إلَّا ما بين السُّرَّة والرُّكبة فيَحرُم نَظَره لِغَيرِ الأزواجِ، وخَرَجَ بِنِسائِهِنَّ الكافِراتُ، فلا يَجُوز لِلمُسلِماتِ التَّكَشُّفُ لَهُنَّ، وشَمَلَ ﴿مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ﴾ العَبِيدَ، ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ﴾ في فُضُول الطَّعام ﴿غَيۡرِ﴾ - بِالجَرِّ صِفة، والنَّصبِ استِثناء - ﴿أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ﴾: أصحابِ الحاجةِ إلى النِّساء ﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ بِأن لَم يَنتَشِر ذَكَرُ كُلٍّ، ﴿أَوِ ٱلطِّفۡلِ﴾ بِمَعنى

حاشية الصاوي

قوله: (فيجوز لهم نَظره) أي: يجوز للرجال المحارم رؤيةُ ما عدا ما بين السرة والركبة من محارمهم النساء، ويجوز لهنَّ نظر ذلك منهم، وهذا مَذهب الشافعي، وعند مالك: لا يحل للرجال المحارم إلَّا نظر الوجه والأطراف من النساء المحارم، وأما النساء.. فيحلُّ لهنَّ نظرُ ما عدا ما بين السرة والركبة من الرجال المحارم[1].

قوله: (فلا يجوز للمسلمات التَّكشُّف لهنَّ) أي: باتفاق مالك والشافعي؛ لئلا تَصفها الكافرة لأهل دينها، فتَحصل المفاسد[2].

قوله: (العبيد) أي: فيَجوز أن يكشفنَ لهم ما عدا ما بين السرة والركبة، لكن بشرط العفَّة وعدم الشهوة من الجانبين، وهذا مذهب الشافعي، وعند مالك: يفرَّق بين الوَغد وغيره؛ فالوغد يرى من سيِّدته الوجه والأطراف، وغيره كالحرِّ الأجنبيِّ يرى منها الوَجه والكفين[3].

قوله: (﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ﴾) الحقُّ: أن المراد بالتابع: الشيخ الهَرِم الذي لا يشتهي النساء، أو الأبله الذي لا يعرف الأرض من السماء، ولا الرجل من المرأة[4].

قوله: (﴿غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ﴾) بالكسر: الحاجة.

قوله: (﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾) حال من ﴿ٱلتَّٰبِعِينَ﴾ أي: فيجوز لمن ذُكِرَ نظرُ ما عدَا ما بين السرة والركبة عند الشافعي، وعند مالك: يحلُّ نظر الوجه والأطراف فقَط[5].

---

(١) انظر «الشرح الكبير للدردير» (١/ ٢١٥)، و«تحفة المحتاج» (٢/ ١١٢).

(٢) انظر «الشرح الكبير للدردير» (١/ ٢١٣)، و«تحفة المحتاج» (٧/ ٢٠٠).

(٣) انظر «تحفة المحتاج» (٧/ ١٩٦)، و«الشرح الكبير للدردير» (٢/ ٢٦٣)، والمراد بالوغد: قبيح المنظر.

(٤) وقيل: هو العنِّين، أو الخصيُّ، أو المخنَّث.

(٥) انظر «تحفة المحتاج» (٧/ ١٩٦)، و«بلغة السالك لأقرب المسالك» (١/ ٢٩٠).

﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ ....

الأطفالِ ﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟﴾: يَطَّلِعُوا ﴿عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ لِلجماعِ، فيَجُوز أن يُبدِينَ لَهُم ما عدَا ما بينَ السُّرَّة والرُّكبةِ، ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ مِن خَلخالٍ يتَقَعقَع، ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ مِمَّا وقَعَ لَكُم مِن النَّظَر المَمنُوعِ مِنهُ ومِن غَيرِه، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تَنجُونَ مِن ذلك بِقَبُولِ التَّوبة مِنهُ. وفي الآية تَغلِيبُ الذُّكور على الإناثِ.

﴿٣٢﴾ ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾: جَمع (أيِّم) وهي مَن ليسَ لَها زَوجٌ، بِكراً كانَت أو ثَيِّباً، ومَن ليس لَهُ زَوجٌ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾) اعلم: أنَّ الصبي إمَّا ألَّا يبلغَ أن يحكي ما رأى، وهذا غيبتُه كحضوره، أو أن يَبلغه وليس فيه ثوران شهوة، وهذا كالمحرم، أو يعرف أمر الجماع والشهوة، وهذا كالبالِغ باتفاق مالك والشافعي.

قوله: (﴿لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾) أي: فإنَّ ذلك يُورث الرجال ميلاً إليهنَّ، وهذا من باب سدِّ الباب وتعليم الأحوط، وإلا.. فصوت الخلخال مثلاً ليس بعَورة.

قوله: (﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾) هذا حسنُ اختتامٍ لهذه الآية، كأنَّ الله يقول: لا تَقنطوا من رحمتي؛ فمن كان قد وقع منه شيءٌ ممَّا نهيته منه.. فليَتب؛ فإنَّ التوبة فيها الفلاحُ والظَّفرُ بالمقصود.

قوله: (تغليب الذكور) أي: في قوله: ﴿وَتُوبُوٓا۟﴾... إلخ.

قوله: (﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾... إلخ) الخطاب لِلأولياء والسَّادات، والإنكاح: تزويج الغير.

قوله: (جمع أيمٍ) أي: بوزن (فَيعِل)؛ قيل: غير مقلوب[1]، وقيل: إنَّ الأصل: (أيائم)، فقُلِبَ.

قوله: (وهي من ليس لها زوج... إلخ) أي: فلفظ (الأيِّم) يطلق على كلٍّ من الرجل والمرأة الغير المتزوجين؛ سَواء سبق لهما تزوُّجٌ أو لا.

(١) أي: (أيامى) جمع على (فعالى)، غير مقلوب، وهو الأظهر من كلام سيبويه. «فتوحات» (٣/ ٢٣٥).

وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ ....

وهذا في الأحرارِ والحَرائِر، ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: المُؤمِنين ﴿مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْۚ﴾، و(عِبادٌ) مِن جُمُوعِ (عَبد)، ﴿إِن يَكُونُواْ﴾ أي: الأحرارُ ﴿فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ﴾ بِالتَّزوُّجِ ﴿مِن فَضْلِهِۦۗ﴾ ......

حاشية الصاوي

والأمر للوجوب إن خِيف الزنا على المرأة أو الرجل، أو اضطُرت المرأة للنفقة، لكن المرأة يزوِّجها وليُّها، والرجل يتزوَّج بنفسه إن كان رشيداً، أو أذن له وليُّه، وهذا مَذهب مالك والشافعي، وعند أبي حنيفة: تزوِّج المرأة نفسها[1]؛ فإن لم يَخف الزنا، أو لم تضطر المرأة.. كان مباحاً عند الشافعي، ومندوباً عند مالك وأبي حنيفة[2].

واعلَم: أنَّ النكاح تَعتريه الأحكامُ الأربعةُ: فتارةً يجب؛ وذلك إن خاف الزنا ولو كان يُنفق عليها من حرام، وتارةً ينْدب إذا كان راغباً فيه ولم يخشَ الزنا، أو راجياً النسل، وتارةً يحرم؛ كما إذا كان يقطعه عن عبادة واجبة، أو يُنفق عليها من حرام مع كونه لم يخش الزنا، وتارةً يكره؛ كما إذا كان يَقطعه عن عبادةٍ مندوبةٍ.

قوله: (هذا في الأحرار... إلخ) أي: بقرينة قوله: ﴿وَإِمَآئِكُمْۚ﴾.

قوله: (أي: المؤمنين) أي: فالعبيد المؤمنون يُزوَّجون وجوباً إن خيف بتركه الزنا، وهذا عند الشافعي[3]، وعند مالك: لا يجب على السيد تَزويج عبده ولو خاف العبد الزنا، وحينئذٍ: فالأمر عنده للندب.

قوله: (﴿مِنْ عِبَادِكُمْ﴾) أي: فيزوِّجه سيِّده ولو بحرَّةٍ، وقوله: ﴿وَإِمَآئِكُمْۚ﴾ أي: فيزوِّج السَّيد أمته لرقيق، وكذا الحرِّ، بشرط ألَّا يجد للحرائر طَوْلاً، وأن يخشى الزنا، ومحل الشرطين: إن لم يكن عقيماً.

قوله: (من جموع «عبد») أي: وله جموع أُخَر كـ: عَبِيد وأعابِد وأعبُد، ونحو ذلك.

قوله: (﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ﴾) أي: فإنَّ في فضل الله كفايةً عن المال؛ لقوله عليه

---

(١) انظر «المدونة» (٢/ ١١٧)، و«الأم» (٥/ ١٣)، و«حاشية ابن عابدين» (٣/ ٥٦).

(٢) انظر «تحفة المحتاج» (٧/ ١٨٤)، و«الشرح الكبير للدردير» (٢/ ٢١٥)، و«حاشية ابن عابدين» (٣/ ٦).

(٣) انظر «النجم الوهاج» (٧/ ١٤٧).

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٣٢ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ....﴾

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ لِخَلقِه ﴿عَلِيمٌ﴾ بِهِم.

٣٣ ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ أي: ما يَنكِحُونَ بِه مِن مَهر ونَفَقةٍ عن الزِّنى، ﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾: يُوَسِّعَ عليهِم ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ فيَنكِحُون، ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ بِمَعنى المُكاتَبة ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ مِن العَبِيد والإماءِ ....

حاشية الصاوي

الصلاة والسلام: «اطلُبوا الغنى بالتزوج»[1]؛ فالمهمُّ تزوُّج الصالحين من عباد الله نساءً ورجالاً وإن كانوا فقراء؛ لما في الحديث: «تُنكح المرأة لمالها وجمالها ودينها، فعليك بذات الدِّين، تربت يداك»[2].

قوله: (﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾) أي: ذُو العطايا العظيمة التي لا تنفد.

قوله: (﴿عَلِيمٌ﴾ بهم) أي: بحالهم، فيُغنيهم.

قوله: (﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾) أي: ليَجتهدوا في طلب العفَّة وتحصيل أسبابها، وذلك يكون بالتباعد عن الغلمان والنساء، ويكون بملازمة الصوم والرياضة؛ لما في الحديث: «مَن استطاع منكم الباءة.. فليتزوَّج، ومَن لم يستطع.. فعليه بالصوم؛ فإنه له وِجَاءٌ»[3]، ويكون بترك العقاقير التي تُقوِّي الشهوة واستعمال ضدِّها.

قوله: (أي: ما ينكحون به) أي: فالمصدر بمعنى اسم المفعول كـ: (كِتاب) بمعنى: (مكتوب).

قوله: (عن الزنا) قدَّره؛ إشارةً إلى أنَّ متعلّق (يَستعفِف) محذوفٌ.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ﴾) اسم موصول مبتدأ، و﴿يَبْتَغُونَ﴾: صلته، و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: مفعول ﴿يَبْتَغُونَ﴾، وقوله: ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ حال من فاعل ﴿يَبْتَغُونَ﴾، وقوله: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ الجملة خبر، وقُرِنَ بالفاء؛ لما في المبتدأ من معنى الشرط.

قوله: (بمعنى: المكاتبة) أي: وهي مُفاعلة؛ لأنَّ السَّيِّد كتب على نفسه العتق، والعبد كتب على نفسه النجوم.

---

(١) رواه بنحوه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٧/ ٩٥) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ....

﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ أي: أمانةً وقُدْرةً على الكَسب لِأداءِ مالِ الكِتابة، وصِيغَتُها مَثَلاً: كاتَبْتُك على ألفينِ في شَهرَينِ كُلَّ شَهر ألفٌ، فإذا أدَّيتَها فأنتَ حُرٌّ، فيَقُولُ: قَبِلتُ. ﴿وَءَاتُوهُم﴾ ـ أمر لِلسَّادة ـ ﴿مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ ما يَستَعِينُون بِه في أداءِ ما التَزَمُوهُ لَكُم، وفي مَعنى الإيتاء حَطُّ شَيءٍ مِمَّا التَزَمُوه، ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ﴾ أي: إماءَكُم ﴿عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ أي: الزِّنى ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾: تَعَفُّفاً عنهُ، وهذه الإرادةُ مَحَلُّ الإكراهِ، فلا مَفهُومَ لِلشَّرطِ، ﴿لِّتَبْتَغُوا۟﴾ بِالإكراهِ ﴿عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ نَزَلَت في عَبد الله بن أُبَيٍّ كان يُكرِهُ جَوارِيَ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾) الأمرُ للندب، قوله: (أي: أمانةً) أي: في دِينه.

قوله: (وقدرةً على الكسب) أي: بحرفةٍ وغيرِهَا.

قوله: (﴿وَءَاتُوهُم﴾) الأمر قيل: لِلندب، وقيل: للوجوب.

قوله: (حطُّ شيءٍ) أي: وهو أفضل من الإعطاء؛ لأنه قد يَصرفه في غير جهة الكتابة، والأفضل أن يكون ذلك الحطُّ في آخر نَجمٍ.

قوله: (﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ﴾) جمع فتاة، ولا مفهوم للإكراه، بل الرضا بالزنا من الكبائر، وإنما عبَّر به؛ لأنه سبب النزول.

قوله: (﴿عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾) هو مصدر: بغَت المرأة تبغي بِغاءً؛ أي: زنَت، وهو مختصٌّ بزنا النساء.

قوله: (﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾) لا مفهوم له، بل يَحرم الإكراه على الزنا وإن لم يُرِدن التحصُّن، وإنما نصَّ على ذلك؛ لأنه الواقع من عبد الله بن أبيٍّ الذي نزَلت في حقِّه الآية[1].

قوله: (محل الإكراه) أي: فلا يَتحقق الإكراه إلا عند تلك الإرادة، وأمَّا عند مَيلهنَّ له.. فذلك باختيارهنَّ؛ فلا يتصوَّر الإكراه حينئذٍ، فالتقييدُ لأجل صِحة قوله: ﴿تُكْرِهُوا۟﴾.

قوله: (كان يُكْرِهُ جواريَهُ) أي: وكنَّ ستًّا، فشكى ثنتان منهنَّ للنبي ﷺ، فنزَلت الآية.

---

(١) روى مسلم (٣٠٢٩) عن سيدنا جابر ﷺ قال: (كان عبد الله بن أبي ابن سلول يقول لجارية له: اذهبي فابغينا شيئاً، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ...﴾ الآية).

وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ....

لَهُ على الكَسب بِالزنى، ﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ﴾ لَهُنَّ ﴿رَّحِيمٌ﴾ بِهِنَّ.

﴿٣٤﴾ ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ ـ بِفَتحِ الياء وكَسرِها في هَذه السُّورةِ ـ، بَيَّنَ فِيها ما ذُكِر، أو بَيِّنَةً، ﴿وَمَثَلًا﴾: خَبراً عَجِيباً وهو خَبرُ عائشةَ، ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي: مِن جِنسِ أمثالِهم أي: أخبارِهم العَجِيبَةِ، كخَبرِ يُوسفَ ومَريَم، ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ في قَوله تَعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾، ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ... إلخ﴾، ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم... إلخ﴾، ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟... إلخ﴾، وتَخصِيصُها بِالمُتَّقِين لِأَنَّهم المُنتَفِعُون بها.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿غَفُورٌ﴾ لهنَّ) أي: ما وقع منهنَّ؛ لأنَّ المكرَهَ وإن لم يكن آثماً.. فلرُبما يحصل منه بعضُ مَيلٍ. والإكراه المبيح للزنا هو: خوف القتل، أو الضرب المؤدِّي له أو لِتلف عضوٍ، وأمَّا القتل.. فلا يباح بخوف القتل، بل يسلِّم نفسه ولا يَقتل غيره، وأمَّا ترك الصلاة مثلاً.. فالإكراه عليه يحصل بالضرب ونحوِه.

قوله: (بفتح الياء وكسرها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (بَيَّنَ فيها ما ذُكِرَ) راجع للفتح، وقوله: (أو بيِّنة[2]) راجع للكسر.

قوله: (﴿وَمَثَلًا﴾) عطف على ﴿ءَايَٰتٍ﴾.

قوله: (أي: من جنس أمثالهم) أشار بذلك إلى أنَّ في الآية حذفَ مضافين، والأصل: ومثلاً من جنس أمثال الذين خلَوا.

---

(١) قرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي بكسر الياء التحتية، والباقون بفتحها. انظر «السراج المنير» (٢/ ٦٢٢).

(٢) في (أ): (أو متبيِّنة)، وهي راجعة للكسر أيضاً؛ أي: تَبيَّن ما في هذه السورة من الأحكام، فهو على النسخة الأولى من اللازم، وعلى الثانية من المتعدي. انظر «الفتوحات» (٣/ ٢٣٧).

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ....

(٣٥) ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أي: مُنَوِّرُهما بِالشَّمسِ والقَمر، ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ أي: صِفَتُه في قَلب المُؤمِن ﴿كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ﴾ هي القِنديل، والمِصباحُ:

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾... إلخ) اعلَم: أنَّ حقيقة النور كيفيَّةٌ تدركها الباصرةُ أولاً، وتدرك بواسطتها سائر المبصَرَات كالكيفيَّة الفائضة من النيِّرين على الأجرام الكثيفة المحاذية لها، وهو بهذا المعنى مستحيلٌ إطلاقُهُ على الله تعالى، وحينئذٍ: فيُجاب عن الآية: بأنَّ معنى كونه نور السماوات والأرض: خالقُ النور في السماوات بالشمس والقمر والنجوم والكواكب والعرش والملائكة، وفي الأرض بالمصابيح والسُّرج والشُّموع والأنبياء والعلماء والصالحين، وأفاد هذا المفسِّر بقوله: (أي: منوِّرهما).

وقيل: معنى ﴿نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾: مُظْهِرهما؛ لأنَّ النور كما يُطلق على الكيفيَّة يطلق على الظاهر في نفسه، المظهِر لغيره، وهو بهذا المعنى يصحُّ إطلاقه على الله تعالى، فهو سُبحانه وتعالى نورٌ بمعنى: مظهرٌ للأشياء من العدم إلى الوجود، قال ابن عطاء الله في «الحكم»: (الكون كلُّه ظلمةٌ، أناره ظهور الحقِّ فيه)[1] فوجودُ العالم بِوُجودِ الله؛ إذ لولا وجودُ الله.. ما وُجِدَ شيءٌ من العالم.

قوله: (﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾) مبتدأ، وقوله: (﴿كَمِشۡكَوٰةٖ﴾) خبره، والمثل بمعنى: الصفة، والكلام على حذف مضاف؛ أي: كمَثَل مشكاة.

قوله: (أي: صفته في قلب المؤمن) أشار بذلك إلى أنَّ في الكلام شبهَ استخدام؛ حيث ذكر النور أوَّلاً بمعنىً، ثمَّ ذكره ثانياً بمعنىً آخر، فتحصَّل أنه فسَّر النور أوَّلاً بالحسِّي، وثانياً بالمعنويِّ.

قوله: (﴿كَمِشۡكَوٰةٖ﴾) اختُلف في هذه اللفظة؛ قيل: عربية، وقيل: حبشيَّة معرَّبة.

قوله: (﴿فِي زُجَاجَةٍۖ﴾) واحدة الزجاج، وفيه ثلاثُ لغاتٍ: الضَّمُّ وبه قرأ العامَّة، والفتح، والكسر، وبهما قرئ شذوذاً[2].

قوله: (هي القنديل) بكسر القاف، قوله: (الموقودة) صوابه: الموقَدَة.

---

(١) انظر «الحكم العطائية» بشرح العلامة الشرنوبي (ص٢٧).

(٢) انظر «المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات» (٢/ ١٠٩).

ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ....

السِّراج، أي: الفَتيلة المَوقُودة، والمِشكاةُ: الطَّاقة غيرُ النَّافِذة أي: الأُنبوبةُ في القِنديل، ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا﴾ والنُّورُ فِيها ﴿كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ أي: مُضِيء، ـ بِكَسرِ الدَّال وضَمِّها مِن الدَّرء بِمَعنى الدَّفع لِدَفعِهِ الظَّلام، وبِضَمِّها وتَشدِيدِ الياء مَنسُوب إلى الدُّرِّ: اللُّؤلُؤ ـ ﴿تَوَقَّدَ﴾ المِصباحُ ـ بِالماضِي، وفي قراءة بمضارع (أوقد) مَبنيًّا لِلمَفعولِ بِالتَّحتانِيَّة، وفي أُخرَى: (تُوقَد) بِالفَوقانيَّة أي: الزَّجاجةُ ـ ﴿مِن﴾ زَيتِ ﴿شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: **(غير النافذة)** قيَّد به؛ لأنَّه في تلك الحالة أجمعُ للنور.

قوله: **(أي: الأنبوبة)** هي السُّنبلة التي في القنديل، وهو تفسيرٌ آخرُ للمشكاة، وحينئذٍ: فكان المناسب للمفسِّر أن يقول: (أو الأنبوبة)، فتحصَّل أنه اختلف في المشكاة؛ فقيل: هي الطاقة الغير النافذة التي وُضع فيها القنديل، وعليه: فهي ظرفٌ للقنديل، وقيل: هي السنبلة التي تكون وسط القنديل، تُوضع فيها الفتيلة، وعليه: فالقنديل ظرفٌ لها.

قوله: **(بكسر الدال وضمِّها)** أي: مع الهمز، قراءتان سبعيَّتان، وقوله: **(وبضمِّها وتشديد الياء)** قراءة سبعيَّة أيضاً، فتكون القراءات ثلاثاً[1].

قوله: **(بمعنى الدفع)** أي: وبابه: قطَع، قوله: **(منسوب إلى الدُّرِّ)** أي: لشدَّة صفائه.

قوله: **(بالماضي... إلخ)** فأصله: أنَّ القراءات ثلاث سبعيَّات: بالماضي، وبالمضارع بالتحتانيَّة، ويكون الضمير عائداً على (المصباح)، وبالفوقانيَّة، ويكون الضمير عائداً على (الزجاجة) على حذف مضاف؛ أي: فتيلة الزجاجة[2].

قوله: **(﴿مِن﴾ زيت ﴿شَجَرَةٍ﴾) ﴿مِن﴾**: ابتدائية، أشار المفسِّر إلى أنَّ الكلام على حذفِ مضافٍ.

قوله: **(﴿مُّبَٰرَكَةٍ﴾)** أي: لكثرة منافعها، قال ابن عباس: في الزيتون منافعُ: يُسْرَجُ بزيته،

(١) قرأ أبو عمرو والكسائي بكسر الدال وياء بعدها همزة، وقرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم بضم الدال وياء بعدها همزة، والباقون بضم الدال وتشديد الياء من غير همزة. انظر «الدر المصون» (٨/ ٤٠٥).

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (تَوَقَّدَ) بزنة (تفعَّل) فعلاً ماضياً فيه ضمير فاعله يَعود على المصباح، والأخوان وأبو بكر: (تُوقَدُ) بضم التاء من فوق وفتح القاف، وباقي السبعة كذلك إلا أنه بالياء من تحت. انظر «الدر المصون» (٨/ ٤٠٧).

﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ﴾ ....

﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ بل بَينَهما، فلا يَتمكَّن مِنها حَرٌّ ولا بَردٌ مُضِرَّان، ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ لِصَفائِه، ﴿نُّورٌ﴾ بِه ﴿عَلَى نُورٍ﴾ بِالنَّارِ، ونُورُ الله أي: هُداهُ لِلمُؤمِن نُورٌ

حاشية الصاوي

وهو إدام ودِهان ودباغ ووقود، وليس فيه شيءٌ إلا وفيه منفعةٌ حتى الرماد يُغسل به الإبريسم، وهي أول شجرة نبَتت في الدنيا، وأول شجرة نبتت بعد الطوفان، ونبَتت في منازل الأنبياء والأرض المقدسة، ودعا لها سبعون نبيًّا بالبركة؛ منهم: إبراهيم، ومحمد عليهما الصلاة والسلام[١].

قوله: (﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾) بالجر: صفة لـ﴿شَجَرَةٍ﴾، وقرئ شذوذاً بالرفع: خبرُ محذوفٍ؛ أي: لا هي شرقية ولا هي غَربية، والجملة في محل جرٍّ نعت لـ﴿شَجَرَةٍ﴾[٢].

قوله: (بل بينهما... إلخ) أشار بذلك إلى أن المراد بقوله: ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ أي: أنها متوسِّطة؛ لا شرقية فقط، ولا غَربية فقط، بل بينهما، وهي الشام؛ فإنَّ زيتونَه أجوَد الزيتون، وفي الحديث: «لا خير في شجرة ولا في نبات في مقنأة، ولا خير فيهما في مضحى»[٣]، والمَقْنَأةُ بقاف ونون مفتوحة أو مضمومة فهمزة: المكان الذي لا تَطلع عليه الشمس، والمضحى هو: الذي تُشرق عليه دائماً فتُحرقه. وهو أحد قولين، وقيل: معنى ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾: أنَّ الشمس تبقى عليها دائماً من أول النهار لآخِره، لا يُواريها من الشمس شيءٌ، كالتي تكون في الصحارى الواسعة؛ فإنَّ ثمرتها تكون أنضجَ، وزيتها أصفى، وعلى هذا: فلا يَتقيَّد بشامٍ ولا غيرها.

قوله: (مُضِرَّيْنِ) هذا هو محل النفي، وهو حال.

قوله: (﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾) شرطٌ حُذِفَ جوابه؛ لِدلالة ما قبله عليه، والتقدير: لأضاء.

قوله: (﴿نُّورٌ﴾ به) أي: الزيت، وقوله: (﴿عَلَى نُورٍ﴾) أي: مع نور، وهو نور المصباح والزجاجة، فالأنوار المشبَّه بها مُتعددة كأنوار المشبَّه، فليس المقصودُ في الآية التثنيةَ، بل الكثرة وتراكُم الأنوار.

وقوله: (ونور الله؛ أي: هُداه... إلخ) أي: فبراهينُ الله تزداد في قلب المؤمنين برهاناً بعد برهانٍ.

---

(١) نقَله الثعلبي في «الكشف والبيان» (٧/ ١٠٤)، وانظر «زاد المسير» (٣/ ٢٩٦).

(٢) وبها قرأ الضحاك. انظر «الدر المصون» (٨/ ٤٠٨).

(٣) ذكره الزمخشري في «كشافه»، وقال العلامة الزَّيلعي في «تخريج أحاديثه» (٢/ ٤٤٧): (غريب جدًّا).

يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٣٥﴾ ....

على نُور الإيمانِ، ﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ﴾ أي: دِينِ الإسلامِ ﴿مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ﴾: يُبيِّن ﴿ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ﴾ تَقريباً لِأفهامِهِم لِيَعتبرُوا فيُؤمِنُوا، ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ ومِنهُ ضَربُ الأمثال.

حاشية الصاوي

إن قلتَ: لمَ ضرب الله المثلَ بنُور الزيت ولم يَضربْهُ بنور الشمس والقمر والشمع مثلاً؟

أجيب: بأنَّ الزيت فيه منافعُ كثيرةٌ، ويسهل لكلِّ أحدٍ؛ كما أنَّ المؤمن الكامل الإيمان منافعُهُ كثيرةٌ.

واختلف في هذا التشبيه؛ هل هو تشبيهٌ مركَّبٌ؛ بأن قُصد فيه تشبيه جملةٍ بجملةٍ، من غير نظر إلى مقابلة جزء بجزء، وذلك بأن يراد: مثل نور الله الذي هو هُداه وبراهينه الساطعة كجملة النور الذي يتَّخذ من هذه الهيئة، أو تشبيهُ جزءٍ بجزءٍ؛ بأن يُشبَّه صدرَ المؤمن بالمشكاة، وقلبَهُ بالزجاجة، ومعارفه بالزيت، وإيمانه بالمصباح؟

قوله: (﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾) أي: مَن يريد هدايته؛ فإنَّ الأسباب دون مشيئته لاغية، ولولا العناية.. ما كان الوصول لِذلك النور.

قوله: (أي: دين الإسلام) المراد به: ما يشمل الإيمان، وهو الذي ضُرب له المثل المتقدِّم. وأظهر في مقام الإضمار؛ اعتناءً بشأنه.

قوله: (﴿وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ﴾) أي: تقريباً للمَعقول من المحسوس؛ فحيث كان نور الإيمان ـ والمعارف مثله ـ هكذا.. فلا تدخل شبهةٌ على المؤمن إلا شاهَدها بعين البصيرة كما تُشاهد بعين البصر، ويشهد الحقَّ بعين البصيرة كما يَشهده بعين البصر، وفي هذا المقام تنافَس المتنافسون، فأدناهم أهل المراقبة، وأعلاهم أهل المشاهَدة، ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، وقوله في الحديث: «اتَّقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله»[١]، وقوله في الحديث أيضاً: «الإحسان: أن تَعبد الله كأنك تراه»[٢]، وللعارفين تفنُّناتٌ وضربُ أمثالٍ في هذه المقامات، لا يدركها إلا مَنْ كان من أهل هذا النُّور.

---

(١) رواه الترمذي (٣١٢٧) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ ....

﴿٣٦﴾ ﴿فِي بُيُوتٍ﴾ ـ مُتعلِّق بـ﴿يُسَبِّحُ﴾ الآتي ـ ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾: تُعظَّم ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فِي بُيُوتٍ﴾) المراد بها: جميعُ المساجدِ، وقيل: خصوصُ مساجدَ أربعٍ: الكعبة، ومسجد المدينة، وبيت المقدس، وقباء؛ لأنه لم يَبْنِهَا إلا نبيٌّ؛ فالكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل، وبيت المقدس بَناه داوود وسليمان، ومسجد المدينة وقباء بناهما رسول الله ﷺ، والأقرَب: الأول؛ لأنَّ العبرة بعموم اللفظ.

قوله: (يتعلق بـ﴿يُسَبِّحُ﴾ الآتي) أي: سواء قرئ ببنائه للفاعل أو للمفعول، وكرَّر الظرف وهو قوله: ﴿فِيهَا﴾ اعتناءً بشأن المساجد؛ لما ورد: «بُيوت الله في الأرض تُضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض»[1]، ويصح أن يكون متعلِّقاً بمحذوف دلَّ عليه قوله: ﴿يُسَبِّحُ﴾، والتقدير: سبِّحوا ربكم في بُيوت، وعلى هذين: فالوقف على ﴿عَلِيمٌ﴾، ويصح أن يكون الجارُّ والمجرور صفة لـ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾، أو لـ﴿مِصْبَاحٌ﴾، أو لـ﴿زُجَاجَةٍ﴾، أو متعلق بـ﴿يُوقَدُ﴾، وعلى هذه الأربعة: لا يوقف على ﴿عَلِيمٌ﴾.

قوله: (﴿أَذِنَ ٱللَّهُ﴾) أي: أَمَرَ، والجملة صفة لـ﴿بُيُوتٍ﴾، و(أن) وما دخلت عليه: في تأويل مصدر مجرور بالباء المقدَّرة، والتقدير: أمر الله برَفعها.

قوله: (تعظَّم) أي: حسًّا ومعنًى؛ فالتعظيم الحسِّي: رفعُهَا بالبنيان المتين الحسن، مساوياً لبنيان البلد أو أعلى، ولا مُنافاة بين هذا وقوله عليه الصلاة والسلام: «**إذا ساء عمل قوم.. زخرفوا مَساجدهم**»[2]؛ لأنَّ المنهيَّ عنه الزخرفة والتزويق، لا حُسنُ البنيان وإتقانُه. ومن التعظيم الحسِّي: تطهيرُهَا من الأقذار والنجاسات. قال القرطبي: (كَره بعض أصحابنا تعليم الصبيان في المساجد؛ لأنهم لا يتحرَّزون عن الأقذار والأوساخ، فيُؤدي ذلك إلى عدم تنظيف المساجد، وقد أمر رسول الله ﷺ بتنظيفها وتطييبها، فقال: «**جنِّبوا مساجدَكم صبيانكم، ومجانينكم، وسَلَّ سيوفكم، وإقامةَ حدودكم، ورفعَ أصواتكم، وخُصوماتكم، وجمِّروها في الجمع، واجمَعوا لها على أبوابها المطاهر**»)[3]. والتعظيم المعنوي: بترك اللهو واللعب والحديث الدنيويِّ وغير ذلك ممَّا لا يَعني.

---

(١) رواه البيهقي في «الشعب» (٢٦٨٧) موقوفاً على سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه ابن ماجه (٧٤١) عن سيدنا عمر رضي الله عنه.

(٣) «تفسير القرطبي» (١٢/ ٢٧٠)، والحديث رواه ابن ماجه (٧٥٠) عن سيدنا واثِلة بن الأسقع رضي الله عنه. و(المطاهر): محال يتوضأ فيها المحتاج ويقضي حاجته.

﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ﴾ ....

﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ بتوحيده، ﴿يُسَبِّحُ﴾ ـ بِفَتح المُوحَّدة وكَسرها ـ أي: يُصَلِّي ﴿لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ﴾: مَصدَر بِمَعنى الغَدَوات أي: البُكر، ﴿وَٱلْآصَالِ﴾: العَشايا مِن بعدِ الزَّوال.

﴿٣٧﴾ ﴿رِجَالٌ﴾ ـ فاعِل ﴿يُسَبِّحُ﴾ بِكَسرِ الباء، وعلى فَتحِها نائبُ الفاعلِ ﴿لَهُۥ﴾، و﴿رِجَالٌ﴾ فاعِلُ فِعل مُقدر جَواب سُؤالٍ مُقدَّر، كأنَّه قِيل: مَن يُسَبِّحهُ؟ ـ ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ﴾ أي: شِراءٌ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾) أي: بأيِّ ذكرٍ كان.

قوله: (بفتح الموحدة وكسرها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[١]؛ فعلى الفتح: يكون نائب الفاعل على أحد المجرُورات الثلاث، والأول أولى؛ ولِذا اقتصر عليه المفسِّر، و﴿رِجَالٌ﴾: فاعلُ فعل محذوف، أو خبرٌ لمحذوف، تقديره: يسبِّحه، أو المسبِّح، وعليه: فالوقف على (الآصال)، وعلى الكسر: فـ﴿رِجَالٌ﴾: فاعله، ولا يُوقف على (الآصال).

قوله: (أي: يصلي) فسَّر التسبيح بالصلاة؛ لاشتمالها عليه، واختُلف في المراد بالصلاة؛ فقيل: المراد: صلاة الصبح في الغُدوِّ، وباقي الصلوات الخمس في الآصال، وقد أشار المفسِّر لهذا بقوله: (من بعد الزوال)، وقيل: المراد: صَلاة الصبح والعصر؛ لما قيل: إنهما الصلاة الوُسطى[٢].

قوله: (مصدر) أي: في الأصل، وأمَّا هنا.. فالمراد منه: الأزمِنة.

قوله: (أي: البُكَرِ) أي: وهي أوائل النهار، وقوله: (العشايا) هي: أواخر النهار.

قوله: (﴿رِجَالٌ﴾) خصُّوا بالذكر؛ لأنَّ شأنهم حُضور المساجد للجمعة والجماعة.

قوله: (شراء) خصَّ التجارة بالشراء وإن كان لفظُ (التجارة) يقع على البيع أيضاً؛ لِذكره البيع بعده، وقيل: المراد بالتجارة حقيقتُها، ويكون خصَّ البيع بالذكر؛ لأنَّ الاشتغال به أعظمُ؛ لكون

---

(١) قرأ ابن عامر وأبو بكر بفتح الباء مبنيًّا للمفعول، وباقي السبعة بكسر الباء. انظر «الدر المصون» (٨/ ٤٠٩).

(٢) وقال ابن عباس: التسبيح بالغدوِّ: صلاة الضحى، وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «من خرج من بيته متطهراً إلى صلاة مكتوبة.. كان أجرُه كأجر الحاج المحرم، ومن خرج إلى المسجد إلى تسبيح الضحى لا يقصد إلا ذاك.. كان أجرُه كأجر المعتمر، وصلاة على أثر صلاة لا لغو بينهما.. كتاب في عليين» أخرجه أبو داوود. «فتوحات» (٣/ ٢٤٢).

وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ....

﴿وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ ـ حَذفُ هاء (إقامة) تخفيفٌ ـ ﴿وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ﴾: تَضطَرِب ﴿فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ مِن الخوفِ؛ القُلُوب بينَ النَّجاة والهَلاكِ، والأبصارُ بينَ ناحِيتَي اليَمِين والشِّمال هو يومُ القِيامة.

﴿٣٨﴾ ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟﴾ أي: ثَوابَه، و(أحسَن) بِمَعنى حَسَن، ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ ....

حاشية الصاوي

الربح الحاصِل من البيع ناجزاً محقَّقاً، والربحُ الحاصلُ من الشراء مشكوكٌ فيه مُستقبلٌ؛ فلا يكاد يَشغله.

قوله: (﴿عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾) أي: عن حقوق الله؛ صلاةً أو غيرَها؛ فقوله: ﴿وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ من ذكر الخاصِّ بعد العامِّ؛ اعتناءً بشأنهما؛ فإنَّ المواظب عليهما كاملُ الإيمان.

قوله: (﴿وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾) أي: أدائها في أوقاتها بشروطها وأركانها وآدابها.

قوله: (﴿يَخَافُونَ يَوْمًا﴾) أي: إنَّ هؤلاء الرجال وإن أكثرُوا الذكر والطاعات فإنَّهم مع ذلك وَجِلون خائفون من الله سبحانه وتعالى؛ لِعلمهم بأنهم ما عبَدوه حقَّ عبادته.

قوله: (بين النجاة والهلاك) راجع لتقلُّب القلوب، وقيل: معنى تقلُّب القُلوب: ارتفاعها إلى الحناجر؛ فلا تَنزل ولا تخرج من شدَّة الهول.

قوله: (بين ناحية اليمين والشمال) وقيل: تقلُّب الأبصار: شُخوصُهَا من هَول الأمر وشدَّته.

قوله: (﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾) اللام: للعاقبة والصيرورة؛ أي: إنَّ مآلَ أمرهم وعاقبتَهُ الجزاءُ الحسنُ، وليست لامَ العلة؛ لأنَّ هذه مرتبةُ عامَّةِ المؤمنين، وتلك الأوصافُ إنما هي لِكامل الإيمان.

قوله: (و«أحسن» بمعنى: حسَن) أي: فالمحترز عنه المجازاة على القبيح، فالمعنى: يُجَازَوْنَ على كلِّ عملٍ حسنٍ، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠]، ولا يجازَون على ما سبق من العمل القبيح.

قوله: (﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾) أي: فلا يَقتصر في إعطائهم على جزاء أعمالهم، بل يُعْطَوْنَ أشياء لم تخطُر ببالهم.

وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ ....

﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ يُقال: فُلانٌ يُنفِق بِغَيرِ حِساب أي: يُوَسِّع كأنَّهُ لا يَحسُبُ ما يُنفِقهُ.

﴿٣٩﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ﴾ جمع قاعٍ أي: في فَلاةٍ، وهو شُعاعٌ يُرَى فِيها نِصفَ النَّهار في شِدَّة الحَرِّ يُشبِه الماء الجارِيَ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾) تذييلٌ ووعدٌ كريمٌ بأنه تعالى يُعطيهم فوق أجرِ أعمالهم من الخيرات ما لا يَفي به الحساب.

قوله: (يقال: فلان يُنفق بغير حساب... إلخ) أي: فهو كنايةٌ عن كون الله يُعطيهم ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطَر على قلب بشر، بغير نهاية، فوق ما وعَدهم به.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾... إلخ) لما ضرب الله المثل للمؤمنين بأشرَف الأمثال وأعلاها.. ضرب المثل لِلكفار بأشرِّ الأشياء وأخسِّها[1].

والحاصل: أنَّ الله ضرب للكفار مثلَين: مثلٌ لأعمالهم الحسنة بقوله: ﴿كَسَرَابِۭ...﴾ إلخ، ومثلٌ لأعمالهم السيئة بقوله: ﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ...﴾ إلخ، والاسم الموصول: مبتدأٌ، و﴿كَفَرُوٓاْ﴾: صلته، و﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾: مبتدأٌ ثانٍ، و﴿كَسَرَابِۭ﴾: خبر الثاني، والثاني وخبره: خبر الأول، ويصح أن يكون ﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ بدلَ اشتمالٍ، و﴿كَسَرَابِۭ﴾ خبر ﴿ٱلَّذِينَ﴾.

قوله: (﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾) أي: الصالحة؛ كصدقةٍ وعتقٍ وغير ذلك ممَّا لم يتوقَّف على نيَّة.

قوله: (﴿بِقِيعَةٖ﴾) الباء: بمعنى (في) كما يُشير له المفسِّر بقوله: (أي: في فلاة).

قوله: (جمع «قاع») أي: كـ: (جِيرة) جمع (جار)، وقيل: القِيعة مفرد بمعنى: القاع.

قوله: (يُشبه الماء الجاري) ويسمى آلاً أيضاً، قال الشاعر[2]: [الوافر]

إذَا أنَا كَالَّذي يَجْرِي لِوِرْدٍ ... إلَى آلٍ فَلَمْ يُدْرِكْ بِلالَا

(١) كذا هو في الأصول في بناء التفضيل منه، ولا يكادون يَستعملونه إلا على لغة لبني عامر، وقرئ في الشاذ: (من الكذاب الأشَرُّ) على هذه اللغة. انظر «شرح التسهيل» لابن مالك (٣/ ٥٣).

(٢) البيت لعمرو بن أحمر الباهلي، من قصيدة له يَندب فيها قومه ويبكيهم، مطلعها كما قال العيني في «شرح الشواهد الكبرى» (٢/ ٨٨٠):

أبَتْ عَيناكَ إلا أن تُلِحَّا ... وتَحْتالا بِمَائِهِمَا احْتِيَالا

يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ....

﴿يَحْسَبُهُ﴾: يَظُنُّهُ ﴿ٱلظَّمْـَٔانُ﴾ أي: العَطشانُ ﴿مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ مِمَّا حَسِبَهُ، كذلك الكافِر يَحسَب أنَّ عَمَلَه كصَدَقَةٍ يَنفَعهُ، حتَّى إذا ماتَ وقَدِمَ على رَبِّه لم يَجِد عَمَلَه أي: لَم يَنفَعْهُ، ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ أي: عِند عَمَلِه ﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ أي: جازاهُ علَيه في الدُّنيا، ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ أي: المُجازاةِ.

حاشية الصاوي

وسمِّي سراباً؛ لأنه يتسرَّب ـ أي: يجري ـ كالماء.

قوله: (﴿يَحْسَبُهُ﴾) بكسر السين وفتحها، قراءتان سبعيَّتان[1]، وماضيه: حَسِبَ بكسر السين، وهو من باب (تَعب) في لغة جميع العرب إلا بني كنانة؛ فإنهم يكسرون المضارع مع كسر الماضي أيضاً.

قوله: (﴿ٱلظَّمْـَٔانُ﴾) أي: وكذا كلُّ مَنْ رآه، وإنما خصَّ الظمآنَ؛ لأنه أحوَجُ إليه من غيره.

قوله: (﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ﴾) أي: جاء ما قصَده وظنَّه ماءً، وهو غاية في محذوف؛ أي: يستمرُّ سائراً إليه حتى إذا جاءه... إلخ.

قوله: (كذلك الكافر... إلخ) أشار بذلك إلى وجه الشَّبه، فتحصَّل أنه شبَّه حال الكافر من حيثُ اعتقادُهُ أنَّ عملَهُ الصالحَ يَنفعه في الآخرة؛ فإذا جاء يوم القيامة لم يَجد الثواب الذي كان يَظنُّه، بل وجد العقابَ العظيمَ، والعذابَ الأليمَ، فعظُمَتْ حسرتُهُ.. بحال الظمآن الذي اشتَدَّت حاجتُهُ إلى الماء؛ فإذا شاهد السَّرابَ.. تعلَّق به، فإذا جاءَه.. لم يَجِدْهُ شيئاً.

قوله: (﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ﴾) أي: وجد وعدَ اللهِ بالجزاء على عَمله، أو المعنى: وجد عذابَ الله له.

قوله: (أي: جازاه عليه في الدنيا) أي: المعنى أنَّ الكافر يوم القيامة يَعلم ويتحقَّق أنَّ الله جازاه على أعماله الحسَنة التي لم تتوقف على نيَّةٍ في الدنيا بالمال والبَنين والعافية وغير ذلك من لذات الدنيا، هكذا قال المفسِّر، وهو وإن كان صحيحاً في نفسه إلا أنَّ المفسِّرين على خِلافه؛ فإنهم قالوا: معنى (وفَّاه حسابه): جازَاه عليه في الآخرة بالعذاب.

---

(١) قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة وأبو جعفر بفتح السين، والباقون بكسرها. انظر «البدور الزاهرة» (ص٥٦).

أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ....

(٤٠) ﴿أَوْ﴾ الذين كفرُوا أعمالُهم السَّيِّئة ﴿كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾: عَمِيقٍ، ﴿يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ﴾ أي: المَوج ﴿مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ﴾ أي: المَوجِ الثَّاني ﴿سَحَابٌ﴾ أي: غَيمٌ، هَذه ﴿ظُلُمَٰتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ ظُلمةُ البَحر وظُلمةُ المَوج الأوَّل وظُلمةُ الثَّاني وظُلمةُ السَّحاب، ﴿إِذَآ أَخْرَجَ﴾ النَّاظِرُ ﴿يَدَهُۥ﴾ في هذه الظُّلُمات ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ أي: لَم يَقرُبْ مِن رُؤيَتِها،

حاشية الصاوي

والحاصل: أنه إن أُريد مثل أعماله الصالحة التي تتوقف على نيَّةٍ.. فمسلَّمٌ أنه لا يَجد لها جزاءً في الآخرة، ولا تنفعه أصلاً، وإن أُريد خصوصُ ما لا يتوقَّف على نيَّةٍ.. فقيل: لا يَجد لها نفعاً أصلاً، وقيل: يجد نفعها؛ إمَّا في الدنيا كتَوسعتها عليه وعافِيَته وغير ذلك، أو في الآخرة بتخفيف عذاب غير الكفر.

قوله: (﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ﴾) ﴿أَوْ﴾: للتقسيم؛ أي: إنَّ أعمال الكافر تنقسم قِسمين: قسم كالسراب، وهو العمل الصالح، وقِسم كالظلمات، وهو العمل السيِّئ، وقوله: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ﴾ معطوف على قوله: ﴿كَسَرَابٍ﴾ على حذف مُضاف، تقديره: أو كذي ظلمات، يدلُّ عليه قوله: ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾.

قوله: (﴿لُّجِّيٍّ﴾) منسوب لـ(لجٍّ) أو لـ(لجَّة)، وهو: الماء الغزير.

قوله: (﴿يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ﴾... إلخ) أي: يعلُوه، وهو إشارةٌ إلى كثرة الأمواج وتَراكمها، والمعنى: أنَّ البحر اللُّجِّيَّ يكون باطنه مظلماً بسبب غزارة الماء، فإذا ترادَفت الأمواج.. ازدادت الظلمة، فإذا كان مع ذلك سحابٌ.. ازدادت الظلمةُ جدًّا. ووجه الشَّبه: أنَّ الله تعالى ذكر ثلاثَ ظلماتٍ: ظلمة البحر، والأمواج، والسحاب؛ كذلك الكافر له ثلاثُ ظلماتٍ: ظُلمة الاعتقاد، وظلمة القول، وظلمة الفعل.

قوله: (﴿مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ﴾) أي: قد غطَّى أنوار النجوم.

قوله: (هذه ﴿ظُلُمَٰتٌ﴾) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿ظُلُمَٰتٌ﴾ خبرٌ لمحذوف.

قوله: (﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ﴾) خصَّها؛ لأنها أقربُ الأشياء إليه.

﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ۝٤٠ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝٤١﴾ ....

﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ أي: مَن لَم يَهدِه الله لَم يَهتَدِ.

٤١ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ومِن التَّسبِيح صَلاةٌ، ﴿وَٱلطَّيْرُ﴾: جَمع طائر بَين السَّماء والأرضِ، ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾ ـ حال ـ: باسِطات أجنِحَتهنَّ، ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ﴾ اللهُ ﴿صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ ـ فِيه تَغلِيبُ العاقِل ـ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾) استُفيد من هذا: أنَّ النور ليس بالحَول ولا بالقوة، بل بفضل الله يُعطيه لمن يشاء، والمعنى: من لم يجعل الله له ديناً وإيماناً.. فلا دين له.

قوله: (﴿أَلَمْ تَرَ﴾) الخطابُ لكلِّ عاقلٍ، وهو توبيخٌ للكفار، كأنَّ الله يقول لهم: إنَّ تسبيحي ليس قاصراً عليكم، بل جميع مَن في السماوات والأرض يسبِّحوني[1].

قوله: (ومن التسبيح صلاة) ذكر ذلك؛ توطئةً لقوله: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾، فالصلاة مندرجةٌ في عموم التَّسبيح.

قوله: (﴿وَٱلطَّيْرُ﴾) بالرفع عطف على ﴿مَن﴾، والنصب على المعيَّة، و﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾ بالنصب على الحال على كلٍّ من القراءتين، وقرئ شذوذاً برفعها على الابتداء والخبر، ومفعول ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾ محذوف؛ أي: أجنِحَتَها[2].

قوله: (بين السماء والأرض) أشار بهذا إلى أنَّ العطف مغايرٌ؛ لأنه في حالة الطيران يكون بين السماء والأرض.

قوله: (﴿قَدْ عَلِمَ﴾ الله ﴿صَلَاتَهُۥ﴾... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ الضمير في (علم) عائدٌ على (الله)، ويصحُّ عودُهُ على (كلٌّ) أي: عَلم صلاة نفسه وتسبيحها.

قوله: (فيه تغليب العاقل) أي: حيث عبَّر بالفعل.

---

(١) كذا في الأصول، وهي لغةٌ مشهورةٌ تحذف فيها نون الرفع تخفيفاً.

(٢) قرأ العامَّة بالرفع، وقرأ الأعرج بالنصب على المفعول معه، وقرأ الحسن وخارجة عن نافع: (والطيرُ صافاتٌ) برفعهما على الابتداء والخبر. انظر «الدر المصون» (٤/٤١٨).

وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ....

﴿٤٢﴾ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: خَزائن المَطر والرِّزقِ والنَّبات، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ المَرجع.

﴿٤٣﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا﴾: يَسُوقُه بِرفقٍ، ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾ يَضُمُّ بعضَه إلى بَعض، فيَجعَل القِطَع المُتفرِّقة قِطعةً واحِدة، ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا﴾ بَعضُه فوقَ بَعض، ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾: المَطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾: مَخارِجه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (خزائن المطر والرزق) راجع للسماء، وقوله: (والنبات) راجع للأرض، وفي كلام المفسِّر إشارةٌ إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف، والأصل: ولله مُلك خزائن السماوات والأرض، والأصح: بقاء الآية على ظاهِرها كما سلَكه غيره، وعلى كلٍّ فهو من أدلة تَنزيه المخلوقات له.

قوله: (﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾) أي: مرجع الخلائق كلِّها إلى الله، فيجازي كلَّ أحدٍ بعَمله.

قوله: (﴿أَلَمْ تَرَ﴾) الخطابُ لكلِّ عاقلٍ، لا خصوص النبي ﷺ؛ لأنَّ من تأمَّل ذلك.. حصل له العلم به.

قوله: (﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾) أي: بين أجزائه؛ لأنَّ كلَّ جزءٍ سحابٌ، وبهذا اندفع ما قيل: إنَّ (بين) لا تدخل إلا على متعدِّد، وإلى هذا يشير المفسِّر بقوله: (يضمُّ بعضَهُ إلى بعضٍ).

قوله: (﴿رُكَامًا﴾) الركام: الشيءُ المتراكمُ بعضُهُ على بعضٍ.

قوله: (﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾) أي: تُبصره.

قوله: (مخارجه) أي: ثُقبِهِ، فالسحاب غربال المطر، قال كعب: لولا السحاب حين يَنزل المطر من السماء.. لأفسد ما يقع عليه من الأرض[1].

---

(١) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/١٢٣٨)، والبغوي في «شرح السنة» (٤/٤٢٣).

﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾ ....

﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن﴾ - زائدة - ﴿جِبَالٍ فِيهَا﴾ في السَّماء - بَدَل بإعادة الجارِّ - ﴿مِنۢ بَرَدٍ﴾ أي: بَعضه، ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ﴾: يَقرُبُ ﴿سَنَا بَرْقِهِۦ﴾: لَمَعانُهُ ﴿يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ النَّاظِرة لَه، أي: يَخطَفها.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾) أشار بذلك إلى أنَّ السماء كما يَنزل منها المطر الذي هو نفعٌ للعباد.. ينزل منها بعضُ الجبال التي هي البرد، وهو ضرٌّ للعباد، فسبحان من جَعل السماء منشأً للخير والشَّر.

قوله: (﴿مِن﴾: زائدة... إلخ) الحاصل: أن ﴿مِن﴾ الأولى ابتدائية لا غير، والثانية فيها ثلاثة أوجه؛ قيل: زائدة، وقيل: ابتدائية، وقيل: تبعيضيَّة وهو الأحسَن، والثالثة فيها أربعة أوجه؛ الثلاثة المتقدمة، وقيل: بيانيَّة وهو الأحسَن، وحينئذٍ: فيكون المعنى على ذلك: وننزل بعض جبال كائنة في السماء التي هي البرد إنزالاً ناشئاً ومبتدأً من السماء.

قوله: (﴿فِيهَا﴾) الجارُّ والمجرور متعلق بمحذوف صفة لـ﴿جِبَالٍ﴾.

قوله: (بدل بإعادة الجار) هذا راجع لقوله: ﴿مِن جِبَالٍ﴾، والمناسب للمفسِّر أن يقول: (أو بدل) فيكون قولاً ثانياً؛ لأنَّ هذا لا يتأتى على جعلها زائدة، بل على جَعلها ابتدائية.

قوله: (﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ﴾) أي: بالبرد.

قوله: (﴿سَنَا بَرْقِهِۦ﴾) هو بالقَصر في قراءة العامَّة، معناه: الضياء، وأمَّا بالمد.. فمَعناه: الرفعة، وليس مراداً.

قوله: (أي: يَخطفها) أشار بذلك إلى أنَّ الباء في ﴿ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ للتعدية، والمعنى: يُذهبها بسرعة؛ لأنَّ الضوء القويَّ يُذْهِب الضَّعيف، ومن ذلك قول الفقهاء: إذا فعل رجلٌ بآخر فعلاً أذهب بَصره، وأريد أن يقتصَّ منه بإذهاب بصره.. فإنه يؤتى له بمرآة وتُوضع في الشمس، ويجلس الشخص قُبالتها، وتقلب المرآة يميناً وشمالاً؛ فإنَّ ذلك يَخطف بصره[1].

---

(١) انظر «الشرح الكبير للدردير» (٤/ ٢٥٤).

يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ ....

﴿٤٤﴾ ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ﴾ أي: يَأتِي بِكُلٍّ مِنهُما بَدَلَ الآخَرِ، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ التَّقليبِ ﴿لَعِبۡرَةٗ﴾: دَلالةً ﴿لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾: لِأصحابِ البَصائرِ على قُدرةِ الله تَعالى.

﴿٤٥﴾ ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ﴾ أي: حَيَوانٍ ﴿مِّن مَّآءٖۖ﴾ أي: نُطفَةٍ، ﴿فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: يأتي بكلٍّ منهما بدل الآخر) أي: ويقصِّر هذا، ويطوِّل هذا، وفي هذا ردٌّ على من ينسب الأمور لِلدهر[1].

قوله: (﴿لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾) جمع بصيرة، وخصَّهم بالذكر؛ لأنهم المنتفعون بذلك؛ حيث يتأمَّلون فيَجدون الماء والنور والنار والظلمة تخرج من شيءٍ واحدٍ، فسُبحان القادر على كلِّ شيء.

قوله: (على قُدرة الله) متعلق بـ(دلالة).

قوله: (أي: حيوان) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بالدابَّة: ما دبَّ على وجه الأرض، لا خصوصُ ذواتِ الأربع.

قوله: (أي: نطفة) هذا بحسَب الغالب في الحيوانات الأرضيَّة، وإلَّا.. فالملائكة خُلقوا من النور، والجنُّ خُلقوا من النار، وآدم خُلق من الطين، وعيسى خلق من النفس الذي نَفَخه جبريل في جيب أمِّه، والدود تُخلق من الفاكهة والعُفونات، وقيل: المراد بالماء: حقيقتُهُ؛ لما ورد: أنَّ الله خلق ماءً، وجعل بعضَهُ ريحاً ونوراً فخَلق منه الملائكة، وجعل بعضه ناراً فخلق منه الجنَّ، وجَعل بعضه طيناً فخلق منه آدم[2].

قوله: (﴿فَمِنۡهُم﴾) الضمير راجع لـ﴿كُلَّ﴾ باعتبار معناه، وفيه تغليبُ العاقل على غيره؛ حيث أتى بضمير جماعة الذكور العقلاء في الجميع.

قوله: (﴿مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ﴾) قدَّمه لغرابته، وسمَّاه مشياً مشاكلةً لما بعده، وإلَّا.. فهو زحفٌ.

---

(١) فالدهر مصرف تقع فيه التأثيرات كما تقع بجميع المخلوقات. «خازن» (٣/ ٣٠١).

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٦/ ٥٥).

﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ....﴾

كالحيَّاتِ والهَوامِّ، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾ كالإنسانِ والطَّير، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ﴾ كالبَهائم والأنعام، ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿٤٦﴾ ﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ﴾ أي: بيِّنات هي القُرآنُ، ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ﴾: طَريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: دِين الإسلام.

﴿٤٧﴾ ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: المُنافِقُون: ﴿آمَنَّا﴾: صَدَّقْنا ﴿بِاللَّهِ﴾: بِتَوحِيدِه، ﴿وَبِالرَّسُولِ﴾ مُحمدٍ ﴿وَأَطَعْنَا﴾هُما فِيما حَكَما بِه، ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ﴾: يُعرِضُ ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ عنهُ،

حاشية الصاوي

قوله: (كالحيَّات والهوامِّ) بالتشديد؛ أي: خشاش الأرض، وأدخلت الكافُ الدودَ والسَّمكَ.

قوله: (كالإنسان والطير) أي: والنَّعام.

قوله: (﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ﴾) أي: ومنهم من يمشي على أكثرَ كالعقارب والعنكبوت والحيوان المعروف بأمِّ أربع وأربعينَ، وإنما لم يصرِّح بهذا القِسم؛ لِندوره، ولدخوله في قوله: ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾.

قوله: (﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾) أي: ممَّا ذكر وممَّا لم يَذكر.

قوله: (﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَا﴾) اللام: موطئة لقسم محذوف؛ أي: والله لقد أنزلنا... إلخ[1].

قوله: (﴿مُّبَيِّنَاتٍ﴾) بكسر الياء وفتحها، قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾) أشار بذلك إلى أنَّ الهدى بيَد الله وعنايته؛ فلا يهتدي إلا من حفَّه الله بالعناية، فليس ظهور الآيات سبباً في الاهتداء دون عناية الله.

قوله: (﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾) شروعٌ في ذكر أحوال المنافقِين.

قوله: (﴿وَأَطَعْنَا﴾) قدَّر المفسِّر الضمير؛ إشارةً إلى أنَّ مفعول (أطعنا) محذوفٌ.

---

(١) اللام واقعة في جواب قَسَم محذوف كما قدَّره المفسِّر رحمه الله.

(٢) قرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي بكسر الياء التحتية، والباقون بفتحها. انظر «السراج المنير» (٢/٦٢٢).

وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ ....

﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المُعرِضُون ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ المَعهُودِين المُوافِقِ قُلُوبُهم لِألسِنَتِهم.

(﴿٤٨﴾ - ﴿٤٩﴾) ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ المُبَلِّغ عنه ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾ عن المجيءِ إلَيه. ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾: مُسرِعِين طائِعِين.

﴿٥٠﴾ ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: كُفرٌ ﴿أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ﴾ أي: شَكُّوا في نُبُوَّتِه، ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ في الحُكمِ أي: فيُظلَمُوا فِيه؟ لا، ﴿بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ بِالإعراضِ عنه.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾) تفصيلٌ لما أجمل أوَّلاً.

قوله: (المبلِّغ عنه) جوابٌ عمَّا يقال: لِمَ أفرد الضمير في ﴿لِيَحْكُمَ﴾ مع أنه تقدَّمه اثنان، فأجاب: بأنَّ الرسول هو المباشِر للحكم، وإنما ذكر الله معه؛ تفخيماً لشأنه، وتعظيماً لِقدره.

قوله: (﴿إِذَا فَرِيقٌ﴾) ﴿إِذَا﴾: فجائيَّة قائمة مَقام الفاء في ربط الجواب بالشرط.

قوله: (﴿مُّعْرِضُونَ﴾) أي: إن كان الحكم عليهم؛ بدليل ما بَعده.

قوله: (﴿إِلَيْهِ﴾) يصح أن يكون متعلقاً بـ﴿يَأْتُوٓاْ﴾ أو بـ﴿مُذْعِنِينَ﴾.

قوله: (﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾) أشار بذلك إلى أنَّ منشأ الإعراض وسبَبَهُ أحدُ أمورٍ ثلاثةٍ.

قوله: (﴿أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ﴾) ﴿أَم﴾: بمعنى بل والهمزة، وكذا يُقال فيما بعده، والاستفهام للتقرير.

قوله: (لا) أشار به إلى أنَّ الاستفهام بمعنى النفي، والمعنى: لا محلَّ لخوفهم؛ لاستحالة الحيف على الله ورَسوله.

قوله: (بالإعراض عنه) أي: الحكم.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٥١ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ۝٥٢﴾ . . . . . .

(٥١) ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ بِالقَولِ اللَّائِقِ بِهِم ﴿أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ بِالإجابةِ، ﴿وَأُولَئِكَ﴾ حِينَئِذٍ ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: النَّاجُون.

(٥٢) ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ﴾: يَخافُهُ ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ - بِسُكُونِ الهاء وكَسرِها - بِأن يُطِيعَه، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ بِالجنَّة.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾) العامَّة على نصب القول خبراً لـ﴿كَانَ﴾، والاسم: (أن) وما دخلت عليه، وقرئ شذوذاً برفعه على أنه اسمها، و(أنْ) وما دخلت عليه: خبرها[1].

قوله: (بالإجابة) أي: قولاً وفعلاً.

قوله: (حينئذ) أي: حين إذ قالُوا هذا القول.

قوله: (﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ﴾. . . إلخ) قال بعض الأحبار: هذه الآية جمعت ما في توراة موسى، وإنجيل عيسى.

قوله: (يخافه) هذا حلُّ معنى، وإلَّا . . فكان حقه أن يقول: (يخَفه).

قوله: (وكسرها) أي: بإشباعٍ ودونه، فهذه ثلاث قراءات، وسكون القاف مع كسر الهاء بدون إشباع، فتكون أربعةً، وكلُّها سبعيَّةٌ[2].

قوله: (﴿هُمُ الْفَائِزُونَ﴾) أي: الظافرون بمقصودهم، النَّاجون من كلِّ مكروه.

---

(١) وهي قراءة سيدنا علي عليه السلام والحسن وابن أبي إسحاق، وهي مرجوحة عند العامة؛ لأنه متى اجتمع معرفتان. . فالأولى: جَعل الأعرف الاسم وإن كان سيبويه خيَّر في ذلك بين كلِّ معرفتين، ولم يُفرق هذه التفرقة. انظر «المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات» (٢/ ١١٥)، و«الدر المصون» (٨/ ٤٢٨).

(٢) القراء فيه بالنسبة إلى القاف على مرتبتين: الأولى: تسكين القاف، ولم يقرأ بها إلا حفص، والباقون بكسرها، وأما بالنسبة إلى هاء الكناية فهي على خمس مراتب: الأولى: تحريكها مفصولة قولاً واحداً، وبها قرأ ورش وابن ذكوان وخلف وابن كثير والكسائي. الثانية: تسكينها قولاً واحداً، وبها قرأ أبو عمرو وأبو بكر عن عاصم. الثالثة: إسكان الهاء أو وصلها بياء وبها قرأ خَلاد. الرابعة: تحريكها من غير صلة، وبها قرأ قالون وحفص. الخامسة: تحريكها موصولة أو مقصورة، وبها قرأ هشام. انظر «الدر المصون» (٨/ ٤٢٩).

وَأَقْسَمُواْ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُواْ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ ....

﴿٥٣﴾ ﴿وَأَقْسَمُواْ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾: غايَتَها ﴿لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ﴾ بالجهادِ ﴿لَيَخْرُجُنَّ قُل﴾ لَهُم: ﴿لَّا تُقْسِمُواْ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ لِلنَّبيِّ خَيرٌ مِن قَسَمِكُم الذي لا تَصدُقُون فِيه، ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ مِن طاعَتِكُم بِالقَولِ ومُخالَفتِكُم بِالفِعلِ.

﴿٥٤﴾ ﴿قُلْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن طاعَتِه ـ بِحَذفِ إحدَى التَّاءَين خِطاب

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَأَقْسَمُواْ بِاللَّهِ﴾) الضمير عائدٌ على المنافقين، وهو معطوفٌ على قوله: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ﴾.

قوله: (﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾) ﴿جَهْدَ﴾: منصوب على المفعوليَّة المطلقة، والمعنى: جَهَدُوا اليمينَ جَهْداً، حذف الفعل، وأُقيم المصدر مُقامه، وأضيف إلى المفعول ك: (ضَرْبَ الرِّقاب). وهذه الآية نزلت لما قال المنافقون لرسول الله ﷺ: أينما كنتَ نحن معك، لئن خرجت خرجنا، ولئن أقمتَ أقمنا، وإن أمَرتَنا بالجهاد جاهدنا[1].

قوله: (﴿لَيَخْرُجُنَّ﴾) اللام: موطئة للقسم[2]، و(يخرجن): فعل مضارع مؤكد بالنون، وأصله: لَيَخْرُجُوْنَنَّ، حذفت نون الرفع لِتوالي الأمثال، فالتقى ساكنان: الواو ونون التوكيد، حذفت الواو؛ لالتقائهما، وبقيت الضمَّة؛ لتدلَّ عليها.

قوله: (﴿طَاعَةٌ﴾) مبتدأ، و﴿مَّعْرُوفَةٌ﴾: صفته، والخبر محذوفٌ، قدَّره المفسِّر بقوله: (خيرٌ من قسمكم)، ويصح أن يكون ﴿طَاعَةٌ﴾ خبراً لمحذوف، تقديره: أمركم طاعةٌ معروفةٌ؛ أي: الأمرُ المطلوبُ منكم طاعةٌ مَعروفةٌ بالصدقِ وموافقةِ الواقعِ، لا مجرَّدُ القولِ باللسان.

قوله: (﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾) تعليلٌ لما قبله، والمعنى: لا تَحلفوا باللسان مع كون قُلوبكم ليس فيها الامتثالُ والإخلاصُ؛ فإنَّ الله مُطَّلعٌ على بَواطنكم وظواهركم، لا تخفى عليه خافيةٌ.

قوله: (﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾) شرطٌ حُذِفَ جوابُهُ، والتقدير: فلا ضررَ عليه، وقوله: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ علَّةٌ لذلك المحذوفِ.

---

(١) رواه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٧/ ١١٤)، وانظر «زاد المسير» (٣/ ٣٠٣).

(٢) اللام واقعة في جواب قسم محذوف، والموطئة هي الداخلة على حرف الشرط.

فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ....

لَهُم ـ ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ مِن التَّبليغ ﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ مِن طاعَتِه، ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ أي: التَّبليغُ البيِّن.

﴿٥٥﴾ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ بَدَلاً عن الكُفَّار، ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ﴾ ـ بِالبِناء لِلفاعِلِ والمَفعول ـ ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ مِن بَني إسرائيلَ بَدلاً عن الجَبابِرة، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مَا حُمِّلَ﴾) أي: كُلِّف.

قوله: (﴿تَهْتَدُوا﴾) أي: تَصلوا للرشاد والفَوز برضا الله، وهذا راجعٌ لقوله: ﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾، وقوله: (﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾) راجعٌ لقوله: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ على سبيل اللَّف والنَّشر المشوَّش.

قوله: (أي: التبليغُ البيِّنُ) أي: الظاهرُ، وقد أدَّاه، فعليكم أن تُؤَدُّوا ما حُمِّلتم من الطاعة لله ورسوله.

قوله: (﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾... إلخ) ﴿وَعَدَ﴾: فعل ماض، ولفظُ الجلالة: فاعله، والاسم الموصول: مفعوله الأول، والمفعول الثاني محذوفٌ، تَقديره: الاستخلافَ في الأرض، وتمكينَ دينهم، وتبديلَ خَوفهم أمناً، يدلُّ على هذا المحذوف قوله: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ...﴾ إلخ؛ فإنَّ اللام مُوطئةٌ لقسم محذوف، تقديره: أقسَم الله ليستخلفنَّهم.

قوله: (﴿مِنكُمْ﴾) الجارُّ والمجرور: حال من ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾، والخطاب لعُموم الأمَّة.

قوله: (﴿فِي الْأَرْضِ﴾) أي: جميعِهَا، وقد حصل ذلك.

قوله: (﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ﴾) (ما): مصدرية، والمعنى: استخلافاً كاستِخلاف الذين من قبلهم.

قوله: (بالبناء للفاعل والمفعول) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

(١) العامة على بناء «استخلف» للفاعل، وأبو بكر بناه لِلمفعول. انظر «الدر المصون» (٨/ ٤٣٤).

وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ

﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ وهو الإسلامُ، بِأن يُظهِرَهُ على جَمِيع الأديانِ ويُوَسّع لَهُم في البِلاد فيَملِكُوها، ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم﴾ - بِالتَّخفيفِ والتَّشدِيد - ﴿مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ﴾ مِن الكُفَّار ﴿أَمْنًا﴾، وقد أنجزَ الله وعدَه لَهُم بِما ذُكِرَ، وأثنَى علَيهِم بِقَوله: ﴿يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ هو مُستَأنَف في حُكم التَّعلِيل، ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الإنعام مِنهُم بِه، ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾، وأوَّلُ مَن كفر بِه قَتَلةُ عُثمان رضي الله عنه، فصارُوا يَقتَتِلُون بعدَ أن كانُوا إخواناً.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ ﴿٥٦﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾) العائدُ محذوفٌ؛ أي: ارتضاه لهم، والمعنى: ولَيجعلنَّ دينَهم الذي رضيه لهم ظاهراً وفائقاً على جميع الأديان.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (بما ذكر) أي: وهو ما تقدَّم من الأُمور الثلاثة.

قوله: (﴿يَعْبُدُونَنِى﴾) أي: يُوحِّدونني، وقوله: ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾: حالٌ من فاعل ﴿يَعْبُدُونَنِى﴾، أو بدلٌ ممَّا قبله.

قوله: (هو مستأنف) أي: واقعٌ في جواب سؤال مقدَّر، كأنه قيل: ما بالُهم يستخلفون ويجعل دينهم ظاهراً على جميع الأديان ويؤمنون؟ فقيل: يَعبدونني... إلخ.

قوله: (﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الإنعام) أي: بما ذكر مِن الأمور الثلاثة، فالمرادُ بالكفرِ: كفرُ النِّعم؛ بدليل قوله: ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾، وليس المرادُ به ما قابل الإيمان، وإلَّا.. لقال: (الكافرون).

قوله: (وأوَّل من كفر به) أي: بالإنعام.

قوله: (قتلة عثمان) أي: وهم جماعةٌ من الرعيَّة أخذُوه بغتةً.

قوله: (﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾) معطوفٌ على قوله: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو بكر بسكون الباء الموحدة وتخفيف الدال، والباقون بفتح الموحدة وتشديد الدال. انظر «السراج المنير» (٢/ ٦٣٧).

وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ....

وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي: رَجاءَ الرَّحمة.

﴿٥٧﴾ ﴿لَا تَحْسِبَنَّ﴾ - بالفَوقانيَّة والتَّحتانيَّة، والفاعِل الرَّسُولُ - ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ﴾ لنا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بِأن يَفُوتُونا، ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ﴾: مَرجِعُهم ﴿ٱلنَّارُ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾: المَرجِعُ هي.

﴿٥٨﴾ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ مِن العَبيدِ والإماءِ، ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ﴾ مِن الأحرارِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾) الترجي في القرآن بمَنزلة التحقيق.

قوله: (بالفوقانيَّة والتحتانيَّة) قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (والفاعلُ الرسولُ) أي: على كلٍّ من القراءتَين، والاسم الموصول: مفعول أول، و﴿مُعْجِزِينَ﴾: مفعولٌ ثانٍ.

قوله: (بأن يفوتونا) أي: يَفرُّوا من عذابنا.

قوله: (﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾) معطوف على جملة ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾[2]، أو على مقدَّر تقديره: بل هم مقهورون ومأواهم.

قوله: (هي) قدَّره؛ إشارةً إلى أن المخصوص بالذمِّ محذوفٌ.

قوله: (﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾) اختُلف في الأمر؛ فقيل: للوجوب، وقيل: لِلندب، والأمر متعلق بالمخدومِين لا بالخدم.

وسبب نزول هذه الآية: أنَّ رسول الله ﷺ بعث غلاماً من الأنصار يُقال له: مدلج بن عمرو إلى عمر بن الخطاب يَدعوه، فوجده نائماً وقد أغلق عليه الباب، فدقَّ الغلام عليه الباب، فناداه فدخل، فاستَيقظ عمر، فانكشَف منه شيءٌ، فقال عمر: وَدِدت أنَّ الله نهى أبناءنا ونِساءنا وخدمنا

(١) قرأ العامة بتاء الخطاب، وقرأ حمزة وابن عامر بياء الغيبة. انظر «الدر المصون» (٨/ ٤٣٥).

(٢) عطف خبر على إنشاء على رأي بعضهم. «فتوحات» (٣/ ٢٥١).

﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٍ لَّكُمۡۚ﴾ ....

وعَرَفُوا أمرَ النِّساء، ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍۚ﴾ في ثلاثةِ أوقاتٍ: ﴿مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾ أي: وقتَ الظُّهر، ﴿وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٍ لَّكُمۡۚ﴾ ـ بِالرَّفعِ خَبرٌ مُبتدأ مُقدَّر بعدَه مُضاف، وقامَ المُضاف إلَيهِ مَقامَه، أي: هي أوقاتُ، وبِالنَّصبِ بِتَقديرِ (أوقات) مَنصُوباً بَدَلاً مِن مَحَلِّ ما قبلَه، قامَ المُضاف إلَيهِ مَقامَه ـ، وهي لِإلقاءِ الثِّياب تَبدُو فِيها العَوراتُ، ....

حاشية الصاوي

ألا يدخلوا علينا في هذه الساعات إلا بإذن، ثمَّ انطلق إلى رسول الله ﷺ، فوَجد هذه الآية قد نزَلت، فخرَّ ساجداً؛ شكراً لله تعالى[1].

قوله: (وعرفوا أمر النساء) أي: ميِّزوا بين العورة وغيرها.

قوله: (في ثلاثة أوقات) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍۚ﴾ منصوبٌ على الظرفيَّة.

قوله: (﴿مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ﴾) أي: لأنه وقتُ القيام من النوم، ولبس ثِياب اليقظة.

قوله: (﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم﴾) أي: التي تُلبس في اليقظة، تَضعونها لأجل القيلولة.

قوله: (﴿مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾) أي: من أجل الظهيرة، وهي: شدَّة الحرِّ.

قوله: (﴿وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ﴾) أي: لأنه وقت التجرُّد عن الثياب، والنَّوم في الفراش.

قوله: (بالرفع) أي: وعليه: فالوقف على قوله: ﴿ٱلۡعِشَآءِۚ﴾.

قوله: (أي: هي أوقات. . . إلخ) أي: فالأصل: أوقاتُ ثلاثِ عوراتٍ، حذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مُقامه.

قوله: (وبالنصب) أي: وعليه: فالوقف على ﴿لَّكُمۡۚ﴾، والقراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (وهي لإلقاء الثياب) مبتدأ، وقوله: (تبدو بها العورات) خبره[3].

---

(١) رواه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٧/ ١١٦)، وانظر «زاد المسير» (٣/ ٣٠٤).

(٢) قرأ أبو بكر وحمزة والكسائي بالنصب، والباقون بالرفع. انظر «السراج المنير» (٢/ ٦٣٨).

(٣) وقوله: (لإلقاء الثياب. . . إلخ) علَّة مقدمة، وهذا بيان لحكمة النهي، وبيان لتسميتها عورات. «فتوحات» (٣/ ٢٥٢).

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٥٨﴾ ....

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: المَمالِيكِ والصِّبيانِ ﴿جُنَاحٌ﴾ في الدُّخول عليكم بِغَيرِ استِئذانٍ ﴿بَعْدَهُنَّ﴾ أي: بعدَ الأوقاتِ الثَّلاثةِ، هُم ﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُم﴾ لِلخِدمةِ، ﴿بَعْضُكُمْ﴾ طائفٌ ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، والجُملةُ مُؤكِّدة لِما قَبلها، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما بَيَّنَ ما ذُكِرَ ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ﴾ أي: الأحكامَ، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِأُمُورِ خَلقِه، ﴿حَكِيمٌ﴾ بِما دَبَّرَهُ لَهُم. وآيَةُ الاستِئذان قِيل: مَنسُوخةٌ، وقِيل: لا، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ﴾) أي: في تَمكينكم إيَّاهم من الدخول عليكم.

قوله: (﴿وَلَا عَلَيْهِمْ﴾) أي: في الدخول؛ لِعدم تكليفهم.

قوله: (هم ﴿طَوَّافُونَ﴾) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿طَوَّافُونَ﴾ خبرٌ لمحذوفٍ.

قوله: (﴿عَلَىٰ بَعْضٍ﴾) الجارُّ والمجرور متعلقٌ بمحذوف خبر عن قوله: ﴿بَعْضُكُمْ﴾، قدَّره المفسِّر بقوله: (طائف).

قوله: (والجملة مؤكِّدة لما قبلها) وقيل: ليست مؤكدة؛ لأنَّ المعنى: الأطفال والمماليك يَطوفون عليكم للخدمة، وأنتم تَطوفون عليهم للاستخدام، فلو كُلِّفتم الاستئذان في هذه الأوقات وغيرها. لَضاق الأمر عليكم، فقوله: ﴿بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ فيه زيادةٌ على ما قبله.

قوله: (وآية الاستئذان) أي: قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ...﴾ إلخ.

قوله: (قيل: منسوخة) أي: لِما روي أنَّ نفراً من العراق قالوا لابن عباس: كيف تَرى في هذه الآية التي أُمِرنا بها ولا يَعمل بها أحدٌ؟ فقال ابن عباس: (إن الله عليم رحيم بالمؤمنين، يحبُّ الستر، وكان الناس ليس لبيوتهم سُتورٌ ولا حجابٌ، فربَّما دخل الخادم أو الولد أو يَتيم الرجلِ والرجلُ على أهله، فأمر الله بالاستئذان في تلك العورات، فجاءهم الله بالستور والحجب، فلم أر أحداً يعمل بذَلك بعد)[1].

قوله: (وقيل: لا) أي: كما رُوي عن سعيد بن جبير؛ حيث قال: يَقولون: نسخت، والله ما نسخت، ولكن ممَّا تهاوَن بها الناس[2].

---

(١) رواه أبو داوود (٥١٩٢). (٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢١٣).

﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ ....﴾

ولكِن تهاوَن النَّاس في تَرك الاستِئذان.

(٥٩) ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ﴾ أيُّها الأحرارُ ﴿ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾ في جَمِيعِ الأوقاتِ ﴿كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: الأحرارُ الكِبارُ، ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

(٦٠) ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ قَعَدنَ عنِ الحَيض والوَلَد لِكِبَرِهنَّ، ﴿ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ لِذلك، ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (ولكن تهاون الناس في ترك الاستئذان) أي: لِكثرة الغطاء والوطاء، ومع ذلك: فالمناسب تعليم الاستئذان في هَذه الأوقات لِلصبيان والمماليك؛ لِيَكونوا متخلِّقين بالأخلاق الجميلة.

قوله: (﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ﴾) مقابل قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ﴾.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾) أي: الذين ذكروا في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ...﴾ الآية.

قوله: (﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾) أي: أحكامَهُ.

قوله: (﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾) أي: بأمور الخلائق، فالذي ينبغي التخلُّقُ بأخلاق الشرع، ولا يعوِّل الإنسان على ما يَعلمه من صيانة حريمه، ويترك آداب الشرع.

قوله: (﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ﴾) جمع قاعد، بغير تاء؛ كـ(حائض) و(طامث)؛ فإنَّ هذا الوصف مخصوصٌ بالنساء، وكلُّ وصفٍ مخصوصٍ بالنساء.. فلا يحتاج لِتمييزٍ بتاء. وهو مبتدأ، و(اللاتي): صفته، وقوله: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ﴾: خبره، وقرن بالفاء؛ لِعموم المبتدأ؛ فإنَّ (أل) فيه اسم موصول، أو لكونه وُصف بالاسم الموصول.

قوله: (قعَدن عن الحيض) أي: انقطع حَيضهنَّ.

قوله: (﴿ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾) أي: لا يَطمعن فيه؛ لموت شهوتهنَّ عن الرجال.

أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٍۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ....

﴿أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ مِن الجِلباب والرِّداء والقِناع فوقَ الخِمار، ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ﴾: مُظهِراتٍ ﴿بِزِينَةٍ﴾ خَفيَّة كقِلادةٍ وسِوارٍ وخَلخالٍ، ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ﴾ بأن لا يَضَعْنَها ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لِقَولِكُم، ﴿عَلِيمٌ﴾ بِما في قُلُوبِكُم.

﴿٦١﴾ ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ في مُؤاكَلةِ مُقابِلِيهِم،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَن يَضَعْنَ﴾) أي: يَنزعن.

قوله: (من الجلباب) أي: وهو الملحفة التي يُغطى بها جميع البدن؛ كالملاءة والحبرة.

قوله: (والقناع) أي: الذي يُلبس فوق الخمار؛ لستر الوجه والعنق.

قوله: (﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٍ﴾) أي: متزيِّنات؛ فحيث وجد الشرط.. جاز لهنَّ كشف الوجه واليدَين بين الأجانب؛ لعدم الفتنة، وهو المفتى به عند مالك، وأحد قولين عند الشافعي[1].

قوله: (بألَّا يَضعنها) أي: بأن يُدِمْنَ السَّتر للوجه والكفَّين بين الأجانب.

قوله: (﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾) أي: لما فيه من سدِّ الذرائع، فالأفضل لهنَّ السَّتر للوجه واليدين؛ لأنَّ كلَّ ساقطةٍ لها لاقطةٌ.

قوله: (﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾... إلخ) اختلف العلماء في سبب نُزول هذه الآية؛ فقال ابن عباس: لما نزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ تحرَّج المسلمون عن مُؤاكلة المرضى والزمنى والعُمْي والعُرْج، وقالوا: الطعام أفضل الأموال، وقد نهانا الله تعالى عن أكل المال بالباطل، والأعمى لا يُبصر موضع الطعام الطيب، والأعرج لا يتمكن من الجلوس، ولا يستطيع المزاحمة على الطعام، والمريض يَضعف عن التناول، ولا يستوفي حقَّه من الطعام، فنزلت هذه الآية، وعلى هذا: فتكون (على) بمعنى (في) أي: ليس عليكم في مؤاكلة الأعمى والأعرج والمريض حرجٌ.

وقيل: سبب نزولها: أنَّ هؤلاء الجماعة كانوا يَتحرَّجون عن مؤاكلة الأصحَّاء؛ خوف أن يَستقذروهم، وعلى هذا: فـ(على) على بابها.

---

(١) انظر «الذخيرة» للإمام القرافي (١٣/ ٣١٥)، و«تحفة المحتاج» (٧/ ١٩٣).

وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ ....

﴿وَلَا﴾ حَـرَجَ ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ أي: بُيُوتِ أولادكُم، ﴿أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ﴾ ....

حاشية الصاوي

وقيل: إنَّ الآية نزلت في الجهاد، والمعنى: ليس على هؤلاء حرجٌ في التخلُّف عن الجهاد.

وقيل: كانت الصحابة إذا خرجوا للغزو.. دَفعوا مفاتيح بيوتهم لهؤلاء الجماعة، ويقولون لهم: قد أحلَلنا لكم أن تأكلوا ممَّا في بيوتنا، فكانوا يتحرَّجون من ذلك ويقولون: لا نَدخلها وأصحابها غائبون؛ مخافة ألَّا يكون إذنُهم عن طيب نفس، فنزلت هذه الآية رُخصةً لهم. وكلٌّ صحيحٌ[(١)].

إذا علمتَ ذلك.. فنفي الحرج عن هؤلاء في أُمور مخصوصة، وليس ذلك على العموم؛ فإنَّ ما كُلِّف به الصحيح كُلِّفَ به غيره.

قوله: (مُقابليهم) أي: السالمين من هذه الثلاثة.

قوله: (﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾) معطوف على ﴿ٱلْأَعْمَىٰ﴾، والمعنى: ليس عليكم حرجٌ في الأكل من بُيوتكم.

قوله: (﴿مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾) بضمِّ الباء وكسرها، قراءتان سبعيَّتان هنا وفي جميع ما يَأتي[(٢)].

قوله: (أي: بيوت أولادكم) أي: ذكوراً أو إناثاً؛ لأنَّ بيت الولد كبَيته؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «أنتَ ومالك لأبيك»[(٣)]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**إنَّ أطيب ما يأكل المرء من كَسبه، وإنَّ ولَده من كسبه**»[(٤)]، والحاملُ للمفسِّر على هذا التقدير عدمُ توهُّم حرمة الأكل من بيت نفسه، وعدمُ ذكر الأولاد صراحةً، فدلَّ ذلك على أنَّ المراد بـ﴿بُيُوتِكُمْ﴾: بيوتُ أولادكم.

قوله: (﴿أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ﴾) أي: وإن علَوْا.

قوله: (﴿إِخْوَٰنِكُمْ﴾) جمع أخ، ويجمع على (إخوة) وهو المراد هنا؛ لأنَّ المراد بهم إخوة النسب، وهم مَنْ شاركُوه في رحم أو صلب.

---

(١) ذكر الأقوال كلها ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/٣٠٧)، وانظر «الدر المنثور» (٦/٢٢٣ ـ ٢٢٦).

(٢) قرأ ورش وأبو عمر وحفص بضم الباء الموحدة، والباقون بكسرها. انظر «السراج المنير» (٢/٦١٣).

(٣) رواه أبو داوود (٣٥٣٠)، وابن ماجه (٢٢٩٢) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٤) رواه أبو داوود (٣٥٢٨)، والنسائي في «المجتبى» (٧/٢٤٠)، وابن ماجه (٢١٣٧) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها.

أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ....

أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ أي: خَزَنتُمُوه لِغيرِكُم، ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ وهو مَن صَدَقَكُم في مَوَدَّتِه، المَعنى: يَجوزُ الأكلُ مِن بُيُوتِ مَن ذُكِر وإن لَم يَحضُرُوا، أي: إذا عُلِمَ رِضاهُم به، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ﴾) جمع أخت؛ أي: مما تَملكه، أو من ملك زوجها إن كان صديقاً له أو مأذوناً فيه[1]، وكذا يقال فيما يأتي.

قوله: (﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم﴾) بالتخفيف، وقرئ شذوذاً بضم الميم وتشديد اللام مكسورة؛ أي: ملَّككم غيركم[2].

قوله: (﴿مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾) جمع (مِفْتَح) بكسر الميم في قراءة العامَّة، وقرئ: (مفاتيحه) بالياء، و(مفتاحَه) بالإفراد[3].

قوله: (أي: خزنتموه لغيركم) أي: حَفِظتموه بأن تكونوا وكلاءَ عليه؛ لقول ابن عباس: (عنى بذلك وكيل الرجل وقَيِّمَه في ضيعته وماشيته؛ فلا بأس عليه أن يأكل من ثمرتِه وثمرة ضيعته، ويشرب من لبن ماشيتِه، ولا يحمل ولا يدَّخر). انتهى[4].

قوله: (وهو من صدقكم في مودَّته) أي: من كان خالصاً لكم في المحبَّة.

قوله: (من بيوت مَن ذكر) أي: الأصناف الأحد عشر، وخصُّوا بالذكر؛ لأنَّ الشأن التَّبسط بينهم.

قوله: (أي: إذا علم رضاهم به) أي: ولو بقرينة، وهذا أحد قولين للعلماء، وقيل: يجوز الأكل من بيوت مَنْ ذكر ولو لم يَعلم رضاهم به؛ لأن القرابة التي بينهم تقتضي العطف والسماح.

---

(١) في (ط٢): (أو مأذونة فيه).

(٢) وبها قرأ ابن جبير. انظر «الدر المصون» (٨/ ٤٤٤).

(٣) قرأ ابن جبير (مفاتيحه) بالياء بعد التاء جمع مفتاح، وقرأ أبو عمرو في رواية هارون عنه: (مفتاحه) بالإفراد، وهي قراءة قتادة. انظر «الدر المصون» (٨/ ٤٤٤).

(٤) رواه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٧/ ١١٩).

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً ....

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا﴾: مُجتمِعِين ﴿أَوْ أَشْتَاتًا﴾: مُتفرِّقِين، جَمع شَتٍّ، نَزل فِيمَن تَحرَّج أن يَأكُلَ وحدَه، وإذا لَم يَجِد مَن يُؤاكِلهُ يَترُكُ الأكلَ، ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا﴾ لَكُم لا أهلَ بِها ﴿فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: قُولُوا: السَّلام علَينا وعلى عِبادِ الله الصَّالِحِين، فإنَّ المَلائكة تَرُدُّ علَيكُم، وإنْ كان بِها أهلٌ فسَلِّمُوا علَيهِم، ﴿تَحِيَّةً﴾: ـ مَصدَر (حَيَّا) ـ ....

حاشية الصاوي

فإن قلتَ: على الأول حيث كان مشروطاً بعلم رضاهم؛ فلا فرقَ بينهم وبين غيرهم من الأجانب.

وأجيبَ: بأنَّ هؤلاء يكفي فيهم أدنى قرينة، بل الشرط فيهم ألَّا يعلم عدم الرضا، بخلاف غيرهم من الأجانب؛ فلا بدَّ من عِلم الرضا بصريح الإذن أو قرينة.

قوله: (مجتمعين) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿جَمِيعًا﴾ حال من فاعل ﴿تَأْكُلُوا۟﴾، وكذا قوله: ﴿أَشْتَاتًا﴾.

قوله: (جمع شَتٍّ) هو مصدر بمعنى: التفرُّق.

قوله: (نزل فيمن تحرَّج... إلخ) أي: فهو كلامٌ مستأنفٌ بيانٌ لحكمٍ آخرَ، وهم فريق من المؤمنين يقال لهم: بنو ليث بن عمرو، من كِنانة، كان الرجل منهم لا يأكل ويمكث يومه حتى يجد ضيفاً يأكل معه؛ فإن لم يجد مَنْ يُؤاكله.. لم يأكل شيئاً، وقيل: نزلت في قومٍ تحرَّجوا عن الاجتماع على الطعام؛ لاختلاف الآكلين في كثرة الأكل وقلَّته[1].

قوله: (﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا﴾ لكم) أي: مساكنكُم.

قوله: (﴿تَحِيَّةً﴾) منصوب على المصدر من معنى ﴿فَسَلِّمُوا۟﴾، من بابِ: جلست قعوداً، وقمت وقوفاً.

---

(١) وقيل: إنَّ قوماً من الأنصار كانوا لا يأكلون إذا نزل بهم ضيفٌ إلا مع ضيفهم، فنزلت هذه الآية، ورخَّص لهم أن يأكلوا جميعاً أو أشتاتاً، قاله عكرمة. انظر «زاد المسير» (٣/٣٠٨).

﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ ....

﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ يُثاب عليها، ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي: يُفَصِّل لَكُم مَعالِمَ دِينِكُم، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لِكَي تَفهَمُوا ذلك.

﴿٦٢﴾ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ﴾ أي: الرَّسُولِ ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ كخُطبةِ الجُمُعة ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا۟﴾ لِعُرُوضِ عُذرٍ لَهُم ﴿حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾: أمرِهِم ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾) أي: ثابتةً بأمره.

قوله: (﴿مُبَٰرَكَةً﴾) أي: لأنه يرجى بها زيادة الخير والثواب.

قوله: (لكي تفهموا ذلك) أي: معالمَ دينِكم، فهذا أمرُ إرشادٍ وأدبٍ للعباد.

قوله: (﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾... إلخ) المقصودُ من هذه الآية: مدحُ المؤمنين الخالصين، والتعريضُ بذمِّ المنافقين، و﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصر، و﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: مبتدأ، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: خبرُه.

قوله: (﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾) إسناد الجمع للأمر مجازٌ عقلي، وحقُّه أن يُسند للمؤمنين.

قوله: (كخطبة الجمعة) أي: والأعياد والحروب والحديث وغير ذلك، وكان رسول الله ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرجَ من المسجد لحاجةٍ أو عذرٍ.. لم يخرج حتى يقومَ تجاه النبي ﷺ؛ بحيث يراه فيَعرف أنه إنما قام يستأذن، فيأذن لمن شاء منهم.

قوله: (﴿حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾) أي: يَطلبوا منه الإذن، فيأذن لهم.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ﴾... إلخ) هذا توكيدٌ لما تقدَّم، ذكر تفخيماً وتعظيماً للاستئذان.

قوله: (﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾) أي: كما وَقع لسيدنا عمر بن الخطاب حين خرج مع النبي ﷺ في غزوة تَبوك حين استأذن الرسول في الرجوع إلى أهله، فأذن له النبي ﷺ وقال له:

فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ ....

﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ بالانصراف، ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿٦٣﴾ ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ بِأن تَقُولُوا: يا مُحمَّد، بل قُولُوا: يا نَبِيَّ الله، يا رَسُولَ الله، في لِين وتَواضُع وخَفضِ صَوتٍ، ....

حاشية الصاوي

«ارجع فلستَ بمنافق»[1]، وكتخلُّف عثمان لتجهيز زوجته بنت رسول الله ﷺ حين ماتت والنبي مُتجهز لغزوة بدر.

قوله: (﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾) في ذلك تفويض الأمر إلى رسول الله ﷺ؛ لأنه الواسطة العظمى بين الخلق وربِّهم، فإذا أذن لأحد.. عُلم من ذلك أنَّ رضا الله في إذنه، قال العارف[2]:

[الوافر]

وخصَّك بالهدَى في كُلِّ أمرٍ ... فلَستَ تَشاءُ إلَّا ما يشاءُ

قوله: (﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ﴾) أي: لِيُعوِّضهم بدل ما فاتهم من مُجالستك من أجل العذر الذي نزل بهم.

قوله: (﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ﴾) أي: نداءه، بمعنى: لا تُنادوه باسمه فتقولوا: يا محمد، ولا بكنيته فتقولوا: يا أبا القاسم، بل نادُوه وخاطبوه بالتعظيم والتكريم والتوقير؛ بأن تقولوا: يا رسول الله، يا نبيَّ الله، يا إمام المرسلين، يا رسول رب العالمين، يا خاتم النبيين... وغير ذلك.

واستفيد من الآية: أنه لا يجوز نداء النبي بغير ما يُفيد التعظيم؛ لا في حياته، ولا بعد وفاته، فبهذا يعلم أن من استخفَّ بجنابه ﷺ.. فهو كافر ملعون في الدنيا والآخرة.

قوله: (وخفض صوت) أي: لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا

---

(١) وهو قول الضحاك ومقاتل، وقال ابن عباس: إن عمر استأذن النبي ﷺ في العمرة، فأذن له ثم قال: «يا أبا حفص لا تنسنا من صالح دعائك». انظر «السراج المنير» (٢/ ٦٤٤).

(٢) من قصيدة للإمام العارف عبد الله بن محمد الشبراوي في ديوانه «منائح الألطاف بمدائح الأشراف» (ص٣٩) مطلعها:

رسولَ الله ضاقَ بيَ الفضاءُ ... وجلَّ الخطبُ وانقطع الرجاءُ

قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ

﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ أي: يَخرُجُون مِن المَسجِد في الخُطبةِ مِن غيرِ استِئذانٍ خُفيةً مُستَتِرين بشَيءٍ، ـ و﴿قَدْ﴾ لِلتَّحقيقِ ـ ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ أي: اللهِ أو رَسُولِه ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾: بَلاءٌ ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخِرة.

﴿٦٤﴾ ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مُلكاً وخَلقاً وعَبِيداً، ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ﴾ أيُّها المُكلَّفُون ﴿عَلَيْهِ﴾ مِن الإيمانِ والنِّفاق، ....

حاشية الصاوي

تَجْهَرُوا لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]، وهذه الآداب كما تكون في حقِّ النبي تكون في حقِّ حَمَلة شريعته؛ فيَنبغي لتلامذة الأشياخ أن يفعلوا معهم هذه الآداب، ويتخلَّقوا بها؛ ليحصلَ لهم الفتوح والفلاح.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ﴾) أي: يذهبون واحداً بعد واحدٍ؛ لأنَّ المنافقين كانوا يجتمعون مع الصحابة إذا رقي النبي ﷺ المنبر، فإذا كثر الناس.. نظروا يميناً وشمالاً، ويخرجون واحداً بعد واحد إلى أن يذهبوا جميعاً.

قوله: (﴿لِوَاذًا﴾) حال من الواو في ﴿يَتَسَلَّلُونَ﴾[1]، من: التلاوذ، وهو: الاستتار؛ بأن يغمز بعضهم بعضاً بالخروج.

قوله: (﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ﴾... إلخ) مرتَّبٌ على ما قبله، وضمَّن ﴿يُخَالِفُونَ﴾ معنى (يُعرضون) فعدَّاه بـ(عن).

قوله: (﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾) «أنْ» وما دخلت عليه: في تأويل مصدر مفعول (يحذر)؛ أي: إصابةَ فتنة.

قوله: (﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ﴾) «أو»: مانعة خلوٍّ تجوِّز الجمع.

قوله: (﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ﴾... إلخ) كالدليل لما قبله.

قوله: (﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾) ﴿قَدْ﴾: للتحقيق، والمعنى: أنَّ الله يَعلم الأمر الذي في قلوب المنافقين من المخالَفة والإعراض عن أوامر الله تعالى.

---

(١) وقد يكون منصوباً على المصدر من معنى الفعل الأول؛ إذ التقدير: يَتسللون منكم تسللاً، أو يُلاوذون لِواذاً. انظر «الدر المصون» (٨/ ٤٤٧).

﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾

﴿وَ﴾ يَعلَم ﴿يَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ - فِيه التِفاتٌ عن الخِطاب - أي: مَتى يَكُون، ﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾ فِيه ﴿بِمَا عَمِلُوا۟﴾ مِن الخَير والشَّرِّ، ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ﴾ مِن أعمالِهِم وغيرِها ﴿عَلِيمٌۢ﴾.

✿ ✿ ✿

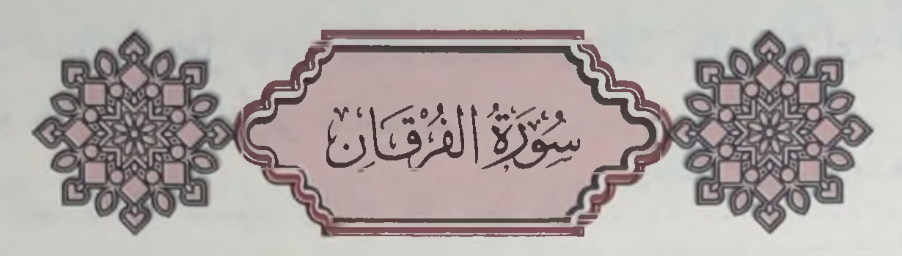
حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾) معطوف على (ما) أي: يردُّون إليه، وهو يوم البعث.

قوله: (﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟﴾) أي: يخبرهم بأعمالهم، فيثيبهم على الحسنات، ويُعاقبهم على السيئات.

✿ ✿ ✿

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ ....



مَكِّيَّة إلَّا ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ... إلى: رَّحِيمًا﴾ فمَدنِي، وهي سبعٌ وسبعونَ آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ﴿تَبَارَكَ﴾: تَعالى ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾: القُرآنَ؛ ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ الفُرقَان

سمِّيت بذلك؛ لأنَّ بها الفرقَ بين الحقِّ والباطلِ؛ لاشتمالها على أحكام التوحيد وأدلَّته، ومكارمِ الأخلاق، وأحوالِ المعاد.

قوله: (إلى قوله: ﴿رَّحِيمًا﴾) أي: وهو ثلاث آيات.

قوله: (تعالى) أي: تنزَّه في ذاته وصفاته وأفعاله عن النقائص ومُماثلةِ ما سواه له؛ لأنه قديمٌ، وما سواه حادثٌ. أو معنى ﴿تَبَارَكَ﴾: تَعاظم؛ أي: اتَّصف بكلِّ كمالٍ، ولا يوصف بهذا الوصف غيره تعالى، فلا يقال: تبارك النبي، ولا تبارك السلطان مثلاً، وهو فعلٌ ماض غير متصرف؛ فلا يأتي منه مضارع ولا مصدر ولا اسم فاعل.

قوله: (﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾) أي: من الفَرق، وفعله: فَرَقَ من باب (قتل)، وبها قرئ قوله تعالى: ﴿فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٥]، وقرئ شذوذاً من باب (ضرَب)[1]، وهو بالتخفيف في المعاني، وبالتشديد في الأجسام، يقال: فَرَقْتُ بين الكلامين، وفرَّقت بين العبدَين، والصحيح: أنهما بمعنى واحد في المعاني والأجسام.

قوله: (القرآن) ويسمَّى به البعض كما يسمَّى به الكل؛ فالسورة الواحدة تسمَّى فرقاناً، والجميع

(١) وبها قرأ يوسف بن داوود وعبيد بن عمير. انظر «الدر المصون» (٤/ ٢٣٦).

عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا ....

لِأَنَّهُ فرَّقَ بَين الحَقِّ والباطِل ﴿عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ﴾ مُحمَّد؛ ﴿لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي: الإنسِ والجِنِّ دُون المَلائكةِ ﴿نَذِيرًا﴾: مُخَوِّفاً مِن عَذابِ الله.

﴿٢﴾ ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا ....

حاشية الصاوي

يسمَّى فرقاناً؛ لأنه مُعجزٌ للبشر، وفارقٌ بين الحق والباطل، كلاً أو بعضاً، ويصح أن يرادَ به جملة القرآن، ويكون ﴿نَزَّلَ﴾ مستعملاً في حقيقته بالنسبة لما نزل إذ ذاك، وبمعنى المستقبل بالنسبةِ لما سينزل.

قوله: (لأنه فرق بين الحق والباطل) أي: ميَّز بينهما، وقيل: لأنه نزل مفرَّقاً في أوقات كثيرة.

قوله: (﴿عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ﴾) إنما وصفه بهذا الوصف؛ لأنه أشرفُ الأوصافِ وأعلاها.

قوله: (﴿لِيَكُونَ﴾) عِلة لقوله: ﴿نَزَّلَ﴾، والضمير عائدٌ على النبي ﷺ؛ لأنه أقرب مذكور، ويصح أن يكون عائداً على ﴿ٱلۡفُرۡقَانَ﴾، أو المُنْزِلِ وهو الله تعالى، والأوضَح الأول.

قوله: (دون الملائكة) أشار بذلك إلى أنَّ الإنذار خاصٌّ بالإنس والجنِّ؛ لأنَّ الملائكة لا تجوز عليهم المعاصي والمخالفة؛ لِعصمتهم من ذلك وإن كان النبي عليه الصلاة والسلام أُرسِلَ لهم إرسالَ تكليفٍ بما يَليق بهم على المعتمَد.

والحاصل: أنَّ إرسالَ النبي ﷺ للثقلين إرسالُ تكليفٍ، وكذا للملائكة، وأمَّا الحيوانات التي لا تعقل والجمادات.. فإرسالُ تشريفٍ.

قوله: (﴿نَذِيرًا﴾) أي: وبشيراً، وإنما اقتصر على الإنذار؛ لأنَّ السورة مكيَّةٌ، وفي ذلك الوقت لم يصلحُوا للتبشير.

قوله: (﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾) نعتٌ للموصول الأول، أو بيانٌ، أو بدلٌ، أو خبرٌ لمحذوف؛ أي: هو الذي، أو منصوبٌ على المدح، وما بعده من تمام الصلة؛ فلا يَلزم عليه الفصل بأجنبي بين الموصول الأول والثاني على جعلِه تابعاً له.

قوله: (﴿وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا﴾) ردٌّ على اليهود والنصارى.

وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ ....

وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ مِن شأنِه أن يُخلَق ﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾: سَوَّاهُ تَسويةً.

﴿٣﴾ ﴿وَٱتَّخَذُوا۟﴾ أي: الكُفَّارُ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾) ردٌّ على عبَّاد الأصنام.

قوله: (﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾) كالدليل لما قبله؛ لأنَّ الخالق لكلِّ شيءٍ لا شريك له ولم يتخذ ولداً.

قوله: (مِن شأنه أن يخلق) دفع بذلك ما يقالُ: إنه دخل في (الشيء) ذاتُهُ تعالى وصفاتُهُ، فأجاب: بأنَّ المراد بالشيء: ما شأنه أن يتعلَّق به الخَلق وهو المعدوم.

قوله: (سوَّاه تسوية) أي: عدَّله تعديلاً؛ بأن جعَله على شكلٍ حسنٍ. ودفع بذلك ما قيل: إنَّ الآية فيها قلبٌ؛ لأنَّ الخلق متأخِّر عن التقدير؛ لأنَّ التقدير أزليٌّ لأنه تعلُّقُ العلم والإرادة الأزلي، والخَلق حادثٌ؛ لأنه تعلُّق القدرة التنجيزيُّ الحادثُ.

فأجاب: بأنَّ التقدير معناه: التصوير على شكل حسنٍ، ولا شكَّ أنَّ ذلك حاصلٌ بعد إيجاده على طِبق العلم والإرادة، وهذا سرُّ قول الغزالي: (ليس في الإمكان أبدَع ممَّا كان)[1]؛ لأنَّ ما أوجده الله من المخلوقات تعلَّق به العِلم والإرادة أزلاً، فوُجِدَ على طبق ذلك، فإذا كان كذلك.. كان التغيير لذلك مستحيلاً؛ لأنه حينئذٍ ينقلب عِلم الله جهلاً، وهو لا تتعلَّق به القدرة.

إن قلتَ: يشكل على هذا قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَقَـٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [المعارج: ٤٠-٤١] فإنه يقتضي أنَّ في قدرة الله إذهابَ هذا العالم والإتيانَ بغيره.

أجيب: بأنَّ ما في الآية باعتبار التعلُّق الصلاحي لِلقدرة والتجويز العقلي، وما قاله الغزاليُّ باعتبار التعلُّق التنجيزيِّ الذي حصَل متعلَّقه.

قوله: (أي: الكفار) أي: المعلومون من قوله: ﴿لِلْعَـٰلَمِينَ﴾[2].

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٢٥٨).

(٢) ويجوز أن يعود على من ادَّعى لله شريكاً وولداً؛ لدلالة قوله: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾، وأن يعود على المنذرين؛ لدلالة ﴿نَذِيرًا﴾ عليهم. انظر «الدر المصون» (٨/ ٤٥٤).

مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ ....

﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: اللهِ أي: غيره ﴿ءَالِهَةً﴾ هي الأصنام ﴿لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا﴾ أي: دَفعَه، ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ أي: جَرَّه، ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً﴾ أي: إماتةً لِأحَدٍ وإحياءً لِأحدٍ، ﴿وَلَا نُشُورًا﴾ أي: بَعثاً لِلأمواتِ.

﴿٤﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ﴾ أي: ما القُرآنُ ﴿إِلَّآ إِفْكٌ﴾: كَذِبٌ ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ مُحمَّد ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ وهُم مِن أهلِ الكِتابِ، قال تَعالى: ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾: كُفراً وكَذِباً، أي: بِهِما.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ءَالِهَةً﴾) وصفهم بسبعة أوصاف أوّلها: قوله: ﴿لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا﴾، وآخرها قوله: ﴿وَلَا نُشُورًا﴾.

قوله: (﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾) أي: يصوَّرون من حجارةٍ وغيرها بنحت عبادها لها.

قوله: (﴿لِأَنفُسِهِمْ﴾) أي: فضلاً عن غيرهم.

قوله: (﴿ضَرًّا﴾) قدَّمه؛ لأنَّ دفعه أهمُّ، وقدَّم الموت؛ لمناسبة الضرِّ.

قوله: (﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾) شروعٌ في ذِكر أباطيلهم المتعلِّقة بالقرآن إثْرَ أكاذيبهم المتعلِّقة بالله تعالى.

قوله: (﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾) أي: اختلقه.

قوله: (وهُم من أهل الكتاب) أراد بهم اليهود؛ حيث قالوا: إنهم يأتون له بالأخبار الماضية، وهو يعبِّر عنها بعباراتٍ من عنده، فهذا معنى إعانتِهم له.

قوله: (قال تعالى) أي: ردًّا لِمقالتهم.

قوله: (كفراً وكذباً) لفٌّ ونشرٌ مرتَّب.

قوله: (أي: بهما) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿ظُلْمًا وَزُورًا﴾ منصوبان بنزع الخافض، ويصح نصبهما بـ(جاء) بتضمينه معنى (فَعَلَ).

وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٥﴾ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٦﴾ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ

﴿٥﴾ ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ أيضاً: هو ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: أكاذِيبُهم، جمع أُسطُورة - بالضَّمِّ - ﴿ٱكۡتَتَبَهَا﴾: انتَسَخَها مِن ذلك القوم بِغَيرِه، ﴿فَهِيَ تُمۡلَىٰ﴾: تُقرأ ﴿عَلَيۡهِ﴾ لِيَحفَظَها ﴿بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾: غُدْوةً وعَشِيًّا، قال تعالى رَدًّا عليهم:

﴿٦﴾ ﴿قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ﴾: الغَيبَ ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا﴾ لِلمُؤمِنين، ﴿رَّحِيمٗا﴾ بِهِم.

﴿٧﴾ ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَقَالُوٓاْ﴾ أيضاً) أي: كما قالوا ما تقدَّم.

قوله: (﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾) خبرٌ لمحذوفٍ، قدَّره بقوله: (هو).

قوله: (﴿ٱكۡتَتَبَهَا﴾) أي: أمر بكَتْبِها؛ لأنهم يعلمون أنَّه أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب.

قوله: (من ذلك القوم) المناسب أن يقول: (من أولئك القوم).

قوله: (تقرأ ﴿عَلَيۡهِ﴾) أي: فليس المرادُ بالإملاء الإلقاءَ على الكاتب لِيَكتبه.

قوله: (﴿بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾) المراد: دائماً أبداً.

قوله: (ردًّا عليهم) أي: مقالتهم الشنيعة.

قوله: (الغيب) أي: ما غاب عنَّا.

قوله: (لِلمؤمنين) كذا قال المفسِّر، ويصح أن يكون المراد الكفار، فيكون تعليلاً لمحذوف تقديره: وأخَّر عقابكم ولم يعاجلكم به؛ لأنه... إلخ، وقوله: ﴿كَانَ﴾ أي: ولم يَزل.

قوله: (﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ﴾... إلخ)[1] شروعٌ في بعض قَبائحهم التي قالوها في حقِّ الرسول عليه السلام، والمعنى: أيُّ شيء حَصل لهذا الذي يدَّعي الرسالةَ حالة كونه يأكل الطعام كما نأكل، ويمشي في الأسواق لِطَلبه الرزقَ كما نفعل؛ فتسميَتُهم إيَّاه رسولاً بطريق الاستهزاء به.

(١) وقعت اللام في المصحف مفصولة عن (هذا) خارجة عن أوضاع الخط العربي، وخطُّ المصحف سنَّةٌ لا تغيَّر. انظر «الكشاف» (٣/ ٢٧٠).

يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ....

يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ﴾: هَلَّا ﴿أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ يُصَدِّقُهُ.

﴿٨﴾ ﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ﴾ مِن السَّماء يُنفِقُهُ ولا يَحتاجُ إلى المَشيِ في الأسواقِ لِطَلَبِ المَعاشِ، ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾: بُستانٌ ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ أي: مِن ثِمارِها فيَكتَفِي بِها، ـ وفي قِراءةٍ: (نَأكُل) بِالنُّون أي: نَحنُ ـ فيَكُون لَهُ مَزِيَّة علَينا بِها، ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: الكافِرُونَ لِلمُؤمِنِين: ﴿إِن﴾: ما ﴿تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾: مَخدُوعاً مَغلُوباً على عَقلِه. قال تَعالى:

حاشية الصاوي

قوله: (هلَّا) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿لَوْلَآ﴾ تحضيضيَّة.

قوله: (﴿فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾) بالنصب في قراءة العامَّة على جواب التحضيض، وقرئ شذوذاً بالرفع عطفاً على ﴿أُنزِلَ﴾[(١)].

قوله: (يُصدقه) أي: يَشهدُ له بالرسالة والصدق.

قوله: (﴿أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾) بالتاء في قراءة العامَّة، وقرئ شذوذاً بالياء؛ لأنَّ تأنيث الجنة مجازيٌّ[(٢)].

قوله: (﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾) إظهارٌ في موضع الإضمار، وللإشعار بوصف الظلم وتجاوز الحدِّ فيما قالوا.

قوله: (مَخدوعاً مغلوباً على عقله) أي: فالمراد بالسحر: الاختلال في العقل، من إطلاق الملزوم وإرادةِ اللازم.

---

(١) وجاز عطفه على الماضي؛ لأن المراد بالماضي المستقبَل؛ إذ التقدير: لولا ينزل. انظر «الدر المصون» (٨/٤٥٨).

(٢) وبها قرأ الأعمش وقتادة. انظر «الدر المصون» (٨/٤٥٨).

ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَـٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَيَجْعَل ....

﴿٩﴾ ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَـٰلَ﴾ بِالمَسحُورِ والمُحتاجِ إلى ما يُنفِقهُ وإلى مَلَكٍ يَقُوم مَعَهُ بِالأمرِ، ﴿فَضَلُّوا۟﴾ بِذَلك عن الهُدَى، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾: طَرِيقاً إلَيه.

﴿١٠﴾ ﴿تَبَارَكَ﴾: تَكاثَرَ خَيرُ ﴿ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ الَّذِي قالُوهُ مِن الكَنزِ والبُستان، ﴿جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ أي: في الدُّنيا لِأنَّهُ شاءَ أن يُعطِيَهُ إيَّاها في الآخِرةِ، ﴿وَيَجْعَل﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَـٰلَ﴾) خطابٌ لِرَسول الله ﷺ على سبيل الاستفهام التعجبي؛ أي: تعجَّب يا محمد من وصف هؤلاء لك بتلك الأوصاف التي كانت سبباً في ضلالهم.

قوله: (﴿فَضَلُّوا۟﴾ بذلك) أي: ضربِ الأمثالِ.

قوله: (عن الهدى) أي: الحقِّ.

قوله: (﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾) أي: لا يَقدرون على الوصول إلى الهدى؛ لما طُبِعَ على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم.

قوله: (﴿تَبَارَكَ﴾) اعلَم: أنَّ هذا الوصفَ جامعٌ لكلِّ كمالٍ، مستلزمٌ لنفي كلِّ نقصٍ، وحينئذٍ: فيَحسن تفسيره في كل مقامٍ بما يناسبه، فلمَّا كان ما تقدَّم مقامَ تنزيهٍ.. فسَّره بـ(تعالى)، ولما كان ما هنا مقامَ إعطاءٍ.. فسَّره بـ(تكاثر خيره)، ولما كان ما يأتي في آخِر السورة مقامَ عظمةٍ وكبرياءٍ.. فسَّره بـ(تعاظم)، وهكذا يقال في كلِّ مقامٍ.

قوله: (﴿خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾) أي: مما اقترحوا؛ بأن يُعجِّل لك أعظمَ من ذلك في الدنيا.

قوله: (﴿جَنَّـٰتٍ﴾) بدل من ﴿خَيْرًا﴾.

قوله: (لأنه شاء أن يُعطيه إياها في الآخرة) علة لقوله: (أي: في الدنيا)، والمعنى: تكاثر خَير الله الذي إن شاء جعل لك خيراً مما تمنَّوه لك في الدنيا، وإنما لم تَتعلَّق إرادة الله به؛ لكونه فانياً، والله سبحانه وتعالى لم يجعل الفانيَ جزاءً لأحبابه؛ لأنَّ الدنيا دارُ ممرٍّ لا مَقرٍّ، حلالها حسابٌ، وحرامُها عقابٌ، وحاشاه سبحانه وتعالى أن يُوقع حبيبه ومَنْ كان على قدمه في الحساب أو العقاب.

لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم ......

ـ بِالجزم ـ ﴿لَّكَ قُصُورًا﴾ أيضاً، ـ وفي قِراءة بِالرَّفع استِئنافاً ـ.

﴿١١﴾ ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ﴾: القِيامةِ، ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾: ناراً مُسَعَّرةً أي: مُشتَدَّة.

﴿١٢﴾ ﴿إِذَا رَأَتْهُم ....

حاشية الصاوي

قوله: (بالجزم) أي: عطفاً على محل ﴿جَعَلَ﴾؛ لأنه جوابُ الشرط، والمعطوفُ على الجواب جوابٌ.

قوله: (بالرفع استئنافاً) أي: أو معطوفٌ على جواب الشرط، بناءً على أنه غير مجزوم؛ لقول ابن مالك[١]: [الرجز]

وبَــعْــدَ مــاضٍ رفــعُــكَ الــجَــزا حَــسَــنْ

وإنما لم يجزم؛ لضعف تأثير (إن) في الشرط؛ لكونه ماضياً فارتفع، والقراءتان سبعيَّتان[٢].

قوله: (﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ﴾) إضرابٌ انتقاليٌّ من ذكر قبائحهم إلى بيانِ ما لهم في الآخرة من أنواع العذاب.

قوله: (﴿وَأَعْتَدْنَا﴾) أي: هيَّأنا وأحضرنا، وفي هذا دليلٌ على أنَّ النار مخلوقةٌ الآن؛ كما أنَّ الجنة كذلك؛ لقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

قوله: (ناراً مُسعرة) بالتشديد والتخفيف.

قوله: (﴿إِذَا رَأَتْهُم﴾) أي: حقيقةً بعينها؛ لما في الحديث: «من كذب عليَّ معتمِّداً.. فليَتبوَّأ بين عيني جهنم مقعداً»، قيل: يا رسول الله؛ أو لها عينانِ؟ قال: «أما سمعتم الله عزَّ وجل يقول: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾، يخرج عُنق من النار، له عينان يُبصران، ولسان ينطق، فيقول: وُكلت بمن جعل مع الله إلهاً آخر، فلهو أبصَر به من الطير بحبِّ السمسم يَلتقِطُه»[٣]،

(١) «الخلاصة»، باب: عوامل الجزم.

(٢) قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر برفع (ويجعل)، والباقون بإدغام لام (يجعل) في لام (لك). انظر «الدر المصون» (٨/ ٤٥٩).

(٣) عزاه ابن الأثير في «جامع الأصول» (١٠/ ٥١٨) بهذا اللفظ لرزين، وعند الطبراني في «الكبير» (٧٥٩٩) نحوه.

مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا . . . .

﴿مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا﴾: غَلَياناً كالغَضبانِ إذا غَلَى صَدرُه مِن الغَضَب، ﴿وَزَفِيرٗا﴾: صَوتاً شَدِيداً أو سَماعَ التَّغَيُّظ رُؤيتُهُ وعِلمُه.

(﴿١٣﴾ - ﴿١٤﴾) ﴿وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا﴾ ـ بِالتَّشدِيد والتَّخفِيف ـ بِأن يُضَيَّق علَيهِم، و﴿مِّنۡهَا﴾ حال مِن . . . .

حاشية الصاوي

وفي رواية: «يخرج عُنق من النار يوم القيامة، له عينان يُبصران، وأذنان يسمعان، ولسان يَنطق يقول: إني وُكِّلتُ بكلِّ جبَّار عنيد، وبكلِّ من دعا مع الله إلهاً آخر، وبالمصوِّرين». انتهى[1].

وهذا مذهبُ أهل السنة، وقالت المعتزلة: الكلام على حذف مضاف؛ أي: رأت زبانيتُهَا؛ بناءً منهم على أنَّ الرؤية مشروطةٌ بالحياة.

قوله: (﴿مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾) قيل: هو مَسيرة سنة، وقيل: مئة سنة، وقيل: خمس مئة سنة.

قوله: (أو سماعُ التغيُّظ: رؤيتُهُ وعلمُهُ) أشار بذلك إلى أنَّ السماع ليس على حقيقته، بل المراد منه الرؤيةُ والعلمُ، وأجيب أيضاً[2]: بأنَّ المراد سماع ما يدل عليه وهو الغَليان، وقد أفاده أوَّلاً، فتحصَّل أن المفسِّر أجاب بجوابين[3].

قوله: (﴿وَإِذَآ أُلۡقُواْ﴾) أي: طُرحوا.

قوله: (﴿مَكَانٗا﴾) منصوب على الظرفية؛ أي: في مكان.

قوله: (بالتشديد والتخفيف) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[4].

قوله: (بأن يضيقَ عليهم) أي: كضيق الحائط على الوتد الذي يدقُّ فيه بعنفٍ.

---

(١) رواها الترمذي (٢٥٧٤) عن سيدنا أبي هريرة ﷺ.

(٢) أي: عما قيل: إن التغيظ لا يسمع.

(٣) عبارة السمين في «الدر المصون» (٨/ ٤٦١): (إن قيل: التغيظ لا يسمع.. فالجواب من ثلاثة أوجه أحدها: أنه على حذف مضاف؛ أي: صوت تغيظها، والثاني: أنه على حذفٍ تقديره: سمعوا ورأوا تغيظاً وزفيراً، فيرتفع كل واحد إلى ما يَليق به؛ أي: رأوا تغيظاً، وسمعوا زفيراً، والثالث: أن يضمن «سمعوا» معنًى يشمل الشيئين؛ أي: أدركوا لها تغيظاً وزفيراً).

(٤) قرأ المكي بسكون الياء، وغيره بكسرها مُشددة. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٢٦).

مُقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ ....

﴿مَكَانًا﴾ لِأَنَّهُ في الأصل صِفة لَه، ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾: مُصَفَّدِين قد قُرِنَت ـ أي: جُمِعَت ـ أيدِيهِم إلى أعناقِهِم في الأغلالِ، ـ والتَّشدِيدُ لِلتَّكثِيرِ ـ ﴿دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾: هَلاكاً، فيُقالُ لَهُم: ﴿لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ كعَذابِكُم.

﴿١٥﴾ ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ﴾ المَذكُورُ مِن الوَعِيد وصِفةِ النَّار ....

حاشية الصاوي

قوله: (لأنه في الأصل صفة له) أي: وهو نكرة، ومن المعلوم: أنَّ نعت النكرة إذا تقدَّم عليها يعرب حالاً؛ كقول الشاعر[1]: [مجزوء الوافر]

لِـمـيَّـةَ مُـوحِـشـاً طَـلَـلُ

والأصل: لميَّة طللٌ موحش.

قوله: (﴿مُّقَرَّنِينَ﴾) حال من الواو في ﴿أُلْقُوا۟﴾، والتقرين: تقييدُ الأرجل، وجمع الأيدي والأعناق في السلاسل.

قوله: (مُصفدين) من التصفيد، وهو: الشَّدُّ والإيثاقُ بالقيود.

قوله: (﴿دَعَوْاْ هُنَالِكَ﴾) أي: في ذلك المكان.

قوله: (﴿ثُبُورًا﴾) أي: فيقولون: يا ثُبوراه؛ هذا أوانك فاحضر؛ لأنه أخفُّ ممَّا هم فيه.

قوله: (فيقال لهم) أي: على سبيل التَّهكُّم والسُّخرية بهم.

قوله: (﴿ثُبُورًا وَٰحِدًا﴾) أي: مَرة واحدة.

قوله: (كعَذابكم) تشبيهٌ في الكثرة، وفي نسخة: باللام؛ أي: لأجل دَوام عذابكم وكثرته فينبغي أن يكون دعاؤكم كذلك.

قوله: (﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾) الاستفهام للتوبيخ والتقريع، وإلا.. فليس في النار خيرٌ.

---

(١) تمام البيت: يلوح كأنه خلل، ومن روى أوَّله: لِعزة موحشاً... إلخ قال: هُوَ لكثيِّر عزة، منهم أبو عليٍّ في «التَّذكرة القصرية»، ومن رواه: لميَّة موحشاً.. قال: إنَّه لذي الرُّمة؛ فإنَّ عزة اسم محبوبة كثيِّر، وميَّة اسْم محبوبة ذِي الرمة. والشاهد فيه على مذهب سيبويه مِن جواز مجيء الحال من النكرة، وغيره يجعل الحال من الضمير في الخبر. انظر «خزانة الأدب» (٣/ ٢١١).

خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ ....

﴿خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ﴾ها ﴿ٱلْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ﴾ في عِلمه تَعالى ﴿جَزَآءً﴾: ثواباً ﴿وَمَصِيرًا﴾: مَرجِعاً؟

﴿١٦﴾ ﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ﴾ ـ حالٌ لازِمة ـ ﴿كَانَ﴾ وَعدُهُم ما ذُكِرَ ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾ يَسألُهُ مَن وُعِدَ به، ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤]، أو تَسألُه لَهُم المَلائكةُ، ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ﴾ [غافر: ٨].

﴿١٧﴾ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (في عِلمه تعالى) جوابٌ عمَّا يقال: إنها لم تكن جزاءً ومصيراً الآن، فأجاب: بأنَّ المعنى قد سبق في عِلم الله بأنها تكون لهم جزاءً ومصيراً.

قوله: (مرجعاً) أي: مستقرًّا.

قوله: (﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ﴾) أي: من النَّعيم اللائق بهم، وأمَّا ما لا يَليق بهم.. فلا يخطر ببالهم، فكلُّ إنسانٍ يرضيه الله بما أعطاه، ولا يَلتفت إلى عطاء من هو أشرف منه، ولا يخطر بِباله سؤاله، وبهذا اندفع ما قيل: إنَّ مقتضى الآية أن الإنسان يتمنَّى مراتب الأنبياء في الجنة ويُعطاها.

قوله: (حال) أي: من الهاء في ﴿لَّهُمْ﴾، أو من الواو في ﴿يَشَآءُونَ﴾.

قوله: (﴿كَانَ﴾ وَعدهم ما ذكر) أشار بذلك إلى أنَّ اسم ﴿كَانَ﴾ يعود على الوعد المفهوم من قوله: ﴿وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾.

قوله: (﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا﴾) أي: كما قال تعالى حكايةً عن دعائهم لأنفسهم، وقوله: (﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ﴾) أي: كما قال تعالى حكايةً عن دعاء الملائكة للمؤمنين.

قوله: (﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾) ظرفٌ معمولٌ لمحذوف تقديره: اذكر، والضمير في ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾ للعابدين لغير الله.

﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ۝١٧﴾

ـ بِالنُّونِ والتَّحتانِيَّة ـ ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غَيره مِن المَلائكة وعِيسَى وعُزَيرٍ والجِنِّ، ﴿فَيَقُولُ﴾ تَعالى ـ بِالتَّحتانِيَّة والنُّون لِلمَعبُودِين ـ إثباتاً لِلحُجَّةِ على العابِدِين: ﴿ءَأَنتُمْ﴾ ـ بِتَحقِيقِ الهَمزَتَين، وإبدالِ الثَّانية ألِفاً، وتَسهِيلها، وإدخالِ ألِف بينَ المُسهَّلة والأُخرى وتَركِه ـ ﴿أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ﴾: أوقَعتُمُوهُم في الضَّلال بِأمرِكُم إيَّاهُم بِعِبادَتِكُم، ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾: طَرِيقَ الحَقِّ بِأنفُسِهِم؟

حاشية الصاوي

قوله: (**بالنون**) أي: مع النون في (نقول)، أو الياء، وقوله: (**والتحتانية**) أي: مع التحتانيَّة في (يقول)، فالقراءات ثلاث سبعيَّات، خلافاً لما يوهمه المفسِّر أنها أربع[1].

قوله: (﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾) مَعطوف على مفعول ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾، وأوقع (ما) على العقلاء، وهو قليل، وهذا ما يفيده المفسِّر بالتمثيل، ويصح أن يراد من (ما) العاقل وغيره كالأصنام، وغلَّب غير العاقل على العاقل؛ لِكثرته.

قوله: (**إثباتاً للحجة على العابدين**) أي: وتبكيتاً لهم، وهو جوابٌ عمَّا يقال: إنَّ الله عالمٌ في الأزل بما ذكر؛ فما فائدة هذا السؤال؟

قوله: (**بتحقيق الهمزتين**) أي: مع إدخال ألف بينهما وتركه؛ فالتحقيق فيه قراءتان، والتسهيل كذلك، والإبدال واحدة، فتكون خمساً، خلافاً لما يوهمه المفسِّر من أنها أربع، وكلها سبعيَّة[2].

إن قلتَ: على قراءة الإبدال يَلزم عليه التقاء الساكنين على غير حدِّه، وهو ممنوع. . **أجيب**: بأنَّ محل مَنعه ما لم يكن مسموعاً، وهذا مسموعٌ من رسول الله ﷺ.

قوله: (﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾) نعت لـ﴿عِبَادِى﴾، أو عطف بيان، أو بدل منه.

---

(١) قرأ ابن عامر: (نحشرهم)، (فنقول) بالنون فيهما، وابن كثير وحفص بالياء من تحت فيهما، والباقون بالنون في الأول، وبالياء في الثاني. انظر «الدر المصون» (٨/ ٤٦٣).

(٢) قرأ قالون وأبو عمرو وأبو جعفر بالتسهيل والإدخال، وورش وابن كثير ورويس بالتسهيل من غير إدخال، وهشام بالتسهيل والتحقيق، وكلٌّ منهما مع الإدخال، والباقون بالتحقيق بلا إدخال. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٢٦).

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾﴾ ....

﴿١٨﴾ ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ تنزِيهاً لَك عَمَّا لا يَلِيقُ بِك، ﴿مَا كَانَ يَنبَغِي﴾: يَستَقِيم ﴿لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ﴾ أي: غيرك ﴿مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ ـ مفعُول أوَّل، و﴿مِن﴾ زائِدة لِتَأكِيدِ النَّفي، وما قبلَه الثَّانِي ـ فكَيفَ نَأمُر بِعِبادَتِنا؟ ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ﴾ مِن قبلِهِم بِإطالةِ العُمُر وسَعةِ الرِّزق ﴿حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ﴾: تَركُوا المَوعِظةَ والإيمانَ بِالقُرآنِ، ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾: هَلكَى. قال تَعالَى:

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قَالُوا﴾) أي: المعبودون، وهو كلامٌ مستأنفٌ واقعٌ في جواب سؤال مقدَّر، كأنه قيل: ماذا قالوا في الجواب؟

قوله: (﴿مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾) أي: أتباعاً يَعبدوننا، ويصح أن يراد بالأولياء المتبوعون؛ أي: معبودون لنا؛ لأنَّ الولي كما يطلق على المتبوع يُطلق على التابع؛ كالمولى يطلق على الأعلى والأسفل، وكلام المفسِّر يُفيد المعنى الثاني.

إذا علمت ذلك.. فالتَّبري حاصلٌ في هذه الآية من الأولياء بمعنى: المعبودين أو العابدين لغير الله، وأمَّا بمعنى: مَنْ تولَّوا خدمةَ الله، أو مَنْ تولَّاهم الله فلم يَكِلْهُم لغيره.. فقد اتَّخذهم الله وأمرَ بالتَّعلُّق بأذيالهم.

قوله: (مفعول أول) أي: لـ﴿نَّتَّخِذَ﴾.

قوله: (وما قبله) أي: وهو قوله: ﴿مِن دُونِكَ﴾.

قوله: (فكيف نأمر بِعبادتنا) أي: بعبادتهم إيَّانا، فنحن لم نُضْلِلْهُم.

قوله: (﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ﴾... إلخ) استدراكٌ لرفع ما يتوهم ثبوته، والمعنى: أنتَ أنعمت عليهم بنعمٍ عظيمةٍ، فجعلوا ذلك سبباً للضلال، وليس لنا مدخلٌ في ذلك، وفي هذا الاستدراكِ رجوعٌ للحقيقة.

قوله: (تركوا المَوعظة) أي: غَفلوا عن التذكر في آياتك؛ فالنسيان معناه: الترك.

قوله: (﴿بُورًا﴾) يحتمل أنه جمع بائر، أو مصدر من البَوار، وهو الهلاك.

فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ ....

﴿١٩﴾ ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم﴾ أي: كَذَّبَ المَعبُودُون العابِدِينَ ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ ـ بالفوقانيَّةِ ـ أنَّهُم آلِهةٌ، ﴿فَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ـ بِالتَّحتانِيَّة والفَوقانِيَّة ـ أي: لا هُم ولا أنتُم ﴿صَرْفًا﴾: دَفعاً لِلعَذابِ عنكُم، ﴿وَلَا نَصْرًا﴾: مَنعاً لَكُم مِنهُ، ﴿وَمَن يَظْلِم﴾: يُشرِكْ ﴿مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾: شَدِيداً في الآخِرةِ.

﴿٢٠﴾ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ فأنتَ مِثلُهم في ذلكَ، وقَد قِيلَ لَهُم مِثلُ ما قِيلَ لَك، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم﴾) خطابٌ للعابدين، فالواو واقعة على المعبودين، والكاف على العابدين، وقوله: (﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾) أي: فيما تقولون، وقوله: (بالفوقانية) أي باتفاق العشرة، وقوله: (إنهم آلهة) مَقول القول.

قوله: (أي: لا هم) راجع للتحتانية، وقوله: (ولا أنتم) راجع للفوقانية[1].

قوله: (﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ﴾) أي: أيها المكلَّفون من العابدين والمعبودين، فظلمُ العابدِ بعبادته غيرَ الله، وظلمُ المعبود بِرضاه بذلك.

قوله: (﴿نُذِقْهُ﴾) بنون العظمة في قراءة العامَّة.

قوله: (﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ﴾... إلخ) المقصودُ من هذه الآيةِ: تَسليته ﷺ، والردُّ على المشركين حيث قالوا: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ...﴾ إلخ.

قوله: (﴿إِلَّآ إِنَّهُمْ﴾) الجملة حاليَّة، و(إنَّ): مكسورة باتفاق القراء، واللام: للابتداء زُحلقت للخبر، والمعنى: ما أرسلنا قبلك من المرسلين في حال من الأحوال إلا في حالة أكلهم الطعام ومَشيهم في الأسواق؛ أي: فهذه عادتهم ودأبهم؛ فإن هجَوك بذلك.. فقد هجَوا جميع الأنبياء، فلا تحزن.

---

(١) قرأ حفص بتاء الخطاب، وغيره بياء الغيبة. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٢٦).

وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ....

﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾: بَلِيَّةً؛ ابتُلِيَ الغَنِيُّ بالفَقيرِ والصَّحِيحُ بِالمَرِيضِ والشَّرِيفُ بِالوَضِيعِ، يَقُولُ الثَّانِي في كُلٍّ: ما لِي لا أكُون كالأوَّلِ في كُلٍّ؟ ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ على ما تَسمَعُون مِمَّن ابتُلِيتُم بِهِم؟ ـ استِفهام بِمَعنَى الأمرِ ـ أي: اصبِرُوا، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾) أي: إنَّ الدنيا دارُ بلاءٍ وامتحانٍ، فجعل بعض العبيد فتنةً لبعض؛ ليَظهر الصابر من غيره.

قوله: (ابتلى الغني بالفقير... إلخ) أي: فالغنيُّ ممتَحَنٌ بالفقير يحسده، والفقير ممتَحَنٌ بالغني يَسخر به ويحتقره، والصحيح ممتحنٌ بالمريض يقول: لِمَ لمْ نُعافَ ونصير مثل هذا؟ والمريض ممتحنٌ بالصحيح يتكبَّر عليه ويغترُّ بصحَّته، والشريف ـ كالأنبياء والعلماء والصلحاء ـ ممتحنٌ بالوضيع يحسُده على ما أعطاه الله، وهكذا.

والمخلص من ذلك: الصبرُ على أحكام الله، والرضا بها؛ لأنَّ الواجب على الإنسان أن يَنظر في أمور الدنيا إلى مَنْ هو دونه، ولا ينظر إلى مَنْ هو فوقه؛ لئلا يَزدري نعمة الله عليه، وفي أمور الآخرة إلى مَنْ هو فوقه؛ ليعرف نفسَه فيرجع عليها باللوم والنَّدم، ومن هنا ينبغي صحبة الصالحين المساكين ومرافقتهم؛ لِيقتدى بهم.

قوله: (يقول الثاني) أي: الفقير والمريض والوضيع، وقوله: (في كلٍّ) أي: من الأقسام الثلاثة، وبالجملة: فالفتنة أن يحسد المعافى المبتلى، والصبر أن يحبس كلٌّ منهما نفسه؛ هذا عن البَطر، وهذا عن الضجر، عن أبي الدرداء أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ويلٌ للعالم من الجاهل، وويلٌ للجاهل من العالم، وويلٌ لِلمالك من المملوك، وويلٌ للمَملوك من المالك، وويلٌ للشديد من الضعيف، وويلٌ للضعيف من الشديد، وويلٌ للسلطان من الرعية، وويلٌ للرعية من السلطان، بعضكم لِبَعض فتنة**»، وهو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾[1].

قوله: (استفهام بمعنى الأمر) هذا أحد وجهين، والوجه الآخر: أنَّ الاستفهام على حقيقته؛ أي: لينظر أيحصُل منكم صبرٌ أم لا؟ فيُجازيكم على ذلك.

(١) رواه الثعلبي بإسناده في «الكشف والبيان» (٧/ ١٢٨).

﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ۝٢٠ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ۝٢١﴾ ....

﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ بِمَن يَصبِر وبِمَن يَجزَع.

۝٢١ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾: لا يَخافُونَ البَعثَ: ﴿لَوْلَا﴾: هَلَّا ﴿أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ﴾ فكانُوا رُسُلاً إلَينا، ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ فنُخبَر بِأنَّ مُحمَّداً رَسولُه، قال تَعالى: ﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا﴾: تَكَبَّرُوا ﴿فِي﴾ شَأنِ ﴿أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ﴾: طَغَوا ﴿عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ بِطَلَبِهِم رُؤيةَ الله تَعالى في الدُّنيا. و(عُتُوًّا) بِالواوِ على أصلِهِ، بِخِلافِ (عِتِيّ) بِالإبدال في (مَريم).

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾) في ذلك تأنيسٌ للعبد؛ أي: إنَّ الله بصيرٌ ومطَّلعٌ على من يصبر ومن يجزع؛ فلا تنبغي الشكوى لِلخلق، ولا إظهارُ ما في القلوب، بل إن وجد الشخص في نفسه صبراً.. فليَشكر الله، وإن وجد غير ذلك.. فعليه أن يَرجع إلى ربِّه بالندم والتوبة.

قوله: (لا يخافون البعث) أي: لأنهم مُنكرون له، فهم يزعمون أنهم آمنون منه.

قوله: (هلَّا) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿لَوْلَا﴾ تحضيضيَّة.

قوله: (فكانوا رسلاً إلينا) أي: بالشرائع ونحوها بدل محمَّد.

قوله: (﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾) أي: يَكشف الحجاب لنا، فنراه عياناً.

قوله: (فنُخبَر) بالبناء للمفعول؛ أي: يخبرنا هو بأنَّ محمداً رسوله.

قوله: (قال تعالى) أي: ردًّا عليهم مَقالتهم.

قوله: (تكبروا) أي: حيث لم يرضوا بأن يكون رسولهم من البشر، بل طَمعوا أن يكون من الملائكة.

قوله: (﴿فِي﴾ شأن ﴿أَنفُسِهِمْ﴾) أي: إنهم عدُّوا أنفسهم كبيرةً لأمرٍ قام بها.

قوله: (بطلبهم رؤية الله) متعلق بـ(عَتَوْا)، والباء للسببيَّة، ولم يذكر متعلق ﴿اسْتَكْبَرُوا﴾ وقد علمته، وفي الآية لفٌّ ونشرٌ مرتَّب، فالاستكبار راجعٌ لطلبهم لِنزول الملائكة، والعتوُّ راجعٌ لطلبهم رؤية الله.

قوله: (على أصله) أي: مِن غير إبدال.

قوله: (بالإبدال في «مريم») أي: لمناسبة رؤوس الآي، وأصله: (عُتِوْواً)، كسرت التاء،

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ﴾ ....

﴿٢٢﴾ ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ في جُملةِ الخَلائِق هو يَومُ القِيامة، ـ ونَصبُه بـ(اذكر) مُقدَّراً ـ ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: الكافِرينَ، بِخِلافِ المُؤمِنينَ فلَهُم البُشرَى بِالجنَّة، ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ على عادَتِهم في الدُّنيا إذا نَزَلَت بِهِم شِدَّة، أي: عَوذاً مُعاذاً يَستَعِيذُون مِن المَلائكة، قال تَعالى:

﴿٢٣﴾ ﴿وَقَدِمْنَآ﴾: عَمَدنا ﴿إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ﴾ مِن الخَير كصَدَقةٍ وصِلةِ رَحِم وقِرَى ضَيفٍ وإغاثةِ مَلهُوف ....

حاشية الصاوي

فوقعت الواو ساكنة إثر كسرة، قلبت ياء، ثمَّ اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء، وأُدغمت في الياء.

قوله: (﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾) أي: المتولِّين عذابهم.

قوله: (﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ﴾) هذه الجملة مقولةٌ لقولٍ محذوف حال من ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾، تقديره: قائلين لهم: لا بشرى.

قوله: (لهم البشرى بالجنة) أي: لقوله تعالى: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الحديد: ١٢].

قوله: (﴿وَيَقُولُونَ﴾) معطوف على ﴿يَرَوْنَ﴾، فالضمير للكفار.

قوله: (﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾) العامَّة على كسر الحاء، وقرئ شذوذاً بفتحها وضمِّها[1].

قوله: (يستعيذون من الملائكة) أي: يَطلبون من الله إنقاذهم منهم بهذه العبارة.

قوله: (عمَدنا) أي: تعلَّقت إرادتنا، ودفع بذلك ما قيل: إنَّ القُدوم من صفات الحوادث، وهو محالٌ على الله تعالى، ففسَّره بلازمه وهو القصد، والمراد من القصد في حقِّه تعالى: تعلُّق إرادته بالشيء.

قوله: (وقرى ضيف) بكسر القاف مع القصر، أو فتحها مع المدِّ، ومعناه: الإحسان إليه.

---

(١) الضحاك والحسن وأبو رجاء على ضمها وهو لغة فيه، وحكى أبو البقاء فيه لغة ثالثة وهي الفتح، قال: (وقد قرئ بها). انظر «الدر المصون» (٨/ ٤٧٤).

فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ ......

في الدُّنيا، ﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ هو ما يُرَى في الكُوَى الَّتِي عَلَيها الشَّمس كالغُبارِ المُفَرَّق، أي: مِثلَه في عَدَم النَّفع بِه؛ إذ لا ثَواب فِيه لِعَدَمِ شَرطِه، ويُجازَونَ علَيهِ في الدُّنيا.

﴿٢٤﴾ ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ﴾: يومَ القِيامة ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ مِن الكافِرين في الدُّنيا، ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ مِنهُم أي: مَوضِعَ قائِلة فِيها وهي الاستِراحة نِصف النَّهار في الحَرِّ، وأُخِذَ مِن ذلكَ انقِضاءُ الحِساب في نِصف نهارٍ كما ورَد في حَديثٍ.

حاشية الصاوي

قوله: (في الدنيا) متعلق بـ﴿عَمِلُواْ﴾.

قوله: (في الكوى) جمع كُوة وهي: الطاقة في الحائط، بفتح الكاف وضمِّها.

قوله: (لعدم شرطه) أي: وهو الإيمان.

قوله: (ويجازون عليه في الدنيا) أي: بإعطاء المال والولد وغير ذلك من مَلاذِّ الدنيا، فأعمالُ الكافر الحسنةُ التي لا تتوقف على نيَّةٍ يُعْطَى جزاءها في الدنيا، وأمَّا ما تَتوقف على نيَّة.. فلا يجد لها جزاءً أصلاً؛ لعدم صحَّتها.

قوله: (﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ من الكافرين) أي: إنَّ مستقرَّ المؤمنين في الجنة خيرٌ من مستقرِّ الكافرين في الدنيا، فـ(أفعل) التفضيل على بابه، وإلى هذا أشار المفسِّر بقوله: (في الدنيا)، فهو جوابٌ عمَّا يقال: إنَّ مستقرَّ أهل النار لا خير فيه، ويصح أن يُرادَ استقرارُ كلٍّ في الآخرة، والتفضيل ليس مراداً، بل المقصود التقريع والتوبيخ للكفار.

قوله: (من ذلك) أي: من قوله: ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾.

قوله: (كما وَرد في الحديث) قال ابن مسعود: (لا يَنتصف النهار يوم القيامة حتى يَقيل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار)[1]. والقَيلولة: الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن مع ذلك نومٌ؛ لأنَّ الله تعالى قال: ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ والجنة لا نَوم فيها، ويروى: «أنَّ يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر إلى غُروب الشمس»[2].

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٠٣)، والبغوي في «شرح السنة» (٤٣٦٩).

(٢) رواه ابن جرير في «تفسيره» (١٩/ ٢٥٩) عن سعيد الصواف أنه بلَغه: «أن يوم القيامة... إلخ».

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ ....

﴿٢٥﴾ ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ﴾ أي: كُلُّ سَماء ﴿بِٱلْغَمَٰمِ﴾ أي: مَعَهُ، وهو غَيم أبيَض، ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ مِن كُلِّ سَماءٍ ﴿تَنزِيلًا﴾ هو يَومُ القِيامة، ـ ونَصبُه بـ(اذكُر) مُقدَّراً، وفي قِراءة بتَشديدِ شِين ﴿تَشَقَّقُ﴾ بإدغامِ التَّاء الثَّانية في الأصل فِيها، وفي أُخرى: (نُنزِل) بِنُونَين الثَّانيةُ ساكِنة، وضَمِّ اللَّام ونَصبِ (المَلائكة) ـ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ﴾) (يومَ): ظرفٌ معمولٌ لمحذوفٍ، تقديره: اذكر؛ كما قال المفسِّر.

قوله: (أي: كل سماء) أشار بذلك إلى أنَّ (أل) في ﴿ٱلسَّمَآءُ﴾ استغراقيَّة.

قوله: (أي: معه) أشار بذلك إلى أنَّ الباء بمعنى (مع)، ويصح أن تكون للسببيَّة، أو للمُلابسة، أو بمعنى (عن).

قوله: (وهو غيمٌ أبيضُ) أي: سحابٌ فوق السماوات السبع، ثِخَنُهُ كثخنِ السماوات السبع، وثِقَلُهُ كثِقلها، فينزل على السماء السابعة فيخرقها بثقله، وهكذا حتى ينزل إلى الأرض، وفيه ملائكة كلِّ سماءٍ، فينزل أولاً ملائكة سماء الدنيا، وهم مثل أهل الأرض عشر مَرات، ثم ملائكة السماء الثانية، وهم مثلهم عشرون مرة، وهكذا، وإذا نزل ملائكة سماء الدنيا.. اصطَفوا حول العالم المجموع في المحشر صفًّا، وإذا نزل ملائكة السماء الثانية.. اصطَفوا خلف هذا الصف صفاً آخر، وهكذا حتى تصير الصفوف سبعةً، كلُّهم يحرسون أهل المحشر من الفِرار، ويَطردون عنهم النار، وتقدَّم بسط ذلك في (سورة إبراهيم) عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨][1].

صقوله: (ونصبه بـ«اذكر» مقدَّراً) أي: وهو معطوف على ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾، وكذا قوله: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ﴾.

قوله: (في الأصل) أي: قبل قلبها شيناً وتسكينها وإدغامها في الشين.

قوله: (وفي أخرى: «وننزل» بنونين... إلخ) هذه القراءة إنما تأتي عند تشديد الشين، فتحصَّل أنَّ القراءات ثلاثُ سبعيَّاتٌ؛ فعند تشديد الشين يجوز في (ننزل) القراءتان، وعند التخفيف يجوز في (ننزل) قراءة واحدة، وهي كونه ماضياً مبنيًّا للمفعول، خلافاً لما يُوهمه المفسِّر من أنها أربع[2].

(١) انظر (٣/ ٤٩١-٤٩٢).

(٢) قرأ الكوفيون وأبو عمرو: (تشقق) بالتخفيف، والباقون بالتشديد، وقوله: ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فيها اثنتا عشرة قراءة: ثنتان في المتواتر، وعشرٌ في الشاذ؛ فقرأ ابن كثير من السبعة: (وننزل) ونصب (الملائكة)، وقرأ الباقون من السبعة: (ونزل). انظر «الدر المصون» (٨/ ٤٧٧).

ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ....

﴿٢٦﴾ ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ لا يشركه فيه أحد، ﴿وَكَانَ﴾ اليوم ﴿يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾: شديداً، بِخِلاف المُؤمنين.

﴿٢٧﴾ ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ﴾: المُشرِكُ عُقبةُ بن أبِي مُعَيط، كانَ نَطَق بِالشَّهادتَين ثُمَّ رجَع إرضاءً لِأُبيِّ بن خَلَف ﴿عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ نَدَماً وتَحسُّراً في يَوم القِيامة، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلْمُلْكُ﴾) مبتدأ، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ظرف له، و﴿ٱلْحَقُّ﴾: نَعت له، و﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾: خَبره، والمعنى: أنَّ الملك يوم القيامة لله وَحده.

وحِكمة التقييد بهذا اليوم وإن كان الملك لله في كلِّ يوم: أنَّ ثبوت الملك له خاصَّة في ذلك اليوم، فليس لأحدٍ ملكٌ ظاهرٌ أبداً، وأمَّا فِيما عدَاه من أيام الدنيا.. فيكون للخَلق تصرُّفٌ صوريٌّ، وإلى هذا أشار المفسِّر بقوله: (لا يشركه فيه أحد).

قوله: (بخلاف المؤمنين) أي: فليس عليهم عسيراً؛ لما ورد: «أنه يَهُونُ عليهم حتى يكون أخفَّ من صَلاة مكتوبة»[1].

قوله: (﴿وَيَوْمَ﴾) منصوب بـ(اذكر)، أو معطوفٌ على ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ﴾ كما تقدَّم.

قوله: (﴿يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ﴾) هو من باب (تَعب) أو (نفع)، والمعنى: أنَّ الكافر حين يرى النار ويسمع تغيُّظها وزَفيرها يعضُّ على يديه، قال عطاء: يأكل الظالم يديه حتى يأكل مرفقَيه، ثم يَنبتان، ثم يأكلهما، وهكذا كلَّما تنبُت يداه يأكلهما[2].

قوله: (عقبة بن أبي معيط) أشار المفسِّر بذلك إلى أنَّ الآية نزلت في ظالم خاصٍّ، ويقاس عليه كلُّ ظالم، وهو أحدُ قولين، وقيل: نزَلت في الظالمين عموماً.

قوله: (كان نطق بالشهادتين... إلخ) وذلك أنه صنع طعاماً ودعا الناس إليه، ودعا رسول الله ﷺ، فلما قدَّم الطعام.. قال رسول الله ﷺ: «ما أنا بآكلٍ طعامَك حتى تشهد أن لا إله

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٧٥) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٦/ ٨١).

يَـقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ ....

﴿يَـقُولُ يَا﴾ ـ لِلتَّنبيه ـ ﴿لَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ﴾: مُحمَّد ﴿سَبِيلًا﴾: طَرِيقاً إلى الهُدى.

﴿٢٨﴾ ﴿يَـٰوَيْلَتَىٰ﴾ ـ أَلِفُه عِوضٌ عن ياءِ الإضافة ـ أي: ويلَتِي، ومَعناهُ: هَلَكَتِي ﴿لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا﴾ أي: أُبَيًّا ﴿خَلِيلًا﴾.

حاشية الصاوي

إلا الله وأن محمداً رسول الله»، ففعَل، فأكل رسول الله من طعامه، وكان عُقبة صديقاً لأبيِّ بن خلف، فلما أخبر بذلك.. قال له: يا عقبة صبَأتَ؟ قال: لا، ولكن دخل عليَّ رجلٌ فأبى أن يأكل طعامي إلا أن أشهد له، فاستحيَيتُ أن يخرج من بيتي ولم يَطعم، فشهدتُ له، فطعم، فقال: ما أنا راض عنك حتى تأتيَه فتبزقَ في وجهه، ففَعل ذلك عقبة، فعاد بزاقه على وجهِه فحرقه، فقال رسول الله ﷺ: «لا أراك خارج مكةَ إلا علَوتُ رأسك بالسيف»، فأُسِرَ يوم بدر فأمر عليًّا فقتَله، وطعن النبي أبيًّا بأحد في المبارزة، فرجع إلى مكة وماتَ[1].

وحكم الآية عامٌّ في كل صاحبين اجتمعا على معصية الله تعالى؛ لما روي: «يُحشر المرء على دين خليله، فلينظر أحدُكم من يُخالل»[2].

قوله: (﴿يَـقُولُ يَـٰلَيْتَنِى﴾) الجملة حالية من فاعل ﴿يَعَضُّ﴾.

قوله: (للتنبيه) أي: وليست للنداء؛ لأنَّ المنادى شرطه أن يكون اسماً، و(ليت) حرف تمنٍّ، أو للنداء والمنادى محذوف؛ أي: يا قَوم.

قوله: (عوض عن ياء الإضافة) أي: وأصله: ويلتيَ بكسر التاء وفتح الياء، فتحت التاء، فتحركت وانفتح ما قبلها، قلبت ألفاً، فيقال في إعرابه: ويلَتا: مضاف، والألف مضاف إليه في محل جرٍّ، وليس لنا ألفٌ في محل جرٍّ إلا ما كانت عوضاً عن ياء المتكلم.

قوله: (﴿لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾) فلان: كِناية عن عَلَم مَنْ يعقل من الذكور، وفُلانة: كناية عن علم مَنْ يَعقل من الإناث.

---

(١) رواه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (٤٠١)، وفيه أن الذي قتله عاصم بن ثابت. وانظر «زاد المسير» (٣/٣١٨).

(٢) رواه أبو داوود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه بدون لفظ «يحشر».

لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ....

﴿٢٩﴾ ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾ أي: القُرآنِ ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ بِأن رَدَّنِي عن الإيمانِ بِه، قال تَعالى: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ﴾ الكافِرِ ﴿خَذُولًا﴾ بِأن يَترُكَهُ ويَتبرَّأ مِنهُ عِند البَلاء.

﴿٣٠﴾ ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾ مُحمَّد: ﴿يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي﴾: قُريشاً ﴿اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾: مَترُوكاً، قال تَعالى:

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي﴾) علة لتمنّيه، وأكّده باللام القسميَّة؛ إظهاراً لندمه وتحسُّره.

قوله: (أي: القرآن) أي: وقيل: كلمة الشهادة.

قوله: (قال تعالى) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ...﴾ إلخ جملةٌ مستأنفةٌ من كلامه تعالى، وكلام الظالم تمَّ عِند قوله: ﴿جَاءَنِي﴾.

قوله: (﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ﴾) أي: وهو كلُّ عاتٍ متمرِّدٍ صَدَّ عن سبيل الله من الجنِّ والإنس.

قوله: (بأن يتركه) أي: يترك نَصره.

قوله: (﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾) عطفٌ على قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾، وما بينهما اعتراضٌ مَسوق لاستعظام ما قالوه، أو لبيان ما يَحيق بهم في الآخرة من الأهوال. وهذا القول قيل: صدر منه في الدنيا، وعليه يحمل قول المفسِّر: (فاصبر كما صبروا)، وقيل: سيَقع منه في الآخرة حال إقامة الحجة عليهم؛ ولِذا ورد أنه يقول حين نزول العذاب بهم: «سحقاً سحقاً»[1].

قوله: (﴿مَهْجُورًا﴾) أي: فأعرضوا عنه ولم يُؤمنوا به، فهذه الآية ورَدت في الكفار المعرضين عن القرآن الذين لم يؤمنوا به، لا فِيمن حفظه من المؤمنين ثم نسيه وإن كان يُعاتَب عليه في الآخرة؛ لما ورد: «من تعلَّم القرآن وعلَّق مصحفه لم يَتعاهده ولم ينظر فيه.. جاء يوم القيامة متعلِّقاً به يقول: يا رب؛ عبدك هذا اتخذني مهجوراً، اقضِ بيني وبينه»[2].

---

(١) رواه البخاري (٦٥٨٤)، ومسلم (٢٢٩٠/٢٦) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في ردِّ أقوام عن حَوضه ﷺ.

(٢) رواه الثعلبي بإسناده في «الكشف والبيان» (٧/ ١٣٢) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ ....

﴿٣١﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما جعَلنا لَك عَدُوًّا مِن مُشرِكي قَومِك ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾ قبلَك ﴿عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: المُشرِكين، فاصبِر كما صَبَرُوا، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ لَك ﴿وَنَصِيرًا﴾: ناصِراً لَك على أعدائِك.

﴿٣٢﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا﴾: هلَّا ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ كالتَّوراةِ والإنجِيل والزَّبور، قال تَعالى: نَزَّلناهُ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مُتَفرِّقاً ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾: نُقوِّيَ قَلبَك،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا﴾... إلخ) شروعٌ في تسليته ﷺ، والمعنى: كما جعلنا لك عدوًّا جعلنا لكلِّ نبيٍّ عدوًّا.

قوله: (﴿بِرَبِّكَ﴾) الباء: زائدة في الفاعل.

قوله: (﴿هَادِيًا﴾) أي: مُوصلاً لك إلى الطريق القويم.

قوله: (﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾... إلخ) حكايةٌ عن بعض قَبائح كفار مَكة وشُبَهِهم التي تتعلق بالقرآن، ولما كانت تلك الشبهة ربما تدخل على بعض الضعفاء.. اعتنى الله بردِّها والتوبيخ لمن أبداها.

قوله: (﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾) نزل: بمعنى (أنزل)؛ لأن (نزَّل) بالتشديد معناه: الإنزال مفرَّقاً، و(أنزل) معناه: الإنزال جملةً؛ فلو لم يجعل بمعنى أنزل.. لَناقضه قوله: ﴿جُمْلَةً﴾، يؤيده قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] حيث عبَّر بـ(أَنْزَلْنا) دون (نزَّلنا)؛ لأن المراد: نزوله جملةً في سماء الدنيا.

قوله: (قال تعالى) أي: ردًّا لتلك الشبهة بأمور ثلاثة مُقتضية لنزوله مفرَّقاً: الأول: تثبيتُ فؤاده ﷺ، الثاني: ترتيله ليَسهل حفظه، الثالث: قوله: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾.

قوله: (نزلناه ﴿كَذَٰلِكَ﴾) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ نعتٌ لمصدر محذوف، والمعنى: نزَّلناه تنزيلاً مثلَ ذلك التنزيل.

قوله: (﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾) علة للمحذوف الذي قدَّره المفسِّر، والمعنى: أنزلناه مفرَّقاً؛ ليتقوَّى

وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ ....

﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ أي: أتَينا بِه شَيئاً بعدَ شَيء بِتَمَهُّلٍ وتُؤَدةٍ لِتَيسيرِ فَهمِه وحِفظِه.

﴿٣٣﴾ ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ في إبطالِ أمرِك ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ الدَّافِعِ لَه، ....

حاشية الصاوي

قلبك على تَلقِّيه، فلا يحصل لك منه ثقلٌ؛ لأنَّ القرآن في نفسه ثقيل سيَّما على مَن لم يقرأ ولم يكتب، قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥] [١]؛ ولذلك لما نزل عليه ﷺ ﴿ٱقْرَأْ﴾.. فتر الوحي ثلاث سنين؛ ليَشتاق للتلقي؛ فإنَّ الشيء إذا جاء على شَوق.. كان أثبت [٢].

قوله: (﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾) أي: فرَّقناه آيةً بعد آيةٍ، وشيئاً بعد شيءٍ، في عشرين أو ثلاث وعشرين سنة.

قوله: (ليتيسَّر فهمه وضبطه) أي: لك ولأمَّتك عن ظهر قلب، وهذه عطيَّةٌ عظيمةٌ لهذه الأمَّة المحمديَّة لم يُعطَها غيرهم؛ ولذا ورد: «وجعلت من أمَّتك أقواماً قلوبهم أناجِيلهم» [٣]، ومن هنا كان تعليم القرآن بالتدريج سيَّما للأطفال؛ ليَثبت في قلوبهم، واغتفر التنكيس في تعليمه [٤]؛ ليسهُل حفظه؛ فإنَّ الطفل إذا رأى السورة قصيرة.. قويَ على حفظها، ونَشط لما بعدها.

قوله: (﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾) أي: سؤالٍ عجيبٍ يُريدون به القدحَ في نبوَّتك.

قوله: (﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾) استثناءٌ مفرغٌ من عُموم الأحوال، كأنه قيل: لا يأتونك بمثل في حال من الأحوال إلا في حال إتياننا إليك بالحق، وبما هو أحسَن بياناً له، والمعنى: كلما أوردوا شبهةً أو أتَوْا بسؤالٍ عجيبٍ.. أجَبنا عنه بجوابٍ حسنٍ يردُّه ويدفعه من غير كلفةٍ عليك فيه؛ فلو نزل القرآن جملةً.. لكان النبيُّ هو الذي يبحث في القرآن عن ردِّ تلك الشبهةِ؛ كالعالم

---

(١) واختلف في معنى كونه (ثَقِيلاً)؛ فقال قتادة: ثقيلٌ والله فرائضه وحُدوده، وقال مجاهد: حلاله وحَرامه، وقال محمد بن كعب: ثقيل على المنافقين؛ لأنه يهتك أسرارهم، ويُبطل أديانهم، وقيل: ثقيل بمعنى كريم، وقيل: ثقيل لا يحمله إلا قلبٌ مؤيَّد بالتوفيق، ونفسٌ مزيَّنة بالتوحيد؛ كما سيأتي لِلمُصنف في تفسير (سورة المزمل).

(٢) أو يقال: ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ حتى تعيَهُ وتحفظه؛ لأنَّ المتلقن إنما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئاً بعد شيء، وجزءاً بعد جزء، ولو ألقي عليه جملة واحدة.. لَعَجز عن حفظه، أو: لنثبت به فؤادك عن الضجر بتواتر الوصول، وتتابع الرسول؛ لأنَّ قلب المحب يَسكن بتواصل كتب المحبوب. «تفسير النسفي» (٢/ ٤٨٨).

(٣) رواه ابن جرير في «تفسيره» (١٤/ ٤٢٤)، ونحوه عند الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٠٤٦).

(٤) أي: قراءة المتأخر قبل المتقدم من القرآن الكريم.

وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ ....

﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾: بياناً.

﴿٣٤﴾ هُم ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ أي: يُساقُونَ ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ هو جهنَّم، ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾: أخطأُ طَرِيقاً مِن غَيرِهم وهو كُفرُهم.

﴿٣٥﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: التَّوراةَ، ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ﴾ ....

حاشية الصاوي

الذي يكشف في الكتب عن جواب المسائل التي يُسْأَلُ عنها، فيكون الأمر موكولاً له، فتكون الكلفة عليه، وما كان موكولاً إلى الله كان أتمَّ مما هو موكول إلى العبد، وفيه قمعٌ للمُعاندين.

قوله: (﴿وَأَحْسَنَ﴾) معطوف على (الحق)، فهو مجرور بالفتحة؛ للوصفيَّة ووزن الفعل.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ﴾) خبرٌ لمحذوفٍ، قدَّره المفسِّر بقوله: (هم).

قوله: (أي: يُساقون) أي: يُسْحَبون مَقلوبين يَطَؤُونَ الأرض برؤوسهم ووجوههم، وترتفع أقدامهم بقدرة الله تعالى[1].

قوله: (من غيرهم) متعلِّق بكلٍّ من (شرٌّ) و(أضلُّ)، والمراد بغيرهم: باقي الكفار، والمعنى: أنَّ مَنْ عانده ﷺ.. فهو في أسوء الأحوال وأشرِّها في الآخرة[2].

قوله: (وهو كفرهم) الضمير عائد على السبيل.

قوله: (﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾) شروعٌ في تسليته ﷺ على مكائد قَومه؛ بذكر بعض قصص الأنبياء على سبيل الإجمال، والمعنى: لا تحزَن يا محمد؛ فإنَّ مَنْ خالفك وعاندك يحلُّ به الدمار كما حلَّ بالمخالِفين من الأُمم المتقدمة.

قوله: (﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ﴾) معطوف على ﴿ءَاتَيْنَا﴾، والواو لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً؛ فإنَّ إيتاءَ

---

(١) وفي الحديث: (أن رجلاً قال: يا نبي الله؛ يُحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يُمشِيَه على وجهه يوم القيامة؟» قال قتادة: بلى وعزة رَبنا). رواه البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٨٠٦) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) كذا في الأصل على بناء التفضيل منه، ولا يكادون يَستعملونه إلا على لغة لبني عامر، وقرئ في الشاذ: (من الكذاب الأشَرُّ) على هذه اللغة. انظر «شرح التسهيل» لابن مالك (٣/ ٥٣).

أَخَاهُ هَـٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَدَمَّرْنَـٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَـٰهُمْ ....

﴿أَخَاهُ هَـٰرُونَ وَزِيرًا﴾: مُعِيناً.

﴿٣٦﴾ ﴿فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ أي: القِبطِ فِرعَون وقَومُه، فذَهبَا إِلَيهِم بِالرِّسالةِ فكذَّبُوهُما، ﴿فَدَمَّرْنَـٰهُمْ تَدْمِيرًا﴾: أهلَكناهُم إهلاكاً.

﴿٣٧﴾ ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿قَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ﴾ بِتكذِيبِهم نُوحاً لِطُولِ لُبثِه فِيهِم، فكأنَّه رُسُل، أو لِأنَّ تكذِيبَه تكذِيبٌ لِباقِي الرُّسُل لِاشتِراكِهم في المَجِيء بِالتَّوحيدِ، ﴿أَغْرَقْنَـٰهُمْ﴾ ـ جَواب ﴿لَمَّا﴾ ـ ....

حاشية الصاوي

موسى التوراةَ كان بعد رسالة هارون وهلاكِ فرعون وقومه. ويمكن أن يجاب عن الآية: بأن المراد بقوله: ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ﴾: قدَّرنا له أن يأتيَه في علمنا، فهو إخبارٌ عمَّا سيحصل، فالماضي بالنسبة لما سبق في عِلم الله.

قوله: (﴿أَخَاهُ﴾) مفعول أول لـ(جعلنا)، و﴿هَـٰرُونَ﴾: بدل منه، و﴿وَزِيرًا﴾: مفعول ثان لـ(جعَلنا)، والمعنى: جعلنا هارون مُعيناً لموسى بوحي منَّا له في دعوى القوم إلى التوحيد وإعلاء الكلمة، فهو نبيٌّ ورسول بما جاء به موسى، بخلاف وزارة عليٍّ للنبي ﷺ المستفادة من قوله عليه الصلاة والسلام له: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»[1] فالمراد بها: مُطلق الإعانة، لا المشاركة في الاتصاف بالرسالة؛ فإنَّ مَنْ أثبتها لعليٍّ.. فقد كفر.

قوله: (﴿بِـَٔايَـٰتِنَا﴾) أي: أدلَّة توحيدنا، لا خُصوص التسع.

قوله: (﴿فَدَمَّرْنَـٰهُمْ تَدْمِيرًا﴾) عطف على محذوفٍ، قدَّره المفسِّر بقوله: (فذهبا... إلخ).

قوله: (﴿لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ﴾) (لما): شرطيَّة، وجوابها قوله: ﴿أَغْرَقْنَـٰهُمْ﴾ كما قال المفسِّر.

قوله: (لطول لبثه) دفع بذلك ما يقال: لِمَ جمع الرسل مع أنه رسولٌ واحدٌ وهو نُوح؟

فأجابه بجوابين: الأول: أنه جمعه؛ لِطُول مدَّته في قومه، فكأنه رُسل متعددة. الثاني: أنَّ من كذَّب رسولاً.. فقد كذَّب باقيَ الرسلِ.

(١) رواه البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤) واللفظ له عن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾﴾ ....

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ﴾ بعدهم ﴿ءَايَةً﴾: عِبرةً، ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ في الآخِرة ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافِرِين ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾: مُؤلِماً سِوَى ما يَحُلُّ بِهِم في الدُّنيا.

﴿٣٨﴾ ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿عَادًا﴾ قومَ هُود ﴿وَثَمُودَا۟﴾ قَومَ صالِح ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾: اسمُ بِئر ونَبِيُّهم قِيل: شُعَيب، وقِيل: غَيرُه، كانُوا قُعُوداً حَولَها فانهارَت بِهِم وبِمَنازِلِهم، ﴿وَقُرُونًۢا﴾: أقواماً ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ أي: بينَ عادٍ وأصحابِ الرَّسِّ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾) أي: جعَلنا هلاكهم وما وقع منهم.

قوله: (﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾) وضع الظاهر موضع الضمير؛ تسجيلاً عليهم بوصف الظلم.

قوله: (سوى ما يحلُّ) أي: ينزل بهم، وهو بهذا المعنى بضمِّ الحاء وكسرها، بخلاف سائر معانيه؛ فهو بالكسر لا غير.

قوله: (﴿وَثَمُودَا۟﴾) بالصرف على معنى الحي، وتركه على معنى القبيلة، قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (اسم بئر) اختلف؛ هل هي اسمٌ للبئر التي لم تطوَ، أو للبئر مطلقاً[2]؟

وما قاله المفسِّر أحدُ أقوالٍ في الرَّس، وقيل: هو قرية باليمن كان فيها بَقايا ثمود، فبُعِثَ إليهم نبيٌّ، فقتلوه فهلكوا، وقيل: الأخدود، وقيل: هم أصحاب حَنظلة بن صفوان النبي، ابتلاهم الله بطيرٍ عظيمٍ فيه من كل لون، فسَمَّوه العنقاء؛ لطول عنقها، وكانت تَسكن الجبال وتختطف صبيانهم، فدعا عليها حنظلة، فأصابَتها الصاعقة، ثم إنهم قتَلوه فأهلكوا.

قوله: (وقيل: غيره) أي: وهو حنظلة.

قوله: (فانهارت) أي: انخسَفت بهم.

---

(١) قرأ حمزة وحفص بالمنع من الصرف، والباقون بالصرف. انظر «الدر المصون» (٦/ ٣٥٠).

(٢) قيَّدها المفسرون كالبيضاوي بأنها التي لم تطوَ؛ أي: لم تبنَ بالحجارة، وقيَّدها أهل اللغة كـ«القاموس» بأنها التي طويت؛ أي: بُنِيت بالحجارة. «فتوحات» (٣/ ٢٧٤).

وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ ....

﴿٣٩﴾ ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ في إقامةِ الحُجَّة علَيهم، فلَم نُهلِكهُم إلَّا بعدَ الإنذارِ، ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾: أهلَكنا إهلاكاً بِتكذِيبِهم أنبياءَهُم.

﴿٤٠﴾ ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا﴾ أي: مَرَّ كُفَّار مكَّةَ ﴿عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾: مَصدَر (ساءَ) أي: بِالحِجارةِ، وهي عُظمَى قُرَى قوم لُوط، فأهلَكَ الله أهلَها لِفِعلِهِم الفاحِشَةَ، ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا﴾ في سَفَرِهم إلى الشَّام فيَعتَبِرُون؟ والاستِفهامُ لِلتَّقرِير، ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ﴾: يَخافُونَ ﴿نُشُورًا﴾: بَعثاً فلا يُؤمِنُون.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَكُلًّا﴾) منصوب بفعل محذوف يلاقي ﴿ضَرَبْنَا﴾ في معناه، تقديره: وخوَّفنا كلاً ضربنا له الأمثال، والمعنى: بيَّنَّا لكلٍّ القصص العجيبة، فلم يُؤمنوا، فتبَّرناهم تتبيراً؛ أي: فتَّتناهم تفتيتاً، فجعلناهم كالتِّبْر، وهو: قطع الذهب والفضة المفتَّتة.

قوله: (مرَّ) أشار بذلك إلى أنه ضمَّن ﴿أَتَوْا﴾ معنى (مرُّوا)، فعُدِّي بـ(على)، وإلا.. فـ(أتى) يتعدَّى بنفسه، أو بـ(إلى)، والمعنى: مرُّوا عليهم في أسفارِهم إلى الشام.

قوله: (مصدر «ساء») أي: بحسَب الأصل، والمراد في الآية بالمطر السَّوء: الرَّميُ بالحجارة.

قوله: (وهي عظمى قرى لوط) أي: واسمها سذوم [(١)]، وتقدَّم أن القرى خمسة، وقيل: (أل) في (القرية) للجنس، فيَشمل جميعها؛ لأنَّ الخسف ونزول الأحجار عمَّ جميعها، وقيل: نَجَتْ منها واحدةٌ كانت لا تعمل الخبائث.

قوله: (﴿يَرَوْنَهَا﴾) أي: يرَون آثارها.

قوله: (والاستفهام للتقرير) أي: وهو حمل المخاطَب على الإقرار بما يعرفه.

قوله: (﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾) أي: كانوا كفاراً لا يتوقَّعون نشوراً ولا عاقبةً، فهو إضرابٌ انتقاليٌّ من توبيخهم إلى ذكر بعض قَبائحهم، وهو عدم إيمانهم بالبعث.

---

(١) تقدَّم غير مَرَّة للمصنف رحمه الله ضبطها بالذال المعجمة، وأنه أخطأ من قال بالمهملة.

وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ....

﴿٤١﴾ ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن﴾: ما ﴿يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾: مَهزُوءاً بِه، يقُولُون: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ في دَعواهُ؟ مُحتقِرِينَ له عن الرِّسالةِ.

﴿٤٢﴾ ﴿إِن﴾ ـ مُخفَّفة مِن الثَّقِيلة، واسمُها مَحذُوف ـ أي: إنَّهُ ﴿كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾: يَصرِفُنا ﴿عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ لَصَرَفنا عنها، قال تَعالى: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ عِياناً في الآخِرةِ ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾: أخطَأُ طَرِيقاً، أهُم أم المُؤمِنُون؟

﴿٤٣﴾ ﴿أَرَءَيْتَ﴾: أخبِرنِي ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ أي: مَهوِيَّه، ـ قُدِّم المَفعُول الثَّاني لِأنَّه أهَمُّ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ﴾) جواب (إذا).

قوله: (﴿إِلَّا هُزُوًا﴾) مفعول ثان لـ(يتخذون)، وقوله: (مهزوءاً به) أشار إلى أنَّ المصدر مؤول باسم المفعول؛ لأنَّ المفعول الثاني في الأصل خبر، والمصدَر لا يصح الإخبار به إلا بتأويل.

قوله: (﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى﴾ . . . إلخ) الجملة في محل نصب مَقول لقولٍ محذوفٍ، قدَّره المفسِّر.

قوله: (في دعواه رسولاً[1]) قدَّر ذلك؛ دفعاً لما يقال: هم لا يَعترفون برسالته فكيف يقولون ما ذكر؟

قوله: (﴿لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾) أي: بكثرة الأدلة والمعجزات.

قوله: (﴿لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾) أي: ثبَتْنا واستمسكنا بعبادتها.

قوله: (قال تعالى) أي: ردًّا لقولهم: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾.

قوله: (﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾) (مَنْ): اسم استفهام مبتدأ، و﴿أَضَلُّ﴾: خبره، و﴿سَبِيلًا﴾: تمييز، وقد أشار المفسِّر إلى ذلك بقوله: (أهم أم المؤمنون؟).

قوله: (قدَّم المفعول الثاني) أي: وقيل: لا تقديمَ ولا تأخير؛ لاستوائهما في التعريف.

---

(١) عبارة «الفتوحات» (٣/ ٢٧٦): (في دعواه متعلق بـ«رسولاً»)، وهي أنسب لما عند المفسر رحمه الله تعالى.

أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ....

وجُملة ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ﴾ مَفعُول أوَّل لِـ(رَأيتَ)، والثَّاني ـ ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾: حافِظاً تَحفَظهُ عن اتِّباعِ هَواهُ؟ لا.

﴿٤٤﴾ ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ سَماعَ تفهُّم، ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ ما تَقُولُ لَهُم؟ ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾: أخطَأُ طَرِيقاً مِنها؛ لِأنَّها تَنقادُ لِمَن يَتعَهَّدُها وهُم لا يُطِيعُون مَولاهُم المُنعِمَ علَيهِم.

﴿٤٥﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تَنظُر ﴿إِلَىٰ﴾ فِعلِ ﴿رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (وجملة ﴿مَنِ...﴾ إلخ) أي: بحسَب الصورة، وإلا.. فهي وصلتها في قوَّة المفرد.

قوله: (لا) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام إنكاريٌّ.

قوله: (﴿أَمْ تَحْسَبُ﴾) (أم): منقطعةٌ تفسَّر بـ(بل) والهمزة، والاستِفهام فيها إنكاريٌّ.

قوله: (﴿أَنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾) استُفيد منه: أنَّ الأقلَّ سمع وعقل فآمن.

قوله: (﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾) أي: في عَدم انتفاعهم بالآيات.

قوله: (﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾) أي: لأنَّ الأنعام تَنقاد لمن يتعهَّدها، وتميِّزُ مَنْ يحسن إليها ممَّن يسيء إليها، وتطلب ما ينفعها، وترهب ممَّا يضرُّها، وهؤلاء ليسوا كذلك.

قوله: (﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾) أقام الله سبحانه وتعالى أدلَّةً محسوسةً على انفراده تعالى بالألوهية، وذكر منها خمسة: الأول: هذا، الثاني: قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾، الثالث: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ﴾، الرابع: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾، الخامس: قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾.

وهذا الخطاب للنبي ﷺ، ولكلِّ عاقلٍ؛ فإنَّ مَنْ تأمَّل في تلك الأدلة حقَّ التأمُّل.. عرف أنَّ مُوجِدَها فاعلٌ مختارٌ منفردٌ بالكمال.

قوله: (تنظر) أشار بذلك إلى أنَّ الرؤية بَصرية، فقوله: ﴿كَيْفَ﴾ منصوب بـ﴿مَدَّ﴾ على الحال، والمعنى: ألم تَنظر إلى صنع ربك مدَّ الظل كيف؟ أي: على أيِّ حالة؟ وقدَّر المفسِّر (فعل)؛ إشارةً

وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ....

مِن وَقتِ الإسفارِ إلى وَقت طُلُوع الشَّمس، ﴿وَلَوْ شَآءَ﴾ رَبُّك ﴿لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾: مُقِيماً لا يَزُول بِطُلوعِ الشَّمس، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ﴾ أي: الظِّلِّ ﴿دَلِيلًا﴾، فلَولا الشَّمسُ ما عُرِف الظِّلُّ.

حاشية الصاوي

إلى أنَّ المراد رؤيةُ المصنوعات، لا رُؤية الذات[1]؛ لأنَّ المقصود نصب الأدلة؛ لِيستدل بها على مؤثِّرها؛ فإنَّ كلَّ صنعةٍ لا بدَّ لها من صانع وإن كان يلزم من التَّفكُّر في تلك الأشياء رؤيةُ الله بعين القلب؛ لأنه لا يَغيب عن مخلوقه طرفةَ عينٍ، ومن هنا قيل: العارف يَرى الله في كلِّ شيءٍ؛ فالآثارُ كالمرآة للنَّاظر، فمن تأمَّل فيها.. رأى مُؤثرها، ولا تُحجب إلا مَنْ سبقت له الشقاوة.

قوله: (من وقت الإسفار... إلخ) المناسب أن يقول: من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس؛ إذ هو أحدُ أقوال ثلاثة للمُفسرين، ثانيها: من غروب الشمس إلى طُلوعها، ثالثها: من طلوع الشمس إلى أن تزولَ، ومن زوالها إلى غروبها، وأمَّا ما قاله المفسِّر.. فلم يُوافقه عليه أحدٌ من المفسِّرين.

وهذا الوقت ـ أعني: من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ـ أطيبُ الأوقات وأفضلُهَا؛ ولذا وُصِفَتْ به الجنَّة، قال تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠]، وفيه يَجد المريض راحته، والمسافرُ وكلُّ ذي علة، وفيه تردُّ أرواح الأموات منهم إلى الأجساد، وتَطِيبُ نفوس الأحياء، قال أبو العالية: نهار الجنة هكذا، وأشار إلى ساعة يُصَلون صلاة الفجر[2].

قوله: (﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾) أي: ثابتاً مستقرًّا لا يذهب عن وجه الأرض.

قوله: (لا يزول بطلوع الشمس) أي: بألَّا تطلعَ فلا يزول[3]؛ بأن يستمرَّ الليل مقيماً، أو تطلع من غير ضوء.

قوله: (﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾) أي: جَعلنا الشمس دليلاً على الظِّلِّ ليلاً ونهاراً، فالمراد

---

(١) ولعلَّ توجيه الرُّؤية إليه سبحانه وتعالى مع أنَّ المرادَ تقريرُ رؤيته ﷺ لكيفية مدِّ الظِّلِّ: للتنبيهِ على أنَّ نظره ﷺ غيرُ مقصور على ما يُطالعه من الآثارِ والصَّنائعِ، بل مَطمح أنظارِه معرفةُ شؤون الصَّانعِ المجيدِ. انظر «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم» لأبي السعود (٦/ ٢٢٢).

(٢) انظر «تفسير القرطبي» (١٣/ ٣٧).

(٣) فالنفي مسلط على مجموع القيد والمقيَّد. «فتوحات» (٣/ ٢٧٨).

ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا ....

﴿٤٦﴾ ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ﴾ أي: الظِّلَّ المَمدُود ﴿إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾: خَفِيًّا بِطُلوعِ الشَّمس.

﴿٤٧﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾: ساتِراً كاللِّباسِ، ﴿وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾: راحةً لِلأبدانِ ....

حاشية الصاوي

بالظِّلِّ: ما قابل نور الشمس، وكلٌّ من الظل ونُور الشمس عَرَضٌ؛ لقيامه بغيره، وأمَّا ذات الشمس.. فجوهرٌ.

قوله: (﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾) أي: قليلاً شيئاً فشيئاً، وذلك أنَّ الشمس إذا طلَعت.. ظهر لكلِّ شاخصٍ ظلٌّ إلى جهة المغرب، فكلما ارتفعت في الأُفق.. نقص الظل شيئاً فشيئاً إلى أن تصلَ الشمس وسط السماء؛ فعند ذلك يَنتهي نقص الظل، فبعض البلاد لا يبقى فيها ظلٌّ أبداً في بعض أيام السنة كمَكة وزبيد، وما عداها تبقى له بقيَّةٌ، وهذا على حسب الأشهر القبطيَّة، وضبط ذلك بعضهم بقوله: (طزه جبا أبدوحي)؛ فالطاء بتسعة لطوبة، فظل الزوال فيه تسعة أقدام، والزاي بسبعة لأمشير، والهاء بخمسة لبرمهات، والجيم بثلاثة لبرمودة، والباء باثنين لبشنس، والألف بواحد لبؤونه، والألف الثانية بواحد لأبيب، والباء باثنين لمسرى، والدال بأربعة لتوت، والواو بستة لبابه، والحاء بثمانية لهاتور، والياء بعشرة لكيهك[1]، فإذا زالت الشمس.. زاد الظل جهة المشرق شيئاً فشيئاً حتى تغرب الشمس.

قوله: (كاللباس) أشار بذلك إلى أنه من التشبيه البليغ بحذف الأداة، والجامع بين المشبَّه والمشبَّه به: السَّترُ في كلٍّ.

قوله: (﴿وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾) من السبت، وهو: القَطع؛ لِقطع الأشغال فيه كما قال المفسِّر.

---

(١) أسماء الشهور في السنة القبطية، وأول شهورهم: توت، وهو أيلول بالسريانية، والثاني: بابه، وهو تشرين الأول، والثالث: هاتور، وهو تشرين الثاني، والرابع: كيهك، وهو كانون الأول، والخامس: طوبه، وهو كانون الآخر، والسادس: أمشير، وهو شباط، والسابع: برمهات، وهو آذار، والثامن: برمودة، وهو نيسان، والتاسع: بشنس، وهو أيار، والعاشر: بؤونه، وهو حزيران، والحادي عشر: أبيب، وهو تموز، والثاني عشر: مسري، وهو آب، وبقي منها شهر النسيء، ويعرف بالقبطية باسم الشهر الصغير، وهو خمسة أيام في ثلاث سنوات متتالية، وفي السنة الرابعة يكون فيها ستة أيام. انظر «مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١/ ٣٨).

﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ۝٤٧ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ۝٤٨﴾ ....

بِقَطعِ الأعمالِ، ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾: مَنشُوراً فِيه لِابتِغاءِ الرِّزق وغَيرِه.

﴿٤٨﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ ـ وفي قِراءة: ﴿ٱلرِّيحَ﴾ ـ ﴿نُشُرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾: مُتفرِّقةً قُدَّامَ المَطَر، ـ وفي قِراءة: بِسُكونِ الشِّين تَخفيفاً، وفي أُخرى: بِسُكونِها وفتحِ النُّونِ مَصدَر، وفي أُخرى: بِسُكُونِها وضَمِّ المُوحَّدة بَدَل النُّون، أي: مُبَشِّرات، ومُفرَد الأُولَى: نَشُور كـ(رَسُول)، والأخِيرةِ: (بَشِير) ـ. ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾: مُطهِّراً.

حاشية الصاوي

قوله: (بقطع الأعمال) الباء: سببيَّة، والجارُّ والمجرور متعلِّقٌ بـ(راحة).

قوله: (لابتغاء الرزق) أي: طلَبه.

قوله: (﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾) أي: المبشِّرات، وهي ثلاث: الشمال وتأتي من جهة القُطب، والجنوب تقابلها، والصَّبا وتأتي من مطلع الشمس، والدَّبُور تأتي من المغرب، وبها أُهلكت عاد.

قوله: (وفي قراءة: ﴿ٱلرِّيحَ﴾) أي: وهي سبعيَّة أيضاً، و(أل) فيها للجنس[1].

قوله: (وفي قراءة بسكون الشين... إلخ) حاصل ما ذكره المفسِّر من القراءات أربعٌ، وكلها سبعيَّةٌ: الأولى والثانية جمع (نَشور) كـ(رسول)، والثالثة: مصدر (نشر)، والرابعة: جمع (بَشير)[2].

قوله: (ومفرد الأولى) أي: والثانية.

قوله: (﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾) فيه التفاتٌ من الغيبة للتكلم.

قوله: (﴿طَهُورًا﴾) أي: طاهراً في نفسه، مُطهِّراً لغيره.

---

(١) وبها قرأ ابن كثير. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٢٧).

(٢) قرأ المدنيان والمكي والبصريان بالنون مضمومة مع ضم الشين، وابن عامر بالنون مضمومة مع إسكان الشين، والأخوان وخلف بالنون مفتوحة مع إسكان الشين، وعاصم بالباء الموحدة المضمومة مع إسكان الشين. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٢٧).

لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا ....

﴿٤٩﴾ ﴿لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ ـ بالتَّخفيف، يَستَوِي فِيه المُذكَّر والمُؤنَّث، ذَكَّرَهُ بِاعتِبارِ المَكان ـ ﴿وَنُسْقِيَهُۥ﴾ أي: الماءَ ﴿مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا﴾: إبِلاً وبَقَراً وغَنَماً، ﴿وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾: جَمع إنسانٍ، وأصلُه: أناسِينُ، فأُبدِلَت النُّون ياءً وأُدغِمت فِيها الياءُ، أو جَمع إنسِيٍّ.

﴿٥٠﴾ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ﴾ أي: الماءَ ﴿بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا﴾ أصلُه: يَتذكَّرُوا، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بَلْدَةً﴾) أي: أرضاً.

قوله: (بالتخفيف) أي: لا غير؛ لأنَّ المخفَّف لِمَا ليس ذا روح، وأمَّا بالتَّشديد. لِمَا كانت فيه الروح، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وقال بعضهم[١]: [الطويل]

أيـا سـائـلِـي تَـفـسـيـرَ مَـيْـتٍ ومَـيِّـتٍ ... فـدُونَـكَ قَـدْ فَـسَّـرْتُ مـا عَـنْـهُ تَـسـألُ

فـمـا كـانَ ذا رُوحٍ فـذلِـكَ مَـيِّـتٌ ... وما الـمَـيْـتُ إلَّا مَنْ إلى الـقَـبْـرِ يُـحـمَـلُ

قوله: (يستوي فيه المذكَّر... إلخ) جوابٌ عمَّا يقال: لم ذكَّر (ميتاً) مع أنه نعت لـ(بلدة) وهي مؤنثة؟ وقوله: (ذكَّره... إلخ) جوابٌ ثانٍ، فكان المناسب أن يأتي بـ(أو).

قوله: (﴿أَنْعَٰمًا﴾) خصَّها بالذكر؛ لأنها عزيزةٌ عند أهلها؛ لِكونها سبباً لحياتهم ومعاشهم.

قوله: (جمع إنسان) هذا هو الراجح، وقيل: جمع إنسيٍّ، وهو معترَضٌ بأن الياء في (إنسي) للنسب، وهو لا يجمع على (فعالي)، كما قال ابن مالك[٢]: [الرجز]

واجْـعَـلْ فَـعَـالِـيَّ لِـغَـيْـرِ ذي نَـسَـبْ

قوله: (وأصله: أناسين) أي: كـ: سرحان وسراحين.

قوله: (﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ﴾) أي: فرَّقناه في البلاد المختلفة والأوقات المتغايرة على حسب ما قُدِّر في سابق عِلمه. رُوي عن ابن مسعود أنه قال: (ليس مِنْ سَنَةٍ بأمطرَ من أخرى، ولكنَّ الله عزَّ وجلَّ قسَّم هذه الأرزاق، فجَعلها في السماء الدنيا، في هذا القطر، ينزل منه كل سنة بكيل معلوم،

(١) نقلهما الخليل عن أبي عمرو. انظر «تاج العروس» (٥/ ١٠٠).

(٢) «الخلاصة»، باب: جمع التكسير.

فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ٥٠ وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا ٥١ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ ....

أُدغِمَت التَّاء في الذَّال، وفي قِراءة: (لِيَذكُرُوا) بِسُكونِ الذَّال وضَمِّ الكاف أي: نِعمةَ الله به، ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا﴾: جُحُوداً لِلنِّعمةِ، حيثُ قالُوا: مُطِرنا بِنَوءِ كذا.

٥١ ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا﴾ يُخَوِّفُ أهلَها، ولَكِن بَعَثناكَ إلى أهلِ القُرَى كُلِّها نَذِيراً لِيَعظُمَ أجرُك.

٥٢ ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ في هَواهُم، ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ﴾ أي: بِالقُرآنِ ....

حاشية الصاوي

وإذا عمل قومٌ بالمعاصي.. حوَّل الله ذلك إلى غيرهم، وإذا عصَوْا جميعاً.. صرَف الله ذلك المطرَ إلى الفَيافي والبحار)[1].

قوله: (أدغمت التاء في الذال) أي: بعد قلبها دالاً فذالاً.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[2].

قوله: (أي: نعمة الله به) أي: فيقوموا بشكرها؛ ليزدادوا خيراً.

قوله: (جحوداً للنعمة) أي: حيث أضافوها لغير خالِقها.

قوله: (مطرنا بنوء كذا) النَّوْءُ: سقوط نجم من المنازل في المغرب، وطُلوع رقيبه من المشرق في ساعته، في عِدة أيام معلومة لهم، وكانت العرب تضيفُ الأمطار والرياح والحرَّ والبرد إلى الساقط، وقيل: إلى الطالع، واعتقادُ تأثير تلك الأشياء في المصنوعات كفرٌ؛ لأنه لا أثر لشيءٍ في شيءٍ، بل المؤثر هو الله وحدَه، وإنما تلك الأشياء من جملة الأسباب العادية التي تُوجَدُ الأشياء عندها لا بها، ويمكن تخلُّفها؛ كالإحراق للنار، والرِّي للماء، والشِّبع للأكل.

قوله: (﴿لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ﴾) أي: في زَمنك.

قوله: (ليعظم أجرك) أي: فالنبي ﷺ له مثلُ أجر مَنْ آمن به مِنْ بعثَته إلى يوم القيامة.

قوله: (﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾) أي: بل اصبِر على أحكام ربِّك.

---

(١) رواه الثعلبي بسنده إلى سيدنا ابن مسعود مرفوعاً في «الكشف والبيان» (٧/ ١٤٠).

(٢) قرأ الأخوان وخَلف بإسكان الذال وضم الكاف مخففة، وغيرهم بفتح الذال والكاف مشددتين. انظر «البدور الزاهرة» (ص٢٢٧).

جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا ....

﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾.

﴿٥٣﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾: أرسَلَهُما مُتَجاوِرَينِ؛ ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾: شَدِيدُ العُذُوبة، ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾: شَدِيدُ المُلُوحة، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾: حاجِزاً لا يَختَلِط أحَدُهما بِالآخَر، ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ أي: سِتراً مَمنُوعاً بِه اختِلاطُهما.

﴿٥٤﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾: مِن المَنِيِّ إنساناً، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾) أي: لأنَّ مجاهدة السفهاء بالحُجَج أكبرُ من مجاهدة الأعداء بالسيف.

قوله: (أرسلهما متجاورَيْنِ) أي: أجراهما متلاصِقين؛ لا يتمازجان، ولا يَبغي أحدهما على الآخر.

قوله: (﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾) هذه الجملة يحتمل أن تكون مستأنفةً جوابَ سؤال مقدَّر، كأنه قيل: كيف مرجهما؟ ويحتمل أن تكون حاليَّةً بتقدير القول؛ أي: مقولاً فيهما: (هذا عذب... إلخ)، وسمي الماء العذب فراتاً؛ لأنه يَفْرُتُ العطشَ؛ أي: يَشقُّهُ ويقطعُهُ.

قوله: (شديد المُلوحة) أي: وقيل: شديد الحرارة، وقيل: شَديد المرارة، وهذا من أحسَن المقابلة؛ حيث قال: (عذب فرات، وملح أجاج).

قوله: (حاجزاً لا يختلط أحدهما بالآخر) أي: فالماء العذب داخلٌ في المِلْح وجارٍ في خلاله، ومع ذلك لا يتغيَّر طعمه ولا يختلطان، بل يبقى كلٌّ على ما هو عليه بسبب منع الله لكلٍّ منهما عن الآخر بحاجز معنوي لا يُحَسُّ، بل بِمحض قدرته تعالى، وهذا من أكبر الأدلة على انفراد الله تعالى بالألوهيَّة.

قوله: (﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾) تقدَّم أن معناه: تعوَّذنا تعوُّذاً، والمراد هنا: السَّتر المانع، فشُبِّه البحران بطائفتين متعاديتَين، كلٌّ منهما تتحصَّن من الأخرى، وطُوِيَ ذكرُ المشبَّه به، ورُمِزَ له بشيءٍ من لوازمه، وهو قوله: ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ على طريق الاستعارة المكنيَّة.

قوله: (﴿بَشَرًا﴾) أي: خلقاً كاملاً مركَّباً من لحمٍ وعظمٍ وعصبٍ وعروقٍ ودمٍ على شكلٍ حسنٍ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ ....

﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا﴾: ذا نَسَب، ﴿وَصِهْرًا﴾: ذا صِهر، بِأن يتزوَّج ذَكراً كان أو أُنثى، طَلَباً لِلتَّناسُل، ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾: قادِراً على ما يَشاءُ.

﴿٥٥﴾ ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ أي: الكُفَّار ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ﴾ بِعِبادَتِه، ﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ بِتَركِها، وهو الأصنامُ، ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾: مُعِيناً لِلشَّيطانِ بِطاعتِه.

﴿٥٦﴾ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ يا مُحمدُ ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ بِالجنَّةِ، ﴿وَنَذِيرًا﴾: مُخَوِّفاً مِن النار.

حاشية الصاوي

قوله: (ذا نسب... إلخ) أي: فقسَّمه قسمين: ذوي نسب؛ أي: ذكوراً ينسب إليهم، وذواتِ صهرٍ؛ أي: إناثاً يُصاهر بهنَّ، وأخَّر الصِّهر؛ لأنه لا يحصل إلا بعد الكِبَرِ والتَّزوُّج.

قوله: (ذا صهر) صِهْرُ الرجل: أقارب زَوجته، وصِهْرُ المرأة: أقارب زوجها.

قوله: (﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾) أي: حيث خَلق من مادة واحدة إنساناً ذا أعضاء مختلفة، وطِباع متباعدة، وأخلاق متعددة، وجعله قِسمين متقابلين؛ فمَنْ كان قادراً على ذلك وأمثاله.. فهو حقيقٌ بألَّا يُعْبَد غيرُهُ.

قوله: (﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾) شروعٌ في ذكر قبائح المشركين مع ظهور تلك الأدلة.

قوله: (﴿مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾) قدَّم النفع في بعض الآيات وأخَّره في بعضها؛ تفنُّناً.

قوله: (﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾) أي: يُعاون الشيطان ويتابعه بالعداوة والشرك، و(أل) في ﴿ٱلْكَافِرُ﴾: للجنس، فالمراد: كلُّ كافر، وقيل: معنى ﴿ظَهِيرًا﴾: مهيناً لا يُعْبَأ به، فـ(على) بمعنى (عند)، والمعنى: وكان الكافر عند ربِّه مهاناً لا حرمة له، مأخوذٌ من قولهم: ظهَرت به: إذا نبذْتَهُ خلف ظهرك.

قوله: (بطاعته) أي: الشيطانِ، والباء: سببيَّة، والمعنى: صار الكافر معيناً للشيطان على معصية الله بسبب طاعتِهِ إيَّاه والخروجِ عن طاعة الله.

قوله: (﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾) أي: لم نُرسلك في حالٍ من الأحوالِ إلا حالَ كونك مبشِّراً ونذيراً؛ فمَنْ آمن.. فقد تحقَّق بالبشارة، ومَن استمرَّ على الكفر.. فلَه النِّذارة.

قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ....

﴿٥٧﴾ ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على تَبليغ ما أُرسِلتُ به ﴿مِنْ أَجْرٍ إِلَّا﴾: لَكِن ﴿مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾: طَرِيقاً بِإنفاقِ مالِه في مَرضاتِه تَعالى فلا أَمنَعهُ مِن ذَلك.

﴿٥٨﴾ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ﴾ مُتلبِّساً ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ أي: قُل: سُبحانَ الله والحمدُ لله، ....

حاشية الصاوي

قوله: (على تبليغ ما أرسلت به) أي: المفهوم من قوله: ﴿أَرْسَلْنَٰكَ﴾.

قوله: (لكن ﴿مَن شَآءَ﴾ . . . إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ الاستثناء منقطعٌ، والمعنى: لا أطلُب من أموالكم جُعْلاً لنفسي، لكن من شاء أن يُنفق أمواله لوجه الله تعالى طلباً لمرضاته. . فليَفعل.

قوله: (في مَرضاته تعالى) أي: كالصدقة والنَّفقة في سبيل الله تعالى.

قوله: (﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾) لما قدَّم أنَّ الكافر خارجٌ عن طاعة ربِّه، وعن طاعة رسوله، وأمر الرسول ألَّا يسألهم أجراً على تبليغه. . أمره بالاعتماد عليه تعالى؛ ليكفيَهُ شُرورهم، ويُغنيَهُ عن أجورهم؛ فإنه الحقيق بأن يتوكَّل عليه دون الأحياء الذين يموتون؛ فإنهم إذا ماتوا. . ضاع من توكَّل عليهم. والتوكل هو: وثوق القلب بالله تعالى في جميع الأمور من غير اعتمادٍ على الأسباب وإن تعاطاها.

قوله: (﴿ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾) صفة كاشفة؛ لأنَّ معنى الحيِّ في حقِّه تعالى: ذو الحياة الأبديَّة التي يستحيل عليها الموت والفناء، ووصفُهُ بالحياة بهذا المعنى مستلزمٌ لاتصافه بِوجوب الوجود والقدم والبقاء وجميع الصفات الوُجودية والسلبية.

قوله: (﴿وَسَبِّحْ﴾) أي: نزِّهه عن كلِّ نقصٍ.

قوله: (﴿بِحَمْدِهِۦ﴾) الباء: للملابسة كما قال المفسِّر؛ أي: صِفْهُ بالكمالات.

قوله: (أي: قل: سبحان الله، والحمد لله) أي: فذلك مجمعُ التسبيح والتحميد؛ لأنَّ معنى (سبحان الله): تَنزيه الله عن كلِّ نقصٍ، ومعنى (الحمد لله): كلُّ كمال ثابتٌ لله، فهاتان الكلمتان من جوامع الكلم التي أوتيَهَا رسول الله ﷺ، وهما مِن جملة الباقيات الصالحات وغِراس الجنة التي بقيَّتها: لا إله إلا الله، والله أكبر.

وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ . .

﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾: عالِماً، تعلَّق به ﴿بِذُنُوبِ﴾.

﴿٥٩﴾ هو ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ مِن أيام الدُّنيا، أي: في قَدْرِها؛ لِأنَّهُ لَم يَكُن ثَمَّ شَمسٌ، ولو شاء لَخَلقهُنَّ في لَمحةٍ، والعُدُول عنه لِتَعلِيم

حاشية الصاوي

وحكمة تأخير (لا إله إلا الله) عن هاتين الجملتين؛ ليكون النُّطق بها عن معرفةٍ ويقينٍ، فهي نتيجة ما قبلها، و(الله أكبر) نتيجة الثلاث قبلها؛ لأنه إذا تنزَّه عن النقائص واتَّصف بالكمالات وثبت أنه لا إله غيره. . فقد انفرَد بالكبرياء والعظمة.

وحِكمة الاقتصار هنا على التسبيح والتحميد: لأنهما مُستلزمان للجملتين بعدهما.

قوله: (﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ﴾) الباء: زائدة في الفاعل.

قوله: (عالماً) أي: بالمذنب والطائع.

قوله: (تعلَّق به) أي: بـ﴿خَبِيرًا﴾.

قوله: (﴿بِذُنُوبِ﴾) أي: لفظ ﴿بِذُنُوبِ﴾، وقُدِّم رعايةً للفاصلة، والمعنى: أنَّ الله قادرٌ على مجازاة الخلق في كلِّ وقتٍ؛ فلا يَنظر الإنسانُ لعيوب الناس ولا طاعاتِهِم، بل عليك بنفسك، وفَوِّض أمرهم إليه.

قوله: (هو ﴿ٱلَّذِى﴾) أشار بذلك إلى أنَّ الموصول خبرٌ لمحذوف[1]، وهذه الجملة سِيقت تحريضاً للتَّوكُّل عليه تعالى؛ فإنَّ مَنْ كان قادراً على ذلك. . فهو حقيقٌ بالتَّوكُّل عليه.

قوله: (﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾) أي: فالأرض في يومَين: الأحد والاثنين، وما عليها في يومين: الثُّلاثاء والأربعاء، والسماوات في يومَين: الخميس والجمعة، وفرَغ من آخر ساعة من يوم الجمعة.

قوله: (أي: في قدرها) دفع بذلك ما يقال: إنَّ الأيام لم تكن موجودةً إذ ذاك.

قوله: (والعدول عنه) أي: عن الخلق في لمحة.

---

(١) أو مبتدأً، و(الرحمن) خبره ـ كما سيأتي ـ أو منصوباً بإضمار فعل، أو صفة لـ(الحي الذي لا يموت)، أو بدلاً أو بياناً، وهذا كله على قراءة العامة بالرفع، وأما على قراءة زيد بن علي بالجر. . فيَتعين أن يكون (الذي خلق) صفة لـ(الحي) فقط؛ لئلا يُفصل بين النعت ومنعوته بأجنبي. انظر «الدر المصون» (٨/ ٤٩٢).

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٩﴾ ....

خَلقِه التَّثبُّت، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۚ﴾ هو في اللُّغة سَرِيرُ المُلكِ، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ - بَدَل مِن ضَمِير ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ - أي: استِواءً يَلِيق بِه، ﴿فَسْـَٔلْ﴾ أيُّها الإنسانُ ﴿بِهِۦ﴾: بِالرَّحمنِ ﴿خَبِيرًا﴾ يُخبِرْك بِصِفاتِه.

حاشية الصاوي

قوله: (التَّثبُّت) أي: التأنِّيَ والتُّؤدةَ في الأمور، وعدمَ العجلة فيها؛ لما ورد: «**العجلة من الشيطان**»[1]، واستَثنى العلماء من ذلك مسائل: إقراء[2] الضيف، وتزويج البكر، وتجهيز الميت، والصلاة في أول وقتها، وقضاء الدَّين، وتعجيل الأَوْبَة للمسافر بعد قضاء حاجتِه.

قوله: (**هو في اللغة: سرير الملك**) أي: ومنه قوله تعالى: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا﴾ [النمل: ٣٨]، والمراد هنا: جسمٌ عظيمٌ محيطٌ بالعالم فوق السماوات السَّبع.

قوله: (**بدل من ضمير** ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾) ويصح أن يكون خبراً لمحذوف، أو خبرَ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾.

قوله: (**أي: استواءً يليق به**) هذا إشارةٌ لمذهب السَّلف، وهم: من كانوا قبل الخمس مئة، ومذهب الخلف: تفسيرُ الاستواء بالاستيلاء عليه والتَّصرُّفِ فيه، وهو أحد معنيَي الاستواء، واستدلوا لذلك بقول الشاعر[3]: [الرجز]

قَدِ اسْتَوى بِشْرٌ عَلى العِرَاقِ ... مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ ودَمٍ مُهْرَاقِ

وفي قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ إشارةٌ إلى أنَّ الله تعالى استوى على العرش بوَصف الرحمة، فوَسِع العالمين، وكان سقفَ الجنَّة، لا بوصف الجلال، وإلَّا.. لَذاب ولم يبقَ له أثرٌ.

قوله: (﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾) ﴿بِهِۦ﴾: مُتعلق بـ﴿خَبِيرًا﴾، قدِّم رعايةً للفاصلة، والمعنى: اسأل يا محمد خبيراً بِصفاته تعالى، وليس خبيراً بصفاته إلا هو سبحانه وتعالى، ويصح أن يكون الجارُّ والمجرور متعلِّقاً بـ(اسأل)، والباء بمعنى (عن)، والمعنى: اسأل عنه خبيراً؛ أي: عالماً بصفاته، يُطلِعك على ما خفي عليك، والخبير يختلف باختلاف السائل؛ فإن كان السائلُ النبيَّ عليه الصلاة

---

(١) رواه الترمذي (٢٠١٢) عن سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٢) كذا في الأصول، وفي «المختار»، مادة (ق ر ا): (وقَرَى الضيف يَقْرِيه، قِرًى بالكسر والقصر، وقَرَاءً بالفتح والمد: أحسن إليه).

(٣) قال الإمام الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» (٢/١٠٦): (وهو للبعيث كما قاله ابن عباد، أو لِلأخطل كما قاله الجوهري... كذا نسبه إسماعيل بن عبَّاد في كتابه «نهج السبيل»).

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا ....

﴿٦٠﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾: لِكُفَّار مكَّةَ: ﴿ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ ـ بِالفَوقانِيَّة والتَّحتانِيَّة، والآمِر مُحمَّد ـ ولا نَعرِفُه؟ لا، ﴿وَزَادَهُمْ﴾ هذا القولُ لَهُم ﴿نُفُورًا﴾ عنِ الإيمانِ. قال تَعالى:

﴿٦١﴾ ﴿تَبَارَكَ﴾: تَعاظَمَ ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ اثني عَشَر: ....

حاشية الصاوي

والسلام.. فالخبير هو الله، وإن كان السائل الصحابة.. فالخبير النبيُّ ﷺ، وإن كان السائل التابعين.. فالخبيرُ الصحابة عن النبي عن الله... وهكذا، فآل الأمرُ إلى أنَّ المشايخَ العارفين يُفيدون الطالب عن الله، وفيه دليلٌ على وجوب معرفة التوحيد.

قوله: (﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾) أي: لِكُفار مكة.

قوله: (﴿قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾) أي: ظنًّا منهم أنَّ المراد به غيره تعالى؛ لأنهم كانوا يطلقون الرحمن على مسيلمة الكذاب[1].

قوله: (بالفوقانيَّة والتحتانية) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (والآمر محمد) أي: على كلٍّ من القراءتين.

قوله: (ولا نعرفه) راجعٌ لقوله: ﴿لِمَا تَأْمُرُنَا﴾، فكان المناسب ذكره بلصقِه.

قوله: (لا) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام إنكاريٌّ.

قوله: (تعاظم) أي: انفرد بالعظمة؛ لأنَّ مَنْ كانت هذه أوصافه فهو منفردٌ بالكبرياء والعظمة، وتقدَّم أنَّ لفظة (تبارك) من الصفات الجامعة، تُفسَّر في كلِّ مقامٍ بما يُناسبه.

قوله: (﴿بُرُوجًا﴾) جمع بُرج، وهو في الأصل: القصر العالي، سمِّيت هذه المنازل بروجاً؛ لأنها للكواكب السبعة السيَّارة كالمنازل الرفيعة التي هي كالقصور لسكانها، فالمراد بالبروج: الطرق والمنازل للكواكب السيَّارة.

---

(١) ويجوز أن يكون سؤالاً عن المسمَّى به؛ لأنهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم، والسؤال عن المجهول بـ(ما)، ويجوز أن يكون سؤالاً عن معناه؛ لأنه لم يكن مُستعملاً في كلامهم كما استعمل الرحيم والرَّحوم والراحم، أو لأنهم أنكروا إطلاقه على الله تعالى. انظر «الكشاف» (٣/ ٢٩٥).

(٢) قرأ الأخوان: (يأمرنا) بياء الغيبة، والباقون بالخطاب. انظر «الدر المصون» (٨/ ٤٩٤).

﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ۝٦١﴾ ....

الحَملُ والثَّور والجَوزاء والسَّرَطانُ والأسَد والسُّنبُلة والمِيزان والعَقرَب والقَوسُ والجَدي والدَّلو والحُوتُ، وهي مَنازِلُ الكواكِب السَّبعة السَّيَّارة: المِرِّيخ ولَهُ الحَمل، والعَقرَب والزُّهرة ولَها الثَّور والمِيزان، وعُطارِد ولَهُ الجَوزاء والسُّنبُلة، والقَمَر ولَهُ السَّرَطان، والشَّمس ولَها الأسَد، والمُشتَرِي ولَهُ القَوس والحُوتُ، وزُحَلُ ولَهُ الجَديُ والدَّلو، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ أيضاً ﴿سِرَٰجًا﴾ هو الشَّمس، ﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ ـ وفي قِراءة: (سُرُجاً) بِالجَمع،

حاشية الصاوي

قوله: (الحمل) أي: ويسمَّى بالكبش.

قوله: (والأسد) أي: ويسمَّى بالليث أيضاً، وقوله: (والدلو) ويسمَّى الدالي أيضاً.

قوله: (المريخ) بكسر الميم.

قوله: (وله) أي: من البروج المذكورة، والحاصل: أنَّ خمسة من الكواكب السبعة أخذت عشرة بروج؛ كل واحد اثنين، واثنان من السبعة وهما الشمس والقمر كل واحد منهما أخذ واحداً من البُروج، وتقدَّم في (سورة الحجر) نظم الكواكب والبروج، وتقدَّم أنَّ زُحَلَ نجمٌ في السماء السابعة، والمشتري في السادسة، والمريخ في الخامسة، والشمس في الرابعة، والزُّهَرة في الثالثة، وعطارد في الثانية، والقمر في الأولى.

وتخصيص الشمس بِالأسد؛ لكونه بيتَهَا المنسوبَ لها؛ فلا ينافي سيرها في البروج كلِّها، وكذا غيرها من باقي الكواكب السبعة؛ وذلك لأنَّ البروجَ أصلُها في سماء الدنيا، وتمتدُّ للسماء السابعة، فالبروج كلُّها طرقٌ لِلكواكب السبعة كلِّها.

قوله: (والزُّهَرة) بفتح الهاء.

قوله: (وعطارد) بضمِّ العين، ممنوع من الصرف؛ لصيغة منتهى الجموع.

قوله: (وزحل) ممنوع من الصرف؛ للعَلميَّة والعدل كـ(عُمر).

وقد جعل الله تعالى بهذه الكواكب النفعَ في العالم السفليِّ كالأكل والشرب؛ يُوجد النفع عندها لا بها، فهي من جملة الأسباب العاديَّة، فمَنِ اعتقَد تأثيرها بطبعها.. فقد كفر، أو بقوةٍ جعَلها الله فيها.. فقد فَسَقَ.

قوله: (﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾) أي: السماء.

وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ....

أي: نيِّراتٍ ـ وخُصَّ القمر مِنها بِالذِّكرِ لِنوع فَضيلةٍ.

﴿٦٢﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ أي: يَخلُف كُلٌّ مِنهُما الآخَر، ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ ـ بِالتَّشدِيد والتَّخفِيف كما تَقدَّم ـ ما فاتَهُ في أحَدِهما مِن خَير فيَفعَلَهُ في الآخَر، ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ أي: شُكراً لِنعمةِ رَبِّه علَيه فِيهِما.

﴿٦٣﴾ ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ ـ مُبتَدأ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: نيِّرات) صفة لموصوف محذوف؛ أي: كواكب نيِّرات، ودخل فيها القمر؛ فلذلك قال: (وخُصَّ القمرُ... إلخ).

قوله: (لنوع فضيلة) أي: لأنَّ مواقيت العبادة تُبنى على الأشهر القمريَّة، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩].

قوله: (أي: يخلف كلٌّ منهما الآخر) أي: بأن يقوم مَقامه، فكلٌّ واحدٍ من الليل والنهار يخلف صاحبه.

قوله: (بالتشديد) أي: فأصله: (يتذكر) قلبت التاء دالاً ثم ذالاً وأدغمت في الذال.

قوله: (والتخفيف) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (كما تقدَّم) أي: في قوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟﴾.

قوله: (ما فاته في أحدهما من خير... إلخ) أي: فمَن فاته شيءٌ من الخير بالليل.. أدركه بالنهار، ومن فاته بالنهار.. أدركه بالليل؛ من فرائضَ وسُننٍ وغيرِهِما.

قوله: (﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾) ﴿أَوْ﴾: مانعةُ خلوٍّ، تُجوِّز الجمع.

قوله: (﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾... إلخ) لما ذكر أحوال المنافقين والكفار وما آل إليه أمرُهُم.. ذكر هنا أوصاف المؤمنين الكاملين، ووَصفهم بأوصاف ثمانية، بها تنال المراتب العالية، وإضافتهم إليه

(١) قرأ حمزة بسكون الذال وضم الكاف مخففة من (ذكر) بمعنى (تذكر)، والباقون بفتح الكاف والذال مُشددتين. انظر «السراج المنير» (٢/ ٦٧١).

﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣﴾ ....

وما بعدَه صِفاتٌ لَه إلى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ﴾، غيرَ المُعترِض فِيه - ﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ أي: بِسَكِينةٍ وتَواضُع، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ﴾ بِما يَكرَهُونَه ﴿قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ أي: قَولاً يَسلَمُون فِيه مِن الإثمِ.

حاشية الصاوي

تعالى للتشريف، وإلَّا.. فكلُّ المخلوقات عبادُ الله، أو يقال: إضافتُهم له من حيثُ كونُه رحماناً[1]؛ لِكونهم مَظهَرَ الرحمة، وستختصُّ بهم في الآخرة.

قوله: (وما بعده) أي: من الموصولات الثمانية التي أوّلها قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ﴾، وآخرها قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا...﴾ إلخ.

قوله: (إلى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾) أي: وهو الخبر كما سيَذكره هناك.

قوله: (غير المعترَضِ فيه) أي: وهو قوله: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا﴾ إلى قوله: ﴿مَتَابٗا﴾ وهو ثلاث آيات، وحاصل ما ذكَره من الأوصاف: أنَّ بعضها متعلِّق بالخَلق، وبعضها متعلِّق بالخالق.

قوله: (﴿هَوۡنٗا﴾) هو مصدر (هان) كـ(قال).

قوله: (أي: بسكينة) أي: تُؤَدةٍ وتأنٍّ.

قوله: (﴿ٱلۡجَٰهِلُونَ﴾) أي: السُّفهاء.

قوله: (﴿قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾) أي: مع القُدرة على الانتقام، فالمراد: الإغضاء عن السفهاء، وترك مُقابلتهم في الكلام، وهذا الخُلُق من أعظم الأخلاق؛ لما في الحديث: «**كاد الحليم أن يكون نبيًّا**»[2]، وفي الحديث: «**يَبلغ الحليم بحلمه ما لا يَبلغه الصائم القائم**»[3]، والآثار في ذلك كثيرة.

---

(١) من زعم أنَّ الشرط في منع الصرف وجودُ (فَعْلَى).. صرفه؛ إذ ليس له (فَعلى)، ومن زعم أنَّ الشرط انتفاء (فَعلانة).. منعه من الصرف؛ إذ ليس له (فَعلانة). انظر «تفسير النسفي» (١/ ٢٩).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦/ ١٢٦) عن سيدنا عمر رضي الله عنه، وعزاه السخاوي في «المقاصد الحسنة» (٧٨٨) إلى الديلمي عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦/ ٢٣٢) عن سيدنا عليٍّ رضي الله عنه، وتمامه: «وإن الرجل ليكتب جباراً وما يملك إلا أهل بيته».

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ . . . .

﴿٦٤﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا﴾: جمعُ (ساجِد) ﴿وَقِيَامًا﴾: بِمعنَى: قائِمِين أي: يُصَلُّونَ بِاللَّيل.

(﴿٦٥﴾ - ﴿٦٦﴾) ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أي: لازِماً. ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ﴾: بِئسَت ﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ هي، أي: مَوضِعَ استِقرارٍ وإقامةٍ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ﴾) شروعٌ في ذكر مُعاملتهم للخالق إثْرَ معاملتهم للخَلق، وخصَّ البيتوتة بالذكر؛ لأنَّ العبادة بالليل أبعَدُ عن الرياء، وفي الحديث: «**لا زال جبريل يُوصيني بقيام بالليل حتى علمتُ أنَّ خيار أُمتي لا ينامون**»[1]، وأخَّر القيام؛ مراعاةً للفواصل.

قوله: (**أي: يُصلون بالليل**) هذا صادقٌ بِصلاة العشاء والصبح في جماعةٍ، ولكن كلَّما كثرت العبادة بالليل.. كان خيراً.

قوله: (﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ﴾... **إلخ**) أي: فهُم مع حُسن المعاملة للخالق وللخلق ليس عندهم غرورٌ ولا أمنٌ مِنْ مكر الله، بل هم خائفون من عذابه، وَجِلُون من هَيبته.

قوله: (﴿إِنَّ عَذَابَهَا﴾... **إلخ**) تعليلٌ لقولهم: ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾.

قوله: (﴿كَانَ غَرَامًا﴾) أي: في عِلمه تعالى.

قوله: (**أي: لازماً**) أي: لزوماً كليًّا في حقِّ الكفار، ولزوماً بعده خروجٌ في حقِّ عصاة المؤمنين.

قوله: (﴿إِنَّهَا سَاءَتْ﴾) الفاعل ضمير مستتر يفسِّره التمييز المذكور، والمخصوصُ بالذمِّ محذوفٌ، قدَّره المفسِّر بقوله: (**هي**).

قوله: (﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾) هما بمعنى واحد، وهو الذي يشير إليه المفسِّر، وقيل: مستقرًّا لعصاة المؤمنين، ومُقاماً للكافرين.

---

(١) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (٧/ ٧٩٠) إلى الديلمي عن أنس رضي الله عنه.

وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ ....

﴿٦٧﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ﴾ على عِيالِهم ﴿لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ﴾ ـ بِفَتحِ أوّله وضَمِّه ـ أي: يُضَيِّقُوا، ﴿وَكَانَ﴾ إنفاقُهم ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ الإسرافِ والإقتارِ ﴿قَوَامًا﴾: وسَطاً.

﴿٦٨﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ قَتْلَها ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي: واحِداً مِن الثَّلاثة ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ أي: عُقُوبةً.

﴿٦٩﴾ ﴿يُضَٰعَفْ﴾ ـ وفي قِراءة: (يُضَعَّف) بِالتَّشديدِ ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بفتح أوله) أي: مع كسر التاء وضمِّها من باب: (ضرَب) و(نصر)، وقوله: (وضمِّه) أي: مع كسر التاء لا غير، فالقراءاتُ ثلاثُ سبعيَّات[1].

قوله: (أي: يضيِّقوا) أي: على عِيالهم مع إيسارهم.

قوله: (﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾) هو بمعنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ...﴾ [الإسراء: ٢٩] الآية.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ﴾... إلخ) شُروعٌ في بيان اجتنابهم المعاصي إثْرَ إتيانهم بالطاعات.

قوله: (﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾) أي: لا يقتلون النفس المحرمة بِسبب من الأسباب إلا بسبب الحق؛ بأن تكون مستحقَّة للقتل كالمرتد، والزاني المحصن، والقاتل.

قوله: (أي: واحداً من الثلاثة) في بعض النسخ: (أي: ما ذُكِرَ)، وهو المناسب لِقوله: ﴿يُضَٰعَفْ﴾؛ لأنَّ المشرك إذا ارتكب المعاصي مع الشرك.. تَضاعفت له العقوبة.

قوله: (وفي قراءة: ﴿يُضَعَّف﴾) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان، وكلٌّ منهما مع جزم الفعل ورَفعه، فالقراءات أربعٌ سبعيَّات[2].

---

(١) قرأ الكوفيون بفتح الياء وضم التاء، وابن كثير وأبو عمرو بالفتح والكسر، ونافع وابن عامر بالضم والكسر. انظر «الدر المصون» (٨/ ٥٠٠).

(٢) قرأ نافع والبصري وحفص والأخوان: (يُضاعفْ) بالألف والجزم، وقرأ شعبة بالألف والرفع: (يضاعفُ)، وقرأ ابن =

لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ . . . .

﴿لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ﴾ ـ بجزمِ الفِعلَينِ بَدَلاً، وبِرَفعِهِما استِئنافاً ـ ﴿مُهَانًا﴾ ـ حالٌ ـ.

﴿٧٠﴾ ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا﴾ مِنهُم ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ المَذكُورةَ ﴿حَسَنَـٰتٍ﴾ في الآخِرةِ، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ أي: لَم يَزَل مُتَّصِفاً بِذَلك.

﴿٧١﴾ ﴿وَمَن تَابَ﴾ مِن ذُنُوبِه غيرَ مَن ذُكِرَ ﴿وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ أي: يَرجِع إلَيه رُجُوعاً، فيُجازِيه خَيراً.

حاشية الصاوي

قوله: (بدلاً) أي: من ﴿يَلْقَ﴾ بدل اشتمال[1].

قوله: (﴿مُهَانًا﴾) أي: ذليلاً حقيراً.

قوله: (﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾) استثناءٌ مُتصل من الضمير المستتر في ﴿يَلْقَ﴾.

قوله: (﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ﴾) اسم الإشارة راجع لقوله: ﴿مَن تَابَ﴾.

قوله: (﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾) أي: يمحُو ما سبق منهم من المعاصي بسبب التوبة، ويثبت مكانها الطاعات أو نيّتها، وفي «القرطبي»: (ولا يبعد في كلام الله تعالى إذا صَحت توبة العبد أن يضع مكان كلِّ سيئة حسنةً)[2].

قوله: (﴿وَمَن تَابَ﴾) أي: من المعاصي؛ بتركها والنَّدم عليها.

قوله: (﴿وَعَمِلَ صَـٰلِحًا﴾) أي: فعَل الطاعات ولو بالنيَّة؛ كمن فجَأه الموت عقب التوبة.

قوله: (فيُجازيه خيراً) دفع بذلك ما يتوهَّم من اتحاد الشرط والجزاء؛ كأنه قال: مَن تاب وعمل صالحاً.. فإنه يرجع إلى جزاء الله في الآخرة الجزاء الحسَن.

= عامر بحذف الألف مع الرفع: (يُضعَّفُ)، وقرأ بحذف الألف والجزم ابن كثير وأبو جعفر ويعقوب: (يضعَّفْ). انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٢٨).

(١) عند من يجيز إبدال فعلٍ من فعلٍ بدلَ اشتمال، وقيل: لا يجوز؛ لأنَّ الفعل لا يشتمل على الفعل، وعليه: فهو بدل كلٍّ من كلٍّ. انظر «همع الهوامع» (٣/ ١٨٣).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٣/ ٧٨)، وفيه: (كرم الله) بدل (كلام الله)، ولعله أولى مراعاةً للمعنى.

وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ....

﴿٧٢﴾ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ أي: الكَذِبَ والباطِل، ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ مِن الكَلام القَبيح وغَيرِه ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾: مُعرِضِين عنه.

﴿٧٣﴾ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا﴾: وُعِظُوا ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ أي: القُرآنِ ﴿لَمْ يَخِرُّوا﴾: يَسقُطُوا ﴿عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾، بَل خَرُّوا سامِعِين ناظِرِينَ مُنتَفِعِين.

﴿٧٤﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا﴾ - بِالجَمعِ والإفرادِ - ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ لَنا بِأن نَراهُم مُطِيعِين لَك، ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ في الخيرِ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾) أي: لا يَحضرونه، أو لا يشهدون به.

قوله: (﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾) أي: من غير تقصُّدٍ منهم له.

قوله: (وغيره) أي: وهو الفعل القبيح.

قوله: (﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾) أي: مُكرمين أنفسهم بالغضّ عن الفواحش.

قوله: (بل خروا سامِعين... إلخ) أشار بذلك إلى أن النَّفي مسلَّط على القيد فقط وهو قوله: ﴿صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾، والمعنى: إذا قُرئ القرآن.. ذكروا آخرتهم ومَعادهم، ولم يتغافلوا حتى يكونوا بمنزلة مَنْ لا يسمع ولا يبصر.

قوله: (﴿مِنْ أَزْوَاجِنَا﴾) ﴿مِنْ﴾: للبيان.

قوله: (بالجمع والإفراد) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[١].

قوله: (﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾) أي: ما يَحصل به سرورها.

قوله: (﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾) أي: اجعلنا هُداةً يُقتَدى بنا في مواسم الخيرات والطاعات؛ بأن تصفِّي بَواطننا من غيرك حتى يكون حالنا سبباً في هداية الخلق؛ ولذا قيل: (حالُ رجلٍ في ألف رجل أنفعُ من وعظ ألفِ رجلٍ في رجل). ولفظ (إمام) يستوي فيه الجمع وغيره، فالمطابَقة حاصلة.

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحفص بألف بعد الياء على الجمع، والباقون بغير ألف على الإفراد. انظر «السراج المنير» (٢/ ٦٧٧).

أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٧٦﴾ ....

﴿٧٥﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ﴾ الدَّرجةَ العُليا في الجنَّة ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ على طاعةِ الله، ﴿وَيُلَقَّوۡنَ﴾ - بِالتَّشديدِ، والتَّخفيفِ مَع فتحِ الياء - ﴿فِيهَا﴾: في الغُرفة ﴿تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا﴾ مِن المَلائكة.

﴿٧٦﴾ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا﴾: مَوضِعَ إقامة لَهُم، - و﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ وما بَعدَه خَبَرُ (عِباد الرَّحمَن) المُبتَدأ -.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾) اسم الإشارة عائدٌ على المتَّصفين بالأوصاف الثمانية.

قوله: (﴿ٱلۡغُرۡفَةَ﴾) اسم جنس أريد به الجمع، والغُرفة: أعلى منازل الجنة وأفضلها؛ كما أنَّ الغرفة أعلى مساكن الدنيا.

قوله: (بالتشديد) أي: ومعناه يُعطون، والفاعل (الله)، وقوله: (والتخفيف) أي: فمعناه: يجدون، والقراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا﴾) جمع بينهما؛ لأنَّ المراد بالتحية: الإكرام بالهدايا والتُّحف، وبالسلام: سلامه تعالى عليهم بالقول، أو سلام الملائكة، أو سَلام بعضهم على بعض.

قوله: (من الملائكة) أي: أو مِن الله، أو من بعضهم لبعض، والمعنى: تُحييهم الملائكة ويدعون لهم بطول الحياة، والسلامة من الآفات، فتحصَّل أن قوله: ﴿تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا﴾ قيل: هما بمعنى واحد، وجمع بينهما لاختِلاف لفظهما، وقيل: متخالفان؛ فالتحية: الإكرام بالهدايا والتحف، والسلام: الدعاء إما من الملائكة، أو مِن الله، أو من بعضهم لبعض.

قوله: (﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾) أي: لا يموتون ولا يخرجون.

قوله: (و﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾) أي: الواقع مبتدأ، وقوله: (وما بعده) أي: قوله: ﴿يُجۡزَوۡنَ﴾ الواقع خبره.

---

(١) قرأ الأخوان وأبو بكر بفتح الياء، وسكون اللام، والباقون بضمِّها وفتحها، وتشديد القاف. انظر «الدر المصون» (٨/٥٠٦).

﴿قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا ٧٧﴾

٧٧ ﴿قُلۡ﴾ يا مُحمَّد لِأهلِ مَكَّة: ﴿مَا﴾ ـ نافِية ـ ﴿يَعۡبَؤُاْ﴾: يَكتَرِث ﴿بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ﴾ إيَّاهُ في الشَّدائِد فيَكشِفُها، ﴿فَقَدۡ﴾ أي: فكيفَ يَعبأ بِكُم وقد ﴿كَذَّبۡتُمۡ﴾ الرَّسُولَ والقُرآن، ﴿فَسَوۡفَ يَكُونُ﴾ العَذابُ ﴿لِزَامَۢا﴾: مُلازِماً لَكُم في الآخِرة بعدَ ما يَحُلُّ بِكُم في الدُّنيا. فقُتِل مِنهُم يومَ بَدر سَبعُون، وجوابُ ﴿لَوۡلَا﴾ دلَّ علَيهِ ما قَبلها.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي﴾... إلخ) لما ذكر أوصاف المؤمنين الكاملين.. أفاد أنَّ المدار على تلك الأوصاف التي بها العبادة لله، فلَولا العبادة الواقعة من الخَلق.. لم يكترث بهم ولم يعتدَّ بهم عنده؛ فإنَّ الإنسان خُلِقَ ليعرفَ ربَّه ويعبدَهُ، وإلَّا.. فهو شبيهٌ بالبهائم، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ففي العبادة يتنافس المتنافسون، وبها يَفوز الفائزون.

قوله: (﴿لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ﴾ إيَّاه) أشار بذلك إلى أنَّ المصدر مضاف لفاعله.

قوله: (﴿فَسَوۡفَ يَكُونُ﴾ **العذابُ**) أي: الذي دلَّ عليه قوله: ﴿فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ﴾.

قوله: (﴿لِزَامَۢا﴾) مصدر لازَمَ كـ: (قاتل قتالاً)، والمراد هنا: اسم الفاعل، وفي الآية تهديدٌ لكفار مكة.

قوله: (فقتل منهم يوم بدر سبعون... إلخ) روى الشيخان عن عبد الله بن مسعود قال: «**خمسٌ قد مضَين: الدخان، واللزام، والروم، والبطشة، والقمر**»[1]، وقوله: (خمس) أي: خمس علامات دالة على قيام الساعة قد وَقَعن بالفعل، فالدخان هو قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾ [الدخان: ١٠]، والمراد به: شيءٌ يُشبه الدخان، وقد نزل بقريش من شِدة الجوع؛ صار الواحد يرى كأنَّ بينه وبين السماء دخاناً، والقمر في قوله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، والروم في قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الروم: ٢-٣]، والبَطشة في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾ [الدخان: ١٦] وهي القتل يوم بدر، واللِّزام هو الأَسر يومها.

قوله: (دلَّ عليه ما قبلها) أي: وهو قوله: ﴿قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي﴾، والتقدير: لولا دعاؤكم ـ أي: طلبكم من الله رفعَ الشدائد وأنتم تتعلقون بأستار الكعبة ـ ما يَعبأ بكم؛ أي: ما يكترث بكم فلا يرفعها عنكم، وقوله: (﴿فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ﴾) أي: دُمتم على تكذيبه بعد إخراجه من بينكم، فسوف يكون العذاب لازماً لكم لا يُردُّ عنكم، ولا يقبل منكم دعاء، فتدبَّر.

---

(١) «صحيح البخاري» (٤٧٦٧)، و«صحيح مسلم» (٢٧٩٨).



فهرس السُّور